مواجهات

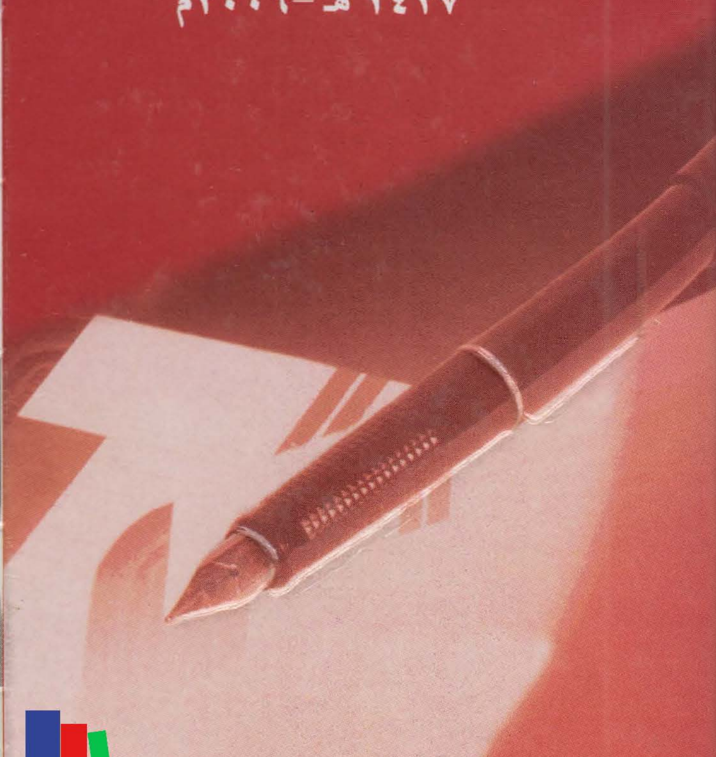
كي يبقى شيء للتاريخ

سير ومكاشفات جريئة مع أعلام في الثقافة والآداب



الدكتور محمد بن عبدالله العوين

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م



مـــواجهات

كي يبقى شيء للتاريخ

سير ومكاشفات جريئة مع أعلام في الثقافة والأدب

ⓒ محمد بن عبدالله العوين ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العوين ، محمد بن عبدالله
مواجهات : سير ومكاشفات مع اعلام في الثقافة والادب. / محمد بن عبدالله العوين .- الرياض ، ١٤٢٦هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٨-٧٦٥-٤٩-٩٩٦٠

١- الادب العربي - السعودية - مقالات ومحاضرات ٢- الادباء العرب أ.العنوان

ديوي ٨١٤,٩٥٣١ ١٤٢٦/٦٣٩٧

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٦٣٩٧
ردمك: ٨-٧٦٥-٤٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مـــواجهات

كي يبقى شيء للتاريخ

سير ومكاشفات جريئة مع أعلام في الثقافة والأدب

الدكتور محمد بن عبدالله العوين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لكل لحظة حب وإخلاص ووفاء عشتها مع الكلمة أبحث عن المعنى في المعنى العميق للذات؛ وفي الفكرة المضيئة؛ لكل زمن آخر غير محسوس ولا محسوب ضمن الزمن العادي الرخيص أقدم عرفاني وامتناني لساعات مضيئة من العمر هي حصيلة مشوار طويل من التعب واللهاث خلف ومضة مشرقة تستحق أن تُسجل، وخلف فكرة رائدة طليعية تستحق أن تدون؛ لكل تلك اللحظات الغالية من العمر، ولكل تلك الذوات الرائدة أقدم من جديد خالص الامتنان وجزيل الشكر بما غمرتني به تلك اللحظات من حبور وإشراق وجمال.

١/ ١٢/ ١٤٢٦هـ

١/ ١/ ٢٠٠٦م

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله.

وبعد...

دفعني عملي الإعلامي إذاعياً وصحفياً إلى الالتقاء برجال الفكر والأدب والسياسة والفنون على اختلاف أشكالها. وحاورت لمدة ربع قرن من عام ١٤٠٠هـ إلى عام ١٤٢٥هـ مئات الشخصيات البارزة في بلادنا وفي أقطار الوطن العربي كافة.

وكانت مكاشفات كثيرين من هذه الشخصيات أقرب إلى التدوين التأريخي للأحوال والظروف المحيطة بهم، ولهمومهم الشخصية والعامة، ولعطاءاتهم الأدبية والفكرية، وقد انتقل منهم الكثيرون إلى رحمة الله تعالى وبقيت هذه الأحاديث شاهدة عليهم وعلى ما قدموا، ومدّونةً سيرهم وكثيراً من رؤاهم، وكانوا فيها متدفقين على سجيتهم الإنسانية، ومستجيبين لدواعي الأسئلة وحفرها العميق في الذاكرة والوجدان. وبقي منهم أيضاً أعلام ما زالو يسهمون في حياتنا الثقافية بعطاءاتهم وإبداعاتهم -أمد الله في أعمارهم-

وإن من دواعي الأسى أن يتصرّم كثير من الانثيالات والبوح من هذه الشخصيات بعد بثه مباشرةً فيدفن في مكتبة التسجيلات الإذاعية، أو ينسى في طيات الصحف التي تصبح أمساً غابراً بينما يزخر اللقاء برؤى وأفكار وأسماء ووصف لظواهر اجتماعية وسياسية وأدبية. ومواقف ليس من اليسير نسيانها وعدم بعثها للأجيال الجديدة كجانب تأريخي للحركة الثقافية المحلية والعربية، وتسجيل موثق للمواقف والأفكار.

ومن الطبيعي أن يكون حديث هذه الشخصيات غير خال من اللحن؛ إن لم يكن في كثير منه أقرب إلى اللغة السهلة التي يتداولها عامة المثقفين، لأنهم يتحدثون على سجيتهم دون تكلف أو رغبة في التجويد والسلامة من اللحن؛ فآثرت إبقاء أحاديثهم كما وردت للحفاظ على تاريخيتها، ولإعادة تصور اللقاء إذاعياً من جديد وكأنه يبث على الهواء، وتركت أيضاً المقدمة والختام لمزيد من الدلالة على ذلك، والتداخلات وما يكون في الحديث عادة من تقاطع في الكلام، أو لزمات، أو صمت، وأشرت إليه بالنقاط هكذا (..........) بينما خلا الحديث الصحفي من هذه المظاهر، وكان فصيحاً لأن المقالة والحوار في الصحافة لا يمكن أن يُقرآ أو يُكتبا قبل ذلك إلاّ باللغة الفصيحة، على حين لا نستمع إلى حوار بالفصحى المجّودةِ المتقنة في الإذاعة إلاّ في القليل النادر.

ولئن كنت من أنصار الفصحى ومن المدافعين عنها، ومن الذابين عن حياضها إلاّ أن دواعي العمل الإذاعي ولوازمه تجعلني ممن يتخير فصيح العامي الدارج على ألسنة عامة المثقفين على التكلف فيه للوصول إلى أكبر طبقة عريضة من الناس. وحين رغبت في نقل هذه الأحاديث من كونها إذاعية لتكون مكتوبة سعيت إلى الحفاظ على أصولها كما وردت لا حباً في العامية المكتوبة بل تمسكاً بمصدر هذه الأحاديث الأول، وبأنها وثائق تاريخية عزيزة على النفس حين يُبعدُ الإصلاحُ اللغويُ ما فيها من تلقائية

الأحاديث الأول، وبأنها وثائق تاريخية عزيزة على النفس حين يُبعِدُ الإصلاحُ اللغويُ ما فيها من تلقائية وعفوية واندفاع فلا توحي بدواخل متحدثيها ولا نفسياتهم ولا ما كانوا عليه من سجايا وأساليب أو طبائع واندفاعات عاطفية ووجدانية.

وقد نوعت في اختيار هذه الشخصيات في الداخل والخارج، لتصور أجيالاً من العطاء والمثقفين والأدباء، ولتشمل فصولاً من تأريخنا الثقافي المحلي والعربي، وأتبعت المكاشفات بصور توثيقية لبعضهم، ولم أرد أن أثقل السير والمكاشفات بتكرار المعلومات عن الحياة الشخصية كتعريف في البدء لأن هذا الأمر متيسر عن هؤلاء الأعلام في الأدلة المتخصصة ومعاجم الشخصيات المعروفة.

وربما قادتني هذه التجربة إن لقيت قبولاً وترحيباً من القراء والمتابعين إلى إصدار أجزاء تالية لمكاشفات مع شخصيات أخرى لا زالت حبيسة الأشرطة والصحف في الأدراج السحيقة المنسية.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يفيد منه الدارسون والباحثون للوقوف على استشهادات رؤى أو معلومات أو بإشارات عن الحياة الفكرية والسياسية وعن الإبداع الأدبي، ومن التراث، وعن قضايا العصر النقدية والفكرية. ولعل من المناسب الإشارة إلى أن بعض الأسئلة الخفيفة في ختام اللقاءات أو بعضها ليست ذات أهمية علمية قدر أهميتها في كشف ذائقات الشخصيات المستضافة والدلالة على تناولاتها الحياتية المختلفة.

وقد أكون بهذا الإصدار خرجت عن مساري الذي عرفت به وهو كتابة المقالة الأدبية، أو العناية بالبحث العلمي في قضايا الأدب، فلعل ما يشفع لي اقترابي الشديد من هموم هذه الشخصيات أو من انشغالاتها العلمية وهو في النهاية ما يعني تحقيق الغايات والمآرب السامية في رفعة أدب وفكر هذه الأمة.

والحمد لله أولاً وآخراً.

د. محمد بن عبدالله العوين

١٤٢٦/١٢/١هـ

٢٠٠٦/١/١م

إبراهيم بن محمد العواجي

* أيها الأخوة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أهلاً بكم في سهرتنا هذه الليلة .. وكما تعودنا أن نلتقي ببارزين متميزين في مجالات مختلفة متنوعة.. مجالات ثقافية وأدبية وفكرية وإدارية وما سوى ذلك من مجالات الحياة الواسعة المتعددة.. يطب لنا أن نتشرف بزيارة دارة أو منزل معالي وكيل وزارة الداخلية الدكتور إبراهيم بن محمد العواجي .. ونزوره هذه الليلة لا بصفته وكيلاً لوزارة الداخلية فحسب وإنما نزوره أديباً وشاعراً.. وإنساناً ورائداً اجتماعياً أيضاً .. لأن له نشاطه الاجتماعي المتميز سواء من خلال الوزارة أو من خلال نشاطاته وعلاقاته الاجتماعية وإسهاماته في أشياء كثيرة... إذن نحن الآن في المكتبة في الواقع وقد اختار موقعاً مناسباً جداً من المنزل لكي نجرى فيه هذا الحوار ولكي تكون حواراتنا أو حديثنا ومداخلاتنا متصلة بجوانب مختلفة من الثقافة .. فجميع ما يحيط بنا من المكتبة يعبق برائحة الفكر والعطاء والشعر والنقد الأدبي ... وقد شرفت قبل أن أبدأ التسجيل بقراءة أكثر عنوانات هذه الكتب المفهرسة والمرتبة بشكل جيد.. وقد رتبت حسب موضوعاتها وحسب مداخلها البحثية والعلمية... إذن هذا تهميش أو مدخل إلى حوارنا مع معالي الدكتور إبراهيم بن محمد العواجي .. أهلاً بك ضيفاً على الإذاعة ونحن الآن ضيوف عليك.

- أهلاً بك .. وأنا سعيد جداً بهذا اللقاء.

* شكراً دكتور إبراهيم ... نقدم البطاقة الشخصية طبعاً... ما خلاف الأشياء التي قدمتها في حياتك.. بودي أن تقدم رؤوس أقلام عن تعليمك الثقافي ومراحل تطورك الإداري والوظيفي إلى أن وصلت إلى هذه المرحلة.

- طبعاً أنا... مراحل ما قبل الجامعة طبعاً قضيتها في الرياض خاصة الثانوية في اليمامة... وانتهت دراستي الجامعية بجامعة الملك سعود.. كلية التجارة تخصص اقتصاد وعلوم سياسية .. ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصلت على الدبلوم بإدارة التنمية ثم ماجستير في الإدارة العامة... عن إدارة التنمية في المملكة... ثم الدكتوراة من جامعة فرجينيا في موضوعها، الإ دارة والمجتمع في المملكة العربية السعودية بحث ميداني أجريته هنا شارك فيه أكثر من ٢٧٠ موظف حكومي قام على أساسه البحث... كنت أثناء دراستي في المرحلة الثانوية.. كنت أعمل بوزارة المواصلات وادرس بشكل متصل.. وعندما عدت... من أمريكا كان لي شرف العمل بوزارة الداخلية في فترة الستة أشهر الأولى مشرفاً على تنفيذ تنظيم وزارة الداخلية ثم

وكيل الوزارة المساعد في . . . عملت . . كان لي شرف العمل تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين لمدة أربع سنوات. . . كان وزيراً للداخلية . . والإشراف المباشر لصاحب السمو الملكي الأمير نايف. . . كان آنذاك نائب وزير الداخلية. . . ثم عينت وكيل لوزارة الداخلية في عام ١٣٩٥هـ وأعمل إلى هذا الوقت.

* طبعاً عرفت أيضاً شاعراً. . . . وعرفت شاعراً متميزاً في الواقع. . صدر لك في الفترة القريبة ديوانان فيما يبدو من الشعر. . . أولها ديوان المداد. . . . والديوان الآخر فما أتذكر الاسم بالضبط؟

– نقطة في تضاريس الوطن

* هذا مسمى القصيدة التي يحتويها الديوان كيف تجمع لديك هذا الكم الكبير من الشعر. . هل هذا مثلاً حصيلة عمرك الشعري الماضي؟

– أولاً أنا كتبت الشعر منذ صغري. . كتبت الشعر وأنا في المرحلة الابتدائية ولا أزال أحتفظ بها بخط اليد وبالألوان التي كتبتها بها. . . ثم كتبت قصائد نشرت في أثناء المرحلة الثانوية . . . وكتبت مسرحية شعرية عن فلسطين مثلت بالمدرسة التذكارية كانت. . . الأهلية بالرياض. . . تمثيلية كاملة حضرها وزير المعارف آنذاك أو وكيل وزارة المعارف. . . وتم توقف عطائي الشعريْ لفترة . . لظروف الدراسة والعمل والهجرة للدراسة. . فأنا علاقتي بالشعر علاقة قديمة وليست علاقة. . . يعني ناشئة ولا طارئة. . . ثم بعد أن تجمعت لدي قصائد. . اخترت ما أعتقدت أنه صالح للديوان. . . ليس من بينها كل الأعمال التي كتبتها بالأول أو اللاحقة وأخرجتها باعداد. . . واعداد ظهر ديوان كبير الحجم . . . كنت أتمنى لو كان . . . أن لم يكن كذلك. . . كبير الحجم وأنا حرصت أن يكون هكذا ليجمع أعمالي القديمة والجديدة ليسهل على الناقد أو الباحث عن هويتي الشعرية ليكتشف من خلالها مختلف المراحل التي قمت فيها. . . أما نقطة في تدريس الوطن فهي لوحة شعرية. . . قصة أو حدوته أو لوحة عن حياة قرية والتفاعلات التي طرأت عليها من خلال التغيرات التي نشأت في المجتمع وبعض القيم والتقاليد. . . ونشرت . . . ووجدت أنها طويلة أن تكون ضمن أي ديوان فنشرتها في ديوان صغير. . . لدي الأن ديوانان في مرحلة التحضير أرجو أن يأخذ أولهم الطريق في مستهل العام القادم إن شاء الله.

* إن شاء الله. . . دكتور إبراهيم العواجي شاعراً. . . المداد هل وجد صداه في الساحة الثقافية كما تريده أنت أم أنه وجد صدى مبالغاً فيه مثلاً من بعض النقاد . . . يعني. . هل هناك مجاملات نقدية وجدت بها نقداً في الصحافة الأدبية.

– والله أنا في اعتقادي إن المداد نشر عنه الكثير ولكن لم ينشر عنه بنفس الصفة . . .. الصيغة

التي كنت أتمناها . . في الواقع أن كثيراً مما نشر عنه يدخل في باب المجاملات . . . أو الاجتهادات الصادقة الطيبة أو المنظور العاطفي. . . الانفعالات مع بعض القصائد أو الإعجاب بها أو محبة ذاتية أو شخصية فكلها جاءت مع بعضها. . . وكثير من الكتابات التي نشرت. . وفيه كثير من الأشياء اطلعت عليها لم تنشر بعد. . . وكنت أتمنى الواقع أنه. . . أن تخرج أقلام ناقدة وتحلل الديوان وتفرز الجوانب السلبية والقوة فيه. . . لأنه في اللحظة التي أخرجت فيه الديوان للمكتبة العامة وعرضته للبيع أو عرضته للتداول فأنا طبعاً أعطيت الحق. . صار الحق لكل ناقد. . . لكل قارئ. . . أن يدلي برأيه. . . وأنا احترم حق الجميع. . . حق النقد الموضوعي طالما أن الهدف هو إبراز الجوانب وخصائص القصيدة لدي.

* وأنت تمر بهذه المرحلة الشعرية المثرية . . وفي الواقع المتدفقة. . . لأنني اطلعت على مسودات قصائد لك قبل التسجيل قبل قليل وكنت أتساءل بيني وبين نفسي كيف تملك الوقت المناسب لكتابة هذا الكم من الشعر. . . وأنت أيضاً لك أعباؤك الوظيفية والإدارية. . فهل تفرغ مثلاً أنت ذو شخصيتين . . شخصية وظيفية ثم شخصية إنسانية شاعرية تتملكها بينك وبين نفسك!

– سأجيب على الجزء الثاني من سؤالك. . أنا طبعاً ذو شخصية واحدة. . أمارس مسؤولياتي بكل ما أملكه من إحساس أيضاً.

* بحس الشاعر؟

– لا . . . بحس المسؤول. . ولا أستطيع أن أتخلص من حس الشاعر في المواقف التي يقتضيها ذلك بالطبع لأني أنا إنسان . . ولكنني أمارس مسؤولياتي من خلال الحس بالمسؤولية. . . . المسؤولية ليس اتجاه. . . . نحن نعمل لاعلى أساس أنه . . على أساس نبحث عن الحقيقة. . . وبتوجيهات المسؤولية مسؤوليتنا هو العدالة. . . . هو تحقيق العدالة والتأكد أن كل الأمور تأتي وتسير وفقاً للأنظمة المرعية. . . وفق ما يحقق صالح الجميع. . . فبالتالي لا أعتقد أن هناك تعارض بين مسؤولياتي كمسؤول كموظف ... وإحساسي كشاعر. . . لكن حقيقة إنه القصيدة. . . الجزء الأول من سؤالك. . . إنه أن لا أختار حتى أكتب القصيدة. . . أنا أعتقد أن القصيدة هي التي تملي نفسها عليّ . . . تملي نفسها عليّ.

* لوقتها أيضاً. . . ولزمنها أيضاً؟

– تملي نفسها. . . الموقف والوقت. . هي ملك القصيدة ليس ملكي. . وفي الغالب أنا لا أكتب قصيدة وأنا أعمل في مكتبي بوزارة الداخلية ولا أكتب قصيدة وأنا أتحدث إلى الآخرين وأمارس . . . أنا أكتب القصيدة في الغالب فكثير من قصائدي الآن أكتبها في الصباح . . أو أكتبها في المساء وأكتبها عندما أكون خارج المزرعة أو أكتبها في جو. . جو فعلاً ملائم . . . أما موضوعية القصيدة

فهذه وفقاً للظروف.

* نعم..

– لأني أنا من خلال ١٩ سنة أعمل في الوزارة أصبح لدي تجربة غنية جداً في المجتمع.. أصبحت أعرف المجتمع وتوجهاته... وكنت أعمل قبل الطفرة وفي ظل الطفرة... وفي حالة.. الآن الحمد لله.. الاستقرار هذا.. فأيضاً كنت أراقب التحولات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية اللي تنشأ.. والسلوكية فأنا فعلاً كسبت خبرة كبيرة جداً... وممكن نقطة في تدريس الوطن الجزء الأخير منها يحكي.. تستطيع أن تلمس أن تجربتي موجودة... هناك.

* نفس القصيدة؟

– نفس القصيدة... من خلال تجربتي كان لها دور في التعرف على المشكلة الاجتماعية اللي حاولت أن أعالجها.

* جميل جداً... وهل القصيدة تختار شكلها أم أنك ترسم شكلاً معيناً محدداً لبعض القصائد؟

– أنا أخ محمد تعرف أو قد تعرف أني أكتب القصيدة العمودية التقليدية وأكتب القصيدة الحديثة.. قصيدة حديثة العربية.. تفعيلة... وموسيقى... وقافية.. لكنها حرة في طول وقصر التفعيلة وإلى آخره... وأكتب القصيدة النبطية والشعر النبطي... لم أختر في يوم من الأيام أن أكتب بأي لون أو بأي شكل أو بأي.. أنا دائماً.. القصيدة هي التي في الواقع أنها تأتي بالشكل.. بشكل من أشكال...

* تختار شكلها يعني؟

– تختار شكلها... يعني.. وفقاً للموقف.. إذا كنت متأثراً بموقف أو قرأت قصيدة معينة أو انفعلت بموقف معين.. فعادة يكون رد الفعل يأتي بالشكل نفسه

* تختار شكلها بنفسها؟

– فأنا لا أختار الشكل

* لو أردنا أن نقسم مراحل حياتك الشعرية إلى فترات.. يعني.. فترات عطاء خصب وفترات توقف مثلاً.... وفترات نسميها فترات... مثلاً.. هدوء... هدوء عاطفي وهدوء نفسي ثم فترات انفعال وتدفق نفسي وعاطفي... هل مررت بمراحل أو كل المراحل في حياتك متساوية؟

– لا لا أبداً.. ماهي متساوية إطلاقاً.. أن المرحلة الأولى مرحلة انطلاقة شخصيتي الشعرية في الأولي اللي جمعت بعضاً منها في ديوان شعر معاصر.

* أنا ودي تحدد الزمن

–اللي هي الفترة... من فترة أنا كتبت الشعر وأنا في سادس ابتدائي.. ونشرت الشعر وأنا في

المرحلة الثانوية.. ثم وأنا في الجامعة.. وهذه المرحلة التي هي تمتد بالذات من أواخر السبعينيات إلى منتصف الجزء الأول من الثمانينيات... طبعاً هذه كتبت فيها كثير من القصائد .. كانت في الواقع وطنية لم يكن فيها أي قصائد عاطفية أطلاقاً.. ثم توقفت عن كتابة القصائد إلا بعض القصائد .. ومنها واحدة في الديوان موجودة... كتبت بعض القصاذد وأنا في أمريكا لكنها قليلة... لكن في أمريكا.... البعد عن الوطن... المفروض أن يدفع الشاعر إلى الكتابة .. لكن كان الانبهار والانشغال... الانبهار والانشغال كان أوقوى من

* كتابة الشعر

– من الكتابة.. وعندما عدت كتبت الشعر ولكني كتبته أيضاً ليس بنفس القوة التي صرت أكتبها في السنوات الأخيرة في الخمس ست سنوات الأخيرة.. لأني كتبت قصائد متقطعة.. لأن القصيدة كما ذكرت لك تأتي وليدة الموقف.. وليدة الإحساس.. وليدة وتحتاج إلى شاعر... أنا كان دايم أقول كثير من الناس يقولون .. الشعر يكتب القصيدة ولو لم تقرأ... هذا الصحيح.

* يعني ... هل يخضع هذا التقسيم التاريخي لفترات معينة نفسية في حياتك.. يعني فترات منفتحة وفترات منغلقة.

– والله مرحلة القصائد.. المرحلة الأولى التي نشرت فيها واللي عرفت فيها في وقته كشاعر هي مرحلة كان الموضوع المطروح أمامنا هي قضايا وطنية عامة.

* اللي هي فترة السبعينيات يعني

– ليست خاصة بالملكة ولكنها قضايا وطنية تهم الوطن العربي على مستوى الوطن العربي... إي في أواخر السبعينيات والثمانينيات

* يعني خمسينيات ميلادية وستينيات ميلادية؟

– أي نعم.. أما بعد ذلك كتبت مجموعة من القصائد العاطفية بدأت فعلاً في السنوات الأخيرة.. يعني يمكن بداية قصاذد عاطفية منذ – إذا كنت تريد أن تحدد الفترات- يمكن من التسعين وإلى الآن .. كتبت بدأت أكتب عاطفية.... ولكن لم تكن أيضاً لا بنفس القوة ولا بنفس الزخم ولا من ناحية أيضاً الكمية ولا من ناحية الكيف.. اعتقادي... أنا أعتقد لو كنت ناقد .. لو أردت .... لو كان من المكن للشاعر أن يكتب كتابة نقدية من نفسه لتكشفت بالضبط كيف تطور شعري خاصة العاطفي والوجداني.

* وعلى النقيض من الشعراء.. الفترة المبكرة من الحياة يبدأها الإنسان عاطفياً ثم يمكن ينتهي وطنياً وهكذا مع أن الوطن والعاطفة واحدة.. يعني .... تقريباً

– لكني أنا الآن في كل قصائدي تجدها في الديوان وفي دواويني القادمة صارت قضية الوطن

والعشق صاروا متزاوجين حقيقة.. وراح تجدها دائماً .. تجدها في بيتين في القصيدة.. لأنه أنا لا أختار .. أن لكنه دائماً فيه تزاوج قوي جداً جداً في داخلي.. لأني أنا عاشق لوطني.. وعاشق لزوجتي.. اللي هي تقريباً أنا أكتب شعري بها.

* والمرأة قد تكون صورة للوطن

– وهي جزء من الوطن وتمثل الوطن وبالتالي .. الأم على فكرة أشبه الناس بالوطن.. الأم أكثر من الرجل تشبه الوطن.. هي التي تنجب.. وهي التي تتفاعل.. بينا من حيث ال... أنا أعتقد في شبه كبير جداً بين المرأة والوطن.

* هي رمز عموماً يتخذه الشعراء دائماً

– رمز الأمومة طبعاً

* ذكرت يا دكتور.. لو أنك كتبت سيرتك الذاتية الشعرية تقريباً أو الإبداعية وقد نتطرق إلى المراحل التي مررت بها وتفاعلك مع القصيدة ومع المؤثرات التي أثرت عليك في كتابة النص الشعري... ونعرف من هذا أن الدكتور غازي القصيبي كأحد أدبائنا في المملكة العربية السعودية كتب لوناً من هذا في سيرته الشعرية... فلماذا لا تكون هذه التجربة أيضاً منطلقة منك في الواقع لتأريخ بعض المراحل... وقد تعم هذه بتطوير الإبداع لدى أقرانك.. ولدّأنك من الشعراء الذين رافقتهم.

– والله أنا.. الفكرة جيدة كمبدأ.. ولكن أعتقد أنه ما حان وقتها بالنسبة إلي.. يمكن بعد صدور دواويني الأخرى وخضوعها للنقد القاسي والقوي والفاعل ثم أيضاً امتلاكية الوقت لأكتب.. لأن أنا القصيدة لا أخصص لها وقت .. أم لأكتب فأحتاج إلى أني أنا أكتب بشكل يعني يضيف شيئاً جديداً للمكتبة.

* وتعودنا أن الشعراء أو الكتاب أو الأدباء أو حتى القياديين والسياسيين والمفكرين لايكتبون مذكراتهم إلا في السنوات الأخيرة من عمرهم حينما يشيخون.. يعني.. فلماذا لا تكون مذكرات.

– أرجو أن أكتبها قبل أن أشيخ.. ولكن أرجو أن أكتبها عندما.. أولاً يكون عطائي فعلاً متوفر بشكل أوسع على مستوى الساحة المحلية والعربية.. ومقروء ومنقود ومقيّم... ويكون هناك عدة تساؤلات في ذهن النقاد إنه لماذا هذه ولماذا هذا ولماذا هذا التفاوت.. لماذا هذا.. لماذا هذا .. هنا استطيع أن أجيب... عندما تطرح مجموعة من التساؤلات وأقرأ مجموعة من التساؤلات يكون كتابتي عنها... إجابة على التساؤلات.

* ولو قيمت نفسك شخصياً... أو أعطيت هذا الحكم النقدي .. ونظرت إلى نفسك في نصك الشعري بأي مدرسة تأثرت.. وبأي لون من ألوان الشعر؟

– والله يا أخ محمد.. أنا هذا السؤال.. أنا أعرف أن دائماً هذا السؤال تقليدي ومتوقع.. أنا شخصياً لا أومن بالتصنيف المدرسي .. أنا أعتقد أني.. وأنا لست ناقداً... أنا أعتقد لو أحلت قصائدي لناقد حديث وناقد قوي لاستطاع الوقوف... يعني... يجد في ديواني أو في قصائدي أو في دواويني كل المدارس.. حقيقة يعني.. لأنه يعني.. هذا النصيف في اعتقادي .... النصيف في اعتقادي إنه جائز بحق الشعراء.

* نقدي متعسف؟

–أنا أعتقد أنه جائر بحق الشعراء... أنا من أنا.. أنا شعر يكتب.. يرسم إحساسه على الورق بأي شكل من الأشكال .. بدون التكفير بأي مدرسة وبدون التأثر بأي شاعر معين.

* لكن يعني.. عفواً... ظل آخر للسؤال الذي أود أن أطرحه... رموز أو أقلام تيار شعري معين قرأت لهم كثيراً واستنبطتهم واستوعيت ووعيت أطروحاتهم وقضاياهم ونفسياتهم.

– أنا استطيع أن أقول .. أستطيع أقول أولاً طبعاً تأثري الأساسي بالشعر العربي الشعبي الجاهلي وصدر الإسام وتم بالشعر العربي... في المنتصف الأول... النص الأول للقرن... هذا القرن.. كان في شعراء كبار

* شعراء النهضة

– شعراء النهضة إي طبعاً.. وهؤلاء الشعراء الكبار... ثم أخيراً تأثرت بشعراء .. يعني.. حديثين مثلاً شعراء كعمر أبوريشة... إيليا أبو ماضي... بدوي الجبل... طبعاً الشاعر الجواهري.. السياب.. لمجموعة من الشعراء ... حتى نزار..آ

* لم أذكر أي اسم علشان أنت تختارهم طبعاً

– طبعاً حتى نزار من ناحية الشكل .. مؤكد إني تأثرت فيه شكلاً.... مؤكد أنك تقدر أن تجد... المتنبي أنا ما تجاهلته ولكن اعتبرت أنه من شعراء المرحلة الأولى للشعر العربي... أو على الأصح المرحلة الماضية القديمة.

* طيب هل تستطيع الآن أن تختار لنا نصاً شعرياً يا دكتور وتتحفنا به... نتحدث عن ظروف هذا النص .. ظروف الخلق الإبداعي الفني.

– هذه القصيدة كتبتها في ١٤٠٨/٩/٢٠.. أكيد أنا صباح... أكتبها لأني أنا أكتب رسائل صباحية أحياناً تأتي نثرية وأحياناً تكون شعراً.... وفقاً للصباح... عندما أشرب القهوة قبل أن أتوجه لمكتبي ... هذه اسمها طفولة.

* لها ظروف معينة يا دكتور.. علشان قبل ما تقرأ تستوعبها

– والله ليس لها.. أنا لا أستطيع طبعاً... هي رسالة موجهة إلى زوجتي أكيد... يعني مؤكد

أكتبي فوق جدار الوقت أسرار فتوني بالطفولة

كيف قاومت فلول اليأس والوعي وأشكال الرذيلة

كيف عانقت الرجولة كيف أغمض عيوني وتجاهلت شجوني ونتوءات الفحولة

كيف هاجرت إلى عينيك في مظهر شيخ منهك وعلى مدخل عينيك عقرت سنيني وتداركت الطفولة

أمسحي ذاكرة الزحف على أرصفة البحث طويلاً

وأصبغي شعري بلون العشق فقد ملّ الرحيل في أودية الوهم غضاه ونخيله

كنتِ أنت الحلم والغاية واللغز بدرب رحيله

ها تداركت الطفولة

* طبعاً هذه أيقظتك دون سبات.. يعني كأنك تستفيد طفولتك تقريباً في هذه المرحلة... نعم أشوفك أخذت قصيدة أخرى يا دكتور.. تود أن تقرأ شيئاً فيها.

– متى ما شئت .. يعني .. هذه القصيدة .. لئلا يغضب عليّ الشعراء الذين يرفضون القصيدة الحديثة.. وأنا كما ذكرت لا أختار أن أكتب بأي شكل... فلابد أن أقرأ في هذا اللقاء قصيدة عمودية... لعلّها تبعد عني يعني... سهامهم.. أو تنفي عني إتهامهم.

* لابد أن يحصل هذا التوازن يا دكتور .. فالقصيدة العمودية أيضاً مطلوبة ... ولها عشاقها.. ولها ناسها ونقادها ومشجعوها... فممكن في الدقائق القادمة من هذا اللقاء نتناول هذه القصيدة.. ولكن خلينا نستريح قليلاً مع النغم... وقد تحدثنا هذا الحديث المجتزأ في الواقع .. الذي لم يكتمل بعد عن شعرك وتوجهك الشعري وبنائك الفني.. فخلينا نتعرف على ذوقك في الشعر المغنى مثلاً... طبعاً لم تكتب شيئاً للمغنين أو لمن يؤدون قصيدة مغناة مثلاً.... أو لم تفكر في ذلك؟.. يبدو له.. لم يخطر ببالك... ولعلك تهوى شيئاً يغنى .. أو تسمعه.. مثلاً

– والله أنا أولاً كتبت .. عندي قصائد غنائية... ولكنها يعني.. لم أختر أن أدخل لأن المجال لدينا المجال التنافسي فيه غير متكافئ في اعتقادي... يعني.. ماهو... ماهي ظروف طبيعية .. يعني.. مغني يعشق الكلمة ويأخذها لابد لأجل لكي يغنها.. لابد من اعتبارات أخرى في الواقع تفوق هذا .. ولذلك لا أفضل عن هذا الموضوع... وغني لي قصيدة بمناسبة زواج إبني... وجميلة .. وكتبت بمناسبة زواج غسّان قصيدة... أنا أعتبر أنها نبطية حلوه جداً.. وغنيت للمناسبة .. يعني.. وغناها عبدالله رشاد .. لكن .. أنا طبعاً أعتقد إنه أنا رجل أسمع موسيقى.. والموسيقى فيها راحة للنفس وفيها تهدئه.. وإذا الكلمات أحياناً تتكشف في بعض القصائد .. كلمات وصور إبداعية جميلة... يمكن الغناء مع الموسيقى والصوت الجميل مع الموسيقى... أيضاً يلبس الكلمة حللاً أخرى أقوى حتماً مما يتصورها الشاعر اللي كتبها .. فبالتالي طبعاً أنا مؤكد إني أنا

أحب الموسيقى . . بس أحب الجيد منها . . لأنه مع الأسف السوق الآن مليئة بكثير من الغثاء.

* ولو أردت أن تسمع شيئاً من الشعر المغنى . . . القصائد المغناة

- أنا أفضل فيروز

* نعود . . دكتور . . . إلى الساحة الثقافية والأدبية ونحن لازلنا في ضيافة الدكتور إبراهيم العواجي وفي مكتبته العامرة والغنية والثرة في الواقع بدواوين الشعر العربي ودواوين الشعر العربي في مراحله وفصوله المختلفة . . وكذلك بكتب مختلفة في الفكر وفي الأدب والسياسة والاقتصاد وفي السيرة الذاتية لأدباء ومفكرين وقياديين وسياسيين ومؤرخين كبار وعظام . . لانريد أن نقف عند كل هذه التفاصيل ولو وقفنا لطال بنا الحديث . . . إذن لنقف عند أشياء قصيرة جداً . . . هي ما تبقى لنا في هذا البرنامج فأنت عاصرت فترة طويلة تقريباً من عمر الصحافة السعودية ومن عمر الأدب في الصحافة السعودية باعتبارك شاعراً وتطرح للنقد بين حين وآخر أو تطرح أنت مشاركاتك عبر هذه الصفحات الشعرية والكتابية المختلفة . . فمتى بدأت صلتك بشكل دقيق بهذه الصحافة شعراً وكتابة نثرية.

- أنا لما بدأت . . أنا أول قصيدة نشرت لي . . نشرها لي الشيخ حمد الجاسر في جريدة اليمامة أول قصيدة.

* وليست مجلة . . عمرها لما كانت جريدة نعم كانت أسبوعية ودي لو تحدد الفترة الزمنية يا دكتور؟

- نشرت في عام ٧٨هـ وكنت أيضاً أكتب مقالات . . كان لي عمود اسمه . . بصراحة . . وعن قضايا يومية طارئة وكنت أكتب اسبوعياً بصراحة في الجريدة . . وكتبت في القصيم . . كنت أكتب مقالات عن الأوضاع العربية آنذاك . . . وكتبت . . نشر لي قصائد في الاشعاع اللي كان يصدرها الأستاذ سعد البواردي . . . ونشر لي في صحف البلاد.

* الرائد يبدو؟

- وفي الرائد . . يعني كان وكنت أكتب أيضاً مقالات . . . . كان . . كان أكتب مقالات في قضايا اجتماعية وفي قضايا

* في الجزيرة؟

- وفي الجزيرة طبعاً

* الجزيرة لما كانت اسبوعية فيما يبدو؟

- لما كانت اسبوعية كنت أكتب فيها . . . نعم

* تتذكر أبرز مقال نشر لك يحمل عنوان صارخ وقوي؟

- والله أتذكر عام ٨٤ كان فيه قضية الغاز .. مد الغاز.. وكان الغاز يحترق.. وهناك كان حملة تبناها الأستاذ.. أستاذنا الشيخ عبدالله بن خميس عن إحتراق.. وكتبت مقالة كانت في الصفحة الأخيرة للجزيرة يوم الثلاثاء .. أتذكر .. ومر عليّ الأستاذ الصديق فيصل الشهيل وأعطاني العدد يوم سفري.. وعنوانها... لكي لا يسخر من الرماد... وأن قصدت فيه عن احتراق الغاز وعدم استغلاله.

* لانه طاقة وثروة يعني؟

- وكان ردود فعل وزير البترول سابقاً زكي اليماني... رد عليه وأنا غايب.

* لكن الشعر .. أبرز قصيدة نشرت لك في هذه الفترة قبل سفرك

- والله مجموعة قصائد من أهمها قصيدة .. بعضها موجودة في الديوان وأشرت في الديوان إلى نشرها.. لكن قصيدة ... قصيدة

في كل شبر من موطني هبت رياح ... زحف جديد ومواقف

قصيدة .. الظاهر... الزحف الكبير أو شيء

* هذا مطلعها الجميل.. وتتذكر المطلع يا دكتور .. أو تتذكر بيتين منه؟

- والله إذا أردت أن أخرج المطلع المواقف الصاعدة عنوانها... نشرت في جريدة اليمامة في مارس ١٣٨٠هـ عنوانها المواقف...

في كل شبر من موطني هبت رياح	زحف جديد ومواقف تبقي الكفاح
ويروقها أصوات قصة السلام	تلك الجموع الثائرة من أجل تحقيق النجاح
شعب أبي أن يستكين وقد تثخن بالجراح	في كل قلب شعلة تحكي النضال الهادر
في كل جسم روح عملاق شجاع صابر	.... إلى آخره

هي بمناسبة ثورة المليون شهد الجزائري ولكن يمكن لي ملاحظة .. أنت كناقد ممكن تلاحظها .. هذه نشرت عام ٨٠ وقصيدة حديثة.

* مبكرة جداً ومبكرة جداً

- ومن الغرائب في الأمر أني لم أقرأ آنذاك لا السياب ولا نازك الملائكة

* ولا صلاح

- ولا صلاح ... فبالتالي جاءت هي قصيدة حديثة.

* فرضت نفسها وشكلها دون التأثر بمدرسة أو بشاعر

- ولم أتأثر بشاعر معين .. وجاءت قصيدة تفعيلة... يعني

* دكتور .. ننتقل إلى قضايا أخرى... بعد أن أبحرنا في خضم القصيدة والشعر... ولا

ننسى أننا سنستمع إلى قصائد في ختام البرنامج بصوتك.. ما الذي نشر وما الذي لم ينشر.. بودي أن أتعرف على أبعادك الاجتماعية وبعض الآراء في القضايا العامة من خلال طبعاً اطلاعاتك وقراءاتك المستمرة.. دكتور إبراهيم العواجي.. أنت طبعاً متزوج فيما يبدو لي.. وأنا شهدت في مجيئي طفل صغير.. نسيت الاسم وأنت تناديه قبل قليل

– ثامر... ثامر

* ثامر نعم.. فكم عدد أفراد الأسرة؛ وكم.. يعني وهل هم من زوجة واحدة؟

– لي أربع أبناء.. وخمس بنات... أصغر الأبناء.. الوليد.. ثلاثة شهور.. وأكبر الأبناء محمد خمس وعشرون سنة.

* ربنا يخليهم.. إن شاء الله... المسميات.. أو مافي داعي لها

– يعني

* إذن الأبناء كلهم متزوجون الكبار

– لا.. لا أي أثنين متزوجين الكبار... باقين الصغار.

* كلهم من زوجة واحدة؟

– لا.. من أكثر من زوجة.

* طيب.. هل لديك.. يعني... توسع في مشروعك العائلي... أو رغبة في التوسع قصدي؟

– سؤال غريب.. يعني شاعر يكتب كل هذا الشعر بزوجة ويحبها

* أنت طبعاً لمحت أنها للزوجة فقط يعني قد تكون مقطوعة أو مقطوعتين أو ثلاث للزوجة ولكن البقية مطلقة.. يعني الحب العائلي.

–لا.. أكيد.. أعتقد إنه.. إنه الإنسان عندما يكون سعيد في حياته يكون من الغباء أن يبحث أن يسقط.

* في مطب آخر؟

– لا.. ليس مطباً.. أن يسقط السعادة اللي بإيديه... ليبحث عن سعادة قد لا تكون موجودة.

* غير مضمونة

– وبالتالي... بالعكس... الإنسان عندما يكون سعيداً في حياته... وأنا سعيد بحياتي.

* أنا أقصد المطب الآخر الزواج السعيد مو مضمون.

– لا.. مؤكد... أنه.. كيف نترك سعادة وتبحث عن سعادة.. ماذا.. هل هناك سعادة نوعين من السعادة.. لا

* هي السعادة واحدة

– تكون السعادة واحدة . . وبالتالي أنا اطلاقاً بعيد كل البعد . . وأنا أنخت بعيري عندما وجدت ضالتي.

* ربنا إن شاء الله يزيد ويبارك . . . ويمد السعادة الوارفة إلى كل أرجاء وتفاصيل منزلك العامر إن شاء الله. . طبعاً أنت والأسرة . . أو من يحيط بك ويتصل بك من أفراد العائلة. . كنت أريد أيضاً أن أسأل سؤالاً آخر يعني. . . هل هذا مثلاً نابع من إيمانك العميق لأنه إذا توفرت الخصائص المطلوبة في الزوجة. . ليس هناك ثمة ضرورة للتعدد أساساً . . مع أن التعدد عند بعض الناس ترف يعني. . . ليس ضرورة.

– لا . . . أنا أعتقد أن التعدد . . التعدد شرعاً كما تعرف له أسبابه . . ليست المسألة. . . ليس . . ديننا وقيمنا كلها تدعو الإنسان لبناء الأسرة المستقرة الخالية من المشكلات. . الزواج من أكثر من زوجة يحمل مشكلاته. . . فأنا في اعتقادي أن الإنسان يجب أولاً. . . بدءاً أن يبحث عن الزوجة الصالحة . . وعندما يجد الزوجة الصالحة يجب أن يتمسك بها وأن يحافظ عليها.

* من واقع عملك. . في الواقع. . . . وهذا ليس حديثاً عملياً وإنما كخبرة ناتجة عن العمل. . من حيث البعد الاجتماعي. . . ماذا تلحظ في مجتمعنا من ظواهر معينة. . كعناوين أو رؤوس أقلام في الواقع سواء كانت حسنة أم سيئة؟

– أولاً . . كثير من الظواهر التي مرت. . اللي مر فيها مجتمعنا والتي بدأنا نحس فيها. . . مثلاً كالمخدرات وانحرافات الشباب اللي قد . . نحن أزعجتنا. . وظهرت قوية جداً ومثيرة بالرغم أن حجمها مقارنة بالشعوب الأخرى حجم صغير. . إلا إنه بالنسبة لمجتمع مستقر ومجتمع يتميز بأخلاقيات معينة. . . وبعيدة عن الانحراف. . . هزتنا هزة عنيفة. . . خاصة في موضوع المخدرات. . . والسبب الأساسي فيه هو ضعف الأسرة ودور الأسرة والتربية. . وفي اعتقادي أنه من الآثار السلبية . . ولكل نجاحات سلبيات. . . ومن الآثار السلبية للتطور الكبير الذي شهدته البلاد. . . انشغال الأهل وانبهار بعضهم وانشغالهم عن أبنائهم. . . ومما نتج عنه طبعاً فراغ. . . وترك مجال لجلساء السوء وللمندسين والمنسلين. . . ونتج عنه في اعتقادي. . . إنه نحن نحتاج بشكل خاص ليس فقط لمواجهة المخدرات لمواجة كل أنواع. . . . . ونبني الأسرة القادرة على أن تكون نواة لهذا المجتمع الطموح الكبير الذي يحمل كل خصائص تستحق المحافظة عليها. . . في اعتقادي إنه يجب على كل أب وكل أخ أن يعيد النظر. . وهذه دعوتي أن يبعد النظر ببرنامجه الأسري وأن يحاول أن يتعرف عما . . . يوازن بين ما يحققه في. . . التهائه وما بين ما يفقده في بيته. . . . وفي اعتقادي أنه سوف يجد أن القيمة التي . . . لما يمكن أن يحققه في التصاقه بأسرته وأبنائه سواء أبناءه وإخوانه. . . أنه يفوق بشكل كبير نوعاً وكماً مما قد يحققه في المصالح المادية

الأخرى أو أسباب رفاهيته أو أسباب سعادته.

* والأشياء الحسنة الجميلة التي تتكشف لك بين وقت وآخر خلال عملك ماهي .. يا دكتور؟

- وأشياء... إنه لايزال المجتمع... يعني... بالرغم مما آله من حالات نادرة وشاذة .. لكن المجتمع... مجتمع لا يزال متراحم.... مجتمع متماسك.. ومجتمع ... يعني... يتميز بخصائص فعلاً تنبثق من عقيدته ومن قيمه وتقاليده ولايزال المجتمع بخير... وأنا متفائل بشكل أكثر .. وقد لمست تراجع كبير جداً... أيضاً فيما يتعلق بالنقطة الأولى بالنسبة للأسرة... تراجع كبير وأن الكثير من الناس بدأوا يعيدون الحسابات في نوعية علاقاتهم... فالايجابيات الكثيرة هي أغلب عندما نتحدث عن السلبيات... لأننا نحن مجتمع نتطلع إلى المثالية كما تعلمنا من ديننا ومن تقاليدنا وقيمنا.... فلماذا لا نرفض أي سلبيات تكون فيه.

* دكتور إبراهيم... هل تتواجد في منزلك دائماً.. يعني.. هل عملك يستغرف كل وقتك.. أم أن لديك وقت لأطفالك ولأسرتك؟

- أنا أنظم... أنا أنظم وقتي على حساب كثير من المجاملات الاجتماعية.... أنا لا أقوم بمجاملات اجتماعية كثيرة.. وأسقطتها.. وكثير من الناس طبعاً يعذرني.. الذي يعرفني... لأني لا أملك الوقت.... أن أؤدي مسؤولياتي وأوراقي.. لأنني أعمل داخل البيت... أعمل... أنقل عملي لبيتي كل يوم .. وبحيث أني أستطيع أن أؤديه... وأستطيع أني أنا.. أودي مسؤولياتي الأسرية.

* يعني.. الأطفال مثلاً... أو الأبناء... تعيش معهم وقتاً سعيداً؟

-غالباً الأطفال في المساء مؤكد.. ثم في عطلة الأسبوع.

* طيب العلاقات الاجتماعية أوعلاقاتك حتى الوظيفية مثلاً... ومع شخصيات معينة أو أناس لهم صلة بعملك أو حتى بالإطار الثقافي العام... ما يأخذون وقتاً معيناً منك؟

- أنظمها.. أنا دائماً أحرص على اللقاءات لكن أنها تكون بمواعيد مدروسة وخصص لها وقت.

* قراءاتك الشخصية.. هل تأخذ منك وقتاً على حساب البيت أيضاً؟

- لا.. طبعاً... بالتأكيد .. يعني .. في أوقات.. في أوقات كثيرة من الفراغات الموجودة في أثناء تواجدي في البيت .. اللي أشتغلها سواء بالكتابة والقراءة أو أداء عمل أو شيء.

* هل تقرأ الصحف كلها؟

- كل الصحف أتصفحها... وأنتقي المقالات التي تحتاج إلى قراءة أطول وأضعها على جنب.. وأقرأها .. قد يكون بنفس المساء أو بيوم آخر.

* ما تنساها؟

– لا . . أحفظها . . . أقرأها فعلاً . . . . لا . . . لازم . . لابد أن أقرأها . . أما إذا كانت مقالات يعني . . أستطيع أن أقرأها في الحال . . أقرأها لكني إذا كان هناك بحث جيد أو موضوع مثير أو موضوع طويل بصفحة كاملة قد لا أملك أني أقرأه . . . أمامي أكثر من خمسة عشر صحيفة . . يعني .

* وكذلك الصحف العربية . . هذا الكلام عن الصحف العربية؟

– الصحف العربية طبعاً . . والمجلات العربية طبعاً . . . كلها أتصفحها .

* والمكتبة طبعاً . . . هل تجد وقتاً مناسباً للقراءة الطويلة؟

– والله أقضي أوقات كتابتي كلها في المكتبة . . . ولا أستطيع أني أقرأ . . . دائماً يأتيني كتب جدية في الغالب أرجع إلى كتبي الأولى في حالة أني أعمل بحث . . أنا دائماً من وقت لآخر أعمل بحوث للإدارة . . نشرت عربياً . . نشرت دولياً بلغات كذا . . وأسهم السهامات ، ، ، لا أنقطع عن تخصصي الموضوعي . . فأحياناً لما أنا أرجع لمكتبتي . . أما القراءة المستمرة فلدي دائماً . . يأتيني كتب جديدة كتب جديدة مثيرة لا يستطيع وقتي ولا قراءتي فعلاً أن يغطيها .

* أنت شخصياً ما تزور المكتبات التجارية دكتور . . عندما تنتقي منها؟

– لا . . لا أملك الوقت . . بس يأتيني كل . . كثير من أصدقائي في الحقيقية يعرفون ظروفي . . وكثير من أصدقائي الذين يلتقون معي في التفكير ويعرفون مدى اهتماماتي باستمرار يهدون لي . . . لايمكن يمضي أسبوع أسبوعين ما يأتيني كتاب جديد . . أتمني . . يعني . . أن

* دكتور إبراهيم . . القارئ الواعي الدقيق . . يعني . . يعرف ماذا تقع عليه عينه من الكتب . . . لو زرت أكيد . .

– صحيح . . . أنا لا أملك الوقت .

* الوقت مشكلة

– الحقيقة أنا لا أملك الوقت . . أنا ما أقول لك أني ما أدخل المكتبة . . يمكن في السنة أدخل مرة أو مرتين بس أني أنا لا أرتاد المكتبات بسبب الوقت .

* معارض الكتب يعني؟

– والله أحياناً إذا كانت هنا . . لكني أنا لا أملك الوقت . . يعني أنا وقتي فعلاً . . يعني محكوم بشكل دقيق جداً يعني ساعاته منظمه وإن لم تكن كذلك لما استطعت أن أؤدي واجباتي ومسؤولياتي .

* وفي المكتبة يا دكتور ماذا يستهويك في مكتبتك طبعاً ماذا يستهويك ماذا تقرأ . . . وبودي آخر كتاب . . على الطاولة؟

– أنا في الغالب... في الغالب أقرأ الشعر .. وأقرأ كتباً فكرية جديدة.... في قضايا التحولات الاجتماعية الجديدة.. أن لا أقرأ في موضوعات متخصصة أي كتب النقد لكني أقرأ كتب تهتم بقضايا المجتمع ... وإن كان مع الأسف في المملكة قليل من هذه الكتب محلية تظهر لكنه قراءتي العربية أو باللغة الإنجليزية ولكن الشعر مؤكد ... باستمرار دواوين الشعر أتابعها وأقرأها .. يعني.. لا أتركها.. يعني ..طبعاً آخر كتاب هو كتاب الدكتور فؤاد زكريا.... الحقيقة والوهم في الحركة الإنسانية المعاصرة... ويصدق النظر الواقع إنه أنا دائماً أحرص على قراءة كل الآراء .. لابد من التعرف على كافة الآراء الفكرية التي تطرح لكي نستطيع إنه أنت تستوعب الموضوع... خاصة الموضوع الآن الذي يثار.. فيه هناك بعض الدسائس والنقد كثير من المنظورات التي تكون صادقة وقد لا تكون مقبولة من فئات معينة فأنا دائماً أحرص وعندي .. لدي اهتمام بالذات أنا بالمكتبات التي تهتم بالجدل الفكري الموجود... لا أومن بأن أنغلق وأن أقرأ يعني.. طرف واحد.. أحرص على أني أستوعب كل التجربة... وأنا قناعاتي طبيعية ممتدة من تجربتي ومن تربيتي ومن مجتمعي.

– بالنسبة للمساحة الثقافية يا دكتور... ساحتنا نحن الثقافية في المملكة العربية السعودية .. هل ترى أن ثمة جمود أو ركود يخيم على هذه المساحة وبالذات في صفحات الأدب وفي الملحقات الأدبية.

– يا أخ محمد أنا أقول بكل صراحة .. أنا أعتقد أن ليس لدينا نشاط ثقافي وأدبي... أعتقد إنه ضعيف .. الصفحات الأدبية يغلب عليها إما الشللية .. بعضها وليست كلها.. الشللية .. وينتج عن هذا بروز كتابات أو قصائد شعرية تافهة .. بالضبط ورديئة.. أو أن تكون تحتوي على كثير من الجدليات.. الجدليات حول آراء بعضهم البعض تحول إلى نوع من المعارك الشخصية أو تملأ الصفحات الأدبية بكتابات عن كتاب عرب أثروا الساحة العربية في مرحلة... ولكن تجاوزتهم المرحلة.. وبالتالي أصبح الحديث عنهم بشكله .. هذا متروك للباحثين .. ليس للقارئ ... صحيفة .. تقرأ صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية عامة.. اجتماعية ثم تقرأها ثم تجد فيها صفحات مملوءة عن شخص لم يعد له تأثير على حياة الناس... وأغلب القراء في الجيل هذا لا يعرفونه.... في الوقت اللي المجتمع.... التحولات التي قرأت على المجتمع .. مجتمعنا العربي السعودي بالذات... مجتمعات كبيرة ومهمة وكلها تقتضي أن تعالج إن أدباءنا ومفكرينا لمعالجتها بشكل جاد.. يعني أنا مثلاً أجد من الكتاب اللي يعجبني كتاباته بشكل جيد ومستمر.. عبدالله الجعيثن.. عبدالله الجعيثن يعجبني جداً لأنه يعرف النظر عن ما إذا كنت أنا أوافقه بآرائه كلها أو لا... لكنه أخذ بالتصدي لقضايا اجتماعية وانعكاسات معينة.. يعني... أنا أتمنى أن كل كتابنا

يأخذون الأمور ويوظفوا.. يوظفوا امكاناتهم...يوطنوا أدواتهم اللي يملكوها سواء من خلال القصة أو من خلال القصيدة أو من خلال المقال أو من خلال البحث أن يوظفوها لمعالجة مجتمعهم وأن يكون جزءاً منهم.. أما أن يعيشوا في أبراج عاجية ويعيشوا في إطارات مفرغة خالية جداً... بعيدة عن التفاعل فهذا حال يقلب على كثير من الحالات في الساحة وأن كان في الساحة الأدبية والثقافية بعض أصوات جيدة وبعض الصفحات لا شك أنها تحاول.

* وهل تسمح الصحافة بكل الأطروحات؟ .. يعني هل يسمح حجم الصحافة والمدى المسموح به للصحافة هذا أن تطرح كل القضايا وكل الهموم وكل.. أم أن هناك حجم معين للصحافة؟

- لماذا لا تكون الصحافة تعيد النظر في أولوياتها؟... إذا أردنا أخذنا الصحافة ... الصحيفة من الصحف الآن وأردنا أن نقول .. طيب .. أين.. أين نستوعب هذا المد كما هي.. لأنهم فيه مادة إعلامية أكبر مما يجب بالرغم أن الصحف تتلقى دعم.. وفيه مادة إعلامية كبيرة وفيه أيضاً كثير من الحشو المكرر... أن تقرأ صحيفة .. تقرأها كلها... فالمقصود هو القدرة على إعادة تنظيم الصحف بحيث أنها تستوعب.. أنا أعتقد أن الصحيفة تستوعب... وإذا زادت صفحة أو صفحتين أو ثلاثة أو عشر.. بس تكون جزلة وتستاهل أن تقرأ... هذا هو المهم .. المهم ليست أن يكون هناك صحيفة وفيها إعلان وفيها دخل وفيها أرباح وأن يقرآها الناس كحاجة مكتوبة بشكل طارئ وعاجل... لا....

* والمدى؟

- ماذا تقصد؟

* يعني المدى المسموح به

- المدى المسموح فيه... أنا أعتقد أنه أنا أوافق معاك بأنه أسمع شكوى كثير من الناس أنه هناك علينا قيود.. وأنه نحن لا نستطيع أن نقول كل ما نقوله.. ولكن أنا اعتقادي أنه يجب أن لا يقف الإنسان وأنه لا يحاول أن يعبر هذا.. الحاجز حاجز نفسي وجهل ... ليه.. لماذا لا يحاولوا أن يخترقوا... يخترقون الحواجز اللي يعتقدون إنها موجودة... ثم لماذا لا يتفاعلون ويوصلون كلمتهم وآراءهم إلى الجهات التي تستطيع أن تزيل الحواجز إذا وجدت... هناك... أنا أعرف أن السياسة الإعلامية للمملكة تضمنت نصوصاً معينة تقول أنه لا مساس بالعقيدة ... وطبعاً لا مساس بأمن.. بشيء يمس أمن الدولة... لأن الدولة أمن الجميع.. أمن الوطن .. ماعدا ذلك فاعتقادي أن هناك.. لكن لو أراد أحد الناس أن يكتب قضية وفيها تتضمن نقد لجهة حكومية معينة... إذا استطاع ... إذا كان... إنه يكتبها بموضوعية.. بموضوعية.. واستطاع إنه يوثق كتابته فاعتقادي إنه يستطيع أن يواجه أي مساءلة.. لأنه قد تأتي تلك الجهة وتعترض بطريق

تشنجي.. لكن السبب إنه يكتب كثيراً في حالة النقد مثلاً للمؤسسات الحكومية أو الدوائر والجهات الحكومية... لكن عندما نتعمق فيه نجد فعلاً أن الأمور فعلاً مبنية على أسس

* على أسس صحيحة

– فالمطلوب إنه نعمل عملاً صحافياً .. ما هو العمل الصحافي... أو ماهو العمل الثقافي .. العمل الصحافي .. العمل الثقافي يجب أن يتجاوز حدود أنه أنا موضوع أثارني أو سمعته وأكتب عنه.. المفروض أني أنا اتعمق وأنتقل وأتحقق وأتحرى وأبحث وأوثق ثم أكتب.. اعتقد أن كل دولة من دول العالم حتى الدول المعروفة بأنها دول.. الصحافة فيها تتمتع بحرية.. كما نعرف أيضاً هناك قيود عليها... والقوانين تحكمها.. في أمريكا وفي أوروبا.. صحف كثيرة نسمعها خضعت لمحاكمات.. مش كدة ولاّ لا... سواء بدعوى من قبل أشخاص أو من قبل الدولة.. وهي دول المفروض فيها أو كما يبدو في انطباعاتي أن الصحف حرّة... ولكن حرّة في حدود... ولكن كل دولة وكل مجتمع يضع القيود أو الحدود اللي يعتقد حسب تعريفه أنها خطوط حمراء تجاوزها يمس ذاتية المجتمع... ولكن أنا في اعتقادي أنه لابد من التفاعل مع هذه اللي ما تسميها القيود أو الحدود ومحاولة تحريكها... محاولة تصحيحها .. لأنه أنا أعتقد أن المجال مفتوح.

* طيب .. وهل ترى ضرورة ثمة نظر .. يعني.. في نظام الصحافة الذي وضع عام ١٣٨٤هـ يعني ممكن إعادة النظر في هذا ال....

– والله أنا لم أفعل أنا لا استطيع أنا فعلاً لا أستطيع أن أقول شيء في هذا... لأني أنا لم أقرأ نظام الصحافة أعترف لأني لا أعمل في الصحافة... لكني أنا أعرف إنه الموضوع مفتوح... يعني... أنا أعتقد إنه في المملكة إنه طرح الآراء بموضوعية حاجة مطلوبة لقصد .. طالما أن الهدف هو فعلاً إيجابي والهدف صحيح والهدف... الغاية الطيبة.. فاعتقادي أن المجال مفتوح.

* جميل جداً... نريد أن نتعرف على موقف معين جميل وموقف على النقيض إنسانياً في حياتك أثر على وجدانك وكتبت فيه... ربما أو لم تكتب فيه ولا زلت تختزن هذا الموقف في أعماقك؟

– والله أنا كثير .. بحكم عملي وبحكم تعاملي مع المجتمع أشوف أعمال خير كثيرة جداً... مبادرات صامتة وهادئة وغير معلقة في أعمال خير .. فيها إخراج إنسان من السجن... فيها إسهام بحل مشكلة معينة . فيها هذه مواقف كثيرة جداً... فأنا لا يخطرني فيها لكثرتها.. بصراحة.

* وهل ترى أن هناك ثمة شيء الآن تحتاج إليه؟

– والله أنا أحتاج إلى الوقت.

* على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الوطني أو حتى على المستوى الفردي.. على المستوى الفردي؟

- أنا لا أحتاج إلى وطني إلا مزيد... أتمنى مزيد من التقدم مزيد من المشاركة المسؤولة من قبل المواطنين أنا أعرف أن المواطنين إنهم يتحملون المسؤولية.. لكني أنا لا أزال كثير من المخالف التي تمر علي في عملي منشأها جهل المواطن أو أنانية المواطن بعض منهم... فأعني أن تصل العلاقة بين المواطن والوطن علاقة واحدة متكاملة بحيث فعلاً نستطيع أن نحمي هذا الإنجاز الكبير اللي هو وطننا بكل ما تحمله أما على الصعيد عندما أقول الوقت... لأن الوقت يمنحني أشياءً كثيرة.

* هو بس اللي ينقصك.. الشيء الوحيد؟

- ينقصني الوقت

* على المستوى الذاتي... على المستوى الذاتي فقط

- لا ينقصي إلا الوقت.

* الزمن.. الزمن طبعاً ٢٤ ساعة ما يمكن تمددها؟

- أنا أعرف أتمنى أني أملك وقتاً أكثر.. يعني... لأن لدي كثير ممكن أستخدمه فيه

* مشروعات معينة.. إبداعية؟

- أقرأ أكثر..

* فيه في الحقيقة قبل أن نختم هذا الحوار بودي أن نعيد بلورة مفهوم آخر من... من منظور وزارة الداخلية.... الحقيقة طبعاً هذا سؤال ختامي في الواقع عن عملك أيضاً... يعني.. الناس يفهمون وزارة الداخلية فهم مختلف... أو فهم قد لا يتفق مع مفهومك أنت كمسؤول مثلاً وفهم بعض المسؤولين في الوزارة فيعني.. هل

- والله أولاً.. وزارة الداخلية.. وزارة.. أعتقد أنها أكثر الوزارات وأجهزة والمؤسسات الحكومية التصاقاً بالناس.. لأنها تتواجد في كل موقع من أرض المملكة في البر والبحر وفي الجبل والسهل.. وتتواجد وتتفاعل مع الناس... والأصل في وزارة الداخلية واللي ظل الآن يتضح بشكل أكثر للناس المخلصين أن الوزارة مهمتها التصاق بالناس.. صارت هي الوسيط بينهم وبين المؤسسات الحكومية الأخرى يعني.. بمعنى آخر.. وزارة الداخلية وزارة وزارة أم وزارة مرتبطة بالمواطن.. وهي القناة الأولى هذا مهمتها... القناة الأولى اللي من خلالها المواطن يعبر عن رأيه أو ينقل مشكلته إلى الجهات في أمور ليست بالضرورة أمور ذات.. يعني.. بال

* دكتور إبراهيم العواجي.. ختاماً لهذا الحوار نعود إلى ما وعدتنا به.. قصيدة تختم بها هذا اللقاء الطيب والمثير والمثري في الوقت نفسه.

- شكراً هذه قصيدة كتبتها في ١٤١١هـ، ٢٢ محرم هذه السنة ١٤١١هـ . . . ما لها عنوان إلى الأن . . . . لكن أقرأها :

وهبتك العمر أوتاراً يردده	حلمي ووعيي وأوهامي وذاكرتي
وأحرفي وجنون الشعر في قلمي	وصحوة الحرف في نثري وملحمتي
وكل لحظة إحساس إشراق ترافقني	ما عشت تحيا شعاعاً في مخيلتي
وهبتك الحس والوجدان يا أملاً	قد يردد اليأس من أوتار أغنيتي
رفيقة الدرب أو ما شئت من جمل	أحلى العذابات أن أدعوك أمنيتي

* شكراً لضيفنا هذه الليلة . . . معالي الدكتور إبراهيم بن محمد العواجي وكيل وزارة الداخلية والشاعر الأديب الذي في الواقع لم نعش معه هذه الساعة في نطاق عمله قدر ما عشنا في سبحات الخيال وفي الرؤى الأدبية والنقدية والفكرية في الواقع شخصيته الشمولية الملمة التي أيضاً تتابع إيقاعات الحياة الثقافية بصفة مستمرة . . . فنحن الآن في هذه المكتبة العامرة في المنزل بعيداً عن أفياء أو عن مكاتب وزارة الداخلية بنشاطاتها المختلفة وبعطاءاتها للوطن وللمواطن .

- ولكنك نقلتني يا أخ محمد بطريقة أخرى إلى أفياء العمل .

* نعم . . تساؤلات عارضة . . . يعني . . ليست رئيسية يا دكتور . . فشكراً لك يا دكتور إبراهيم ونتمنى أن نلتقي واياك إن شاء الله في سهرة كهذه . . . سهرة عابقة ومثرية وثرة .

- شكراً لك يا أخ محمد وأرجو أن أكون حققت ما ترجوه باسم المستمع .

أبو بكر أحمد باقادر

* السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . وأهلاً بكم في لقاء هذه الليلة من برنامج ضيف الليلة . . وفي هذه الليال المعطرة بالروحانية والتي تجمع الأحبة . . وفي هذه الليالي التي تعودنا أن نقدم من خلال المذياع ضيفاً لكم في كل ليلة . . يسعدنا أن نصحبكم في ضيافة طيبة وجميلة من خلال شخصية ثقافية مميزة . . فمعنا الأستاذ الدكتور أبوبكر أحمد با قادر الأستاذ في علم الاجتماع بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة والأستاذ الدكتور أبوبكر له إسهاماته الثقافية والصحفية والعلمية على المستوى الأكاديمي أي البنية الداخلية للحكاية الشعبية . . . . وعلم اجتماع اللغة . . . . ثم دراسات حضرية عن المدينة العربية المسلمة . . . هذا بالإضافة إلى دروسه الأكاديمية ومحاضراته في قسم الاجتماع . . . والذي أعلمه أيضاً أن الدكتور أبابكر قد تخصص في الرياضيات اللغوية تقريباً في مرحلة الليسانس ثم تشعبت به الدراسة الأكاديمية إلى علم الاجتماع بحيث قدم اسهاماً طيباً في هذا العلم . . . ويسعدني الآن أن أقدمه لكم ضيفاً عليكم . . أو نحن بالأصح ضيوف عليه . . فمرحباً بك . .

– بارك الله فيك . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . في هذه الليالي . . ليالي رمضان الكريم بذكرياته وبأجوائه الجميلة . . . وأتمنى أن يكون الحديث كما يقال ذو شجون . . وأن نتطرق إلى جوانب ثقافية أفيد منها بإذن الله .

* دكتور . . . تعودنا في البداية أن نقدم تقليداً إذاعياً معروفاً وهو هذا التقليد أن نملأ الفراغات في البطاقة الشخصية بحيث أن الذي لا يعلمك . . . وخاصة من المستمعين العرب . . يعلم من هذه الشخصية التي نتحاور معها .

– الاسم أبوبكر أحمد باقادر . . . ولدت في مكة المكرمة . . . ولن . . يعني . . . . أحدد تاريخ . . تعلمت أو تحصلت على الابتدائية والمتوسطة والثانوية من مكة المكرمة . . . ثم بعد ذلك لمرحلة البكالوريوس درجة في جامعة البترول والمعادن . . . . عامئذٍ كانت كلية البترول والمعادن بالظهران . . . وتخصصت في واقع الأمر في الرياضيات المجردة . . ثم بعد ذلك بعد الانتهاء من دراسة مرحلة الليسانس ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية . . وفي واقع الأمر كنت أعد لنفسي أن أدرس فيزياء المجرات . . ثم بعد ذلك قابلتني شخصية عربية . . في واقع الأمر أخ . . رحمة الله عليه توفى . . . من السودان . . وكنت أقضى ساعات طوال معه في نقاش . . . وعلى وجه الخصوص نقاش بعض القضايا الاجتماعية النظرية . . فإذا أجد نفسي . . . وجدت نفسي أنحاز

أكثر فأكثر وأشد ميلاً للعلوم الاجتماعية.. وفي واقع الأمر وجدت نفسي أسجل في بعض المواد ينتهي به المطاف في أن أتخصص في هذا المجال الذي وجدت ضالتي أو وجدت نفسي فيه.... درست في الولايات المتحدة الأمريكية في جامعة ويسكانس في ماديسون... وهي جامعة معروفة وعريقة... وربما لسنوات الآن طويلة تعد... يعني.. في ترشيح الجامعات أو في سجل الجامعات.. الجامعة الأولى في الترتيب في تخصص علم الاجتماع .. بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية التحقت بقسم الاجتماع بجامعة الملك عبدالعزيز... ومررت بالمراحل المختلفة... وأحمد الله الآن أني حصلت على الأستاذية في هذا التخصص.

* يعني في البحث أو الأطروحة التي قدمتها لنيل درجة الأستاذية ... دكتور

– حقيقة .. هناك يعني... يدفع الباحث مجموعة من البحوث... وقدمت مجموعة من البحوث ومجموعة من الكتب التي يعني... قدمتها للمجلس العلمي منها بعض الدراسات الانتروبولوجيا أو ذات الطبيعة الانتروبولوجية التي نشرتها في بعض الدوريات داخل المملكة العربية السعودية وفي منطقة الشرق الأوسط وبعدها.. وبعضها في خارج العالم العربي... فما نشرتها في خارج العالم العربي بدءاً نشرت دراسة .. دراسة للوثائق وهي عقود النكاح.. والزواج في مدينة جدة لعشر سنوات في حوالي عشر.. أربعة آلاف عقد زواج درستهم ونشرت في مجلة علم الأنتروبولوجيا الاجتماعي في جامعة كمبردج... وأيضاً من المواد التي قدمتها دراسات عن علم الاجتماع والأدب بحيث درست بعض الروايات في المملكة العربية وكيف تقوم العلاقة مع الآخر... والآخر هنا تحديداً هو الغرب ونشرتها في مجلة تصدر في فرنسا اسمها البزوتوت أورينتال.

* ترجمع هذا البحث يا دكتور إلى العربي

– نعم هو .. هي مجلة تنشر بالفرنسية وبالعربية وبالإنجليزية

* هذا البحث أتراه متيسر لمن يريد أن يقرأ بالعربي

– نعم

* وأين نشرته بالعربي يا دكتور

– نشر في هذه المجلة بالعربية .. نعم.. ولكنها تصدر من فرنسا... نشرت أيضاً دراسة تقدمت بها للأستاذية عن مظهر من مظاهر الثقافة وهي دراسة..يعني.. الإشارات الثقافية الاجتماعية للوسم الذي عل المال.. وفي واقع الأمر ألحقته أيضاً ببعض المؤشرات الأخرى وهي قضية الوشم الذي يعمل... يعمل في.. أو ... يعني.. بعض أجزاء الجسم كمسحة جمالية... وأيضاً أضفت إليها دراسة التشخيط أو ما يسمى بالشلوخ والمشالي في الحجاز... وهي الحركات يعني...

التقاطيع التي تجد بعضها في السخي... بعض اخواننا من السوادن على سبيل المثال.

* وأتوقع أن ذلك في السودان فقط... وفي الحجاز شيء من هذا؟

– كان في الحجاز قبل حوالي خمسين عاماً يعمل هذا... وكان يعمل على أساس أنه يمثل نوعاً من المسحة الجمالية أو وظيفة جمالية... ولكن لم يكن.. لا تسمى شلوخ كما يسموها في السودان وإنما كان يسمى بالمشالي.. وفي واقع الأمر هنالك بعض الآناشيد التي يعني.. تستخدم في الاحتفالات كما هو الحال في احتفال أو مهرجان شعبي في الأحياء.. في شهر الحج... في فترة الحج... في مكة والمنطقة الغربية كان يسمى القيس وكان فيه بعض أبيات التشبيب .. ومن ذكر... وفي ذكر التشبيب فيها كان ذكر المشالي... أيضاً كتب بعض المقالات ذات الطبيعة النظرية ربما حتى الموغلة في أن تكون للمختصين.. قدمت بحثاً مطولاً عن الإسلام والخطاب الانتربولوجي العربي... ونشر في حولية جامعة الملك عبدالعزيز... ونشرت مقالاً... يعني.. نوعاً ما طويل عن الاتجاهات النظرية السائدة في الغرب في واقع الأمر... المدارس التي نتناول المسألة الحضرية... مسألة المدينة .. ونشر في داخل المملكة... نشر في مجلة أو حولية الإمام محد بن سعود.. بالإضافة إلى ذلك .. يعني... نشرت بعض الأبحاث في مجلات كمجلة الأقليات المسلمة التي تصدر من بريطانيا.. التي تصدر من لندن.. ونشرت مقالاً في واقع الأمر مقالين... أحدهما في علم اجتماع المعرفة ويتناول .. يعني... الإجابة على السؤال الذي يقول... لماذا كان للجالية اليهودية .. وهي رغم إنها صغيرة التأثير الكبير الزائد عن حجمها في مجال العلوم الاجتماعية.

* هذا في الغرب

– في الغرب.. نشر في مجلة اسمها منبر الحوار كانت تصدر في فيينا.. الآن تصدر من بيروت والسؤال هل العلماء المسلمين وبالذات الذين يذهبون للاستقرار في الولايات المتحدة ويشتغلون في العلوم الاجتماعية كالانتروبولوجيا والاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية هل سيكون لهم تأثير كما كان للجالية اليهودية... كان طرحاً نظرياً يتناول هذه المسألة... وفي واقع الأمر وجدت ردود فعل جيدة من بعض الزملاء.. من الأشياء التي اعتز بنشرها... ويعني.. وجدت صدى عمل... نشرت كتاباً عن القصة القصيرة... عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة السعودية باللغة الانجليزية ونشرته في واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية... وعلى غير ما توقعت في واقع الأمر وجدت احتفاءاً بالكتابة في كثير من الدوريات التي تهتم بدراسات الشرق الأوسط مما شجعني الآن على المضي في العمل على تقديم مجموعتين ... مجموعة من القصة القصيرة الراهنة.. بتقديم نماذج.. والتفكير في تقديم مجلد صغير... عينة مختارة من

القصص القصيرة التي كتبتها قاصات سعوديات

* المرأة

- وأرجو أن يحظى بنفس الاهتمام

* يعني.. أدب المرأة القصصي... طيب المجموعة القصصية التي نشرتها .. انتخابات أم دراسات أيضاً.. ؟

- هي عبارة عن ١٨ قصة قصيرة

* تسير في تيار واحد

- نتحدث عن التحولات التي مرت بها المملكة.. يعني.. هناك قصص تتحدث عن الأسرة .. قصص تتحدث عن التغير.. التنمية والتغير من القرية إلى المدينة .. قصص تتحدث عن التصورات وتوقعات الإنسان في المملكة العربية السعودية. وهي اخذت لما يمكن أن نسميه بجيل الرواد أو جيل السبعينيات إلى منتصف الثمانينيات الأستاذ أحمد السباعي وإبراهيم الناصر والأستاذ أطال الله في عمره محمد علي المغربي وغيرهم من الرواد الذين أسسوا هذا الفن في بداياته... لم أعالج في المجموعة الأولى الكتابات التي يمكن أن نسميها بجيل الشباب.. في الثمانينيات والتسعينيات الآن.. لكني أعكف الآن مع مجموعة من الباحثين... من الدارسين على تنقية هذا... وفي واقع الأمر خطونا خطوات لا بأس بها في هذا المشروع.

* دكتور .. كباحث في علم الاجتماع هل عنيت بصورة المرأة في أدب القصة السعودي... أم لشخصية المرأة كيف صورتها القصة؟

- مازال مشروعاً.. لكنني لم أقم به ولم أنفذه بعد.

* وإذا قمت به.. سيكون مثلاً باختيار نماذج فقط.. أم أن هناك أيضاً إضاءات نقدية ودراسية حول الموضوع؟

- حتى في المجلد الأول ورغم أن المقدمة الدراسية لم تكن طويلة.. كانت هنالك إشارة للأسباب التي جعلتني أختار هذه النصوص ولم أختر غيرها... وتلميح في واقع الأمر إلى أن الأدب في المملكة العربية السعودية... والأدب في واقع الأمر في ما يمكن .. ما كان يسمى بالعالم الثالث.. أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.. يمكننا أن نتصور أن القاص والراوي

- كاتب الرواية - كما لو كان يكتب وثيقة فنية عن الحياة الثقافية والاجتماعية في المجتمع الذي يكتب فيه

* يعيش فيه.. نعم

- من .. كتبت هذا ووجدت.. كما ذكرت لك.. إحتفاء ليس فقط من دارسي الأدب العربي

الحديث وإنما أيضاً من المهتمين بدراسات الشرق الأوسط سواء كان من زاوية سياسية أو تاريخية أو ثقافية بصورة عامة.

* طيب... هذه إضاءة يادكتور على حياتك العلمية تقريباً في بداية التأسيس وبعض نشاطك في العصر الحاضر لكن أنت أيضاً مهتم بقضايا المجتمع السعودي.. بدليل أيضاً إشرافك على صفحة أو صفحتين متميزتين من صحيفة عكاظ في يوم الإثنين سابقاً.. يبدو أنك الآن متفرغ لبعض الأعمال العلمية ولكن أيضاً لمست منك الاهتمام الشديد بمعالجة بعض القضايا الاجتماعية... والغوص العميق في بعض هذه القضايا... فياترى ماهي الأشياء الضرورية؟ أو ماهي الدراسات التي لابد أن تحدث لدراسة المجتمع السعودي وإبراز بعض القضايا التي لا زلنا محجمين عن درسها على حين من الضرورة.

* يمكن دكتور.. هي السبب الرئيسي للتغير أو التغيرات

– جزء كبير منها.. جزء كبير منها... طبعاً هذه التغيرات أحدثت .. يعني... من ملاحظاتي... تأخر سن الزواج... أصبح متوسط العمر للزواج بالنسبة للفتيات حوالي ستة عشر سنة ونصف (أفرج) على الأقل في مدينة جدة... بالنسبة للذكور... تزيد عن ثماني عشرة سنة في المتوسط.. هناك أصبح ارتباط بين مواسم الأعياد والعطل المدرسية... متطلبات الزواج... والمتطلبات الوظيفية.. هنالك تحولات عديدة... هذه لا شك ستكون مؤثرة وبشكل فعّال.. أصبحت المرأة تعمل.. أصبحت تتوقع من المرأة مستوى معين من التعليم.. إمكانية أن يكون لها دخل مستقل.... هذه التحولات لا شك .. يعني... لعبت دوراً جديداً في تحويل الانتظار من الدور التقليدي الذي كان للمرأة إلى دور جديد... هذا الدور لم يأخذ شكله النهائي بعد.. لأنه مازلنا مجتمع انتقالي.. وكمية التغيرات سريعة.... لكن مما ينبغي أن نؤكد عليه أن هذا المجتمع ولله الحمد.. كثير من التغيرات التي حدثت.. ولنأخذ مؤسسة ..يعني العلاقة الزوجية هي في واقع الأمر مرجعيتها كانت ذات طابع إسلامي.... اضرب مثلاً قضية مشاهدة من ستكون زوجة المستقبل أو من سيكون زوج المستقبل.. في مكة المكرمة قبل عقدين من الزمان كان من الصعوبة بمكان أن يطلب شاب... ويعتبر طلبه وقح.. لو قال أنني أنا بالفعل أرغب في الزواج من هذه الأسرة ولكن أعتقد أن من حق الزوج ومن حق الزوجة مستقبلاً من العريس والعروس أن يشوفوا بعض... الآن ولله الحمد الجميع يفعل ذلك.. ويفعل ذلك ليس تقليداً لأي مجتمع وإنما عوداً إلى المناظر والمصادر الإسلامية والأحاديث النبوية التي تؤكد على ضرورة الرؤية... أعتقد .. يعني... التحول اللي ذكرناه.. يعني... الآن لا نجد صعوبة.. وبتفهم غالبية الأسر على الأقل في المدن... والدراسة عندنا في مدينة جدة توضح هذا بشكل قوي... أن

الأسر تتفهم تماماً مسألة السكن المستقل... وأن هنالك ضرورة بأن أفراد الأسرة الصغيرة يعني... الزوج وزوجته ومن ثم أطفالهم غير المتزوجين... أن تكون لهم حرية.. وإن كانت حرية ..يعني.. محدودة في أن يقيما بيت الزواج على أساس من التفاهم المشترك .. نحمد الله أنه... إلى الآن وأنا أقيم دراسة من هذا.. أن العلاقة مع الأسرة الممتدة.. مع الأسرة الكبيرة... لاتزال مكثفة .. يعني.. ما تزال.. مايزال الشاب السعودي والشابة السعودية بعد زواجهما لا يقطعا صلتهم وبشكل مكثف مع أسرتهم و... يعني.. هذا مما يحمد لهم... وبما يحمد لهذا المجتمع.

* طيب دكتور يعني أبرز... في خطوط عريضة يعني أبرز الظواهر العامة لمرحلة التحولات... على شكل نقاط.... نقطة أولى نقطة ثانية وهكذا... كملخص لهذه الدراسات ولهذا الاستقراء وبخاصة من خلال المشكلات التي تعرض عليك وأنت تشرف على هذه القضايا في الصحيفة.

- والله.. يعني.. هناك أعداد كبيرة من المشكلات و.. يعني.. استقراءها بشكل موجز قد يكون صعب.. لكن اعتقد المشكلات التي تواجه المجتمع في المملكة العربية السعودية هي لا تختلف عن المجتمعات التقليدية والمجتمعات المحافظة... هناك ما يسمى بتعارض أدوار ... هناك بعض الآباء الذين يعاملون مثلاً أبناءهم.. بناتهم على وجه الخصوص على اعتبار ما كانت تعامل به المرأة في جيل سابق.. يحدث تعارض.. هذا واحد من المشكلات... المشكلات العائلية.. وهي مشكلات موجودة في جميع أنحاء العالم ودعني أقول أن العالم العربي والعالم الإسلامي .. يعني.. عليه أن ينام مرتاح الضمير وخاصة إذا عرفوا بأنه ولله الحمد تتميز مجتمعاتنا في الوقت الحاضر بتدني مستوى المشكلات الاجتماعية والطلاق مقارنة بما هو عليه الحال في الغرب... الغرب لا يكاد تكون في كل ثلاثة حالات زواج إلا وفيه حالة طلاق... نحن لا نعاني من هذا بهذا الحجم... لا نعاني من المشكلات التي تعاني منها الأسرة في الولايات المتحدة.. طبعاً هنناك مشكلات اجتماعية عامة مثل مشكلات التعاون بين الجيران.. واحترام الملكية العامة .. المعاكسات الهاتفية... عدم التواؤم مع جوانب الثقافة المادية.. مثل هذه المشكلات... وهي في واقع الأمر معظمها مشكلات تتعلق بالاستثمار في تثقيف المواطن.. وحقيقة .. يعني... هذا يجعلني بدلاً من لوم المؤسسات الاجتماعية أو كذا... توجيه بعض اللوم.. الملاحظات.. لوسائل الإتصال الجماهيري من إذاعة وتلفزة... هناك حاجة ماسة إلى ما يسمى بتقديم أدوار جديدة بناءة... وأن لا يكون ذلك بشكل وعظي وإنما في شكل شخصيات مرموقة تمثيلية تلعب.. أدوار .. يعني... تجعل المواطن يرغب في تمثلها.. في تقليدها.. ويعني... هذا النوع من البرامج في

واقع الأمر عملت به الولايات المتحدة الأمريكية في فترة.. يعني.. فترة الستينيات والسبيعينيات بشكل مكثف وذلك كجزء من برنامج الأمركة.

* الدراما الاجتماعية تقريباً

- الدراما الاجتماعية التي تصور شخص يقوم ... يجد نفسه في ظرف اجتماعي.. وعليه أن يتصرف بتصرف.. ماهو التصرف المرغوب نموذجياً أن يتصرف به؟ لنفرض.. واحد عمل حادث مروري.. كيف يتصرف وقت وقوع الحادث المروري... وهكذا في جميع الجوانب الأخرى.

* نود أن نقدم لك أيضاً لحظات من التوقف عن الحديث... ريثما نستمع شيء من مكتبة الإذاعة.

- أرغب في سماع أحد الموشحات الدينية من صوت كوكب الشرق السيدة أم كلثوم في هذا الوقت المتأخر من المساء.

* لازلنا معكم في ضيافة الدكتور أبوبكر أحمد باقادر الأستاذ في علم الاجتماع بجامعة الملك عبدالعزيز أشرت يا دكتور في مقدمة حديثك إلى أنك كتبت بحثاً عن رؤية الآخر في الرواية السعودية... أيضاً أريد ملخص في الواقع لهذه الرؤية.. كيف يرى كاتب الرواية أو كاتبة الرواية أو القصة -عموماً- السعودية.. هذا الآخر؟ والذي اصطلحت طبعاً على أن الآخر هو الغرب الأجنبي عنا.. عادة وتقليداً وديناً.. كيف .. يعني.. ماهي مرئياتنا نحن عن الغرب من خلال الرواية السعودية؟

- حقيقة موضوع الآخر في الرواية العربية المعاصرة هو واحد من أكبر من أعمق الإشكالات... كلنا .. يعني.. يعرف قنديل أم هاشم ليحيى حقي.. تعرف رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس... وعصفور من الشرق لهيكل وبطبيعة الحال عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح... وفي واقع الأمر أيضاً هنالك على نفس المستوى بعض الروايات في بعض من العالم العربي.... من العالم الإسلامي.. التي تناولت هذه المسألة... وهي كيف تكون الصلة بالغرب؟ وعادة ما يختزل هذا الموضوع إلى هل نقبل الغرب ومن ثم نتخلى عن شرقيتنا وإسلامنا أم نتمسك بهذا الغرب؟ معظم الروايات في واقع الأمر تركت هذا الأمر في النهاية مفتوح أو على الأقل وضعت هذه المعادلة كما لو كانت معادلة.. بطبيعة الحال حينما يعالج هذا الأمر روائي من المملكة العربية السعودية يستحيل أن تكون المسألة بهذه الصورة.. هو من قلب العالم الإسلامي.. هو.. يعني... مشبّع بالهويّة.. هوية المركز... فعند ذلك قضية التخلي عن الإسلام أو الهوية الإسلامية أو الثقافية بمحتواها المسلم في مقابل الحديث مع الغرب غير

واردة لكن عندئذٍ تصبح.. ماذا يحدث لو كانت لنا علاقة؟ وأنا درست أربع روايات لروائيين في المملكة العربية السعودية تناولوا هذه الـ... الروايات هي.. السنيورة لعصام خوقير وسنوات معه لغالب أبو الفرج والدوامة لعصام خوقير أيضاً.

و لحظة ضعف للمفتي... وفتاة من حائل لمحمد عبده يماني.. دكتور محمد عبده... وفيها ملمح لقاء طالب من المشرق مع الغرب.. وكان السؤال هو ماذا يحدث حينما يحدث هذا أن

* هذه في أي رواية دكتور

– في كل الروايات

* بشكل عام

– وكانت الإجابات مختلفة... لحظة ضعف تقول أن الغرب الصلة به قد تكون قاتلة... ومن يحصل على جرثومة الغرب يفقد نفسه ويفقد هويته... فعندئذٍ.. يعني... تصور البطل السلبي، سنيوراً بشكل رومانسي جداً.. ويمكن نوعاً ما مبالغ.. نقول أنه ليس هنالك في الغرب أي شيء.. وأننا إذا احتكينا بالغرب في الغالب سنقدم لهم شيء الروايتين الأخرى.. يعني.. رواية غالب أبوفرج ورواية دكتور محمد عبده يماني تعالج الموضوع بشكل وسطي.. دكتور محمد عبده يصل إلى.. نحن لنا هويتنا ولنا كياننا... ولكن يمكن أن نستفيد من بعض الملامح... وهي قضية إمكانية أن نختار ما يلائمنا ونرفض...

* الرؤية التوفيقية

– الرؤية التوفيقية... وهي فكرة سائدة.. وكأن الإختيار أحياناً ممكن وأحياناً ليس ممكناً، الأستاذ أبوفرج بطله بطل سلبي و.. يعني... بطل فشل رغم نجاحه المادي في الغرب لكن ينتهي بالتوبة والاعتصام بالتمسك الديني والبكاء والعودة إلى الذات وكأن الـ... ثقافتنا هي الملجأ... والمأمن حتى حينما نبتلي بمفاسد العصر الذي تسيطر فيها القيم الغربية.. إذن التصور الذي يقدمه الفنان السعودي هو ليس في عمل مقارنة نكون أو لا نكون... وإنما ماذا يحدث حينما نواجه؟ وجميع الروايات بطبيعة الحال واضح من توجهها أنها تقول للقارئ إلى... التأكيد على أنه لا فلاح ولا نجاح ولا عصمة لنا إلا بالتمسك بهويتنا الثقافية.

* دكتور أبوبكر باقادر يبدو أن هناك ثمة صلة وثيقة بين علم النفس وعلم الاجتماع أوما يسمى بعلم النفس الاجتماعي فيما يبدو... من خلال دراستك أيضاً ومن خلال سبر غور بعض الشخصيات (انقطاع) هذه الصلة بالغرب وللمتغيرات المادية وللأسرة النووية التي إنشقت عن الأسرة الكبيرة بالإضافة إلى الإنتاج على الجانب الآخر حتى العربي والإسلامي وليس الغرب بالضرورة.. يعني.. هل نعتقد أن هناك انعكاساً مع.. نفسياً حسناً أو سيئاً؟ وهل نتوقع أن ردة

الفعل الحاضرة في جانبها الديني الجميل وهي الصحوة الإسلامية هي جزء من هذا التغير الايجابي؟

– والله واضح من الطرح أنك .. يعني.. تجيب على طرف من السؤال... وهو في واقع الأمر أن الصورة التي نعيشها هي ليست صورة أسود – أبيض صح – خطأ .. نحن كمجتمع يذكر لنا الرحالة الذين جاءوا حتى في نهاية القرن التاسع عشر... يمكن حتى في أجزاء من النصف الأول من القرن العشرين أن وجودهم كغير مسلمين كان علامة خارقة يتذكرها الأهالي الذين مّروا بهم... حتى أن فيلبي يذكر في أحد رحلاته أن الأهالي كانوا يتذكرون أن كسيفر مر قبله في صحاري الربع الخالي وأن قبله فلان مر.. يعني إذن كان هناك نوع من الشعور بالفروق الواضحة بين الثقافة المحلية بكل أبعادها وطروحاتها والثقافات الأخرى.. لكننا في النصف الثاني من القرن العشرين... وفي واقع الأمر بدأ من خطوط التنمية الطموحة من خمس وسبعين إلى الوقت الحاضر

* ميلادي طبعاً

– ميلادي... لم يعد هناك قرية إلا ولمستها هذه التنمية الشاملة.... يعني... أنها توفر فيها جزء من العمالة الأجنبية التي تساعد مع الأيدي الوطنية في البناء والتشييد والتعمير وكذا... هذا يعني باختصار الإحتكاك المباشر . لم يقتصر هذا الاحتكاك في الشارع... كما نعرف.. لدينا أعداد كبيرة من العمالة الناعمة... بمعنى.. الخدّامات والمربيات التي في الدور

* والممرضات

– والممرضات.. هذا أدى إلى الإحتكاك... لا أقول بأنه ليس له أوجه سلبية ولكن أيضاً له الأوجه الإيجابية.. والتي منها أن المواطن في المملكة العربية السعودية بصورة عامة أصبحت لديه ظلال تفصيلية.. هو يفرق بين الأعراق.. ليست.. مثلاً كتلة شرق آسيا كتلة واحدة.. ولكن بدأ يفرق بين الجنسية الفلانية والجنسية الفلانية وكذا... بدأ يستوعب بأن لهم لغات مختلفة.. لهم عادات مختلفة... ربما أديان مختلفة ربما ثقافات مختلفة... أيضاً .. من الإحتكاك المباشر بدأنا كمواطنين وكـ.... أن نفرق بين ما يمكن أن يكون منهم حسن وماهو غير حسن... ونحن ولله الحمد.. يعني... كمجتمع.. أن نحافظ ... أيضاً ما ذكرته عن الصحوة الإسلامية... هناك لاشك بعض التحولات التي مر بها مجتمعنا في واقع الأمر مر بها العالم الإسلامي .. بل مر بها العالم... لأن الصحوة الدينية التي تقوم في العالم الإسلامي هي في واقع الأمر جزء من الصحوة الدينية... أو الصحوة... العودة إلى الدين في الثمانينيات .. من هذا القرن وبطبيعة الحال.... أخذت شكلاً أقول في التسعينيات في جميع أنحاء العالم... وهي من المفآجأت السارة كما يقال لأنه بعد أن كان في الغرب التأكيد على أن عصر سيطرة القيم التقليدية والدين انتهي...

عادت الحياة طبعاً . . بالنسبة لمجتمعنا . . . هي في واقع الأمر ليست . . . عادت . . . شيء لم يكن موجود . . . وإنما توسعت قنوات إمكانية الشباب أن يعبروا عن فهمهم الديني . . . وفي واقع الأمر بأنا نرى العديد من الشباب الذين يستطيعون أن ينظرو إلى كثير من قضايا العصر الحديث خاصة إمكانية المقارنة بأن تكون له وجهة نظر ذات طابع ديني.

* جميل . . . دكتور . . طبعاً النتيجة لم تأت بعد . . . وإنما أتى بعض النتائج . . . الإنعكاس النفسي لكل من هذه النواحي على شخصية المرأة أو الرجل السعودي . . يعني . . هل وجدت نوعاً من الإنشراخ . . نوعاً من الإنكسار النفسي . . . هل وجدت نوعاً من الإحباط . . . من القصور . . . . هل وجدت نوعاً من القلق أو الإكتئاب أو المرض النفسي عند هذه الشخصية في تأزماتها . . وفي صلاتها وفي حركتها وفي محاولتها للتغيير الداخلي . . . هل التغيير هذا جاء شكلاً أم جاء مضموناً أيضاً . . . . ومراحل هذا التغير ونتائج هذا التغير على الناحية الشخصية النفسية؟

– على أي حال . . . أنا لست مختصاً في علم النفس . . . ويعني أيضاً . . . دعني أكون معك صادق . . . أحاول أن أتهرب من الإجابة . . لكن رغم محاولتي للتهرب يبدو أنك تتابعني وتسد على المخارج . . . السبل . . فأقول . . وبالله التوفيق . . لاشك أن كمية تحول مادي بالقدر الذي تعرضنا له . . لاشك أنها ستحدث بعض الأزمات النفسية وبعض الشروخ . . لكن كل شيء يحدد بالنسبة . . ومقارنة لما يقع في المجتمعات الأخرى . . ما حدث في مجتمعنا وحدث في عقدين فقط من الزمان . . . وليست لدينا النسب الكبيرة من أصحاب الأمراض النفسية أو تعدد الأصوات في المجتمع بحيث لم يعد هنالك إجماع على مسلمات . . حدثت بعض الآراء لكنها لم تحدث بالشروخ الاجتماعية التي حدثت بالأمم التي حدثت فيها التحولات المادية نفسها على مدى مائة سنة أو أزيد . . . وهذا حقيقة يدل في وجهة نظري على مدى تعمق وحصانة القيم الأساسية الدينية في ا لمملكة العربية السعودية . . وفي واقع الأمر المجتمع العربي بصورة عامة . . . لكن نتحدث عن عهد العروبة والإسلام . . يعني . . . . الدين وقيمه كعاصم . . يعني أكثر ما ينضج نفاذه أو قوته . . أنا اتصور . . فيما نطرحه . . ودعنا . . يعني . . . دعني أعبر لك عن هذا بتعبير آخر أو بطريقة أخرى هنالك نظرية مشهورة بين المشتغلين بالعلوم الاجتماعية وعلى وجه الخصوص الانتروبولوجي تسمى نظرية التخلف الثقافي (كلتشر لاب) وقال بها رجل اسمه (فود بون) أمريكي . . . وهو يقول بأنه . . وما يقوله واضح . . أن كل ثقافة تتكون من شطرين شطر مادي وشطر لا مادي . . . الشطر المادي هو ما يحيط بنا من كماليات وضروريات . . . المسكن . . الملابس . . الأجهزة . . . الأدوات المختلفة . . . الشطر اللامادي هي المؤسسات الاجتماعية وعلى وجه الخصوص يعني . . الأفكار السائدة في المجتمع مع العلم . . الإحسان . . التكافل . . . الصبر . . . التماسك . . . القيم

العامة.. وهو يقول أن الجانب الثقافي المادي والجانب الثقافي اللامادي يرتبطان إرتباطاً وثيقاً ببعضهما البعض.. فإذا حدث تحول في أحدهم.. يخلق أجواء جديدة ... لابد للقيم أو للجانب اللامادي أن يتوازن معها أو يتكيف معها فإذا حدث تحول في أحدهم.. يخلق أجواء جديدة... لابد للقيم أو للجانب اللامادي أن يتوازن معها أو يتكيف معها فإذا حدث إختلاف .... لابد من حدوث هذا التكيف... وعدم اللاتكيف يحدث بعض التوتر.... لأضرب مثال... حينما لم يكن هنالك هاتف كان الناس مضطرون إلى اللقاءات وجهاً لوجه... ولابد من القيام بزيارات مكثفة... حينما يأتى الهاتف ربما سيكتفي الناس بالاتصال ببعضهم البعض فتختفي حميمية وحرارة اللقاء وجها لوجه... طيب.. لابد من التعويض عن هذه الحميمية.. لأنه أنت ممكن تتحدث بالهاتف ولا يقرأ الناس لغة الجسد يعني... لا يرون تعابير بوجهك وكذا... فقد تكون في أشد حالات الإعياء أو التعب أو المرض أو عدم الرضا ولكن تنقل رسالة للآخر لا تعبر عن هذا... كيف يتدارك الناس هذا... سيحتاجوا إلى وقت حتى يستطيعوا أن يقرؤو ما بين الرسالات الصوتية التي كانوا يقرؤونها بلغة الجسد الظاهرة... هذا سيحتاج إلى وقت وهكذا.... يعني.. أنا أعطيتك مثال بسيط جداً... فالمجتمع العربي السعودي... المجتمع العربي بصورة عامة... هذه التحولات المادية المذهلة الكبيرة.. تقرأ مع الطلاب دراسة قامت بها سيدة يابانية في سنة ٧١ لوادي فاطمة وحين.. أذكر لك بعض الدلالات ... كان متوسط الدخل الشهري لسكان وادي فاطمة ١٧٢ ريال.. الآن المصروف الأسبوعي لكثير من أطفال المدارس يتجاوز هذا الرقم.. كان نوعية الأعمال المتاحة محدودة.. فقط... الذين يعملون لقاء مبالغ يعني (كاش سلري) يعني.. يكون راتب شهري لم يتجاوز ٣٣ نفر قبل ٧١.. أنظر إلى التحول الذي حدث.. فهل يعني.. يعقل .. يعني... من يقولون لا... هل يعقل هذا التحولات المادية التي تجعل صلتنا بإحصائيات ٧١ التي قدمتها مثلاً (كاتي كورا) تصبح كأنها تتحدث عن مجتمع آخر لا نعرفه... هل لا يعقل أن لا يكون لها تأثير على حياتنا الاجتماعية والثقافية والنفسية وكذا... لكن رغم ذلك أنا أتصور بأن ما يسود مجتمعاتنا هو الاستقرار والثبات النفسي.. ويعني... حالات القلق والإكتئاب أو الإختلال العقلي أو عدم القدرة على التناول للتغيرات المادية.

* أو الهروب عن طريق المخدرات

- هذه قليلة جداً مقارنة بكمية التحولات التي .. في نظري.. أنه لا يمكننا أن نفسر هذا إلا لوجود قيم عميقة.

* مجذّره

- مجذرة.. تحيل أفراد ذلك المجتمع بالفعل يتعاملوا مع هذا الكم الكبير المكثف من التغيرات

الطارئة على مجتمعهم بقدرة فائقة على التكيف.

* طيب .. دكتور... إستطراداً لهذا الموضوع... وربما أيضاً تتابعاً لهذا التأثير... هل تتوقع أن ما يسمى بتطرف اللاديني بالذات.. يعني... الخروج على الدين.. يعني.. تطرف في محاولة إحتذاء الآخر أو محاولة إقتباس مالدى الآخر.. بالإضافة إلى ذلك ربما يكون هناك أيضاً تطرف في الرجوع إلى الذات.... تطرف العودة على الداخل... والمحافظة على مكتسبات هذه الذات.. تتوقع أنه جزء من التغيير؟ يعني.. وأنت ممكن أن تصل إلى مرحلة من التوازن بحيث لا يكون هناك شيء من قبيل هذه الظاهرة سواء سلباً أو إيجاباً؟

- يعني .. أنا لدي إشكال في المصطلحات.. أنا لا أعتقد أن من يكون متدين بالضرورة يمكن أن نسمية متطرف

* بالتأكيد طبعاً

- أنا أتصور بأن العودة للدين هي مطلب كبير... وكما ذكرت لك.. يعني... ربما واحد من محاول العصمة ومحاول القدرة على مواجهة هذه التغيرات كلها ربما كان هو

* الدين بمفهومه السامي

- لكن يعني.. الذي يؤخذ على بعض الشباب جزاهم الله خيراً أنهم .. يعني... لايفكرون في سيرتهم الذاتية وفي النقطة التي توصلوا إليها.. أولاً الدين .. دين يسر.. وهذه مسألة.. مسألة تحتاج إلى تفصيل وربما الوقت لا يسعفنا... ولكن نقصد أنه لا نشق على الناس .. ماقد.. يعني.. أستطيع أن أتحمله من الواجبات الإضافية قد لا يتحمله غيري.. أيضاً الدين يأمرنا بحسن الظن

* بالآخرين

- بالأخرين.. ولهذا ينبغي تغليب حسن الظن أيضاً الشرع خرج متدرجاً حسب الأحوال والنفس البشرية تحب التدرج وفي واقع الأمر معظم الشباب جزاهم الله خيراً... الذين أصبحوا... يعني... ذوطبيعة نوعاً ما منشودة هم في واقع الأمر كانوا من الأوساط العامة... والله سبحانه وتعالى هداهم... هدى اليهم من أراهم عيوبهم فعادوا عوداً كريماً فكان ينبغي لهم أن يدركوا أن للآخر أيضاً حاجة أن يتدرج وأن إستخراج التعابير القاسية أو الإستعجال في النتائج هو ليس من طبيعة الدعوة في الإسلام... النبي صلى الله عليه وسلم قضى ١٣ عام في مكة وربما عدد الناس الذين أسلموا قليل جداً.. أيضاً يعني.. هنالك حس... يعني قضية جادلهم بالتي هي أحسن.. يعني.... نحن نقول عن النبي صلى الله عليه وسلم أن خلقه كان القرآن وأن لو.. القرآن يقول للنبي «لو كنت فظاً غليظ القلب

* لانفضوا من حولك

– لانفضوا من حولك... إذن هنالك.. يعني.. عند البعض ربما سوء فهم لطبيعة الإنسان.. وسوء فهم في طريقة الدعوة... لكن بصورة عامة نحن الحمد لله مجتمع مسلم... مجتمع... رغم وجود انفتاح ثقافي نعيشه... يعني... نحن فخورون به مادام متوازناً.. مادام تحت مظلة الشريعة... ولله الحمد لا يوجد في مجتمعنا على الإطلاق من يقول مثلاً لا نريد أن نطبق الشرع أو لا نريد القيم الإسلامية أن تسود أو أن يكون هنالك بديل ثقافي للإسلام وأنه هذه من الركائز التي.. يعني... نعرف بأنها من الأساسيات.

* هذا هو الشق الثاني يا دكتور

– لا جدال ولا مراء فيها

* هذا الشق الثاني من السؤال وهو التطرف اللاديني.. هل هو عند بعض أم هو حالات نادرة... وقد تلمسها في بعض الكتابات الرمزية... في بعض الإضاءات ربما... يعني... تفلت فلتات من بعض الألسنة... بعض الشباب أو شيء.. هل هناك هذا التطرف اللاديني أحياناً حتى في المسلك أحياناً.. هل هو فعلاً ردة فعل للانتقال أيضاً الذي هو الخروج على الجادة بالتأكيد.

– والله أنا بقول ربما تقليد لبعض الأصوات النشاز في الأدب العربي المعاصر... ربما تكون.. أنا ليس تخصصي ولا أستطيع أن أفتي في هذا... لكن نحن مجتمع وسطي.. نحن ديننا دين الوسط... ولله الحمد بيئتنا بيئة صالحة.. فمسلماتنا لايمكن أن نساوم عليها.. أنا أعتقد أنه ما يقرره الجميع أو ما ينبغي أن يقرره الجميع هويتنا... عربية مسلمة... مصدر ثقافتنا الأساسي الإسلام.. ليس هناك أو ينبغي أن لايكون هنالك تعارض على الإطلاق بين هذه الهوية وما نطمح إليه... لكن في نفس الوقت ولله الحمد هذه البلاد أثبتت منذ تأسيس الملك عبدالعزيز ونحن في استمرار أننا على استعداد أن نأخذ ماهو مفيد.

* يسعدني في الواقع بعد هذه الساعة أن أقدم تحياتي وتقديري لضيفنا الكريم الأستاذ الدكتور أبوبكر بن أحمد با قادر الأستاذ في علم الاجتماع جامعة الملك عبدالعزيز.. ونلتقي معكم واياه على خير بإذن الله.

– بإذن الله إن شاء الله.. شكراً لك أخي الفاضل على حسن الظن وأرجو أن تكون دردشتنا أتت بالمفيد والنافع إن شاء الله.

أحمد بن محمد السباعي

لقاء خاص مع الأستاذ أحمد السباعي بمناسبة منحة جائزة الدولة التقديرية الأولى في الأدب والأستاذ السباعي عاش عصراً لم نعشه الآن في الواقع.. عاش بداية وضع أسس الصحافة السعودية وعاش بداية الانفتاح الثقافي والفكري للجزيرة العربية قبل توحيد المملكة العربية السعودية تحت لواء واحد وتحت قيادة واحدة وفي مملكة واحدة.. الأستاذ أحمد عاش بداية الطرح الفكري وبداية الالتقاء الحضاري والثقافي لمجتمعنا مع الغرب والدارسين من أبنائنا في مدارس أوروبا وأمريكا وعودة هؤلاء المبعوثين وتأثر المثقفين العرب بالالتقاء الثقافي مع الحضارة الأوروبية وبداية تبلور هذا التأثر على شكل أفكار جديدة تطرح على الساحة الثقافية. الأستاذ أحمد السباعي عاش عصر الصحافة في بدايتها. ماذا لو حدثنا الأستاذ أحمد عن بداية الصحافة في الحجاز... كيف بدأت؟ ماهي الصحف التي أصدرها؟ وكيف شارك بأول مقالة في أول صحيفة؟ تفضل أستاذ أحمد:

– الذي أعرفه أن... أن أول صحيفة شعبية تقريباً صدرت هي صوت الحجاز.. هذه الصحيفة كانت... كانت تصدر في جدة... يوم كانت جدة محصورة.. محصورة للحكم الهاشمي... وكانت تتافح عن الحكم الهاشمي الشريف علي في جدة... فلما سلّمت جدة وانتقل الثقل من جدة إلى مكة انتقلت الجريدة أو صاحب الجريدة وهو.. وهو الشيخ محمد صالح نصيف إلى مكة... وأصدرها في مكة باسم -كانت هي في جدة باسم بريد الحجاز فلما جاء مكة أصدرها بإسم صوت الحجاز... وظلت على هذا سنوات طويلة- بدأ في تحريرها الشيخ السيد عبدالوهاب... الشيخ عبدالوهاب آشي.. لأن الشيخ محمد صالح نصيف كان رجلاً ممولاً أكثر منه أي شيء آخر.. نعم فأنفق مع الشيخ محمد.. مع الشيخ عبدالوهاب آشي – وشرع.. وشرعت الجريدة تأخذ طريقها أسبوعياً في مكة... ثم.. ما لبث أن حل محله السيد محمد حسن فقي.. ثم مالبث أن حل محلهما الشيخ محمد سعيد العامودي.. هؤلاء من أهم الأدباء الذين كانوا مشهورين في تلك الأيام.. في هذه الأيام أنا شخصياً لم يكن بيني وبينهم معرفة... فقد كان طريقهم غير طريقي... كنت أنا في هذه الأثناء أستاذاً في مدرسة وكنت قد تعشقت القراءة بشكل مجنون وأدمنت عليها بشكل أكثر من اللازم. ثم عنّ لي أن أكتب وأن أطلب النشر فكتبت وطلبت النشر من أول عهد أيام الشيخ عبدالوهاب آشي.

* منذ حوالي كم سنة تقريباً؟

- أنا لا أجيد حساب السنين.. إنما أقدر أستطيع أقول لك يومها أنا كان سني حوالي العشرين.. وأنا الآن يعني.. أكثر من ستين سنة.

* ستين سنة ما شاء الله

- لعلها لم ترض الشيخ عبدالوهاب آشي فلم ينشرها

* أول مقالة هذه؟

- هذا أول مقال

* ماذا كان موضوعه وعنوانه؟

- لا أذكر.. أنا ذاكرتي تخونني في تسعين بالمائة من حياتي... جاء السيد محمد حسن فقي.. لعله.. أنه في حاجة إلى مواد يستعين بها في أول عدد يصدر منه.. فوجد هذه في سلة مهملات أو في درج أوفي ... فأعجبته.. أو اضطر لنشرها وهذا الأهم.. فنشرت في عهد السيد محمد حسن فقي.. بعدها شرعت أتشجع في الكتابة.... كتبت شيئاً .. أذكر عن مدارسنا.. كنت تعشقت أيضاً في هذه الأثناء الكتب النفسية... كتب علم النفس.. فوجدت فيها أشياء كثيرة لا تتفق مع... مع ما ألفناه.. فرحت أكتب عن مدارسنا واستعين بهذه الكتب... بل وأسرق بعض جملها... أي نعم...

* هذا اعتراف؟

- أي نعم .. أسرق بعض جملها لأضمنه... وأكثر الذي أسرقه... أيوه.. أنقله إلى لغتي... إلى أسلوبي.

* تحوير؟

- أي تحوير... في هذه الأثناء كان انتقل التحرير إلى الأستاذ محمد سعيد العامودي .. أذكر أنه ... لكأنه بين يدي الآن كنت ماراً بالمسجد وكان هو ماراً.. وأول يوم عرفته وعرفني في تلك الساعة.... أنت فلان.. نعم.. أنا أقترح عليك أنك تسلسل هذا المقال في موضوع مدارسنا... فسلسلت ... وبدأت أسلسل وتشجعت أكثر وظللت على هذا.... وبعدين كانت عندي بعض المؤلفات أؤلفها لا يعلم بها أحد .. لايعلم بها أحد .. إلى أن تعرفت بالسيد فؤاد شاكر... كان يأتي أيام الحج... فدعوته يوماً إلى بيتي وقرأت له ماكتبت وأنا شاكك في نفسي وفي مقدرتي وفي منهجي.. لكتابة المؤلفات.. فاستحسن ذلك وأخذ بعضها لينشره في جريدة.... في جريدة كان يصدرها في مصر اسمها الحرم... نشر لي بإمضاء سين.

* بدون اسم واضح؟

- نعم... نعم... توقيع سين.. لأني أنا كنت خايف إنه شيء ما يشرّف... فطلبت إليه أن

يكون بسين على أساس اشوف رد الفعل .. في هذه الأثناء كذلك.. كنت كأستاذ في المدرسة... يعز عليّ أنا كنا في درس المطالعة نقرأ كتباً.. أو يقرأ التلاميذ كتباً مصرية في المطالعة.. تتحدث عن النيل والصعيد وعن الآثار المصرية وعن أبو الهول.. وعن الإهرامات... فعنّ لي إني .. لم لا يكون عندنا يقرأ التلاميذ في كتب تتعلق بنا وبآثارنا... في هذا العهد كان الشيخ أمين فودة أبو... والد الشيخ إبراهيم فودة... فألفت هذه الكتب... ألفت ستة أجزاء للابتدائية.

* للمطالعة؟

– للمطالعة... لكل سنة ... ابتداء من الألف باء إلى السنة السادسة... للمطالعة

* وكان الطالب وقتها يتخرج بعد السادسة ..لأي شيء .. مدرساً؟

– لا .. أبدأ بعضهم معهد المعلمين وبعضهم المعهد الإسلامي وبدأ

* إعداد البعثات؟

– لا .. هذا البعثات فيما بعد..

* فيما بعد ...آ

– بدأ شيء يشبه الآن اللي بعد الابتدائية ... اسمه ايه؟

* متوسط.. المرحلة المتوسطة

– أي نعم فقررت وزارة المعارف تلك الكتب رسمياً في المدارس... فكنت أطبعها لحسابي... وأبيعها على المعارف أو على الكتبية في باب السلام... وكان... وكانت تبحث عن الصفا عن المروة عن الأصل المسجد .. عن بناياته... عن أبوابه... عن أشباء زي هذه...

* وكنت تدرس ماذا في المدرسة؟ المطالعة فقط أم؟

– لا... المطالعة والإنشاء والمحفوظات العربية.. أي نعم

* دروس الأدب واللغة؟

– أي نعم .. تقريباً... بهذه المناسبة تعرفت بالشيخ محمد صالح نصيف صاحب المطبعة... صاحب الجريدة والمطبعة فطبعت بعض الكتب عنده.. فتعرف بي.... وفي يوم من الأيام أرسل فطلبني من البيت... وجئت.. وكان يختلف مع بعض المحررين.. وطلب إلى أن أعمل محرراً.... ولما كان الله يرحمه هو معاملته صعبة مع المحررين رجوت إليه أن يكون .. يكون ..يكون اتفاقي معه خارج الدوام.. وأنا أظل كما أنا أستاذاً في المدرسة... وأقبل نصف راتب رئيس التحرير وأشتغل كمحرر لا كرئيس تحرير.. اتفقت على هذا.... وظللت على هذا مدة عنده أشتغل بنصف الراتب وأشتغل في الوقت نفسه.

* مدرساً؟

- مدرساً . . . (أيوه . . . أرجوك . . . لاحسن أنا أنسى) . . فظللت في صحيفة صوت الحجاز عدة سنوات

* تكتب مقالة يومية أم أسبوعية؟

- والله أحياناً يومية وأحياناً اسبوعية . . ولكن في الأغلب يومية.

* وكنت تطرح . . . الفكرة الغالبة في مقالاتك . . ماذا؟

- الأفكار التي تراودني كلها كنت أطرحها دون استثناء

* يعني . . الطابع الاجتماعي الغالب عليها؟

- أي نعم . . وكنت حتى بعض الأفكار . . . أحتال لها

* نعم . . لو تتبعنا مسيرة عملك الصحفي . . ثم رجعنا إلى الأفكار فيما بعد . . هل انتقلت من صوت الحجاز إلى صحيفة أخرى فيما بعد؟

- لا . . مافي صحيفة أخرى . . . إلا فيما بعد جداً.

* بعد أكثر من كم سنة؟

- أكثر من عشرين سنة

*عشرين سنة . . . انتقلت إلى أي صحيفة؟

- أصدرت أنا

* صحيفة

- جريدة الندوة . . . أي نعم . . . أصدرت جريدة الندوة . . . وظللت على هذا عدة سنوات ثم . . ثم جاء الأمر بضم كل صحيفتين.

* نعم . . في منطقة واحدة إلى صحيفة واحدة

- فضمت جريدة الندوة إلى جريدة حراء . . . التي كان يصدرها الأخ صالح جمال . . ضمت الاثنين مع بعض

* وأنت تنازلت؟

- أي نعم . . . تنازلت . . لأنه اختلفنا . . وأنا ما عرفت أتفق معاه . . ولا بطريقه . . فرأيت أن تبقى لفظة الندوة ويكون هو

* المسؤول عنها؟

- يكون هو مسؤول عنها

* توقفت عن العمل الصحفي بعدها وإلاّ تابعت؟

- أيوه توقفت . . . واشتغلت في التجارة

* التجارة الحرة العادية... بعيداً عن الحكومة؟

- بعيداً عن الحكومة... ولم أنجح كثيراً... ثم طلبت إلى الشيخ محمد... فأعادني إلى وزارة المالية كمفتش.

* مفتشاً في وزارة المالية؟

- وظللت على هذا... هذا أيام الحرب

* العالمية الثانية؟

- نعم... نعم.. ثم أعادني... أيوه... ظللت في....

* في وزارة المالية مفتشاً؟

- مفتشاً

* قرابة كم سنة؟

-عدة سنوات.. ثماني سنوات تقريباً

* وبعدها؟

- بعدها كنت أنا أسست مطبعة الحرم... وبعدها طلبت التقاعد... وعندما بدأت الحكومة تنتقل إلى الرياض طلبت إصدار جريدة الندوة.

* من جديد؟

- من جديد وبعدين جريدة الندوة صار فيها الانفاق... الحالة.. اللي هو الانضمام مع جريدة حراء

* تحدثنا عن ذلك... بعد تقاعدك من وزارة المالية ماذا؟.. أين ذهبت؟... ماذا عملت؟ وبعد أن انتقلت دوائر الحكومة إلى الرياض العاصمة؟

- هو كما أخبرتك أصدرت... أسست جريدة.. مطبعة الحرم... ثم أصدرت جريدة الندوة ثم سار...

* الانضمام؟

- الانضمام.

* ثم

- فلما سار الإنضمام اكتفيت بالعمل في المطبعة.. ثم بعد مدة بعض الشباب كان دائماً حولي... اقترحوا علي أن أقدم وأطلب مجلة... طلبت مجلة قريش وأصدرتها... وظللت على هذا عدة سنوات إلى أن جاء الأمر بـ

* بماذا؟

- جاء الأمر بان الصحف تتحول إلى مؤسسات ... أيوه.. كتبت إلى الجهة المختصة بأن جريدة اسبوعية ... مجلة اسبوعية كقريش مايصلح لها أن يكون عندها... أن تكون يملكها مؤسسة من عشرين شخص أو ثمانية عشر شخص فعليه وجهوها لمن تشاؤوا.

* إذن هذا عن مسيرتك الصحفية وتنقلاتك من صحيفة إلى أخرى..

* الأستاذ أحمد السباعي في رحلته الصحفية تتبعها تنقلات هذا العمل الصحفي من إصدار صحيفة إلى المشاركة في عمل التحرير إلى إصدار مجلة إلى غير ذلك... ننتقل مع الأستاذ أحمد السباعي مع أفكاره مع أطروحاته في كتاباته المختلفة فنراه يدعو إلى تحديث المجتمع وإلى تعليم المرأة وإلى اللحاق بركب الحضارة في وقت كانت هذه البلاد في بداية عهدها بالتفتح وبداية عهدها بالتعليم وبداية عهدها حتى بالتوحيد في نطاق دولة واحدة... فلعل الأستاذ أحمد السباعي يتحفنا ببعض أطروحاته الثقافية وفي وبعض مرئياته الاجتماعية التي تحققت الآن إن شاءالله ونراها ملموسة في واقعنا الحديث ... مثلاً.... موضوع المرأة... ماذا عنه أستاذ أحمد؟

- أما عن تعليم المرأة.... كانت هناك فكرة عامة إن .. من العيب أن تتعلم المرأة وخصوصاً الكتابة فبدأت أكتب عن أيام .. يعني .. تقدر تقول من الخمسينيات... وتجد في كتاب وحي الصحراء من أوائل المقالات المتعلقة بتعليم المرأة اللي كنت أكتبها.. كنت أكتبها بإيمان وقوة ورجاء أن يكون عندنا في يوم من الأيام امرأة متعلمة... إلى أن الله سبحانه وتعالى..... وأصبح للمرأة والحمد لله ذلك المركز الذي كنا نتمناه.. ومن الطرائف التي أستطيع أن أذكرها لك.. أني في جريدة صوت الحجاز عندما كنت محرراً في عهد الشيخ محمد صالح نصيف ولم أكن رئيساً للتحرير.. شرعت أكتب باسم فتاة الحجاز.... أكتب مذكرات فتاة تعلمت وأخوها ساعدها في البيت وأصبحت تعجبها القراءة... يعجبها الكتابة وأصبحت تفضل لبنت وطنها لو نتعلم القراءة.. فشرعت هذه الفتاة تكتب مذكرات يومية وكنت أنشرها لها، حتى أن رئيس التحرير كان يضيق بهذا ولكن لا يلبث أن يسكت... وكنت أنا وإياه في عراك دائم في سبيل مذكرات فتاة ... هو يرى أن تعليم الفتاة هذا شيء لا يستحسنه في هذه الأثناء.. جاءني صديق وأعطاني مقالة تعلّق فيها فتاة أخرى على هذه الفتاة التي في الجريدة... قرأتها أعجبتني... أصحيح هذا كتبته أختك .. قال نعم إلا أن الرتوش الأخيرة... الصحيح يعني... نشرتها وتركتهم الاثنين..

* يتصارعون؟

- يتصارعون... طلب إليّ وجيه مكة يومها الشيخ عباس قطان رحمه الله أن يعرف من هم الفتيات اللاتي يكتبن في الجريدة... فقلت له هذا سر الصنعة ولايجوز أن أقوله.. قال لكني أريد أن أتزوج فأرجوك تساعدني.. فقلت له إذن ممكن الآن أخبرك... أما واحدة منهم فهو أنا

و . . . . جاتك القرف أنا أبغى الحقيقة. . . قلت له لا . . الثانية هي بنت فلان. . . والله راح أبحث عنها وأتزوجها . . واليوم ما شاء الله منها . . . منها شباب.

* ما شاء الله. . عاشوا حياتهم بسبب المقالات هذه

– أي نعم. . . نعم. . . . ومايدروا إني أنا خطيب أمهم

* لعل هذه من صدف الصحافة في الواقع، من تتاليات الحديث أستاذنا أحمد السباعي عن علاقتك بالمرأة . . . دعوتك أنت لتعليم المرأة ولتثقيفها ولتربيتها لكي تتكفل بتنشئة جيل جديد واعٍ ومثقف قائم على نظم وأسس من الصحة ومن الثقافة العامة. . .

– لا . . . لا . . لأنها متحجبة وهي نفسها. . . هي نفسها آخذة فكرة عن الرجل سيئة. . . وتفاهم مافيش. . . وما تستطيع توقف أنت وهي. . أو تجلس أنت وهي تتفاهموا. . . في هذه الحالة أنا كنت أحاول أن أتزوج واحدة من النوع اللي أنا . . . اللى أنا بأتخيله . . . من النوع اللي أنا بأبنيه في خيالي. . ماكان موجوداً. . . ما كان موجوداً. . . ففكرت في أن أتزوج من مصر.

* لكن ما أحببت؟

– أحببت نعم. . أحببت لكن. . أحببت إيه. . أحببت من وراء حجب. . أي نعم

* ولم توفق في حبك؟

– لا . . لم أوفق

* عاش هذا الحب فترة طويلة وإلآ . .

– والله عاش فترة طويلة . . طويلة. . . طويلة جداً. . . . على كل حال فترة تقدر تسميها سنة أو ما إلى ذلك . . ثم بعدين هي تزوجت. . هي كانت قريبة من قريباتي. . هي تزوجت وأنا أسقط في يدي لما تزوجت. . أي . . . بس . . وقاسيت. . قاسيت. . . . قاسيت. . . . إلى أن الحين ربنا محى الموضوع. . بس وكانت التوبة.

* يمكن بعدها شعرت بالإحباط من الحب ومن بلاويه ومشاكله؟

– أيوه نعم مافي شك

* لكن عادة الكتاب والصحفيون يكون لهم نوع من الإعجاب لدى الفتيات. . ليس كلهم. . . ولكن بعضهم على الأقل. . . فهل لديك صاحبات من هذا النوع؟

– لا

* ما كان يراسلك أحد من القارئات؟

– لا

* ولا كان أحد من الكاتبات؟

- لا

* طيب . . الصحيفة ماكانت تستكتب فتيات؟

- ده الحين. . . ده الحين. . . . في هذه السنين صاروا بعض الجامعيات بعض الجامعيات. . . أيوه. . . وبعض المتعلمات لايرين غضاضة في أنهم يزهموا على عم أحمد السباعي. . . يسألوني أسئلة تتعلق ببحوثهم أيوه. . . ببحوثهم أو أشياء تاريخية أو كدة. . . وبعضهم ماعندها مانع تجي هي وأخوها ولاّ هي وأبوها برضه معاها . . . لايزال. .

* أصبح في شوية من البحبحة شوي؟

- أي . . بحبحه . . لكنها إلا وهي وأخوها . . وهي وأبوها. . . وأنا ما أقدر أستقبلها كان لحالها.

* لكن العلاقة الآن بين الشباب وبين الشابات أصبحت فيها نوع من الثقة؟

- الثقة!

* فيها نوع من تبادل الرأي؟

- بس إحنا ما . . إحنا الشيوخ ما. . . الفتيات ما يقبلوا أنهم يكون بيننا وبينهم ثقة ولا غير ثقة ما يهتموا بالحاجات . . . يهتموا بالشاب.

* لا. . مو علشان مسألة السن. . . إنما تغير مفاهيم المرأة عن الرجل. . . وتغير مفاهيم المجتمع ككل لعلاقة المرأة بالرجل. . أصبحت فيها نوع من التطور قليلاً.

- مافي شك

* شيخ أحمد لو سألناك عن زياراتك إلى بلدان العالم وسياحتك . . ماذا زرت؛ وفي أي دولة أقمت إقامة أسعدتك هذه الإقامة والتقيت فيها. . .؟

- الأسماء أنا. . . الأسماء تخونني. . ماتبقى معاي. . . . أنا رحت بلدتين أو ثلاثة في أمريكا عن طريق أولادي. . . مرة أو مرتين عن طريق زهير. . . ومرتين أو ثلاثة عن طريق أسامة. . . هذا في أمريكا، وفي أوروبا كذلك.

* وأعجبتك الحياة هناك؟

- كيف أعجبتني! نعم أعجبتني . . لأنني كانت أروح لشيء ماهو نظيف. . . كنت أنزل في أوتيل نظيف وأمشي مع ناس نظاف. . . وأجلس أيام ماهي يعني ما أحتك بالشيء اللي مو نظيف.

* طيب من خلال مشاهدتك لواقع الحياة الأوروبية والأمريكية. . . ماذا تتمنى للحياة العربية أن تأخذ من الحياة هناك؟ وماذا تتمنى أن تبتعد عنه؟

- والله . . هم هناك يبدو لي أن كل شيء يصل نهايته. . . يرجع تاني مرة أخرى. . . ينعكس. . فيبدو أن الحضارة أو المدنية بقدر ما ارتفعت نكست.

* تنتكس مرة أخرى؟

– أي .... تنتكس مرة أخرى... وأعتقد أنه بيجي يوم من الأيام النكسة هذه بتأخذ.. بتأخذ وضعها بالتدريج... على العموم بيجي يوم من الأيام أن الأمة الراقية دي تصبح غير راقية.

* فيه أوجه فعلاً غير راقية من الإباحية... اللا أخلاقية في بعض المناطق.... و.......؟

– هي دي.. هي دي ستكون من أسباب هبوط الدرجة المعنوية في الأمم الراقية..

* عدم الإلتزام بالقيم والمبادئ والمثل العليا التي تربط المجتمع بعضها ببعض... لكن تعجبك أوجه أخرى ؟

– أي نعم.

* ماهي؟ مثلاً..

– تعجبني... أن كل شيء تطالع فيه تلتقيه أما أوروبي أو أمريكي... كل شيء....... كل شيء يصطنعه لك الأوروبي أو الأمريكي ... كل شيء جديد يخدمك في الحياة أوروبي أو أمريكي... بينما إحنا كان يجب أن يكون لنا قسط معهم في هذا ... إلى الآن لسّه ما....

* لا زلنا متأخرين نسبياً؟

– نعم....... نعم.

* لكن هل تتوقع في يوم من الأيام .... يعني.... مع إنشاءاتنا ومع بعثاتنا وطلبتنا الذين يدرسون لديهم أن نصل إلى شيء مما حققوه من الصناعة؟

– والله مو بعيد هذا ...لا لا مو بعيد لأنه هي الحياة كده... كده... زي مداريه العيد ناس طالعين.. ناس نازلين هم دول اللي بيتعلموا من أولادنا في الخارج.. مافي شك في يوم من الأيام يكونّوا شيء كثير ويأخذونا على فوق بينما غيرهم... اللي قلت إنهم فسقوا.. دول.. دول رايحين يتخلفوا خطوة فخطوة.. ولا أستبعد أن إحنا العكس نطلع خطوة.. خطوة... خطوة... زي مداريه العيد.. أنا لا أستبعد أن كل أمة راقية اليوم في يوم من الأيام كانت... كانت متخلفة جداً... أي... وأصبحت في يوم من الأيام.... راقية.. أي... هذه الأمة الراقية مهما وصلت.. مهما وصلت بيجي يوم من الأيام .. إلا تنتكس.

* اي نعم.. لكن أوجه الحياة الثقافية ماذا أعجبك فيهم؟

– يعني

* المسرح مثلاً... الفن ... نشر الثقافة

– علشان كدة أنا بنيت مسرح... وظنيت ....نعم... تقدمت إلى الجهات...

* هذا موضوع نتناوله بالتفصيل إن شاء الله في النقطة القادمة

* الأستاذ أحمد السباعي كانت له دعوة رائدة بالإضافة إلى دعوته الأخرى الرائدة في مجال تحديث المجتمع والارتقاء به إلى مستوى حضاري حديث... هي دعوته إلى المسرح إلى إنشاء المسرح... في وقت لم يكن أحد يخطر على باله حتى الحديث عن المسرح حديثاً... مجرد حديث.. فما بالك بإنشاء مسرح واستقدام فرقة مسرحية متكاملة لتدريب الطلبة السعوديين في الحجاز... فماذا عن هذه الخطوة.. من لسان الأستاذ أحمد السباعي؟

- والله أنا فكرت في أن يكو لنا مسرح.. ليكون لنا مدرسة.. يجد حتى غير المتعلم... يجد فيها ما يفهمه عن تاريخ حياتنا... عن تاريخ حياة الإسلام... عن عز الإسلام ومجد الإسلام ... هذا الذي أردته ... فتقدمت إلى الجهات العليا.... تقدمت في الأول إلى الجهات المختصة في وزارة الإعلام أطلب الموافقة بترخيص بناء مسرح... ورفعت الأوراق إلى الجهات العليا.. جاءت الموافقة متوّجة بتوقيع الجهات العليا كان بأن لا بأس من ذلك.. وأعطيت الرخصة اللازمة.. وبدأت أبني... شوف البناية.

* البناية ! أنت تشير إليها أنها أمام بيتك

- أيوه شوفها من هنا هذا نفسه... وهذا

* المكان اللي نحن فيه الآن

- أيوه.. هذه لها درج تنزل على المسرح... من هنا... لأن هذه كانت للكواليس... للي بيلبسوا... ويفسخوا.... ويجلسوا.

* طاقم الممثلين واستراحتهم

- وشو اسمه.... ولهم حمامهم.. ولهم كل شيء... ولهم باب من هنا غير الباب العمومي... الأبواب العمومية ثلاثة.... لا.. هذا لهم... باب لهم مخصوص... ينزلوا منه على نفس الخشبة.

* نعم طيب.. مجلس النظارة أين هو؟ الحضور.. حضور المسرح؟

- يبقى لي أروح معاك لأن تشوف

* هو البرحة اللي قدام البيت... ممكن تكون هي....؟

- إنت النظارة..... أيش تقصد.... مو اللي داخل المسرح؟

* الحضور داخل المسرح.

- طيب شوف.. إذا أنت مسكت المسرح هذا.. هذه حمامات للمسرح... هذه الطاقتين اللي شايفها..

* اللي على اليمين؟

– أي . . اللي على اليمين . . بعدها يبدأ أول باب . . . شوف

* أيوة . . من أول باب على اليمين ؟

– هذا كمان الخشبة . . تأخذ من هنا . . . والباقي يعني . . . . فيه اللي يشيل ثمانمائة كرسي .

* ما شاء الله

– ثمانمائة كرسي

* تتوقع أن يكون حضورك كثيرين يعني؟

– على كل حال أنا اعتقدت أنه سيكون الحضور كثير . . . . وفعلاً . . لأن الناس أيه . . . لأن الناس عطشانين لحاجات زي كده .

* هذا يمكن من حوالي كم سنة؟

– من خمسين سنة

* خمسين سنة تقريباً؟

– لا لا ياشيخ

* أكثر؟

– لا لا . . . أيش خمسين سنة . . لا لا ياشيخ

* أقل من ذلك؟

– أصبر لي . . . أصبر لي

* في عهد عبدالله بلخير

* قريب هذا . . . يعني في عهد جلالة المرحوم الملك سعود؟

– في عهد سعود . . . نعم

* نعم . . في عهد الملك سعود

– في عهد الملك سعود . . . . وبعدين أنا استحضرت كل شيء . . جميع الترتيبات . . . حتى لما نسينا اللحى والشوارب . . بالطيارة جبتها

* من القاهرة؟

– من القاهرة

* وأتيت بالممثلين من القاهرة؟

– لا لا يا سيد محمد أعلنت للشباب اللي بيحب يتعلم . . . فتحت مدرسة . . . . فتحت مدرسة أيوه نعم . . . وجبت إثنين من أساتذة المدرسة دول . . . اللي هنا كانوا بيدرسوا

* التمثيل؟

– التمثيل . . أي . . وجبت مخرج

* من مصر

– ومخرج إيه . . مخرج أخرج في يوم من الأيام يعني . . . لوهبه

* ليوسف وهبي؟

– ليوسف وهبي

* هذا عميد المسرح العربي؟

– أيه عميد أخرج ليوسف وهبي

* لكن ما . . أنت ما استقدمت يوسف وهبي؟

– لا . . . لا

* ما تتذكر اسمه؟

– إلاّ أصبر لي . . . اسمه نبيل . . . نبيل . . . نبيل الشاذلي . . . أظن نبيل . . . نبيل . . . لا . . مو الشاذلي . . . أسمه نبيل . . . الاسم

* البداية . . نبيل اسمه؟

– الشاهد . . . . بنيت المسرح وبنيت المدرسة . . . شوف البناية اللي قدامك

* أي نعم . . هي المدرسة

– الصفراء . . . كانت هي المدرسة . . . بعدين سويتها أنا غرف سويتها شقة . . . وكنت أدفع للمتعلم مائتين ريال شهرياً . . . . يتعلم ويأخذ مائتين ريال شهرياً . . . وبعدين سوينا روايتين . . . رواية فتح مكة . . . نبقي نفتح بها الموضوع . .

* تاريخية . . . ؟

– تاريخية

* كتبها مين؟

– كتبها محمد بياري محمد.

* مليباري؟

– مليباري

* نعم . . نعم . . . الروايتان مثّلتا وإلاّ . . ؟

– الروايتان . . الأولى خلاص انتهينا منها . . . . وكتبنا بإنه الأسبوع الآتي يفتح . . . ينفتح . . إحنا لما كتبت الصحف . . . الصحف مع الأسف تقول مسرح السباعي . . . إحنا مسمينه دارة التمثيل الإسلامي . . علشان . . . . . علشان . . . . إنت فاهم ليش.

* أنا عارف علشان... اسم المسرح غير مرغوب فيه.

- أي

* وعلشان دار التمثيل...

- أخينا.. أخواننا هم حتى.... ماهم مفرقين بين مسرح وبين كباريه

* أى صحيح

- فكتبنا دار التمثيل الإسلامي... الصحف.. الله يعافيك... كمان ما يستحوا... مسرح السباعي سار مسرح السباعي حصل مسرح السباعي... لفظة مسرح السباعي صارت دايماً عنوان.... إحنا مسمينه دارة التمثيل... دولاك تجننوا... إيش مسرح السباعي... اجتمعوا عدةً مرات وراجعوا ونجحوا... وبعدين... نعم وبعدين أنا فيه من بلغني إلحق نفسك... ولحقت نفسي.. ودخلت على الملك ... وفهمته... إنه أيش الغرض من الفكرة.... وإنه مافيها حريم... ولافيها كذا... وقال لي روح ولايهمك فيهم... إي نعم... هذا بعد كل شيء.. أي

* أنت اعتمدت على هذا الكلام... ومشيت في طريقك؟

- لا... اعتمدت على الشيء الرسمي... هذا بس... هذا في الآخر

* في الآخر نعم..

- رحت... ولايهمك شيء... بعدين سافر هو... راح أظنه النمسا... مدري فين

* يمكن إلى جنيف؟

- ونحنا أبرقنا بأنه الاسبوع موأ برقنا...

* اعلنتم؟

- ما أبرقنا.... أعلنا بأن الاسبوع الآتي... سوينا التذاكر وسوينا كل شيء.. كله... كله

* الخطوة الأولى تقريباً تمت؟

- حتى الأنوار أحمر وأخضر وأصفر... جبنا لها واحد متخصص.

* ومجهزين؟

- اللي شو اسمه... الستاير تروح وتجي بالكهرباء... أي ... ستاير ممتازة.... ماخلينا شيء أبداً... بس هي الكراسي... خلي بالك... الكراسي... هو واحد منهم اللي أنت قاعد عليه ده...

* أوه الكرسي اللي أنا قاعد عليه من أيام المسرح؟

- بس إحنا بعد سويناهم... قلت نمشي بهم... وبعدين إذا نجحنا نساوي غيرهم

* وتساوي كراسي ثانية

- ونساوي كراسي ثانية

* ومع ذلك هذا كرسي جميل جداً

- الشاهد

* في وقت ما كانت الكراسي . . . فعلاً موجودة

- سويناهم في مصنع . . . وما لقينا مصنع سوينا غير هذا النوع . . لأنه طلبنا تمنماية كرسي . . . من فين نجيب تمنماية كرسي . . والوقت قال

* قرّب يعني . . نعم . . . طيب ساعدك أحد في افتتاح المسرح حالياً

- والله ما خالف ابن سليمان الله يعافيه

* الشيخ عبدالله بن سليمان

- يوم من الأيام كنت عنده . . . . سألني إيش سويت . . . أيش عملت

* وزير المالية

- وزير المالية . . أمر لي بمبلغ . . . كان محمد سرور بلغه أنني قاولت على

* الكراسي

- على الكراسي دي . . كتب لي . . . شو اسمه كتاب إلى صاحب المصنع وأظنه شريكه

* ما شاء الله يعني فيه مساعدات من هنا وهنا

- بس هم دول الاثنين . . . مافيش غيرهم

* لكن في . . .

- أنا ماطلبت . . . أنا ماطلبت

* لكن مساعدات معنوية في تبني الفكرة . . في أحد ساعدك من الكتاب . . . ومن الشبان؟

- والله يروحوا ويجوا علي . . . بس أنا كان . . . اللي ضرني . . كم كرسي . . . ثمانين . . بكم . . . بكم والله في من عشرة ريال ومن خمس ريال . . . دوغري يضرب دي في دي في دي في دي . . . . بتقضي الليله . . . طلعت المبلغ الفلاني . . . مافاكر أنا قد أيش عندي جيش أصرف عليه.

* هل تتذكر عدد الطلبة الذين درسوا لديك في المسرح؟

- أيوه . . . عشرين وعشرين تقريباً.

* حوالي أربعين طالباً . . . . ودرسوا لمدة كم شهر؟

- والله بعضهم شهرين أو ثلاثة

* وما شاء الله . . . استمروا فترة

– أي استمروا

* المهم ماذا حصل بعد ذلك؟

– لما وعدنا بأنه الاسبوع الآتي . . اجتمعوا لخامس مرة العلماء . . . واجتمعوا . . . . أجاهم الشيخ ابن باز واجتمعوا في القصيم أظن . . . . وأرسلوا للشيخ ابن باز وجاء . . . اجتمعوا في القصيم وأبرقوا للملك . . . فالملك أبرق إلى أمير مكة يومها عبدالله . . . ولده . . . الأمير عبدالله.

* عبدالله بن سعود

– أي نعم . . بأن أجلّوا الموضوع إلى حضوري . . . فتأجل الموضوع . . . في هذه الحالة قعدت أنا أصرف على دول . . ولا أنا داري النتيجة . . . وأصرف على المخرج وعلى الأستاذ . . . الأساتذة يجوني بعد العصر . . . . بعدين شفت الموضوع بدّو يطول . . . . قلت لهم بس إنتو تفرقوا . . . وإذا هذا أنا أرسل لكم . . . إذا جاء الملك . . إذا صار شيء كان . . .

* يعني . . أنت بعثت الطلبة إلى أهلهم . . . وبعثت المخرج إلى بلده . . . وقلت إذا حصل شيء ممكن تستقدمهم مرة أخرى.

– بعد مدة طويلة . . . جاء الملك . . . كانت هناك حفلة في مكة حضرها الأمير . . . . فلما شافني قال لي أنت ما تبغي تفتح المسرح . . . أنا ولا أنتم . . . قال لا إحنا ما عندنا مانع . . . بس أحب أجي أشوف المسرح . . . . . طيب مرحباً . . . وأرسلت جبت الطلبة كلهم علشان يقابلوا الأمير . . . وجاء الأمير وشاف المسرح قال لي والله أنت صرفت كثير . . فالشاهد قال . . . قلت للطلبة . . . لا تقولوا لي بكرة إنت تضحك علينا إنت . . . أنا . . . إنتم كل شيء بيد الأمير . . . . إنتم موضوعكم ماهو فيدي . . بيد الأمير . . إذا الأمير عطف عليكم . . إذا الأمير . . . إذا الأمير . . . .ثم . . يا أمير إحنا . . . . يا أمير مش عارف إيه . . . إحنا مش عارف إيه . . . . الله يخليك . . . . الله . . . . قال لهم خلاص إنشاء الله . . . بعد اسبوع . . . يمكن لك تفتح . . . قلت له لا . . . . دا إحنا المخرج راح مصر . . . أيوه . . . . ودول تفرقوا ويبغي لنا إذا جاء المخرج نعيد الهاده كمان على الأقل اسبوع فعلى الأقل . . يبقى لنا أسبوعين . . . قال طيب خلاص . جينا بعد أسبوعين . . . جينا نفتح . . . زهم علي قبل اسبوعين وقال لي مع الأسف . . . مؤجل . . . ليه . . قال ما أدري . . . . أنا اللي . . . هو كان مشتهي إنه يفتح . . أي . . لكن قال لي أنا أيش اسوّي . . . أنا . . . غلّبتني معك.

* يخشى من المعارضة القوية؟

– بس

* بعد كده . . . توقفت الفكرة.

– توقفت الفكرة . . . جاء فيصل وبحثت الموضوع معاه عدة مرات . . . هو يوعدني . . . هو يوعدني . . . . لين هو يقول لي هذا سوف يدرس . . سوف يبحث . . . سوف يبحث . . . بعدين في

يوم من الأيام قال لي الإسلام مافيه مسارح . . . بس

* وبعد ذلك؟

- بعد ذلك . . . أجرتّ المسرح . . . قعدت أكثر من اثني عشرة سنة وهو كده للشيطان . . . أجرته مستودع بضائع . . . وجاء صاحب المستودع وسوّى له صندقة توتو . . واللي هو كان . . . كان صيفي . . لأن بلادنا صيفية وهو أشكل له الحمد لله زي ماكنت عارف . . . وهو بدو يستخدم من بعد العشاء . . . وهو كان ضيفي . . . . فهو أستأجره وسوّى له صندقة.

* وأخيراً تحول المسرح إلى صندقة؟

- أي نعم

* الأستاذ أحمد السباعي . . . هل مساحة هذا المسرح كبيرة؟

- يعني تقدر تقول طول المسرح من الطاقة اللي هناك مع الخشبة . . مع الطاقة . . . لين البيت الأصفر ده . . . قبله بمترين . . اللي هو الطريق.

* الأستاذ أحمد السباعي . . عالج كثيراً من الأفكار وطرح كثيراً من الآراء من ضمنها أفكاره عن المرأة وتعليمها أفكاره عن المسرح وضرورة إنشاء هذا المسرح . . . بعد مرور عشرين عاماً على تجربتك الأولى وهي تجربة افتتاح مسرح في الواقع والمجتمع السعودي . . . هل تتوقع نجاح مثل هذه الفكرة وتقبل المجتمع لإنشاء مسرح ناضج يعالج قضاياه؟

- أعتقد أنه ينجح . . . وينجح أكثر من اللازم كان ايه . . . لأنه . . . لأن الناس عطشى إلى شيء . . . إلى شيء يغير مجرى الحياة . . وعلى كل حال هذا فيه ثقافة وفيه تعليم والناس في حاجة إلى أشياء وفي هذه

* يعني انشاء معهد للتمثيل وللموسيقى مطلب ضروري الآن؟

- أي نعم . . . نعم

* لتخريج الكوادر المتعلمة والمثقفة . . في الإخراج وفي التمثيل . . وفي . . . نعم

- أي نعم

* لكن أيضاً إشترك المرأة كعنصر بارز في العمل المسرحي . . هل تتوقع أن ينجح في البيئة السعودية؟

- كيف؟

* إشتراك المرأة في عمل مسرحي في واقعنا السعودي . . هل تتوقع أن ينجح؟

- لا . . هذا ما أظنه ينجح . . . ليش ما توجل هذا . . . ما أظن . . . الحياة هي ما شية والتيار ماشي غصباً عننا . . رضينا أو كرهنا.

* تيار الحداثة؟

– أي نعم ماشي.. لكنه .... لكنه شيء يبغى له وقت طويل وشيء

* لكن لا نجاح للمسرح بدون امرأة

– أي نعم.. يوه نعم... لازم يكون كده... لكن بالنسبة لنا لا أظن

* إذن هل تتوقع بأن المسرح بالنسبة للبيئة السعودية شيء ميئوس منه؟

– لا المسرح هو ميئوس منه.. يعني.. سوف يكون... سوف يكون مقبولاً ولو كانت مافيه المرأة اليوم.

* مقبول نسبياً بنسبة خفيفة؟

– أي نعم

* لأن بعض القضايا يمكن ما تشترك فيها وأكثر القضايا وأغلبها تكون المرأة عنصراً بارزاً فيها هل شاهدت الفيديو؟ أو شاهدت أي فلم سينمائي؟

– اي طبعاً في مصر كثيراً... وهنا أحياناً في بيوت بعض الأصدقاء... وأما الفيديو أنا عندما اشتريته ما عجبني... لأن .. لأن الأفلام اللي يبيعونا هي يمكن نادر لما تلتقي فيلم عليه القيمة وكله إما هرج أما هلس شيء بتاع أطفال... بتاع أولاد ... بتاع بنات.

* ما فيه فكرة قوية يعني؟

– لا.... مافيش الأفلام أكثرها كمان مو نظيف ... مو نظيف يعني إنه يفرقع.

* يعني ممكن يؤثر على عقول الشباب وأفكارهم؟

– لا... غرضي إنه... يعني مو صافي.

* أخلاقيا؟

– لا لا عملياً يعني مو صافي عملياً يفرقع.

* من الناحية الفنية يعني؟

–من الناحية الفنية فأنا وجدت أن هذا كله متعب... رجعته ثاني مرة وعطيته لواحد وبس التقيت القراءة أحسن لي أنا.

* * * *

* ولكي نلم بجوانب الشخصية الثقافية الرائدة لدى الأستاذ أحمد السباعي كشخصية ثقافية قصصية ومسرحية معطاءة نلتقي بالدكتور منصور الحازمي أستاذ الأدب العربي الحديث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ... وعميد مركز الدراسات الجامعية والدكتور منصور أحد الباحثين المتخصصين في فن القصة في الأدب السعودي ولذا ألقى الضوء على شيء من أدب الأستاذ أحمد

السباعي في كتابه فن القصة في الأدب السعودي في المملكة العربية السعودية مرحباً دكتور منصور.

- اهلاً وسهلاً

* لو أحببنا أن نلقي الأضواء على مكانة أحمد السباعي الرائد في القصة السعودية منذ البداية من خلال رؤيتك لمجموعته القصصية ولبعض قصصه كخالتي كدرجان وفكرة...؟

* الحقيقة أن الأستاذ أحمد السباعي يعتبر رائداً من رواد القصة القصيرة وأيضاً الرواية ذلك بأنه قد كتب في فترة مبكرة مقالات كان ينشرها في جريدة صوت الحجاز وتم جمع هذه المقالات في كتاب بعنوان أبوزامل، ثم غير عنوان الكتاب إلى أيامي... ويبدو أنه كان متأثراً بطه حسين في .. في هذا الكتاب. أحمد السباعي يعتبر رائداً كما قلت في القصة القصيرة وفي الرواية لأنه قد كتب كما تعلم روايته فكرة... وهي رواية طويلة قصة طويلة... وكتبها أيضاً في وقت مبكر لم يكن لدينا فيه أي نشاط في ميدان الرواية.. فهو رائد في القصة القصيرة وفي الرواية معاً... ويبدو أن أحمد السباعي كان يكتب القصة القصيرة رواية طويلة.. قصة طويلة... وكتبها أيضاً في وقت مبكر... لم يكن لدينا فيه أي نشاط في ميدان الرواية .. فهو رائد في القصة القصيرة وفي الرواية معاً... ويبدو أن أحمد السباعي كان يكتب القصة القصيرة والرواية طبيعية وسليمه ولم يكن يتكلفها حتى في تلك الكتب التي يمكن أن تأخذ طابعاً .. طابع بحث أو طابع مقالة... مقالات كان ينحو فيها النحو القصصي مثل كتابه مطوفون وحجاج .. فلذلك هو لا يستطيع في الواقع أن يكتب في رأيي إلا في هذا القالب القصصي. ويمكن من مميزات أحمد السباعي التي تذكر له عندما تتحدث عن تاريخ الرواية والقصة القصيرة بالذات أنه كان يكتب من الواقع... أحمد السباعي يعتبر من أولاد البلد كما يقولون .. فهو رجل شعبي ورجل قد ألف الحياة الشعبية عندما كانت مدننا تضج وتزخر بهذه الحياة التي تلاشت بحكم المدنية والتوسع العمراني وأصبحت توضع في المتاحف، عندما نقرؤه نجده مثلاً في خالتي كدرجان أو في أبوزامل بالذات يصف حواري مكة وشعابها وأزقتها ونظام المدارس والعمد والأسر والأفراح والمآتم .. ونجد الحياة كلها بجوانبها المختلفة يصورها تصويراً واقعياً فنياً جميلاً جداً.... لا تشعر فيه بتكلف ولا نشعر فيه بأنه يتصنع فلذلك هو رائد القصة الواقعية إذا كان محمود تيمور هو رائد القصة الواقعية في مصر فالسباعي هو رائد القصة الواقعية في الأدب السعودي الحديث. طبعاً مع الفارق بين الرائدين لأن محمود تيمور قد اتصل بالأدب الغربي منذ وقت مبكر... ولقد اطلع على فن القصة ولاسيما عند موباسان والتكنيك أو التقنية الفنية للقصة بينما السباعي لم يكن يأبه في الواقع بهذا التكنيك إذ كان يكتب عن سليقة وعن رغبة في تصوير هذه الشخصيات ولكنه عندما يصور هذه الشخصيات نجد أنه يصورها

تصويراً حياً مليئاً بالحراك. . . ومليئاً بالجوانب الدرامية المهمة جداً وهو يذكرنا بالجاحظ عندما كان يصور البصرة في القرن الثالث الهجري. . كان يصور البصرة ببخلائها وتجارها وأدبائها، في الواقع إن الأستاذ السباعي كان يصور مكة أيضاً هذا التصوير الواقعي الذي لم يكن يتكلف له وإنما أنه يحلل هذه الشخصيات ويجعلها تتحدث فهو يجيد فن الحوار من جهة ويجيد تصوير المناظر وتصوير البيئة. وأغلب القصص التي كتبها كتبها عن تجربة يعني. . لم يكن يتكلف فيها وإنما كتبها من تجربة ومعايشة. ولكن طبعاً هناك فرق بين التصوير الفوتوغرافي والتصوير الفني. والسباعي نجد أنه قد خرج بين هذا وبين ذاك فنجد أنه كان يحرص في الواقع على تصوير أزقة مكة وشعابها وحاراتها ولكن كان يحرص على أن يكون هناك مستوى معين من النواحي الفنية لابد أن تتوفر في القصة. لا أدري كيف نستطيع أن نصنف قصص السباعي. . . ولكن ينبغي أن ننظر نظرة تاريخية، ينبغي أن نضع السباعي في الواقع في الموقع التاريخي الذي ظهر فيه. . لأنه عندما يبدأ يكتب لم يكن هناك تراكم، كان الأدب العربي السعودي في بدايته وكانت هناك تجارب لازالت في دور التجريب . . ولذلك بحسه الفني وحسه البلدي استطاع أن يلتقط صوراً كثيرة لولاه لاندثرت . . فهو ممن الرواد الأوائل الذين استطاعوا فعلاً أن يحيوا هذه الصور القديمة وأن يخلدوها في صور ممتعة. ويمكن أهم كتاب في رأيي هو كتاب أيامي بالنسبة كسيرة ذاتية كما قلت تأثر فيها بطه حسين. . . ونستطيع أن نقارب أو نوازن بين أيامي وبين أيام طه حسين وأيام السباعي. فنجد أن أيام السباعي لا تقل روعة ولا صدقاً ولا فنيةً عن أيام طه حسين.

* شكراً للدكتور منصور الحازمي أستاذ الأدب العربي الحديث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود. وعميد مركز الدراسات الجامعية.

– شكراً.

* * * *

* الأستاذ أحمد السباعي الطرائف التي واجهتك في حياتك الكتابية وأنت تناقش هذه القضايا الاجتماعية . . لعل هناك موقف معين لفت انتباهك ولا زلت تتذكره الآن ماهو مثلاً؟

– أنت تعرف قصة شيخ الجن؟

* لا والله ما سمعت عنها. . . ممكن تسمعنا؟

– لما كانت أكثر مانكتب يضايق كثيراً من الناس. . . وخصوصاً هنا في مكة كانوا يرون أن الحجاج دول لازم يسلموا على أيدينا ولازم يأخذوا مننا البركة. . هذا كلام ماعاد. . . ماعاد يصلح. . فادعيت إنه شيخ الجن جاء للحج وأنه نزل ضيفاً في بيت رئيس المطوفين أو بالأصح في قبو بيت رئيس المطوفين وأنه كان يلاحظ علينا أشياء كثيرة ويكتب ملاحظاته في مذكرات ويرسلها

للنشر. . . فين ينشرها؟ في الصحراء العربية الكبرى. . جريدة إسمها المرصاد يصدرها جماعة من بنات الجن. . . تنشر هذه المذكرات التي يرسلها الأخ. . . وأن جماعة من بنات الجن أهدوني بعض هذه الأعداد فأنا أنشر ما جاء في هذه المذكرات بإخلاص يعني. . . وبدأت أنشر على أمل أني أبعد عن عن إنه ده ماهرجي هذا هرج شيخ الجن.

* علشان تبعد من الشكلات ورد الفعل؟

– نشرت ما أدري عدة مقالات . . بعدين كان في هذه الأثناء. . كان في لجنة تشرف علينا هذه اللجنة فيها عضو من الخارجية وعضو من الداخلية وعضو من دار ايه وعضو ما أدري أيه. . . وبظن إنه في يوم من الأيام تغيب عضو رئاسة القضاء وجاء بدله من يسأل. . هذا السباعي يعرف لغة الجن؟

* أيوه

– قالوا له لا. . . خيال هذا. . قال يعني كذب. . . قالوا له خيال. . . قال يعني ماله أصل . . كذب. . . كذب . . . لا موكذب كذب. . . ده خيال. . . أن ما أنشر ما أوافق على نشر الكذب أبداً. . بس. . . وقفنا.

* مع أنك حاولت تحتال لكن ما نجحت الحيلة؟

– لا. . ما نجحت

* إذا إنتقلنا مع الأستاذ أحمد السباعي إلى بعض اللفتات وبعض الوقفات البسيطة. . . لو سألناك عن إقامتك في مصر لمدة معينة. . . أو زيارتك لمصر. . بمن التقيت هناك من الأدباء والمفكرين؟

– زي ما أخبرتك . . أنا في رحلاتي إلى مصر. . . لا. . لا. . . لا. . . أجتمع بأحد. . . أنا أبحث عن . . . .

* الاستجام والراحة؟

– أيوه. . . الإستجمام والراحة والبعد عن . . عن الأدب والقراءة حتى القراءة أقرؤها بعيداً عن الناس أي أقرؤها في غرفتي. . أو في جلسة هادئة على النيل. . أو شيء زي كده. . . لوحدي. . . وبس. كل هذا أرى أن الإستجمام لأني أنا تعبان كثير ومافيّ علشان أأقعد أحتك وأجي وأروح. . ده. . . ده يبقى له نشاط فيبدو لي إنه أكبر من هذا كله وأستريح. . . أسمي هذا استجماماً.

* لأن وقتها كان هناك من الأدباء النابهين في مصر. . . أي نعم. . . أمثال العقاد وطه حسين والمازني

– أي نعم . . ما قط اجتمعت معهم . . ولا واحد فيهم. . . ولا واحد فيهم.

* ومع ذلك تقرأ عنهم كثيراً؟

- أيوه كثير... نعم

*قرأت لمن بالضبط من الذي أعجبك؟

- أيوه أكثر ما يعجبني طه حسين..

* وأحسن كتاب لطه حسين قرأته ماهو؟

- الأيام

* الأيام... الثلاثة أجزاء كاملة؟

- أيوه

* لأن فيها سيرته الذاتية؟

- أي نعم والعقاد ده أجلُّه وأحترمه.. لكني ما أقرأ له إلا لما يكون بالمرة... يعني عندي هدوء أكثر من اللازم وصفاء أكثر من اللازم لأنه في نظري كده... بيرهقني شويه.

* هو أسلوبه متعب شوي؟

- متعب

* لأنه يميل إلى العقلانية أكثر من الأدب؟

- أي نعم... بينما طه حسين..... خلي بالك كده... كأنه ماء جاري

* المازني؟

- أوه... المازني صديق... إي

* الرافعي؟

- لأ.... مو كتير.. نص واحدة

* الزيات؟

- الزيات إيوه.... إي نعم

* تقرأ له كثير؟

- كثير نعم

* عندك أعداد من الرسالة؟

- إي نعم.. عندي أعداد من الرسالة .. لكن كلها لما حولنا من جاء الهدد في ده وحولنا هنا وبنينا هنا راحت .. راحت

* تناثرت؟

- مجلاتي وأوراقي

* قرأت لقاسم أمين؟

- لا . . . ما أذكر

* المنفلوطي . . . بالتأكيد قرأت له؟

- أيوه . . . المنفلوطي . . قرأناله . . في أول عهد الواحد . . . المنفلوطي ده بنسميه الأدب الأسود.

* لماذا؟

- يبكيّ

* لأنه أدب حزين طبعاً . . . العبرات واليتيم؟

- أي نعم . . اي نعم

* قراءتك للأدب الأجنبي المترجم؟

- أيوه

* مين مثلاً؟

- والله ناسي أيوه . . اللي يحضرني أقرؤه . . أيوه . . لكن أنساه

* انت قرأت في أدب القصة وفي الرواية وكتبت مجموعة قصصية خالتي كدرجان ورواية «فكرة» ولعلها كانت بدايات؟

- أنا قرأت قصة . . أيوه . . نسيت . . . قصة دي . . كانت مشهورة في أيامها عشرين جزءاً ما أدري إثنين وعشرين جزءاً . . وقصة ثانية اسمها . . . أرسين لوبين . . . برضه يجي عشرة أجزاء.

* مترجمة؟

- أيوه . . كلها مترجمة

* إذن كتابتك للقصة في خالتي كدرجان أوفي رواية فكرة لعلها محاولة لكتابة الرواية في الأدب السعودي؟

- وفيه شفت فكرة أنت . . . مو موجودة دي؟

* ماهي موجودة ولكن سمعت عنها وأنها رواية رائدة وأنها تقريباً تعتبر هي والتوأمان لعبدالقدوس الأنصاري هي بداية الرواية السعودية . . لكن يعني . . إتباعك لطريقة كتابة القصة تأثراً بمن مثلاً؟

- والله بمجموعة قراءات . . ما أقدر أقولك عن شخص واحد.

* والآن . . . القصة السعودية كيف تراها مع كتابة الأدباء الشبان وطرحهم لأفكارهم؟

- والله . . أنا يبدو لي أن القصة ستأخذ طريقها عندنا على غير الطريق المشهور لها في الخارج

.. لأن القصة عندهم من أهم عناصرها المرأة وبشكل مكشوف .. يعني.. أن القصة لا تبالي.

* تذكر كل شيء؟

– تذكر كل شيء من الواقع... أما تقعد تدور وتحاور حول حاجة وتترك إنت تفهم.. لا القصة ما تعرف التزييف.

* القصة لابد من الوضوح فيها... تتبع الأحداث؟

– وإحنا كشعب محافظ.. هذا الأسلوب ما يصلح عندنا... ولا يقبلوه.

* إذن لعل تفسير الرمزية في القصة يرجع لهذا الذي ذكرت؟

– لا أستبعد

* الرمزية طاغية في القصة وفي الشعر حتى .. لأن الشاعر لايستطيع أن يذكر كل شيء أو كل مايريد مثلاً... أو كذا... الشعر الحديث تقرؤه؟

– الشعر الحديث .. أقرؤه ... بس ما يعجبني كله.

* لماذا؟

– في شيء .. روح الشعر موجودة فيه.. أنا لست بشاعر ولكني أستأنس بالشعر وبروح الشعر وحتى في النثر يعجبني النثر الشعري.. يعجبني الشعر المنثور.

* يعني .. النثر الشاعري؟

– أي نعم .. إلا الشعر الحر اللي أسمعه مثلاً من نازك وأسمعه من...

* عبدالصبور

– من عبدالصبور ومن الثاني... دنقل

* أمل دنقل... آ... مجموعة الشعراء الحداثيين؟

– الأربعة الخمسة دول .. أيوه... هذا الشيء

* البياتي في العراق؟

– أي نعم .. هذا شيء.. ده اسمه ايه اللي بيدعوه سيد المرأة؟

* نزار قباني؟

– أيوه... نعم

* تستمتع بشعر هؤلاء؟

– أي نعم .. نعم.... هدول مافي شك شعرهم...

* رواد؟

– شعرهم .. شعرهم لكن ألوف دا الحين قاموا يساووا شعر يسموه حر... لاهو حر ولا هو

شعر.

* لا.. الشعر الحر... ولكنه حر... على الوزن... لأنه فعلاً فيه موضة.. موضة الشعر الجديد... شعر الحداثة يسموه... فيعني لا يتبع النسق الموسيقي... وإن اتبعه

* إذن أنت تميل إلى الشعر الكلاسيكي أو الشعر الذي يتبع نسق التفعيلة؟

- نعم... نعم.

* يحافظ على وحدة الوزن؟

- أي نعم.. نعم.... ويكون فيه روح الشعر.

* ويكون فيه روح الشعر. كيف ترى طرح الأدباء.. وخاصة الأدباء الشبان.. للفكرة في كتاباتهم... سواء في القصة أو في الشعر أو في المقالة.. هل الطرح يكون قوياً؟

- بعضهم يبدو لي أننا أول نشأتنا.. إحنا القُدُم كنا أكثر حماساً، وإن كان كتاب اليوم أكثر أكاديمية أكثر توسعاً.

* وأكثر تعليماً؟

- وأكثر تعليم.. نعم بس إحنا كنا بنكتب بدم القلب... ما نكتب بالحبر... وكنا نكتب بحماس إلى اليوم في موجود كده وموجود كده... لكن الأغلب اليوم الشيء الثاني.. أما دول الجماعة اللي بيكتبوا بدون.. بدون تعقل.. بدون تفكر بدون تفهم.. دول على كل حال لازم.. لازم ترميهم من وراء ظهرك.

* يعني يكتبوا أحياناً يملؤا الزوايا.. أو ترف؟

- ما يصلح

* طيب.. أسماء أدباء معينين تحب تقرأ لهم دائماً

- من عندنا أو

* من عندنا أو من بره... ممكن؟

- عزيز ضياء... العمودي.

* هؤلاء من جماعة الجيل اللي عاش معاك طبعاً؟

- أيوه الأخ هذا حق جريدة الرياض؟

* تركي السديري؟

- أيوه تركي السديري

* تقرأ له

- اي نعم... شي حلو

* وأسلوبه.. وأسلوبه متأدب... أديب؟

- أي نعم.

* طيب فيه الأدباء الكبار مثلاً... اللي أعتقد أنهم من الرواد على مستوى المملكة.. تقرأ لهم؟ كتاباتهم العلمية حتى العلمية البحثية... عبدالله بن خميس... حمد الجاسر... وهم إثنان مرشحان معك في الجائزة؟

- أي نعم.. أي نعم

* تقرأ لهما؟

- اي نعم.. أقرأ لهم

* تقرأ شعر الشباب .. تذكر أسماء.. بعض أسماء من الشباب؟

- لا... ما أذكر.. إنما أكثره... أكثره مايعجبني... ما ألتقي فيه روح الشعر... أبطّل فيه

* بعد رحلتك الطويلة مع الحياة... وتجاربك الصحفية والكتابية .. ماذا تحصلت؟ على أي شيء قبضت يداك الآن بعد رحلتك الطويلة؟ هل تحقق كل ما أردت؟

- والله أشعر الحمد الله أني... أنني مرغوب عند الناس... محبوب.. ما تركت ورائي سيئات الحمد لله أؤاخذ عليها ما تركت من الأخلاق ما يعاب عليّ فيها.. هذا الذي أشعره الحمد لله.

* والحكمة اللي تتبعها دائماً أو تقتدي بها ماهي تقريباً؟

- كن مع الله.. كن مع الله... كن مع الله

* أحلك اللحظات اللي تمر بك؟ أشد الأوقات تعباً وإرهاقاً لك.. نفسياً ماهي تقريباً؟

- أول ولاّ دا الحين؟

* أول والحين؟

- دا الحين ماعندي.. الأول.. الشقا الكثير في ظروف غير قابلة للعمل

* والآن؟

- لا.. الآن... الحمد لله ما.. حتى إن تكلفت ما أكلف نفسي

* يعني.. في مرحلة الشيخوخة الآن هادئ ومطمئن؟

- أيوه .. هادئ ومطمئن والحمد لله.

* ماذا ترى؟

- خصوصاً... كثر خيره جلاله الملك المعظم يوم من الأيام سأل عني.. أيوه... ما شافني في حفلة مكة ولما سأل عني وعرف حالتي وعرف أني مريض وعرف إني كده كتر خيره.. أمر

يجعلوا لي . . . اسمها إيه؟

* شرهة؟

- لا . . لفظة ثانية غير الشرهة.

* مكرمة ملكية؟

- أيوه مكرمة ملكية – هي شهرية- يعني . . تضاف إلى التقاعد . . لأنه سأل عن تقاعدي . . . تقاعدي قديم جداً وشافه قليلة فأمر إنها تكون كذا . . ثم أمر فزادها إلى عشرة آلاف . . . . وزيادة عليّ أنا عشرة آلاف أيوه تنغنغني.

* الحمد لله مبحبح فيها؟

- اي . . مبحبح فيها . . . لا وكمان أمر لي بمبلغ منحة زي ما تقول.

* مكرمة ملكية أخرى؟

- مكرمة ملكية أخرى . . أي نعم

* طيب . . بالنسبة إلى وجودك إلى جانب الحرم في مكة المكرمة بشكل دائم يوحي لك بشيء معين؟

- يوحي لي إني أنا أحب . . . أحب ما أغيب كثيراً بجوار الحرم . . . لأنه قد ما حاول لي أولادي أني أروح أسكن لما كانوا في جدة . . . . . . أني أروح أسكن معهم في جدة . . . لا . . في الرياض . . لا . . خلاص ألفت هنا وألفت جنب الحرم وألفت . . . بس.

* تحب تسمع الإذاعة؟

- والله هادي شوف . . طول النهار قاعد مقفول.

* ما تسمع الراديو أبداً؟

- نادراً الإذاعة أفتحها وأرخي الصوت إلى الآخر . . . إلى أن التقي برنامجاً يصلح لي أفتح على الهادي.

* تقرأ في اليوم كم ساعة الآن؟

- والله دا الحين ماصرت أقرأ كثير . . . وسببه أنه جد عليّ . . . الحمد لله . . . شيء . . . خصوصاً في الصحف . . . إخواننا كتر خيرهم . . بيهدوا لي الصحف . . . حتى من نجد . . . حتى من جدة . . . حتى من . . . . أنا بتجيلي كل الصحف تقريباً . . لكن صرت إذا قرأت عمود والثاني أنعس . . تطيح الجريدة مني.

* يجيك النوم؟

- إيه . . .

* يمكن الحروف صغار شوية.. بعض الحروف؟

- أرجع أشيل الجريدة.. وأحاول إلا أقرأ... أنعس... تطيح مرتين ثلاثة... بالآخر أرمي الجريدة وأحط المخدة وأرقد.

* طيب .. تسمع الغناء؟

- أيوه

* تحب الغناء كثيراً؟

-كثير

* رجل طرب آ..؟

- إي نعم رجل طرب

* من من الأسماء اللي تحب تسمع لها؟

- محمد عبدالوهاب... أم كلثوم.

* الغناء القديم الكلاسيكي؟

- أي نعم.

* أحلى أغنية لأم كلثوم تعجبك... وش هيه... أنا شايف المسجل عندك وفيه أشرطة كثيرة؟

- نسياهم.

* معليش الذاكرة شوية؟

- الذاكرة... الذاكرة مو شوية

* أنا أذكر لك أسماء بعض الأغاني... تختار منها.

- أي طيب

* هجرتك؟

- لا

* جددت حبك ليه؟

- لا

* يا مسهرني؟

- إيوه... أنا أحب كما لا تنسى نجاة الصغيرة.

* للصبر حدود... لأم كلثوم؟

- نعم... نعم.... أم كلثوم.. أحسن قصيدة لها عندي هي...

* إلى عرفات الله

- لا
* ولد الهدى؟
- أيوه.. ولد الهدى.. لا
* أو ريم على القاع بين البان والعلم؟
- أي نعم... أي نعم
* أقبل الليل؟
- لا.. ما
* الحب كده..؟
- لا... أصبر لي... أصبر لي دقيقة.... بل أنت لا الدهر.
* آ... هي رائعة أبي فراس الحمداني.
- أبي فراس
* رائعة أبي فراس الحمداني التي هي؟
- أراك عصي الدمع شيمتك الصبر.. يا حلاوة... ياحلاوة
* نعم.. هذه القصيدة
- رائعة... وهي رائعة.. وروعتها أكثر بصوت أم كلثوم.
* بصوت أم كلثوم.. .نعم؟
- يا سلام.. هذي إذا وجدت أعيدها مرتين ثلاثة
* شكراً لك على كل حال.. الأستاذ أحمد السباعي بمناسبة حصولك على جائزة الدولة التقديرية الأولى للأدب وكونك واحداً من هؤلاء الثلاثة الذين اختيروا لمنحهم الجائزة التي تمنح في كل عام للمبرزين في الأدب والكتابة.
- مو للمبرزين... للي يعيشوا من المبرزين.
* والذين يعيشون كما ذكرت.. للمبرزين في الأدب ومجالاته.. نريد في الواقع أن تعطينا كلمة عن انطباعاتك ومشاعرك بمناسبة حصولك على هذه الجائزة؟
- والله مشاعري مشاعر الرجل الذي عاش حياته يبذل ما يستطيع... يبذل جهود المقل فيما يستطيع فإذا وجد اليوم من يقدر هذا الجهد... جهد المقل... يقدره بهذا الشكل وفي هذا اللون... فده في نظري رجل له قيمته الإنسانية.. له إنسانيته العالية.. أي نعم.
* اقتراحاتك للجائزة... أو ملاحظاتك على الجائزة.. يعني لك عدة آراء أو انطباعات للجائزة أن مثلاً... تعطي لمن... وأن تمنح لمن في سن أو في أي سن و...؟

- لا . . أنا ما أرى أنها تكون مخصصة لجزء بعد الخمسين . . . لا

* إنما يكون بالعطاء؟

- أي نعم

* وما رأيك لو توسع فيها بحيث تشمل الأدب وغيره من الفنون والعلوم الأخرى؟

- هذا الواجب . . . . هذا أنا كتبت عنه . . رجوت أن يكون كل الفنون خصوصاً الصناعية.

* والتي نحتاج إليها بشكل كبير جداً؟

- أي نعم

* شكراً لأستاذنا وأديبنا الأستاذ أحمد السباعي والذي أمتعنا بحديثه الطيب عن حياته وعن أدبه وعن فكره ولقاءاته بمن عاشوا معه . . . وتجربته الصحفية الرائدة وكذلك المسرحية . . . شكراً له على كل حال ونتمنى له عمراً مديداً وصحة طيبة إن شاء الله ونتمنى لأدبائنا الذين سوف ينالون بإذن الله تعالى الجوائز التقديرية في السنوات القادمة . . مزيداً من العطاء . . . .

- شكراً لك أستاذ محمد.

بدوي أحمد طبانة

جلست إلى د. بدوي طبانه في مقعد الدرس طالباً جامعياً وفي مرحلة الدراسات العليا، ثم أردت أن أعيد هذه اللحظات وأشرك معي قراء ملحق الجزيرة الأدبي.. لم أضع أسئلة محددة تكشف عن جوانب معينة، بل تركته يتحدث على لسان الماضي الذي عاشه وعاش صراعاته، وأعلامه وتنظير الواقع من وجهة يراها دون أن نذكر اتفاقنا أو اختلافنا معه! لقد تدفق في حديث عن ذكرياته مع أصدقاء الأدب والفكر قبل أربعين سنة، حيث شهدت الساحة المصرية تحركاً فكرياً قوياً، كان ثمرته استمرار العطاء الأدبي ومقاومة عنيفة من بعض الأقلام لمحاولات التجريب. وأترك د. بدوي صاحب الثلاثة والعشرين كتاباً في النقد الأدبي يتحدث إليكم:

* البدايات؟

– التطور شيء طبيعي في حياة الأفراد، وفي حياة الأمم، ولايمكن أن يبقى أمر على حال واحدة، لأن ذلك معناه التوقف والجمود والموت، إن الإنسان ينتقل من طور إلى طور ومن حال إلى حال مادام حياً والشيء المحمود هو الانتقال إلى الأحسن لأن النفس البشرية بطبيعتها تطمح إلى الكمال في كل شيء وإن كان ذلك شيئاً بعيد المنال.

أما بداية حياتي الأدبية فإنها ترجع إلى زمن بعيد إلى عهد الطفولة حين ولعت بالأدب وتعلقت بالشعر، وقرأت فلم يكن في الحياة من هواية – كما يقال– سوى هواية القراءة، وقد كان يعجبني وما أزال قراءة الأدب بأجناسه المختلفة والشعر منها في المقدمة، قراءة التاريخ والفلسفة، ولقد نشأت في عصر أستطيع أن أسميه عصر العمالقة من المفكرين ومن حملة الأقلام ومن أرباب الشاعرية في وطننا العربي في أوائل الثلاثينات.

* بداية النهضة الأدبية؟

– لا استطيع أن أقول أن هذا الوقت كان بداية للنهضة الأدبية الحديثة، فإن عوامل هذه النهضة كانت قد برزت قبل فترة الثلاثينات.. وهؤلاء العمالقة الذين أشرت إليهم وجدوا وكان لهم نشاط فكري ونشاط أدبي قبل هذا الوقت بكثير يرجع ذلك إلى بداية القرن الهجري .. فقد لمع اسم العقاد في وقت مبكر والمازني، وطه حسين، وهيكل، وعبدالرحمن شكري.. لكن البداية الحقيقية لنزعتي الأدبية تأتي مع أوائل الثلاثينات وقد برزت في هذا العقد معالم النهضة، شوقي في القمة بمسرحياته الشعرية الجديدة التي استحدثها في شعرنا العربي، العقاد الكاتب السياسي والناقد زكي مبارك بمعاركه وخصوماته الزيات برسالته والأقلام الكثيرة التي جالت فيها، ومجلة أبولو وأبو

شادي، قلت لك انها وثبة من الوثبات أكثر مما تسمى نهضة أدبية.

والشيء الذي يشوق ويروق في هذه الحياة الأدبية أنه كانت هناك ألوان وصنوف مختلفة المذاق من الفنون الأدبية وكل واحد من هؤلاء يمثل لونا واتجاها بحسب شخصيته وثقافته، وقد نتج عن هذه الحياة الأدبية ظهور طبقة من الأدباء بقيت أسماؤهم بعد هذا الجيل الراحل.. ولعلهم عمروا الحياة الأدبية في هذه الفترة، محمود حسن اسماعيل وليد هذه الفترة المازني، ايضاً وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وصالح جودت، ومختار الوكيل، وأبو القاسم الشابي الذي لم نعرفه قبل ابولو، والهمشري الذي اختطفه الموت بعد بروزه بقوة فقد بدأ ناضجاً، وكثيرون من هؤلاء مدينون لاولئك العمالقة.

ولا أحب أن يفهم من هذا الكلام، ولا من وصفي لاعلام هذا الجيل بالعمالقة أنهم كانوا بريئين من الشطط أو الخطأ، فشأنهم في ذلك شأن سائر البشر.. لقد ركب بعضهم متن الشطط ووقعوا في كثير من الخطأ العلمي والخلقي في سبيل تأكيد الذات، أو في سبيل الدفاع عن النفس.

والشيء الذي يؤسف له في تاريخ هذه المرحلة هو نشوب المعارك الأدبية، واصطناعها وكانت تتميز بالعنف والقسوة، فلم تراع فيها كرامات الناس ومنازلهم ولم تكون مقصوده لوجه الأدب في كثير من الأحايين ويتحمل كثير من أشياعه وتلامذته أكثر الوزر في إيغار الصدور، وإفساد الصلة بين هؤلاء الكبار أمثال العقاد وطه حسين، وابي شادي والرافعي وأنا أعرف كثيراً من هؤلاء الذين كانوا يحيون على هذا الافساد.

* مقولة برزت أخيراً حول بعض الرواد، وأن وراءهم أقلاماً تكتب لبعضهم شعره أو مسرحياته أو نقده؟

– هذه فرية كبرى ومحاولة لا أعرف الدافع إلى بروزها في هذه الأيام، وهي في نظري مأساة وهذا ما جعلني أكتب في بعض ما كتبت بحثاً بعنوان «قمم في مهب الريح». لست أدري السبب الحقيقي، لكني أعتقد أنه سبب غير أدبي أو فني، وغير صادق أيضاً، ولعل هناك قوى خفية وراء هذا الاتهام.

شوقي يقال: إن سعيد عبده كان ينظم له شعره، ويصنع له مسرحياته، محمود تيمور كان وراءه شوقي أمين وعباس خضر، وإبراهيم ناجي كان وراءه التجاني بشير محمد حسين هيكل كان وراءه سيد نور، طه حسين كان سكرتيره فريد شحاته يقرأ ويكتب له... هذه مسائل بعيدة عن التصديق... الهدم سهل والبناء صعب.. قد تساعدني في شيء من الأشياء، لكن أن تمدني بكتاب ليس معنى ذلك أنك الذي كتبته.

ثم ليس من المعقول أن يكون إنسان من هؤلاء المدعين عنده هذه الموهبة الأدبية أو الفنية أو العلمية

يقدمها للناس ويبخل بها على نفسه.

ستظل هذه القمم شامخة في سماء حياتنا الأدبية والفكرية ولست أدري السر الذي يكمن وراء هذه الحملة الضاربة على هؤلاء الأعلام وأعتقد أنها حملة مسعورة بل لا أتحرج في أن أقول: إنها حملة مأجورة.

* صلتك بهؤلاء الأدباء؟

– لقيت عدداً كبيراً من هؤلاء وكانت لي صحبة مع بعضهم.. كنت في هذا الوقت شبه مبتدئ في حياتي الأدبية. صلتي بالعقاد نبتت في وقت مبكر واستمرت إلى أن مات العقاد، وكنت ألقاه في بيته مع مجموعة من الأفاضل، وكتب عن بعض كتبي كتابات قيمة أعتز بها، عن كتابي «معروف الرصافي» وعن كتابي «البيان العربي» وآخر ما كتب في حياته هي مقالة عن كتابي «التيارات المعاصرة في النقد الأدبي».

*وصلتك بالجماعات الأدبية؟

– اتصلت بجماعة أبولو وأستطيع أن أقول لك ونحن في معرض الإنصاف ونتكلم عن موتى، إن أبا شادي قد بذل من نفسه وجهده وماله الشيء الكثير لإخراج المجلة، ولتثبيت هذه الجماعة الأدبية، كامل الشناوي، مختار الوكيل، إبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، الذي بدأ حياته من هذه الجماعة، فقد طبع ديوانه الأول «أغاني الكوخ» بمعونة من زملائه وكانت الروح الأدبية غير الروح التي تراها في هذا الزمان كنت تجد تعاوناً ومحبة بين الأدباء محمود شاب ناشيء لم يبلغ شأوه بعد في عالم الشعر... ويريد أن يبرز نتاجه ولن يجرؤ أحد من الناشرين على أن يضحي بأمواله لشاعر غير معروف، فكان الأدباء من زملائه يبيعون النسخ، ليس في البيع فقط بل كنا نجمع له الاشتراكات فأذكر أنني وزعت له مائة اشتراك وكل اشتراك بعشرة قروش، لأن اثمان الكتب كانت رخيصة والهدف إعانة هذا الناشيء على الوقوف على قدميه لكي يطبع ديوانه الأول.

* المدارس والجماعات الأدبية التي برزت في أوائل هذا القرن، هل لها نظير أو مقابل، يفعل ما فعلته في تنشيط مسيرة الإنسان نحو الوعي بحضوره ومشاركته الصادقة؟

– مستوى الفكر والثقافة الآن لا يرقى إلى مستوى تلك الفترة التي تحدثت عنها، وهي ظاهرة مؤسفة وجديرة بالبحث عن الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء ركود الفكر، وخفوت الأدب، فإذا كنا نبحث عن نشاط فكري أو أدبي، فيجب أن نبحث أولاً عن الأدب الذي يمتلك شيئاً من هذا النشاط، نستطيع أن نقول إن طه حسين مدرسة قائمة بذاتها وكذا العقاد وأبوشادي وإسماعيل مظهر، وسلامة موسى، أمين الخولي زعيم مدرسة ينادي بأن الفن للحياة، وإن كان في رأيي أنه

من دعاة الأقليمية وأنا لا أقره على هذا الاتجاه إنما يتميز بلون خاص المدرسة الفرنسية التي ظهرت معالمها في كتابات ونقد طه حسين ومحمد مندور والذي سمى بالنقد التحليلي أو التفسيري ويرمي إلى البسط والشرح، وإعانة القارئ على الفهم أكثر مما يميل إلى إصدار الأحكام على الأعمال الأدبية فقد كانت هناك ألوان وطعوم مختلفة المذاق فهل نجد شيئاً من هذا الآن غير محاولات نجد بجانبها كثيراً من الدعاوى التي تجنبها الأصلاء.

* قد يكون سبباً مهما في هذا التحرك الأدبي والفكري تواصل التلقي العربي مع العطاء الفكري الأوربي على بدايته في مطلع هذا القرن ولا زال شيء من هذا موجوداً الآن فما السبب الحقيقي – في نظرك– وراء انصراف النتاج إلى هذا اللون المنطبع بالضعف وانعدام الأصالة؟

* أنا لا أوافق على هذا الرأي، ولا القائلين به. أن السبب في هذه الصحوة كان هو الاستعداد من الغرب وحده.. هذا خطأ يقع فيه كثيرون من الناس... الحقيقة التي لا مراء فيها أن الأدب العربي عندنا قائم بذاته، وفيه أصالة وغِنىً لمن أراد أن يبني شخصيته الفكرية، والعقاد والمازني مع قراءاتهما الكثيرة في الآداب والفنون الأدبية باللغة الإنجليزية، وطه حسين ومحمد مندور بالفرنسية... مع ذلك بقيت الأصالة العربية واضحة في نتاجهم...

فالقول أن هذا الاتصال كان كل شيء لا... عامل من العوامل التي ساعدت أننا عرفنا عن هذا الطريق شيئاً من الفكر الجديد... وتجد الآن التخلف الفكري يحمل مظهرين... إما غلو في القديم، وتعصب أحمق له، يدفع إلى إغلاق جميع النوافذ أمام الجديد، وإما جهل تام بالثقافة الأصيلة، فلا يسهل على هذا الأديب أن يذكر حتى أسماء بعض الشعراء العرب. فالأصالة هي التي تبرز نقاء المعدن والجوهر.

* ترى ماهي التحولات التي غيرت مجرى الحياة الثقافية وخاصة النتاج المصري؟

– أنا لا أستثنى الأدب المصري، ولا أي أدب عربي آخر، الحقيقة التي لا شك فيها أن الحياة الأدبية الآن لايمكن أن أقول إنها امتداد للحياة الأدبية التي كانت رائجة في العصر الذي حدثتك عنه، البون بعيد، والسبب في ذلك أن الخلفية الفكرية والثقافية متخلفة. سل هؤلاء الذين يكتبون ... ماذا تعرفون من لغة العرب؟ ماذا تعرفون عن أدب العرب؟.... عن تاريخ العرب؟... عن أسرار عقيدة العرب؟ عندنا شخصيات عربية نباهي بها، وباتجاهها الفكري، ولم يكن اتجاهاً محصوراً أبداً. هذا الجيل جيل ضعيف يريد أن يصل إلى السطح، إلى القمة من غير أن يصعد في درجات السلم، هؤلاء الذين ذكرتهم جميعاً عاشوا معاناة شديدة في حياتهم.. ربما مرت بهم فترات وهم لا يجدون القوت الذي يأكلون ولكنهم كانوا يصارعون في سبيل المعرفة وفي سبيل التحصيل، والتحصيل ينبغي أن يبدأ مما عندنا، عندنا مقومات أصيلة صالحة للانطلاق منها

ويؤسفني أن كثيرين من أبناء هذه الأمة لا يؤمنون بهذا الرأي، ولا يرون جيداً إلا ماهو غريب وأضيف أن تماسك الشخصية ومعرفة الانتماء إلى مجموعة لها قيم صالحة للحياة بنواحيها المختلفة سبب رئيسي في ضعف شخصية بنية المثقف العربي. أنا لا أحجر، ولا أمنع، بل أرجو أن يتثقف المفكر العربي بما يستطيع من الثقافات الإنسانية، وهذا التفاعل شيء طبيعي. فأوربا استفادت كثيراً من ثقافتنا، وهذه حقيقة بدهية، العالم الإنساني يتبادل آثار العقليات والثقافات.

* قد يكون الاتجاه السياسي له أثر في توجه ألوان من الأدب إلى جهة مقصودة سلفاً لمنفعة معينة؟

– صحيح .. ولعل هذا من جملة الأسباب في الركود الذي تشير إليه التوجيه السياسي... العوامل المتضاربة في الأدب العربي كلها لها تأثير.

* حتى في بعض الأقطار العربية تكاد أن تصل إلى نظرية الالتزام في الأدب الاشتراكي؟

– في البلاد التي تسربت إليها هذه الدعوات.

* د. بدوي ... كتبت عن معروف الرصافي وعن أدبيات العراق، فما هو انطباعك عن الأدب العراقي.

– عشت في العراق فترة لا بأس بها أستاذاً في الجامعة، وتكونت لي صداقات كثيرة، وقد ذهبت إلى العراق مرتين، مرة في الأربعينات، ومرة في الستينات، وفي كلتا الفترتين وجدت حياة أدبية... ولولا هذه الصغائر التي توجد في الأدب، كالتلاحي بين الأدباء، والتخاصم بينهم ظاهرة تهبط بمستوى الأداء الأدبي... ويعجبني أن أستشهد في هذا ببيتين من قصيدة أبي تمام تلك القصيدة التي أنشدها في مدح محمد بن عبدالملك الزيات الوزير:

أبا جعفر إن الجهالة أمها ولود وأم العلم حذاء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم شعوب تلاقت دوننا وقبائل

التواصل بين أهل العلم الذي يجب أن يقدروه، بين أهل الفنون أبدا كل واحد على رأي المثل المصري «يا أرض انهدي ما عليك أدي». عرفت هنالك المرحوم رضا الشبيبي، وزير المعارف، ورئيس مجلس الأعيان، ورئيس المجمع العلمي العراقي، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة... مهدي الجواهري، محمود الحبوبي، وهؤلاء يمثلون الجيل الماضي وكذلك الشاعر حافظ جميل وحازم سعيد، وخالد الشواف وهلال ناجي، ثم الجيل الذي أتى بعدهم، السياب، والبياتي، والأدبيات لميعة عباس عمارة، ونازك الملائكة، وعاتكة الخزرجي، وسواهن.

* وماذا تذكر عنهن؟

– درست على يدي نازك الملائكة في آخر سنة من تخرجها، وعاتكة الخزرجي، وأذكر أنها كانت في قاعة الدرس تلتزم لبس العباءة طوال المحاضرة ولكن الحال تغير بعد أن تخرجت،

ولميعة عباس عمارة وهي صابئية ويبدو أن كثيراً من غير العرب وغير المسلمات يميلون إلى الاتجاهات اليسارية وهكذا كانت لميعة في شعرها الأول، نجد فيه تعابير الشيوعيين، الكفاح، الطبقة الكادحة مثل هذه الأشياء كنت أرى هذا في أدبها القديم وأعتقد أنها نسيت هذه النزعة في هذا الزمان، ربما تعيش الآن حياة تختلف كثيراً عن حياتها السابقة، لأنها كانت تبدو فقيرة بائسة، وقد عبرت عن هذا البؤس في أعمال أدبية كثيرة، ألفتها في مطلع حياتها الشعرية.

* وعلاقة بدر شاكر السياب بلميعة، هل ترى أنه أثر في أدبها؟

– العلاقة كما قلت كانت هذه النزعة، وكان هذا الاتجاه سببه الفقر الشديد، الذي كان يحيا فيه بدر شاكر السياب، وكان منظره وهو طالب عندي يدل على هذه الفكرة السائدة عن بدر –لقد رجع عن هذه الآراء جميعاً فيما بعد، وعاد إلى إيمانه وإسلامه، أريد أن أؤكد هذه الحقيقة، وله شعر ثابت رجع فيه عن كثير من الأحاسيس التي كان يعبر عنها في مطلع حياته، حتى الشعر الحر الذي يعرف أنه واحد من أعلامه رجع عنه في آخر الأمر، وقال: إننا ضحينا بالوزن، وضحينا بالقافية لتحصيل كذا، ولكننا خسرنا كل شيء ولم نحقق شيئاً.. وهذا رأيه، وهو مكتوب عندي..

* لكن التطاحن بين الفكر التقدمي العربي، وبين العلماء الطامحين إلى التراث هو الذي ولد فيه شرارة القضاء على كل ما هو قديم، والتطلع إلى مستقبل لا يعتمد اعتماداً كبيراً على الموروث؟

– هذه الأفكار والقول يطغيان على الفكر الجديد.. هذا كلام يقوله الضعفاء من غير شك إنما العربي الذي يشعر بالانتماء إلى أمة جديدة بالبقاء لا يحس بهذا الإحساس... وقد لا يعجبك أن تسمع مني، أنني أشك في هؤلاء اليساريين جميعاً.. وأكرر: إنهم مأجورون لتخريب هذه القيم السائدة في هذا المجتمع.

جابر أحمد عصفور

* أيها الإخوة والأخوات. . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطابت أوقاتكم بكل خير مرحباً بكم إلى لقاء هذه الليلة من برنامج «ضيف الليلة» ونسعد في هذه الليلة الطيبة بلقائنا مع الأستاذ الدكتور جابر أحمد عصفور. . . الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية. . وأستاذ النقد الأدبي بكلية اللغة العربية بجامعة القاهرة نحن في الواقع زرنا المجلس الأعلى للثقافة. . . وتجولنا في أروقته ومكاتبه ووجدناه عامراً بالنشاط وبالحيوية. . . ونحاول أن نقتطع من وقت الدكتور جابر شيئاً ما للمستمع الكريم. . لإظهار مدى النشاط الأدبي والثقافي والفكري للدكتور جابر في منتجاته الدراسية والعلمية مرحباً بك ضيفاً علينا وعلى المستمع العربي.

- أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم في القاهرة وفي جمهورية مصر العربية بوجه عام. . . وفي المجلس الأعلى للثقافة بوجه خاص.

* دكتور جابر. . . نحن في ضيافتك ساعة كاملة في الواقع، وأنت أيضاً في ضيافتنا . فنود أن نقدم مفاتيح للحوار، مفاتيح لشخصيتك بشكل عام. الذي أعلمه أنه قد صدر لك مجموعة كبيرة من الكتب، لعل من أبرزها الصورة الفنية في القصيدة العربية والشعر العربي .. في (التراث النقدي)؟

- مؤلفاتي تنقسم إلى قسمين: القسم الأول أشياء مؤلفة، وهذه تشمل الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. ثم جاء بعده كتاب اشتركت فيه مع آخرين عن حركات التجديد في الأدب العربي، ثم جاء بعد ذلك كتاب مفهوم الشعر، وبعد ذلك كتاب المرايا المتجاورة وهو من نقد طه حسين، وكتاب قراءة التراث النقدي. . إلى آخر المؤلفات الخاصة بالدراسات النقدية على المستوى النظري. وعلى المستوى التطبيقي هناك مجموعة من الكتب المترجمة. . . يمكن أن نذكر منها كتاب عصر البنيوية، وكتاب النظرية الأدبية المعاصرة.

* جميل . . طبعاً هذا النشاط الكثيف المكثف للدراسات الأدبية والنقدية يبدو عشته وأنت أستاذ متفرغ للدراسات النقدية في الكلية. . . كلية اللغة العربية بجامعة القاهرة. لكن مع مسؤوليتك الآن في المجلس الأعلى للثقافة أعتقد أنك لن تجد وقتاً كثيراً لمزاولة نشاطك النقدي كالسابق دكتور؟

- والله هذه مشكلة لأنه أنا أعمل أستاذ النقد الأدبي في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة . وفي الوقت نفسه رئيس للقسم، ثم أضيف إلى هذه الأعباء عبء رئاسة تحرير مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، ويبدو أن النشاط الذي أقوم به هو الذي .. يعني.. أتى بهذا

المنصب. ومن المؤكد أن الأمانة العامة للمجلس الأعلى للثقافة سوف تأخذ كثيراً من الوقت هذا أمر لاشك فيه لكن مهما أخذت من وقت فسوف أحذف الجزء الإداري.. بمعني أنه يمكن التخفف من أعباء رئاسة قسم اللغة العربية وتركها لأحد الزملاء، يمكن الاستعانة بمجموعة من الزملاء للمعاونة في تحرير فصول وتخطيطها. وذلك من أجل أن أحتفظ بالوقت المقدس الذي أرى أنه الوقت الذي لا ينبغي التخلي عنه، وهو الوقت الخاص بالقراءة والمتابعة النقدية.. وأرجو أن أتمكن من تحقيق المعادلة الصعبة في الوصول إلى صيغة يتوازن فيها الجهد العام والجهد الخاص. لأني دون الناقد سوف أفقد -أتصور- أهم مافي شخصي وشخصيتي.

* نعم دكتور... المجلس الأعلى للثقافة تابع لوزارة الثقافة أم هو منفصل؟

- المجلس الأعلى للثقافة باختصار شديد هو عقل وزارة الثقافة. وهو الذي يقوم بالتخطيط لكل أنشطة الوزارة المختلفة والتنسيق بينها... ويرأسه وزير الثقافة شخصياً. والمجلس يقوم على مكتب أساسي فيه مجموعة بارزة من أهم المثقفين أو قل هم أهم المثقفين في جمهورية مصر العربية من خلال ثلاثة شعب: شعبة للآداب، وشعبة للفنون، وشعبة أخرى للعلوم الاجتماعية والإدارية وما يتصل بذلك. ومن هذه الشعب تنبثق مجموعة من اللجان يصل عددها إلى حوالي -يعني- ثماني عشرة لجنة: المسرح والسينما، الشعر، القصة، العلوم السياسية، العلوم الاجتماعية، العلوم النفسية، مختلف فروع المعرفة. وهذه اللجان تمارس نشاطاً تخطيطياً وفي الوقت نفسه تمارس نشاطاً ترشيدياً، وتعلن سنوياً عن جوائز الدولة التشجيعية، وجوائز الدولة التقديرية، إلى آخره. ويرتبط هذا العصب بمجموعة من الأجهزة أو المؤسسات التابعة له، والتي تمثل كلها كياناً يعتبر هو النواة الأساسية في وزارة الثقافة.

* نعم دكتور... نحاول الآن الدخول لشخصيتك يا دكتور، تكوينك الثقافي الأوّلي؟

- أهلاً وسهلاً

* التكوين الأولي لك ثقافياً، هل اهتديت إلى طريقك الأدبي والثقافي والفكري بمحض الصدفة أم أن هناك نوعاً لك في الأسرة، من أبٍ مثلاً أو قريب أو مشرف تولى تربيتك وصناعتك نقدياً، وأهدى لك كذا كتاب وعلمك على الطريق الأول للقراءة الجادة التي كوّنت شخصيتك؟

- أظن أن الأب له في هذا الدور الأول.. لأنه رحمة الله عليه كان دائماً يردد وأنا طفل... وأظن أن هذه الجملة هي كانت أول الجمل التي بدأت أعي بها - فكان يقول: «أرجو أن يمد الله في عمري وأراك مثل طه حسين». ويبدو أنه بهذه الجملة غرس في نفسي محبة الأدب العربي ومحبة الدراسات العربية. وبدأ البحث عن طه حسين.. وأظن أنه في المرحلة الابتدائية تعرفت طه حسين من خلال كتابه العظيم (الأيام).. وأدهشني هذا الكتاب بما فيه من قدرة صاحبه على تحدي البيئة

والعلاقات والتقاليد والمجتمع والعجز الجسدي الذي تمثل في العمى. وكيف أن طه حسين رغم هذه الظروف استطاع أن يحقق نفسه وأن يصل إلى كل ما حلم به تقريباً ولم يكتف بتعليم نفسه فقط بل نشر شعار (التعليم كالماء والهواء) في ربوع الأمة المصرية كلها.. وأسهم أيضاً في التنوير أو في حركة التنوير على امتداد الوطن العربي. ويبدو أن هذا الكتاب هو الذي دفعني عندما دخلت الجامعة إلى أن أختار القسم الذي كان فيه طه حسين.. وكانت رغبتي هائلة في أن أتتلمذ عليه تتلمذاً مباشراً.. وللأسف كان طه حسين رحمة الله عليه قد كبر في السن ولم يكن يدرّس في هذا الوقت لطلاب المرحلة الدنيا (الأندر كلا جور) وكان يقوم بالتدريس أحياناً لطلاب الدراسات العليا. فاندفعت بدأب وحماس لكي أصل إلى الدراسات العليا حتى يدرّس لي. لكن للأسف عندما وصلت إلى الدراسات العليا كانت صحته قد بدأت تضعف وامتنع عن التدريس في الجامعة. لكن على أي الأحوال ظل الرجل في ذهني بوصفه رمزاً ومعنى وقيمة وأحسب أن هذا هو الذي دفعني إلى أن أكتب عن نقده كتاباً في أكثر من خمسمائة صفحة وهو من الكتب التي أعتز بها كل الاعتزاز. وصدقني أنني لم أشعر بخوف أو رهبة في حياتي قدر ما شعرت عندما بدأت عملي رئيساً لقسم اللغة العربية.. فقد كان إحساسي حاداً بأنني أجلس على كرسي طه حسين وأترأس القسم الذي كان يرأسه طه حسين. وبقدر ما كنت مرعوباً وخائفاً كنت أدعو الله في أعماقي إلى أن يوفقني لكي أحقق الأهداف التي كان طه حسين يضعها نصب حياته وأن لا أحيد عن المبادئ الأساسية التي نادى بها طه حسين، والتي كان لحسن الحظ خلفت مجموعة من التقاليد هي التي تهتدي بها إلى الآن في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة.

* ربما كان هذا الكتاب يادكتور... كتاب الأيام.. هو البداية الأولى؟

- نعم

* التي أضاءت لك طريق القمة؟

- نعم نعم

* ولكن ثمة أمور أخرى ساعدت على تكوينك الفكري والثقافي... هناك قراءات بالتأكيد مثلاً في الفولكلور الشعبي في التراث العربي القديم... ربما هناك شخصية أخرى ثقافية أو فكرية صاحبتها أو جاورتها وكان لها بعض التأثير.. لأنه من الصعب جداً أن يكون هناك بمحض الصدفة شخصية ثقافية تنبع من نفسها لنفسها دون مساعدة. ودون إرشاد.... دون ضبط؟

- مؤكد.. مؤكد هناك عوامل كثيرة أسهمت في تكويني الثقافي منذ البداية.. لكن عندما أتوقف عند طه حسين... ذلك لارتباطه بأمنية كان يتمناها أبي.. ولأن طه حسين (يعني) يظل علامة فذة وفريدة في ثقافتنا العربية لكن منذ الصغر هناك نوافذ متعددة كانت تتفتح في وعيي وتشكل ما يمكن

أن تسميه بنيه الوعي الثقافي هناك أولاً الثقافة الدينية التي كنا نتلقاها ونحن صغار بشكل عفوي من (يعني) خطباء المساجد وكان من حسن حظي أن خطب المسجد المجاور لبيتنا في مدينتي التي أنتمي إليها وهي المحلة الكبرى... كان خطيب المسجد رجلاً مستنيراً عقلانياً محباً للأدب بشكل جميل. وهو نفسه كان يقرض الشعر. فهذا لحسن الحظ قدم لي صورة رجل الدين الذي يتمتع بقدر هائل من الاستنارة والذي يجذب إليه الشباب الصغار بما ينطوي عليه من ثقافة وبما ينطوي عليه من قيمة دينية محبة تقربك إلى الدين بمعناه الإيجابي ولاتنفرك من الصورة المخيفة التي يتصور بها بعض رجال الدين أحياناً. هذا الأمر استمر... ولعل هذا أورثني محبة قراءة التفاسير وشروح الأحاديث وحرص على أن توجد كل هذه الأشياء في مكتبتي رغم كل ما انطوت عليه ثقافتي بعد ذلك من جوانب متعثرة معقدة ومتنافرة أحياناً. بعد ذلك يأتي إلى جانب دور المسجد في التكوين من دور ما سمي بقصور الثقافة وبيوت الثقافة وهذه من أجمل الأشياء التي حدثت في مصر والتي أسعد الآن لحسن الحظ أنني أشترك في (يعني) الإضافة إليها والاسهام فيها. أنه منذ أواخر الخمسينات ومطالع الستينات بدأت تنتشر في المدن المصرية بيوت للثقافة تقدم الثقافة للشباب، ومكتبات متاحة لهم، وأظن أنه من خلال هذه المكتبة وقبل أن نصل إلى المكتبة المتاحة في المدرسة الثانوية تعرفنا على الكتّاب الأساسيين. وإلى جانب المسجد وبيت الثقافة هناك قبل المدرسة ما يمكن أن نسميه بالصفحة الأدبية، وما يمكن أن أسميه أنا بالصفحة السمعية للثقافة في الإذاعة. لأنه لم يكن هناك تلفزيون في ذلك الوقت. فمن خلال ما كنا نقرؤه لطه حسين والعقاد ولشباب الأدباء الذين كانوا في هذا الوقت من أمثال نجيب محفوظ وعبدالحميد جودة السحار كانوا... كان طه حسين يطلق عليهم شباب الأدباء... نجيب محفوظ ويوسف إدريس ويوسف السباعي وعبدالحميد جودة السحار وغير هؤلاء من الكتاب الكبار أو الشيوخ (هذا بمعنى أصح). أنا أتصور أنه من خلال الصحيفة، خصوصاً الملحق الأدبي، ومن خلال الأحاديث الإذاعية الأدبية... كان طه حسين له أحاديث... والعقاد كان له أحاديث... أنا أتصور أن هذه نافذة مهمة جداً في الثقافة ولعلي أنتهز فرصة هذا الحوار لكي أؤكد الدور المهم الذي يمكن أن يقوم به الملحق الأدبي في الجريدة. والدور المهم الذي يمكن أن يقوم به البرنامج الثقافي في الإذاعة والحديث الثقافي... في الوقت نفسه خصوصاً عندما يقدم هذا الحديث نخبة من كبار الأدباء والكتاب الذين يمثلون منارة للرأي العام ومنارة للاستنارة.. في الوقت نفسه طبعاً يأتي بعد ذلك النافذة الرسمية وهي المدرسة الثانوية بمكتبتها وبالاشتراك في أنشطتها وهنا أذكر أستاذين جليلين رحمهما الله.. أحبهما كل الحب وأدعو الله أن يكثر أمثال هذين الأستاذين في مدارس الأمة العربية كلها، الأول مدرس اللغة العربية الذي أسهم في أن جعلني أحب هذه اللغة وأتعرف أسرارها بشكل جميل محبب إلى

نفسي وليس بالطريقة المنفرة التي نراها للأسف الآن... والتي أراها أنا شخصياً عندما أراجع دروس اللغة العربية مع ابني وهو في المرحلة الثانوية. وهناك الأستاذ الثاني وكان أمين مكتبة.. فهذا الرجل رحمة الله عليه ما إن استشعر رغبتي في الاطلاع حتى أخذ يقدمني إلى أرفف المكتبة.. ويقدمني إلى مجموعات الكتب، أقرأ في هذا الجانب وأقرأ في ذاك وأحياناً كنت أقرأ كتباً يطلب مني قراءتها، وأذكر أنني لم أكن أفهم شيئاً على الإطلاق في هذه الكتب لأن مستواها الثقافي كان أعلى من مداركي. وأذكر مثلاً على سبيل المثال لأني عدت إلى هذا الكتاب بعد ذلك وقرأته كي أفهم ما لم أفهم من قبل.. أذكر جيداً أنه طلب مني أن أقرأ كتاب مشكلة السلوك السايكوباتي في علم (النفس) وكنت طالباً في المرحلة الثانوية في السنة الأولى وبالطبع لم أفهم شيئاً كثيراً من هذا الكتاب لكن على الأقل حتى مع عدم الفهم تثار فيك مجموعة من الأسئلة التي تحفزك إلى ترقب اليوم الذي تستطيع أن تفهم فيه أمثال هذه الكتب. ثم تأتي المرحلة الجامعية وهي المرحلة الأساسية بالطبع في التكوين التثقيفي حيث حظيت بمجموعة من الأساتذة الرائعين: شوقي ضيف، سهير القلماوي، عبدالعزيز الأهواني عليه رحمة الله وخليل يحيى تامي عليه رحمة الله وعبدالحليم النجار عليه رحمة الله، ومحمد كامل حسين، ومجموعة هائلة من الأساتذة أناروا لنا الطريق وزرعوا فينا مبدءاً أساسياً مؤداه أن المعرفة الإنسانية لا تتجزأ وأنه بقدر ما عليك أن تتعمق في ثقافة قومك وتتعمق في تراثك فإن عليك أن تكمل ذلك بالاطلاع على آداب الأمم الأخرى. وربما من هذا التكوين في كلية الآداب وفي قسم اللغة العربية تجد فيّ هذه الموازنة دائماً بين الثقافة الأجنبية والثقافة العربية وتجدني أكتب في التراث النقدي في الوقت الذي أترجم فيه أحدث النظريات النقدية، الغربية.

* مثل نظرية الأدب لـ(جباين ساثر مان)؟

- مثل النظرية المعاصرة لـ(رامان سلمون) مثل عصر البنيوية لـ(ا.د.ت. كوزول) مثل كتاب في المطبعة الآن عن أحدث التيارات النقدية وخصوصاً نظرية التفكيك عند (دييداه) وأمثاله.

* دخلت مجال البنيوية النقدية وهو مجال صعب يادكتور... فهل تتوقع طبعاً أن الدراسات المترجمة التي يقوم بها النقاد وخاصة من المغرب العربي لهذا الفكر النقدي على وشك الانتهاء.. لأن الغرب يبدو قد تجاوزها الآن ودخل في معمعة من التفكير النقدي جديدة فلماذا نحن نأخذ بعد أن يترك الآخرون؟!

- هو سؤالك ينطوي على أمرين... الأمر الأول خاص بعلاقتنا بالنظريات الغربية. أتصور أننا لا يمكن أن ننعزل عن عالمنا وعلينا أن ننفتح على آفاق العصر. وأحسب أن أهم ما تعلمه العرب في كارثة الخليج أن التفوق في العلم هو السبيل الأساسي والأول لتأكيد الحق... وأن العلم في

عصرنا قد وصل إلى درجة هائلة لايمكن تجاهلها وأنه آن الأوان لأن نتسلح بأحدث أساليب العلم.. والعلم لا وطن له.. العلم يشمل الإنسانية كلها.. وما ينطبق على العلم ينطبق على غيره في الدراسات الاجتماعية والإنسانية... فأنت لا تستطيع أن تعيش عصرك دون أن نتعرف على أهم اتجاهات هذا العصر وتياراته ومن ثم فأنت مطالب بأن تعرف ما يحدث في العالم من حولك لاعلى سبيل التقليد لأن من يقلد القدماء من (يعني) أجداده كمن يقلد المعاصرين الذين على الضفة الأخرى من حوض البحر الأبيض المتوسط... يظل يقلد ولايفيد شيئاً.. وعليك أن تتعامل مع هؤلاء بمنطق الوعي النقدي الذي يفرز والذي يختار والذي يتمثل والذي يوائم بين أسئلته هو وأسئلتهم هم ويحرص باستمرار على أن يكون ما يفيده عنهم متجهاً أساساً لصالح تقدمه هو ولصالح تقدم واقعه الخاص. هذا فيما يتعلق بالأمر الأول فيترتب على هذا الأمر الأول السؤال الفرعي الخاص بالبنيوية، البنيوية حركة ازدهرت في أوربا ثم الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين عام ١٩٥٥ على وجه التحديد حين نشر (كلورد لعد شتراوس) في فرنسا كتابه المدارات الحزينة أو المدارات (الشاجية) لـ(لنرسترويك) وانتهت هذه الحركة رسمياً عام ١٩٦٨ عندما قامت مظاهرات الطلاب في فرنسا. وما بين ٥٥ إلى ٦٨ هي الفترة الذهبية للبنيوية في أوروبا وفي الولايات المتحدة أيضاً.

* المصاحبة للفكر الوجودي يادكتور؟

– لا... هي جاءت بعد الفكر الوجودي ورد فعل له في الوقت نفسه... لأننا لو تأملنا المشهد في أوربا في أعقاب الحرب العالمية الثانية سنجد أن في فرنسا مثلاً على سبيل المثال كانت الوجودية من ناحية والماركسية من ناحية ثانية هما الفلسفتان الأساسيتان. ونتيجة لعجز هاتين الفلسفتين جاءت البنيوية رد فعل على الماركسية من ناحية وعلى الوجودية من ناحية ثانية ومحاولة لاستشراف أفق ثالث.

* هذا في شكل البنوية الفلسفي؟

– هذه البنيوية من حيث هي حركة طبعاً... من هذه الحركة تفرعت مجموعة من المناهج الفرعية في مختلف العلوم الإنسانية سواء في الأنتربولوجيا.. سواء في التاريخ.. سواء في الدراسات الأدبية... نحن العرب تعرفنا البنيوية بعد (تقريباً) بعد أن انتهت رسمياً في أقطارها يعني بعد أن انتهت كحركة سائدة، لكن هي لم تنته تماماً يعني مازال حتى الآن إنجاز بنيوي في القارة الأوربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي غيرها. لكن لم تعد هي السائدة، لم تعد هي البارزة، لم تعد هي النجم، أصبحت مجموعة من المناهج الموجودة مع بقية المناهج، بعد أن انتهى وهج الحركة وانطفأ المسرح أو انطفأت أضواء المسرح كما يقولون.. نقلنا نحن البنيوية لأنا نحن

العرب للأسف نتعرف الأشياء بشكل (متأخر) متأخر. وحـــدث نوعان من التعرف: النوع الإيجابي وهو الذي انطلق من وعي نقدي ومن محاولة إفادة جادة. وهذا قد خلف مجموعة من الكتابات الممتازة على امتداد الأمة العربية.... هذا قد خلف مجموعة من الكتابات الممتازة على امتداد الوطن العربي. في المغرب هناك أسماء لامعة مثل الدكتور محمد برّاده، وفي تونس هناك عبدالسلام المسدّي وحمادي صمّود وفي مصر هناك صلاح فضل وسيزا قاسم وغير هذين... وفي سورية والشام كمال أبوديب وغير كمال أبو ديب وعندكم في المملكة الجهد الطيب والممتاز الذي قدمه عبدالله الغذّامي في كتابه عن الخطيئة والتكفير وهذه الجهود أنا أضعها في منطقة الجهد الإيجابي البناء الذي يأخذ معتمداً على معرفة تراثية وعلى معرفة بالأسئلة الأساسية للواقع ويحاول أن يفيد مما يعرف يسهم إسهاماً إيجابياً في واقعه الأدبي والثقافي. وهناك الجهد السلبي، وهو للأسف الجهد الذي ينقل نقلاً شائهاً والذي لا يتعمق ما ينقل فيقدم البنيوية وغير البنيوية التقديم الذي ينفر منها القراء وأحسب أن الكتّاب في هذا الجانب الثاني هم المسؤولون عن سوء الفهم الذي وضع فيه كثير ممن يهاجمون البنيوية وغير البنيوية من الاتجاهات الجديدة. لكن الأمر علينا أن نعترف بأنه ليس أمر سوء فهم فقط فهناك دائماً في الحياة من يتّطلع إلى الجديد ومن يتطلع إلى التغير ومن يريد أن يصل إلى مرتبة أخرى من الإضافة وهناك من يرفض أي إضافة ويشعر أن الجديد يمكن أن يهدده ويهدد مكانته فيتمرد ويصيح إلى آخر الصيحات التي نسمعها أحياناً من منطق الرفض لهذا الجديد.

* دكتور لدي سؤال عن النقد وعن النظرية النقدية التي يجب أو يحسن في الواقع يحسن أن نتتبعها وأن نتصورها وأن نطبقها على النص الأدبي لدينا نحن العرب، ولكن قبل أن نصل إلى هذا السؤال بودي لو أن أسأل عن سماعك لكي نأخذ نقلة بسيطة جداً للحوار من سماعك. ماذا تسمع لكي نقدم لك من مكتبة الإذاعة.

- ياريت اسمع أولاً... أنا كلاسيكي وفي السماع فأنا أحب أولاً الموسيقى العربية: سيد درويش، وعبده الحامولي وفي هذا الجانب أشعر بحنين جميل إلى ماضي متسق منغم، وفي الوقت نفسه أعشق الموسيقى الغربية وعندي ميل خاص لبتهوفن لما ينطوي عليه من اندفاع وعنف وعاصفة وتمرد. وأما من المطربون من المطربين الحدثين فأنا أعشق محمد عبدالوهاب خصوصاً في غنائه للشعر. سواء كنا نتحدث عن الجندول وغير ذلك من القصائد التي غناها محمد عبدالوهاب أو حتى القصائد العامية التي كتبها له أحمد شوقي.

* اختر لك يا دكتور قصيدة مغناة تتفق مع مقامك النقدي

- ياريت

* بالعربية الفصحى

- ياريت... ياريت

* أي سر فيك إني لست أدري   كل مافيك من الأسرار يغري؟

- مثلاً مثلاً يعني هذه واحدة من أغنياتي... وطبعاً إلى جانب محمد عبدالوهاب أحب أيضاً السيدة أم كلثوم في الأغاني الشعرية. خصوصاً رباعيات الخيام وقصائد أحمد شوقي.. وإلى جانب فيروز أنا أحب جداً أن أسمع فيروز ربما لأنها تميزت أيضاً بغناء القصيدة العربية بكل ما تنطوي هذه القصيدة عليه من قيم. ولا أظن أن أحداً من المحدثين قد شغل انتباهي وأبحث أحياناً عن أغانيه واستمع إليها مثلما أفعل الآن مع علي الحجار... فأنا أظن أنه من الأصوات المهمة والواعدة الآن. وبيني وبينك أنفر نفوراً هائلاً من الأغاني التي نسمعها الآن والتي ليس فيها سوى مجرد. كما نقول بالعامية المصرية - ضبط وزرع.

* * * *

* دكتور بودّي أن نتصور نظرية أدبية نقدية -وهذا لا أود أن تبحر فيه كثيراً باعتبارك متخصصاً في الواقع في النقد لأنه لدينا بعض التساؤلات حول قضايا ثقافية أخرى- نظرية أدبية نستطيع أن نطلق عليها مثلاً النظرية الشاملة أو المتكاملة، قائمة على المنهج التكاملي في النقد بمعني أن نأخذ من التراث النقدي الأدبي شيئاً مما فيه من النظرات الجميلة وكذلك لايمكن أن نغفل النظر عن الإتجاهات النقدية العالمية سواء كانت بنيوية أم تفكيكية وغيرها لكي ندخلها مع مجموع موروثنا النقدي، هل يمكن الوصول إلي نظرية متكاملة بهذه الصورة؟

- أظن أن هذا ممكن وليس الأمر من قبيل الإمكان فقط بل هو من قبيل الواجب فلا مستقبل نقدياً لمن ينقل ويكتفي بالنقل. ولا مستقبل حياتياً لم يستهلك ويكتفي بالاستهلاك ولايقوم بالإنتاج فأنت بقدر ما أنت مطالب بأن تتعرف على كل شيء عليك أن تصوغ مما تعرف نظرية تحقق مجموعة من الاعتبارات.

أولاً: تنطوي على أفضل مافي تراثك من إنجاز.

ثانياً: قادرة على مخاطبة كل مافي العصر والإفادة منه.

ثالثاً: متفاعلة تفاعلاً وثيقاً مع مشكلات الواقع الذي تعيش فيه.

إذا تحققت هذه الجوانب الثلاثة. أنا أتصور أن الناقد الذي يصنع هذه الجوانب في اعتباره وضعاً فعلياً يسير في طريق ينتهي به في النهاية إلى هذه النظرية الشاملة التي يمكن أن نصفها بأنها إنجاز عربي... وهذا قد حدث وإذا -بدون دخول في ا لتفصيلات- إذا تذكرت اسم عبدالقاهر الجرجاني صاحب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، إذا تذكرت حازم القرطاجني فسوف تجد أن

كليهما قد حققا هذه المعادلة الثلاثية الجوانب. عبدالقاهر الجرجاني مثلاً قرأ معارف العصر المتاحة له سواء المترجمة عن الفارسية أو المترجمة عن اليونانية وفي الوقت نفسه كان يعرف تراثه جيداً... وبقدر معرفته بتراثه كان يعي كل الوعي المشكلات التي يطرحها عليه عصره في القرن الخامس للهجرة. ومن هنا جاءت قيمة عبدالقاهر الجرجاني ولم يتبع نظرية النظم لتبرير الإعجاز القرآني فحسب بل ابتدع نظرية أسلوبية من خلال نظرية النظم هي من أهم النظريات الموجودة لدينا الآن والتي قال أكثر من واحد ابتداءً من محمد مندور وانتهاءً بكل النقاد المعاصرين إنها استشرفت أفقاً سبق بقرون عديدة ما توصل إليه فردينان دوسيسور مثلاً في هذه القرن.

* ما هي هذه النظرية؟

– هي نظرية النظم..

* النظرية الأسلوبية يادكتور..؟

– أعني النظرية الأسلوبية التي تبدأ من النظر إلى النص الأدبي باعتباره نظماً لغوياً بشرياً.. ثم البحث عن العناصر المكونة لهذا النص الأدبي من حيث هو لغة.. ذلك لأن عبدالقاهر كان يلحّ دائماً على أن النظم الذي هو توخّي معاني النحو بين الكلم هو الذي يميز عملاً أدبياً عن أي عمل أدبي آخر والذي يميز القرآن في النهاية عن بقية الأعمال الأدبية البشرية.

* نعم.. الوجه الأسلوبي هو الصورة الأخرى لنظرية النظم إذاً؟

– تماماً.. الوجه الأسلوبي هو الصورة الأخرى لنظرية النظم في جانبها التطبيقي على الأعمال الأدبية والنصوص الأدبية.

* بمعنى أن عبدالقاهر الجرجاني يرى أن الألفاظ منثورة في الطريق تقريباً ولكن العبرة بجودة السبك وحسن الرصف وهي من (يعني) دلائل الإعجاز أن يأتي المبدع بأسلوب متناسق متماسك كألفاظ متناغمة جميلة.. هنا النظم المعجز... وهذه النظرية انطبقت بكل الفخر على القرآن الكريم وبهذا صار معجزاً بعيداً عن المحاكاة وبعيداً عن أي صورة بشرية للإعجاز البشري؟

– هذا الجانب الذي تشير إليه عندما نتحدث عن الكلمات هو الجانب الذي ربط بين عبدالقاهر وأسلافه خصوصاً الجاحظ، لأن الجاحظ هو الذي قال هذه العبارة الشهيرة: المعاني ملقاة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والحضري وإنما الشأن في الصياغة وفي النسج... وعبدالقاهر أخذ ما قاله الجاحاظ ضمن ما قاله الآخرون وصاغ منه نظريته الشهيرة التي ترى أن النظم علاقة بالدرجة الأولى. وأن صاحب نظرية النظم لايركز على الكلمات من حيث هي كلمات مفردة وإنما يركز على العلاقات بين الكلمات. فما يميز نصاً أدبياً عن كلام غير أدبي هو أن العلاقات في النص الأدبي تتميز بخصوصية خاصة. ولهذا السبب هو نفسه عرف النظم بأنه توخّي

معاني النحو بين الكلم. وبين الكلم هذه هي مفتاح كل نظرية عبدالقاهر لأنه يهتم بالعلاقات بين الكلمات. وفي هذا (يعني) يكمن سر عبقرية عبدالقاهر في نظريته. وما تقوله بالمناسبة البنيوية في كثير من جوانبها هو في التحليل الأخير لايخرج عن هذا . . لأن البنيوية تقود ليس المهم هو الأجزاء في ذاتها ولا مجموع الأجزاء وإنما المهم هو العلاقات التي تنظم الأجزاء لأن البنية ليست جموع الأجزاء وإنما هي العلاقات. ليس هناك فارق جذري بين هذا الذي نتحدث عنه عندما نتحدث عن البنيوية والذي ذهب إليه عبدالقاهر في القرن الخامس للهجرة عندما قال إن النظم هو توخي معاني النحو بين الكلم. . بين الكلم أي في علاقات الكلام.

* لا أريد أن أسهب كثيراً معك في هذه الأسئلة دكتور لأنها متخصصة. . يعني تساؤل بسيط جداً حول موت المؤلف أو موت المبدع في النص البنيوي أو في الرؤية البنيوية. هل الرؤية النقدية البنيوية تدعو إلى موت المبدع ومامعنى موت المؤلف؟

- موت المؤلف هو عنوان لمقال من مقالات رولان بارت.

* زعيم زعماء البنيوية؟

- آ. . والمصطلح هذا بالذات من المصطلحات التي شاعت بعد البنيوية بالمناسبة وخصوصاً في التفكيكية والمقصود به هو أن النص الأدبي كان يتصور أنه من إنشاء مؤلف وأن المؤلف الفرد هذا هو الذي يكتب كل شيء في النص، رولان بارت يقول هذا غير صحيح لأن المؤلف الذي نتصور أنه يكتب النص هو في الحقيقة النص يُكتب من خلاله. وأن القلم الذي يمسك به هذا المؤلف عندما يكتب يكتب مئات بل آلاف من الأفكار القديمة والجديدة التي تداخلت في عقل هذا المؤلف. وإذاً فالمؤلف بمعناه الفرد الواحد الأحد الذي تنسب إليه كل كلمة وكل فكرة في النص لم يعد موجوداً وإنما هناك الوسيط. الوسيط الذي تتدافع من خلاله الأفكار والآراء التي في واقع الأمر أغلبها ليس له. وأنا عندما أكتب مثلاً كتاباً الآن أو عندما يكتب نجيب محفوظ قصة من القصص فموت المؤلف في هذا السياق وفي هذا الإطار يعني أنه من خلال قلم نجيب محفوظ ومن خلال عقل نجيب محفوظ تتدافع عشرات وآلاف من النصوص السابقة وتدخل في شبكة من العلاقات التي تكون النص وأن هذا النص المكتوب ليس نص نجيب محفوظ وحده لأنه نص -وهذا مصطلح من المصطلحات الشائعة الآن- لأنه نص متنامي. ومن هنا جاءت كلمة التناّمي بمعني تفاعل النصوص في ذهن المؤلف وفي أثناء الكتابة على نحو يصبح معه العمل الأدبي مجموعة من النصوص المتواشجة والمتفاعلة.

* طبعاً هذه رؤية بديهية يا دكتور، ليست جديدة في الواقع، هي منذ أن كان الإبداع ومنذ أن كان التأليف وكل شيء يسير على هذا المنوال؟

– عظيم

* بمعنى أن الكاتب المبدع مجموع خلاصة ثقافاته وخلاصة أفكاره وليست إنجازاً خاصاً؟

– بالضبط بالتأكيد

* إذن البنيوية لم تأت بشيء جديد؟

– إذا صح هذا الذي تقول أن هذا شيء قديم فدعنا نقول لمن يهاجم في هذا الجانب أن المسألة ليست جديدة تماماً وأن كل ما فعله النقاد في هذا الجانب هو أنهم كشفوا عن قانون موجود بالفعل وبالمناسبة أحياناً الإنجاز البشري يتمثل في الكشف عن شيء موجود بالفعل وهنا لابد أن نسترجع القصة الطريفة التي جاءت في إحدى مسرحيات موليير عندما اكتشف بطل المسرحية وهو مسيو جوردان أنه كان يتحدث النثر منذ أربعين سنة ولايعرف لأنه طلب من أحد المعلمين أن يعلمه فقال له إن الكلام ينقسم إلى شعر وإلى نثر. وكان المسيو جوردان لايعرف ذلك قبل ذلك فدهش لهذا الاكتشاف، لكن الاكتشاف لا يعني خلق شيء غير موجود.

* قد يكون التنبيه لشيء موجود؟

– بالضبط.

* دكتور جابر عصفور أنت رئيس لتحرير مجلة فصول الفصلية وتوليتها بعد فترة إثني عشر عاماً من رئاسة الدكتور عزالدين إسماعيل. هل تسير المجلة في فترتها الحاضرة على النمط نفسه الذي كانت تسير عليه في الفترة السابقة؟ وماهي الإضافات؟ وماهو المشروع القادم الذي تنوي أن تطبقه هذه المجلة؟ وهل نسبة التسويق جيدة في الوطن العربي؟ خاصة أنها مجلة دراسات وبحوث وقد تكون مرجعاً مهماً للدراسة النقدية والعلمية؟

– أولاً لابد من تأكيد معلومة ربما لا يعرفها البعض وهو أنني لست غريباً على فصول.. ذلك لأن فصول عندما صدر عددها الأول كنت نائباً لرئيس التحرير.. فأنا موجود في فصول منذ البداية لأن فصول عندما ولدت كمشروع (نعم) كنا أربعة: صاحب الفكرة والذي عمل على تنفيذها هو صلاح عبدالصبور عليه رحمة الله.. وكان في هذا الوقت رئيساً لمجلس إدارة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأتي بمجموعة من أصدقائه أولهم الأستاذ الدكتور عزالدين إسماعيل وأنا والصديق العزيز الدكتور صلاح فضل. وصدر العدد الأول من فصول: رئيس التحرير الدكتور عزالدين إسماعيل ونائبا رئيس التحرير صلاح فضل وجابر عصفور. ثم بعد العدد الأول تركنا صلاح فضل وسافر إلى اسبانيا وبعد فترة أنا تركت القاهرة واستلمت أستاذ زائر في السويد ثم بعد ذلك عدت بعد سنوات إلى القاهرة. فأنا لست غريباً على المجلة. ومن ثم فالخطة الحالية هي في حقيقة الأمر استمرار للخطة التي قامت عليها فصول وتطويرها ليس التطوير الذي يأتي من

الخارج بل التطوير الذي يأتي من الداخل وهذا التطوير يعتمد على عدة نقاط أساسية:

أولاً: أن ترتبط المجلة ارتباطاً أكثر حميمية بمشكلات الواقع الأدبي الفعلي.

ثانياً: أن تركز المجلة على الجوانب التطبيقية أكثر من الجوانب النظرية، لأن الجوانب التطبيقية تقدم فائدة أكثر للقراء. ليس معنى هذا إلغاء الجوانب النظرية وإنما التركيز على الجوانب التطبيقية.

ثالثاً: أن تقيم المجلة نوعاً من الحوار وتفتح صفحاتها لهذا الحوار بيننا وبين العالم كله... وفي الوقت نفسه حوار واسع بين مختلف الأجيال ومختلف التيارات تكسب المجلة حيوية جديدة والدليل أرقام التوزيع.

ولأول مرة ليس في تاريخ المجلات المتخصصة وإنما في تاريخ المجلات الثقافية يعاد طبع مجلة.. في معرض الكتاب بالقاهرة الآن وكانت هذه المفاجأة التي قدمناها لرواد المعرض أعيد طبع الأجزاء الثلاثة الخاصة بالأدب والحرية وهي الأجزاء الثلاثة الماضية من فصول مرة ثانية بعد أن نفذت الطبعة الأولى. والجزء الأول كان رقم الطبع المطبوع يطلب منا الكثير.. نرفع فلا يكفي .. نرفع .. في الثالث حتى وصلنا إلى أقصى إمكانيات الهيئة في الطباعة وهناك الآن إذا ذهبت إلى المعرض ستجد طبعة ثانية من الأعداد السابقة في مجلد متميز بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً. وأظن أننا لو أخذنا هذا اختباراً إحصائياً على أرقام التوزيع تأكدت بنفسك أن أسطورة الثقافة المتخصصة هذه أسطورة. وأنك لو مسست الوتر الحساس لما يؤرق الناس والمثقفين من قضايا ومشكلات حققت أكبر نسبة من التوزيع.

* دكتور لدي تساؤلات صغيرة وقصيرة جداً باعتبار أن الوقت المتبقي قليل والحوار معك لايُملّ دكتور.. هل جربت الشعر؟ سؤال قصير.

- نعم جربت الشعر في بدايات حياتي. وفي فترة المراهقة وأظن كل المراهقين تقريباً قد جرّبوا كتابة الشعر.

* نعم.. الكتاب الذي تقرأ فيه الآن أو مجموعة الكتب الثلاثة أو الأربعة التي تقرأ فيها؟

- لا... الكتاب الذي أقرأ فيه حالياً هو كتاب عن دراسة الرواية للناقد الفلسطيني فيصل درّاج و.. يعني.. قد بدأت في قراءة الكتاب بالأمس فقط وأنا شديد الاستمتاع بهذا الكتاب وأتصور أن النقاد سرعان ما ينتبهون إلى أن هذا الكتاب علامة من العلامات المهمة في نقد الرواية.

* رؤية جديدة في نقد الرواية العربية؟

- نعم... نعم.. رؤية جديدة ومقترنه وتحقق ما أشرنا إليه في فكرة النقد الشامل.

* جميل... مدى صلتك وعلاقتك بالثقافة والأدب في المملكة العربية السعودية؟ والأسماء التي

تتصل بها أو يعني. . ترسل لك مجموعة من دراساتها أو نقدها أو إبداعها.

– رغم أني لم أذهب لسوء الحظ إلى المملكة العربية السعودية إلا مرة واحدة وكانت بمناسبة مؤتمر أقامه النادي الأدبي في جدة. . وبعد ذلك وقبل ذلك دعيت أكثر من مرة ولكن للأسف كانت ظروفي تعوقني إلا أن علاقاتي بالمثقفين والأدباء في المملكة علاقات متعددة ووثيقة. ولوعددت لك الأسماء اسماً اسماً لما. . . يعني كفانا الوقت الباقي للبرنامج. . فكلهم أصدقائي. . وبالمناسبة في مختلف الأجيال والاتجاهات.

* ماذا تود أن تقول في ختام ساعة من هذا الحوار معك؟

– شكراً لك على أن أتحت لي فرص الحديث إلى المستمع السعودي أولاً ثم المستمع العربي، ضمن البعد القومي والروحي الذي يجمعنا.

* شكراً لك على حسن الضيافة في بلدنا الثاني مصر.

حمد بن محمد الجاسر

هذا اللقاء عن علم من أعلام الجزيرة العربية في ميدان التاريخ الجغرافي وميدان علم الأنساب وميدان الأدب هو علاّمة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر.

لكي نعطي صورة واضحة عن حياة الشيخ الجاسر بشكل أوضح وبشكل متسع يحسن أن نتناول الجوانب الحياتية المختلفة التي عاشها أستاذنا حمد الجاسر.. البدايات الأولى للتعليم... كيف كان التحصيل في العصر السابق... وكيف بدأ أول قراءاته ثم بدأ ينشر هذه المقالات... على النزر اليسير حين كان متعلماً وحين كان طالباً ثم كيف اتسعت هذه الدائرة العلمية الرائعة إلى حد النشر والتأليف ثم التفرغ أخيراً لهذه المهمة العلمية الجليلة ... مرحباً شيخ حمد.

- أهلاً وسهلاً .. أولاً أشكر الابن محمد العوين على التقديم الكريم... وأقول الكريم من قبيل التجاوز والتساهل لأن التقديم الكريم قد يتناول جوانب وأعتقد أن المستمع الفاضل أو القارئ بحاجة إلى أن يعرفها أو أن تلقى على مسامعه لا أقول هذا انتقاداً لما أفضل به الأستاذ المقدم عليّ من أوصاف ولكنني أقولها حقيقة... أبنائي وإخواني وكتاب الصحف في بلادنا صاروا يضفون عليّ هذا اللقب الفضفاض. علاّمة الجزيرة... طبيعة الإنسان مغرمة بحب الثناء... ولكن الثناء إذا تجاوز الحد أصبح غير مرغوب فيه... أنا أود أن أصبح يوماً ما علاّمة الجزيرة وإن شببت عن الطوق كما قيل وتجاوزت حد الآمال إلى الوقوف عند ساحل العجز... كل ما أريد أن يفهمه السامع الكريم أن أبنائي الأحبة يُفضلون عليّ كثيراً حينما يصفونني بأوصاف أنا أعلم بنفسي أنني لا أتصف بها ولكنني مع ذلك أقول اللهم أجعلني كما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون... بالإيجاز.. ما أحسن الوقوف عند حد الوصف الذي لايتجاوز الحدود. أنا نشأت كما نشأ لداتي وأسناني.. في أول القرن الماضي أو بمعنى أدق في العقد الثالث من القرن الماضي.. برزت إلى الحياة... وتحديد زمن الولادة في تلك الأزمان، كان متعارفاً عليه ولهذا من الصعب تحديد السنة بله اليوم والشهر.. ولكن على وجه التقريب ولدت حوالي السنة الثامنة والعشرين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة... ولدت في قرية صغيرة تدعى البرود بضم الباء من إقليم السر.... الإقليم الذي كان معروفاً في القدم ومعروفاً في العصر الحاضر. هذه القرية تقع غرب مدينة الرياض بنحو ثمانين ومائتي كيلاً إقليم السر كما هو معروف أشتهر في الأعوام الأخيرة بكثرة مياهه ولهذا قويت فيه الزراعة في العهد الذي عشته كانت الحياة فيه ليست بهذه الوفرة وكانت الآلات الحديثة كما هو معروف لم تستعمل بعد.. ولم يستفد منها... كان أكثر سكان إقليم السر. وهو يتكون من عدد من

القرى... البرود والفيضة وقصر ابن سكران والعبعب والعيون وغيرها ثم نشأت في هذا الإقليم هجرتان شهيرتان هي ساجر وعسيلة... ونشأت قرى بعد ذلك كثيرة... بعد وفرة المياه. يعيش سكان هذا الإقليم في العهد الذي عشته.. وجدت فيه.. يعيشون على الفلاحة.. والفلاحة في ذلك العهد كانت من أشق مهن البحث عن الحياة.. الخلاصة كانت الفلاحة سيئة وكان أبي يشتغل فيها وكان ممن ابتلى بسوئها فنشأ فقيراً معدماً ولا أغالي إذا قلت إنني عشت في فاقة شديدة أنا وإخوتي كان لي أخوان أحدهما أكبر مني والآخر أصغر. وكانا أقدر مني على مساعدة والدهما في شؤون فلاحته. أما أنا فقد نشأت عليلاً عرضة للأمراض.. بحيث لم أمش إلا بعد الرابعة... وبحيث حُفِر لي القبر أربع مرات من هنا لم ير أبي فيَّ ما يفيده... ولعل هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى.. لهذا وكلني إلى مطوّع القرية ومطوع القرية كان كما يعرفه أكثر المستمعين هو الذي يتولي تعليم أبناء القرية ويتولى الإمامة ويتولى الخطابة ويتولى كتابة الوثائق لأهل القرية. وكلني إلى مطوع القرية.. وهناك في ذلك العهد أمكنة تسمى مدارس أو كتاتيب.. التعليم فيها على الطريقة القديمة كما هو معروف... تعلمت في مدرسة القرية مبادئ القراءة ثم حفظت القرآن الكريم نظراً وأنا لم أتجاوز العاشرة.. وبعد ذلك رأى أبي حين الجأته الحاجة إلى السفر إلى الرياض لزيارة أخ لي قدم من الجهة الشرقية مريضاً فبقي في الرياض فأخذني والدي معه، ووكل أمري إلى قريب له لكي أواصل التعليم هناك في الرياض فبقيت ما يقرب من عام ... تعلمت في هذا العام قليلاً من مبادئ العلوم الدينية.. قرأت الأصول الثلاثة وآداب المشي إلى الصلاة.. وقرأت وحفظت غيباً سوراً من القرآن الكريم... ثم بعد ذلك عدت إلى القرية لأجد أبي مشرفاً على حافة القبر وقد توفي... وكما أن والدتي توفيت وأنا في الثامنة من العمر فأصبحت يتيماً قبل أن أبلغ الحلم.. فكفلني زمناً جد لي من الأم يدعى علي بن عبدالله بن سالم وهو إمام القرية.. قرية البرود.. وخطيب مسجدها وهو رجل تقي عابد حافظ للقرآن الكريم.. ذو عناية بمطالعة بعض الكتب وبجمعها.. فبقيت في كنفه .. قد أساعده فأصلي ببعض الأوقات بالجماعة إذا غاب وأقرأ عليهم .. أعظهم عندما يكون بحاجة إلى من يتولى الوعظ عنه... أقرأ في بعض الكتب .. ثم بعد.. وفي هذه الأثناء وجدت عند جدي مجموعة طيبة من الكتب... من المخطوطات .. فطالعت في كثير منها.. في التاريخ... وفي الوعظ... من مؤلفات ابن الجوزي ككتاب التبصرة... وفي السيرة النبوية... السيرة النبوية لابن هشام... وغير ذلك من الكتب... فتكوّن لدي ميلٌ إلى محبة المطالعة والعكوف عليها.. بعد ذلك رأي أخي الأكبر وكان... الكبير وكان قد عاد من الحجاز... أن أواصل التعليم فذهب بي إلى الرياض في السنة السادسة والأربعين بعد الثلاثمائة وألف فبقيت فترة أقرأ فيها على المشائخ... الشيخ سعد بن عتيق.

رحمه الله قاضي مدينة الرياض - البادية والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ رحمه الله قاضي مدينة الرياض للحاضرة والشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

* وكيف كانت الرياض يا شيخ حمد وقتها؟

- مدينة الرياض في ذلك العهد... كان طلاب العلم من جميع بلاد نجد.. بل هناك طلاب آخرون يفدون من غير نجد من البلاد .. ولا يستغرب الإنسان في ذلك العهد إذا رأى أحداً من الهند أومن الأفغان أو من بعض البلاد الأخرى لدراسة العقيدة السلفية وكانت الدراسة إذ ذاك في المساجد. وتجد للشيخ الواحد حلقتين أو ثلاثاً. وقد قسم طلبته أقساماً حسب ميولهم..لا.. لا حسب ميولهم بل حسب مقدرتهم وحسب قدمهم وحسب إكمالهم لكتب تعتبر كأنها مقررة.. لأن أول ما يتبدئ به طالب العلم في ذلك العهد المتون الصغيرة... فيقرأ أولاً الثلاثة الأصول .. وكشف الشبهات.. وآداب المشي إلى الصلاة ومتن الأجرومية ومتن الرحبية.. هذه المتون لابد للمبتدئ من أن يكملها... وبعد ذلك يتقدم شيئاً فشيئاً فيقرأ كتاب التوحيد ويقرأ زاد المعاد ويقرأ ليس زاد المعاد... زاد المستقنع فمختصر المقنع... ويقرأ كتباً أخرى مطولة.. أطول من تلك المختصرات التي مر ذكرها ثم بعد ذلك يأخذ في طريقة يسمونها الإمرار.. أن يأخذ كتباً.. كتاباً من أمهات الكتب القديمة فيقرؤن على الشيخ إما صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو تفسير ابن كثير أو تفسير ابن جرير وهكذا.... ثم بعد ذلك إذا جاوز هذه المرحلة رؤي أنه بلغ جانباً من العلم يؤهله لأن ينسب أو لأن يكلف بنوع من أنواع القضاء. أنا بعد أن قرأت تلك المتون كانت البادية في ذلك العهد في سنة ست وأربعين قد انتقل أكثرها إلى الهجر وكانت شرة الإخوان في ذلك العهد قوية فطلبوا من الإمام عبدالعزيز رحمه الله بأن يبعث إلى البادية مرشدين.. أناساً يعلمونهم الدين فكان.. أنا.. أن أرسلت إلى ناس منهم يدعون... الحوامة النفعة لأكون إماماً لهم ... أصلي بهم وأعلمهم مبادئ الدين... ومكثت عندهم برهة من الوقت متنقلاً... ثم بعد ذلك عدت إلى الرياض وواصلت الدراسة عليه هو الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله. وفي سنة ثمان وأربعين في شهر صفر أمرني الشيخ بأن أذهب مع عمه الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وكان قاضياً لبلدة عردة.. فأمرني بأن أذهب إليه وقال لي أنت تستفيد ديناً ودنيا.. فمع عمي تستطيع أن تواصل دراستك وكذلك قد هُيئ لك من المساعدة المالية ماقد تحتاج إليه... كان ذلك ... فحدثت.. وبعد وصول الشيخ إلى عروة وأنا معه حدثت حركة الدهينة وحصل الاختلاف وعاد الشيخ إلى الرياض وذهبت أنا بعد ذلك إلى الحج في آخر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة. في تلك السنة كان الإمام عبدالعزيز رحمه الله أمر باختيار عدد من الشبان من المنطقة الوسطى لكي يدخلوا في المعهد السعودي وهو معهد أنشئ في

مكة المكرمة وكان الإقبال عليه قليلاً. ورئي أن يستفيد بعض الشباب في مختلف البلاد من الدراسة. فأمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بإحضار عدد من الشبان وإدخالهم في المعهد فكنت أحدهم. واصلت الدراسة في المعهد حتى أكملتها متخصصاً في القضاء الشرعي. وتخرجت من المعهد السعودي بمكة المكرمة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف متخصصاً في القضاء الشرعي، ولكنني لم أرغب العمل في القضاء بل اخترت العمل في المعارف فعملت مدرساً في مدرسة ينبع ثم معاوناً لمدير المدرسة ثم مديراً للمدرسة وبعد ثلاث سنوات تلقيت أمراً من رئاسة القضاة بصدور الإدارة الملكية بتعييني قاضياً... رفضت في أول الأمر... وبعد وقت رضخت لذلك الأمر وباشرت القضاء ولم أكمل فيه السنة ثم عدت إلى المعارف برهة قصيرة محاولاً أن أبتعث لإكمال دراستي في مصر.. فتم لي ذلك وبعثت إلى مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف على أن أدخل في إحدى كليات الأزهر وفي دار العلوم لأن دراستي السابقة هي التي تؤهلني لذلك.. ولكنني بعد أن أتيت إلى مصر رفضت الدخول إلا في كلية الآداب فدخلتها وكنت أول طالب من بلادنا يدخل كلية الآداب.. فبعد شهور قامت الحرب العالمية الثانية وأمرت الحكومة بعودة البعثة العلمية التي كانت في مصر وكنت أحدهم. ثم بعد وقت صدر الأمر بإعادة البعثة ولكنني لم أرغب العودة بل بقيت متنقلاً في وظائف المعارف في الأحساء ثم مديراً للتعليم ثم مديراً. في الأحساء أيضاً ثم مديراً لمراقبة التعليم في الظهران ثم نقلت بأمر ملكي لأكون مديراً للتعليم في الرياض. في نجد أي معتمداً للمعارف في نجد. ثم نقلت بعد ذلك بأمر ملكي لأساعد الشيخ محمد بن إبراهيم في إنشاء المعاهد والكليات عندما عاد إلى مصر... بعد أن عاد... كان مسافراً رحمه الله للعلاج ولما عاد كان يتحدث عند الملك بأنه.. فسأله الملك هل زرتم الأزهر؟ فقال نعم زرناه وزرنا المعاهد وصار يتحدث عنها فقال الملك عبدالعزيز رحمه الله نحن نريد أن ننشيء عندنا معاهد كالمعاهد الدينية التي هناك.. وتم إنشاء هذه المعاهد وعملت ما استطعت في مساعدة الشيخ. كنت معاوناً لأخيه. الشيخ عبداللطيف رحمه الله.. وعملت ما استطعت عمله في إنشاء هذه المعاهد وفي إنشاء كليتي اللغة العربية والعلوم الشرعية اللتين توليت إدارتهما بعد إنشائهما.. ثم بعد ذلك عملت في الصحافة وكان من جراء عملي فيها أن... أُقلتُ من إدارة الكليتين وتفرغت للعمل الصحفي. هذا عن مسيرة الحياة العملية.

* إذن الشيخ حمد الجاسر.. بعد أن تعرفنا على الجانب الأول في حياتك العملية وحياتك العلمية وبداية الطلب العلمي... ندخل إلى الجانب الآخر.. الجانب المضيء.. وهو الجانب المعطي في الواقع... بعد هذا الكد وبعد هذا الجد في طلب العلم وأيضاً طلب العمل.. العمل المثمر بالنسبة للواقع الاجتماعي الذي عشته سابقاً بعد تفرغك للصحافة؟

– كانت لي ميول ورغبة في الكتابة وفي القراءة وأثناء دراستي في المعهد صرت أطالع بنهم ما يصل من الصحف من مصر وأكثرها في ذلك الوقت مجلة الهلال... مجلة المقتطف السياسية الأسبوعية... مجلة الفتح... فكنت وزملائي في المعهد نتناول هذه الصحف لأن العدد الذي يصل إليها كان قليلاً وقد نتناول قراءة الصحيفة الواحدة وإن كنا كثيرين... من هنا نشأت عندي رغبة وميول للكتابة.. كنا في المعهدأيضاً نحاول أن نبرز مقدرتنا وهذه طبيعة في الشباب يجب أن يرى آثاره المكتوبة وأن يقرأ اسمه في الصحف... فكنا في ذلك الوقت نكتب في بعض صحف مدرسية ونحاول أن نبرز.. نبرز بمظهر النقاد والباحثين والأدباء على كل حال هي.. ماهي إلا تجارب صبيانية... لعل أول كتابة أو أول مقال نشر لي ... نشر في جريدة صوت الحجاز بعنوان قل الحق ولو كان مُراً... نشر في وقت كان يتولى رئاسة تحرير هذه الصحيفة... صوت الحجاز صديقي الكريم الأستاذ الشاعر المبدع الأخ السيد محمد حسن فقي... ولعل من غريب المصادفات أن الأستاذ محمد حسن فقي الذي نشر كلمتي هذه وهي... رد عليه.. نشر أيضاً في ذلك الوقت... أو قريب منه أول مقال للأستاذ السباعي.

* نفس الصدفة في الواقع؟

– الأستاذ السباعي كان نشر... كان بعث مقالاً قبل تولي الأستاذ الفقي رئاسة التحرير إلى الجريدة فبقي عند رئيس التحرير لم ينشره.. فلما أتي الأستاذ الفقي وجده ونشره.

* وكان عنوان المقال؟

– في الوقت... نشر المقالات في وقت قريب.

* هل تتذكر مقال السباعي أستاذ حمد؟

– نعم

* هل تتذكر؟

– لا أذكره ولكن قرأت له في مقابلة في مجلة المجلة قال إن أول مقال له نشر في عهد الأستاذ السيد حسن الفقي وأنا أول مقال لي نشر في عهد السيد محمد حسن الفقي... والسيد محمد حسن فقي... المقال الذي نشرته كان رداً عليه لأن السيد، ، ذكره الله بكل خير منذ نشأته وهو ينظر إلى الحياة نظرة تشاؤم... فكتب مقالاً يعتب فيه على الدهر ويصفه بصفات الإنسان المتأثر من أحداثه. فرد عليه صديق لي وزميل في المعهد في ذلك الوقت الشيخ عبدالله خياط.. الذي هو أحد أئمة الحرم، فنشر مقالاً بعنوان لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر.. ثم عقبت على هذا بأول كلمة نشرت لي بعنوان قل الحق ولو كان مُراً.. في الموضوع نفسه.. وأن الحق يجب أن يقبل سواء من أي إنسان وهكذا.. فهذه تعتبر أول كلمة.. تعتبر أول كلمة كتبت... أول كلمة نشرت لي(*).

* لقد بحثت هذه القضية طويلاً في كتابي: المقالة في الأدب السعودي الحديث، انظر: الجزء الأول، المقال الذاتية. ط١، ١٤١٢هـ، مطابع الشرق الأوسط.

* وبالنسبة لأول كتاب قرأته. . . أول كتاب أدبي غير الكتب الأمهات. . والكتب التي قرأتها على مشايخك ماهو؟

- أول كتاب قرأته. . . أول كتاب أدبي قرأته؟

* وقع في يدك يعني أنت اخترته؟

-لا أنا لا. . أنا وقعت في يدي. . . وقع في يدي كتب لم أخترها لأنني كنت في قرية والإنسان ليس لديه من المقدرة ما يجعله يختار. . . لامن حيث الفهم والمعرفة ولا من حيث الجِدَة. . لكن وقع في يدي من الكتب الأدبية وقع في يدي كتاب قصاصات الحريري. . . وحفظت منها أشياء كثيرة. . . . وقصاصات الحريري هذه أشبه بقصص هو الحريري أراد أن يجعل للمفردات العربية. . . يجعل لها. . . يسكبها بطريقة قصصية لكي يحفظها الإنسان ولكي يستسيغها القارئ. . . بل يستروح في قراءتها. . . فوضع قصاصات بشكل قصص. . . حوالي أربعين مقالة أو تزيد قصاصات الحريري هذا من أشهر الكتب الأدبية. . فكنت قرأت كثيراً في هذا الكتاب في صغري وحفظت أشياء منه. . . . لذلك أستطيع أن أقرأ عليك الآن . . . عندي ما أقول:

عندي أحاديث أرويها بلا كذب	عن العيان فسموني أبا العجب
رأيت يا قومي أقواماً غذاؤهم	بول العجوز وما أعنب العنب
ومسنين من الأعراب قوتهم	أن يشتروا خرقة تغني من السغب
وطالما مّربي كلب وفي فمه	ثور ولكنه ثور بلا ذنب
ونسوة بعدما أو لجن من حلب	صبحن كاظمة في غير ما تعب
وقد مررت بمستبخ فحادثني	فما أخل وما أخللت بالأدب

إلى آخره. . . هذه وأحفظ من

* على طريقة السجع والتركيب والصنعة؟

- لا لا هذه قصيدة. . كل. . كل المقامات مركبة على السجع وعلى الشعر و. . .

* والصنعة اللفظية؟

- والصنعة اللفظية. . ولكن ليست الصنعة اللفظية مقصودة بذاتها. . . إنما المقصود أن يمد القارئ المتعلم بقدر كبير من مفردات العربية. ومن ضمن ما قرأت في ذلك العهد. . قرأت جمهرة أشعار العرب فحفظت عدداً من القصائد والجمهرة كما هو معروف تحوي غرر القصائد العربية في العهد الجاهلي. . . المعلقات العشر. . السبع. . . ثم بعدها إلى العهد. . آخر العهد العباسي. . . . فيها روائع الشعر. . . . وحفظت منها أشياء. . هذا من أول الكتب التي. .

* قرأتها؟

-ثم في المعهد كانوا يدرسون الأدب... يدرسون في مادة... ندرس الأدب وندرس الإنشاء والمحفوظات.. وندرس يعني نصوصاً... نصوصاً أدبية مختارة... ثم أيضاً عندنا أساتذة كانوا يوجهوننا لكي ندرس.. نقرأ الكتب الحديثة... ولكي نحاور فيما نكتب من إنشاء .. لأننا عندنا درس خاص للإنشاء في كل أسبوع... يحاولون من أن نكتب في موضوعات حديثة.. فكانوا يوجهوننا توجيهاً حسناً من هذه الناحية. وصادف أيضاً أن كانت الصحافة في ذلك الوقت.. وكان الذي يصدر في بلادنا صحيفتان هما أم القرى وصوت الحجاز التي أصبحت فيما بعد... البلاد السعودية .. كانت الصحيفتان من الرواج بين الطلبة بدرجة قلّ أن تعرف في عهدنا الحاضر.... لأن أكثر الأدباء وأكثر المتأدبين يكتبون فيها... ولهذا تجدنا نتسابق على قراءة الصحف ونحرص على أن نشارك فيها.... هذا من حيث الميل الصحفي من هنا نشأت عندي رغبة إلى هذه الناحية.

* الشيخ حمد الجاسر.. عرف بأنه أصدر مجلة .. وكذلك عرف .. لا أقول مجلة واحدة وإنما مجلتان في الواقع... فنريد أن نتحدث في مسيرتك الصحفية من حيث التحرير والانشاء؟

- لما قدمت إلى مدينة الرياض معيّناً في إدارة التعليم في نجد سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف.... في عهد الملك سعود رحمه الله... في عهد الملك عبدالعزيز.... ولكن كان الأمر ... الحل والعقد بيد الملك ... بيد الملك سعود رحمه الله.. لان الملك عبدالعزيز في آخر حياته كان بحاجة إلى الاستراحة ... فدعيت أو نقلت بأمر ملكي من عملي في الظهران إلى أن أكون مديراً للتعليم في نجد سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف... لما أتيت إلى مدينة الرياض.. عملي الإشراف على التعليم والمدارس... رأيت أن مدينة عظيمة كالرياض لايوجد فيها صحيفة ولا يوجد فيها مطبعة... ولا يوجد فيها حركة ثقافية نشيطة... هذا شيء ينبغي أن يعالج ... الملك سعود رحمه الله كان متفانياً في أن نبرز مدينة الرياض بأجمل ما تبرز به مدينة عالية حديثة... ولهذا لما فاتحته في الموضوع قلت له يحسن أن توجد في الرياض مطابع ويحسن أن يوجد فيها صحف... وحبذ الفكرة... فتقدمت بطلب بإنشاء مطبعة وبإنشاء صحيفة تصدر بصورة تدريجية... شهرية ثم أسبوعية ثم يومية... حبذ الفكرة وأعان عليها.... فعلاً كتب إلى وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله بأن يهيء الوسائل لإعفاء المطبعة من الرسوم.. ويساعد.. وكتب إلى وزير الداخلية وكان في ذلك الوقت سمو الأمير عبدالله الفيصل بأن يهيء وسيلة إصدار إجازة... اجازة .. وكانت الإجازة... إجازة الصحف تصدر من وزارة الداخلية فيها قلم يدعى قلم المطبوعات... سارت الأمور حتى انتهت وأحيطت إجازة بأن أصدر

جريدة.. مجلة... صحيفة باسم الرياض.... وفي أول الأمر تكون شهرية ثم بعد ذلك تتدرج حتى تصبح يومية. كان من مستشاري الملك سعود رحمه الله.. مستشاري سعود في ذلك الوقت رحمه الله الأستاذ عبدالله عمر بلخير فبعد أن طبع العدد الأول من الصحيفة في مصر باسم الرياض وتقدمت بطلب إلى ديوان وليّ العهد لكي يصدر الأمر بنقلها في الطائرة... لأن نقلها في الباخرة يجعل وصولها إلى الرياض متأخراً من وقت صدورها... فتلقيت كتاباً من الديوان بتوقيع عبدالرحمن الحميدي بمايلي:

أولاً: أن سموه لا يوافق على استعمال اسم الرياض كان هذا الاسم قد منحه سموه مستشاره الشيخ عبدالله بلخير وسيصدر صحيفة بذلك.

الأمر الثاني: أنه لا يوافق على أن ننقل بالطائرة وأنه يمكننا أن ننقلها ... ويمكنكم أن تنقلوها على حسابكم والأمر الثالث: أنه لا يسمح بأن تدخل الصحيفة بهذا الاسم.

اضطرت إلى أن أراجع الخارجية... وكان النظام إذ ذاك... إذا أراد من منح صحيفة أن يغير اسمها فله ذلك بشرط أن لا يستعمل اسماً استعمل فيما ورد دون عشر سنوات أو هو مستعمل في الوقت الحاضر من الصحف ... كتبت أنا إلى وزارة الخارجية إلى قلم المطبوعات بوزارة الخارجية ... نظراً لأنني لم أتمكن من استعمال اسم الرياض في الصحيفة التي مُنحت حق إصدارها فقد غيرت اسمها إلى اليمامة.. وتم هذا وطبعت الأعداد الأولى العددان الأولان في مصر... ثم..

* في عام كم يا شيخ حمد؟

- في ثلاثة وسبعين... ألف وثلاثمائة وثلاثة وسبعين هجرية.

* على شكل مجلة؟

- شكل مجلة

* مجلة شهرية؟

- شهرية ثم صدرت ... ثم نقلت طباعتها إلى مكة... وحدثت أمور اضطرتني إلى أن أنقل طبعها إلى بيروت حتى تم تركيب مطابع الرياض في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف... هي أول مطابع أنشأت في هذه المدينة.

* ثم بعد ذلك تحولت إلى صحيفة أسبوعية؟

- ثم بعد ذلك أصبحت أسبوعية وحاولت أن أصدرها يومية... وسعيت لذلك ولكن حدثت أيضاً أمور أخرى سببت أن الصحيفة تؤخذ مني.. لأنه حدث بيني وبين بعض ولاة الأمر سوء تفاهم فأخذت الصحيفة مني وانتقلت... كنت غائباً في بيروت... وبقيت هناك.

* فترة الغياب كانت من عام كم إلى عام كم ياشيخ حمد؟

– من سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وثمانين إلى سنة ست وثمانين.

* إي نعم.. لمدة ست سنوات؟

– أو خمس سنوات تقريباً.

* فترة الغياب هذه .. كنت تقضيها في البحث والقراءة؟

– لا.. كنت هناك أنشأت داراً للنشر... أنشأت دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر... ثم بعد ذلك أنشأت مجلة العرب.. وصرت أصدرها .. ولكن مجلة العرب أنشأتها فيما بعد.

* من وجهة نظرك يا شيخ حمد.. مجلة العرب... ومجلة اليمامة.. على أن فترة اليمامة في الواقع أطول من حيث الأنشاء ومن حيث التوزيع والإصدار... أيهما أقوى من ناحية التوزيع... من ناحية القراءة والإقبال؟

– أولاً اليمامة نشأت في عهد كانت الصحافة فيه حديثة في البلاد... وكان العدد الذي يطبع منها قليلاً جداً وكان المشتركون يعدون بالأصابع كانت الاشتراكات لا تبلغ ثلاثمائة عدد... والذي يباع في السوق قريب من ستمائة عدد.. يعني نطبع من اليمامة لما كانت مجلة ألف نسخة ولا تتوزع كلها.. ومعروف أن الصحافة تروج وتنتشر ويكثر قراؤها عندما تكثر المدارس ويكثر القراء... فالقراء الآن في عهدنا وبسبب كثرة انتشار التعليم طبعاً لا يقاسون قبل أربعين سنة أو خمسين سنة.

* لكن مجلة العرب من حيث القيمة العلمية بلا شك أنها تأخذ مكانتها الأولى... ولكن كيف توزيعها وانتشارها؟

– مجلة العرب أولاً كما يعبرون.. مجلة متخصصة في ناحية... مجلة العرب الآن قطعت ثماني عشرة سنة يعني يمكن في خلال هذه السنوات قدمت للقارئ أكثر من عشرين ألف صفحة.. لأن كل سنة هي عبارة عن كتاب... كل سنة عبارة عن كتاب ذي صفحات متسلسلة وأبحاث متسلسلة.. ثم هي لا تنشر ما يصح أن يقال هذا الكلام أين وقته.. ولوقته.. إنما تنشر أبحاثاً يرجع إليها فيما بعد.

* مستديمة؟

– ولهذا تجد الجامعات في البلاد.. في الخارج.. بصفة خاصة والمعاهد والمجامع.. معاهد الدراسة يحرصون على اقتناء المجاميع الكاملة... وهناك بعض الجامعات وبعض الجهات الغربية إذا نقصهم عدد لم يصل إليهم يكتبوا إليّ مراراً... ينقص مجموعتنا العدد الفلاني... وذلك لكي تكمل به مجموعتنا.

* يعتبر تسلسلاً؟

- فالمجلة. . . مجلة العرب. . أنا أعتقد أنها هي أعظم جهد قمت به. وإن كانت مجهولة. . . لكن هي أعظم جهد قمت به لماذا؟ لأنها في رأيي سدت ناحية أعتقد من الضرورة الملحة في ثقافتنا أن تسدها. . حقاً هي ليست مجلة فن ولا مجلة شعر ولا مجلة رياضية ولا مجلة نسوية ولامجلة علوم إنما نحن . . . وأقصد الأمة العربية الإسلامية أمة تعيش حياتها امتداداً لماضيها. . تعيش الحياة الحاضرة امتداداً لماقيها. . . إذن ارتباطنا بالتراث شيء أساسي في حياتنا ولابد منه. . لابد من أن نعرف لغتنا. . لابد من أن نحافظ على كياننا. . . لابد من أن نعرف تاريخنا. . . إنه من الواجب وجود كل ما يقوي هذه الوسائل. من هنا كان اتجاه مجلة العرب أو إن شئت فقل اختصاصها في ناحية مهمة بالنسبة إليّ.

* نعم

- لكن أنا أرى أنها في حد ذاتها . . . أعتبرها من الأشياء المهمة في حياتي.

* * * *

* أدب العلاّمة الباحث الأستاذ حمد الجاسر . . . لابد أيضاً أن تأخذ في هذا الجهد الذي قدمه هذا الباحث. . آراء النقاد وآراء الدارسين وآراء المتابعين للحركة الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية. معنا الأديب الناقد عبدالله نور لكي يعطي رأيه فيما قدمه الأستاذ حمد الجاسر من بحوث جغرافية ومن آراء ومن استكشافات لتراث هذه الجزيرة . . . الجزيرة العربية.

* الواقع أن مواهب الشيخ حمد الجاسر الأدبية متعددة وكثيرة . . . لكن موهبته في الجغرافية تتجاوز أنه وضع معجماً لجغرافية المملكة العربية السعودية. . هو أيضاً خلص المعجم الجغرافي القديم الذي تأسس على يد الجغرافيين الكبار أمثال ياقوت بن عبدالله الحموي والزمخشري والبكري. . خلص المعجم القديم من الشوائب ومن الأوهام والأغلاط. . . لأن المعروف أن الأقدمين كانوا بعيدي الصلة بالجزيرة العربية. . فكان منهم البكري أندلسياً وياقوت عراقياً والزمخشري أيضاً عراقياً. . فكانوا يتوهمون كثيراً في الأماكن. . وكان المعجم القديم أيضاً غير منضبط أو غير مضبوط من ناحية التحديد الدقيق. . . بالإضافة إلى أنه وضع معجم جغرافية المملكة العربية السعودية هو أيضاً صحح المعجم القديم. أو بصورة أكثر دقة . . المعجم العربي عموماً في خلطته الأدق حينما كان خليطاً بين معجم النبات ومعجم الأماكن ومعجم الأسر ومعجم اللغة، حمد الجاسر استطاع أن يؤسس معجماً جغرافياً دقيقاً بمعنى كلمة جغرافيا بشكل أكثر دقة حتى من الأقدمين أنفسهم.

* الأستاذ حمد الجاسر بالإضافة إلى جهده في جغرافية الأماكن والبقاع وتحديدها في الأماكن

وجمع ما قبل فيها من الشعر وماحدث حولها من الأحداث أيضاً .. هل له جهود في الميدان الأدبي والفكري ترى أنه لابد أن ينوه عليها وخاصة الجهود المطبوعة والمقروءة الآن التي يملكها القراء؟

– بالنسبة لجهوده المطبوعة دراسات الشيخ حمد الجاسر في الأدب العربي فيما له صلة بالشعراء .. شعراء الجزيرة العربية الأقدمين.. استطاع الشيخ حمد الجاسر أن يصحح كثيراً من المعلومات.... فمثلاً هناك شاعر فاتك معروف -عاصر الحجاج بن يوسف ... وخرج عليه... وهو جحدر العكلي من عُكل من تميم. هذا الشاعر ورد اسمه في كثير من المراجع بنسب يختلف عن عكل عن نسبته إلى عكل... وتوهم كثير من الباحثين أن هذا الشاعر هو أربعة أو ثلاثة أو خمسة شعراء ... وقدموا دراستهم ومنهم من نال دراسات عليا على أربعة شعراء .. وهو شاعر واحد فالشيخ حمد وهو يعرف تميماً معرفة جيدة ويعرف فروعها ويعرف أصولها استطاع أن يجمع الخلافات التي وردت في تراجم هذا الشاعر وأن يوحدها وأن يخرج بنتيجة بأن هذا الشاعر هو جحدر الذي ترجم في أكثر من أربعة أو خمسة أماكن وهو مجرد شاعر واحد. هذه من النظريات العدة للشيخ حمد الجاسر. ويشابهها أيضاً أشياء كثيرة في تصحيح مراجع ومصادر ظلت فترة طويلة من الزمن منسوبة إلى مؤرخين أو فلاسفة وأدباء... استطاع الشيخ حمد الجاسر أن يعيدها إلى أصحابها بكل دقة مثل مخطوطة أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي في الأنساب العربية.. مثل الجيم للشيباني.. له أفضال أيضاً كثيرة... و من الصعب حصرها في عجالة.

* شكراً

* * * *

* الشيخ حمد الجاسر قبل أن نتناول جوانب خاصة في حياتك كإنسان ومواقفك من الأشياء التي تمر على الأمة العربية والإسلامية كأهداف مؤثرة... نريد أن نقف عند جانبين فقط... وباختصار في الواقع .. جانب الاتجاه المعجمي والجغرافي إلى تاريخ هذا الجزء الغالي من بلاد الأمة العربية .. والجانب الآخر هو عضويتك وانتسابك في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وبعض المجامع اللغوية الأخرى... وعلاقتك بهؤلاء الأعلام في المجامع اتجاهك إلى البحث المعجمي والجغرافي .. متى بدأ.... وكيف الآن حصلت على هذه الثروة؟

– من المعلوم أن بلادنا ذات تاريخ عريق وهذا التاريخ كما سبقت الإشارة مرتبط بحياتنا.. هذا التاريخ لا نستطيع أن نفهمه فهماً صحيحاً مالم نعرف بيئته .. أنا لا أستطيع أن أتصور وقعة بدر تصوراً تاماً التي قال الله فيها ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ حتى أشاهد الأرض وأشاهد ماحولها ... لا أستطيع أن أعرف حنين ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ معرفة حقيقية حتى

أشاهده وأعرف تحديده.. هذا من ناحية.. ثانياً لغتنا اللغة العربية أثرت عن الشعر الجاهلي وأخذت من الشعر الجاهلي.. الشعر الجاهلي لا تستطيع أن تفهمه فهماً صحيحاً مالم تدرك وتفهم فهماً صحيحاً البيئة التي ولد فيها الشعراء.. لن نستطيع أن نفهم قول امرئ القيس:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعَارمة فبُرقة العيارات

فغول فحليت فنفي فمنعج إلى عاقر فالجب ذي الأمارات

حتى تعرف هذه المواقع وكيف صلة بعضها ببعض وكيف.. يعني.. كيف أن هذا الشاعر تنقل من هنا إلى هنا.. وكيف حدد هذه المواضع.

* وهي أسماء مواضع؟

- مواضع.. غول وحليت ونفي ومنعج.. لاتزال معروفة

* لكن اندثر بعضها؟

- وعاقر لاتزال معروفة.. كل هذه الأسماء لا تزال معروفة.

* إلى الآن؟

- إي نعم إلى الآن... الشاهد أن هذه البيئات العربية التاريخية التي هي جزء من التراث.. لكي نحيط هذا التراث علماً... نعرفه... ندركه... نفهمه فهماً صحيحاً يجب علينا أن نفهم هذه البيئة شيء آخر.... بلادنا نحن خلقنا من تربتها.. من هذه التربة... هي لا تقف على الناحية التاريخية... هناك أشياء ذات أثر قوي في حياتنا المادية فضلاً عن الحياة الروحية... مثلاً.... يزيد أن نعرف المعادن... معادن في هذه الجزيرة... ونريد أن نعرف مكان الثروة فيها.... نريد أن نعرف النباتات.... النباتات ذات فائدة من حيث الطب فهذه الأشياء تستلزم إيجاد معاجم وافية... أنا كان مما يحز في نفسي أن أشاهد الطالب من أبنائنا يتحدث عن جهات أوروبا وحكوماتها وبلادها ومدتها ويفهم عنها أكثر مما يفهم عن بلادنا اتجهت إلى فكرة.. رأيت أن من الضرورة وجود معجم جغرافي متكامل.... معجم جغرافي تاريخي اقتصادي.. سمه ما شئت.. إنما معجم يجمع لك كل مافي المملكة من قرى وأودية وجبال ومياه ومظاهر للحياة مرتب على حروف المعجم... على الحروف... طبعاً الفرد لا يستطيع أن يقوم بهذا... لكن وجود الفكرة والدعوة لها... والدعوة إلى المشاركة فيها من يفتح الباب للآخرين.. كان أن نشرت الفكرة عند بعض إخوان لنا فاستجاب لها... صرت أنشر في المجلة في العرب دعوةً إلى وجود معجم، إستجاب للفكرة عدد من الإخوة متباعدين لأنني قد أستطيع أكتب عن السر أو أستطيع أن أكتب عن البلاد التي أتيتها.... لكن هناك جهات أخرى لايستطيع أن يكتب عنها إلاّ من عاش فيها.. فوجهت الفكرة.. يعني.. يرجى من كل واحد عنده.. من كل أديب مثقف لديه مقدرة أن يكتب

عن بلاده.... وهذه الكتابات التي يكتبها تكون على النمط الفلاني.... وهذه قد تكون نواة في المستقبل لإيجاد معجم. فعلاً..... كان من أثر ذلك وجود تسعة عشر مجلداً الآن..... الآن طبع من هذا الكتاب تسعة عشر مجلداً.. هو في المرحلة الأولى لأن المرحلة الأولى هي جمع المواد.. والمفروض أن هذه المواد..أنها تدرس... وبعد تمحيصها تدمج بعد في معجم واحد. لكن مثلاً الأستاذ محمد العوين لايعرف إلا حوطة بني تميم وجهاتها. يكتب لنا عن الحوطة .. حمد الجاسر لا يعرف إلا عن السر وجهاته... يكتب لنا عن السر.... ننشر معلومات حمد الجاسر ومعلومات الأستاذ العوين ومعلومات الأخ... ننشرها للقراء وننظر حتى تصفّى لنا ثم بعد ذلك ندمج كل هذه المعلومات في مؤلف واحد باسم واحد.. الاسم الأول.... ونشير إلى إعداد كل مادة.. كما يفعل في المعاجم. في دوائر المعارف.... دوائر المعارف العامة الكبيرة.... كل مقالة تذيل باسم كاتبها.. حمد الجاسر كتب مقالاً عن الرياض نذكر تاريخها، الأستاذ العوين ذكر مقالة عن الحوطة .. يذكر عن الحوطة ثم يذكر توقيعه... الأستاذ عبدالله بن خميس عن الموضع الفلاني.. وهكذا. استجاب لهذه الفكرة عدد من الإخوان ... فيه من جازان محمد بن أحمد العقيلي عمل لنا معجماً عن جازان وفعلاً طبع.. والأخ الأستاذ سعد بن جنيدل عمل لنا عن عالية نجد.. إمارة عفيف والدوادمي والقويعية فطبع في ثلاثة أجزاء... العبودي عمل لنا عن القصيم وهو من القصيم فطبع في خمسة مجلدات ... عبدالله بن خميس عمل لنا عن اليمامة في مجلدين... حمد الجاسر عمل عن شمال المملكة قمت بعدة رحلات إلى تلك الجهات وكتبت عن شمال المملكة في ثلاثة مجلدات. وقمت إلى المنطقة الشرقية وكتبت عنها في خمسة مجلدات طبع منها ثلاثة. وأحد الأخوان علي بن صالح الزهراني كتب لنا عن غامد وزهران وأيضاً طبع .. تكون لنا من هذه تسعة عشر مجلداً... الآن... يعني... معلومات عن شمال المملكة أي من القصيم وشمالاً والقصيم وعالية نجد والرياض وإمارة الرياض وماحولها والمنطقة الشرقية وجازان وغامد وزهران. كان هناك بعض الإخوان في الجنوب في بلاد عسير وفي المنطقة الغربية لكن لم يتم شيء من هذا فبقي القسمان.. إن شاء الله يرجى أن تتم.

* هذا عن الجغرافية؟

- عن الجغرافية، هذا هو جغرفي تاريخي.

* أيضاً يتعرض إلى الجوانب التاريخية؟

- طبعاً

* على نزر يسير؟

- لا... يأتي لك باسم الموضع وكل ما يتعلق فيه.. تاريخي وجغرافي واقتصادي .. إن كان

وجد معدن يذكر لك اسم المعدن الذي فيه.

* من حيث الوقائع والأعلام؟

- كل شيء... كل شيء.... كل ما ينبغي ذكره مما أدركه الكاتب.. قد يفوت على الكاتب شيء.

* هل تعتقد أنه كافٍ من جميع الجوانب؟

- لا.. ماهو كافٍ من جميع الجوانب.. هو أعتقد أنه نواة... وأنه مرحلة أولى...

* نعم.. مرحلة أولى؟

- وما على الدارسين إلا أن ينقحوه... وأن يزيدوا عليه... ثم عملت أيضاً.. كانت وزارة الإعلام رغبت مني أن أعمل لها معجماً.. وقالوا إن بعض المذيعين لا يحسنون النطق ببعض الأسماء.. فعملت معجماً شاملاً للمملكة فيه أكثر من ستة عشر ألف اسم.. حول جميع أنحاء المدن والقرى والأمكنة المأهولة والأودية و.. فهذا في ثلاثة مجلدات باسم المعجم الجغرافي لبلاد العرب المختصر... وألفت أيضاً معجماً عن القبائل... لأنهم قالوا كذلك إن القبائل في المملكة تحتاج إلى ضبط في الأسماء فألفت أيضاً معجماً عن قبائل المملكة.... معجم قبائل المملكة في مجلدين أيضاً... وألفت أخرى ببعض الرحلات وغيرها.

* الشيخ حمد الجاسر عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.. أو سمّي كما أطلق عليه العقاد رحمه الله مجمع الخالدين.. متى بدأت عضويتك في هذا المجمع.. وكيف تم ترشيحك؟

- لا أذكر بالضبط من عينني عضواً في مجمع اللغة ولكن قبل خمس وأربعين سنة.. قبل ربع قرن، أنا ألفت القاهرة من أول زيارة لي.... من أول زيارة لها قمت بها.... وعرفت عدداً من كبار المثقفين والعلماء وكان أن زرت مراراً مجمع اللغة العربية فعرفت رئيسه السيد لطفي السيد وعرفت الأمين العام الأستاذ الدكتور منصور فهمي.. ورشحت في أول الأمر من قبل هذين.. تم والترشيح لا يكتفي به حتى يصدر قرار من المجمع نفسه بالموافقة على الترشيح..... علم بترشيحي.. كتب إلي وكنت في القاهرة بأن النية متجهة إلى ترشيحي... ترشيحكم لمجمع اللغة العربية فنأمل تقديم بيان عن حياتكم العلمية وعن مؤلفاتكم وآثاركم. إطلع على هذا الكتاب أحد الناس من أبناء هذه البلاد فكان أن طبع كتاباً في صفحتين كبيرتين ووزعه على جميع أعضاء المجمع يقول فيه إنني من أهالي مكة المكرمة ومن كيت وكيت وصفتي كذا وكذا... وقد علمت أنكم رشحتم فلاناً وفلاناً رجل بدوي لا علم له. لا صلة له بمكة ولا بلغة القرآن ولا كيت وكيت وأنا خير منه. وقام هذا الشخص وقدم لكل عضو مجموعة من الكتب.. وكان من ضمن من قدم له الدكتور طه حسين وكان أحد الإخوة من أبناء البلاد حاضراً فسمع الدكتور طه حسين يقول...

يرفع صوته ويقول له يا فلان عضوية المجمع لا تنال بمثل أساليبك كان أن جرى التصويت فقبل هناك اثنان مرشحان فلان وفلان... المجمع أعضاؤه أربعة وعشرون في ذلك العهد! الأعضاء العاملون .. فكان منهم سبعة عشر عضواً بمن فيهم طه حسين والزيات ومنصور وعدد كبير إنتخبوا حمد الجاسر والشخص الثاني انتخبه عضوان... رمسيس جرجس خبير اللغة القبطية والشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله وهو رجل طيب القلب إلى آخر ما تريد أن تصف به.. من الطيب وعالم جليل جداً... فنال ذلك الشخص صوتين وأعطيت سبعة عشر صوتاً... وباقي الأعضاء قدموا أوراقاً بيضاء لم يكتبوا فيها.... لم يرشحوا أحد.. هذا عن نفس الترشيح... فعينت عضواً عاملاً في المجمع... يظهر أن المجامع العلمية في البلاد العربية أنها تتأثر بالعدوى ولهذا فقد عينت عضواً عاملاً أيضاً في مجمع بحوث الحضارة الإسلامية أو المجمع الملكي لآل البيت في الأردن.. عينت فيه عضواً عاملاً... وأكرمني الملك حسين -أكرمه الله- بأن منحني شهادة العضوية بتوقيعه كما عينت عضواً في كل المجامع العربية ولكن عضواً مؤازراً أو عضواً فخرياً كما يقولون.. وعينت أيضاً عضواً في المجمع العلمي الهندي.

* إذن .. بعد تعرفنا على الجوانب العلمية والعملية في حياة الشيخ حمد الجاسر نريد أن نتعرف في الدقائق القادمة على الجوانب الخاصة في حياة الجاسر الإنسان... لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن كم عدد الأولاد يا شيخ حمد؟

- أولاً أنا تزوجت متأخراً.. يعني فوق الخمسة والثلاثين... في عشر الأربعين

* ما شاء الله

- ولكني وفقت ولله الحمد في زواجي ورزقت بستة أبناء أكبرهم إبنة .. مي... الآن معيدة في جامعة الملك سعود.

* أدب عربي أيضاً؟

- معيدة في القسم الطبي.. فيه صلة بعلم النفس أو بالتربية... أوفي موضوع له صلة بالتربية وله صلة بالطب.. أو .. وهي لم تدرس طباً إنما درست علم النفس.

* الطبي؟

- من هذه الناحية ... ثم بعدها محمد... وهذا فقدته بعد أن تخرج من الجامعة الأمريكية... إبتلعته بيروت فيما ابتلعت وكان تخرج من الجامعة الأمريكية وسافر في إجازة .. سافر إلى أوروبا ولما عاد كانت الطائرة قادمة إلى بيروت فضربت وأسقطت في البحر.

* رحمه الله

- وهند أكملت الدراسة في الصيدلة.. وهي الآن متزوجة ومع زوجها يعملان في مستشفى الملك

فهد في الخبر... وسلوى وتخصصها في الحاسب الآلي الكمبيوتر وهي رئيسة الآن في قسم الكمبيوتر بالمستشفى التخصصي في هذا القسم.. يعني.. هي يقال إنها متفوقة في دراستها... ومعن أكمل دراسته في جامعة البترول واختصاصه في الشؤون الإدارية والتسويق وهو الآن موظف في صندوق التنمية الصناعي... ومنى صغرى البنات اختصاصها في الهندسة المعمارية وكانت دراستها في أمريكا في الهندسة المعمارية... فهؤلاء الأبناء... أنا سعيد حقاً بأن شؤون البيت وشؤون البنات وشؤون التعليم وما يتصل بذلك لا شأن لي به.. أم الأولاد هي على جانب يسير من الثقافة ... وكانت تقدمت لما كنا في مصر للثانوية ورسبت ولكنها تقرأ وتتحدث باللغة الأخرى... و.... فمن هذه الناحية أجد الشيء الكثير من تأثير البيت في حياتي..... وهو تأثير الراحة والاستقرار والإنصراف إلى العمل.... والإنسان عندما يجد في بيته من يساعده على هذا فتجده يتجه إلى عمله ويكثر إنتاجه.

* أكيد .. بالنسبة .. للاهتمامات الأخرى شيخ حمد.. يعني... لعل من الاهتمام العلمي واهتمام البحث والكد والتعب في هذا المجال والعطاء جوانب أخرى تعتبر أيضاً جوانب فنية وجوانب مشاعر وأحاسيس لعلك أنت تناولت الشعر أو رغبت أن تسمع الفن؟

– أنا حاولت أن أكون شاعراً.... وعندما كنت أحاول .. عندما كنت أدرس في المعهد فأنمق أو أصفّ شيئاً من الكلام أزعمه شعراً.. وألح على أصحاب الصحف لينشروه فينشر ولكنني الآن أخجل من قراءته.. عندما أقرؤه.

* تعتبره نظماً لا شعراً؟

– اعتبره ميلاً... حتى بقيت هذه الرغبة والميل عندي إلى أن كنت مديراً للكلية... للمعهد... للكليتين.. أذكر آخر ما قلت قصيدة ألقيتها على الملك سعود:

صغها من الزهر رفافاً أناشيدا   أو من هوى البلبل الصداح تغريداً

المقصود ... يعني .... هذا مطلعها... قصيدة.... كان الطلاب في ذلك الوقت.

* يطربون لها؟

– أعجبوا بها... ولكنني أنا في الحقيقة أدرك أن الشعر ليس البناء الهندسي.. أن الشعر ماحرك الشعور أن السفر هو الخيال المؤثر في النفس أو إيجاد صور خيالية ذات تأثير في نفس الإنسان... أما النظم فهذا كان ... وهذا أدركني... إذا أنت لم تعرف سوى النظم وحده... سوى الوزن وحده... فقل أنا نظّام وما أنا شاعر .. إذا صرت تعرف... بس ما تعرف غير الوزن... وتحط الأوزان فقل أنا نظّام ولست بشاعر.

* الروح الشعرية قبل الصنعة؟

– زي ما تفضلت. . . كما تفضلت.

* القصة تقرأ فيها؟

– كنت قرأت قديماً . . كنت. . لما كنت في المعهد. . كان أساتذتنا ينصحوننا بأن نقرأ مؤلفات المنفلوطي. . . . وكنت قرأت العبرات والفضيلة وما جدولين. . وفي الواقع أنا أتلذذ القصة ولكن. . . وكنت أقرأ كتابات المازني. . . وكتابات المازني هي وإن لم تكن بأسلوب قصصي لكنها بأسلوب هزلي يريح نفس القارئ ويستهويه ويدفعه إلى مواصلة القراءة حتى يكمل الكتاب. . . وأذكر أنني أمسكت أحد كتبه وهو كتاب رحلتي إلى الحجاز. . . أمسكته ولم أطرحه من يدي حتى أكملت الكتاب في قرابة مائتي صفحة. . . لم أطرحه من يدي لما أكملته.

* لطرافة الأسلوب؟

– لأن الأسلوب. . . أسلوب الكاتب هو له أعمق الأثر في نفس القارئ. . فالقارئ تجده يصدف عن قراءة كتاب جيد جداً للأسلوب. . . وقد يتجه إلى قراءة كتاب. . . ليس بالدرجة المبتغاة من حيث الجودة لأسلوبه. . فأنا القصة . . ما قرأت. . ما قرأت فيها.

* نعم. . . بالنسبة للفن. . الفن. . . لعلك تستمع إلى أشياء من الغناء؟

– أنا تطربني الأغاني باللغة العربية الفصيحة.

* القصائد المغناة؟

– مثلاً قصيدة أم كلثوم التي . . . . الرباعية التي تغني فيها قصيدة شوقي:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل. . . . على الجمال له عتابا

أو قصيدتها: أراك عصي الدمع شيمتك الصبر . . قصيدة عبدالوهاب في ياجارة. .

* الوادي؟

– الوادي. . وقصيدته أيضاً عن مجنون ليلى. . . أوبريت مجنون ليلى. . . أو كذلك بعض قصائد لفيروز. . . أنا أعجب لهذه. . . كما أنني أطرب أيضاً لبعض القصائد وقد تؤثر في نفسي وإن كانت باللهجة العامية. لذلك تجدني أول ما قدمت من مصر وسمعت أم كلثوم تغني ليه تلاوعني. . . وأنت نور عيني. . . إيه جرى بيني والهوى وبينك. . . بقيت في ذهني من سنة ثمان وخمسين. . وكذلك أحفظ بعض أغاني لسهام رفقي وبعض المغنيات.

* المغنيات القدامى. . . نعم. . . لكن الغناء الحديث من. . . . ؟

– والله . . اللي شو اسمه. . الغناء الحديث. . . أنا أستمع اليه ولكن بقلة.

* من فنانين . . مثلاً؟

– أنا بصراحة ما تعجبني الأصوات المرتعشة. . . هدي اللي بيجيبوها شوية المغنية دول. . أنا

أحب الصوت يكون أصيل . . . كدة.

* وقوي جداً؟

- وقوي

*لا . . مثل بعض الفنانين؟

- الواحد. . . بيتكلف في صوته كأنه يحاول أن يرققه ويرعش زي. . .

* لكن . . إذن. . مافي فنان في ذاكرتك . . لتسمع له دائماً؟

- والله ما. . .

* من السعوديين؟

- ما هناك . . أنا أعجبت بأغاني مادري فين سمعتها. . . ما أدري أين سمعتها. . ولكن أصبحت ما أسمعها . . لواحد بيقولون له أظن ابن نحيت ولا دا بس من حيث الموسيقى . . من حيث. . رأيت أن. . .

* بن نحيت؟

- إن أغانيه يعني. . لها. . .

* إيقاع شعبي؟

- إيقاع مؤثر في النفس . . لأنها فيها شيئاً من الطبيعة اللي كنت ألفتها كدة من حيث الإيقاعات النفسية. . . وكنت أيضاً أعجب بأصوات. . بغناء هذا. . طارق عبدالحكيم. . خصوصاً أغانيه الأولى.

* القديمة؟

- القديمة . . . وفي غناء. . . هادي اللي بتغني ياريم وادي ثقيف. . . مغنية لبنانية . . نجاح

* نجاح سلام؟

- فيه بعض الأغاني . . الواحد

* يطرب لها

- يحس بها. . . والإنسان ليس صخراً

* أكيد

- يعني خلق المرء. . خلق المرء سمحاً طرباً أوكما يقولون

* بالنسبة للمرأة. . . لماذا تزوجت متأخراً؟

- أولاً كانت حياتي كفاحاً لطلب المعيشة. . لأني لما التحقت بالمعهد حصل بيني وبين الشيخ عبدالله بن حسن رئيس القضاة. . . الله يغفر له. . ما أوجب أن أترك المعهد وأن أخرج . . . أخرج من

الطلبة الذين تنفق عليهم الحكومة... وسبب ذلك أنه في سنة تسع وأربعين صدر قانون نظام من مجلس الشورى باعتبار الزي الرسمي لموظفي الدولة العباءة والعقال... وكان أساتذة المعهد في ذلك العهد خليطاً من الناس فيهم من النجديين الشيخ محمد بن علي البيز والشيخ محمد بن عثمان الشاوي يلبسون المشالح والشماغ.. وفيهم من المكيين الشيخ الأستاذ علي جعفر والأستاذ محمد شيخ بابصير والسيد حسن كتبي ودول يلبسون العمامة والجبة... وفيهم من المصريين عبدالمنعم الدشلوني يلبسون البدلة والطربوش الأحمر و... ففي يوم من الأيام ما شعرنا إلا وكل المدرسين في المعهد لابسين مشالح وعقل. إلا مشايخنا الشيخ ده... قال لي أحد زملائنا لو أمرنا يا حمد أن نلبس عقالاً نلبس.. قلت نعم.. لو أمرنا بأن نلبس لباس الشرطة لبسنا.. قال أعوذ بالله لباس الشرطة... الرجل هذا فيه شيء... سوء تفاهم... وهب إلى الشيخ واستغل الفرصة وقال حمد يقول لو لبّسنا ابن سعود لباس النصارى قبلناه.

* بالتعبير هذا؟

- يعني.. يقول لباس الشرطة هو لباس النصارى

* أي نعم

- فدعاني الشيخ وغضب علي وعاقبني عقوبة بدنية أمام المشايخ وأمام الناس.

* شيخ حمد ماذا تشعر الآن .. في هذه السن؟

- أشعر كما قال الشاعر الصحابي لبيد بن ربيعة العامري.. وهو من شعراء المعلقات .. مخضرم.. أدرك الجاهلية والإسلام .. يقول:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

الإنسان في أول حياته تجده ذا تلهف على الحياة... ذا تطلع إلى الحياة... ذا نظرة واسعة ... ولكن في آخر حياته يُحسّ بأن الأيام قد انقضت وأنه أصبح يوشك أن يكون قد انتهى ... فلهذا ينظر إليها نظرات إلى شيء يريد أن يبعده عنه أو يتخلى عنه... أنا الآن خصوصاً في أيامي الأخيرة.. وخصوصاً بعد عودتي من الرحلة أو أثناء عودتي عندما.. أحس بأنني .. أحس بإرهاق وبتعب وبسأم.. ولكني قوي الأمل بالله. لأن الإنسان يجب أن يكون ذا تطلع قوي وذا ثقة .. يكون الإنسان ذا ثقة بالله سبحانه وتعالى .. وأرجو أن أمتع بشيء من الصحة في المستقبل.

* ونحن ندعو لك إن شاء الله بطول العمر وبدوام الصحة والعافية بإذن الله

وهكذا سعدنا بحديثنا مع الشيخ العلاّمة حمد الجاسر تحدث عن سيرته الذاتية في الواقع بجانبيها العلمي والعملي.. وعن بعض الأشياء الخاصة التي أمكننا الوقت وأسعفنا في تناولها..... نرجو

أن نكون قد أجبنا على التساؤلات التي قد تتبادر إلى الأذهان ، ونتمنى إن شاء الله أن نسعد بلقاء ثان مع الأستاذ حمد الجاسر لكي نستفيد ونعرف بعض الجوانب الخفية الأخرى التي لا زالت تحتاج إلى البحث والكشف في لقاءات ومقالات من الكتاب ومن الدارسين. شكراً لشيخي الأستاذ حمد.

- شكراً جزيلاً . . أنا أشكر الأستاذ محمد العوين حيث أتاح لي الحديث الخافت الناقص الممل أيضاً وعفواً ومعذرة من المستمعين والقراء.

خليل إبراهيم الفزيع

* السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . ومرحباً بكم إلى لقاء هذه الليلة من برنامج ضيف الليلة . . في الواقع تعودنا أن نقدم لكم في كل ليلة من هذه الليالي المباركة ضيفاً عزيزاً عليكم وعزيزاً علينا بطبيعة الحال. . بما قدمه في سيرته الأدبية والثقافية والعلمية من إنتاج ثر ومن تواصل مع المتلقين كافة. . فتعودنا أن نقدم مبدعين في كافة مستويات الإبداع. . . شعراً وقصة ومقالة وباحثين وأكاديميين بالإضافة إلى اتجاهات عملية أخرى مختلفة. . وفي الواقع ليس هذا الحوار سرداً للسيرة الذاتية الشخصية بقدر ماهو استجلاء لهذه الشخصية التي يسعدنا أن نلتقي بها وتلتقون بها من خلال هذا البرنامج . . . ويسعدني أن أقدم لكم في حلقة هذه الليلة أديباً وقاصاً وصحفياً له نشاطه المتميز في ساحتنا الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية. . . مرحباً بالأستاذ خليل إبراهيم الفزيع رئيس تحرير جريدة اليوم سابقاً والقاص والأديب المعروف . . أهلاً بك يا أستاذ.

– أهلاً بكم وبالسادة المستمعين . . وأرجو أن نقضي الدقائق القادمة فيما يفيد المستمع ويثري علاقته بي ككاتب ويضيف إلى معلوماته حول ما سوف نتحدث عنه من أفكار أو آراء أو طروحات. . أكيد أنها ستهم المستمع إلى حد ما.

* مرحباً بك مرة أخرى. . الذي أعلم أن أكبر الأبناء هو الوليد

– أي نعم . . هو أكبر الأبناء . . هو واحد. .

* وتدعى أبا الوليد

– نعم. . وهو واحد من أربع أبناء. . . وتليهم في الأخير إبنة صغيرة عمرها سبع سنوات

* ربنا يخليها. . . والإنتاج قادم إن شاء الله؟

– في علم الغيب

* نعم . . إن شاء الله هذا كرم من الله

– نأمل أن يكون هذا آخر العنقود

* لا. . إن شاء الله الخير جاي. . وعلى كل المستويات طبعاً. . . الإنتاج الفكري والثقافي وبالنسبة للأولاد

– شكراً جزيلاً

* أهلاً بك يا أبا الوليد بالنسبة لك قاصاً. . . أعتقد أنك الآن ترجلت . . كما يقال. . آن للفارس أن يترجل. . يعني. . . تركت رئاسة التحرير في وقت أيضاً أنت فيه في قمة النشاط والعطاء

والإنتاج.. ولعل في هذا الترك فرصة للإبداع القصصي أن يتجلى بشكل أوضح كما.. أيضاً... في المجال الآخر الذي هو في المقالة اليومية المقدمة كما تعودت أن تكتبها وأنت أيضاً على كرسي رئاسة التحرير.. فهل هذا صحيح الذي أقوله الآن؟

–نعم ... نعم دون شك أن ترك العمل الصحفي وهو كما تعرف معاناة مضنية بالنسبة للكاتب وبالذات بالنسبة للمبدع.. وكون الكاتب أو المبدع يتخلى عن مهمة من هذا النوع أكيد أن هذا سيضيف إليه شيئاً جديداً بالنسبة للوقت يمكنه من خلال هذا الوقت أن يمارس هوايته في الكتابة الإبداعية .. وكما يلاحظ القارئ بالنسبة للصحف أو المستمع بالنسبة للإذاعة خلال رئاستي لتحرير جريدة اليوم التي امتدت حوالي إثنتي عشرة سنة أو قبلها أيضاً .. قبل أن أكون رئيساً للتحرير... كان إنتاجي في المجال القصصي بالذات ضئيلاً إلى حد كبير بعد أن ... كما عبرت.. ترجلت عن صهوة رئاسة التحرير.... وهذا أتاح لي أن أكتب وأن أسهم في الحركة القصصية في بلادنا.

* بالمناسبة... طبعاً أنا فاتني أن أعرف بك تعريفاً كاملاً باعتبار أنك معروف والمعروف لا يعرّف كما يقول اللغويون... لكن للتذكير فأنت ما شاء الله يعني عضو النادي الأدبي... وعضو لجنة الإبداع في النادي والتي طبعاً تشمل القصة والشعر وما حولها... وعضو جائزة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز للتفوق العلمي... وعضو مؤسسة دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر.. وكل هذه المسؤوليات والعضويات ما شاء الله تجمعها أيضاً مع نتاجك الأدبي والصحافي... وأتذكر من إصداراتك الأدبية القصصية: سوق الخميس... السعف والنخلة... النساء والحب... وأخيراً فيما يبدو بعض الظن.

– نعم الكتاب الأخير صدر عن نادي القصة بالرياض .. وإن كان صدوره قد تأخر قليلاً لكنه في النهاية قد صدر.

* ولماذا الرياض ولديك النادي الأدبي بالشرقية ؟

– نادي المنطقة الشرقية أصدر لي كتاباً... أطلال على مشارف الزمن.

* أيضاً مجموعة قصصية هذه؟

– لا... مجموعة من المقالات والآراء الفكرية تتعلق بشؤون الثقافة والحياة... ونادي القصة... كانت لديه هذه المجموعة.. قد تستغرب إذا قلت لك إنه قبل إنشاء النادي الأدبي في المنطقة الشرقية كانت هذه المجموعة في نادي القصة .. لكن لم يقدر لها الظهور إلا هذه الأيام.

* أمامي أيضاً كرت للتعريف بك... حول دار النشر .. أعتقد أنك انشأته أخيراً دار أمنية للنشر والتوزيع... فماهي أمنيتك لأمنية؟

– أمنيتي لدار أمنية أن تسهم في إثراء الحركة الثقافية في بلادنا وأن تقوم بدور إيجابي في

مساعدة الشباب على نشر إنتاجهم وأن يكون لها دورها الفعال إلى جانب المؤسسات الثقافية الأخرى الموجودة في بلادنا لدفع حركة النشر والتوزيع .. ليس على المستوى المحلي فقط ولكن على المستوى الخليجي... وأركز على المستوى الخليجي بحكم قرب المنطقة الشرقية من منطقة الخليج وسهولة التعامل مع دور النشر المماثلة في مجال النشر والتوزيع.

* نعم.. أعتقد طبعاً من سياق الحديث الذي تفضلت به.. يدل على أن هناك أزمة في المملكة في النشر والتوزيع في المملكة فماهي أسباب هذه الأزمة؟

– هي ليست أزمة بالمعنى المفهوم .. أو بالمعنى الدقيق لموضوع الأزمة... لكن الواضح أن هناك من يتعامل مع النشر والتوزيع ممن ليست لهم علاقة بالنشر أو التوزيع.. بمعنى أن بعض التجار الذين يهمهم في الدرجة الأولى الربح هم الذين يتعاملون في مجال النشر... وهذا قد يؤثر على علاقة الكاتب أو علاقة المبدع بدار النشر لأن التاجر عادة تهمه الأرباح في الدرجة الأولى أكثر مما تهمه خدمة المبدع أو خدمة الحركة الإبداعية... لكن هذا لا يعني أن كل دور النشر في بلادنا تسير في هذا الاتجاه... هناك أيضاً دور نشر خدمت إلى حد كبير حركة النشر والتوزيع .. وهذه الدور غالباً ما يكون المسؤولون عنها من المهتمين بالحركة الثقافية... إما أن يكونوا مبدعين أو أدباء أو لهم علاقة بهذا المجال.

* لعل معاناتك في نشر مجموعتك السابقة قد دفعتك إلى التفكير في مثل هذا المشروع؟

– ليس إلى هذا الحد .. لأن جميع مجموعاتي القصصية طبعت في دور نشر أخرى... وبالنسبة لدار نشر أمنية ليس لأجلي أنشأتها بل لأجل كل المبدعين وكل المثقفين في بلادنا ممن يريدون أن يطبعوا أو ينشروا أو يوزعوا إنتاجهم .

* القارئ والطابع والمؤلف والناشر الذي هو الموزع ... من هو المظلوم في هذه المجموعة أو في هذه الأطراف؟

– يبدو لي أن المؤلف هو المظلوم في العملية .. لأن الجهد الثقافي.. الجهد الإبداعي الذي يبذله مهما قدم له من مقابل مادي فإنه لا يمكن أن يعمل أو أن يرتفع إلى مستوى هذا الجهد... فتعامل المبدع مع دار النشر أمر لا مفر منه لأن الكاتب ليس تاجراً يطبع كتابه ويتولى عملية توزيعه.. لابد من وجود قنوات تتولى هذه المهمة ومهما كان حريصاً على نشر إنتاجه لو طبعه بنفسه لا يمكن أن يصل في عملية التوزيع إلى نفس المستوى الذي تتولاه دار النشر.. فهو مضطر لأن يتعامل مع دار النشر إذا أراد لكتابه الانتشار والتوزيع الجيد... إجمالاً كما قلت فالمبدع أو الكاتب هو المظلوم في العملية.. في عملية النشر والتوزيع.

* نعم وماهو الحل أستاذ خليل في سبيل .. يعني... إعطاء المؤلف بعض حقوقه؟

– الحل في تصوري أو من خلال تجربتي القصيرة مع التوزيع أن تتولى الدولة تقديم الإعانة لدور النشر كما تتولى تقديم هذه الإعانة للمؤسسات الثقافية الأخرى... لأن هذه الدور تقوم بدور لا يقل أهمية عن بقية المؤسسات الثقافية.. فأصحاب دور النشر إذا أعطوا المؤلف نسبة ضئيلة أجراً أقل مما يستحق فلأنهم مطالبون أيضاً بمجالات صرف أخرى.. للمطابع.. لعمولة المكتبات... لتكاليف التوزيع كل هذه تضاف إلى سعر الكتاب وقد لا يتحمل هذا الكتاب هذا السعر الذي تفرضه ظروف الطباعة والتوزيع.. وتقديم مثل هذه المعونة من قبل الدولة ليس شرطاً أن تكون مباشرة... يمكن أن تكون عن طريق غير مباشر... بتشجيع دور النشر على شراء كميات مناسبة من هذه المطبوعات.... وتسهيل مهمة النقل أيضاً بالنسبة لدور النشر كما هو الحال بالنسبة للصحف.. وهناك أمور كثيرة يمكن أن تقدمها المؤسسات الرسمية لخدمة الثقافة من خلال مثل هذه المساعدة التي تقدم لدور النشر.

* نعود قليلاً إلى شخصيتك القصصية أستاذ خليل.. فلنتمعن في هذه المجاميع الأربعة التي ذكرت قبل قليل أيضاً... كيف ترى تنقلاتك أو نقلاتك بين هذه المجاميع.. يعني... ماهي شخصيتك في سوق الخميس وكيف هي شخصيتك في بعض الظن.. المجموعة الأخيرة؟

– أي كاتب لابد أن يطرأ على فكره نوع من التطور حتى لا يتهم بالجمود... والمسألة ليست مسألة اتهام بقدر ماهي مسألة استفادة الكاتب من الثقافة ومن المدارس الحديثة أو من الاطلاع أو من التثقيف الذاتي فعملية التطوير أو عملية ديناميكية التثقيف الذاتي تفرض عليه أن يطور نفسه بالشكل الذي لا يختلف أو لا يمس معتقده كفنان بالنسبة لفكره أو بالنسبة حتى لأسلوبه في الكتابة أو الشكل الذي هو مقتنع فيه عندما يكتب... فالمؤكد أن مجموعاتي الأولى التي اهتمت بالحياة في القرية والأجواء الريفية تغيرت مع تغير نمط الحياة الذي أعيشه وخاصة بعد انتقالي إلى المدينة وتعرفي إلى أعلى أوجه الحياة الجديدة التي لم أتعود العيش أو لم أتعودها أثناء العيش في القرية.. فلابد... وإن كان هذا السؤال يجب أن يطرح على النقاد لكن أنا.. يعني... ألاحظ هذا النوع من التمايز.

* الناقد قد يفترض افتراضات... ولكن المبدع دائماً هو أعلم بها؟

– هذا صحيح

* طيب.. إذن... بعض الظن.. يمثل مرحلتك التي أنت فيها الآن؟

– ليس إلى حد كبير.. لأن هذه كما قلت... كتبت آخر قصصها.. كتبت.. حوالي قبل أربع أو خمس سنوات.... الإنتاج الجديد لم أجمعة حتى الآن... هو متناثر في بعض المجلات والصحف وإنه قد يصدر قريباً.

* عن طريق دارك طبعاً؟

- في هذه الحال.. نعم

* طيب... النساء والحب.. من عنوانه يتعلق ... تتعلق هذه المجموعة فقط بالمرأة؟

- لا .. الحقيقة إن هذا العنوان ليس كما قد يوحي بأنه عنوان تجاري .. أو أن المجموعة بصفة عامة تتناول العلاقة بين النساء والحب .. هذا العنوان هو عنوان قصة ضمن المجموعة... من مجموعة القصص التي وردت في هذه المجموعة والناشر قد يكون اختياره لهذا العنوان اختيار....

* طبعاً... اختياراً دعائياً؟

- يبدو لي ذلك

* والسعف والنخلة كيف هي؟... في نفس المنحى الواقعي أيضاً؟

- نعم هي في نفس المنحى .. قد يرى بعض النقاد أن اتجاهي لكتابة القصة التقليدية .. هو اتهام لكن أنا لا أعتبره اتهام... لأن المبدع يمكن أن يبدع سواء كتب بالأسلوب التقليدي أو بالأسلوب الحديث أو لجأ إلى التجريب في الكتابة.... فلذا عليه يتوقف كما تعلم.. على كاتب تقليدي... أو كاتب حديث... لأن المسألة مرتبطة بالصدق الفني.. والقدرة على بلورة التجربة الذاتية المحددة على النطاق الإنساني العام والأشمل.

* بعض النقاد... يعني.. لست أدري هل هذا اتهام أم أن هذا أيضاً... أن هذه ميزة.. قال إنك تنتمي بشكل حاد وبشكل قوي إلى المدرسة الواقعية بكل ما فيها من.. أحياناً.. صلف ومن مباشرة... فهل تذهب أيضاً هذا المذهب؟

- هذا المذهب .. هذا المذهب لا أنفيه ولا أدعي أنني يمكن أن أتجاوزه .. يعني .. لأن الكاتب يكتب بما يشعر هو... وبقدرته أو بأدواته الفنية التي يمتلكها.. فأنت لا تطالب الكاتب بأن يعمل كذا وكذا .. أو كيت وكيت عليك أن تناقش عمله كعمل دون أن تفرض عليه مدرسة حديثة أو مدرسة معينة أو تطلب منه أن يكتب في نفس هذا الاتجاه أو بنفس هذه الأساليب أو في هذه الحدود.. فما كتبته .. ما أشعر به بالفعل وما أحس أنه يمكن أن ينقل مشاعري أو أحاسيسي أو أفكاري إلى القارئ بهذا الشكل.. نعم قد يكون الأسلوب الصحفي أثر إلى حد ما على كتابتي الفعلية لكن هذا في البداية.. أشعر في الفترة الأخيرة أنني تخلصت من الأسلوب القصصي في الكتابة وبدأت أقترب.

* الأسلوب الصحفي...؟

- الأسلوب الصحفي نعم.. وبدأت أقترب أكثر من فنيات القصة

* بمعنى .. يعني... أنك تقترب بشيء من الرمز.. بشيء من الظلال الموحية بعيداً عن المباشرة؟

– ليس هذا ما قصدت .. ما أقصده هو طريقة العرض وطريقة سياق الأحداث.. ليس بالشكل المباشر... في السابق ترى القصة التي يكتبها خليل الفزيع على النمط التقليدي المباشر .. لكن مع محافظتي على النمط التقليدي حاولت أن أطور أدواتي الفنية بحيث لا تكون مباشرة كما في السابق.

* بعض .. أو قد يرى بعض القراء أو قد يحس أنك .. يعني تراكم الأحداث في قصة قصيرة مما يكون أيضاً منحى روائياً لو أردت أن تحدد هذه الأحداث... ولكنك تضغط الأحداث في سياق قصة قصيرة قد لا تتجاوز ثلاث صفحات أو أربع صفحات على حين يرى كثير من النقاد أيضاً أن القصة لمحة.. أن القصة القصيرة يعني.. لمحة مختصرة موجزة قد يكون فيها نوع من التداعي أو التذكر فهل ترد على من يرى هذا الرأي؟

– القصة هي حدث.. هي لا تحتمل أحداثاً تراكمة .. لا تحتمل تراكم الأحداث... هو الحدث يفرض نفسه... وما حوالي هذا الحدث قد يفسر إنه أحداث متراكمة لكن أغلب قصصي تهتم بحدث معين أو حتى بجزئية من هذا الحدث لتقديمها واستقطاب الأحداث التي تدور حول هذا الحدث لخدمة موضوع القصة نفسها... بحيث لا يكون عبئاً على فكرة القصة.

* ولم تجرب العمل الروائي بعد؟

– جربته في الفترة الأخيرة نشرت لي رواية اسمها... النخلة وهمس الجبل والبحر نشرتها مجلة الجيل في ست حلقات.

* وتنوي طبعاً جمعها في كتاب؟

– إن شاء الله .. هذا هو الجزء الأول من هذه الرواية.

* والجزء الثاني مكتوب أيضاً جاهز؟

– الجزء الثاني مكتوب وجاهز ولكن لم يتم نشره بعد.

* ويمكن أن نلخص المحور الرئيسي للرواية .. تدور حول ماذا؟

– هي القصة أو الرواية تدور حول النقلة الحضارية التي عاشها المجتمع قبل ظهور النفط إلى هذه الفترة أو إلى فترة وجيزة وصولاً إلى أحداث الخليج الأخيرة .. وضمن هذه الأحداث تأتي بعض الأحداث الجانبية التي تعالج بطريق غير مباشر بعض المشكلات مثل مشكلة المخدرات.. مثل مشكلة الزواج من الأجنبيات .. مثل هذه المشكلات التي لا يزال مجتمعنا يرزح تحت عبئها

* يعني قد تأخذ بعداً تسجيلياً بأسلوب قصصي؟

– لا . . لا . . ليس هذا هو المقصود ولكن هي هذه الأحداث وهذه الجوانب الأخرى من الحدث الرئيس للقصة أتت بشكل تلقائي وليس بشكل تسجيلي.

* جميل جداً . . بالنسبة للحياة التي عشتها قديماً يا أستاذ خليل. . . الحياة الأدبية . . يعني. . . مجلة الإشعاع قديماً مجلة أخبار الظهران. . . مجلة أخبار الخليج. . . كانت طبعاً مجلات تنشر شيئاً من الأدب. . سواء كانت قصة أم شعراً وكنت تبعث بأولى محاولاتك في تلك الصحف. . إن لم أكن واهماً. . . فكيف تتخيل تلك الحياة الأدبية وتقارنها الآن بما نعيشه نحن في سياق أدبي عام؟

– أرجو أن لا يفهم المستمع الكريم من قول قديم. . أنني قد بلغت من الكبر عتياً. . لكن

* يعني . . قبل ثلاثين سنة . . يبدو. . . أو خمس وثلاثين سنة؟

– لا . . لا هذا يمكن قبل أربعين سنة

* أربعين؟

– عندما كانت تصدر الإشعاع كان يصدرها أستاذنا سعد البواردي . . وعندما كانت تصدر الفجر الجديد في المنطقة الشرقية وأخبار الظهران والخليج العربي. . . كنت لا أزال على مقاعد الدراسة . . صحيح أنني عملت في جريدة الخليج العربي لكن ظهور أو هذه الفترة التي عملت فيها في جريدة الخليج العربي كانت فترة متأخرة نسبياً . . يعني قبل ظهور نظام المؤسسات الصحفية.

* نعم. . يعني . . نظام صحافة الأفراد؟

–لا كان على عهد. .

* صحافة الأفراد؟

– صحافة الأفراد. . قبل صدور نظام المؤسسات الصحفية. . . وكما تعلم نظام المؤسسات الصحفية صدر عام ألف وثلاثمائة . .

* وثلاثة وثمانين؟

– وثلاثة وثمانين. . قبل الفترة هذه . . كنت أعمل في جريدة الخليج العربي.

* مع الأستاذ عبدالله شباط؟

– مع الأستاذ علي أبوخمسين.

* علي أبو خمسين؟

– تخلى عنها عبدالله شباط وتولى رئاستها علي أبوخمسين.

* جميل.

– في تلك الفترة . . أو في الفترة التي سبقت هذه الفترة اللي هي فترة الإشعاع أو فترة أخبار الظهران كنت لا أزال تلميذاً في المراحل التعليمية الأولى.

* وتبعث بمساهماتك عن طريق البريد .. يعني...؟

- نعم .. وأبعث

* وتقوم بشكل جيد.. يعني... بداية محاولاتك معقولة؟

- نسبياً.

* نسبياً نعم... وحينما.. يعني.. بدأت تشق طريقك من خلال جريدة الخليج العربي أم من خلال صحيفة أخرى؟

- لا .. بداياتي كانت مع جريدة القصيم ومع جريدة اليمامة... كان ... عندما كانت تحت رئاسة الأستاذ زيد بن فياض.

* بن فياض؟

- وقبلها مع جريدة قريش.

* نعم الأستاذ أحمد السباعي؟

- السباعي... والرائد.. الأستاذ أبو مدين... في تلك الفترة كنت أنشر إنتاجي بشكل جاد وطيب.

* نعم.. ولو قارنت الحياة الأدبية في تلك الأيام بالحياة الأدبية الآن... هل تتوقع أنه دفع للأمام؟

- على المستوى العام لاشك أن الوضع الحالي أو المستوى الثقافي في بلادنا قد تطور تطوراً ملحوظاً.. وهذا يظن من كثرة أسماء الأدباء.. ومن وجود الأندية الأدبية ومن وجود مؤسسات ثقافية مختلفة ومن تصدر دور النشر... وهذه كلها عوامل تساعد على دفع حركة الثقافة إلى الأمام لكن بالنسبة للصحافة... أعتقد أن الصحافة في السابق سواء كانت في عهد الأفراد أو في بداية عهد المؤسسات كانت تهتم بالناحية الثقافية أكثر من اهتمامها بالخبر والتحقيق الصحفي وبالصورة. والمفهوم أن تطور الصحافة في الاتجاه إلى الخبر هو تطور طبيعي لأن الثقافة أصبحت لها مؤسساتها، ولأن هذا المفهوم هو الذي يجب أن تكون عليه الصحافة اليومية.

* ولكن هذا لا يمنع من وجود العمل الأدبي الجيد في الصحافة بالإضافة إلى الخبر السريع والتحقيق المصور؟

- نقف قليلاً عند جيد.. لأن بعض ا لملاحق الثقافية في صحافتنا لا تزال بحاجة إلى إعادة نظر.. بعض المؤسسات الصحفية أو بعض الملاحق الثقافية في الصحف التي تصدرها المؤسسات نجد أنها أقل مستوى مما يطمح إليه القارئ بل أقل مستوى من وعي القارئ نفسه .. هذا لا ينفي أن هناك بعض الملاحق قد وصلت إلى مستوى جيد.. لكن هناك أيضاً ملاحق لا تزال تستخف بعقل

القارئ وتقدم له مادة . . يعني . . في مستوى أقل مما يجب . . وهذا لا يجوز.

* لا نريد أن نسمي.. وإنما نشير إشارة جيدة إلى ملحق المربد والذي كانت تصدره جريدة اليوم وكنت.. رئيساً للتحرير... هل ترى أن هذا الملحق يرصد جزءاً من الحياة الثقافية في المنطقة الشرقية إلى حد ما...؟

- عندما كان.. ليست كل الفترة التي توليت فها رئاسة التحرير كان المربد يصدر فيها... لكن.... لأنه كان في الفترة التي كان يصدر فيها المربد كنت أعمل في قطر بمجلة العهد القطرية... واستمر هذا الملحق إلى عهد . . إلى فترة بعد أن توليت رئاسة التحرير .... ولكن لاشك أنه كان متميزاً في ما يقدمه... ولأن القائمين عليه كانوا حريصين على أن يكون هذا الإنتاج بهذا المستوى الذي لا يخدم فقط الثقافة في المنطقة الشرقية بل الثقافة في بلادنا بصفة عامة... وكان له دوره... وكان له حضوره الثقافي الذي لا يزال حتى هذا الوقت يعني يتذكره الجميع بالخير.

* وقد يكون مصدراً من مصادر الدراسة الأدبية للمنطقة إلى حد ما؟

- نعم ... هذا صحيح.

* وبالذات.. لما كان بحجم التابلويد... نصف الجريدة يعني؟

- نعم.

* هل كنت تتوقع لما بدأت صحفياً مراسلاً بالواقع... أن تصل في يوم من الأيام إلى رئاسة التحرير وأن تقود فريقاً من الصحفيين؟

- كنت أتمنى . . كنت أتمنى ذلك... نعم.

* خاصة .. يعني.. في نشأتك الريفية المتواضعة والبسيطة ولكن طموحاتك كانت كبيرة جداً... أكبر من الحجم الريفي الذي كنت تعيشه سابقاً يبدو... وربما هذه المهمة وهذه العزيمة دفعتك دفعاً قوياً إلى أن تصل إلى هذه الحقيقة؟

- الآن... بالحديث عن الريف نجد أنه لم تعد هناك فروق في الحياة بين الريف والمدينة.

* في الوقت الحاضر؟

- في الوقت الحاضر بين حياة الريف أو الحياة في المدينة.. لأن القرى الآن بدأت تتحول إلى مدن صغيرة تتوافر فيها جميع الخدمات بحيث أن الإنسان لا يشعر بتلك النقلة التي كان يشعر بها في السابق عندما ينتقل من القرية إلى المدينة.

* لكن في زمانك كانت هناك

- نعم . . نعم لاشك

* يعني قبل أربعين سنة تقريباً أو هكذا؟

- نعم.

* في مجاميعك القصصية، سوق الخميس.. السعف والنخلة... النساء والحب... بعض الظن... من هي المرأة في هذه المجاميع.. يعني.. ماهي شخصية المرأة! من هي تلك المرأة التي تكتب عنها؟

- المرأة الأم.. المرأة الزوجة... المرأة الأخت... المرأة الحبيبة... المرأة بشكل مطلق.

* نعم وهل كنت حيادياً؟

- إلى حد ما.. كنت أحاول أن أكون حيادياً..

* دائماً المرأة حينما تكتب عن الرجل تتهم بأنها مجحفة بحق الرجل.. وتلقي عليه دائماً باللائمة... وحينما يكتب أيضاً الرجل عن المرأة قد يلقي عليها ببعض اللائمة... إلا نفر قليل من الرجال الذين تغلبهم العاطفة.. فهل أنت من هذا النوع الأخير؟

- عندما أكتب عن المرأة لا أتوقع أن ترضى عن كل ما أكتب.. لأن هناك بعض المآخذ التي هي موجودة في الواقع وكوني أسجل هذه المآخذ لايعني أنني أظلم المرأة... فسياق الحدث في القصة يفرض عليّ أن تكون هذه المرأة وهذه الشخصية من النساء بهذا الشكل أو بهذا الحجم الذي ينسجم مع أحداث القصة لكن لا أحاول أن أظلم المرأة.. وإن كانت هي تظلم نفسها أحياناً.

* مثل الرجل.. أحياناً؟

- نعم.

* ولكن يقال إن أصدق من يكتب عن المرأة هي المرأة.. ومع ذلك هل وقفت نصيراً للمرأة؟

- لست نصيراً للمرأة.. ولست ظالماً... ولا أظن أن خير من يكتب عن المرأة هي المرأة... لأنها تنظر إلى نفسها بشيء من... بعيد عن الواقع... وأتصور أن كتابة الرجل... وهو الذي يراقب المرأة عن بعد وعن قرب أيضاً ستكون أكثر واقعية مما تكتب هي عن نفسها.

* نعم جميل... وباعتبارك قاصاً وأديباً وصحفياً أيضاً... ولك طبعاً برنامج إذاعي معروف يقدم عبر إذاعة المملكة العربية السعودية من الرياض... كيف تحكم على ما يسمى بالأدب النسائي... ومن هذا الأدب القصة القصيرة النسائية ونحن نرى طبعاً في ساحتنا الثقافية والأدبية عديداً من الأسماء القصصية التي قدمت... ولها بصمات جيدة في الساحة... كيف ترى هذا النوع من الكتابة... وبالذات حينما تكتب المرأة عن نفسها... من خلال هذه القصص؟

- لست ممن يؤيدون قول الأدب النسائي والأدب الرجالي.. أعتقد أن الأدب هو الأدب سواء كتبته المرأة أو كتبه الرجل.... إذا اتفقنا على أن نسمي إنتاج المرأة بالأدب النسائي فهذا يعني أن

نقول الأدب الرجالي بالمقابل والأدب مقياس تسميته أو تقييمه هو مدى صدقه الفني ومدى قدرته على تفاعل القارئ معه أو مدى قدرته على إرغام القارئ أو المتلقي على التفاعل معه... وتحفيزه على أن يكون لهذا التفاعل أثره في نفس المتلقي .. لكن كون أن نسمي هذا أدب نسائياً وهذا أدب رجال فلست مع هذه التسمية.

* نعم.. إذن.. إنما أعني ذلك الأدب الذي تكتبه المرأة بغض النظر عن المصطلح سواء اتفقنا أم لم نتفق على مسماه كيف ترى هذا الأدب الذي تكتبه المرأة؟ القصة بالذات.

– هذا يختلف من كاتبة لأخرى .. يعني... لايمكن الحكم على جميع ما تكتبه ال....

* رغم رومانسية المرأة؟

– رغم رومانسية المرأة.. .. أي نعم... أي نعم.. وهناك أسماء معروفة.. يعني.. هناك من يؤاخذ .. يؤاخذهن على هذه الواقعية... لكن هذه المؤاخذة .. بغير محلها.

* يعني... ربما رغبة في البحث عن حلول مباشرة... قد تعود إلى حلول.. لكن ألا يشكل الأدب القصصي النسائي إذا اتفقنا على هذا المسمى تياراً معيناً.. مثلاً لنأخذ بعض الأسماء... بدرية البشر.. أميمة الخميس.. نجاة عمر.. نجوى هاشم... خيرية السقاف ربما تكتب قصة .. فوزية البكر.. قماشة السيف.. شريفة الشملان... مجموعة... آسف إذا كنت لم أستحضر كل الأسماء... هذه السلسلة الجميلة من الأسماء ألا تشكل تياراً معيناً يمكن أن يدرس؟

– يمكن نعم... إذا أردت على المستوى الأكاديمي تقديمه في دراسة ممكنه لأن أي جانب من جوانب القصة القصيرة سواء من هذا الإطار الذي ذكرت أو في أطر أخرى ... يمكن التركيز عليها من باب التخصص أو من باب الاستفادة لتقييم هذا التيار أو هذا الاتجاه الذي ينظم تحت مسمى واحد أو تحت عنوان واحد... وما قدمته المرأة في مجال القصة يستحق بالفعل أن يدرس وأن يقدم وأن يقوّم بشكل جاد وأكاديمي يثري حركتنا النقدية.

* جميل.. لكن ألا تعتقد أيضاً أن هناك دفعاً... دفعاً فيه مبالغة بالنسبة للمرأة... إلى رغبة في تكوين جيل من الكاتبات؟

– لا أعتقد هذا... لأن الكاتبة الجادة هي التي تفرض نفسها.... ومن فرضن أنفسهن على الساحة الثقافية هن دون شك كاتبات .. يعني.. لا يقل مستوى إنتاجهن .. إن لم يتفوق على بعض الكتابات التي يبدعها الرجل.

* وأيضاً.. ألا تعتقد أن الصوت النسائي قد يكون أكثر جرأة من بعض الأصوات الرجالية في كثير من المواقف الفكرية؟

– بالنسبة للقضايا الفكرية أنا أجد العكس... أجد أن الرجل صوته أعلى من المرأة وأكثر جرأة

. . . المرأة لاتزال قلبلة بقيود قد تكون وهمية وتعيش في ذهن المرأة نفسها. . . لكن بشكل عام أجد أن طروحات الرجل بالنسبة لقضايانا الثقافية هي أكثر جرأة وأكثر جدية من المرأة.

* نعم. . . جميل . . . الأستاذ خليل إبراهيم الفزيع. . . لنعد إلى ذاتك. . أنت كاتباً. . . وقد كتبت الزاوية اليومية الصحفية سنين طويلة. . . هل أنت. . . يعني. . . مقتنع تماماً من كل ما تكتبه يومياً؟ أم أنك أحياناً مرغم بحكم الحاجة الصحفية التي التزمت بها؟

– لا يمكن أن أكتب شيئاً غير مقتنع به.

* أرجو أن تكون صريحاً في هذه الإجابة يا أستاذ؟

– نعم . . عندما كنت رئيساً للتحرير كان وصفي الوظيفي يفرض عليّ أن أكتب في مواضيع معينة. . . لا يعني هذاأني غير راضٍ عنها.

* لكن باسمك الصريح؟

– وباسمي الصريح أيضاً. . . لا يعني هذا أني غير راض عنها لكني مطالب بالكتابة فيها. . . وأنا مقتنع بأن هذه الكتابة لازمة وواجبة لكن هذا ال. . . . هذه الاستجابة للإقدام على الكتابة. . ليس اختياراً ذاتياً.

* نعم . . وإنما بحكم العمل. . يعني؟

– إنما بحكم العمل. . . ومع ذلك لايمكن أن أكتب شيئاً غير مقتنع فيه. . . بالنسبة لوصفي الحالي أصبحت حرية الاختيار أكثر مما هي في السابق لأن مجالات الكتابة كما تعلم واسعة. . . وقضايانا وهمومنا ومشاكلنا الاجتماعية. . ومشكلاتنا الاجتماعية . . يعني. . واسعة وكبيرة. . . ويمكن الكتابة فيها إلى آماد كبيرة.

* نعم. . . ولكنك تجد أيضاً ذاتك الأدبية فيما تكتب أو ذاتك الصحفية المطلقة؟

– فيما يتعلق بالزاوية اليومية هي ذاتي الصحفية مع الأسف وإن كنت أحاول أن أتخلص من هذا الأمر. . .

* وهل تستهلك ذاتك في الكتابة اليومية وخاصة أنك تكتب منذ سنوات طويلة؟

– ليست الكتابة الصحفية هي التي تستهلك ذاتي. . قد تستغرب إذا قلت لك إن الكتابة الإذاعية أو الإعداد الإذاعي هو الذي يستهلك الجهد. . . ولو كان في مجال الأدب.

* الأدب؟

– أي

* يعني. . كأنك تشكونا إلى أنفسنا . . تشكو برامج الإذاعة؟

– لأن هذا . . يعني. . . يستغرق وقتاً طويلاً حتى. . خصوصاً إذا أردنا حسن الاختيار فيما

نقدم.

* مع أن أكثره جُمع من النشاط الثقافي؟

- نعم... هو جمع ولكن عملية الاختيار من هذا الجانب يعني.. تقتضي منك حساً معيناً... لأن ليس كل ما يكتب يمكن أن يقدم في الإذاعة... كما تعلم.. وإلى جانب هذا أيضاً هناك آراء أو أفكار أو قضية أدبية لابد أن نطرحها.

* وأن تصدر حكماً فيها؟

- وأن تصدر حكماً فيها.. هذا أيضاً لايدخل تحت دائرة الاختبارات أو الانتخاب من مصادر أخرى.

* الآن أكمل دورة كاملة برنامجك الإذاعي الذي هو؟

- أكثر من دورة كما أعتقد.

* نعم... بمسماه الكامل؟

- نعم نعم

* مسماه الكامل يا أستاذ؟

- عالم الأدب.

* لكي تذكر المستعمين به... أكمل دورة ويبدأ في الدورة الأخرى.

- نعم.

* أو بدأ الآن في الدورة الأخرى؟

- بدأ نعم.

* بدأ في الدورة الثانية.. نعم... إي... هذه علامة تبشر بالخير يا أستاذ ... على أنه سيستمر سنوات؟

- والله لا أعرف.

* لكن لأول مرة تجرب العمل بالإذاعة؟

- لا.. كان لي... كانت لي تجارب سابقة في الإعداد الإذاعي سواء عندما كنت في قطر أو قبل ما أجي قطر كنت أعد بعض الأحاديث... وهي غير إعداد البرامج.. كانت لي تجربة أيضاً في الإعداد التلفزيوني.

* إعداد تلفزيوني.. هو نفس الموضوع؟

- نعم.. هو نفس الموضوع... ولو أن الإعداد التلفزيوني أخف وطأة من الإعداد الإذاعي.

* مرة أخرى نعود إلى الزاوية اليومية ونعود إلى الصحافة .. ماذا أعطتك جريدة اليوم حينما

خدمتها اثني عشر عاماً؟

– أعطتني الكثير دون شك.. أعطتني نظارة سميكة لا يمكن القراءة إلا بها أعطتني محبة القارئ... أعطتني دائرة واسعة من المعارف التي أعتز بها... مهما قلت عن اليوم فلا يمكن أن أفيها حقها.

* هذا نبل ووفاء جميل... ولازلنا أيضاً وفاؤك متواصلاً في هذه الزاوية... وماذا تتوقع لها في المستقبل بعد أن تركت يعني مقعد الرئاسة وأصبحت من الكتاب والمتفرجين على ما تقدمه كقارئ؟

– آمل أن يكون مستقبلها أفضل من ماضيها.. وأنا واثق أن المسؤولين فيها الآن حريصين كل الحرص على أن يصلوا بها إلى مستوى يتساوى مع الصحف الناجحة في بلادنا إن لم يتفوق عليها... وهناك بوادر فعلية لهذا الأمل... وقد بدأ المسؤولون في المؤسسة بتنفيذ بعض المشاريع التي نأمل بعد تحقيقها أن تحقق قفزة لليوم تصل إلى مستوى طموحات القارئ في المنطقة الشرقية.

* بالمناسبة يقال إن كثيراً أو بعض الأعضاء في المؤسسات الصحفية المؤسسين قد يكونوا بعيدين.. يعني .. بعداً تاماً عن سياق العمل الصحفي والثقافي... وقد يكون واقعهم للتأسيس أو للعضوية في التأسيس السابق منطلقاً من رؤية تجارية بحتة .. بعيداً عن الرؤية الثقافية ألا تعتقد أيضاً أن النظام نظام المؤسسات الصحفية أصبح مهياً للدراسة وللتعديل وللتغيير حسب المستجدات التي طرأت على هذه البلاد من متغيرات ثقافية وأدبية واجتماعية تساير هذه المرحلة التي نعيشها وتساير ما نطمح إلى الوصول إليه؟

– هذا الموضوع ينقسم إلى شقين .. الشق الأول فيما يتعلق بأعضاء المؤسسة الصحفية ... والشق الثاني فيما يتعلق بتطوير نظام المؤسسات الصحفية... أعضاء المؤسسة الصحفية حتى التجار منهم أعتقد أن لديهم الرغبة في الربح... لا يتحقق إلا من خلال التطوير... هناك بعض رجال الأعمال من وصل منهم إلى إدراك هذه الحقيقة وبالتالي فإنهم لا يتوانون عن تقديم أي عون أو أي مساعدة في سبيل تطور مطبوعاتهم أو مطبوعاتهم التي تصدر عن مؤسساتهم الصحفية... فهذا الجانب.. أعتقد .. بأن اتهام رجال الأعمال بكونهم يقفون في طريق تطوير المؤسسات الصحفية هذا غير صحيح... لأن هناك كما قلت من لديهم الوعي والحس التجاري أيضاً الذي يدفعهم إلى تطوير هذا العمل الصحفي أو تطوير الصناعة الصحفية لأنها بالتالي ستدر عليهم أرباحاً تحقق نزعتهم التجارية.

* طيب في زمن الستلايت أو الدش .. كيف تبرمج وقتك يا أستاذ خليل... وهل أخذ منك جهاز التلفزيون أيضاً وقتاً طويلاً على حساب القراءة والاطلاع والتثقيف الكتابي؟

– حتى الآن لم يأخذ مني التلفزيون وقتاً أكثر مما يستحق... ولم أتعامل مع الدش حتى الآن... لا أعرف في المستقبل ما... على أي نوع سيكون الأمر.... ولكن حتى الآن لم أتعامل مع الدش... وبالتالي لم تؤثر محطات التلفزيون الأخرى على وقتي... وأنت تعرف أننا في المنطقة الشرقية أساساً نستقبل عشرات المحطات.

* عندكم دش طبيعي... يعني

– بالنسبة لدول الخليج .. أغلب دول الخليج لديها أكثر من محطة... فالعملية يعني.. المواطن في المنطقة الشرقية تعوّد على هذا الزخم من البرامج أومن المحطات دون أن يحتاج إلى الدش. لكن أنا شخصياً لم أجرب التعاون مع الدش حتى الآن.

* جميل... وماذا تقرأ؟.. وهل في رمضان يعني... نسبة القراءة تنزل أكثر؟

– في رمضان أكثر قراءتي في القرآن الكريم.. أحاول أن أصرف أغلب وقتي في القراءات الدينية ما أمكن.

* نعم .. شيء جميل.

– وأحاول قدر الإمكان أن أتخلص من الأعمال الروتينية التي إلى حد ما .. ولو أنها... هذه الأعمال يعني... أصبحت... أمراً.. لابد منه.. معترك الحياة يفرض عليك أن تتحرك.

* والقراءات الأخرى أيضاً؟

– أيضاً أن تقرأ وأن تطلع.

* هل استطيع أن أعود بذاكرتك إلى ماتقرؤه الآن.. يعني الكتاب الذي بين يديك في المنزل ماهو؟

– الآن لدي مجموعة من الكتب والمتعلقة برمضان.. لأني مكلف بإعداد برامج رمضانيات في الإذاعة.

* برنامج يومي؟

– برناج يومي... أي نعم... وهذا اقتضى مني أن أركز على هذا النوع من القراءة.

* ماهي طبيعة البرنامج؟

– طبيعة البرنامج تتحدث عن عادات وتقاليد... كانت سائدة في السابق.

* نعم.. نعم .. يعني بأسلوب درامي.. بأسلوب دراما إذاعي.. تمثيل إذاعي؟

– لا .. بأسلوب الكتابة العادية.

* كتابة عادية.... سرد إذاعي... وعشر دقائق؟

– عشر دقائق.

* يعني.... أصبحت إذاعياً الآن؟

- نعم . . إعداداً فقط.

* إعداد طبعاً وتقديم بعض الزملاء؟

- بعض الزملاء نعم.

* جميل .... طيب لديكم في المنطقة الشرقية استوديو للإذاعة . . أو مكتب في الواقع خاص بالإذاعة . . وفيه زملاء يخدمون هذا المكتب بشكل جيد... ماهي طموحاتكم لهذا الاستوديو لكي يخدم المنطقة ثقافياً وإعلامياً؟

- الذي يستحق الإشا دة بالفعل أن هذا المكتب أو هذا الأستوديو منذ وجوده وهو يحاول استقطاب الأدباء في المنطقة الشرقية والكتاب والمثقفين للتعاون مع الإذاعة... وقد أفلح في هذا.. وقد نجح في هذا لأن قائمة الدورات الماضية اشتملت على برامج... على أكثر من برنامج في المنطقة الشرقية حتى في دورة رمضان... هناك ثلاث برامج رمضانية تعد من المنطقة الشرقية.

* شيء جميل.

- وهذا شيء جيد... والدورات السابقة أيضاً اشتملت على نسبة غير قليلة من البرامج التي تعد من المنطقة الشرقية... لكن هذا لا يمنع من الطموح بأن تتوسع دائرة نشاط هذا الاستوديو.. وأن يوجد فيه مذيع أو أكثر من مذيع ومراقب لغوي ومخرجين يساعدون على دفع العمل الإذاعي...

* يعني إذاعة مصغرة ... نعم.. طموح جيد.. ونحن الآن نسجل في هذا الاستوديو... استوديو مجهز بكل...

- زيارتكم للمنطقة الشرقية زيارة موفقه ... نتمنى أن تطول

* أن تطول أو أن يكون هناك يعني... مذيع ينتدب بين فترة وأخرى لتغطية نشاط المنطقة.

- أذكر أن تلفزيون الدمام عندما أنشئ قبل حوالي عشرين سنة كما أذكر أو خمس وعشرين سنة .. كان لا يخلو من مذيع لأنه كانت تقدم فيه نشرات أخبار.... فكان التناوب مستمراً.. عندما تنتهي مدة مذيع لا يتحرك إلا أن يأتي المذيع

* يأتي المذيع الآخر

- اللي بعده.. أي نعم

* ونتمنى ذلك في الأستوديو؟

- ونتمنى ذلك أن يكون من نصيب استوديو الدمام أيضاً...

* في ختام هذا اللقاء أستاذ خليل.. أود أن توجه بعض الرسائل المختصرة عبر الميكرفون إلى بعض الجهات المسؤولة عن الثقافة... فمثلاً النادي الأدبي في المنطقة الشرقية هل تتوقع أن يكون

قد قام بالجهد المطلوب من خلال الفترة القياسية الصغيرة التي أنشئ فيها؟

- طموحاتنا أكثر مما قدمه النادي.. لديه إمكانيات مادية طيبة في الحقيقة النادي.. وكان يمكن أن يتوسع في نشاطه.. وكان يمكن أن يقدم ضعف ما قدمه حتى الآن... لكن يبدو أن هناك عوامل تحد من توسع نشاط النادي.. وهذا لا يعني أن نأمل أن يقدم المزيد.. ما أعرفه أن النادي لا يستهلك ميزانيته وهذا أمر مستغرب.. لأن المثقفين في المنطقة الشرقية لا يزالون بحاجة ويأملون أن تتوسع دائرة نشاط النادي سواء في الدمام أو في المدن القريبة من الدمام التي لا توجد فيها أندية ثقافية.. أندية أدبية وأنت تعرف أن الدمام والمنطقة الشرقية هي أكبر منطقة في بلادنا.. تمتد من حفر الباطن إلى آخر حدود قطر.... وتشمل الأحساء بكل مدنها وقراها.. وتشمل القطيف وكل مدنها وقراها.. تشمل المدن الحديثة .. فيفترض أن يكون النادي أكثر تفاعلاً مما هو عليه الآن... وأستغرب كيف لا يستطيع النادي استهلاك ميزانيته في الوقت الذي تشكو المؤسسات الثقافية الأخرى من فقر صناديقها بالصرف على النشاط الثقافي.

* إذن هذه برقية.. رجاء وأمل إن شاء الله؟

- نعم إن شاء الله.

* مجلة الشرق كمجلة وحيدة في هذه المنطقة... أعتقد أنها لا زالت .. يعني... تحتاج لبعض التطوير كيف لنا أن نتأمل مستقبل هذه المجلة... إما أن... وإما أن؟

- هناك اهتمام واضح من قبل وزارة الإعلام بتطوير هذه المجلة.... وأعتقد أنه تم تشكيل لجنة.. لجنة استشارية أو لجنة لتقديم دراسة عن تطوير هذه المجلة.... وباعتباري عضواً في هذه اللجنة يمكن أن أقدم للمستمع خبراً بأن هذه اللجنة ستبدأ اجتماعاتها قريباً... ويفترض أن يكون لها دورها في تطوير هذه المجلة... وأعتقد أن المسؤولين في هذه المجلة يرغبون في هذا التطوير.

* جائزة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز أمير المنطقة الشرقية للتفوق العلمي قدمت عديداً من الوجوه المتفوقة في السنوات السابقة التي منحت فيها الجائزة.. في منظور اللجنة المنظمة أو المشرفة على الجائزة... هل يمكن أن تتوسع الجائزة في مفهوماتها العلمية والثقافية بحيث تكون أشمل قليلاً..؟

- الملاحظ أن هذه الجائزة منذ إنشائها وهي تضيف في كل سنة شيئاً جديداً لأعمال السنة السابقة فعملها متطور وجلسات لجنتها متواصلة وهي تأخذ بكل جديد يمكن أن يضيف إلى فعاليات هذه الجائزة ،والمستقبل.. يعني.. سيكشف أموراً أخرى إن شاء الله نأمل أن تكون في مستوى طموحات المواطن.

* يعني.. مثلاً... خليني أحلم أنا شخصياً كمتابع لهذه الجائزة الرائعة... ممكن أن تكون

هناك جائزة لأفضل قصة.. لأفضل مجموعة قصصية.. لأفضل شاعر.. لأفضل قصيدة.. لأفضل مؤلف..؟

- ظننتك ستقول لي.. لأفضل مذيع.

* ما أعتقد أن هذا الموضوع مطروح الآن؟

- إن شاء الله.. أن شاء الله.

* يعني... أنا.. كحلم أدبي؟

- إن شاء الله...

* أتمنى ذلك في المستقبل... وأتمنى أيضاً أن تكون هذه الجائزة لها نظيرات في كل ما تقدمه؟

- أعتقد أن المؤسسات.. المؤسسات الثقافية الأخرى يعني لم تقصِّر في هذا المجال.. سواء من خلال المسابقات الثقافية التي نظمتها الأندية الأدبية أو من خلال التشجيع الذي.. نقدمه أو الجائزة التي تقدمها جمعية الثقافة والفنون للمبدعين وللأدباء والفنانين الذين يتم تكريمهم بشكل متواصل.

* هذا صحيح.

- فهذا يعني أمر تتولاه مؤسسات ثقافية أخرى.

* نتمنى أن تكون الجائزة على مستوى المملكة؟

- هي الجائزة.. في حقيقتها.. الجائزة تتعلق بالنواحي العلمية فقط.

* الآن.. وضعها الآن..؟

- التفوق العلمي

* ربما مستقبلاً نسمع جائزة...؟

- إن شاء الله.. إن شاء الله.. نأمل مستقبلاً أن يكون لها مركزها المتميز الكبير... ودورها الأشمل والأعم في خدمة الثقافة في بلادنا بشكل عام.

* أرجو أن لا أكون أتعبتك في هذا الحوار؟

- أبداً.

* فقد أمتد بنا الحوار ساعة الآن؟

- هذا حواراً أسعدني كثيراً.

* الله يحفظك... ولكن نحن الآن على مشارف نهاية البرنامج.. فيطيب لي باسمي أولاً وباسم السادة المستمعين أن أشكرك جزيل الشكر على هذه الساعة الممتعة بصحبتك من خلال تجربتك الثقافية والأدبية والصحفية ومن خلال ما طرحناه من بعض الإضاءات القصيرة والمختصرة حول مضامينك الكتابية والقصصية.. شكراً لك.

– شكراً . . وأرجو أن لا نكون قد أثقلنا على السادة المستمعين.

* نعم . . . أرجو ذلك . . وشكراً لضيفنا مرة أخرى . . . الأستاذ خليل إبراهيم الفزيع . . . رئيس تحرير جريدة اليوم سابقاً . . عضو لجنة الإبداع في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية . . عضو النادي . . وعضو جائزة الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز للتفوق العلمي . . عضو مؤسسة دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر . . والكاتب الصحفي والقصصي المعروف . . شكراً لكم أيها الأخوة . . نلتقي غداً بإذن الله في لقاء جديد.

زكي نجيب محمود

الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود واحد من المفكرين العرب القلائل الذين يجمعون بين وضوح الرؤيا والاعتدال... وقد نهج في حياته الفكرية متنقلاً باحثاً عن حل لإشكاليات العقل الشرقي في مهمة البحث عن وجود حقيقي وخاصة في مطلع النهوض العربي، في منتصف هذا القرن.. وقد سعى إلى أن يكون له رأيه الحاد والصارخ في البحث عن الوجود العربي السالف الذكر، فأشار إلى مواضع السوء، ومواضع الإشراق في فكر العالم المعاصر، وفي مكتسباتنا العقلية، وربما لحقه شطط بالغ في تصوير المساوئ والمحاسن.. ولكنه الآن في إصدارات كتبية مختلفة يبني فكراً جديداً قائماً على التوازن والاعتدال. نحن واجهناه بكثير من حقائق فكره القديم، وتأملاته الجديدة.... وكيف يوفق بين رؤيتيه «التغريب» ثم العودة إلى تراث «المشرق».

* أذكر لنا الملامح الرئيسية عن تنقلاتك العلمية أثناء دراستك بشيء من التوضيح؟

– قبل أن أنهي دراستي كنت قد تعلقت بتحصيل المعرفة سواء كانت تلك المعرفة على صلة بالمواد العلمية التي تدرس في المعاهد والجامعات أو هو تحصيل للثقافة العامة كما يكتبه كبار كتّابنا العرب وهناك أيضاً الكتاب الإنجليز بصفة خاصة، لأنني نشأت في مدرسة إنجليزية أساساً، فكانت اللغة الإنجليزية طوع استخداماتي التي أريدها فكنت أقرأ من الصغر بصفة خاصة بعد أن بدأ صدا الشباب (أي بعد المراهقة) بدأت في القراءة التي لم تنقطع، فكنت أقرأ كل ما يكتب تقريباً على أيدي كتابنا الكبار عندئذٍ مثل لطفي السيد وطه حسين والعقاد والدكتور هيكل وهكذا كما كنت أقرأ عندئذٍ أيضاً خير ما يصدر من المطبعة الإنجليزية في انجلترا لكبار الكتاب كان أكبرهم عندئذٍ دنتس بدسي وبرناردشو.... إلى آخر هذه الروافد التي كونت لدي بالتدريج وجهة نظر بالطبع... لأن الإنسان حين يقرأ قراءة فيها فاعلية بينه وبين المادة المقروءة لا يكتفي بأن يملأ الوعاء فقط وهو في حالة شهية، لأن هذا الوعاء حين يمتلئ يتحول عند صاحبه إلى وجهة نظر خاصة به يستخدمها بعد ذلك في تشكيل ما يحصله من معرفة بعد ذلك.. تشكله التشكيل الذي يناسب يده فيصبح قادراً على النقد، كلما قرأ شيئاً في النقد بمعنى التحليل الذي يمكنه من أن يقبل هذا ويرفض هذا ويعدل هذا ... إلخ

تكونت لدي هذه الرؤيا مبكراً وبطبيعة الحال عندما بدأت فقد بدأت على شيء من الغموض وبدأت تتضح لي بالتدريج... ولم أنقطع عن الخط الثقافي إلى جانب الخط المهني الخط المهني... أعني به التدريس والفلسفة بصفة خاصة والخط الثقافي العام هو رؤيا عامة تساير الأدب والفن

والفكر بصفة عامة وهكذا سرت في الخطين المتوازيين حتى سافرت إلى إنجلترا في بعثة علمية وحصلت على الدكتوراه هناك وهناك كانت أيامها الحرب العالمية الثانية قائمة على كل حال لم تمنع الحرب العالمية الثانية التيارات الفكرية الجديدة من النشوء هناك ووجدت في تلك التيارات ما يعمق الرؤيا الأساسية التي قد كنت كونتها لنفسي وعلى الرغم من أنها كتابات أو تيارات لم تكن هي التي جئت لأدرس على أساسها لكنني سرت فيها سيراً خاصاً بي لم يفتني أن أغترف من التيارات الفكرية بقدر المستطاع ، أهم هذه التيارات التي التقطتها وأخذت أعب منها عباً بغير حساب حتى قويت عندي النزعة التي كانت قد بدأت عندي قبل سفري على شكل رافد وهي التربة الشكلية في تحديد معاني الأفكار هذه رسالة ثقافية لا وجود لها تقريباً في الثقافة العربية الجديدة. . . نحن كسائر البشر نعيش حياة فكرية سياسية اجتماعية، وهكذا وبالطبع مثل هذه الحياة تدور حول محاور أساسية لأن الأفكار المحورية الأساسية في أي ثقافة في الدنيا ليست كثيرة أربعة أو خمسة محاور أساسية تدور حولها الرحى الفكرية.

ولا يمكن لصاحب التحليل العقلي أن يستقطب حتى هذه الأربعة أو الخمسة محاور في محور أساسي واحد يكون هو الطابع المميز لثقافة معينة أو شعب بعينه هذه المحاور الأساسية على كل حال نأخذها نحن في ثقافتنا ولكننا أصبحنا نأخذها بشيء من الإبهام والغموض دون أن ندرك فنتج عندنا الآن حياة ثقافية يعيشها العالم العربي وكأنه يعيش في شيء من الضباب دون أن يدري!

هو لو تنبه إن تلك الأفكار التي يبني عليها سلوكه وأحزابه وجهاده وغير ذلك لابد لها من وضوح تام في ذهنه بحيث تحدث التواصل بين فكرة وفكرة حتى لا يخلط بين هذا وذاك.. لو تبين ذلك لعرف سلوكه وأهدافه بوضوح هذا ليس هو القائم في ثقافتنا الآن ولذلك أهم ما يعاب على الثقافة العربية الحديثة القائمة أنها خليط «مغبش» في أذهاننا تريد من يدعو إلى توضيحها فانا جعلت هذه هي مهمتي لأنها كانت مهمتي بالنسبة إلى نفسي أولاً ومادمت قد اقتنعت بأن الفكرة (أ) تختلف عن الفكرة (ب) وإن تشابهتا تشابها يخدع المتلقي إلا أنني مادمت قد بينت هذا الفارق فلابد أن أعرضه على الناس.. أهم ما أعمله لو سألتني ما هو الموضوع الأساسي الذي تكتب فيه من زواياك المختلفة في كل هذه المقالات والكتب التي أصدرها لكان جوابي هو محاولة توضيح الأفكار المهمة في حياتنا.

ماذا كنا نرى لو زرنا البصرة والكوفة في القرن الثاني الهجري أولاً سنجد علماء اللغة مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة كانتا مختلفتين جداً في تحليل اللغة ووضع قواعدها والأسس التي على أساسها نحكم على شيء في اللغة بأنه صحيح أو خطأ.

اختلفت هاتان المدرستان، ربما ليس هذا هو الموضوع الآن ولكن السؤال لماذا بالذات في هذا

الوقت المبكر من التاريخ الإسلامي يعكف هؤلاء العباقرة الفحول - في القدرة الفكرية والعقلية والقدرة التحليلية- لماذا يعكفون على اللغة «ليعوموها» أي ليستخرجوا ملأها ماء كي يفهم القرآن فهما أعمق وأوضح وأكثر تفصيلاً لان القرآن الكريم كتاب عربي مبين فمن أراد أن يفهمه حق الفهم لا مفر له من أن يدرس اللغة التي كُتب بها هذا القرآن، وكلما تدرج صعوداً في فهم اللغة وأسرارها ازداد فهمه للقرآن الكريم بغير شك هذا بالتالي كان الهدف فالهدف ديني ولكنه التمس إليه سبيل علم اللغة.

فنحن نقول الآن إذن إن توضيح الأفكار هو الجزء الأساسي فيمن أراد أن يكون إيمانه الديني قائماً على فهم صحيح لذلك الدين ولا نكلف الجمهور هذا العناء إنما نكلف من يتصدون للحياة الفكرية والعلمية ومنهم كما قلت على مدى زمن يتسلل هذا العلم والتوضيح إلى الجمهور العادي.

الرؤيتان الغربية والعربية

* د. زكي نجيب محمود لو عدنا إلى تاريخك الثقافي والفكري لوجدناه مليئاً بالإنتاج فهناك موقف من الميتافيزيقيا وشروق من الغرب هناك رؤية إسلامية وأخيراً هناك موقف في تحديث الثقافة العربية صدر أخيراً لو قارنا بين اثنين من هذه الكتب شروق من الغرب والرؤية الإسلامية كيف ترى نفسك في ذلك التاريخ الذي كتبت فيه هذا الكتاب وبين هذه الرؤيا التي خرجت بها أخيراً؟

– أنا حياتي الثقافية في الواقع تمتد في خط واحد وفي خيط واحد وفي وقفة واحدة وفي إنسان واحد ولكن كما أن الإنسان نفسه يجتاز مراحل نمو فهو مراهق ثم شاب ثم رجل ثم شيخ في كل هذه المواقف هو مازال هو والذات واحدة وإن تكن تزداد نمواً فهي تزداد نضجاً وتزداد تعبيراً نفسها بنفسها، فأنا شاء لي الله أن أذهب وأدرس في إنجلترا وشاء لي الله قبل ذلك إلى أن أتابع بدقة القضايا الفكرية كما كان يكتب فيها أعلامنا أولاً هنا والأعلام من كتاب أوروبا ثانياً إما مباشرة في لغتهم أقرؤهم أو أقرأ المنقول عنهم على أيدي كتابنا كنت بمجرد وصولي إلى انجلترا –وكان هذا قبل قيام الحرب العالمية الثانية– أقول الحق والصدق ولفت نظري بشدة الفرق البعيد بين كرامة الإنسان هناك في مجتمعه وكرامة الإنسان العربي في مجتمعه ولفت نظري بشدة استقلالية الفرد من الناس هناك –في انجلترا– واستقلالية الفرد من الناس هنا في المجتمع العربي كما لفت نظري دور الفرد الواحد هناك كل حسب درجته إلى أن يكون على وعي أكثر فأكثر فيقرأ... وأقارن ذلك بمن تركتهم ورائي في وطني وألاحظ انعدام وقلة هذه الصفات كلها فلا المتخرج من الجامعة يقرأ ولا الإنسان الفرد له أن يلتزم بكل الذي نريده من الإنسان. لو تأملنا كل هذه الصفات التي وجدتها ولفتت نظري بشدة وهيجت شعوري إلى حد الثورة الداخلية بيني وبين نفسي وأنا مغترب

فبدأت من هناك أكتب مقالات وأرسلها إلى مصر وتنشر في مجلة الثقافة التي كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر وأنا منذ ذلك الحين البعيد كنت عضواً في لجنة التأليف والترجمة والنشر كنت أرسلها وربما كانت تلك المقالات من أقوى ما كتبت في حياتي لأنها كانت تغلي بالرغبة أن يتنبه مجتمعنا إلى أي حد قد أهمل نفسه ثقافة وفكراً وكرامة للأفراد فلا غرابة أنني وأنا في تلك «الحمّى» أقول إن هؤلاء قد نجحوا وأصبحوا رواد العالم في الحضارة فلماذا لا نسلك الطريق الذي سلكوه، سلكوا العلم فلنسلك العلم فعلوا كذا لنفعل كما فعلوا كانت هذه هي الحمى الأولى، بالطبع جاءت بعد ذلك فترة هدوء رسخت عندي بعض الأسس فنستطيع أن نقول إن النقطة التي جاءت بعد ذلك جاءت بعد سنة ١٩٦٠م عندما نشرت عندئذٍ كتاباً صغيراً ولكنه مهم جداً في تاريخي الثقافي أسميته الشرق الفنان في ذلك الكتاب الصغير عرضت بإيجاز ثلاثة أنماط ثقافية شهدها التاريخ.

* النمط الذي ساد بالشرق الأقصى «الهند والصين واليابان»؟

* النمط الذي ساد في أوروبا بادئاً من اليونان والأقدمين ووجدت أن الشرق الأقصى بنى ثقافته قديماً على الرؤيا الفنية الصوفية الدينية – نستطيع القول . وهذه الأشياء تدرك إدراكاً مباشراً ولا تحتاج إلى تحليل نجد أن أوروبا سائرة بالطريق المضاد إذ بنت ثقافتها على أساس التقليد المنطقي العقلي العلمي وهنا وجدت أن هذين الجناحين قد التقيا لقاء جميلاً عظيماً قوياً عميقاً في الثقافة العربية بعد الإسلام بصفة خاصة فأدركت هذه الحقيقة. أن الإسلام كلف العقل البشري من أن يضم الجناحين معاً ضماً عضوياً بحيث لو جاءته القوة لاستطاع الطيران إلى أجواء الفضاء ويحتاج قليلاً من الإدراك المباشر هنا ويحتاج قليلاً من التحليل المنطقي هنا وبدليل أن المسلمين الأوائل لم يترددوا ابتداء من القرن الثالث الهجري في ترجمة كل ما أنتجه اليونان فلو كانت نفوسهم أو معداتهم، لا تهضم مثل هذا لما ترجموه ولا درسوه ولكنهم ترجموه ودرسوه ثم ترجموا عن الهند ما ترجموه بغزارة إذن تلك التي هضمت ثقافة الشرق الأقصى وثقافة اليونان فبكل بساطة نحن كان لنا هذا الموقف الثقافي العجيب القوي الذي فيه الخصيصتان ... أنا هنا لا أدافع دفاع الأبله عن ثقافتي كعربي، نعم أنا مثقف وعربي ولكنني على استعداد إذا وجدت منقصة في الثقافة العربية أن أقوله بكل شجاعة ولكنني أقول ما أؤمن به ولكنني حللت نماذج من التراث العربي الإسلامي في القرون الأولى لأبين كيف أنك تقرأ الإنتاج الأدبي أو الشعري أو الفقهي أو في أي الميادين الأخرى فترى بوضوح كيف كنا كالنحلة نمتص الرحيق من هذه الزهرة إلى تلك ونحول كل هذا ثقافة عربية أصيلة إذن فابتداء من كتاب الشرق الفنان توجهت هذا التوجه الذي يركز على الثقافة العربية في تراثها وحاضرها وفي الأساس التراث لأني درست كما درس ألوف غيري في مدارس مدنية لم أكن على

اتساع قراءاتي ودراستي لم أكن قد عبئت التعبئة القوية في التراث العربي الإسلامي كنت أعرف كثيراً جداً ولكن هذا الكثير جداً لم يكن قد تبلور في رؤيا من وجهة نظري لم يكن قد تكامل في لوحة واحدة متكاملة كاللوحة الفنية مثلاً فأخذت نفسي من ذلك الحين منذ ١٩٦٠م عند صدور هذا الكتاب.

قلت لابد ما دمت قد لمحت هذه اللمحة عن الثقافة العربية وأنها استطاعت أن تجمع بين الطرفين هذا الجمع العضوي القوي العميق فعليك إذن أن تكتب على عيون تلك الثقافة لنعرفها أكثر مما عرفت.

لا يناقشني إلا أستاذ؟

* من المدارس الفلسفية القائمة كالمنطق القديم المذهب المتكامل المدارس الأوروبية هل استفدت منها؟

– أنا أستاذ فلسفة كلية الآداب جامعة القاهرة والذي يناقشني في هذا ينبغي أن يكون أستاذاً مثلي لكن هناك أناساً لا يعرفون من كل هذا الميدان كلمة واحدة ومع ذلك استباحوا لأنفسهم الكتابة والنقد على أي أساس وعلى أي دراسة.

* عفواً دكتور كنت أريد أن اسأل هل استفدت في وضع المنهج المنطقي الوصفي من مدارس أوروبا الحديثة؟

– يا سيدي الفاضل المنهج لا يُقال عنه غربي ولا شرقي هذا نهج طريقه.. أداة، وليست هي في ذاتها فكرة هي أداة لذبح وتحليل الأفكار لكي تخرج أمعاءها حتى تتضح لأن الذي يحل دائماً لغة فأنا لست عبداً لهؤلاء لأن اللغة التي هي أصلاً لغة عربية أما اللغة التي حللوها هم هي لغتهم سواء انجليزية أو فرنسية وأنا أحلل لغة عربية والمفردات الأساسية عندما نستخدمها كقولنا ديمقراطية وحرية، حقوق الإنسان. التعاون، الوفاء بالعهد هذه كلها كلمات مهمة جداً ولكن ما معناها بالضبط ماهو مدلولها بالضبط.

العقل العربي الراهن

* المرحلة الحاضرة في تكوين العقل العربي هل تعتقد أن الجهود التي بذلت لتكوين هذا العقل والمنهج السليم لوضع رؤيا عربية نحو المدارس الفلسفية القائمة... الجهود التي بذلت هل أثمرت عن تبلور شخصية عربية عقلانية وهل تتوقع أن العقلانية مطلوبة في كل جهد؟

– لا أظن أبداً وأنا أقولها بكل يقين لا أظن أن العربي المعاصر حتى هذه الدقيقة قد استطاع أن يكون رؤية فكرية وثيقة ومن هنا تمزقنا أي لو كان المجتمع سليماً لكان المفروض أن يكون هنالك مناخ فكري عام موحد ليس كل واحد على حدة مضطراً أن ينصب في قالب لوحده.. ونختلف نعم نختلف في داخل مناخ واحد تحت سقف واحد يكون هو المظلة العربية تستطيع أنك لو دخلت البناء

الذي عملت فيه لاكتشفت أن كل مسكن فيه تجد كل واحد له رؤية مختلفة منا من يقول الماضي ومنا من يقول المستقبل ومنا من يقول أوروبا ومنا من يقول شرق أوروبا إذن نحن لم نتبلور على وجهة واحدة وهذا هو جهد من ينهلون في إجادة لكننا لم نبلغ منه إلا قليلاً وأقل من القليل.

المدرسة العقلية الفرنسية

* المدارس الفكرية الفرنسية بالذات التي جاءت عن طريق المغرب العربي في هذه الأيام تطبع كتباً كثيرة في السيسيولوجيا وغيرها من المدارس المنطقية الحديثة التي تترجم المدرسة الفرنسية . . . هل تتوقع أنها غذاء جيد أما أنها ربما تضع بلبلة في المنطق القديم؟

– لاحظ أن تلك الأسماء التي ذكرتها عدة تنويعات مما أسميناه الموضعية المنطقية يعني الموضعية المنطقية همها تحليل اللغة كما فعل ولكن بمناهجها الأدق –كما فعل آباؤنا– المتكلمون حتى في القرن الثاني الهجري بدأوا يتفحصون ويحللون اللغة مثل كلمة العدل والكثير من المفاهيم بدأوا بتحليلها بتحليلات رائعة ولكن تتناسب مع عصرهم، هؤلاء الناس الآن وأنا واحد منهم هذا محور عملي الأداة اللغوية والطريقة المنطقية الفكرية هذه الدراسات مهمة جداً لانها بدأت تعطي الإنسان قدرة على فهم ما يقوله الإنسان هو . . . الإنسان نفسه أما عن مقارنته المنطق القديم فالفرق بعيد هي امتداد ولكن كما تمتد الثمرة الناضجة من الفرع . . كان المنطق القديم كله ينصب على مفاهيم هي في ذاتها تريد تحليلاً فهو أخذ الكثير من المفاهيم دون تحليل اعتقاداً منه أنها ليست بحاجة للوقوف عندها وجعلها أساساً يقام عليه المنطق ولأن عصرنا عصر تحليل في كل نواحيه انصب تحليله على اللغة أيضاً فوجد أن الكثير من الألفاظ مبهمة وتحتاج إلى تحليل فالدراسات اللغوية – التي أشرت إليها– هي منطقية تعمل على تحليل وأظن المنطق القديم أنه لا يحتاج إلى تحليل.

أما الأنثربولوجيا فهي العودة إلي صور من المجتمع القديم ويعادلها تحليل تلك الصور الخاصة بالعلاقات الاجتماعية لأنهم سيجدون هنالك البنية أو القوالب الأساسية التي هي نفسها التي ما تزال قائمة في حضارتنا اليوم ولكن مع التشكيل.

أزمة فكرية .. ما سببها؟

* ألا ترى أن معوقاً كبيراً أمام نضج الفكر العربي الحديث هو عدم إباحة وفتح ساحة النقاش للأفكار التي تتلاقح وتنضج –تفضلت وذكرت الترجمة في العصر الحاضر في حضارتنا والنقل كانا من روافد الفكر العربي هل تعتقد أن هذه الأزمة سببها عدم حرية الرأي وحرية النقاش؟

– لا ليست الأزمة في أساسها الحرية والنقاش وغيرهما كلها فروع تفرعت عن الجذر أما ما هو الجذر فهو امتناع الصدق، امتناع الإخلاص، كل منا يرى أن يخرج عالماً بغض النظر هل هو حصّل العلم أم لم يحصله كل منا يريد أن يظهر قارئاً بغض النظر هل قرأ ما قرأ بإمعان أم لا . . .

نحن لا نخلص لأنفسنا نكذب.. نخدع أمام الناس فلو أخلصنا كما أخلص السابقون كما هو في القرن الثاني الهجري والقرن الرابع الهجري في ازدهاره وترى كيف أخلص فواحد مثل الخليل بن أحمد أراد أن يدرس اللغة لفهم معاني القرآن ومفرداته ترى أنه يحاول جمع مفردات اللغة العربية لأول مرة في التاريخ... نحن الآن نفتح القاموس المعجم ونظن أن هذا مجد.

ماهو المقياس اللغوي لمعرفة هل هذا الاستعمال اللغوي صحيح أم غير صحيح؟ أهل الكوفة قالوا ما استعمله العرب القدماء في الجاهلية صحيح أما الخليل وسيبويه فقد قالا لا، لابد من استخلاص قواعد علمية عقلية لكيف تشتق اللغة بعضها من بعض فإذا عرفتها يكون من حقي حتى أن اخطّئ الأقدمين جاءه ذات مرة رسول من الوزير يقول له إنه قد اختاره لتعليم أبنائه فكان بجواره كيس كبير به خبز جاف كلما جاع أكل منه قال له مادام في هذا الكيس خبز فلست بحاجة إلى تعليم أحد وضياع، وقتي هذا منتهي الإخلاص للعمل.

وهذا ما نعيشه الآن أزمة هوان العلم فأوروبا لم تنضج إلا عندما سمحت بالرأي وسمحت بجميع الآراء أن تتلاقح ما أراه الآن أن بعض العلماء يسعون إلى الوجاهة وبريق السياسة لأنه يرى أن السياسة أقصر الطرق للمناصب على الرغم من أنه لا يريدها بل ولا يتقنها ولا يفهمها.

جنة العبيط

* كتاب كتبته في بداية حياتك الفكرية تضمن أدباً، ونصفه الآخر تضمن شيئاً من الفكر «جنة العبيط»؟

- هذه هي المقالات التي كتبتها في لندن وهي ذات طابع خاص كتبت في لندن وبإيقاع خاص... يحكي عن الإنسان الذي ذهب إلى لندن فوجد للانسان كرامة بدءاً من الخادمة ونهاية بأي شخص ذي مقام كبير فعلى سبيل المثال كنت أذهب إلى المقهى وأرى أن خادمتي في البيت استقطعت جزءاً من وقتها وذهبت إلى نفس المقهى وطلبت لها شاياً أو قهوة في نفس المقهي هذه الصورة أيقظتني.

زكـريا تامـــر

زكريا تامر هذا الذي امتزج اسمه بأمشاج القصة وحروفها ودهشتها.. يقف الآن في مرحلة استشراف لحصيلة السنوات الطويلة من عام ١٩٦٠م حيث أصدر المجموعة الأولى «صهيل الجواد الأبيض» كان يكتب للكبار ظناً منه أنهم يفقهون ما يكتب، ويعون ما يقول... لكنه وجد أن الأطفال يحبون القصة، بل يعشقونها، ويعون ما تطرحه من نظرات وفكر بما يفوق احياناً وعي الكبار وفقههم..

وجد عالماً رحباً في أعينهم دعاه إلى أن يصدر مجموعات كثيرة منها: «لماذا سكت النهر» ٥٢ قصة عام ١٩٧٠م و«قالت الوردة للسنونو» ١٨ قصة عام ١٩٧٨م وآخرها عشرون قصة للأطفال في كتيبات صغيرة، يقول عنه المستشرق الألماني «غروتسفيلد» الذي حصل على الدكتوراه في تاريخ اللهجة الدمشقية وتطورها...!! «إنه ساحر فعلي ما يثبت قارئ قصصة أن ينشد إليه بكل أحاسيسه، ويتبنى بعدها وجهة نظره ورأيه في الحياة والوجود والأدب..» أتأبط تساؤلاتي المبعثرة، وأحاول جهدي أن أصل إلى ما أريد من هذا الرجل.. توجهت إليه في مجلة المعرفة السورية حيث يرأس تحريرها.. لكني علمت أنه أقيل عن رئاستها منذ شهر ونيف فهو يأتي إليها كالعاشق يواصل معشوقته.... وأخبروني أنه ينتظر الساعة التي يبحر فيها بمراسيه إلى معشوقة جديدة فمحبوباته كثر فهو قد رأس تحرير «الموقف العربي» ١٩٦٣م و «رافع» للأطفال ١٩٧٠م و «الموقف الأدبي» ١٩٧٢م و «أسامة» للأطفال ١٩٧٥م وأخيراً المعرفة ١٩٧٨م. وأعترف أن الدهشة اعتقلتني وأنني أسقطت في عالم زكريا... فقراءتي له لم تكن شاملة حاضرة... ولكنني قرأته حين تلوت في عينيه أسطر المعاناة الإنسانية العميقة الإنسان العربي المعذب، الذي يبحث عن «الظل» تحت قرص الشمس .. الإنسان المطارد بكرباج السلطات، وشعارات الوطنية والانتصار «القيصري»!!! قلت له:

يقول رياض عصمت في دراسته عن القصة السورية «الصوت والصدى» لقد كانت هموم زكريا تامر الأولى - خصوصاً في «صهيل الجواد الأبيض» عامة وعالمية الطابع، بحيث يمكن أن تعبر عن أي مكان وأي إنسان، حتى لتختلط الأمور فيما لو ترجمت إلى لغة أجنبية، فلا تميز هويتها السورية أو العربية ص ١٩٥.

* هل تعتقد أن هذا هو سر نجاح ترجمة قصصك إلى أكثر من عشر لغات؟

- حين أنشر أي قصة أنفصل عنها وتصبح كأني لست بكاتبها، ولذلك فانا لا أهتم كثيراً بآراء

النقاد . . . ولكل ناقد مطلق الحرية في إبداء وجهة نظره، مثله مثل أي قارئ، ولكنني بصورة عامة أنظر إلى القصة القصيرة على أنها عالم مستقل متكامل، له منطقه الخاص، عالم لا يتطلب معلومات ما من خارج القصة، ولذلك فإن محاولاتي في القصة القصيرة تطمح إلى تحقيق هذه النظرة بإخلاص وصدق . . وأعتقد اعتقاداً صارماً أن قصصي تعبر عن بيئات ومشكلات إنسانها بمستوى فني معقول، وهذا التعبير هو الحافز على ترجمة قصصي إلى لغات أجنبية فالمستشرقون الأجانب حين يترجمون لا يترجمون ماهو في رأيهم لا يتعدى النقل عن النتاج الإبداعي لأدباء بلدانهم، بل إنهم يبحثون عن الأدب المرتبط ارتباطاً حقيقياً بالإنسان العربي، ويشترطون أن يكون ذلك الأدب يتصف بالإبداع والابتكار.

* زكريا تامر عاش رحلة التجريب القصصي منذ الخمسينات إلى قمة الإنتاج بعد ١٩٦٧م هل تعيش الآن في مرحلة ثبات تقعيدي؟

– حين بدأت كتابة القصة في سنة ١٩٥٧م لم أفكر في أسلوب فني معين طمعتُ إلى التقيد به. . . بل كان كل مايشغلني هو أن ثمة رؤية لي للإنسان والحياة، وحاولت أن يكون التعبير عن هذه الرؤية بوساطة الكلمات وبوساطة القصة القصيرة التي رأيت انها جنس أدبي يتمتع بطاقات تعبيرية هائلة. . ومازالت القصة القصيرة حتى الآن بالنسبة إليّ هي ذلك السلاح القادر على نقل ما أرغب في قوله وحين يخيل إليّ أني قد وصلت إلى مرحلة الثبات والتكرار أكف ببساطة عن كتابة القصة، وأفتش عن وسيلة أخرى للتعبير عما أحس به. ولكنني مازلت مؤمناً بأن كل قصة جديدة أكتبها تشتمل على جديد ما.

* القاص يحاصر أثناء عملية الإبداع بثلاثة ضغوط. . الضغط الشاعري. . . والضغط السردي. . . وضغط الخوف من الانكشاف الأبله. . فكيف تستفيد من تعداد الضغوط دون أن تخسر شيئاً من إبداعك؟

– كل ما أوردته من تعداد لضغوط لا أشعر به، ولا آبه له. . . . وأستطيع الزعم أني لحظة أكتب، أكتب ما أريده بالضبط ولا أعاني أي مشكلة، بل المشكلة الوحيدة التي تواجهني هي ذلك الصراع الداخلي حتى يتجسد على الورق ما أتوق إليه. . . وفي معظم الأحيان أكون المنتصر، وأنجح في نقل ما أحس به.

أنا ضد الأطر والقيود. . . وأحاول باستمرار حين أكتب ألا أخضع لأي قيد، فمهمة الكاتب المبدع الأصيل هي في رأيي الكتابة وفق أسلوب متمرد من الأصفاد.

وأنظر إلى كل قصة أنتهي من كتابتها على أنها قيد، ومهمتي في القصة التالية تحطيم ذلك القيد، إن الامتحان الحقيقي لأصالة الأدب يتجلى في قدرته على رفض ماهو سائد فكرياً وفنياً وتقديم

البديل الشديد الصلابة.

* في بدايتك مررت بمرحلة انطباعية تسجيلية تجاوزتها في أكثر من مجموعة «دمشق الحرائق» «النمور في اليوم العاشر» «الرعد» إلى المرحلة التعبيرية التحليلية... هل ترى أن المرحلتين لا بد من المزاوجة بينهما في العمل القصصي على حد سواء؟

– عملي ينتهي لحظة أنشر القصة.. أما تقويمها فهو جزء من مهمة النقاد والقراء، ولذلك فإن سؤالك يبدو لي كأنه موجه إلى من لا يستطيع تقديم أي جواب ويكتفي بالسكوت.

* الجوع، الخوف، الحرية، المرأة، المطر، الشرطة، الأرض الباكية، الأحلام المنتحرة، هذه بعض عوالمكم، هل تعتقد أن ثمة شيئاً معها يهرم مع الزمن؟

– هذه الموضوعات التي ذكرتها أتوهم أنها تعبر عن هموم الإنسان العربي، ولن تهترئ بالسرعة التي تتخيلها.. ومن المهم هنا أن أشير إلى أن القصة التي ستبقى هي القصة الجيدة فنياً التي تتناول موضوعات تمت بصلة أساسية إلى القلب البشري... أما أهمية تناول موضوع ما في قصة في مرحلة من المراحل فهي بالتأكيد أهمية اجتماعية محضة، ولايمكن أن يستمد منها قيمة فنية.. والقيمة الفنية تلك هي التي تشكل القلب الحي للعمل الفني. ولابد هنا من أن نشير أيضاً إلى خطأ يرتكبه معظم النقاد العرب حين يتناولون بنقدهم الآثار الأدبية، فهم يهتمون في الدرجة الأولى بما تقوله تلك الآثار، أي بمضمونها، أي أنهم يعملون القصة القصيرة والمسرحية والرواية كأنها مقالة، ويلغون الخصائص المميزة لكل جنس من الأجناس الأدبية.

* التراث والجديد وقف منهما زكريا موقفاً وسطاً وهو إلى الجديد الأوروبي أميل... وهذا أثره بين على الأسلوب السهل الخفيف.. ما رأيك؟

– التأثر بالتراث نوعان، نوع سطحي ضحل مقلد شديد الشبه بالببغاء، ويتعامل مع الحياة المعاصرة كأننا مازلنا نحيا في أيام عروة بن الورد، ونوع آخر يتغلغل إلى أعماق التراث وينتفع بما يملك ذلك التراث من إمكانات باهرة... ويخيل اليَّ أني واحد من النوع الآخر، بل أعتقد أن تراثنا يمتلك ما يشكل أرضاً صلبة يقف عليها القاص المعاصر واثقاً بماضيه وحاضره ومستقبله، وإذا لم يحصل الكاتب العربي على تلك الأرض فإنه سيبقى طائراً غريباً منبوذاً لا يشبه الغراب ولا الحمامة.

* يغلف زكريا بالرمز في بعض قصصه، مثل «البستان» «الراية السوداء» «الاستغاثة» «الإعلام» من مجموعة «دمشق الحرائق» وطبيعي أن تكون هذه الظروف تحكم الكاتب لكن ألا يمكن أن يكن لاطلاعك على القصص الروسي والأوروبي أثر في هذا؟

– إن استخدام الرمز في قصصي ليس نوعاً من الهرب من مواجهة مشكلة ما وجهاً لوجه، كما

أنه ليس جواز سفر مزور لنقل بعض القيم التي قد تستنكر وتجلب المتاعب... الرمز بالنسبة إليّ هو إغناء للواقع ووسيلة للتعبير عن الإنسان بعمق، ومنأى عن النقل الفوتوغرافي لمشكلات العالم الخارجي، وبالطبع لايمكن النظر إلى الرمز على أنه نوع من الاستيراد لسلعة أجنبية، ولابد من اللجوء العفوي إلى الرمز والشعر إذا أراد الكاتب ألا يكتفي بتصوير الجلد البشري الخارجي، ويرغب في التوغل إلى أعماق النفس البشرية.

* هل الانفعال والتهيج يسبقان الفكرة أثناء الكتابة، أم أن الفكرة تبنى أساساً، ثم يتكامل الانفعال أخيراً..؟

– هذا سؤال من العسير علي أن أجيب عنه بدقة، فكتابة القصة بالنسبة إليَّ عملية تركيبية بالغة التعقيد، فالقصة الواحدة قد تظل في أعماقي عشر سنوات حتى أشعر أنها قد نضجت، ومعظم قصصي كتبتها أكثر من ثلاثين مرة، ولذلك حين أنهي كتابة قصة ما أشعر نحوها بكره وعداء، وأحس أنها عدوة انتزعت مني كمية من لحمي ودمي.

* واللحظة الحاسمة لكتابة القصة؟

– أنا لا أكتب إلا إذا كنت سليم الجسم مسيطراً على انفعالاتي سيطرة تامة، كما أحرص على أن يكون النقد الصارم المختبئ في داخلي مستيقظاً أشد اليقظة... وأفضل الحالات النفسية التي أوثر أن أكتب فيها هي الحالات التي أشعر معها بتعاطف عضوي مع كل ماحولي من نبات وحيوان وإنسان وحجر وتراب، وعندما أشعر أن كل ما حولي مفعم بالحياة الحارة.

* الرواية والقصة القصيرة يسيران معاً في طريق واحدة لم يعرف بعد ما السابق منهما... من تتوقع يحوز على قصب السبق؟!

– القصةالقصيرة جنس أدبي والرواية جنس أدبي مختلف، ولكل جنس خصائصه وقدراته ونجاح كل منهما مرتبط بموهبة الكاتب، ومدى أصالته، القصة القصيرة والرواية هما –في رأيي– سلاح قد يستخدمه الكاتب المحدود الموهبة لقتل ذبابة، فيما يستخدمه الكاتب الموهوب موهبة حقيقية لقتل أكثر الوحوش بطشاً!!

* ومستقبل القصة القصيرة في الحداثة هل ترى بينهما وبين الشعر تقارباً في الوصول إلى منافذ مسدودة؟!

– إذا تعامل الأديب مع الحداثة بوصفها زيا من الأزياء فهو بالتأكيد يسير في طريق مسدود. أما إذا كانت الحداثة تعبيراً عن رؤية جديدة للحياة والإنسان والكون فهي بالتأكيد ستمنحه أجنحة تتيح له الوصول إلى أراض لم يسبق لأحد أن يطأها، ولكن من المؤسف أن الحداثة المهنية في الساحة الأدبية العربية في المرحلة الراهنة هي حداثة مزيفة مضللة ولابد ن مقدم يوم تعلن فيه إفلاسها...

إن أزمة الأدب العربي المعاصر تتجلى الآن في كونه يتخبط وسط ظلام يصنعه في آن واحد مدعو الحداثة، ومدعو الالتزام، ولذا فإن الأديب الأصيل الذي ينتج بعيداً عن الشعارات الجوفاء هو حالياً اليتيم في مأدبة اللئام.

* شاعرية القصة وعاطفتها الشديدة، كما لديك ولدى غادة السمان في «عيناك قدري» وغيرها.. هل يعنيان وجوداً شاعرياً تفجر على هيئة قصة؟

– الشعر في القصة إذا لم يكن نابعاً بعفوية من صميم القصة نفسها جاء طلاء خارجياً متكلفاً يسئ إلى القصة، ولا يغنيها، خاصة وإن الالفاظ في القصة ليست أكثر من جسر ووسيلة... لكن القاص البارع يجعل من الكلمات هدفاً ووسيلة في وقت واحد.. ولابد من التنوية بأن اللغة المستخدمة في وصف صعود سلم يؤدي إلى بيت تختلف عن اللغة المستخدمة في وصف صعود سلم يؤدي إلى حبل مشنقة. ويجب الاعتراف بأن الشعر في القصة أسيء استخدامه وحل محل الأساليب الانشائية المرفوضة، وتحول إلى كليشية من كليشيهات الحداثة، فكل من كتب صفحتين مملوءتين بالعبارات المتشجنة المتوترة ظن أنه كتب قصة حديثة متطورة، دون أن يدري أنه الوريث المعاصر للمنفلوطي ومن شابهه.

* أستاذ زكريا.. في بداية ظهور القصة القصيرة ظهرت على الساحة نتاجات نقدية، وكتابات بنائية في القصة، وضع بعضها شروطاً قاسية للقصة القصيرة... عدد الكلمات... وأحياناً.. الصفحة... وزمن قراءتها.. كيف ترى القصة أمام هذه الشروط..؟

– حتى اليوم لم أقرأ كتاباً واحداً عن فن القصة وقواعدها وشروطها، ولا أنوي في المستقبل أن أطلع على مثل هذه الكتب. نتاج الكاتب المبدع هو تهديم مستمر لقواعد يتعامل معها النقاد كأنها قواعد مقدسة لا يجوز أن تمس، وتاريخ الأدب يعلمنا أن المبدعين كانوا باستمرار على حق، ويرغمون النقاد على تغيير منطلقاتهم النقدية، وهذه الإدانة بالطبع لا تشمل النقاد كافة، فثمة نقاد مبدعون طليعيون، وثمة نقاد آخرون متخلفون يمكن اعتبارهم من عابدي الأوثان، ومن الداعين إلى سجن الصقور في أقفاص العصافير.

* رؤياك المستقبلية للقصة القصيرة بين الأنماط الأدبية المزاحمة..؟

– لست منجماً حتى أنجح في تقديم نبوءة تخلو من الخطأ، ولكنني مؤمن كل الإيمان بأن المستقبل هو للأدب الجيد وحده على مختلف أنواعه.

* متى ترى الكلمة فاعلة فعلها الشجاع في ميدان العمل الاجتماعي والسياسي؟

– الأدب مجرد كلمات لها قدرة على التأثير، ولكنها ليست فعلاً، والحياة لن تتغير إلا عن طريق الفعل. ودور الأدب في رأيي ينحصر على أحسن الأحوال في التحريض على التغيير،

ولكنه لا يستطيع أن يكون هو المغير. . . والذين يطالبون الأدب بدور لا يستطيع القيام به بسبب طاقاته المحدودة يحاولون عن قصد أو دون قصد إلغاء الدور الحقيقي للأدب، وهو دور مهم سبق أن أشرت إليه، وهو التحريض على التغيير.

* إذن ما تعريفك للواقعية في الأدب؟

– قدرة الكاتب على إقناع القارئ بأن العالم الذي يقدمه هو عالم حقيقي يزخر بالبشر الأحياء الذين يفرحون، ويتألمون ويعرفون الخيبات والانتصارات.

* هل هذا المفهوم كان وراء توجهك للأطفال والكتابة إليهم؟

– أنا أحب أن اقرأ مختلف أنواع الكتب، وهذا الحب قادني إلى الاطلاع على ما يقدم من أدب الأطفال العرب، وقد وجدت معظمه في رأيي مسيئاً مشوهاً، فغضبت، ووجدت نفسي في سنة ١٩٦٨م أحاول الكتابة للأطفال محاولاً تقديم القيم التي أعتقد أنها صالحة للطفل العربي الذي سيطلب في المستقبل بتحقيق ما عجز آباؤه وأجداده عن فعله. ومادمنا نطالب الطفل في المستقبل بمثل هذه المهمة الخطيرة الشاقة فمن واجبنا أن نقدم له على الأقل بعض الشارات الضوئية التي تهديه إلى الطريق الصحيح. ولا أزال مستمراً في الكتابة للأطفال ومن الجدير بالذكر أن كتابتي لهم لا تعني أنني يائس من الكبار وقدرتهم على مواجهة الأخطار المحدقة بهم بل أنظر إلى كتاباتي إلى الأطفال على أنها نوع من الارتباط الصارم بالواقع، فإذا كان الأطفال يحتاجون إلى أدب يحترم عقولهم، فلماذا لا يقدم لهم مثل هذا الأدب؟! وأنا أجد فارقاً بين الكتابة للأطفال وبين أدب الأطفال، فالكتابة للأطفال هي كتابة موجهة إلي سن معينة في حياة الطفل، وما أن يتجاوزها حتى تصبح تلك الكتابة مجرد ذكرى، أما الأدب الخاص بالأطفال، فهو الأدب الذي يقرؤه الكبار والصغار معاً. . . إنه نوع من الرؤية العفوية للحياة. . . وأنا أطمح أن أكون من الذين يكتبون أدب الأطفال وما أدري إن كنت سأنجح أم سأخفق؟ المهم أنني أحاول، ولن أكف عن المحاولة، فالأديب مسؤول غير مباشر عن كل مايجري في وطنه، وهو بالتالي مسؤول عن الكبار والصغار ومسؤوليته تكون في أن يمنحهم الكلمة الصادقة التي تكون نوراً في طريق مظلم.

* أخيراً. . هل قرأت شيئاً من القصص السعودي؟

– من المؤسف أن يكون جوابي سلبياً، فالنتاج الأدبي السعودي لايزال سجيناً، ولم يعرف بعد في البلاد العربية، والمسؤول بالطبع ليس الأديب السعودي وحده.

سعد بن عبدالرحمن البازعي

يثير الدكتور سعد البازعي في هذا اللقاء أفكاراً عديدة حول إشكالات ثقافية عامة، تساءلنا معه حولها. وهو هنا جريء في قول كلمته عندما واجهناه بمجاملته لجيل الشباب المجربين الباحثين عن مسار أدبي، فأفصح عن منهجه النقدي، ورؤيته الفكرية، ثم هو جريء أيضاً في تحديد موقف الناقد الموضوعي من مصطلح لازال عائماً غائماً، وهو «الأدب الإسلامي» فأبان عن جماليات النص التي يذهب بها الالتزام الصارم بالوعي المطلوب، مما لا يدع فسحة للنزعة الفنية تطري النص وتحليه. وإلى ذلك يدعو د. البازعي إلى ضرورة توحيد الجهود الثقافية في دائرة واحدة، وإلى مزيد من الاعتناء بالموهوبين، وضرورة التعريف بثقافتنا... قلت له:

* د. سعد لقد جاملت كثيراً فئة غير قليلة من الشباب شعراء وقاصين.. ثم تراجعت قليلاً، فماذا كشفت من ضعف أو قوة التجربة الحداثية في أدبنا؟

– لا أعتقد أن من الإنصاف أو الدقة في القول بأنني جاملت كثيراً في نقدي الكتابات المحلية وإذا كانت المجاملة قد داخلت بعض ما كتبت، أو بالأحرى القليل منه، فإن قدراً لا بأس به أيضاً من الاختلاف والانتقاد قد تناثر في ثنايا ما كتبت. لقد اختلفت مع بعض الزملاء من النقاد والكتاب، وعبرت أحياناً عن عدم ارتياحي لبعض الإنتاج الأدبي الذي تناولته، وأدى ذلك أحياناً قليلة إلى مزيد من الصداقة وأحياناً أخرى كثيرة إلى سوء فهم وقطيعة، مع شديد الأسف. على أنني لم أكن أجعل من المجاملة أو عدمها هدفاً. نظراً لطبيعة التوجه العام لاهتماماتي النقدية، والتي كانت تحليلية تفسيرية، أكثر مما كانت تقويمية. صحيح أنني في الفترة الأخيرة شعرت بالضرر المترتب على تهميش النقد التقويمي المعلن (لأن النقد تقويمي بالضرورة ولكنه قد لا يكون معلناً في تقويمه). لكنني آمل أن أكون قد وفقت في تأسيس العملية التقويمية على القرائن النصية قدر الإمكان. أما وصفك بالتراجع في موقفي، فإني أنظر إليه كتكثيف أو تعميق لذلك الخط الذي اتبعته منذ البدء، والذي اتسم بدعم حركة الحداثة الأدبية بأكبر قدر ممكن من الهدوء والوعي بإشكاليات التحديث أو تأزماته ومزالقه. وقد أخطأ البعض في فهم ذلك الوعي حين عبرت عنه فظنوه تبنياً كاملاً للقضية. وما حصل هو أن فهمي للتغيرات التي طرأت على شكل الأدب ومضامينه قد تأشكل باحتداد وعيي بالمشكلات الفلسفية الناجمة عن تلك التغيرات ولأنني شغوف بجماليات التغيير، فقد حاولت –ولا زلت أحاول– الوصول إلى نوع من التوفيق بين الموقفين.

* هل في صحافتنا غنى يستوعب ما يتوالى من إبداع شعري وكتابي عام. ولماذا هجرت بعض

الأقلام إلى مطبوعات عربية؟!

– يبدو لي أن مشكلة صحافتنا الثقافية ليست متعلقة بالمساحة المخصصة للإبداع الأدبي والنقد، بقدر ما هي متصلة بالرؤية أو السياسة الثقافية التي تصدر عنها تلك الصحافة كما أنها تتصل إلى حد ما أيضاً بالكوادر العاملة في تلك الصحافة. فقليل من الصفحات الثقافية يدرك هدفه بوضوح باستثناء الابتعاد عن الممنوع رقابياً. كما أن هناك ضعفاً في روح الابتكار وفي التخطيط السليم. إن في هذا السؤال ما ينكأ جراحات كثيرة لا يعرفها إلا المتصل بالصحافة الثقافية عن قرب. المساحة قد لا تكون مشكلة. لكن البساطة التي يستطيع بها الإعلان طرد الصفحة الثقافية من جريدة أو مجلة ما. دون أن يمس الصفحة الرياضية بسوء. فمثلاً. في تلك البساطة مشكلة وعي حضاري. لأن التخطيط السليم كفيل بحفظ مصادر الصحيفة من الإعلان دون معاملة الصفحات الثقافية بالهامشية التي نراها في بعض صحفنا. فهل يستغرب بعد هذا أن تهاجر الأقلام الجادة أو التي تحترم ما تكتبه، ومن تكتب له؟

* هل ترى أن ثمة ما يسمى أدباً إسلامياً وأدباً غير إسلامي بيننا؟ وكيف نقبل الأدب العالمي بهذه الصفة؟

– قلت في أماكن أخرى إنني أتحفظ كثيراً في استخدام هذا المصطلح، لأن ثمة مأزقاً يقع فيه من يتعمد إنتاج أدب ملتزم بقواعد معينة، فحالة الوعي الصارمة عندئذٍ تؤدي إلى إضعاف البعد الجمالي للنص المكتوب وبالتالي إضعاف أدبية النص وهذا لا يعني أن على الكاتب ألا يأبه بعقيدته أو فكره أثناء الكتابة. لكنه مطالب بألا يقع أسير المباشرة أو تحويل الأفكار المجردة إلى صور. إن الأدب الإسلامي سيخرج من أديب مؤمن بدينه، لكنه لا يسقط معتقده بشكل تلقيني أو وعظي مباشر على النص، ولكي لا يساء فهمي مرة أخرى، أقول إنني لست ضد التلقين أو التعليم أو الوعظ المباشر، لكن مكان هذه ليس الأدب، على الأقل في المفهوم السائد في عصرنا لكلمة أدب. نعم هناك أدب إسلامي وآخر غير إسلامي، لكن ليس تاماً بالمفهوم السائد لهذين المصطلحين وليتضح ما أريد أذكر بالمقولة المنسوبة للشيخ محمد عبده من أنه رأى في الغرب إسلاماً ولم يجد مسلمين، ورأى في بلاد المسلمين مسلمين ولم يجد إسلاماً، أو نحو ذلك فقد يعبر غير المسلم عن رؤية كونيه أو خلقية إسلامية، وقد يعبر الكاتب المسلم عن رؤية مخالفة لتعاليم الإسلام. وفي هاتين الحالتين يحضر الإسلام أو يغيب بشكل عفوي ومتناغم مع الشخصية الجمالية للنص الأدبي. ولعل من الواضح إذن أنني أبحث عن أدب يحمل الإسلام روحاً ورؤية عفوية أو تلقائية لا مفروضة فرضاً على العمل الأدبي. أما الأدب العالمي فنحن بحاجة لتناوله ضمن معاييره الثقافية والجمالية التي قد تتفق أو لا تتفق معها، ولكننا نحتاجها لفهمه وتذوقه دون أن نتبناها بالضرورة.

على أنني لا أرى إمكانية تحقق ذلك تحققاً تاماً، وسنظل ننظر إلى أي أدب من خلال أفقنا الثقافي. كل ما نستطيع فعله، أو ما ينبغي أن نفعله هو ألا ننغلق تماماً ضمن ذلك الأفق.

* كيف تقف أمام ما يسمى (الغزو الثقافي)؟! ونحن في صلة دائمة بالعطاءات الإنسانية عبر وسائل الاتصال وغيرها؟!

– مفهوم «الغزو الثقافي» فيه قدر كبير من الوهم ومن القراءة الخاطئة للواقع الثقافي. أما الوهم فمرده أن العالم لا هم له سوى غزونا، وكأننا محاطون بحصون منيعة يحتاجون معها إلى الغزو فالعالم والعالم الغربي خاصة، لديه مشكلاته الكثيرة، الداخلي منها والخارجي كما أننا مع الأسف لسنا من المنعة والقوة بحيث نحتاج إلى غزو. ولكن هذا لا يعني انتفاء الخطر الذي يهدد ثقافتنا فبدلاً من الحديث عن «الغزو» بما يتضمنه من اعتداد بالنفس، يجب أن نتحدث عن «النهضة الثقافية» وهذه حاصلة لا شك لكن المهيمن عليه مسؤول عنها كما هو المهيمن فلو لم يكن بيننا فراغ ثقافي لما وجد المهيمن منفذاً للدخول أقول هذا وأنا أدرك الفارق بين التواصل الحضاري والهيمنة الحضارية. التواصل أساسي، ولكنه لا يتم إلا بين أنداد، والعطاءات الإنسانية سنتواصل معها بشكل أفضل حين نعرف أصحابها جيداً. ونعرف أنفسنا جيداً أيضاً، لأن من شأن تلك المعرفة أن تنتقل بنا من الوقوع تحت الهيمنة إلى موقف الند المستقل، إن الأغنياء هم الذين يستدينون من بعضهم، أما الفقراء فيتسولون.

* من شعرائنا فريقان نقيضان، الذين ينحون إلى القديم (محمد حسن فقي، ابن خميس، حسين عرب وغيرهم) والذين يميلون إلى التجديد في اعتدال (القصيبي، القرشي، والصالح، وربما الحميدين) ثم المغالون المسرفون في التجريب، وهم فئة الشباب التالية؟! هل تميزت سمات كل جيل من هؤلاء الآن؟

– يبدو لي أن قلة الدراسات النقدية، وبالتالي ضعف الوعي النقدي، مسؤول عن الضبابية التي تكتنف علاقة الأجيال ببعضها، أو تمايزها كأجيال، لكنني بكثير من الحدس وقليل من المعرفة أقول إن السمات المميزة لكل جيل واضحة بالرغم من التداخل الكثير والطبيعي بلا شك.

* لماذا يخفت صوتنا في منتديات الثقافة الغربية، وغياب كتابنا السعودي عن أسواق العالم العربي؟! هل يمكن أن يظل المفهوم القديم من عطائنا الثقافي سائداً أليس لدينا مؤلفون، وأكاديميون، ومبدعون؟ فكيف يتم هذا التجاهل ومن المسؤول عن علاجه؟

– المسؤول عن ضعف حضورنا الثقافي «سواء في المنتديات أو معارض الكتب، أو غيرها، هم منتجو الثقافة من ناحية، والمؤسسات التي يفترض أنها تقوم على الثقافة من ناحية أخرى هناك جهد طيب يبذله الجانبان دون شك، ولكنه جهد غير منظم ومشكلتنا في تصوري تكمن في غياب التنظيم

وضبابية الصورة، وليست في ضعف الإنتاج أو الحماس لابراز ذلك الانتاج. نحن بحاجة إلى جهة مركزية مسؤولة عن الثقافة، وقد نجد في ذلك بعض الحل.

* أرجو أن تتوقف عند التساؤلات الآتية:
* معرض الكتاب المتوقف منذ سنين؟
* مجلة أدبية متخصصة؟
* جوائز سنوية للمبدعين والباحثين؟
* وجولات تعريفية عن ثقافتنا في الوطن العربي؟
* وزارة للثقافة؟

- أعتقد أن توقف معرض الكتاب مأساة يزاح عنها الستار كل عام، ولكن أسبابها معروفة عند الذين قاموا على ذلك المعرض وواجهوا المشكلات عن قرب.

- بالنسبة للمجلة الأدبية المتخصصة، أعتقد أن إصدارات الأندية ستملأ بعض فراغ تلك المجلة. أقصد الإصدارات الدورية التي أتحفنا نادي جدة الأدبي بإحداها، وسيتحفنا نادي الرياض الأدبي قريباً إن شاء الله.

- هناك جوائز تمنح حالياً. لكنها لم تستطع حتى الآن أن تكون مقنعة تماماً. أعتقد أننا لازلنا بحاجة إلى جوائز دولة. أو من هيئات ذات مصداقية علمية وثقافية قادرة على اجتذاب مختلف المواهب. كما هو الحال في جائزة الدولة، المتوقفة وجائزة الملك فيصل.

- أؤيد كل ما من شأنه مد الجسور الثقافية بين أرجاء الوطن العربي سواء على شكل جولات، أو مهرجانات، أو معارض أو غيرها.

- وزارة الثقافة مطلب ملح، وقد بلغنا بحمد الله قدراً لا بأس به من النضج ربما فاق ما وصل إليه بعض جيراننا ممن لديهم وزارات للثقافة والقضية ليست قضية ثقافة بقدر ما هي قضية توحيد للجهود المبذولة في هذا السبيل.

طاهر بن عبدالرحمن زمخشري

* السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . نرحب بضيفنا الكبير الأستاذ الشاعر والإذاعي طاهر زمخشري . .

* تفضل . .

– أدعوني لأن أذهب معك إلى الإذاعة . . لتسجيل حديث . .

* أتمنى ذلك .

– وأقول بكل صراحة . . هذا شرف كبير لي . . لأنك أنت مذيع . . ولو طلبت مني وأنا أموت علشان تسوي مني حديث . . الواجب كمواطن يفرض عليّ أن ما أقو ل لك لأ . . .

* شكراً لك على كل حال

– هذا واجبي كمواطن قبل أي حاجة . . لكن علشان أنا أعتذر وده يعتذر وده يعتذر وده يبعد وده يهرب كما هو الواقع في المملكة العربية السعودية . . وهذا هو الأثر اللي ترك المملكة العربية السعودية لأصوات متعددة وباينة وواضحة . . المستمع بيسمعها في كل وقت فيظن أنه مافي غيرها . . دكتور حق الطاقة . . دكتور الطاقة بدل الواحد فيه عشرة . . دكتور الأدب بدل الواحد فيه مائة . . دكتور في أي علم من العلوم أطباء في مختلف الاختصاصات . . لكن كل واحد فيهم يتنصل وكل واحد فيهم يعتذر وكل واحد الآن مهمة الإذاعة إلى الآن ما عرفت عند المواطنين . . فأنا تقريباً باعتبار أني أعرف مهمة المذيع لذلك لما تجيني وأنا بأموت وبأحتضر . . هذا . . أرى أن من واجبي أن أقول لك مرحباً . . خذ مني ما تريد بقدر المستطاع .

* شكراً على كل حال . .

– أعطي لك تجربة مرت عليّ وأنا مذيع علشان أوري لك إحنا كيف قيمة المذيع . . من حسن الحظ . . ومن حسن الحظ . . وأنا أفخر بهذا . . أفخر جداً إن الصحفي والإذاعي في المملكة العربية السعودية للآن لم يتلوث . . مذيع نظيف . . يعمل لرسالته دون أن يكون له خلفيات . . الصحفي نفس الغرض يعني إيش اللي دمر الصحافة في بعض البلدان العربية . . استغلوا الصحافة لمصالح . .

* لمصالح شخصية . .

– لأمور شخصية . . لكن حتى الآن مذيعينا وصحفيينا . . وأنا كواحد من الرواد إذا صح هذا التعبير . . أزكي كل شبابنا الصحفي وأزكي كل شبابنا الإذاعي على رؤوس الأشهاد وعلى

الهواء.. إنهم للآن نظاف.. إلى الآن شرفاء.. إلى الآن يعملوا للصحافة وللإذاعة ولرسالتهم.. أنا أقول لك ثم بعدين إلى الآن يعني ما.. المذيع ما أخذ حقه في المجتمع علشان هو بيجي لشخصية.. بدو يسجل الشخصية.. بدو يتكلم.. يتجاهل ويتوسل ويتوسط وكل حاجة.. هذا ما يتنافى مع رسالته.. ما يقدر يؤدي رسالته.. أنا أقول لك حاجة.. أقولها بكل كبرياء.. بكل غرور.. نحن في رحلة تفقدية في معية الملك سعود الله يرحمه.. وصلنا المدينة.. جانا رئيس الحرس الوطني.. رئيس الحرس الملكي: ولد.. قلت له: إيش فيه قال: رد سيارتكم ورا.. قلت له: لأ.. سيارتنا تكون جنب الملك.. جنب سيارة الملك.. قال: أقول لك رد سيارتكم ورا.. قلت له: ما رد سيارتي ورا.. لأن رسالتي أنا والعمل اللي أنا بأؤديه تكون سيارتي أنا واللي معاي جنب الملك.. فدخلت معاه في مشادة.. وصل الملك في الصالة وقعد.. خليت الميكرفونات في السيارة وطلعت المنصة.. الجمهور صفق على أساس طاهر الزمخشري الشاعر يريد أن يهلل بقصيدة.. قلت له: ياصاحب الجلالة أستميح جلالتكم عذراً في العودة إلى جدة الآن.. والله ياابني بهذه الشجاعة..

* عند الناس كلهم..

– أستميح جلالتكم عذراً وأستأذن بالعودة إلى جدة الآن.. لأني لم أستطع أن أؤدي رسالتي.. الناس كلهم الجمهور يسكتوا.. قال لي الملك: تعال.. نزلت أنا الميكرفون.. قلت له نحن جينا في ركابك علشان ننقل صورة صوتية للترحيب بجلالتكم في المدينة المنورة.. ولأول مرة يزور المدينة رسمياً.. هم نهونا أننا نأخذ يقولوا لازم سيارتكم ترجع ورا.. زهم عليه قدّام الناس.. قال: اسمع.. خذه وحط السيارة محل ما يبغى.. خذه وحط السيارة محل ما يبغى.. قلت له: لأن فيه كمان طال عمرك حاجة.. تقل له إن الركب ما يتحرك إلا لما أشرّ له أنا.. علشان نسجل.. والله ياأخ عبدالرحمن(*).. قال: والركب ما يتحرك إلا ما يشاوروا لهم حقين الإذاعة. وفي مرة كمان.. نبغى نقابل الأمير فيصل.. ما كان ملك.. في موضوع.. موضوع مهم.. ما كان فيه وكالة أنباء.. كانت الإذاعة متولية شؤون وكالة الأنباء.. سقطت البريمي.. جينا ندخل الحرس ردونا.. مسكت الحارس وقلت له: أتتحمل مسؤولية ما أدخل.. قال: إيش فيه عندك؟ قلت له: ما في عندي.. تتحمل مسؤولية.. أنا أقول لك ما تتحمل.. قال: إيه أتحمل مسؤوليتك قلت له: سقطت البريمي سلام عليك وجيت راجع.. قال والله ترجع قلت له والله ما أرجع.. إترجاني وسلم على راسي إلا تيجي.. وريّته البرقيات.. حق سقوط البريمي يقول ما تدخل قال إلا والله

* يقصد الأستاذ طاهر زمخشري الأستاذ عبدالرحمن المعمر، وكان حاضراً معنا هذا الحديث الذي تم إجراؤه في بيت طاهر زمخشري في تونس في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م وحضر هذا اللقاء أيضاً فؤاد طاهر زمخشري.

إلا تدخل.. والله إلا تدخل.. فمهمة المذيع مهمة خطيرة.. إذا لم يجد فيها تجاوباً من الرجال المسؤولين أولاً.. من باب أولى ما يجدها من المواطن.. ولذلك تنحصر الأصوات في أصوات عديدة تتكرر وتنعاد.. وتتكرر وتنعاد.. وبعدين الجمهور يقول وين المذيعين ما يجيبوا إلا فلان الفلاني أو فلان الفلاني..

* ما يستجيبون.. الضيوف أصلاً..

- ما يعرف هذا الشي..

* مازالت المأساة إلى الآن يا بابا طاهر.. موجودة.. ندرة الضيوف أو أحياناً تمنعهم.. وأحياناً معاناة المذيع ومنزلته الاجتماعية.. من الحراس.. ومن الشرطة.. ؟

- ومن عندنا.. ما في.. ما في.. الحارس ما يمكن يقول للمذيع ما تدخل.

* البطاقة لازم نحملها.. رغم إنه يعرفك دائماً.. لكن لازم البطاقة.. يعرفك ويعرف إنك مذيع.. بطاقة السيارة لازمة.. طيب إنت تعرفني.. أمس جاي وعارفني؟

- والله البطاقة.. البطاقة لابد منها.. لكن إنت علشان.. إنت مع بطاقتك ما بتجد الطريق..

* مع البطاقة.. ومع ذلك يمانعون..؟

- مع البطاقة ما تجد الطريق.. تيجي تلتقي نور أحمر يقول لك بكره.. تعال لي بعد بكره.. تعال لي الإذاعة ما عندها وقت.. بكره تعال لي.. بعد بكره تعال لي.. إنت تشتغل الأسبوع الكامل لبرامج نصف ساعة.. تشتغل الأسبوع الكامل لبرنامج ربع ساعة.. الأسبوع الكامل علشان تجمع عناصره لازم تكون مشيت طول الأسبوع.. هذا ما.. ما.. يقدروها..

* بابا طاهر.. لو حدثتنا عن بدايتك مع الإذاعة.. كيف بدأت.. متى تم التحاقك بها؟

- بدايتي مع الإذاعة.. بدأت موظفاً رسمياً.. مرشح لبرنامج ركن المرأة..

* ركن المرأة أول ما قدمت..؟

- أول ما قدمت ركن المرأة..

* كنت شاباً صغيراً ؟

- لا والله.. كان هذا عام ٦٩

* تسعة وستين..

- لأ.. أوائل السبعين..

* وأول برنامج قدمته بصوتك هو ركن المرأة؟

- أول برنامج قدمته بصوتي ركن المرأة.. لأنه..

* أجريت تجربة صوتية ؟

– لا ما أجريت. . نحن أول هيئة إذاعة. . اجتمعوا على شان رشحوا هيئة الإذاعة. . فترشحت أنا وحسن قرشي وعبدالله المنيعي. . محسن باروم. . هاشم الزواوي وعبدالجليل أسعد. . وبعد. . مجموعة من إخواننا الفلسطينيين كانوا معنا. . فأنا يعني تقريباً كدت أسقط في الترشيح. . ليلة الاختبار. . ليلة اختاروا الأسماء. . أحمد السباعي. . حسن قرشي. . عبدالله مناع. . منيعي. . طاهر الزمخشري. . عبدالجليل أسعد. . فلما جاء اسم طاهر الزمخشري بدأوا يناقشوا الموجودين في بيت الشيخ عبدالله السليمان. . قالوا إن هذا صوته ضعيف. . فالشيخ إبراهيم السليمان الله يرحمه. . إبراهيم السليمان الله يرحمه ويتغشاه برحمته التفت لهم وقال لهم إنه إحنا ما بحاجة إلى أصوات امرأة. . قالوا إلا قال طيب هذا خليه يمثل صوت المرأة. .

* يقدّم برنامج صوت المرأة؟

– فقدّمت برنامج. . أول ما قدّمت. . قدمت ركن المرأة

* لكن عملوا تجربة صوتية في البداية طبعاً. . لازم يسجلوا. . ؟

– لأ. . كنا متمرنين. . كنا نتمرن. .

* في البداية . . ما في ناس مذيعين سابقين لكم؟

– لأ. . نحن أول مذيعين

* يعني انطلقت الإذاعة بأصواتكم أول ما انطلقت؟

– بأصواتنا. . بأصواتنا. . وكنا نحنا ما نعرف حكاية التسجيل

* كله على الهواء؟

– على الهواء. . كنا نعتقد أن الإذاعة لازم على الهواء أولاً. . وبعدين التسجيل. . وبعدين عرفنا الحكاية بعد. . بعدما بدا المشوار. .

* لكن أول ما انطلقت الإذاعة سنة ثمان وستين هجرية وثلاثمائة وألف؟

– بأصواتنا أيوه. .

* أول ما افتتح الإذاعة مين؟ تتذكر؟

– والله الإذاعة لها دورين. . دور يوم عرفة. . يعني. . أول ما بدأ الإرسال بصوت واحد مات الله يرحمه

* اللي هو بكر

– الأستاذ صالح جمال

* صالح جمال. . غير صالح جمال اللي موجود. . غير. .

– لأ. . صالح جمال من وزارة الصحة

* (صالح جمال الحريري)؟

– صالح جمال الحريري.. فكانت الإذاعة عبارة عن قرآن لطاهر الفشني ثم بعدين في خيمة من خيام عبدالله السليمان الأجهزة موجودة. ما حد يعرف الأجهزة ولا شي.. وجابوا مجموعة من السلالم.. ومجموعة من الراديوهات.. وزعوها على المخيم في عرفة.. فأول برنامج تقدم في الإذاعة.. أسماء المطوفين.. والحجاج الضائعين..

* يخدم الناس.. برنامج خدمات يعني..؟

– يزهموا.. المطوف فلان الفلاني لك حجاج ضائعين.. المطوف فلان الفلاني لك حجاج ضائعين.. المطوف فلان الفلاني.. ومدينة التعيين في منى كانت أول مدينة وأول حركة ارتبطت بالإذاعة رسمياً.

* طبعاً هذا وقت الحج.. لكن خلاف وقت الحج

– بعدين لما جينا.. بعدما نزلنا من الحج اختاروا هيئة الإذاعة.. كان فيه.. جت هيئة الإذاعة.. عبدالرحمن نصر واحد اسمه عبدالرحمن نصر.. كان هو متولي.. مشرف على عملية تركيب الإذاعة والأجهزة.. وفيه الدكتور علي الراعي..

* علي الراعي.. معروف..

– أيوه.. الدكتور علي الراعي.. وفيه له رئيس اللي هو عبدالحميد يونس.. كان المراقب العام للإذاعة المصرية.. وواحد مهندس مات.. كان كبير مهندسين الإذاعة المصرية.. ففيه هيئة مصرية بدأت بتركيب الإذاعة.. وجونا نحنا مرنونا.. عرّفونا إن هذا اسمه مسجل وهذا اسمه كونترول وهذا اسمه ميكرفون و..

* بدايات الأشياء

– وبدايات الأشياء.. فكنا نتمرن يعني.. في النهار.. طول النهار.. يعملوا لنا بروفات

* لكن قدمت برامج أخرى خلافها.. بطبيعة الحال أطفال.. برامج أطفال.. برامج أدبية

– لا.. بعدين استمرينا عاد.. اقرأ أحاديث.. وأساوي برامج.. يعني.. كلنا إحنا هيئة الإذاعة كنا نحن الطباخين ونحن الأكيلة.. يعني.. نحن اللي نساوي البرامج ونحن اللي نذيعها..

* تذيعوها.. إعداداً وتقديماً؟

– إعداد وتقديم.. ومن ألطف ذكرياتي.. كان فيه قصص القرآن برنامج سويناه.. قصص القرآن.. وكان يقدمه السيد شفا

* سيد مين؟

– السيد محمد شفا.. هذا تعيّن مدير إذاعة.. فتأخر عن البرنامج.. فرحت.. أرسلوني من

مكة.. من جدة إلى مكة علشان أجيب منه البرنامج فكيف أساوي والحين أقول له دخيلك أعطيني.. البرنامج تعطل.. قلت له يسلم عليك الشيخ محمد سرور الصبان ويقول لك لازم تكتب البرنامج حالاً.. الشيخ محمد سرور ما قال لي هو.. لكن هو المشرف على الإذاعة.. وفوجئت بعد شهرين أو ثلاثة أشهر فإذا هو دا رئيسي.. مدير الإذاعة.

* صار مدير الإذاعة.. طبعاً

– صار مدير الإذاعة.. وجا حديث وهو قاعد عند الشيخ محمد سرور.. قال له والله يامولانا جاني مرة الشيخ طاهر يقول إنك إنت أمرته إني أواصل حديثي قصص القرآن.. طالع فيّ الشيخ محمد.. قال لي: قلت له كيف إذا ما سألك كده ايوه البرنامج.. قلت له: أنا رحت له باسمك

* تمرير طبعاً

– إيه.. كان مدير الإذاعة

* البرامج التي قدمتها.. ممكن تذكر عناوينها.. ؟

– والله.. برجع أقول... إنما أنجح العناوين أقدر أقول.. أنجح البرامج.. لأنه مرت عليّ فترة أنا كنت أطبخ البرامج وأعطيها للمذيعين يقدموها.. وأحمد الله على هذا.. يعني.. المذيعين كلهم كانوا يساوا برامج لكن تطلع بأصواتهم.. لكن كنت أنا اللي أساويها

* تعد وتقدم بغير..

– أركان.. أركان البرنامج.. إنما أحسن برنامج قدمته وأعتز به.. برنامج يوم جديد.. برنامج الروضة.. روضة المساء.. وبرنامج الأطفال..

* الأطفال.. طوّل طبعاً برنامج الأطفال؟

– لأ.. كلها طوّلت

* يوم جديد.. كم استمر..؟

– يوم جديد استمر حوالي أربع سنين أو ثلاث سنين

* ويومي.. ومتعب ؟

– وروضة المساء استمر سبعة أو ثماني سنين.

* برنامج الأطفال.. أظن أطول من كذا؟

– برنامج الأطفال.. أنا بدي أقول لك حاجة.. اليوم اللي تستطيع تقول إنك مذيع وتفخر بأنك مذيع.. اليوم اللي تشعر بحلاوة نجاح برنامج من البرامج اللي أنت بتقدمها.. على ألسنة الناس.. فبرنامج الأطفال.. البرنامج اللي نجح.. وأنا عايش على خير نجاحه حتى الآن.. لأنه كنت.. يعني.. أتعامل معاه على أساس هواية وأنا كمدرس سابق.. كنت أفخر في برنامج

الأطفال إني مدرس وبنفس الوقت أقدم برنامج.. فولله الحمد كنت أجيد اختيار الأطفال اللي يشتغلوا معاي في البرنامج

* انتقاءهم؟

- انتقاءهم.. اختيارهم.. و..

- أصبح كل واحد فيهم وبدون استثناء.. أي واحد فيهم شخصية كبيرة ونجم لامع من نجوم المجتمع

* تتذكر أبرز.. أبرز الأطفال الذين اشتغلوا معك؟

- لأ.. ما أقدر أقول أبرزهم لأنه كلهم ما شاء الله.. تبارك الله مبرزين.. يعني.. عندك نماذج.. أحسن نموذج مثلاً الدكتور محمد عبده يماني

* كان طفلاً في البرنامج؟

- محمود سمكة.. محمود سفر

* الدكتور محمود سفر أيضاً؟

- الدكتور سعود السجيني

* سعود السجيني نعم.

- الدكتور سعود السجيني من أبرز الأطباء الجراحين في المملكة العربية السعودية.. من أبرز الجراحين في المملكة العربية السعودية.. بس.. يعني.. سبعين ثمانين.. كلهم في هذا المستوى

* الدكتور عبدالعزيز الخوجة؟

- الدكتور عبدالعزيز ماكان.. ماكان

* لكن محمد عبده يماني.. كان طفلاً ويردد الأناشيد من عندكم طبعاً؟

- لأ.. كان محمد عبده يكاتبني من بعيد

* لكن ما قدم برامج الأطفال أو؟

- لأ.. كان.. ايه

* كان.. تنبأت له بمستقبل؟

- زهير السباعي؟

* زهير السباعي

- الدكتور زهير السباعي.. مين ياأخونا.. الدكتور فؤاد الزمخشري.. عباس طاشقندي.. الدكتور عباس طاشقندي وعبدالله الجفري كمان - وعبدالله الجفري وعمر.. وعبدالله خياط.. عصام قدس.

* ياسلام.. كل هؤلاء الأدباء والصفوة طلعوا من برامج الأطفال؟

- أيوه.. صفوة كلهم.. كلهم اللي كانوا معايا في البرنامج.. صفوة.. وأقولها بكل صراحة.. إني أنا حتى الآن عايش عالة على برنامج الأطفال.. ونجاح برنامج الأطفال

* وبرنامج واحد؟

- لأني شعرت بحلاوة النجاح.. نجاح برنامج الأطفال.. في وفاء الأطفال اللي كانوا معايا ديك الأيام

* ولما كبروا طبعاً..؟

- لما أصبحوا رجالاً الآن.. في الدولة ولله الحمد ولله الحمد.. حلاوة الوفاء.. الطعمة.. أحسست بها لما كبروا هم.. يعني.. من أبرز المواقف اللي صارت لي بالنسبة لتونس.. طبعاً.. الشيخ صالح كامل. . الشيخ حسين الحارثي

* أي.. كلهم قدموا شيئاً.. ؟

- كانوا معاي في البرنامج الأطفال

* وكانوا معك؟

- جاءوا البيت هنا وهم.. فاللي حصل.. بيقدموا مشروع.. قيمة الأولى ألف.. ألف مليون دولار فقبل لا يشوفهم واحد تونسي.. وقبل لا تشوفهم الحكومة التونسية.. قبل لا يشوفهم أحد.. طلبوا من الطيارة يجوني على هنا يسلموا عليّ..

* بعض الوفاء؟

- هذا صورة للوفاء

* المذيع الأول في الإذاعة السعودية.. تتصور من هو...؟

- مين؟

* أول مذيع انطلق صوته.. هل هو بكر يونس؟

- لأ.. من الرعيل الثاني

* الرعيل الثاني.. الرعيل الأول إذن المذيع الأول من هو؟

- المذيع الأول.. هو الجندي المجهول وراء تأسيس الإذاعة.. خليني أقولها بكل قوة.. السيد هاشم زواوي.

* هاشم الزواوي

- السيد هاشم زواوي.. هو كان المسؤول إدارياً عن تكتيك البرنامج.. المسؤول إدارياً عن مصروف.. مسؤول عن نفقات البرنامج.. ومشيت الخطوة الأولى في يد الشيخ إبراهيم الشورى.

الرجل الطيب.. الله يذكره بالخير

* لكن كإذاعي.. مقدم صوت.. مين من الإذاعيين؟

- ماهو إحنا.. عديت لك.. عبدالجليل أسعد

* المذيع البارز الأول.. مين فيهم؟

- مافي بارز.. كنا كلنا مع بعض..

* مجموعة مع بعض؟

- عبدالجليل أسعد.. أحمد السباعي.. حسن قرشي.. عبدالله منيعي.. محسن باروم.. طاهر زمخشري.. يعني دول في المقدمة

* الرعيل الثاني.. مين تتذكر منهم ؟

- الرعيل الثاني.. برشة(*).

* أولهم كان بكر طبعاً.. بكر يونس.. وعباس غزاوي؟

- وعباس غزاوي

* ومن أيضاً؟

- جميل شيشة

* وجاسم فلمبان؟

- وجاسم فلمبان وبرشة

* هذا قبل أن تُفتح إذاعة الرياض؟

- قبل ما تجي الرياض.. ومين

* لأن الرعيل الأول بالنسبة للرياض.. الشعلان ومجموعته؟

- لأ.. الشعلان

* من المتأخرين؟

- من المتأخرين.

* بالنسبة لإذاعة الرياض من المتقدمين لأنه أول واحد صوته انطلق من الرياض

* الحسنات التي تذكرها للإذاعة الآن..؟

- آ..

* أطيب حسنة تذكرها للإذاعة.. في حياتك؟

- أنها أعطتني شخصية في المجتمع.. أنا الآن.. أنا ولله الحمد شاعر ولي مركزي.. وكاتب

* برشة لفظة تونسية اكتسبها طاهر زمخشري من طول إقامته في تونس، وتعني: كثير.

أغنية ولي مركزي.. وكاتب قصة ولي مركزي.. ومذيع ولي مركزي.. وصحفي ورئيس تحرير صحيفة ولي مركزي لكن كل هذا.. غطاه الحجم الذي حصلته من برنامج الأطفال

* برنامج الأطفال في الدرجة الأول.. إذن.. لو خيرت بين الإذاعة وبين الشعر.. لو خيرت على واحدة.. تطلق واحدة منهم.. تختار.. الإذاعة أم الشعر؟

- لأ.. الإذاعة.. الإذاعة تحتاج لطاقة شخصية.. لكن الشعر موهبة وطاقتها الفكرية تختلف كل الاختلاف عن الـ.. يعني أنا.. ألغيت شخصيتي الإذاعية وألغيت شخصيتي الفنية.. وألغيت كل هذا.. وجمدتها

* لكن يبقى الشعر؟

- للشعر.. ليش.. لأني لا أستطيع أن أمشي خطوة فيه

* جميل

- أي.. فلذلك.. فأنا أعتز بأني الشاعر طاهر الزمخشري.. لكن الشاعر بابا طاهر..

* بابا طاهر.. طبعاً هذا الاسم.. ما يمحى..

- يعني.. ما حصلت النجاح في الشعر في مستوى نجاحي في برنامج الأطفال..

* ياسلام.. آخر سؤال بالنسبة للعمل الفني.. بالنسبة للعمل الفني لكي ننتقل للأدب وفنونه.. أريد كلماتك الأولى للمذيع المبتدىء.. الكلمات بشكل مختصر؟

- سعة الاطلاع أولاً

* الشخصية الثقافية؟

- الشخصية الثقافية هذه.. يجب أن.. ثم يكون اجتماعي.. يعرف مجتمعه

* مرن.. مرن يكون مع الناس؟

- يعرف مجتمعه.. إذا ما عرف المجتمع.. وماهو شخصية مثقفة أقول له ارتاح.. لست بمذيع

* تلزمه دبلوماسية كي ينطلق؟

- غير الدبلوماسية.. غير الدبلوماسية.. يعني.. لازم يعرف المجتمع.. من هم الأدباء.. من هم الشعراء.. من هم الأطباء.. من هم العلماء.. إيش الجامعة.. من هم الوزراء.. من هو الرجل الثاني في الوزارة دي.. ومن هو الرجل الثاني في الوزارة دي.. إيش مستوى هذا.. إيش مستوى هذا.. فلازم تكون عنده ثقافة فكرية بجانب ثقافته الاجتماعية

* الاجتماعية.. جميل؟

- إذا ما عرف ثقافته الفكرية.. وما عرف ثقافته الاجتماعية.. ما يفرق بين الحمار والشاعر..

* جميل.. ننتقل الآن إلى الشعر أم تريد ذكر ما يلزم المذيع أيضاً؟

- هذا الجمال.. جمال الصوت والقدرة على الأداء

* أهم شيء القدرة على التعبير المؤثر؟

- أي نعم

* لأنه كممثل الآن لكن شخصيته كمذيع.. يلون الأداء؟

- التمثيل جزء من المذيع

* أو التمثيل جزء من المذيع؟

- مش العكس.. يعني المذيع الناجح.

* هو الممثل والمذيع؟

- ممكن يصير مذيع.. المذيع الناجح يصير ممثل ولا العكس

* والعكس لا طبعاً وهذا هو الحاصل.. أكثر مذيعينا ممثلون.. ولكن أكثر الممثلين ليسوا مذيعين؟

- ما يقدروا يصيروا مذيعين

* خارج عن نطاقهم طبعاً.. تتذكر كم الدواوين التي صدرت للآن؟

- اللي صدرت حتى الآن ثمانية عشر ديواناً

* ما شاء الله

خلاص سافرت.. ثمان عشر ديوان.. تسعة عشر ديواناً.. والآن.. أنا كنت أعلنت العام الماضي إني حرمت على نفسي الشعر وانتهيت.. وجلست سنة زمان ما أمسك القلم علشان أكتب فضلاً عن أني أقول شعر.. وتناقلت الصحف في السعودية وفي تونس وفي كل مكان إنه طاهر زمخشري ترك الشعر.. وطلق الشعر.. وحرّم على نفسه الشعر.. وكانت المسألة وصلت إلى حد التحدي يمكن.. أستطيع لا أستطيع.. أستطيع لا أستطيع.. فكانت فترة.. وأنا في الحجاز.. معركة قائمة بين الدكتور غازي القصيبي ومجموعة من الشباب الأدباء حول إمارة الشعر.. وأخذوا رأيي.. وما كنت داري إن هي المعركة كلها مرتبة حول الدكتور غازي.. هجوم على الدكتور غازي.. على رأيه الصريح بإمارة الشعر.. وقلت رأيي الصريح بإمارة الشعر.. ويمكن أن الدكتور غازي الله يجزيه بالخير.. جاء هنا في تونس فأجيت أنتظره في المطار.. بقول له بايعت السيد حسن فقي على إمارة الشعر.. لأنه هو كان مرشح نفسه.. مرشحينه أو هو مرشح نفسه ما أدري.. الله أعلم.. على إمارة الشعر.. فأنا.... (غير مفهوم) الدكتور غازي.. بقول له.. بايعت السيد حسن على إمارة الشعر.. هو التفت للموظفين.. للوزراء حوله التوانسة.. قال له يأخ رشيد.. يأخ مزالي.. يأخ مدري مين.. يأخ مدري مين.. أقدم لكم

أمير شعراء المملكة العربية السعودية.. قلت له أنا أطلب إنك تبايع السيد حسن فقي تيجي تبايعني أنا.. فلما سألوني عن إمارة الشعر قلت لهم الدكتور غازي هو اللي بايعني أنا على إمارة الشعر.. فكنت متمسكاً ديك الأيام.. إني خلاص.. بطلت من الشعر.. وقفلت ما أنتجت.. وشطبت على الباقي.. كان عندي مجموعة من الشعر بدي أصدرها في ديوان.. عملتها.. ومجموعة أخرى مزقتها.. وبدأت أعيد طبع الدواوين.. ففوجئت إني رجعت تونس.. فوجئت إني أعمل رباعية..

* غصباً عنك طبعاً؟

- غصباً عني.. الرباعية استمرت.. وإذا هي ديوان.. سميته رباعيات الخ... رباعيات الخضراء مقابل رباعيات طبعاً.. فوق.. قريب للطبع.. قريب إن شاء الله أطبعه.

* هذا خارج بالعنف.. غصباً عنك..؟

- فوجئت إني أنا رجعت إلى نفسي.. كنت كل يوم.. تمسكت إني أساوي رباعية.. رباعية رباعية.. فيسعدني جداً أني أسجل في العشر دقائق دي.. في العجالة السريعة.. العجالة الصوتية السريعة.. رباعية أو اثنين

* ممكن جداً

- آخر رباعية.. وأنا خارج من لندن.. قلت رباعية ليها خضراء:

ما في الطرف من رمدٍ	وما في حنايا القلب من خفق يجود
يسابق وثب أفكاري خيالي	إلى اللقيا.. يبترد الوقود
وقد عادت بي الآمال تشدو	وبالدقات خفاقي يعيد
وما كان الفراق سوى قضاء	ومن ألطافه أني أعود

* أني أعود.. جميل؟

- اللي هي الخضراء

رباعية أخرى.. أنا مريض طبعاً.. وجزاهم الله بالخير.. يعني.. كنت.. ما كنت وحدي في الميدان.. كل أحبائي.. كل أصدقائي.. كل الناس حولي.. اهتموا بي الاهتمام اللي أشعرني بالسعادة.. يعني.. حتى ولو طلعت روحي وأنا مريض كنت شعرت بالسعادة.. لأن كل الشعراء والأدباء بيتألموا جداً إنه الإنسان ما يكرّم إلا بعد موته.. لكن الواقع إن البلد أكرمتني.. وكرمتني في مرضي الأخير ده بشكل أعطاني الشيء الكثير من السعادة

* بعض الواجب

- الملك فهد يطول الله في عمره.. وسمو الأمير سلطان.. والشيخ عبدالرحمن العمران وكل

الإخوان.. ما أقدر أسميهم لأنهم... سألتم عن فؤادي أين موضعه (يقول الشاعر القديم) فإنه ضاع مني عند مصلاها

قالت لزينب قلوب جمة جمعت فأيها تعني.. قلت أشقاها

فأنا أقول أسعدها.. لأنها قلوب جمة جمعت حولي من الأحباء وكلهم رعوني وأكرموني..

كنت أعاني من مشاكل نفسية من مرضى حولي.. ابنتي الكبيرة مريضة في مصر ومعاها بنتها مريضة.. بنتي الثانية مريضة في جدة بتولد ولادة قيصرية.. ولادة رابعة.. لأنها كانت معرضة للموت.. وأنا بعاني مرضي لكن مرضي كان أكثره الإحساس بالمرضى حولي.. بنتي الكبيرة مرمية في مصر مريضة ومعاها بنتها مريضة.. بنتي الثانية في جدة مريضة وأنا مريض.. أنا كنت بالتلفون أتابع حركاتهم وتنقلاتهم.. وفي وسطنا مسكين الدكتور فؤاد.. اللي هو أخوهم الوحيد.

* بارك الله فيه

– ولدي الوحيد.. فكان بيعاني من المشاكل دي.. وجدت من ضمن العطف بنت صديقي.. زميلي السيد هاشم زواوي.. عبلة الزواوية.. مديرة.. رئيسة قسم الولادة بمستشفى الولادة.. أخذت على عاتقها الاهتمام بالمريضة حقتي

* كفتكم يعني.. بعض الشيء على الأقل؟

– كفتني بعض الشيء.. فكانت هي كأخت بالنسبة لها.. وعالجتها وساعدتها.. والله سبحانه وتعالى كتب على يدها سلامة البنت.. فكتبت لها رباعية

* ياسلام.. نسمعها

– أحب الناس كلهم يسمعوها.. لأنه.. يعني.. تقريباً يأخذوا من.. عينة من رباعيات الخضراء.. بقول:

السنة الراقص الأهلة فيها صاغ منها في عالم الحسن عبله
هي طب الفؤاد والبلسم الشافي بطيب.. الكل يعرف نبله
وهي فرع زكي الأصل نبيل بارك الله بالشمائل نسله
منبع الطب في يديها شهيد أنها بالنبوغ أكرم نجله

هادي آخر رباعية من رباعيات..

* ثبتت لها مدى الدهر.. طبعاً.. بالنسبة للأبيات

– هذه آخر رباعية من رباعيات الخضراء...

* جميل

– وهو ديواني الجديد

– جميل.. بالنسبة.. لكلمتين عن الشعر الحديث.. رأيك في الشعر الحديث؟

– رأيي في الشعر الحديث.. الذي لا ينكر أنه موجود

* الشعر الحر التفعيلة؟

– الشعر الحر.. الشعر الحر.. لا ينكر أنه موجود .. وسيأخذ طريقه.. لكن الإسفاف الذي ينشر في الصحف.. هو على أساس أنه شعر حر.. لاهو شعر حر.. ولا هو شعر هو... لكن فيه شعراء مجيدين.. صلاح عبد الصبور.. بدر شاكر السياب

* الرواد؟

– يعني موجودين

* الرواد في هذا الفن بالذات؟

– موجودين.. موجودين.

* لكن شعر الشباب الحديث النثري الرمزي؟

– كلام فاضي.. ده كلام ماهو داخل في قائمة الشعر.. والله.. الله يبارك لمن يسميه شعر.. وأنا آخذ على إذاعتنا السعودية وعلى صحفنا السعودية الاندفاع لنشر هذا الشعر.. لأنه يتعارض مع تقاليدنا ويتعارض مع مدارسنا التي توارثناها في الشعر

* يُنشر لهم باسم الحداثة ؟

– لكن كشعر حر.. أنا من النقد والتعليقات السخيفة من بعض الشباب اللي يقول إنه نحن عجزنا عن قول الشعر الحر.. ولذلك ما نتناوله.

* شكراً لك أستاذ طاهر.

– شكراً يا ابني.

عامر العقاد

لست أدري كيف أتخلص من هذا الهاجس الملح... الذي يلاحقني أين قصدت.. صورته أمامي... لاتكاد تفارقني... كأن بيني وبينها موثقاً .. اسماء كتبه تزدحم في ذاكرتي... حتى حين سكنت في نُزلي المطل على النيل أبصرته يتراءى لي مع همس النهر على الشاطئ.... يترنم بصوته القوي في ثقة وعزة، ولغة لا تعرف الضيم بأماني عربي عاش فترة صحوة وطلعة فجر جديد بدأ يستيقظ في عيون العرب.

العقـــاد !!

حملتني خواطري المتزاحمة إلى منزله... أردت أن أكون ضيفاً عليه في دارته بمصر الجديدة... أمام سينما سفنكس... بمحاذاة الدوار... حملت في ذهني كتبه الكثيرة... مواقفه الصلبة شجاعته في دفاعه عن الإسلام والقيم الأصيلة للمجتمع العربي، بذله الجهد المضني في سبيل حماية «اللغة الشاعرة» من غزو رطانة العجم، وتبجح المستغربين.

لقد كانت آراؤه جلية في استخلاص القيم الرفيعة لهذا الدين، من واقع السيرة الذاتية لعظماء التاريخ الإسلامي في سلسلة «العبقريات» التي استحلاها بحاسته العقلية والاستنباطية الراقية، حين تكلم عن عمر، وعن علي، وعن أبي بكر وغيرهم لايقف عند الأمر العادي الذي يسرده المؤرخون، ورواة الأحداث دون إشارة إلى تفرد صاحب الحدث، وعبقريته، ولكن العقاد يلمس ذاته العبقرية أيضاً التي تحسن الوقوف عند الأمر المثير، والتصرف غير العادي، ولأنه نابه فطن، إحساسه يقظ متحفز يذهب وراء الذكاء، فيتبعه، ويتجلى في تحليله، ليشفى ما في داخله من رغبة في البحث والتقصي.

وكأنه لا يقنع بما في تاريخنا من عظماء .. فيذهب إلى العرب ليكشف صفحات التاريخ العلمي، والفكري لديهم فيكتب عن النوابغ منهم يطمح إلى جديد غير ذلك الايحاء الذي كان يستمده من عقيدته، وانتمائه وقوميته، فيكتب عن عظماء العرب بروح متجردة باحثة عن الحقيقة.

ولا أنسى أن دأبه في ملاحقة المسائل العلمية، يدفعه أن يقرأ الكثير ليصل إلى رأي ناضج، أو استخلاص مفيد، وهو الذي لم يدخل الجامعة ولم يقف أمام أستاذ إلا نهمه في لياليه وعزلاته لما تمتد إليه يداه من كتب في التاريخ، والشعر، وعلوم الحضارة، وما كتب باللغة الإنجليزية على الخصوص.

وأنا أقدم رجلاً وأتردد في الأخرى... عند المدخل الرئيسي للمنزل، توقفت أمام حديقته المتواضعة، التي طالما وقف فيها العقاد مع «الجنايني» ليحدثه، ويداعبه، ويسمع منه، وهو يصلح

طربوشه، أو يعدّل نظارته، أو يعيد مسك عصاه.. التي لا تكاد تفارقه.

نعم هذا هو المدخل الرئيسي الذي يصعد إليه القاصد بعد أن يتعدى أربع درجات ليجد نفسه أمام مدخلين عن اليمين، وعن الشمال... أما اليمين فكان سكن العقاد... وغرفة خاصة فيها أدوات المطبخ، حيث مقر العم «أحمد» صاحب العقاد، وموضع ثقته في الطعام... وأما الباب الأيسر، الذي دخلت منه فيواجه المكتبة... بعد أن تتجاوز صالة صغيرة... تنفذ منها إلى المكتبة... وقد حدثني عامر ابن أخ العقاد أن الكتب سبق أن امتدت إلى الصالة، وإلى سكن العقاد في الجانب الأيمن... بحيث لم نجد إلا سبيلاً ضيقاً يصل مابين الكتب.

إن سكن العقاد كله كتب..! وما حوله يحفل برائحة ندية عبقة هي رائحة الكتب! لم أتلهف إلى معرفة شيء في حياة العقاد بقدر ما كنت شغوفاً بكشف حياته الخاصة، ولعلكم تتساءلون.. ولماذا حياة العقاد الخاصة؟! ماذا يضير لو جهلنا حياته الخاصة وماذا يفيدنا علمنا بحياته الخاصة؟ وأقول: العقاد العالم، نجده في بحوثه والدراسات التي كتبت عنه، ونجده في مقالاته الكثيرة، ومؤلفاته التي تربو على السبعين بعدد سني عمره!! أما العقاد الإنسان العادي.. في حياته اليومية، وممارساته الذاتية الشخصية، طعامه، ما يحب، وما يكره، وما يسمع، وما يصد عنه، أصدقاؤه، علاقته بأهله، عواطفه، كل ذلك لا نجد الكثير منه في كتبه ووجدت خير من يحدثني عما أريد... ابن أخيه عامر العقاد حيث يقيم في بيت عمه، بعد أن صحبه أكثر من ثلاثين عاماً، قضاها معه متعلماً، متأدباً، وذا صلة قربى، وراعياً لكثير من شؤونه الخاصة(*).

* قلت لعامر: لقد أتهم العقاد بأنه أخذ رشوة من الإنجليز نظير كتابه عن «الديمقراطية في الإسلام» وكأنه بذلك يؤيد السياسة الإنجليزية -حينذاك- في الوطن العربي، وفي مصر خاصة، فما مدى صحة هذا الاتهام، أو عدم صحته؟

- قال عامر: العقاد لم يقبل في حياته مليماً واحداً بغير وجه حق، أما دفاعه عن الديمقراطية فالعقاد له كتابات من سنة ١٩١٢م، دافع فيها عن الديمقراطية، قبل أن تتبلور مطالب الإنجليز في مصر، التي ظهرت بعد إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وأنا شخصياً في دهشة من هؤلاء الذين يتهمون العقاد بهذه التهمة.

العقاد يقول في كتابه عن الديمقراطية:« إن أحق إنسان بأن يحرص على حريته لمن يعلم أنه مدين بها لخالقه، ولضميره، ولا فضل فيها عليه لأحد من الناس، وأن أحق أمة أن تحرص على حريتها لهي الأمة التي تعلم أنها إذا اجتمعت لم تجتمع على ضلالة، وأنها هي مرجع الحقوق

* «ملحوظة: قرأت في الصحف المصرية مؤخراً خبر وفاة عامر العقاد، ولعل هذا اللقاء معه -حول الكاتب العملاق عباس محمود العقاد- هو آخر لقاء أدبي مع حامل أسرار العقاد».

جميعاً، وأنها تريد فتكون إرادة الله حيث تريد».

لو كان العقاد قبل العمالة لإنجلترا لما ظل يعيش في شقة ايجارها ثلاثة جنيهات وخمسة وسبعون قرشاً.. ولما ظل أثاث بيته الذي دخل به إلى الشقة في عام ١٩٢٧م هو نفس الأثاث الذي لازمه طوال حياته.. لأن العمالة يظهر أثرها على العميل في مظهره.

العقاد والمرأة

العقاد كان يرى أن الرجل أفضل من المرأة، ويرى أنها خُلقت تعتمد على الرجل، وضرب أمثلة كثيرة... منها أنه لو وجد محل لتصميم أزياء النساء يديره رجل، ووجد محل آخر لتصميم أزياء النساء تملكه امرأة، نلاحظ أن النساء يُقبلن على محل الرجال، وهن -أيضاً كما قال العقاد- وظيفتهن، وصناعتهن منذ التاريخ القديم هي البكاء على الموتى. فقصيدة واحدة لابن الرومي أو غيره من الرثائيين تعادل كل ما نظمن من شعر في الرثاء مجتمعات. العقاد يقول للمرأة الحق في أن تتعلم، وأن تكون أماً صالحة، في تربية أبنائها، وأن توظف ما حصلته من علم في خدمة زوجها وبيتها، أما أن تخرج إلى الحياة العامة، وتهمل واجبها الأول وهو البيت، فهذا ما لا يوافق عليه العقاد. وكان يرى أن النساء سيرجعن إلى البيت طائعات، كما حصل أخيراً في أوروبا. والعقاد رجل مسلم يتبع النصوص الدينية الواردة في تعامل الرجل مع المرأة.

حُب العقاد

أحب العقاد، وعاش ذلك الحُب عنيفاً ثائراً، كاتماً.. فاستولي على حياته، وكتب عنه الكثير، وكان على حظ وافر من الوسامة والرجولة، حتى تعشقته النساء، خاصة وأنه حظي بشيء غير قليل من الذيوع والانتشار، من كتاباته، وظهوره في المحافل والمنتديات، رغم الحياة الهادئة التي كان يطلبها دائماً، وعكوفه على الدرس والتحصيل، واتهام الناس له بالعزلة، والابتعاد عن صخب الحياة وضوضائها. ودوّن حبه ذاك في قصته المشهور «سارة» التي هي خليط من الفن الروائي، والسرد الذاتي أو أدب الاحتراف المبطن.. فهو يحكي عن نفسه بلسان بطل القصة «همام» وحبيبته هي «سارة» التي هي أصلاً «أليس» التي تعرف عليها في «بنسيون» «فيلا نتروز» الذي كانت -تديره السيدة «ماريانا» حيث كان يقيم صديقه د. محمد صبري السوربوني (زاهر في الرواية)... وتنتمي سارة أو أليس إلى عائلة (أسعد داغر) الصحفية.. واستطال هذا الحب، وصار له كيان فكان يحلم به مستقبلاً يحفل بالأطايب والهناء.. حتى قال عنه:

ماذا من الدنيا لعمري أريد
أنت هي الدنيا. فهل من مزيد
فيك لنا نور ونار معا
وأنجم زهر، وأفق بعيد

ولكنه -كما يتبين من فصول الرواية- يدب إليه الشك.. ثم الخصام، والقطيعة... فتتركه وتسافر إلى باريس... بعيدة عن العقاد.. ويبقى العقاد بعد هذه القصة خالياً من الشجن إلا من حب «سارة» وتملكها قلبه... حتى ليجد لها تعلة وعذراً يشفع لما بينهما من خصام وشك، فيقول :« أليس من الجائز أنها وفت لك في أيام عشرتها، واستحقت وفاءك لها وصيانتك إياها، وغيرتك عليها؟ أليس من الجائز أنها يئست منك فزلت بعد الفراق»؟ ويظل العقاد أسير هذا الحب... لم تدفعه شجاعته، وحياته التي بوسعها أن توفر له ما يريد، أن يصل مشارف الخمسين دون أن يتزوج.. ثم تصل به السنون إلى عمر لا يستطيع معه أن يتنعم بلذائذ الحب الذي كان يتمناه، ولعل الصدمة الأولى في حياته العاطفية جعلته يتعقل، ولا يغامر حتى يقول عن نفسه «أنا شيخ في سن الشباب» ويتوفى دون أن يتزوج.

الفن في حياته

كان يحتفظ في بيته بعشرات الأسطوانات القديمة، قبل أن يدخل الكاسيت إلى حياة الناس.... فاقتنى الموسيقى الكلاسيكية الشرقية، وكثيراً من الأغنيات للسيدة أم كلثوم.. وعبدالوهاب، وسيد درويش، وعبداللطيف البنا، وأخيراً عبدالحليم في أغنيته «صافيني مرة، و«توبة».. وكان يعيب عليه أنه رغم جمال صوته كمغن إلا أنه صوت ضعيف، واكتشف العقاد ذلك من حركة عبدالحليم أمام الميكرفون، فكان يقول عنه، صوت جميل.. لكن مافيش حد يسمعه في المسرح. لو ابتعد عن الميكرفون!! وسمع فايزة أحمد في أغنية (يامّه القمر ع الباب) وسمع عبدالوهاب الدوكالي، وأثنى عليه وقال «صوته قوي» وكان يتوقع له مستقبلاً ممتازاً.. وسمع شكوكو، وقال عنه أنه بلدي تمام! وسمع منيرة المهدية. ولحن السنباطي للعقاد أغنية مطلعها (ياحبيبي أنت ربي ليس في الكون مثيلك) وغنتها نادرة أمين.. وغنت له كذلك أغنية (فضض الماء ياقمر) من تلحين السنباطي. وغنى له عبدالكريم الكابلي أحد المغنيين السودانيين قصيدة فيها بيت يقول (شذا زهر ولازهر). وكان عبدالوهاب في إحدى المرات سيغني له أغنية وحالت ظروف دون ذلك وكان من المقربين إليه أسمهان، وفريد، ويحتفظ بجميع أشرطتهما، وكذلك المغنون الشباب، وكثيراً ما يبدي إعجابه بهم.

علاقته بوالديه

توفى أبوه وهو صغير، وكان يشتغل وقتها بجريدة الدستور، أما أمه فقد عاشت، إلى أن توفيت سنة ١٩٥٦م، ومعنى ذلك أنها ظلت فترة طويلة مع العقاد. أنا لم أر العقاد طوال حياتي رد لها طلباً، أو خالف لها أمراً، وبعد وفاتها انتقل هذا التقدير إلى شقيقته فاطمة، فكنت أراه يدللها، كما يدلل الأب ابنته الطفلة، ويحرص ألا يغضبها أبداً، بل... مما أعرفه من أسراره أنه حينما مُنح جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٦٣م أعطاها القيمة كلها، لتشترى لها بيتاً في أسوان،

وأخذ لها اكمالاً آخر من جيبه الخاص، إلى أن بنت بيتاً من ثلاث طوابق.. نحن أبناء أخيه كنا نرى فيه أبا سامياً لنا، فكان لا يرد طلباً لأي منا.

مواقفه الإنسانية

مواقفه كثيرة، أذكر مرة أن صديقاً له كان يعمل في صحيفة من الصحف التي يعمل فيها في العشرينات.. أصيب هذا الصديق بالعمى وله أربع بنات، يسكن وأياهن في حي متواضع من أحياء مصر. وعلم العقاد بحال هذا الرجل من أحد الأصدقاء.. ففرض له مرتباً شهرياً كان يعطيه اياه بواسطة صديقه (طاهر الجبلاوي) وفي الشهور التي يسافر فيها طاهر إلى دمياط كان العقاد يركب سيارة أجرة، وينتظر على ناصية الشارع، ويطلب من السائق إيصال المصروف إلى صاحب البيت. كان لديه حارس صغير في السن، وكان تلميذا، فشجعه على مواصلة تعليمه، ووفر له مايحتاجه لحثه على مواصلة جهوده، ويعطيه مبلغاً رمزيا. إذا اعترض سائل في الطريق طريقه، وشعر بأنه صادق في دعواه يعطيه دون أن ينظر إلى الورقة التي يعطيها له، وكان مما قاله لي ذات مرة إن أكبر شيء يهزني شكوى امرأة مظلومة.. صادقة في شكواها.

العقاد والاستقلالية

أنشأ جريدة في سنة ١٩٣٦م، ولكنه حورب من حزب الأغلبية آنذاك حيث أصدرها بعد أن انشق عن الوفد، وكان اسم الصحيفة (الضياء) فاضطر إلى ايقافها، نظراً للخسارة المادية التي كادها له حزب الوفد.

* قلت: لماذا لم يرجع مرة أخرى إلى إصدارها؟

- قال: اعتقد أن حب العقاد للحرية، دفعه إلى أن يُبعد نفسه عن اضطهاد قوانين النشر، والرقابة... ربما يكون هذا دافعاً إلى أن يمتنع عن ذلك وهو ما كان يعاني من النشر، بل كانت ترحب به جميع الصحف، بل إنه كان ينصح الناشرين أن يراعوا السعر المناسب للكتاب، حتى يتمكن أكبر عدد من الناس من قراءته.

تنظيم الوقت

ابتداء... العقاد كان ينظم وقته، ولا يدع وقتاً يجور على وقت، فالقراءة لها موعد محدد، والراحة لها موعد محدد والتجوال له موعد محدد، وحضور اللجان له موعد... واسقبال الضيوف والزوار له موعد خاص... ورجل هذا ديدنه استطاع أن يؤلف أكثر من كتاب في عام واحد. وأروي لك هذه النادرة... «يستطرد عامر العقاد»: طرق شاب باب مسكنه ذات أصيل وكان البيت خالياً من الخدم مصادفة ففتح الأستاذ الباب بنفسه، وفي يده القلم، لأنه كان يكتب، وهو في أشد حالات السخط لهذه المقاطعة، فلما رأى صاحبنا رشقه بنظرة قوية وسأله خيراً يا مولانا... خيراً إن

شاء الله كنت هنا في مصر الجديدة لشأن لي، فلما فرغت منه قلت في نفسي «أمر على الأستاذ».

- معك حق يا صاح! لقد خطر لك هذا، وما دام خطر لك فقد انفض الإشكال... وهل للأستاذ شغل -معاذ الله- إلا أن يكون في الانتظار، عسى أن تشرفه بالحضور إن خطر لك ذلك بالبال، وجذب الفتى المبهوت من يده وجره إلى داخل البيت، حيث مكتبه، وأشار إلى آلة التليفون، قائلاً: هل رأيت مثل هذا من قبل؟ اسمه تليفون، ويستخدمه الناس ليسألوا - حين تخطر لهم الزيارة في بال- إن كان من يزورونه مستعداً لتقبل هذا الشرف.. أو هو جاحداً مثلي يقدم عليه شأناً آخر من شئونه! وأطلق يد الشاب، فانطلق المسكين لايلوى على شيء، وهو لا يكاد يصدق بالنجاة! وكان يستقبل زواره ومريديه من أهل الثقافة والأدب صباح يوم الجمعة من كل أسبوع، وهو موعد اطلع عليه المثقفون، والكتاب الذين كان يعج بهم مجلس العقاد في ذلك اليوم من كل أسبوع.

العقاد والرياضة

كان يشجع الرياضة، يسكن في حي الإبراهيمية بالاسكندرية، ويركب سيارته الخاصة، ويطلب من سائقه أن يمر إلى ناحية المنتزه آخر الكورنيش، فينزل من السيارة، ويطلب من السائق أن ينتظره عند (ستانلي) ويمشي المسافة على قدميه، ثم يركب السيارة مرة أخرى. ولعب الكرة في بداية حياته، ومارس السباحة.

الألوان ... والطعام

يرفض الألوان الفاقعة.. والمفضل عنده الألوان الغامقة اللون... كان منظماً في الأكل، رأيته عشر سنين وجبة غذائه لم تتضمن لحماً فهو نباتي يميل إلى الخضار والفاكهة. لم أره يدخن أبداً، وسبق رأيت له صورة بالسيجارة فسألته عنها، فقال هذه مجاملة! ولم يكن يشرب ما يضر بصحته وهو في الشيخوخة زلت قدماه فكُسرت رجله، لما جُبرت التأمت بشكل أذهل الأطباء، لأنه لم يكن يعاني من سكر، ولا من ضعف، أو مرض آخر.. وكان يثقف نفسه طبياً.

هواياته الخاصة

أنا كنت ألاحظ بدقة ما كان يهتم به، فكان يولي أقلام الحبر اهتماماً خاصاً، وعنده مجموعة نادرة من هذه الأقلام، ويحتفظ بطوابع البريد الخاصة، والصور القديمة، وكان لا مسرفاً، ولا قابضاً، إلا إنه يستهين بما في جيبه أمام الكتب.

البلدان التي زارها

زار العقاد المملكة ضمن بعثة الشرف عام ١٩٤٦م ممثلة للحكومة المصرية التي ذهبت إلى المملكة لتكون في شرف مصاحبة الملك عبدالعزيز في زيارته إلى مصر، واعتمر اثناء هذه الرحلة، وزار أيضاً لبنان، والسودان، وفلسطين.

عبدالله بن محمد بن خميس

هذا لقاء خاص مع الأديب الأستاذ عبدالله بن خميس بمناسبة منحه جائزة الدولة التقديرية الأولى في الأدب.. عبدالله بن محمد بن خميس علم من أعلام أدباء المملكة العربية السعودية.. له مجالاته الواسعة في البحث والدراسة الأدبية المتخصصة. وأخص بالذكر الأدب الشعبي وأدب تاريخ الجزيرة العربية الجغرافي، في هذين المجالين طرح عبدالله بن خميس مجموعة من الكتب والدراسات البحثية الدقيقة .. ولعلنا من خلال لقائنا به نتعرف على حياته الخاصة... على مجالات دراساته الأولى.. على المجالات التي عمل فيها وظيفياً وعمل فيها صحفياً... ونتعرف على هذه النقطة بالذات حيث انطلق منها كصحفي مبتدئ في البداية ثم أنشأ صحيفة.. ومنها ابتدأ جيل من الصحافيين لا يزال يعمل هذا الجيل ويعطي في مؤسسة صحفية معروفة داخل المملكة هي مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر.. نرحب بضيفنا الكريم الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس.

– حياكم الله وبياكم.. مرحباً.. أهلاً وسهلاً.

* الأستاذ عبدالله لو تعرفنا في البداية على خطواتك الأولى في الدراسة .. المكان الذي درست فيه... كيف بدأت تتفتح ثقافياً؟

– كان والدي رحمه الله على جانب لا بأس به من علوم الشريعة واللغة والأدب.. وكان على طريقة القدامى يتغنى بالشعر... وكان يتغنى بالنثر أيضاً على طريقتهم أيضاً... وكنت وأنا صغير أدبّ حوله أستمع إلى هذه الأنغام وأتعشقها وأطرب إليها... وإن لم يكن لديّ فهم تام لما أسمع... إلا أنني أطرب إليها وأتعشقها وأحفظ الكثير منها. ولم يكن هذا الحفظ عن فهم ولا من ارتواء بما أسمع وإنما مجرد تقليد ومجرد المحاكاة حتى إذا كبرت أخذت في مجال التعليم.. طبعاً التعليم غير المنتظم... التعليم على والدي رحمه الله.

* النشأة... أين كانت ياشيخ؟

– النشأة كانت في الدرعية.

* قرية من قرى المملكة العربية السعودية قريبة من الرياض؟

– بلدة قريبة من الرياض... وكانت هي العاصمة الأولى ولها من المجد ومن الذكر ومن الفخر الشيء الكبير والكثير وأعتقد أن الدرعية غير مجهولة لمن يريد أن يتعرف على بلادنا أو على مآثر بلادنا.

* نعم نريد أن نتعرف أيضاً .. من خلال نقطة نشأتك الأولى على يد أبيك كأستاذ وكمربٍ أن

نتعرف على حياة الكتاتيب القديمة أو الدراسات الكلاسيكية التي كانت تقام آنذاك في البيوت أو في المنازل؟

– هي على كل حال حالة القرى وحالة المدن، حتى العواصم في السابق كانت مملوءة بالكتاتيب وكانت مملوءة بالدراسات الخاصة بالمساجد وفي غير المساجد.... وكانوا يدرسون على المشائخ... جلّ دراستهم كانت على المشائخ فرادى ومثنى وجماعات يترددون على المساجد ويدرسون على الأئمة ويدرسون على المشائخ.. والكتاتيب لها نظامها ولها وضعها في ذلك الوقت... يتجمع حول المطوّع يسمونه أو الأستاذ.. يتجمع حوله عدد من الصبية يدرسون عليه القرآن وغير القرآن.. ربما شيء من الكتابة يأخذونها عليه ليس إلا.

* حلقات يتحلقون حوله؟

– حلقات أو يكون هناك في بيت من البيوت مستقل.. هذا البيت فيه أمثال المجالس مبنية بالطين ويجلس هؤلاء الصبية عليها.... وكل واحد يقوم ويتلو درسه أمام الأستاذ ثم يعود ويأخذ مكانه ليقوم الآخر وهكذا.

* نعم وفي هذا الجو نشأت؟

– وفي هذا الجو نشأت غير أنني أول نشأتي وقبل أن ألتحق بالمدرسة وبوضعها الذي التحقت به فيه كنت قرأت على والدي وأخذت عن والدي وأريد أن أدلل على أن أقول أن نشأتي الأدبية سبقت نشأتي الدراسية على أساس أنني حفظت الشعر وحفظت شيئاً من النثر وحفظت بعض قطع الأدب على والدي قبل أن ألتحق بالمدارس وبالكتاتيب.

* وكان عمرك آنذاك تقريباً؟

– كان عمري مابين السابعة والثامنة فما فوق.

* ونلاحظ أن هذه النقطة لا تتوفر الآن عند تلامذة هذا العصر؟

– لا.. لا تتوفر أبداً.

* أنهم يحفظون مبكرين؟

– يحفظون مبكرين.. كونهم يحفظون مبكرين ويحرصون على الحفظ مبكرين... هذه ربما لا تتوفر.. وربما لا تتوفر أيضاً في الزمن القديم.. ولكن الهبة من الله التي وهبت لي والدي ووهبت والدي لي.. في هذا المجال جعلتني أنشأ هذه النشأة وأستقل بهذا الاستقلال... أن أبدأ بالأدب قبل أن أبدأ بالدراسة المنتظمة.

* وبعدها بدأت طالباً منتظماً؟

– بعد أن حفظت ما حفظت على والدي أخذت أدرس عليه... وتطورت هذه الدراسة تطورت

بأن قرأت عليه كثيراً من كتب ابن القيم وكتب ابن تيمية ومجموعة الأحاديث النبوية وكثيراً من الكتب التي قرأتها عليه قبل أن ألتحق بالدراسة النظامية فحفظت شيئاً ... وعنيت بهذا الجانب أكثر.. وأستطيع أن أقول لك إنني في هذا المجال بدأت حيث لم يكن البدأ... بدأت بالأدب وبدأت بالشعر وبدأت بالحفظ قبل أن أبدأ بالدراسة النظامية.. وهذا يمكن أنه هو السبب الوحيد الذي جعلني أتعلق بالأدب وأتعلق بالشعر وأعنى به العناية التامة على الرغم مما حفظته ورويته وعلمته من دراستي النظامية.

* هل تتذكر السنوات الأولى لهذه الدراسة الخاصة... الدراسة المنبثقة عن رغبتك الشخصية؟ كم مضى عليها الآن تقريباً؟

- إذا قلت مثلاً أن عمري الآن قريباً من ثلاث وستين سنة.. فربما يكون هذا مضى عليه مايقرب من خمسين سنة تقريباً.

* خمسين سنة ماشاء الله؟

- خمسين سنة أو أكثر من خمسين سنة.

* يعني قبل توحيد المملكة العربية السعودية؟

- قبل أن تتوحد المملكة العربيةالسعودية.

* كان وقتها الملك عبدالعزيز رحمه الله لايزال يلملم أطراف الجزيرة العربية؟

- وكان آنذاك جيوشه تستعيد المنطقة الغربية وماحولها.

*لكن كانت نجد مستقرة نسبياً تحت لواء الملك عبدالعزيز نعم لم تكن هناك طبعاً مدارس منتظمة على هذا النحو الذي نراه الآن في عصرنا... كيف بدأت طالباً منتظماً عند أساتذة معينين؟

- حينما درست على والدي الدراسة التي تحدثت عنها آنفاً وحصلت على شيء لابأس به من علم الشريعة ومن علم الأدب ومن علم الشعر وما إليه فتحت عام ٦٤ دار التوحيد بالطائف وتاقت نفسي لأن ألتحق بهذه المدرسة... فعلى الرغم من تردد والدي رحمه الله في أنني لا ألتحق بهذه المدرسة غلبت الرغبة والتحقت بالمدرسة وفارقت والدي منذ ذلك الزمن ودخلت في المدرسة ومضيت في الدراسة فيها... وكانت دراستي الأدبية في مدرسة دار التوحيد تصحبني آنذاك .. كان الأدب والشعر والحفظ وما إلى ذلك كله يصاحب دراستي.. ولهذا عجب الأساتذة ومدير الدار والزملاء.. عجبوا من أنني في وضع يصاحبهم في دراساتهم ومع ذلك أبزهم كثيراً في هذا المجال ولهذا أنشئ في مدرسة دار التوحيد نادٍ أدبي جعلت... أو انتخبني الزملاء رئيساً له.. وكان آنذاك رئيس الدار الشيخ بهجت البيطار رحمه الله كان يعجب ويطرب ما يسمعه من محفوظي ومن شعري ومن الأشياء التي أبادله إياها في الفصل... ولما جاء الملك عبدالعزيز رحمه

الله إلى الطائف رأي الشيخ بهجت أن يأخذ الأساتذة .. أساتذة الدار وأن يأخذ مجموعة من الطلبة... وأن ينتخبني من بينهم لإلقاء قصيدة أمام الملك عبدالعزيز رحمه الله .. كما انتخب أحد الإخوان لإلقاء كلمة. فكانت أول قصيدة أقولها... أول قصيدة أقولها بين يدي ملك وكانت أول قصيدة أقولها في محفل كبير عظيم... وكانت أول قصيدة أقولها في مكان مهيب جداً.

* وعمرك كان ذاك؟

– وعمري كان ذاك مبكراً... أعتقد أنه لم يكن ... أعتقد في العشرين أو حوالي العشرين.

* لازلت شاباً يافعاً؟

– لا زلت شاباً يافعاً.

* ولم تتعود الطلعة والبرزة على الناس؟

– لم أتعود البروز أمام هذه المحافل الكبار أو أمام الملك أو أمام ... ولكن مع هذا ستر الله وتقدمت وألقيت القصيدة أمام الملك وكانت محل الإعجاب ومحل التعليق ومحل مبادلة الحديث بين الملك رحمه الله وبين الشيخ بهجت البيطار .. والأساتذة وأساتذة الدار.

* يحضرك بيت منها مثلاً الآن؟

– والله قد لا يحضرني.

* المطلع مثلاً؟

– والله قد لا تحضرني.. إنما هي موجودة في الديوان.

* ليس معنى هذا أن ذاكرتك ليست قوية على تقدمك في السن.

– والله ذاكرتي أعتقد أنها وإن لم أتقدم في السن دائماً تخونني ولاسيما حينما أفاجأ بسؤال مثل سؤالك هذا.

* المفاجئ؟

– مفاجئ على أساس أنك... أعطني البيت الفلاني أو أعطني البيت الفلاني أو قل لي القصيدة الفلانية أو هذه... هذه قد لا تواتيني الذاكرة ... وقد لا أوفق في الإتيان بماهو مطلوب منى إلا مع التذكر والتدبر و.. التفكير.

* استرجاع الذاكرة؟

– استرجاع الذاكرة على أساس أنها تعطيني ماهو مطلوب مني.

* ودعني أجد لك مبرراً أيضاً وهو كثرة القراءة... وهذا يعني قول يعذر به الأدباء القراء... كثرة القراءة؟

– يجوز... يجوز... نقول مثلاً هذا.

* إذن لو تجاوزنا هذه النقطة ودخلت إلى طبيعة الدراسة داخل الدار كيف كانت... الطلبة كيف كانوا يعيشون داخل هذه الدار.... باعتبارها في الواقع أول قلعة علمية خرجت نفراً من الجيل الأول من الأدباء؟

- هذه المدرسة نظامية بطبيعة الحال مائة في المائة... وإنما الطلبة فيها على قسمين... قسم يعين في المهجع داخل الدار.

* سكن؟

- سكن مخصص لهم فيه المطبخ وفيه المهجع وفيه قاعات للمطالعة وللدراسة وما إلى ذلك.. وهؤلاء هم القسم الأكبر من طلبة الدار... وقسم يعيشون لاسيما أصحاب العوائل يعيشون قريباً من الدار مستأجرين لهم بيوتاً... ويعيشون قريباً من الدار.... وكلهم تجمعهم فصول الدراسة.

* لكن هؤلاء أكثرهم من أهل مكة وماحواليها؟

- لا أكثرهم من أهل نجد.

* المغتربون من أهل نجد؟

- المغتربون من أهل نجد... والملك عبدالعزيز رحمه الله أراد أن يجعل من هذه الدار منطلقاً لأهل نجد لأن أهل الحجاز سبقوا أهل نجد بمراحل في الدراسة وفي مجالات الدراسة والتنظيم وما إلى ذلك ... أما أهل نجد فلم يكن لديهم كما قلت لك إلا الدراسة على المشائخ أو في المساجد أو في الكتاتيب ولم تكن تعرف لديهم آنذاك المدارس النظامية الحقيقية كما ينبغي... فأراد الملك عبدالعزيز رحمه الله أن يفتتح هذه المدرسة بعيداً عن نجد وعن أهل نجد وعن الكتاتيب وعن المشائخ وعن المساجد... فأخذ من كل بلدة مجموعة من الشباب وأودعهم هذه المدرسة.

* إذن... لو رجعنا إلى الذاكرة وتعرفنا على بعض الأساتذة الذين كانوا يلقون لكم دروس العلم وبعض زملائك الطلبة الذين برزوا فيما بعد؟

- مثلاً أذكر من بينهم الأستاذ بهجت البيطار رحمه الله .. علم من أعلام الشام في الشريعة وفي اللغة وفي الأدب.. وأذكر من بينهم أساتذة مصريين كرياض هلال وكالشعراوي الموجود الآن(*)... ومن زملائي أتذكر من بينهم صالح العلي الناصر.

* نعم الشيخ الآن؟

- الشيخ الموجود الآن وعبدالعزيز الربيعة.

* الدكتور الآن؟

- هو دكتور الآن نعم.

* الشيخ العلامة اللغوي المفسر محمد متولي الشعراوي توفي رحمه الله عام ١٤١٨هـ.

* والشيخ عثمان الحقيل.

- هذا توفى رحمه الله ... كان قاضياً في المنطقة الشرقية مدة طويلة ثم حصل عليه حادث سيارة وتوفى رحمه الله.. والشيخ عثمان بن سيار ومجموعة كبيرة.

* الشيخ عثمان الشاعر؟

- الشاعر المعروف نعم.. والشيخ سعيد بن جنيدل والشيخ معجب بن سعيد.

* بعد تخرجك من مدرسة دار التوحيد أين ذهبت؟

- عينت مديراً لمعهد الأحساء العلمي وكان آنذاك يدير هذه المعاهد.... كانت أول نشأة للمعاهد العلمية في نجد وكان يرأسها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ويديرها الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رحمه الله ولم يكن هناك من المعاهد العلمية في المدن النجدية ولا غير النجدية شيء وإنما كان المعهد العلمي وكان فيما يبدو الكلية.. كلية الشريعة واللغة في الرياض... ومعهد شقراء كما أتذكر لم يكن هناك من المعاهد شيء.

* كان عدداً يسيراً؟

- كان عدداً يسيراً... وأحب الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن ينتخب من خريجي هذه المدرسة ... مدرسة دار التوحيد عدداً من المبرزين يلحقهم بكلية الشريعة واللغة بمكة لأننا حينما تخرجنا من دار التوحيد التحقنا بكليتي الشريعة واللغة في مكة .. فحينما علم الشيخ بتخرج الدفعة الأولى من هؤلاء الطلبة طبعاً انتقى منهم إثني عشر طالباً.... فصدر توجيه من جلالة الملك سعود رحمه الله إلى الشيخ محمد بن مانع رئيس كليتي الشريعة واللغة إلى هؤلاء الاثني عشر طالباً على أساس أن يستعدوا للسفر إلى الرياض لمقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم ولتعيينهم في المجالات التي سوف يعينهم فيها الشيخ محمد فرشحني رحمه الله لإدارة معهد الأحساء فعينت مديراً لمعهد الأحساء وأخذت في الأحساء سنتين أسست المعهد ومشيت في تدبيره وفي تنظيمه وفي ترتيبة وفي كل شيء فيه حتى استقر واستقام وبعد هذا نقلت إلى كليتي الشريعة واللغة في الرياض.

* مديراً لها طبعاً؟

- مديراً لها.

* نعم.... ومكثت في هذا كم سنة تقريباً؟

- مكثت فيها سنة واحدة، ثم افتتحت الرئاسة العامة للقضاة فنقلت مديراً عاماً لرئاسة القضاة... فأخذت خمس سنوات في هذه الوظيفة... وبعدها نقلت باختياري وبرغبة مني وبرغبة من الشيخ عبدالله السعد لأن أكون وكيلاً لوزارة المواصلات... فمكثت فيها سنتين ثم تغيرت الوزارة لأحوال لا داعي لذكرها.... وبعدها عينت مديراً أو رئيساً لديوان المظالم فاعتذرت عن هذا

التعيين فما كان ممن رشحني بل عينني على هذا الشيء حينما اعتذرت وحينما حصلت المراجعة فيما بيني وبين الملك فيصل رحمه الله إلا أن قال كلمته المشهورة المأثورة بالنسبة لي (أريد حياته ويريد قتلي) هذه الكلمة أتذكرها من جلالته رحمه الله فاعتذرت عن رئاسة ديوان المظالم ثم مكثت مدة اشتغلت في شركة الكهرباء... كهرباء الرياض... مدة كعضو من أعضائها ثم اشتغلت أيضاً في أمارة منطقة الرياض مساعداً للأمير سلمان وفقه الله مدة من الزمن ثم عينني رئيساً لمصلحة مياه الرياض فأخذت فيها ثمان سنوات في مصلحة مياه الرياض، ثم طلبت من الملك فيصل إحالتي إلى التقاعد بكامل راتبي.. فبعد أخذ ورد ووساطة من الأمير سلمان ومن الملك فهد وفقه الله وافق على إحالتي للتقاعد بكامل راتبي.

* التقاعد والتفرغ للأدب طبعاً؟

- التقاعد والتفرغ للأدب.

* نعم... نعم... إذن هذا مجمل في الواقع مختصر عن حياتك الوظيفية والعملية وتنقلاتك؟

- نعم.

* يبدو أننا الآن لابد أن ندخل في حوارنا وأن نأخذ بعض آرائك في الحياة الثقافية وفي الوسط الأدبي وكذلك في بعض أمور الحياة المختلفة بعد أن تنقلنا معك مرحلة مرحلة منذ أن نشأت وإلى أن وصلت إلى مرحلة التقاعد والتفرغ للعطاء وللإبداع الأدبي والفكري؟

- تفضل.

* ماهي الوظيفة التي لم تجد نفسك فيها؟

- تقصد الوظيفة بالمعنى الصحيح؟

* نعم العمل الذي تتمنى أنك لم تتولّه؟

- والله هذه في الحقيقية يعني.. هناك أشياء تبرز إلى الإنسان في مجال عمله يتمنى أحياناً أنه لايكون في هذا العمل ولا يعمل فيه... وأحياناً تمر عليه ظروف وتمر عليه أحوال يكون مغتبطاً ومبسوطاً ومسروراً.. فما هناك وظيفة أعتقد أنها كانت ضربة لازب من أولها إلى آخرها.. كلها غير منتظمة بالنسبة إليك وكلها لا تحبها أبداً.

* يعني أنا شخصياً أرى من وجهة نظري البحتة فقط أنه بالنسبة لتوجهك الثقافي ولقراءاتك في التراث وأدب الجزيرة العربية.... هذا شيء بعيد عن مجال عملك الإداري مثلاً في وكالة وزارة المواصلات أو مصلحة مياه الرياض؟

- هذا صحيح لكن مع ذلك الإنسان إذا أسند إليه عمل لابد أن يقوم بهذا العمل ولا بد أن يجد من نفسه أحياناً أن يكون مسروراً وأحياناً غير ذلك... فليس معناه أنني حينما أعمل في مجال عمل

ليس من اختصاصي أن أتمنى إخلاء هذا العمل والتخلي عنه لا سيما وبلادنا آنذاك ماكانت على جانب كبير من العلم ولا من المتعلمين على أساس أن يختار لكل عمل من يناسبه ومن يتفق مستواه واتجاهه العلمي... فأقول لك بصراحة إنه ما من عمل قلت فيه ياليتني لم أعمل هذا العمل، وإنما يكون هناك شيء يأتي عليّ ظروف تضيق صدري وتراني فيها ضيق الصدر آسفاً من هذا العمل وظروف أخرى تواتيني وتراني مسروراً بأداء عملي ومغتبطاً به.. ليس إلا.

* الشيخ عبدالله بن خميس كتبت مجموعة من الكتب والمؤلفات في تراث وتاريخ الجزيرة العربية وفي شعرها وجغرافيتها.. ماهو الكتاب الذي تعتقد أنك وضعت جهدك وذاتك فيه بحيث إذا قرئ قرئ الشيخ عبدالله بن خميس؟

-يقولون عن المؤلف أن كتبه بمثابة أبنائه وكلها عزيز عليه وكلها غال عنده ولكن إذا أردنا أن نعطى الحقيقة بالنسبة للتآليف التي قمت بها... فأعتقد أن الكتاب الذي بذلت فيه جهداً ووقتاً وتعباً هو معجم اليمامة... معجم اليمامة يقع في مجلدين... واليمامة كما تعرف مساحتها تبلغ حوالي ألف كيل من الشمال إلى الجنوب.

* تبدأ من أي نقطة وتنتهي إلى أي نقطة؟

- تبدأ من الثويرات قرب الزلفي وتنتهي بالربع الخالي وعرضها... من العرض... عرض باهله وماإليها حتى الدهناء... هذه المنطقة تحتاج إلى دراسة فاحصة متمعنة متمكنة.. وتحتاج إلى نقلة وتحتاج إلى دربة ورغبة وميول مرحب على أساس أنه يدرس هذا المجال.. صدقني أنني أخذت في دراسة هذا الكتاب خمس عشرة سنة... خمس عشرة سنة كلها أجمع مادته وأتنقل في هذه البلاد من جبل إلى قرية إلى واد إلى رمل إلى روضة إلى مدينة إلى البرك إلى ما هناك من هذه الأشياء كلها... فالشيء الذي بذلت فيه لا يمكن أن يكون رخيصاً ولا يمكن أن يكون هيناً... وإن كانت الكتب في الحقيقة بعضها يكون ثميناً وجيداً لكنه لا يتطلب منك الجهد الذي بذلته كما بذلته في هذا الكتاب.. ولولا توفيق الله سبحانه وتعالى والمحبة والرغبة في الميول التي جعلتني أميل إلى هذا الشيء.. وصدقني أنني أقدم رجلاً وأؤخر أخرى حتى قال لي الأستاذ حمد الجاسر أريدك أن تقدم على تأليف الكتاب عن اليمامة... وكرر علي هذا أكثر من مرة... فعزمت وتوكلت على الله واستجبت لرغبتي أولاً واستجبت لرغبته ثانياً وسعيت ومضيت حتى تحقق ما تحقق.

* لم يكن بينكما شيء من التعاون في هذا؟

- لا..

* يعني ما ساعدك في البحث ولم تقدم له أنت استشارات معينة؟

– أبداً.. أبداً... لم يكن فيما بيني وبينه شيء من هذا إلا المشورة التي ألح عليّ فيها لأنه عازم على تأليف معجم عن المملكة كلها... فقام بتأليف بعض أجزاء عن اليمامة وقمت بالتأليف عن اليمامة.

* وفي معجمه هو لم يتعرض لهذه المنطقة طبعاً..؟

– لا.. لم يتعرض لهذه المنطقة إلا في بعض المناسبات التي يقتضيها البحث... ليس إلا

* استطراداً يعني؟

– إستطراداً... نعم

* ومعجمم العبودي عن منطقة القصيم أيضاً لم يتعرض لهذه المنطقة؟

– لا لم يتعرض إلا ما يقتضيه البحث

* البحث أيضاً.. طيب... كنت في أثناء بحثك تحادث البادية وتحادث المسنين من سكان القرى أو الهجر أو المناطق التي بحثت فيها هذه...؟

– نعم كنت أحادثهم وكنت أعيش معهم وكنت أتنقل فيما بينهم وكنت أحفظ عنهم وكنت أدون وكنت أحفظ الكثير وأعرف الكثير عنهم وهذا قبل عزمي على تأليف الكتاب... صدقني إنه قبل عزمي على تأليف الكتاب... ولكن رغبة وميولاً ومحبة.. ليس إلا.

* في مقدمة كتابك الشوارد ذكرت أنك تجمع قصاصات مختلفة لما تحفظ أو لما يأتي على خاطرك وعلى ذاكرتك من الشعر ومن النثر أو من الحكم والأمثال.. معنى هذا أنه لابد أن بداخل جيبك ورقة وقلماً في كل المناسبات لكي تدون ما يمر على ذاكرتك من هذه الأشياء... وحصيلة هذه المدونات هو هذا الكتاب الشوارد؟

– الشوارد.

* فهل لم تعتمد في تأليفه على مرجع معين؟

– لا.. اعتمدت أول ما اعتمدت على تأليفي لكتاب الشوارد على حافظتي.. وثم.. بعد أن تجمعت لدي نخبة جيدة من مادة هذا الكتاب... محفوظة في ذهني... أسفت وندمت أن لا تكون هذه... أن تنتهي أو تموت هذه الأشياء بموتي.. ولا يكون هناك أثر لهذا الشيء... فعزمت على تدوين هذه البيوت أو هذه الأبيات أو هذا الشعر... ثم شرعت أيضاً بالتقاط ما يمكن أن ألتقطه من الكتب التي تعني بهذا الجانب... ورجعت إلى عشرات الكتب... فجمعت إلى جانب ما أخذته من حافظتي وما التقطه ذهني من هذا الشيء أضفت إليه الكتب التي كونت عزمي على أساس أن أؤلف هذا الكتاب... فكان هذا الكتاب الذي هو الشوارد في ثلاثة مجلدات.

* جميل.. بالنسبة لروايتك في كتاب لك عن المسامرات؟

- أحاديث السمر.

* أحاديث السمر .. عن القصص وما يتسامر به الناس في جلساتهم... هكذا يبدو لك من مسمى الكتاب هل أيضاً رويت هذه القصص عن رواة ثقات أم أنك ابتدرت فيها خيال الذاكرة؟

- لا .. كل ما رويته في هذا الكتاب تحريت فيه الصدق وتحريت فيه الحق.

* إذن هو من باب الرواية؟

- من باب الرواية .. لكن رواية صادقة ... ليست روايته خيالاً.

* لا استطيع مثلاً أن نطرحه في باب القصة؟

- ربما تطرحه في باب القصة من جانب... على أساس أنه قصص وعلى أساس أنها قصص تشدك إليها وتبعث ذهنك إلى متابعتها... وترى فيها لذة في قراءتها... لذة وصدق عاطفة على قراءتها.. لكنها مع ذلك حقيقة واقعة... ولم تكن هذه القصص التي أوردتها إلا قصصاً حقيقية كما وجدتها مدونة في وريقات وشبهها أورويتها عن رواة مثل منديل الفهيد ومثل عبدالعزيز بن فايز ومثل عقل الحمد ومثل رضيمان الحسين ومثل ناصر بن فايز .. ومثل... كثير ... كثير ... كثير مثل الأشياء هذه... هذه جمعتها ودونتها وتحريت فيها الحق والصدق.. وعلى أنه قل أن يكون هنالك قصة لم تؤيد بقطعة شعرية تؤيد ما قلته فيها... وهذا هو الذي أيضاً يبرهن على صدق وحقيقة هذا الكتاب.

* عبدالله بن خميس على اتجاهه اللغوي والتراثي.. اتجاهه الدقيق في دراسة اللغة وبحث الأدب هذا الاتجاه لأدب الفصحى والحفاظ عليه... هوجم في الصحافة... الصحافة الأدبية بانشطاره بين الأدب الشعبي والأدب الفصيح.. وقيل له لماذا لم توحد كل جهدك وتسخر هذا الجهد لخدمة الفصحى وتراثها لكان أولى ولكان أجدى وأبقى؟

- قيل هذا.

* قيل هذا.. فما أدري عن رد ابن خميس وهو معنا في هذا اللقاء؟

- هكذا يقول من لا دراية له بالخطة التي يسير عليها عبدالله بن خميس في هذا المجال... يقولون إن الأدب الشعبي أو الشعر الشعبي شيء والأدب الفصيح شيء آخر، ولايربطون هذا بهذا ولايوجد بينهما رابطة ولا علاقة تربط هذا بهذا.. وهذا غير صحيح ... الرابطة التي تربط الشعر الشعبي بالشعر الفصيح رابطة أزلية... رابطة معروفة منذ القدم... العربي.. فصيح.. والعربي يقول الشعر.. والعربي همه أن يقول الشعر... سواء كان قوله لهذا الشعر على النحو الذي كان يقوله بلغته الفصيحة الصحيحة أو كان على النحو الذي يقوله بلغته الشعبية... لما كانت لغته الفصيحة الصحيحة تواتيه وهو لم يتعلم كان يقول الشعر فصيحاً صحيحاً سليماً لاغبار عليه... ولما داخل اللغة العربية ما داخلها... ودخلت العجمة على كثير من جزيرة العرب أو من أجزاء

جزيرة العرب... جعل العربي يقول الشعر بلغته التي يفهمها... بلغته التي ينطقها... بلغته التي يتكلم بها... العربي في الجاهلية وفي صدر الإسلام كا ن يتكلم بداهة بلغته العربية الفصيحة... هذا العربي الآن يتكلم بلغته غير الفصيحة... وكان من شأنه أن يقول الشعر كما هو ينطق في لغته... وإذا أردت مثلاً أن تعرف أن هذا الشعر له صلة وثيقة بالشعر العربي الفصيح فخذ مثلاً .. أمثلة كثيرة من الشعر الشعبي له علاقة تامة باللغة أو بالشعر العربي الفصيح:

إذا أنبحتنا من قريب كلابه ودبت من البغضا علينا عقاربه
نحينا بأوراق المطايا ويممت بنا صوب حزم صارخات ثعالبه
بيوم من الجوزا ويستوقد الحصى تلوذ بأعضاء والمطايا جخادبه

تأتي إليها مرة أخرى... وهو قائلها اعرابي في شملته.. لايمكن أن نقول عنه إنه فصيح ولا قاريء ولا متعلم:

إذا أنبحتنا من قريب كلابه ودبت من البغضاء علينا عقاربه
نحينا بأوراق المطايا ويممت بنا صوب حزم صارخات ثعالبه
بيوم من الجوزا ويستوقد الحصى تلوذ بأعضاء والمطايا جمادبه

ما الفرق بين هذا وهذا .. هذا فصيح صحيح وهذا فصيح صحيح.. كل مافي الأمر أنا نطقناه باللغة العامية التي كنا ننطقها فأصبح كأنه شعر ساذج غريب دخيل.. لاعلاقة له بلغتنا ولاعلاقة له بأدبنا... ولا علاقة له بشعرنا... وهذا في الحقيقة شيء من الجهل الذي يجعلهم يسيئون إلى عبدالله بن خميس وينبذونه بهذا الشيء الذي ليس من حقهم أن ينبذوه به.

* ولعل مثالاً أيضاً قريباً إلى ذاكرتنا .. هو الشاعر عبدالمحسن الهزاني حينما يستخدم الألفاظ العربية الفصيحة؟

- حينما استخدم الألفاظ العربية الفصيحة وقال:

غنى النفس معروف بترك المطامع وليس لمن لا يجمع الله جامع

وقوله مثلاً في نفس هذه القصيدة:

إذا ما انقضى النيروز فيها وخوضت مطافيل غزلان المها كل خايع
سقاها الحيا في ليلة بعد ليلة من المزن هتاف صكوك الروامع

إلى آخره .. وغيره وغيره وغيره... فأود من إخواني وممن يجترئون ويتجنون على أخيهم أن يقفوا ويتدبروا ويقولوا الحق والصدق ويفهموا عليّ.

* نعم .. ولكني أيضاً لعلي أقف بجانب المتهِمين وأنا أيضاً أخاطب المتهم بهذه التهمة الشريفة... وهي تهمة الحفاظ على التراثين العربي والشعبي... الشيخ عبدالله بن خميس ألا ترى أن في

دراسة الأدب الشعبي وفتح المجال لهذا الأدب لكل من هب ودب فيه إساءة إلى الأدب الفصيح وفيه دعوة إلى الإقليمية وفيه دعوة لكتم أنفاس الشعر العربي الفصيح والتراث والأدب الفصيح؟

– سبحان الله . . إذا أردت أن تقول إن هذا الشعر الآن انتحله من ليس أهلاً له. . . إذا أردت أن تقول إن ما يذاع الآن وماتنشره الصحف وما تذيعه بعض الإذاعات وغيرها إنه ليس من الجودة في المكان الذي يمكن أن يقال عنه إنه شعر حيّ نابض. . إذا أردت أن تقول هذا فأنت محق. . أما إذا أردت أن تطمس رافداً من روافد أدبنا الحقيقي. . أن تطمسه وتضفي عليه جلباب التغطية فلست معك ولست موافقاً لما تقول. . . هذا حفظ لنا تراثاً. . . حفظ لنا تأريخاً. . . . حفظ لنا لغةً. . . . حفظ لنا مآثر حفظ لنا عادات وتقاليد. . حفظ لنا أشياء كثيرة وكبيرة . . . لولاه لما وجدناها. . . . فأنا أريدك أن تكون معي بأن هذا الشعر رافد من روافد الأدب الذي لا يمكن أن نتخلى عنه ولايمكن أن ننبذه كما يدعي أو يدعو بعض من كتب حول هذا. . . بل أقول إن هذا رافد من روافد الأدب الصحيح الذي يجب علينا أن نتبعه وأن نأخذ منه ما طاب وما جاد وما نفعنا في الأشياء التي ندعو إليها. .

* أكيد أيضاً أنه مجال خصب للدراسات التاريخية ودراسة تاريخ الجزيرة بالذات لأنه حفظ جزءاً من تقاليدها وتاريخها. . . لكن أنا أعتقد أن هذا الشيء معني به ومخصوص به الدارسون والبحاثة من أولئك الذين يقتعدون المدارس ويقتعدون كراسيهم؟

– يعني بمعنى أن نجعله في الرف ليأخذه هؤلاء.

* المتخصصون . . كدرس؟

– المتخصصون كدرس أما أننا ننبشه ونأخذ منه الشيء الذي لايمكن أن يهتدي إليه بل ما اهتدى إليه بعض الدارسون الذين تقول عنهم. . . وما اهتدى إليه أربابه الذين يقولونه وأربابه الذين يدونونه يعني. . . معناه أن نجعله في الرف ونأخذ منه الأشياء اللازمة والباقي نسرحه ونطرح هذا الشيء.

* وأدب الفصحى في غناية وكفاية. . . خاصة مع تقدم التعليم والثقافة؟

– أنا لست معك في هذا . . . فالأدب الشعبي أو الشعر الشعبي على الصحيح رافد ثر لابد أن يعايش الأدب العربي الفصيح الصحيح سواءً بسواء. . . . وفيه من التراث وفيه من الغناء وفيه من الخير بل فيه من الصور العجيبة الغريبة والأحوال الجميلة ما يجعلنا لا ننبذه ولا نرى هذا الرأي الذي أنت تقوله الآن.

* نعم . . لعلنا أطلنا في هذه النقطة. . . والمجال أمامنا محدود في الواقع. . نريد أن نسمع باعتبارك دارساً لهذين الانموذجين الأدبيين. . . الأدب العربي الفصيح والأدب الشعبي. . . . أن نسمع أنموذجاً من الشعر العربي الذي تحفظه ذاكرتك وتعتقد أنها القصيدة الجميلة التي تغنيها

وتتردد دائماً على لسانك من الشعر الشعبي ومن الشعر الفصيح . . . أو مقطع على الأقل؟

– كثير من الأشعار

* البيت الجميل البيت الحلو الذي تتمنى دائماً؟

– أما كونك تدعوني إلى أن أنشدك بيتاً جميلاً فهذا مالايكون . . لأن البيت الجميل في الحقيقة سوف يؤخذ على عبدالله بن خميس أنه أنشد بيتاً ساذجاً . . لم يكن من الجمال ولم يكن من الروعة بالشيء بالذي يمكن أن يقال عنه هذا القول. يقول الأعشى مخاطباً هوذة بن علي الحنفي . . . أول معدي . . أول معدي لبس التاج وخوطب بأبيت اللعن . . . . . وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كما كتب إلى كسرى وقيصر يقول مادحاً له:

أحيتك تيّه أم تركت بدائك	وكانت قتولاً للرجال كذلك
واقصرت عن ذكر البطالة والصبا	وكانت سافها ضلة من ضلالك
وكانت تريني بعدما نام صحبتي	بياض ثناياها وأسود حالكا
إلى هوذة الوهاب أهدي مديحتي	أرجّي نوالاً فاضلاً من عطائكا
تجانف عن جو اليمامة ناقتي	وما عمدت من أهلها لسوائكا
ألمت بأقوام فعافت حياضهم	قلوصي وكان الشرب منها بمائكا
فلما أتت نخل أطام وأهله	اناّخت فألقت رحلها بفنائكا
سمعت برحب الباع والجود والندى	فألقيت دلوي فاستقت برشائكا
وماذاك إلا أن كفيك بالندى	يجودان بالعطاء قبل سؤالكا

* يا سلام . .

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره	من الناس لم ينهض لها متماسكا
وأنت الذي عودتني أن تريشني	وأنت الذي آويتني في ظلالكا
وإني فيما نابني بك مولع	بخير وإني مولع بثنائكا
ولم يسع في العلياء سعيك ماجد	ولا ذو إنا في الحي مثل إنائكا

هذه أيضاً قصيدة من قصائد الأعشى في هوذة بن علي . . أما الشعر الشعبي:

بالله يا عالم خفي الغيوب	ياللي لضاقت على الخلق بادوه
أشكي عليك والبدو عوج الدروب	اللي لهمو على امارة جوه
البدو هم وظعونهم هبلوا بي	هني القلب اللي ماعرفهم ولا جوه
شدوا ومدوا بالغزال العجوب	وياليتهم عفاية الحضر خلوه
شدوا وخلوني على الداء أهوب	كما يهوب اللي على الروح ردوه

* هذا من شعر من؟

- هذا من شعر مفضي السلمي.. وبعض يرويها لابن سبيل... وهو خطأ... وهي لمفضي السلمي

* يتضايق الشاعر على البدو؟

- يتضايق على البدو

* لكثرة ترحالهم؟

- لكثرة ترحالهم وتنقلهم

* ولوجود الحبيبة معهم؟

- ولذهابهم بحبيبته عنه.

* شيخ عبدالله بن خميس صاحب لفظة معجمية وقاموسية... لا أدري هل هو يتحرى أن يبعد وأن يغرب بلفظه عن الألفاظ المستعملة الآن في المصطلحات الأدبية السريعة والكتابات الأدبية الرائجة.. أم أن هذا يأتي شيئاً عفوياً؟

- بل إنه عفوي.. بل إنه عفوي .. لأنه في الحقيقية من الصعب على الإنسان خصوصاً في مجال فرض الشعر أن يذهب الإنسان ويتحكم في لغته .. هذا مالا يمكن... اللغة التي ينطق بها الإنسان وينظم بها تأتي عفوية.. تأتي غير مرادة... وغير مصطنعة.. وغير متبعة.. تأتي كما يوحي إليه فكره وكما يوحي إليه إلهامه وكما يوحي إليه وضعه.. لايمكن في الحقيقة أن أقول عن هذه القصيدة أن أقول هذه القصيدة وأستعمل فيها أسلوباً ميسوراً سهلاً لايستطيع الإنسان أن يستعمل المعجم في تفسير بعض ألفاظه.. لايمكن هذا... مع أن أقول قصيدة أخرى على النحو الذي يقال عني أنني أقول القصيدة وفيه شيء من التعمية وفيه شيء من الأشياء التي قد لا يفهمها إنسان إلا بمعجم هذه بديهتي.. وهذا طبعي... وهذا الشيء الذي لايمكن أن أنكره... قبله من قبله... وأنكره من أنكره غير أنني آبى أن يقول عني أحد أنني استعمل هذه الألفاظ استعمالاً من أجل التعمية ومن أجل التفاصح ومن أجل أن يقال عني إنني فصيح وأنني متعمق وأنني قاموسي وأنني معجمي وأنني وأنني لا.

* ولكن هذه التهمة تكاد تنطبق على قصيدة قلتها في رثاء الملك فيصل رحمه الله؟

- يمكن أن يكون هذا.... تنطبق لماذا تنطبق؟

* قصيدة قلتها في رثاء الملك فيصل رحمه الله وكانت مليئة بل محشوة بالغريب من اللغة وخاصة في القافية... ويصعب على أي قارئ.. القارئ حتى المتفصح الذي يجيد اللغة العربية.. إجادة تامة أن يتمعن هذه الألفاظ إلا بالرجوع إلى المعجم.

- صدقني أنني..

* ممكن تتذكر البيت الأول منها شيخ عبدالله؟

- ما أتذكرها.. مع أن هذه القصيدة بعينها..

* من أقوى القصائد فعلاً

- غابت عني ولم أنشرها في ديواني الذي نشر في الأيام السابقة.

* نشرت في جريدة الجزيرة ؟

- نشرت في جريدة الجزيرة... لكن غابت عني هذه القصيدة ولم أنشرها مع الأسف... وصدقني أنني لم أستعمل هذا الأسلوب الذي تقول عليه ولم أتعمد في يوم من الأيام أن أقول قصيدة وأحشوها بما يتهمني به من يتهمني... أبداً والله... إنما هذا على السجية وعلى الطبع وعلى الواقع وعلى البديهة ليس إلا

* ولعلك أنت تغترف من مائك.. ؟

- هو على كل حال... أنا في الحقيقة.. وهو مائي لكن لا أدل بهذا ولا أفخر ولا أزعم أنني مثلاً بهذه المكانة وبهذا الطبع أنني مثلاً أثبت شيئاً بدعاً أو قلت شيئاً لم يأت به غيري.. شيء طبيعي

* هو حصيلة قراءتك في اللغة.

- حصيلة قراءتي وحصيلة ما وصلت إليه وأعتقد أني أربأ بك وبالمستمعين أن أقول ما يقوله البحتري في مثل هذا المجال... وعسى أن لا تخونني أو تخونني الذاكرة في أن آتي بهذين البيتين.. أو هذا البيت على الأصح لأن البيت الأول قد تكون خانتني الذاكرة في الحصول عليه:

علي نحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر

* هذا يقال طبعاً أكيد للعامة من الناس الذين ليس لهم فقه في اللغة أو في الدراسة؟

- أنا قلت إني أعيذك وأعيذ مستمعيّ أو قارئيّ أن ينطبق عليهم هذا القول.

* وهذا من باب الاعتزار بالشخصية أيضاً.. من باب الاعتزار بالشخصية ومن باب الثقة في النفس وقد قال هذا القول أو قولاً شبيهاً من هذا القول المتنبي رحمه الله حينما قال أيضاً في شتم.. ولا نطلق كلمة شتم فعلاً على من عابه على لغته

- على كل حال المتنبي قال شيئاً كثيراً في هذه المجالات.. قال شيئاً كثيرا

* * * *

* ولكي نلم بجانب مهم من جوانب حياة شيخنا الأستاذ عبدالله بن خميس.. الجانب الفكري والأدبي والبحث الجغرافي.. كل هذه الجوانب يتناولها أحد النقاد الدارسين لعطاءات الأستاذ عبدالله بن خميس معنا الأستاذ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.. وهو أحد الأدباء وأحد الكتاب

في بلادنا وأحد القارئين بشكل جيد ودقيق للأستاذ عبدالله بن خميس

– شكراً لكم على إتاحة هذه الفرصة. . . شيخنا أبوعبدالعزيز عبدالله بن محمد بن خميس ممن تتوفر فيه خصائص وصفات الريادة على مستويين. . مستوى فردي بالنسبة لي شخصياً. . . فقد كان رائداً لاتجاهي في الكتابة الأدبية أوالنثر الفني منذ كان يكتب في جريدة اليمامة التي يصدرها الشيخ حمد الجاسر. وكنت أزوره في مكتبه لما كان مديراً عاماً لرئاسة القضاة فأعرض عليه بعض مخطوطاتي التي ابتدأت بها في التأليف وكثيراً ما صرفني عن بعض الاتجاهات ونمىّ فيّ روح الاتجاه إلى فرع آخر. . . هذا على المستوى الشخصي أما المستوى العام في بلادنا فالشيخ عبدالله بن خميس رائد رواد الصحافة في المنطقة الوسطى بالذات. . . فهو والشيخ حمد الجاسر من قدماء صحفيي هذا البلد. . . وله ريادة أيضاً في الارتفاع بلغة الجريدة والمجلة عن الأسلوب الصحافي المألوف إلى مستوى الفن. . . النثر الفني الراقي. . ولا غرابة في ذلك فقد كان الشيخ متأسياِ بأسلوب أحمد حسن الزيات. ولست آخذ هذا التأسي بمجرد أن الشيخ عبدالله أعلن ذلك عن نفسه لما رثي الزيات قبل أن يموت (لما ورد الخبر الكاذب أنه كان توفي). بل إن روح أحمد حسن الزيات بينة في نثر الشيخ عبدالله من ناحية الترسل والإزدواج وأن الشيخ يكاد يبرّه باستيلائه على اللغة العربية وتطوير اللغة أو المفردة المعجمية إلى سياق بلاغي يأخذ بتلابيب القلوب. والشيخ عبدالله بن خميس أيضاً رائد في فرع معين وهو دراسة الأدب الشعبي دراسة منهجية. . . فكتابه الأدب الشعبي أول كتاب درس الأدب الشعبي في المملكة العربية السعودية وهو أيضاً من كتب تعدّ على الأصابع تعتبر رائدة في مجال الأدب الشعبي عامة في مختلف البلاد العربية. . ولست أقول إن هذا الكتاب هو أبدع مافي الإمكان. . ولكني أقول إنه أبدع ماكتب في وقته. . . والشيخ عبدالله أيضاً في مجال الشعر لا أقول أنه له ريادة وتجديد لكن ليس هذا على مستوى أنه ممن يميل إلى الشعر الحديث أو يسهم فيه ولكنني أقول إنه جدد هذا الشعر من ديباجة ابن عثيمين التي فيها روح الشعر الجاهلي البحت. . ومن نظم الفقهاء المألوف في بلادنا من أمثال المشرّف وغيره فاستحيا لغة الفحول في العصر العباسي وفي صقلية وفي الأندلس. . . فتجديد الشيخ عبدالله بن خميس في ا لشعر في بلادنا كتجديد محمود سامي البارودي في مصر. كذلك الشيخ عبدالله له أسبقيته وريادته في معاناة البحوث الجغرافية والتاريخية المتعلقة بالمملكة العربية السعودية. . . وكان له في ذلك كتب وإن كنا نطمح إلى المزيد. . له معجم اليمامة في مجلدين ضخمين وكتاب المجاز بين اليمامة والحجاز وكتاب الدرعية ... فالشيخ عبدالله وصل ما انفصل في التاريخ وفي الجغرافيا بوسيلتين. . . الوسيلة الأولى الرواية الشفهية ... يأخذ الرواية الشفهية بالنسبة للشعر العامي وبالنسبة لرواية الأحداث التاريخية. . سواء من أحداث الملك عبدالعزيز رحمه الله أو من أحداث

الأسرة المالكة منذ القدم... يأخذها بالرواية الشفهية والجانب الآخر المعاينة... فالشيخ عبدالله رحالة ويحب الاطلاع على العالم شخصياً ويتقصى تحديدها من المعجمات وفق مشاهدته الخاصة. ولهذا كان له إصلاح بعض الأوهام وهو بهذا يحمل طرف الرداء مع شيخنا حمد الجاسر في هذا المجال.. والحديث أخشى أن يطول .. له ريادة أيضاً في مجال النقد الاجتماعي... وليعذرني المستمع أن البرنامج لتحديده لا أستطيع أن أوفي الشيخ حقه.

* * * *

* لنخرج من نطاق الحديث في الثقافة وفي الأدب وهو ميدان رحب واسع لانملّ الحديث في الواقع منه مع أستاذنا الفاضل الشيخ عبدالله بن خميس

- شكراً

* لكي نتعرف على آرائه في الحياة العامة وفي الثقافة العامة هي ثقافة الجيل الجديد هل ذهبت إلى خارج المملكة في رحلات طويلة المدى؟

- نعم

* وإلى أين؟

- ذهبت إلى أوربا وذهبت إلى الشرق الأقصى.

* وأي مكان أقمت فيه إقامة طويلة وارتحت فيه؟

- أنت تعرف أن الإنسان الذي يريد أن يلم بالبلدان خارج بلاده لايمكن أن يقيم فيه إقامة مرتاحة.. ولا أن يستمر فيه ويأخذ فيه راحته تماماً تماماً .. لاسيما وهو ينهب الأرض يريد أن يحصل على أكبر قدر ممكن من البلدان التي يمر بها.. أتيت بريطانيا... وألمانيا... وأسبانيا.. وفرنسا.. وأعتقد تركيا.

* أمريكا...ذهبت لها؟

- لا.. لم أذهب إلى أمريكا.. واليونان.

* مع أنه يسمى العالم الجديد؟

- العالم الجديد... هو العالم الجديد صحيح... وأتيت من بلدان الشرق طبعاً.. الفلبين وماليزيا وسنغافورة والهند وربما بعض البلدان الأخرى.

* نعم هل أعجبك شيء؟ ماهو الشيء الذي أعجبك في أثناء تجوالك ورحلاتك في بلدان أوربا بالذات؟

- منها ما يعجب وفيها مالا يعجب.. كما هو متبادر إلى الذهن.... أما الذي يعجب فهو ما يقومون به أوتقوم به كثير من البلدان... ومن المحافظة على التراث... من المحافظة على

المكتبات.. من المحافظة على المتاحف من المحافظة على الآثار... من الرقي... من التقدم... من الأشياء التي في الحقيقة لم نصل بعد إليها، من الفكر .. من الأشياء التي في الحقيقة هي مطلب كل إنسان في هذا الشرق أو في هذه البلاد بالذات لوطنه أن تكون على نحو مما كانت عليه تلك البلدان... هذه الأشياء المحبوبة والمرغوبة... أما الأشياء غير المحبوبة وغير المرغوبة فكثير.

* نعم كثير.. وأعتقد أن جلّ المستمعين والقراء يعرفون أن المجتمع العربي له خصائصه وله مميزاته التي يتميز بها عن المجتمع الغربي أو الأمريكي.. في أيضاً... رحلاتك.. لعلك تصحب الكتاب أو يصحبك الكتاب؟

–يندر

* لأنك تريد الاستجمام؟

– أريد الاستجمام من ناحية وأريد الاستزادة من الأشياء التي أمر بها من ناحية أخرى... مع التنبيه على أنني مع الأسف لا أجيد لغة غير لغتي.

* ولو كانت هذه اللغة متاحة لك لأتيت بما لم تأت به الآن؟

– بما لم تأت به... بما لم آت به صحيح.

* ولعل هذا الشيء في الواقع يعني ... لم يتح لك ربما ... ظروف الدراسة؟

– صحيح .. ظروف الدراسة وظروف التحصيل والإكباب على ما أنا متجه إليه.. ولم تكن في الحقيقة .. لم يكن في وسعي آنذاك... أو في استطاعتي أن أدرك حقيقة ضرورة الحصول أو التمكن من قراءة اللغة أو الحصول على اللغة... وخصوصاً اللغة الإنجليزية.. ولو خيرت لاخترت... وهذه لو ندمت على شيء من الأشياء التي أقول لك إنني ندمت عليها... ما ندمت على شيء أكثر من ندمي على أنني لم أقرأ هذه اللغة.. لم أعرف هذه اللغة.

* لأنها...

– اللغة الإنجليزية خصوصاً

* لغة الحضارة القائمة يعني؟

– نعم

* ولم .. أيضا يعني.. نر قبل اسمك دالاً .. لماذا؟

– الدال أعطيت لمن يستحقها ولمن لا يستحقها.. ولا سيما في هذا الزمن... الدال هي بصمة تكون في الحقيقة لمن هو أهل لها ولمن يكون جد واجتهد وأكب وحصل ورغب ودرس وجد واجتهد حتى حصل على هذه الدال... ولمن لايمكن أن نسميه شيئاً من هذا القبيل لأنه في الحقيقية جاءته بما أعرف وبما لا أعرف.. وعلى .. يعني صدقني أنا أقول لك إن حتى من أجد واجتهد بقوة عمله

وقوة ذاكرته وبمحافظته وبجده واجتهاده قد لا يدرك ما أدركه بعض من لم يحصل على هذه الدال.

* علاقتك بأدباء الدول العربية الأخرى المجاورة للمملكة العربية السعودية .. كيف كانت خاصة أنك عشت بداية البعث العربي الأصيل .. بعث الثقافة العربية على يد الرواد من أدباء الأدب العربي الحديث... طه حسين ... العقاد.... الرافعي.... المازني... زكي مبارك.... مجموعة من الأدباء .. خاصة في جمهورية مصر العربية.. وكذلك من أدباء العراق وأدباء الشام؟

- أما علاقتي بهم الشخصية... أقصد علاقة اللقاء... فهي قليلة.

* ما سبق التقيت بهم أو بأحدهم...؟

- ما سوى أني ألتقي بهم في مجمع.. مجمع اللغة العربية... التقي بهم في المنتديات.. ألتقي بهم في المؤتمرات الأدبية.. ألتقي بهم في الرحلات.... قمت أنا أيضاً بعدة رحلات .. وبحضور عدة مؤتمرات، في العراق مرتين وفي الشام وفي مصر وفي المغرب وفي تونس ... فالتقيت بالكثير.. الكثير من هؤلاء لكن لقائي بهؤلاء ليس لقاء المستفيد المستزيد منهم ومن معلوماتهم ومما وصلوا إليه وإنما لقاء الند للند ولقاء الباحث الذي يستطيع مثلاً أن يعرف عن هذا ويعرف عن ذاك كما أنه يجب أن يعرف عني.. ويعرف عما لدي لأنني في وضع.. لست في وضع متعلم.

* متلقي؟

- أو متلقي... وإنما في وضع الإنسان أن يواجه نده.

* الموازي؟

- الموازي.

* لكن يعني في بداية قراءاتك .. لمن قرأت في البداية؟ أول كتاب أدبي قرأته تقريباً؟

-أكثر من قرأت له الزيات... ولهذا تجد الطابع في أسلوبي النثري... أنني متأثر بالزيات لأنني متأثر به لا أستطيع أن أقول إني مقلد له .. لا... إنما نستطيع أن نفرق بين التقليد وتستطيع أن تفرق بين التأثر.. فأنا متأثر بأسلوب الزيات... وهو الذي قرأت له كثيراً... وأستطيع أن أقول إنني قرأت كتبه كلها.

* جميل.

- أي نعم

* لكن الكتاب الذي بقي في ذاكرتك الآن.. وهو من حصيلة قراءاتك الأولى.؟ اسم الكتاب هذا؟

- طبعاً.. هذا كتاب «وحي الرسالة» في ذهني وفي ذاكرتي لأني قرأته أكثر من مرة... وأعجبني الأسلوب وأعجبني بصرف النظر عن الجوانب التي أريد أن أستزيد بها ثقافياً.. قد قرأت للكثير.. الكثير.. قرأت للرافعي وأعجبت به.. وقرأت له تحت راية القرآن مرتين أو ثلاث

مرات... وقرأت له الكثير من كتبه.

* ولعل هذا يصطلح مع أسلوبك أنت... خاصة أسلوب الرافعي ؟

- الرافعي أيضاً... متأثر أنا بأسلوب الرافعي.

* يميل إلى النحت اللغوي؟

- يعني.. إلى شيء من هذا... وكذلك للدكتور طه حسين ولأحمد أمين ولغيرهم من الناس الذين قرأت لهم. وقرأت كثيراً وكثيراً.

* إذن.. نتوقف عند نقطة معينة في حياتك الشخصية.. تزوجت كم مرة؟

- لماذا هذا السؤال؟

* في الواقع لأني أنا أريد أن أدخل بعد هذا السؤال إلى مجموعة من التساؤلات بعده.. فلابد أن تتجاوز هذه النقطة بعد إجابتك

- أنا لا أريد أن أبوح بشيء من هذا

* أعتقد أن الإباحة..يعني.. هنا واردة.. لأن الحياة للأديب ليست ملكاً له وإنما ملك لقرّائه؟

- هي ملك لقرائه فيما يتصل بثقافته... إنما فيما يتصل بشخصيته وبأحواله الخاصة وخصوصياته ليست ملكاً لهم.

* أعتقد أن الأدب ليس إلا صورة من حياته الشخصية في بعض... في جوانبها

- في بعض حياته الشخصية التي يبوح بها... أما الأشياء التي لا يبوح بها فلا يحق له أن يقول عنها شيئاً.

* ماشاء الله.. أول زواج لك كان عام؟

- كان عمري في ذلك الوقت حوالي أربعة وعشرين

* أربع وعشرين سنة؟

- نعم

* تزوجت عن حب أو زواج تقليدي؟

- زواج تقليدي

* تؤمن بالحب؟

- أومن به

* وهل جربته؟

- جربته

* هل تؤمن بأنه ممكن إقامة هذه العلاقة من الحب والمودة والتفاهم والاصطلاح على معنى

الحياة الزوجية بين الشابة والشاب؟

- نعم . . لاشك

* لا بد من التفاهم المسبق قبل الزواج؟

- هو إذا حصل . . وهي السنة المحمدية أن يكون هناك مثلاً . . . أن ينظر إليها . . . وتنظر إليه وأن يكون بيهما ما يشبه التعارف البريء . . هذا هو الذي ممكن أن يكون وهو غالباً فيمن يوفق بينهما

* أي نعم . . . ماهي مواصفات المرأةِ التي تتخيلها شاعراً . . . وتتخيلها رجلاً صاحب بيت؟

- هذا سؤال محرج

* لا بد أن نسمعه؟

- طبعاً . . . مواصفات المرأة هو كما وصفها كما أظن . . . امرؤ القيس أو كما وصفها غيره . . . ولا أريد أن أقولها يعني شعراً . . . وإنما أريد في المرأة أولاً الجمال المطلق . . . غير المفرط . . . جمال الخلق . . . جمال النطق جمال العينين قبل هذا كله .

* طيب بالنسبة للسينما . . طالعت السينما في بعض رحلاتك؟

- نعم . . رغم أنني لا أحبها .

* هل ترى أن من الأصلح لو أقيمت دور للسينما في المجتمع السعودي في بعض المناطق في المجتمع . . . في الحواضر . . خاصة في المدن الكبرى . . . وعرضت فيها الأفلام التي تهدي إلى شيء ما من الاصلاح؟

- لو كانت عند هذا الحد لكان طيباً . . . ولكن سوف يجر . . تجر إلى ماهو سيء . . . وماهو سيء لا أحبه لبلادي ولا لأمتي .

* لكن أن توضع تحت رقابة دقيقة وفاحصة؟

- إذا كان كذلك . . . فهو طيب

* ما رأيك بجهاز الفيديو في داخل المنزل . . . أليس هو غزواً أكثر من السينما؟

- سيء . . سيء جداً

* إذن السينما المدربة والمنظمة والمرتبة . . .

- هذا إذا حصلت هذه السينما المدربة والمنظمة والمرتبة فهي طيبة . . لكن أسوأ ما دخل على هذه الأمة في بلادها هو الفيديو . . . الفيديو داء من الأدواء الوبيلة التي دخلت على هذه الأمة فأفسدتها وسعت في هدمها . . . هدم خلقها . . . هدم كل شيء من مقومات ثقافتها وحياتها وخلقها . . . الفيديو داء في الحقيقية . . حرصنا كل الحرص . . لما كنت في مجلس الإعلام الأعلى على أساس محاربة

هذا الشيء بالشيء الممكن . . . ولم نهتدِ بعد إلى ما يوقف هذا عند حده.

* أليس بديلاً عن هذا الذي نسميه غزواً عن طريق الفيديو أو عن طريق أفلام السينما المحمولة إلى أشرطة فيديو أن يقام مسرح منتظم يحتوي كل المثقفين ويحتوي كل الراغبين والذين يملكون مواهب معينة ويبرزون هذه المشكلات التي يعاني منها المجتمع ويعرضونها عرضاً موفقاً دقيقاً مشرفاً عليه؟

– إذا كانت بهذه الصفة فهي جميلة وجيدة.

* لكن لم نر منك دعوةً إلى هذا الشيء على الصحف؟

– ولأن وضعي لا يمكنني كما هو وضع الكل. . . كما هو وضع الأكثر. . لايمكنهم من دعوة كمثل دعوتنا هذه ولا أحب أن يقال عني أنني دعوت إلى هذه الدعوة لأنه الجو. . وفي الوضع ماهو أهم وأعظم لأن أدعو إليه فلم. . . . فلما لم يبق إلا هذا المجال لدينا. . . أدعو إليه حين ذلك.

* بالنسبة لعمل المرأة . . هل تؤمن به؟

– نعم

* إلى أي حد؟

– إلى الحد المعقول المقبول الذي لا يخدش سمعتها ولا يخدش كرامتها ولا يخدش عفافها. . . تكون عربية مسلمة أصيلة. . . لايمكن أن يعطيها العمل أو يهبها العمل أو يضرها العمل أو يضر بها العمل.

* ما رأيك في الشاب اليوم؟ الشاب في المملكة العربية السعودية اليوم. . . كيف تقيّمه؟

– الشاب على أقسام. . لايمكن أن أقول عن شاب أو عن شباب أنهم على منزلة واحدة أو على مستوى واحد أو على منهج واحد وإنما لكل منهم اتجاهه. . ولكل وضعه.

* لكن الطابع العام؟

– الطابع العام مؤسف. . مع الأسف. . . . لأنه غزتنا أشياء في الحقيقة ماكان. . . ماكانت البلاد في الحقيقة أن تتحمل هذا الغزو لأنه الشيء الذي نريده من شباب هذه الأمة لاسيما في مثل هذا الوقت أن يكون شاباً بالمعنى الصحيح. . شاباً مسلماً. . . شاباً عربياً. . . شاباً جلداً قوياً أميناً تستطيع أنك تأخذ منه.

* بالمناسبة هل تستمع إلى الغناء كثيراً؟

– غير كثير

* ومن يعجبك من المطربين أومن القصائد المغناة؟

– تعجبني أم كلثوم وتعجبني فيروز تعجبني. . . .

* نجاة

- نجاة الصغيرة

* إن الغناء العربي تستمع منه إلى أم كلثوم؟

- يعني.. أستمع إلى أم كلثوم واستمع من الغناء إلى الشعر العربي الفصيح.

* القصائد المغناة.. نعم؟

- القصائد المغناة

* لأم كلثوم؟

- هذا هو الذي آخذه وهو الذي أستمع إليه وهو الذي أطرب إليه أحياناً أحب أسمع لها قصائد شوقي وأحب أن أسمع لها أيضاً بعض القصائد التي لا أتذكرها الآن.

* نعم شكراً لضيفنا الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس على هذا الحديث الطيب.. آملين له التوفيق وداعين له بطول العمر والصحة والعافية إن شاء الله.

- شكراً لك.. بارك الله فيك أن أتحت لي هذه الفرصة الكريمة وإن كنت أود في الحقيقة أن يكون اللقاء ثقافياً بحتاً غير... ما دخله مما دخله.

عبدالله الطيب

نلتقي بالدكتور الأديب عبدالله الطيب الأستاذ بجامعة الخرطوم وعميد الجامعة سابقاً والآن أستاذ بقسم اللغة العربية بالجامعة.

الدكتور عبدالله الطيب خدم التراث العربي .. وفي نفس الوقت قدم مجموعة من الدراسات الطيبة في هذا التراث سواء كان حول النصوص أو حول المبدعين في النثر وفي الشعر، نود أن نستكنه المنطلقات الثقافية لضيفنا الكريم.. فإبتداءً وقبل ندخل إلى هذه المنطلقات نود أن يقدم ضيفنا نفسه بما يراه مناسباً...

– خير ما يقدم به الإنسان نفسه أن يكون له بعض ما يقول

* تفضل... نعم ولكن محاولة للتعريف بك وخاصة ممن لا يهتمون بالأدب وبأموره؟

– البطاقة التي في جيبي أني من السودان .. ولدت به.

* وعام كم؟

– ولدت عام ١٣٣٩هـ.

* أي نعم

– بالعربي يكون لي من العمر .. قاربت السبعين.

* قاربت السبعين.. عمراً مديداً... إن شاء الله.

– إن شاء الله

* وأكمل لو تفضلت.. البطاقة؟

– ولدت في سنة ١٩٢١م الأفرنجي

* الأفرنجي.. نعم... والأولاد؟

– ما عندي أولاد.

* لقد عوضك الله عنها بأشياء أخرى.

– الذي عوضني به الله كثير

* نعم... والحمد لله.. ومتزوج؟

– نعم

* وكتبت شعراً.. يادكتور؟

– كتبت الآن... وما زالت أكتب.. ومازلت... وكتبت ما يمليه قلبك... أو أنظمه خير من

أن أقول كتبت.

* نعم... وكتبت ما يمليه قلبك؟

- نعم.. كتبت ما يمليه قلبي... وهو هذا الشعر الذي لابد فيه من الصدق.

* نعم.. بالتأكيد.. لك.... أو عندك... معلومات تود أن تضيفها في البطاقة؟

- لا ليس لدي أي معلومات.

* نعم.... أنت الآن متقاعد يادكتور؟

- لا.. أنا أعمل الآن في التدريس ولكني رسمياً قد تقاعدت قبل ١٢ سنة.

* نعم... وأعمالك التي قدمتها للمكتبة العربية؟

- الأعمال التي قدمتها للمكتبة العربية... آمل أن تكون مفيدة... ولكنها كثيرة والحمد لله.

* الحمد لله.. لو عددت بعض ما يحضرك من أسمائها؟

- أعدد أولاً في الشعر لي عدة دواوين... وأحد هذه الدواوين كتب عنها الدكتور طه حسين في أدبنا المعاصر.. ولي في الشعر الأول.. مسرحية شعرية كبيرة... جزء منها مُثِل.. وكلها مُثِلت في جامعة الخرطوم.

* نعم.. جميل

- وقطعة منها أذيعت من مذيع لندن... ومثّلها جماعة.. واختصرها بعض تلاميذي.

* نعم.. جميل

- وهذا في الشعر

* نعم

- ولي عدة كتب... فيه مذكرات... وفيه الملاحظات العامة.. وهي مطبوعة... ونضبت من الطبع.... وبعضها طبع عدة مرات.

* نعم

- ولدي مجموعة من القصص والخرافات السودانية كتبتها في سنة ٤٧ نشرت في سنة ٥٢ أو ٥١. وهي من الخرافات السودانية تُسمى «الأحاديث السودانية». وكتب عنها عزالدين إسماعيل من الكتاب المصريين.

* نعم

- وعلق عليها باسمي فيها لا باسم مؤلفها.

* نعم جميل جداً

- وفي كتاب المرشد وهو كتاب في الشعر... في دراسة الشعر... وصدر بالنثر من مطبعة

الحلبي في سنة ٥٥ الجزء الأول . . وفي سنة ٥٦ الجزء الثاني وكتب مقدمته الدكتور طه حسين وأعيد طبعه ومعه الجزء الثالث في سنة ٧٠. ويعاد الآن طبعه الأول والثاني والثالث والرابع وهو أهم الكتب التي كتبتها من ناحية الدراسة الأدبية. ولي تفسير قرآن مكتوب. . . جزء عم، جزء تبارك، جزء قد سمع، تحت الطبع، فأحمد الله أتيح لي أن فسرت القرآن بلغتنا.

* نعم. . الحمد لله

- في السودان من سورة الناس صعوداً إلى سورة الفاتحة.

* نعم. . دكتور عبدالله الطيب عرف عنك. . عرفت حماستك عنك للغة العربية ودفاعك عن هذه اللغة وإنكارك. . إقبال الناس على العجمة . . وجهل كثير من المتحدثين باللغة العربية فيا ترى هل لا زلت راضياً عن مستوى المتحدثين باللغة العربية. . . أم أن لك عتباً فيهم؟

- لا أنا لا أعتب على المتحدثين. . لأن اللحن قد يأتي سبق اللسان. . . وقد يأتي من الجهل. . وقد يختلط الأمر، إن الذي أعنيه وأنكره . . . . هو إهمال اللغة العربية كما ينبغي أن تدرس. . . وقد نتج عن هذا ضعف في مستويات التحصيل في اللغة العربية وجهل بها.

* نعم. . نعم. . . هذا من خطط الدرس ومن مناهج التدريس؟

- من مناهج التدريس. . لأن الناس تركوا باباً مهماً في أبواب التدريس للغة العربية. . . كانوا يبدأون بالقرآن ويحسنون درسه. . أو يدرسون ما تيسر منه. . . وينتقلون بعد ذلك إلى النحو. . . أهملوا الآن جميع هذا فبنوا على غير أساس صالح. . ثم درس اللغة العربية بحسب النظام التعليمي المعاصر يبتدئ في مرحلة متأخرة. . . وكان ينبغي أن يبتدئ في مرحلة متقدمة حتى يدرب الصغير على اللغة. . . . اللغة العربية في سن مبكرة . . ثم بعد ذلك إذا ثبت هذا في فؤاده أحب اللغة العربية وتعلم أصناف فنونها وخصوصاً أن اللغة العربية واسعة الحضارة ومتعددة الجوانب. . ولايمكن بالتحصيل القليل أن نستخرج كنوزها الكثيرة.

* نعم . . الدكتور عبدالله الطيب شاع عنك انصرافك عن الحديث إلى القديم. . . وولعك بالقديم. . وقلة حظك من قراءة ما يجد من ألوان التعبير الأدبي الجديدة. . فهل لك رأي في هذا المجال تدفع به هذه التهمة؟

- وهذه التهمة إذا صح أنها تهمة ليست بصحيحة. . أنا قريباً كتبت في مجلة الدوحة مقالاً أثبت فيه (داينتي إذ اربا) وهو من أحدث الكتاب وإن كان مات سنة ٦٥ للعرب. . ولا أريد أن أزكي نفسي ولكن إن كان كثير مما يكتب غثاً وليس صحيحاً.

عبدالله بن سالم المعطاني

* يسعدنا أيها الإخوة أن نصحب في لقائنا هذا ولمدة ساعة واحدة ناقداً وأديباً وشاعراً اسمه يتردد في المحافل الأدبية عندنا في المملكة وفي منتديات النقد والشعر.. معنا ضيف البرنامج في هذه الليلة الدكتور عبدالله بن سالم المعطاني الأستاذ المشارك في النقد الأدبي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز ورئيس قسم اللغة بالكلية وأود أن أقدم في الواقع إضافة أو إضاءة الحقيقة مختصرة قبل أن ندلف إلى لقائنا معه، أشير إلى أن الدكتور عبدالله استهل نشاطه النقدي والأدبي منذ أن قدم بعد رسالة الدكتوراه بعديد من الأطروحات والمساهمات النقدية والأدبية عامة.... فلدى الدكتور الآن أكثر من عمل علمي وإبداعي في المطبعة ففيما أتذكر الدكتور يعد العدة لإصدار كتابه عن ابن شهيد وجهوده في النقد الأندلسي... وكذلك دراسة عن النص الشعري حيث يقدم قراءة جديدة تحليلية ونقدية للنص الشعري في المملكة إن لم يكن أيضاً بعض الإضاءات في الوطن العربي.. وهناك أيضاً ثمة ديوان شعر سيصدر وكل هذه معلومات من خلال حديث موجز قبل أن نبدأ في التسجيل.. وأمامي وبين يدي كتاب صدر له عن النقد بين المسافة والرؤية صدر هذا العام... وهو في الواقع مجموعة من الدراسات الجميلة تتضمن أربعة فصول... الفصل الأول عن أثر البيئة في المصطلح النقدي القديم، والفصل الثاني قضية شياطين الشعراء وأثرها في النقد العربي... الفصل الثالث مفهوم فحولة الشعراء في تراثنا النقدي.. والفصل الرابع نقد الشعر السعودي في آثار بعض الدارسين.. وأتوقع أن هذا الفصل قد نشر ضمن ندوة أقامها ناد أدبي يبدو أنه نادي جدة الأدبي فيما أعتقد... وصدر مع مجموعة إسهامات من بعض النقاد الآخرين وكان له أثر طيب في الساحة الأدبية.... إذن نحن في الواقع نلتقي بعدة محاور في شخصية ضيفنا الكريم.. محور النقد ومحور الأكاديمية ومحور الإبداع.. ثلاثة محاور جديرة بالنقاش وجديرة بأن تبحر بنا نحو آفاق متسعة في هذا اللقاء، باسمكم جميعاً أحيي ضيفنا الكريم ويا مرحباً.

– أهلاً وسهلاً... وأشكر الأستاذ محمد على هذا الإطراء الذي لا أستحقه.. ولعله من حسن الظن.. وأنا سعيد جداً في أن أكون في هذه الليلة ضيف هذا البرنامج الذي أرجو أن الله سبحانه وتعالى يعينني على كثير من الأسئلة التي أتوقع أنها سوف تكون في بعض الأحيان محرجة.. ولكن سوف أستجمع قواي بما لدي من العلم.. وبما لدي من الإحاطة.. وما لا أعرفه فسوف أقول لك هذا بملء فيّ.

* شكراً طيب دكتور . . . . تعودنا في البداية قبل أن ندخل إلى أي قضية أو أي نقاش أن نقدم أيضاً ملمحاً مختصراً وموجزاً عن الضيف الكريم . . وبالذات حينما لا يتعود أن يتحدث عن نفسه . . نقدم ليس سيرة ذاتية كاملة بالتأكيد . . لأن هذا سيأخذ حديثاً طويلاً وإنما نقدم إضاءة على الجانب الذاتي والشخصي في إطاره التكويني . . البيئة العلمية والثقافية . . وكيف هيأت لك هذه البيئة أن تكون على هذا النحو من التفكير والكتابة ومن النقد ومن الإبداع يادكتور . . يعني بيئتك الأولى . . ثم كيف واصلت مشوارك العلمي إلى الآن بصورة مختصرة لكي ننطلق من هذا إلى عدة قضايا .

– يا أخي الكريم .. يعني . . أنا ليس في حياتي ماهو غريب عن حياة أي شاب أو أي فتى نشأ في هذه الأرض الطيبة وعلى صعيدها الطيب فليس في حياتي نتوءات أو في حياتي مثلاً أشياء غريبة جداً تجعل الجمهور يستمتع بما سوف أقوله ولكن طالما أن هذا عني من ضمن تقريباً قوانين هذا البرنامج . . فأنا قد درست الابتدائية في مكة . . . ثم بعد ذلك انتقلت لدراسة المتوسطة والثانوية في دار التوحيد بالطائف . .

* بالأصل ابن مكة يا دكتور . . أم الطائف؟

– أنا من قبيلة هذيل وهي قبيلة مكية . . يعني أباً وجداً في مكة . . . وراق لوالدي أن ننتقل إلى الطائف نظراً لهوائه العليل و . . طبعاً تعرف الطائف كمصيف جميل . . . ودرست في دار التوحيد هناك ثم عدت إلى مكة لكي أدرس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية آنذاك حينما كانت تابعة لوزارة المعارف فترة من الزمن ثم ضمت إلى جامعة الملك عبدالعزيز بعد أن احتضنتها الدولة وأصبحت حكومية ... وتخرجت في عام ١٣٩٣هـ

* من الكلية؟

– من الكلية إي نعم . . والتحقت بالدراسات العليا . . . وكانت في بدايتها أو في طفولتها . . . ثم بعد ذلك حصلت على درجة الماجستير ١٣٩٧ بقيت محاضراً في الكلية مدة ثلاث سنوات . . ثم بعد هذا انتقلت إلى بريطانيا لتحضير الدكتوراه . . . في بريطانيا حضرت رسالة الدكتوراه في جامعة إكستر لمدة خمس سنوات تقريباً عدت بعدها أستاذاً مساعداً في جامعة الملك عبدالعزيز بكلية الآداب . . . هذا باختصار يعني .

* نعم . . جميل . . . الذي أعلمه أيضاً أنك تكتب الشعر . . . مصطلح تقرض الشعر مصطلح قديم وربما . . يعني . . . يستهجنه بعض المستمعين . . عملية قرض الشعر . . هكذا سمعنا أن بعض الناس قد لا يفهم حتى معنى القرض بمعناه اللغوي . . فإذن كتابة الشعر قد تكون من ناحية إبداعية أقرب . . أنت تكتب الشعر بنوعيه يا دكتور . . العربي الفصيح والعامي . . ولا أعلم . . يعني . . مدى حبك وإقبالك على العامي . . . خاصة وأنك تدرس أو درست اللغة العربية بشكل عميق وتخصصت

فيها.. ثم أيضاً تخصصت بفرع من فروع اللغة والنقد الأدبي.. ولكنك أيضاً فيما علمت تكتب هذا الشعر وهذا اللون من الشعر ربما بأثر من بيئتك الأولى أو بيئتك إلى الآن مستمرة... ومن تعرف من حولك من الشعراء.. على أية حال... أي اللونين أقرب إلى نفسك هل هو ذلك الفصيح الذي تتغنى به يومياً في قاعة الدرس الجامعي وتتغنى به بمرحلة النقد الكتابي أم أن ذلك لا يستهويك كثيراً .. وإنما يستهويك ما تكتبه من عامي؟

– دعنا نقف عند قرض الشعر.. حتى لو كانت الكلمة عند بعض الذين لا يستسيغون ... يعني... هذه الكلمة إما صوتياً أو لأنه يربطها بأي دلالة أخرى.. لكن هي أتصور أنها من قراضة .. قراضة الذهب.. وهي القراضة.. وهناك كتاب لعله للمسعودي قراضة.. قراضة الذهب.. فالشعر وعقود اللآلئ والأشياء الجميلة والثمينة ربط بينها في التراث العربي حتى إنك تجد أنه يقول في كثير من.. كثير من المؤلفين يقول في كتابه أنه نظم كعقد اللآلئ والعقد الفريد يدل على هذا... والجواهر وما إلى ذلك .. وهنا يمكن أن الحديث يأخذ جانباً آخر... العرب فعلاً تقدر الشعر... والعرب أمة شاعرة... ولا تترك العرب الشعر حتى تترك الإبل الحنين كما يقال... والكلمة هي روح الشعر.. وبالكلمة تغير الإنسان.. فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء بالكلمة .. ولن يستطيع أي مُعطى أو أي منتج مادي أن يغير الإنسان.. بيد أن الكلمة قد غيرت كيان هذا الإنسان وجعلته سيداً لهذا الكون... فإذن نحن نختلف كثيراً ولن نختلف في قرض الشعر... أما بخصوص السؤال فإني.. يعني.. لم أكشف النقاب عن شعري العامي أو الشعبي الذي جاء دون أن أختاره.. واختارني وأنا لم أختره ... فأنا قد عشت في بيئة شاعرة وفي بيئة تهتم بهذا الشعر... وسمعت في طفولتي كثيراً من القصائد كغيري من الشبان... تلك القصائد التي تصور الكرم وتصور النخوة وتصور المحافظة على القيم والمبادئ .. إلى أن أستطيع .. أقول أن أقرض هذا الشعر منذ أن كنت في الخامسة الابتدائية... أو في السادسة... وفيه هناك ميزة أخرى أنني أحفظ شعري كله وشعر غيري.. يعني

* تحفظ شيئاً يا دكتور من عيون التراث العربي من الشعر الفصيح .. ربما أيضاً من العامي إذا كانت لديك هذه الذاكرة الطيبة... أعتقد أن هذا مكسب كبير جداً للمبدع بالذات لأنها ستعينه دون قصد على أن يكتب شعراً متميزاً مستنداً متكئاً على هذا التراث؟

– نعم.. في الواقع أنا .. يعني... لا أدعي هذا ولكن أقول بأني أحفظ الكثير من عيون الشعر العربي القديم وأيضاً بعض القصائد الحديثة... وأعود إلى إجابة السؤال وهو أن أي اللونين أجد في نفسي.. أنا أتصور أن كثيراً من الذين يقارنون بين الشعر العربي الفصيح وبين الشعر الشعبي هم يجحفون على كلا الجانبين لأن الشعر العربي شعر يضرب بجذوره في هذه التربة القوية من

التراث وأيضاً الشعر العربي اتصل باللغة العربية. . واللغة العربية ذات أسرار وبدائع لايمكن أن نقارنها بلغة عامية ... بيد أن الشخص لا يستطيع أيضاً أن يتخلص من هذه العامية لأنه حتى في الشارع في بيتنا نتكلم مع أبنائنا بهذه اللغة. . . فاللغة العربية هي لغتنا الخالدة التي نزل بها هذا الكتاب وصوت حروفه وصوت التراث العربي وأصبحت هي لغة المثقفين ولغة العلم. . وأيضاً ما يحمله النص الشعري العربي من فضاءات رحبة لا يمكن أن يحملها النص الشعبي في تصوري. . بيد أنه من الجانب الآخر نجحف حينما نحاول أن نقضي على الشعر الشعبي مابين عشية وضحاها. . . وننتزعه من فئات كثيرة من الناس. . . فأنا وأنت نطرب للأغنية وهي باللغة الشعبية وباللهجة الشعبية. . وفعلاً . . يعني. . . حينما يغني مثلاً محمد عبده أغنية وطنية أو طلال مداح أو ما إلى ذلك . . نحن نغني معه هذه الأغنية والشعر والغناء ارتبطا ارتباطاً كبيراً منذ فجر التاريخ نغني بالشعر إما كنت قائله. . وإن الغناء لهذا الشعر مضمار (حسان بن ثابت) فأنا أجد نفسي في كلا الجانبين . . ولكني حينما أقرض قصيدة عربية أحس بأنني مثقف وحينما أقرض قصيدة شعبية أحس بأني في بيئة معينة أشم رائحتها وأعيش مع أبنائها.

* طيب دكتور. . استمعت إلى قصيدة من قصائدك الجميلة في الاطار الشعبي وكنت تمنيت عليك لو غنيت هذه القصيدة لأنها فعلاً ذات إيقاع شعري غنائي بحت مموسقة كأنها كتبت تغنى. . أتمنى أيضاً أن تسمع الإخوة المستمعين هذه القصيدة إن أمكن؟

– والله. . أنا أعتبر. . هذه يا أستاذ محمد يعني . . تقريباً . . . مطباً وقعت فيه. . . لكن لا أستطيع . . لأني لم أكشف النقاب عن هذا الشعر. . بيد أن الليلة هي ليلة مصارحة

* واعترافات؟

– واعترافات نعم. . . ودائماً الأدب والإبداع يحتاج إلى مثل هذه الاعترافات . . هي قصيدة . . يعني. . . قلتها وأنا في بريطانيا

* أيام الغربة؟

– قبل . . . يعني . . عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة من الآن. . . وكانت القصيدة من الشعر المغنى الذي تفضلت به . . مطلعها يقول:

سألته قال ما يدري وغيم الصمت في عيونه
يقربني ويبعدني وموج البحر من دونه
تعالي لي وخلينا نعيد الليل والذكرى
نعيد أيام عشناها مع الأنغام والقمره
قصيدة حبك الأولى عروب غصونها خضرا

ومازلتي خواطر طيف بين أحلامك العذرا

حسبت إنك نسيتيني.. مسحتيني مع الدمعه

وحبي صار لك ذكرى مسحتيها مع الشمعه

سألته قال ما يدري وغيم الصمت في عيونه

يقربني ويبعدني وموج البحر من دونه

تقريباً هذه القصيدة الشعبية اللي... نعم

* جميل.. طيب دكتور.. من الشعر العربي الفصيح، قرأت لك في جريدة الرياض في الفترة الأخيرة قصيدة من الشعر الحديث والجميل.. هل يمكن أن تسمعنا هذه القصيدة أو ما تختار.. المهم أن نكتشف أو أن نبحر مع هذه الشاعرية بصوتك ثم ندخل إلى محاور نقدية؟

- والله.. القصيدة التي نتحدث عنها هي وجوه في الضوضاء أظن... أو قصيدة أخرى... كانت على الرغم من أنها فيها اقتباس من الأدب الشعبي.... أطلقت عليها عنوان... ياالمايومه... ويالمايومه يعني.. تقريباً هي كلمة تردد في المحافل الغنائية.... حينما الشاعر إما أن ينسى شيئاً فيكون في غاية الاندهاش وإما أن يكون في غاية الفرح والطرب.. لكن أنا سوف أتجاوز هاتين القصيدتين لأنهما نشرتا في جريدة الرياض.. ويعني... أقول لك قصيدة أيضاً في أيام البعثة... هي عن الأندلس: أنين من الماضي

* بتخصصك يعني؟

- أي في تخصصي تقريباً.. فعلاً أنا حين مررت بالأندلس في عام ٨١ ميلادي حوالي ١٤٠١هـ كانت... كنت قد قرأت الأندلس من خلال الكتب... قرأت أدب الأندلس.. وحضرت رسالة الماجستير في مكة عن الأندلس... فما كنت غريباً عن هذه البلد عندما أتيت إليها.. ولكن الغرابة أنني شعرت بأن هذه البلد كأنها تبكي على الإسلام.. وأن المساجد قد قلبت إلى كنائس... وقد غيرت المعالم الإسلامية في ذلك الوقت.. وكما نعلم أن الأندلس.. الحضارة الأندلسية لازالت تعيش في ذاكرتنا إلى هذا اليوم.. فتمخضت الزيارة عن قصيدة مطلعها:

لا تحرموني لذة الأحلام ... أودى الزمان بقصة الأيام

عُرِضت سطور المجد بين نواظري ... تتراقص الأحداث في إلهامي

شاهدتها ثكلى تجعّد وجهها ... وبدت عليها قسوة الآلام

خدشت كرامتها ومُزّق ثوبها ... وبكت مساجدها على الإسلام

فتبسمت لما رأتني مقبلاً ... تستشعر الأوهام بالأوهام

قالت بصوت مثخن من ذا أرى ... هل طارق بن زياد صار أمامي

إين الجيوش وأين سيفك والقنا ... أين السفين يلوح كالأعلام
أحرقتها لتقول أعظم قولة ... والموت من خلفي ومن قدامي
فاستوضحتني ثم صاحت ويلتي ... أفتى أمية جاء كالضرغام
مرحى لمقدمك الجزيرة داخلاً ... صقراً يرفرف من بلاد الشام

إلى أن أقول:

فرجعت أدراجي أكسّر مرة ... كادت تأجج أضلعي بضرامي
وألفّ ثوب الذل فوق مخادعي ... متضائلاً من حسرتي وملامي
وتركتها ثكلى تجر أنينها ... وتنوح في صمت بغير كلام

هذه القصيدة . . ألقيت في بريطانيا في أمسية شعرية . . وكان أحد الجمهور قد . . . يعني . . سألني عن قدامي . . قال هل هي عربية أم شعبية . . فاستشهدت ببيت قديم في القرن الثاني أظن . . .

هوى ناقتي خلفي وقدامي ... الهوى وأني وإياها لمختلفان

* جميل دكتور . . تخصصك في الأدب الأندلسي يا دكتور يقودنا إلى سؤال حول كتابك الذي تعدنا به الآن وسيصدر إن شاء الله قريباً . . . بعد توفيق الله . . عن ابن شهيد وجهوده في النقد الأندلسي ثم أيضاً مبحث آخر قد يكون في كتاب قادم وهو الرؤية النقدية في كتاب الذخيرة لابن بسام ؟

– هو تقريباً . . الاتجاهات النقدية في كتاب الذخيرة لابن بسام . . الذي هو رسالة . . اطروحة الدكتوراه.

* رسالة الدكتوراه إذن هذان المبحثان سيكشفان لنا كقراء مدى العمق الأدبي والنقدي في طروحات كتاب ذلك العصر الأندلسي . . . بودي أن تعطينا إضاءة عن الكتابين . . في المرحلة الأولى في الماجستير عن ابن شهيد وجهوده . . إضاءة بسيطة يعني . . كأننا نقرأ الكتاب كموجز .

– ابن شهيد وجهوده في النقد الأدبي . . . هي أطروحة للماجستير كنت أعددتها في مكة في عام ٩٧ وأحجمت عنها فترة طويلة ولكن . . يعني . . أشار عليّ . . كثير من الإخوان بطباعتها . . . فطبعاً الآن هي في المطبعة وأتصور أن ابن شهيد شخصية نقدية مهمة في النقد الأندلسي . . ولو هيء لي من الوقت ماأكتب به هذه الرسالة مرة ثانية لفتحت آفاقاً نقدية جديدة عن ابن شهيد .

* بحكم نضجك النقدي الآن يا دكتور؟

– نعم . . وبحكم أنني تجاوزت كثيراً من هذه الآراء . . . وأيضاً . . وهذه ناحية مهمة أن الناقد كلما يتعمق في المباحث النقدية تعطيه تقريباً فضاءً رحباً ومغريات معرفية جديدة . . . وأنا الآن لا أهتم بقضية المسح التاريخي . . لعل غيري يمكن أن يقوم بهذا الدور . . . أو فعلاً هي فترة بها كثير.

من الأدباء في فترة معينة .. لكن نحن الآن نحتاج إلى الدراسات المتعمقة.

* في أي جانب يا دكتور؟ لأنه بعض الجوانب لا تزال تحتاج إلى مسح تاريخي.

- مثلاً خذ الجانب النقدي عند العرب.. لا أريد مثلاً... لو هيء لي أني أشرف على طالب في الدراسات العليا لقلت له.. بدلاً أن نقول مثلاً نقاد القرن الرابع الهجري... أو أيضاً حينما نقول مثلاً.. فلان أدبه ونقده.. خذ مبحثاً معيناً وابحث فيه .. وحاول أن تكوّن من خلال هذه الخطوط صورة معينة لهذا الناقد أو لهذا الأديب... نعود إلى ابن شهيد.. ابن شهيد

* يا دكتور... سؤال بسيط .. لو تسمح لي... مداخلة يعني.. لما نأتي مثلاً إلى أدبنا السعودي مثلاً نفترض هذا الكتاب طبعاً.. وهو أدب بكر لا زال بكراً... الدراسات التأسيسية الأولى يفترض أن يكون فيها جانب مسحي تاريخي تضع بعض العلامات البارزة في تاريخ هذا الأدب ويأتي الشق الآخر من الدراسة قد يكون في جانب موضوعي وجمالي... أما الدراسات المتعمقة فيما بعد جيل أو جيلين قد تكون طبعاً متخصصة أكثر في المراحل الأولى لابد من هذا؟

- اسمح لي هنا أنا قد أختلف معك قليلاً.. يعني.. لأنه لا نفترض زمناً محدداً بعد جيل أو جيلين.. لا .. الفترة الآن مؤاتية أننا نبحث في هذا.... ولكن.... دائماً أنا لا أدري يعني أضرب مثلاً بأن هؤلاء الباحثين مثل الذين يبيعون في الأسواق.. فعند هذا تجد فاكهة... عند هذا تجد مواد غذائية ... وعند هذا تجد أدوات كهربائية.. ولا نستطيع أن نقول إن هذا .. يعني.. نحن بحاجة إليه.. ولست بحاجة إلى الآخر. طبعاً لا يستطيع أي واحد أن يبني بناء إذا لم يكن أدوات البناء متوفرة... فناقد يريد أن يكوّن مثلاً حكماً نقدياً معيناً أو يتعمق في شيء معين.. لا يتأتى له إذا لم تكن فعلاً الدراسة التأسيسية موجودة لديه.. أنا لو أريد أن أبحث مثلاً عن حمزة شحاته كأديب سعودي أو أريد أن أبحث عن حسين سرحان كشاعر لابد أن يكون بين يدي ديوانه... ما ترك من آثار ومن خلال هذا الديوان .. ومن خلال هذه القراءة أكوّن أو أؤسس معرفة معينة لكي أتحدث عن حسين سرحان.

* نتفق معك... نعود إلى ابن شهيد بصورة مختصرة؟

- هو ابن شهيد الأندلسي... عاش قبل ابن بسام .. لأن ابن شهيد الأندلسي عاش في القرن الرابع ... في نهاية القرن الرابع... وشهد طبعاً فتنة قرطبة عام ٤١٩هـ

* وكتب عنها في كتابه؟

- وهو شاعر وناقد .. هو ذكرها في شعره:

وفي كل يوم مقتل لعظيم ذهب الزمان بحادثي وقديمي

وشوف هنا الملمح .. لابد أن نتحدث عنه... إبن شهيد قال عن فتنة قرطبة إنها نقتل في كل يوم

عظيماً. . بيد أن ابن حيان المؤرخ قال إن هذه الفتنة كانت. . . .يعني. . . فتنة عادية. . . ولم يقتل فيها أحد. وفي تصوري أن الشعر هو وثائق تاريخية . . . وبالعكس الشعر يمكن أصدق من التاريخ في كثير من الأحيان لأن الشعراء. . . لأن المبدعين عادة يكون عندهم شيء من التجاوز وشيء من إطلاق الكلمة لا يهمه ما بعدها. . . ونجد أن التاريخ حافل بمثل هذه الشواهد. . أما ابن شهيد فكان هو وابن حزم من مؤسسي النقد الأدبي في الأندلس. . . وابن حزم طبعاً أخذته دراسات أخرى مثل دراسات المنطق ودراسات الفقه ودراسات ابن حزم الظاهري. . . أما ابن شهيد فإنه قد ألف عدة كتب. . . وخير دليل على هذا رسالة التوابع والزوابع. . . وهي رسالة جميلة طبعاً ولم تأتنا كاملة. . . وإنما ذكرت منها هذه النتف في كتاب الذخيرة لابن بسام. . . وهي رحلة خيالية إلى باطن الأرض.

* رمزية؟

– نعم هي سبق. . هو أراد أن يطرح أحكامه النقدية. . . وأراد أن يطرح كل مفهومه عن الشعر والشعراء من خلال هذه الرحلة التي تصور أنها رحلة إلى أعماق الأرض أو إلى عالم الجن. . . وعلى فكره هي سابقة على رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. . . لأن رسالة الغفران حينما خرجت كان عمر ابن شهيد سبع سنوات وهو مريض حتى إنه قيل . . أصبح كالحجر الصلد الذي لا يتحرك . . . بعد ذلك فيه ملاحظة أن رسالة التوابع والزوابع رسالة فيها الجانب الأدبي والإمتاع الروائي أو القصصي . . بيد أنك تجد أن رسالة الغفران فيها الجانب اللغوي أكثر تكلفاً. . . وهناك . . يعني. . . كان كتاب للدكتور صلاح فضل عن تأثير التراث العربي في دانتي في الكوميديا الإلهية. . . وأنا تطرقت إلى شيء من هذا في الكتاب الذي أشرت إليه.

*أشرت في حديثك قبل قليل إلى كتاب الذخيرة لابن بسام. . بودي أيضاً أن نقف على الملمح الجميل الذي اكتشفته في ابن بسام. . . . وقد تحدث طبعاً قبلك أيضاً آخرون عن الجانب التاريخي لابن بسام فأنت ركزت على الجانب الإبداعي النقدي . . نعم. . فهل وجدت أيضاً ابن بسام ناقداً؟

– في الواقع إن كتاب ابن بسام يكتسب أهمية كبيرة لأنه أُلف في فترة معينة أحس بها المؤلف من السطور الأولى من المقدمة. . . لماذا؟ . . لأن الأفق الأندلسي كان بحاجة إلى أن يُعرّف. . إلى أن توضح معالمه لدى الآخرين. . . وتستطيع أن تقول إن كتاب الذخيرة هو كتاب تراجم ولكن فيه ملامح تاريخية وفيه أيضاً ملامح نقدية لأنه عالج الأدب وعالج الشعر بالذات. . فمن الأشياء التي لفتت نظري في كتاب الذخيرة وهي كثيرة جداً. . . أنه هو أول من تحدث عن الموشحات في التاريخ. . . أول كتاب يتحدث عن الموشحات في التاريخ. . . وابن بسام حينما تحدث عن الموشحات لم يذكرها. . لأنه قال: هذه خارجة على عروض العرب ويعني. . . ليست على نفس الشكل المعروف للقصيدة العربية.

* المتوارث يعني هو استهجنها؟

– لا . . هو لم يستهجنها. . . وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين من بعده يّدعون أن ابن بسام قد . . يعني. . . استهجن هذه الموشحات. . . بالعكس هو حينما تحدث عن عبادة بن ماء السماء قال وإن لديه من الموشحات ما تشغف القلوب وتشق عليها الجيوب. . . وبدأ يتحدث عن المركاز وعن الغصن . . وعن. . . في الموشحات . . . وعن المصطلحات الموشحة. . وقال إن أول من . . يعني. . جاء بها هو ابن القبري المعافري. . . وفي الواقع أن ابن بسام لم يكن. . يعني. . . مستهجناً للموشحات ولكنه كان يرى أنها تخرج عن إطار مؤلفه ومنهجه فابن بسام صاحب منهج خلقي أيضاً في نقده. . يعني. . . حينما جاء الحديث عن ولاّدة بنت المستكفي . . . الأمانة العلمية جعلته يذكر كل شيء عن ولاّدة. . ولكنه قال عنها. . هذا ما قيل عنها وأبرأ إلى الله مما قيل. . يعني. . أنا لا أعلم ماذا يقال عنها.

* الأمانة؟

– يعني أنت تعرف ولاّدة بنت المستكفي. . كان قيل عنها الشيء الكثير في غرامياتها وفي ما إلى ذلك. . . في المقدمة كان ابن بسام متواضعاً جداً. . . ولذلك قال: حينما لم أجد من يؤلف عن هذا الأفق كتاباً. . . عدت إلى حديدي البارد كي أضرب فيه. . يعني. . تواضع العلماء. . . على الرغم من أنه ألف مؤلفاً ضخماً مثل هذا . . ثمانية مجلدات.

* ثمانية مجلدات ؟

– نعم . . فأنا أتصور أن ابن بسام في كتابه الذخيرة. . . هو فعلاً ذخيرة.

* اسمه الكامل؟

– هو علي بن بسام الشنتريني. . من أقاصي شنترين.

* اسم الكتاب؟

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.

* نعم تتذكر . . . من خلال دراستك العلمية المتخصصة في هذا الكتاب شيئاً من الموشحات . . تطربنا به؟

– لا شك أن من أشهر الموشحات:

جادك الغيث إذا الغيث همى   يا زمان الوصل في الأندلس
لكن لم يكن وصلك إلا حلما   في الكرى أو خلسة المختلس

* غنتها فيزور. . . جميل جداً

– والموشحات جمعها مؤلف مصري هو سيد غازي. . دكتور سيد غازي رحمه الله . . ولا

أتصور أن . . . يعني . . القراء أو المستمعين إذا أرادوا أن يعودوا إليها . . . لكن على ذكر الأندلس أنا ممكن أن أورد لك قصيدة لأبي مروان بن شريد . . ليس الوزير أبا عامر الذي تحدثنا عنه وإنما هو جده . . . وكان هناك خلط ما بين أحمد . . لأن أحمد بن عبدالملك بن أحمد بن عبدالملك بن شريد . . . فخلط الناس والمؤلفون خلطوا ما بين الحفيد وما بين الجد . . . وكلاهما شاعر وأديب . . ولكن أبا عامر بن شريد مشهور بنقده وأدبه أكثر من جده، فمن القصائد إذا أحببت أن . . يعني . . . نحاول أن نذكر بعض قصائد الأندلس أن هناك قصيدة لابي مروان بن شريد . . قالها أمام أبي عامر بن شهيد . . منصور بن أبي عامر . . ومنصور بن أبي عامر . . تعلم أن الدولة العامرية كانت في القرن الثالث . . أو القرن الرابع الهجري .

* في أوجها؟

– في أوجها . . . والمنصور بن أبي عامر بالذات . . . الذي بنى مدينة الزهراء . . . وهي مدينة جميلة كانت تنعكس أنوارها في النهر متلألئة حتى يقال إنه كان في زورق مع وزيره فبكى . . قال له ما يبكيك أيها الأمير . . . قال هل يأتي يوم من الأيام تكن الزهراء أطلالاً خربة . . . وجاء هذا اليوم . . فنعود إلى القصيدة هي .

* هذا يشجينا . . . يعني . . يذكرنا بعز الحضارة العربية الإسلامية؟

– لا شك أنها مازالت جرحاً لم يندمل في بدن الأمة الإسلامية والعربية . . . كان أبومروان في مجلس المنصور بن أبي عامر . . وكان القوم . . يعني . . . . يطربون ويرقصون . . رقصة جماعية وهو مشلول . . فقالوا له . . نعفيك من الرقص . . . يعني . . أنت رجل مشلول . . . فقال لهم لا . . . أريد أن يمسك بي أحدكم وأنا أرقص . . وفي خلال الرقص أنت تعلم أن الرقص . . يعني . . . كل أمة مشهورة برقصها . . في الأفراح وفي الطرب .

* نوع من الفلكلور؟

– من الفلوكلور نعم . . وفيه انفجارات عاطفية . . . فيبدو لي من خلال هذا الانفجار العاطفي قال قصيدة جميلة يخاطب فيها المنصور قال:

هاك شيخاً قاده عذر لكا ... قام في رقصته مستمسكا
عاقه عن هزها معتدلاً ... نقرس أضني عليه فاتكا
أنا لو كنت كما تعرفني ... قمت إجلالاً على رأس لكا
قهقة الإبريق في ضحكاً ... ورأي رعشة رجلي فبكا

* بودي أن اسألك في الواقع سؤالاً عن الساحة الثقافية والأدبية الآن في الصفحات الأدبية . . . والملاحق الأدبية والدوريات المتخصصة خلافات وطروحات تنظيرية نقدية كثير منها قد يتفق مع

المنهج العلمي الصحيح . . وبعضها الآخر قد لا يتفق . . مع المنهج . . . ويكون نقداً انطباعياً سريعاً . . . ويكون أحياناً مدفوعاً بشكلية معينة ويكون أحياناً مندفعاً بتيار معين وهكذا . . . هل هو مُرضٍ لك أنت كناقد ومتابع ولماذا أنت محجم أحياناً؟ تتوقف عن الإسهام؟ أنا بودي أن تقول رأيك بصراحة . . ولا مانع أن تقول رأيك بكل صراحة في هذه التيارات الأدبية المتصارعة والمتماحكة؟

- أنا سوف أكون صريحاً . . يعني . . لم أتعود في حياتي المجاملة . . . ولم أتعود أيضاً في حياتي أن أقول شيئاً غير الذي أعتقده وإذا وجدت أن المجال لا يسمح على الأقل أن أحجم . . . إحتراماً لنفسي . . . أنا لست . . . يعني . . . بعيداً . . عن الساحة أحياناً وإنا قد نقول أحياناً كثيرة . . . لماذا؟ لأنه . . . دعني أكون صريحاً . . يعني . . . معك قليلاً . . . أن في الساحة أشياء كثيرة مرضية ولكن لا يعني هذا أننا نرضى كل الرضى عن ما هو موجود أيضاً النقد أو صوت النقد لا يعتلي إلا من خلال الموضوعية ومن خلال المقولة الصادقة . . سواء في القديم أو في الحديث . . أنا أرى ان الساحة في بعض الأحيان تختلط فيها الأوراق . . وأيضاً تكثر فيها شيء من الضبابية وفيها شيء كثير من المدح والتطبيل وكل شاعر يأتي بقصيدة أو قصيدتين هو ينتظر الاطراء والمدح وإذا إنه ناقد حاول أن نتحدث عن هذه القصيدة بموضوعية وبجدية هي بالتالي تنعكس على الساحة الثقافية إيجاباً وليس سلباً هو يعتقد أنه قد ناصبه العداء . . ولا أدري يا أخي . . هناك عطن ضيق جداً ، كثير من الدراسات الموجودة في الساحة . . لماذا نتحاور في شارع ضيق . . والفكر . . يعني . . صحراء ممتدة . . لماذا نصادر أحكامنا ونصادر أشخاصنا ونصادر قضايانا النقدية ومدارسنا النقدية على الرغم أنها عاشت مع بعضها البعض منذ زمن بعيد . . يعني . . كان اللغويون يعيشون إلى جانب النقاد والبلاغيين . . وكان الشعراء يعيشون إلى جوار بعضهم البعض . . لماذا نضيّق الساحة وهي واسعة جداً . فأنا لا أعلم ماذا تريد أن تسأل عنه بالتحديد . . ولكني أقول إن الأديب أو الشاعر الذي يكون في بداية حياته ويكتب عدة قصائد حتى ولو كتب ديواناً . . ويكون لديه ضيق عطن من هذا النقد . . أنا أتصور أنه يهدم نفسه ولا يبنيها . . فيه شيء آخر . . يعني . . وأرجو أن تفسح لي المجال في هذا . . هو أن كل من قال قصيدة أو جاء بديوان من الشعر مزخرف وطباعة جيدة . . يعني . . خلاص يحسب على الساحة شاعراً . . ما أتصور هذا . . أو يحسب على الساحة أديباً . . لا .

* طيب دكتور . . . اسمح لي طبعاً يكتب في الساحة شيء كثير غير الشعر . . . النثر الأدبي عامة ومن ضمنه المقال الإبداعي . . . إذا نحن اتفقنا نقدياً على تسميته بهذا . . . والقصة والرواية والقصة القصيرة بالذات وتعرف أن هناك ملاحق خصصت صفحات طويلة للقصة القصيرة . . . وقد طغت على فنون كثيرة حتى على الشعر أحياناً . . ألا تتوقع أنك مدان بهذا بصمتك يعني . . . عندما تصمت عن مواجهة مثل هذه الظاهرات . . . إنك أيضاً كناقد تدان في الواقع على هذا الصمت . . .

إما أن تكون موافقاً وهذا شيء ما أعتقد أنه صحيح. . . أو أنك . . يعني. . . لا تستطيع أن ترفع صوتك في وجه هذا التيار وبالذات التيار التجديدي الذي لا يقوم ولا ينطلق من قيم نقدية مؤسسة وإنما ينطلق من تقليد لا تجديد؟

– لا . . لا . . اسمح لي. . الآن أنا لست متفقاً معك. . لأني لست في موضع الإدانة. . لماذا؟ لأننا . . نحن في منبر حي مثل منبر جدة. . نادي جدة الأدبي هم يقولون بأنه منبر شرس. . شرس. . شرس لماذا؟ لأن. . . إما أن يأتي المقدم بشيء يستحق احترام الآخرين واحترام الجمهور وينتظر أيضاً. . . يعني. . أن ينقد. . لماذا لا ينقد؟ لماذا لا توجه الملاحظة إليه؟ كثير من الذين جاءوا إلى نادي جدة ضاقوا بالنقد وتشنجوا. . وبعضهم حاول أن يقاطع المنبر. . نعم. . ويخرج. . . وبعضهم حاول أن يستعدي علينا كثيراً من الناس . . لماذا؟ لماذا يا أخي؟ لأنه مادام. . قالت العرب من ألَف فقد استهدف. . . وقال العرب أيضاً لامشاحة في الرأي. . لماذا كل هذه المجاملات؟ لا أعلم لماذا؟ لأن المجاملات تذهب بنور العلم والحقيقة وتضيع الحقيقة في كثير من مظاهر الإدعاء. . فأنا أعلم تماماً وأنت تعلم كأديب. . أن كثيراً من هذه الدواوين المليئة بالساحة لا ترقى إلى مستوى الإبداع.

* والقصة؟

– والقصة أيضاً. . . والقصة معقدة أكثر. . لماذا؟ لأن القصيدة لها امتداد تاريخي كبير جداً يضرب في جذور التراث. . بيد أن القصة فن حديث. . أيضاً دعنا نعود إلى النقد. . لماذا أذن الغبار في عيون الآخرين؟ لماذا هذه المعارك المستهلكة التي أتصور أنها كزوبعة في فنجان. . . ما يمكن تعود على الساحة الثقافية بأية فائدة. . . يعني خذ على سبيل المثال. . هناك مأخذ كبير على الساحة الثقافية في مصر إبان الرواد. . العقاد وطه حسين والمازني وزكي مبارك وعبدالرحمن شكري وهؤلاء.

* جيل المؤسسين؟

– جيل مؤسس صحيح. . نحن نأخذ من هذا العصر ما يلائمنا. . . وهو جيل كان في فترة معينة. . . نحن بحاجة إليه. . لكن لسنا بحاجة يا أخي إلى أننا نأخذ مثلاً بعض التجريح. . كأن. . يقول مثلاً مصطفى الرافعي عن طه حسين إنه دويبة تسمى طاحين. . فتطورت طاحين. . طه حسين.

* أو على السفود؟

– أو على السفود. . . ولماذا على السفود؟ ولماذا أيضاً زكي مبارك في ديوانه ألحان الخلود يسرق هؤلاء الناس. . . ويقولون عن العقاد إنه فنان مراحيضي. . لا تأتيه فكرة إلا في الحمام. . . سواء تأتيه في الحمام أو في المطبخ أو في أي مكان. . نحن نحاكم الإنتاج ولا نحاكم الشخص.

* العصر؟

– العصر.. الآن.. مازلنا نعيش ترى في بعض سلبيات هذا العصر وللأسف حتى في ساحتنا الثقافية السعودية.

* وهي لا تبين إلا مع ثورة الانفعال؟

– مع ثورة الانفعال.. الآن إفرض أنك تأخذ قضية نقدية.. خذ هذه القضية وعالجها بكل هدوء.. وبكل موضوعية.. يعني.. هات ما يفيد الناس... أما أن تبقى... والكلام بعيد عنك.. لكل من هو هذا منهجه... أن تبقي كحافر القبور... يعني أنت تتصيد نواقص هؤلاء الناس.. وتتصيد سلبياتهم وتأتي بهذه على الصحف وعلى صفحات الصحف وفي الملاحق الأدبية ثم الملاحق الأدبية يا أستاذ محمد.. الحديث عنها يطول.. مشكلة.

* لا... أذكر ما لديك... تفضل؟

– نعم.. لأنه أعطيت القوس لغير باريها بصراحة.

* تفضل؟

– اليوم.. يعني.. نحن لن نقول للجمهور حتى سجلنا هذا اللقاء.. لكن اليوم هو يوم أربعاء..

* نعم... نعم

– في ملحق من الملاحق أقرأ صفحة كاملة عن أسماء أنا لا أعرفها... وليس لي بها أي علاقة كقارئ وفلان تزوج وفلان ذهب بسيارته فوجد كذا... وفلان ذهب إلى... لكي... يعني... يأخذ هؤلاء الناس في بيته.. أنا لا أعرف فلاناً ولست.. يعني.. ملزماً بأن أعرف تاريخ فلان و.. إلا إذا كان له اتصال بالفكر أو بالثقافة أو ما إلى ذلك. فالملاحق الثقافية.. الصفحات الثقافية همّ يطول الحديث عنه... وأنا أعلم تماماً أنهم سوف يغضبون ولكن قل.. قل الحقيقة دائماً والمواجهة مّرة ولكنها بالتالي هي الأبقى.. ويذهب هذا الوهج الزائف.. ولا يبقى إلا الحق... تعود إلى مثلاً... لونظرنا إلى النقاد القدماء.. يعني أنا عملت في كتابي هذا.. النقد بين المساحة والرؤية.. في مقدمة الكتاب أردت أن أبين للقارئ المقارنة ما بين النقاد القدماء في معالجهتم للشعر ولقضاياه وما بين بعض النقاد المحدثين في معالجتهم للشعر على الرغم من أننا بيننا وبينهم حوالي ألف ومائتين إلى ألف وثلاثمائة سنة لكن كانوا أكثر موضوعية وأقرب إلى النص الإبداعي وإلى إفادة القارئ من بعض النقاد في ساحتنا أو بعض من يدعي هذا النقد.. وأصبح النقد أيضاً مركبة سهلة كلّ يمتطيها.. إذا ما كان لدى الناقد مقومات ومعطيات:

أولاً: التأسيس في التراث

ثانياً: التمكن من قضايا الإبداع

ثالثاً: أن يحمل منهجاً راقياً موضوعياً. . لا يذهب إلى المجاملات ولا إلى التطبيل ولا إلى . . وإلا لأصبحنا وسوف نبقى نشكو من النقص ومن عدم وضوح الرؤية في الساحة وفي غيرها.

* طيب يا دكتور. . هذا الكلام الصريح والجميل جداً. . . يقودني إلى تساؤل معين. . حينما ننظر إلى أدبنا السعودي على المستوى المحلي أو أدبه أو أدب الجزيرة العربية بصفة عامة ممثلاً في بلادنا . . نحن في المملكة نجد أن هذا الأدب خافض الصوت على مستوى الأقطار العربية الأخرى. . . في المحافل الأدبية العربية نجد أن الأديب السعودي لم يجد مكانته اللائقة به مبدعاً وناقداً وباحثاً في مصاف بعض الأدباء العرب الآخرين. . . على حين هذا الأديب متمكن. . باحث. . . تعب على حاله كثيراً. . قرأ كثيراً. . بل إن هذا الأديب لديه من سعة الأفق ما ليس لدى غيره. . . فهو يقرأ لكل العرب لكن العرب لا يقرؤون له مثلاً. . . لماذا هذا الظلم؟ . . يعني. . . أين أدباؤنا من تواجدهم؟ . . ليس في الداخل وإنما أيضاً في الخارج أيضاً. . . لأن هذه البلاد أتوقع لها ريادة أخرى. . . . ليست ريادة قطرية وإنما ريادة عربية شاملة فهل لديك تداخل مع هذه الفكرة؟

- في الواقع. . . أننا . . يعني. . كأمة. . . أو كشعب . . أنا في تصوري أنه منطلق انطلاقة سلبية بصرف النظر عن الكلام الذي قلته سابقاً. . . هو ليس تناقضاً معه ولكن لو نظرنا إلى المؤسسات الأكاديمية مثلاً الجامعات. . إلى البحث العلمي المميز الذي بني على منهج وعلى أسس. . أنا أتصور أن الأديب السعودي دعنا نقول الباحث السعودي. . . صوته ليس مخبوءاً كما قلت. . يعني. . . الندوات المؤتمرات أيضاً كثير من اللقاءات والمهرجانات. . . تجد أن العربي أصبح يقرأ للأديب السعودي والناقد السعودي.

* على قلة ؟

- على قلة ولكن هو يعني . . دائماً يلوح بين ناظريه قول شاعر قديم:

يموت رديء الشعر قبل أهله وجيده يبقى وإن مات قائله

أيضاً حتى المؤلف. . حتى البحث. . . الباحث الجيد المتميز بحثه هو الذي يعبر عن نفسه. . لسنا بحاجة إلي أن نسوّق عملنا. . لأن العمل الجيد هو يسوّق نفسه. . . يعني. . . أنا حضرت عدة أمسيات سواء في داخل المملكة أو في خارجها. . . وفي داخل المملكة بالذات وفي جدة. . . إنهم يتحدثون عن الكتاب السعودي لماذا لا يتجاوز الحدود. . لماذا لم ينتشر . . يعني. . . أنا لم. . . دعنا عن مستوى النقد. . . لم آت في أي محفل نقدي إلا وسألني الناس عن الدكتور عبدالله الغذامي. . لأن عبدالله الغذامي باحث وناقد متميز. . واستطاع . . . . من خلال كتبه ومن خلال أبحاثه وأطروحاته أن يفرض نفسه على الساحة في داخل المملكة وفي خارجها. . . وكذا الحال بالنسبة للدكتور منصور الحازمي وغيره من الأسماء التي أتصور أنها لها قيمتها. . ولكن هذه المشاعل التي

أتصور أنها ليست كثيرة نحن بحاجة إلى أن نكثف منها وبحاجة إلى أن نكثر منها أيضاً . . وبحاجة إلى أن نبث هذا الوعي الثقافي الجميل الموضوعي المبني على الأسس في جميع الناشئة الذين الآن هم يزدحمون على بوابة المجتمع الثقافي. لكن كل منهم يخرج إلى . . . ولكن يا أستاذ محمد . . يعني . . . كلمة لا أدري . . لعل علاقتي أنا بالناس في خارج هذا الوطن هي التي جعلتني أقول هذا القول . . أقول بأن البحث السعودي بالذات أو الكتاب السعودي الأدبي النقدي بدأ يأخذ دوره ومكانه ولاسيما أنه مثلما تفضلت . . الناس تنظر إلى هذه البلد على أنها هي الانطلاقة الحقيقة للدين واللغة والإبداع .

* نشكر ضيفنا الكريم الدكتور عبدالله بن سالم المعطاني الأستاذ المشارك في النقد الأدبي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز . . رئيس قسم اللغة العربية شكراً له شاعراً وناقداً وأديباً .

– يا أخي العزيز . . شكراً لك على هذه اللحظات الجميلة . . والساعة التي أعتقد أنها لم تتجاوز دقيقة عندي وأشكرك على هذا الطرح الصريح وأرجو أن يكون لي عندك وعند الجمهور مندوحة من العذر إذا كنت قد تجاوزت في بعض الأحكام والآراء .

* أبدأ يا دكتور . . . لكن الحقيقة أنا أيضاً أشكو من ضيق الوقت فمعذرة لأن الساعة لم تتسع لكل ما لدينا . . . ولكن سيتاح لنا إن شاء الله معك لقاء آخر . . . وأعتقد أن لديك من المضامين الفكرية والنقدية والأدبية ما يستأهل جلسة أخرى موسعة بإذن الله .

عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري

معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد أديب يحب الصمت... يملأ وقته شيئان... العمل والكتاب... يقرأ كثيراً تجاوز سنه الفكري أولاً بخطوات تثير الدهشة حيث لا تعليم، ولا ثقافة، يعيش بعقلية شاب تعي جميع التيارات والصراعات... وتجاوز سنه الزمني فلم يغلق على عقله نافذة الضوء بحجة المحافظة على مدخرات ما...

شده من شعراء التراث المتنبي... تعشقه، وهام في شعره يحفظ منه الكثير ويتمثل بأبياته، لم يجد إلى الآن الشاعر الذي يقف مع المتنبي في صف.. أصبح في ذاكرته وشما لفترة شعرية مليئة بالنبض والتوقد..

في حديثه... أثار كل شيء عن رحلته... وصمته... والمثقفين قال عن البداية:

* في تصوري أن الإنسان يتصرف أو يتجه أي اتجاه نتيجة لعدة عوامل، منها مثلاً الفراغ، إذا أصبح عنده شيء من الفراغ، وهو يحس بقيمة الوقت ... لا بد أن يبحث عما يشغل فراغه... أنا في بلدي «المجمعة» لدي فراغ كثير.. بأي شيء أملؤه؟... من حين كان عمري ست عشرة سنة وفقت في صديق أديب مسن كان عمره ٧٠ سنة.. هذا الرجل أديب وشاعر، وفي نفس الوقت لديه شيء من الانطواء، ليس حريصاً أن يكون مبتذلاً، وحصل بيني وبينه هذا اللقاء يكبرني بما لا يقل عن ٤٠ سنة ومن طريق الاختلاط به بدأ يعلقني بشيء من الكتب للمتنبي ولأبي العلاء، هذا ساعدني على أن أتجه إلى الأدب وأحب القراءة. ولا أستطيع أن أقول لك إنني أديب. لست في صف الأدباء.. وإنما تشبهوا وإن لم تكونوا مثلهم.

أقرأ كثيراً وليس لدي هواية أكثر من القراءة حتى أمور الحياة البيتية يتولاها ابن أو أخ .. كثير من الأمور لو اعتمدت عليّ يمكن أن لا أفهمها.

* آنذاك كان الوسط الاجتماعي هادئاً وأمياً؟!

– من عام ١٣٥٥هـ يسر لي أصدقاء حين بدأ الأساتذة يأتون من البلاد العربية. فكان بيتي ملتقى لهم، مع زملائي من المجمعة، فكنا نقرأ ونتناقش، محاولة على الأقل ترفع شيئاً من الهموم. وثقافتي عادية جداً لكن اطلاعي هداني إلى الشاعر الكبير المتنبي منذ مالا يقل عن ٥٠ سنة دائماً أقرؤه أرجع إلى حكمته فكرت أن أكتب رسائل إلى المتنبي أحاوره من خلال شعره من أفضل قصائده، وأتجنب المديح والهجاء إنما أقصد نواحي فكرية وفلسفية، وأضعها في مقدمة وأبدأ في

المحاورة بأوسع ما أستطيع من حوار، يعني مثلاً عندما يخاطب سيف الدولة...

فيا عاجباً من دائل أنت سيفه ... ألا يتوقى شفرتي ما تقلدا
ومن يجعل الضرغام بازا لصيده ... تصيده الضرغام في ما تصيدا

فأنا أقول للمتنبي: لماذا تغري سيف الدولة بالخليفة في بغداد ولماذا تغري الخليفة بسيف الدولة؟ ثم تبين أنك خطر على الخليفة... كأنما تنبه إلى خطر قادم.. والحالة قائمة الآن.. فكاتب هناك يهجو الآخر، بإيعاز من جهة ما، وهذا ما أعنيه.

* المحاورات هذه تنطلق من نظرة المتنبي إلى الصدامات التي كانت قائمة في عصره ويريد مركزاً سياسياً منها؟

– المتنبي طموح.. وفي كل مكان يريد أن يحوز على شيء يقول (انا لي ضيعة أو ولاية) لم ينل أي شيء ومن حسن الحظ أنه لم يتحصل على ما يريد.. حتى يبدع وتظهر فلسفته على نحو مارأينا.

* طموحه فقط في النواحي السياسية؟

– أعتقد.. وله قصائد شعر إنه يتألم على العرب، ويحس أن الدولة العربية ضاعت.

* لو عاش المتنبي في هذا العصر ماذا يقول؟

– قال في زمانه الكثير، ولو عاش بيننا لتألم أكثر، وشعر بالفراغ الرهيب. ولم يمدح أحداً.

المتنبي انتهازي!!

* لعل طموح المتنبي جعله يغض الطرف عن عمالقة عصره فيقلل من شأنهم.. هذه انتهازية؟

– عند الهدف البعيد يهون كل شيء، وهو قد رسم له غاية يصل إليها فلابد من أن يفعل كل شيء من أجل أن يصل، مدح، وذم، وهجاء من أجل ذلك لكن موقفه مع سيف الدولة لم يتغير فهو لم يذمه حتى بعدما هجره، وذهب إلى كافور يقول:

فراق ومن فارقت غير مذمم ... وأم ومن يممت خير ميمم
وما منزل اللذات عندي بمنزل ... إذا لم أبجل عنده وأكرم
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عدائه ... وأصبح في ليل من الشك مظلم
أصادق نفس المرء من قبل جسمه ... وأعرفها في فعله والتكلم

وخاب أمله في الرجل الذي قصده، ثم رجع يعتذر من سيف الدولة على ماقال...

* ذم كافور بعد أن لم ينل منه مبتغاه، هل هذا خليق بالمتنبي؟

. – علاقته بكافور لها صورة غير صورة الآخرين.. لهذا كان ذلك السيل من الهجاء.. كانت

صورته الرجل الذي يحمل الأمل. . . بعد أن أخفق عند (صاحبه) الأول. . . كافور هو من سيرفع شأنه ويمكنه من الولاية، ويحقق طموحاته السياسية ولكنه حين لم يجد شيئاً من هذا ثار. . . ورماه بأقذع الأوصاف ولايهمه بعد ذلك أن يكون على حق أو باطل فموقفه أعمى عينيه عن كل شيء حسن.

رسائل عن المتنبي

* الرسائل التي كتبتها عن المتنبي هل ستصدر في كتاب؟

- أنا احترم القارئ وأجبن من النعامة. . أن أطرح كلمة في الشارع وأنساها، ليس من السهل على الإنسان أن يقتحم مجال التأليف دونما رضى كاف.

* لتأخذ قيمتها في ميزان النقد؟

- حتى الآن، لست شجاعاً أن أعطي مالدي، أو أقول كل شيء ولأن ليس عندي شيء إنما هي رسائل أدعها لنفسي أو تنشر بعدي! كتبت الآن منها ثلاثين رسالةو وهي خاضعة للمراجعة، وإذا وصلت إلى الصورة التي أريدها يمكن أن أفكر بنشرها.

* أبيات للمتنبي تتمثل بها؟

- كثيرة جداً، والشوارد منها أكثر وكل بيت تجربة قائمة بحالها، مثلاً:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن ترى ... صديقاً فأعيا أو عدواً مداجيا

حتى قال لقلبه:

وأعلم أن البين يشكيك بعده ... فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا
فإن دموع العين غدر بربها ... إذا كُنَّ اثر الغادرين جواريا
إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى ... فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

* هل لديك شيء غير الرسائل؟

- لا أستطيع أن أقول: إن لدي شيئاً قابلاً للنشر، ولكن لدي تصورات وخواطر، ومواقف كتبت جزءاً منها تحت اسم رسائل إلى ولدي. . . وهذه التسمية قد يحصل عليها تغيير وفي هذه الرسائل محاولة لنقل تجربة الأب إلى الابن، لعله يستفيد منها، وكذلك لدي تفكير في تسجيل ما وصل إلي من رجال ثقات، حول الأحداث التي هي جزء من تاريخ هذا البلد، كما أنني أجمع ما يدعم هذا الجزء من التاريخ بوثائق تعطي القارئ القناعة التامة بحقيقة صدق هذه الوقائع. . وأعود مرة أخرى فأقول: قد أعجز عن طرح كل ذلك. . . ولكنها محاولة لذكر تاريخ، ورصيد مدفون قد يرثه رجل آخر يدفع به خارج السريرة، ويعينه على تكوين مادة تمنحه المشاركة -بتجرد- في

صياغة جزء من تاريخ هذا البلد -على الأقل- فما من بيت أو قبيلة أو واد، أو شعب، أو صحراء أو جبل، أو كثبان من الرمل إلا وفيه حادثة دفينة تحتاج إلى قلم نظيف يلاحقها ويفتش عنها في تجرد وأمان... وهذا ما ننتظره من كاتب سعودي أصيل في ولائه لهذا البلد.

شعراء الجاهلية

* كيف ترى «القصيدة» قبل عشرين سنة ووضعها الآن؟

- لا أستطيع أن أكون حكماً على الناس، ولا أقدر أن أمنح نفسي صفة القاضي الذي يصدر الأحكام على اجتهادات الناس.

* كقارئ؟

- الشعر الجاهلي جيد جداً، وهذا العصر غريب في إصداراته، أغلب الناس يمل الدأب على المطالعة، لذا يقل المثقف الواعي الملم بالتراث ومعطيات العصر... كثير من الناس يسمع، ولا يملك الاستعداد للمتابعة الجادة، وليس من السهل أن نعترف بثقافة الجريدة، أو الإذاعة والتلفزيون... لدينا شباب لهم اجتهاداتهم الخاصة، ولكنهم عندما يحاولون ممارسة الوجه الآخر يجدون الصعوبة.

* من القصائد المطلوبة هي الجاهلية أو ما جاء في عصر صدر الإسلام من شعر؟

- أنا أحب شعر الجاهلية، تجد فيه كل مكارم الأخلاق، كل الفضائل عندهم، صعب أن تجد قولاً لهم دون تطبيق فالشعر هو صورة الواقع وشعرنا اليوم انعكاس للحضارة القائمة بمتناقضاتها.

أقرأ لغير غازي

* شعراء تعجب بهم.. مثلاً غازي القصيبي؟

- أحترم غازي، لكنني سوف أجد إنساناً أقرأ له غير غازي، جيلي ليس من السهل أن تؤثر عليه هذه الحياة الجديدة، لدي مرونة في معاصرة الحياة لكن شعراء الجاهلية والإسلام هم المثل.

* أليس هناك فارق بين الجيلين؟

- الشعر هو الشعور، ولا يستطيع إنسان أن يصوغ إنساناً آخر.. وكل واحد يتكلم بما عنده، ويلقي على وجه الحياة من تفكيره، ومن إحساسه، ومن رؤيته للأشياء ما تلقيه عليه الحياة... لذلك أنا أعتبر أن تنحية الجيل الماضي، واتهامهم بعقم العطاء غير صحيح، فالشاب اليوم هو شيخ غداً، المطلوب العطاء، والحكم أخيراً للقراء.

بيني وبين بعض الكتاب خصام طويل!

* قراءاتك لشعرائنا الشباب؟

- اطلاعي ليس مستمراً، ومتابعاً لكل الكتّاب، وخاصة لمعينين، فعلاقاتي بالناس لها صفة

الشمولية، وقائمة على مبدأ إنساني، أما الكتاب فتقوم بيني وبينهم خصومات غير معلنةو تميز، فالكتاب يتطلب جهداً، واجهاداً للعينين، والفكر، وليس كل (كتاب) يستأهل القراءة.

المناخ الصالح

* متى تؤثر القصيدة؟

- الكلمة محتاجة إلى مناخ لدي حاجات كثيرة أتمنى أن أجد المناخ الطيب لقولها إن صواباً أو خطأ... لكن المشكلة أن الإنسان العربي إلى حد الآن محتاج إلى نوع من الحرية... أحد شعرائنا عثمان بن سيار لته يوماً، وقلت له: لماذا لا تنشر؟ قال: ماذا أقول، لن أمدح عمراً ولا زيداً، أنا لدي شكوى وألم.. وهما يوجبان لوناً من الحزن تترجمه الكلمة، وهي حينما تطرح تفسر على غير مرادها... وقد تؤذي صاحبها والمفكر لن يستطيع التحرك على أرض صلبة، والأقدام مهما كانت قوية تضيع آثارها في الرمال.. فالحرية والوعي الاجتماعي عاملان رئيسيان للنهضة في شموليتها واسمها الجميل.. وأعتقد أن الرجل الذي لديه موهبة يجب أن يتحمل في سبيلها كل الإهانات والمتاعب، ولابد أن يطرحها بشجاعة، والكلمة الرصينة الواعية التي لها مساس بحياة الناس إذا دفع بها مفكر -مهما واجهته العقبات- سوف تنتصر في النهاية.

أقول للشباب؟

* رسائلك التي لم تنشر هل تدفعك إلى أن تقول للشاب ممن يملكون شيئاً؟

- أقول له: كن واثقاً من نفسك، ومطمئناً إلى أنه لا طريق إلا وتملؤه العثرات، وكل إنسان يتهيب هذا ويقف... معنى هذا أن يموت فلا بد من تجاوز هذا بوعي، وبفهم، وبتحمل للمسؤولية. وهذه الشجاعة لم تكن موجودة عندنا، لكنها يمكن أن توجد في الشباب، فنحن في وقتنا - حين كنا شباباً- تجاوزنا أشياء كبيرة... جاءت في طريقنا عثرات، لكننا لم نهزم.. شاب اليوم أمامه غير ما كانت لدينا نحن، فهو يدخل في صراع عنيف، وتصور بعيد جداً عما كنا عليه، تقابله حضارة ومدنية، غرائز، رغبات، وهو حينما يثبت وجوده، ويقف على قدميه أتصور أنه ينتصر على الهزيمة، ويعطي أكثر مما أعطينا، فقد كنا مجرد قبائل، وقرى، و«مطاوعة» وعلماء ومذهب واحد هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبدالوهاب، هذا كان تفكيرنا.... أما اليوم، فشعارات العالم كلها تنزل على الأرض. والشاب الذي لا يتميز بين هذه الشعارات قد يجد نفسه في يوم يعيش متاهة ظلماء.

الشعر الشعبي!

* أيهما أقدر على التوصيل الآن، الشعر الشعبي أم الفصيح؟

- الشعر الشعبي أثير عندي، ولو جئت إلى الشعر النبطي أو الشعبي نجد أن شعراءه التقوا مع

امرئ القيس والمتنبي، مثلاً حميدان الشويعر إنسان نتساءل عنه... هل قرأ فلسفة المتنبي. أو أبي العلاء؟ بينما نجده في زاوية من زوايا نجد... ليس عنده وسائل الوصول إلى الوعي، إنما التفكير جعله مجيداً.

* هل تتوقع مواصلة الشعر الشعبي بهذا الحماس؟

- ضرورة لأن الشعب يستقبل هذا اللون... وليس بعيداً عن أذهان الناس.

الشعر الغنائي

* وعلى مستوى شعراء الأغنية إلى من تميل؟

- أنا أميل إلى القصائد العربية التي غنتها أم كلثوم، ولا أحرص على سواها... خصوصاً عندما تغني للخيام، أو رامي... للشعراء المحرومين.. أما بقية الصخب فلا أرتاح إليه! نعم كثير من هذا الشعر الذي يسمى غنائياً صخب... وصخب شديد، وفي أعماقه ارتخاء لا تقبله الرجولة!

* والشعراء الشباب. محمد العبدالله الفيصل، وساري، والخفاجي؟

- لا أسمع لهم كثيراً، إنما يسمعهم كثير غيري، وساري ليته يكف، إن نثره أجود كثيراً من شعره.. فلو التزم هذا المنهج في الكتابة لكان أفضل.

الساحة خالية

* هل أنت متفائل بالمستقبل؟

- أعتقد أن النجاح مشدود بما يطرحه الإنسان من تفكير وثقافة جيدة ليست هزيلة. ولو نظرنا إلى بلدنا كيف كانت. وماهي عليه الآن.. المشكلة هي التعميم.. كل يريد أن يخوض مجال الشعر، والأدب... وكل يدعيها، إلى الآن لم توجد الطبقة التي تسيطر على الشارع... ويراها المثقفون والشباب ويتمثلونها لا أخطيء في تقديري ولكن عندما نسأل عن كتاب لكاتب سعودي نجده حقاً... ولكن ليس على المستوى المطلوب.

مواقف

* الأندية الأدبية لم أزرها.. ولم أسمع عن نشاطاتها.

* أحب أبا العلاء، ولست راضياً عن الشذوذ الذي ورد في فكره. وعملقة المتنبي وأبي العلاء توافر عليها عوامل خلقت فيهما دواعي الفكر والقول.

* أبو العلاء مكث خمسين سنة في محبسه وأبدع شوارد الفكر، وليس في إمكان أي منا أن يبدع بيتاً مما قال!

* لا أتابع الملاحق الأدبية، ولا كل إصدارات الشباب.

* لا تصدق أن النصيحة تصوغ المواهب، لابد أن يأخذ الإنسان تجربته في الفكر والسلوك،

وهذا الرأي تنظير نقدي للأعمال الأدبية، والمخطئ الواعي هو الذي يسير خطوة إلى الأمام.

* لو سألتني ماذا تعني الكرة الأرضية في حجمها لقلت: لاشيء.

* بينما ثبت علمياً أن الأرض لا تساوي شيئاً أمام كواكب ومجرات ترسل ضوءها من ملايين السنين.

* العلم أكبر واعظ.

* الحضارة الغربية اكتشفت قوانين موجودة أساساً.

* جمجمة الإنسان ملف غامض.. كل يوم تتضح حروف هذا الملف.

* أولادي لا يصدقون إذا كنا لا نرى اللحم إلا في عيد الأضحى، ونلبس ثوبا طوال السنة.

* تحياتي لكل القراء(*).

---

* كل ما كان يفكر في إصداره الشيخ عبدالعزيز التويجري صدر فعلاً، الرسائل، والوثائق التاريخية، وغيرها، وقد أخذت مكانها في مكتبتنا السعودية، وفي تاريخنا الثقافي.

عبدالكريم بن عبدالعزيز الجهيمان

تاريخنا القريب تاريخ شبه الجزيرة العربية من يحفظه من منا يتذكر كيف كان أجدادنا يتناولون مهماتهم اليومية وما هي طبيعة هذه المهمات، أكلاتهم، ممارسة الحياة اليومية، البساطة في التعامل بين الجنسين، استبعاد الاحتمالات السيئة، الشهامة، النخوة، رجولة فتي الحي أو القبيلة، أو كما ينعتها المصريون «الفتوة» والتي أرخها نجيب محفوظ في مجموعة من رواياته «أولاد حارتنا» و«حكايات حارتنا» والثلاثية وغيرها.

هل كتب أحد أعلامنا المتربعين على مقاعد الشهرة عملاً أدبياً أو فكرياً يدرس «سيكولوجية» التعايش مع الزمن والإنسان قبل عشرين سنة في شبه الجزيرة؟

ماهو الرصيد المستفاد من عرض أنماط الحياة في البادية إذا لم يتخلل هذا العرض تحليل ودراسة للمؤثرات؟

ولو رجعنا مسيرة الأدب العربي خاصة المحدث منه لوجدنا أن أدباء العراق -مثلاً- أفادوا من الحضارة الآسيوية والسومرية وأدباء مصر أفادوا من حضارة الأسر الفرعونية فلماذا لا توظف أساطيرنا وتراثنا الشعبي والقومي في خدمة تطلعاتنا الحضارية في التعبير!

هذا الجهد الذي ألح عليه قدم شيئاً من ضيف الصفحة الأستاذ عبدالكريم الجهيمان... وجمع ما استطاع أن يجمعه بأسلوب يجمع بين البساطة الآخذة من العامية ألذها ومن العامية ومن الفصيح أخفه وأعذبه!

فماذا لديه بعد أن رد سهامه في كنانته وأحجم عن المطاردة في الميدان بعد أن رأس تحرير صحيفتين كان في ذمتهما عطاء ثر للمثقف في هذه البلاد أخبار الظهران.. وجريدة القصيم..! أدعه الآن يحدثكم:

* بدأت تعليمي في قرية «القرائن» بالوشم في الكتاتيب القراءة والكتابة فقط.
* درست في المعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة.
* امتهنت التدريس في الابتدائية ثم في المعهد العلمي السعودي.
* زاولت الصحافة في سن مبكرة.
* أنشأت صحيفة أخبار الظهران ورأست تحرير جريدة القصيم من وراء ستار.
* الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب استغرق عشرين سنة في عشرة أجزاء صدر منه الآن ستة أجزاء وشمل عشرة آلاف مثل.

ويقول الجهيمان:

سيكون هذا الكتاب أوفي ما ألف في الأمثال قديماً وحديثاً.. ورأيت أن هذا التراث ثروة كبيرة إذا لم يسجل في هذه الأزمان فسوف يضيع وهي حقيقة تحكي حياة هذا الشعب الشيء الذي يريده والذي يرفضه أعتبرها تاريخ ما أهمله التاريخ أو التاريخ الصحيح.

* المعروف في تاريخ الأمثال أن المؤلفين العرب القدامى كانوا ينهجون الجمع ثم الشرح وإيراد ما أتي على هذا المثل من أبيات من الشعر أو أقوال مأثورة!! منها وأيسر نطاقٌ على اللسان.

* المؤلفون العرب لم يجمعوا إلا ما كان بالفصيح، المثل العامي الذي كان الناس يتبادلونه في حياتهم العادية لم يجمع إنما جمع ما كان يتناقله المثقفون في ذلك العصر عن طريق كتاباتهم ومجالسهم الخاصة.

* الميداني جمع كتابه مجمع الأمثال، من كتب سبقته اعتنت بحياة العرب وأدبهم ولم يؤرخ لحياة الناس الذين كان يعايشهم!

أما أنا فليس عندي إلا ثلاثة مصادر أفواه المواطنين - الأمثال المختزنة في ذاكرتي - الأمثال التي أقتبسها من أبيات الشعر العربي.

* هل يعني هذا أنك قمت برحلات إلى مضارب البادية وتجمعات القبائل لتلم شتات هذه الأمثال؟

- لا لم أقم برحلات إنما هذه الأمثال التي جمعتها من المحيط الذي عشته في نجد وتعرف أن الأمثال التي تستخدم في الحجاز هي نفسها -تقريباً- الأمثال التي تستعمل في نجد... وقد قالوا: أسير من مثل.. فالمثل سريع الانتشار وخفيف التنقل بين الناس صحيح أن بعض البيئات لها أمثال خاصة لكن بعض الأمثال عالمية مثلما تستعملها هنا تستعمل في أوروبا وأمريكا خاصة تلك التي تتعلق بالعواطف الإنسانية فيكون لها صفة الشمولية.. وهناك أمثال قد تكون وليدة البيئة مثلاً البيئة الساحلية تخلق ما يصلح لها ويتفق مع تقاليد الحياة اليومية لإنسانها وكذلك حياة الصحراء.

هل نستطيع أن نحكم على كتاب «الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» بأنه أول كتاب ألف في الأمثال الشعبية؟

* لم يسبق لاحد أن ألف في الأمثال؟

- في شرح الأمثال اعتمدت أن اقربها إلى القارئ بأسلوب سهل لا يبعد كثيراً عن الموضوع «التراث الشعبي» ولا يجافي اللغة الأم ثم إذا كان هناك قصص شعبية أو أشعار تتعلق بالمثل أوردتها.. وأنا لم أتعمق فإذا شابه العامي شيئاً من الفصيح ويحسن بي إتيانه فعلت لأن الموضوع يجمعهما..! وأستطيع أن أقول إن كثيراً من الأمثال الشعبية لا تقل أصالة عن الأمثال العربية أبداً

بل قد تكون أعمق الشعبية إلا أن الأستاذ محمد العبودي اصدر جزءاً احتوى على ألف مثل وقال: إنه سوف يتبعه بأجزاء، وقد وجدت أن الأستاذ العبودي يعتمد في شواهد الأشعار والقصص على ما دون في كتب الأمثال القديمة والتاريخ من شعر ونثر وهذا قد لا يهم القارئ كثيراً بقدر ما يهمه الاطلاع على ألوان من الأفكار الشعبية سواء منها ما كان مسجلاً في شعر . . . أو مسجلاً في نثر . . ص ١٣ (الأمثال الشعبية).

* ويكمل الجهيمان:

– طريقتي في متابعة الأمثال التتبع الدقيق لمسارات المثل بين أوساط الناس وعامتهم طوال عشرين سنة فقد يأتي المثل في معرض الحديث إذا لم تسجله. كان قلمي دائماً في جيبي وورقتي في يدي كلما سمعت مثلاً أسجله ولي اجتماعات خاصة برجال مسنين أفيد مما لديهم من حكايات وأمثال. . والمثل الشعبي بالتأكيد عصارة فكر وقمة بلاغية بلا شك وكذلك الشعر الشعبي تعبير صادق عن خواطر الجمهور العام بلغته الدارجه وما اعتاد عليه من نمط الكلام.

* لماذا الأدب الشعبي فقط؟

– لأنه إذا لم يسجل في هذا الوقت فسوف يفقد نسياناً أو إهمالاً وأعني ما يتعلق بحياة أفراد في جزيرة العرب قبل عصر النهضة بقليل . . أضف إلى هذا قرب «عاميتنا» في نجد والحجاز من العربية الفصيحة قربا تستطيع أن نرجعه إلى أصوله البعيدة في الفصحى. . من هذا المنطلق اتجهت إلى خدمة تراثنا الشعبي.

* عن القصص الشعبي «أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب» هل تسعى إلى إكماله في أجزاء أخرى؟

– لدي مجموعة من القصص ربما تكون جزءاً خامساً.

* لو راجعنا معجم اللغة لوجدنا أن الاسطورة معناها «الأكذوبة» فهل جمعت في كتابك أكاذيب؟

– تسمية الأسطورة بالكذب ليس صحيحاً الأسطورة قصة قد تكون خيالاً لها ظل من الحقيقة وكثير من الناس يعشقونها لأنها تخرجهم من عالم الواقع إلى عالم رحب فسيح يبعد بهم عن التصاقهم بعالمهم، وهذه القصص التي جمعتها تمثل المخاوف، الأماني، الطموحات، الآمال، تفكير طبقة معينة، التيار الذي يحيونه اجتماعياً وفكرياً وأدبياً. بل أذهب إلى الاعتقاد بأن ما جمعت من أساطير وسمها ما شئت كذباً أو خيالاً أو ما سواها مرجع لدارسي حياة شعب الجزيرة وتفكيرهم لأن ما أرخ من هذا لم يعط بعداً عميقاً للتكفير السائد آنذاك.

* أنا لست ضد الأساطير الشعبية سواء كانت خرافة أو صحيحة على ما تدعي. . إنما جمع هذا التراث وإطلاق اسم «الأساطير» عليه تجاوز كبير جداً فهو عتب على التسمية لا على الجهد؟!

– كلمة أساطير لها سحرها وجاذبيتها والناس يرغبون المشوق الغريب لأنهم قد سئموا حياتهم والروتين الذي يعيشونه يومياً كما قلت قد يكون فيها خيال يرمز إلى حقيقة!

* نقرأ أحياناً «رويت هذه القصة عن زوجتي العزيزة» كما في سالفة «جهم مع جلال» قد يكون «لزوجتك جهد ما في جمع هذه القصص؟

– في الواقع القصص ترويها شفوياً . . . وكل قصة أرويها عن إنسان أذكر اسمه فمثلاً زوجتي روت مجموعة من القصص شفهياً فذكرت اسمها.

* كم استغرق منك جمع هذه القصص؟

– استغرقت حوالي ست سنين وكنت كل سنة أطبع جزءاً.

* الأساطير الشعبية مجهود كبير ما رأيك لو ترجمت إلى لغة أخرى؟

– أتذكر أن دارسة أمريكية أتت إليّ قبل أيام وكانت قد اطلعت على قصص الأطفال التي كتبتها وطلبت مني أن أسمح لها بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية وأن تقوم بتوزيعها.

* لابد أن اتجاهك إلى التأليف للأطفال منطلق من نظرة معينة؟!

– كما تعرف الطفل يرغب هذا اللون من القصص وإذا أخرجت له بخط كبير ورسوم جميلة ملونة أغرته بالقراءة. ومكتبة الطفل تكاد تكون خالية من مثل هذا النوع من القصص فرأيت أن أرتب مجموعة قصصية لها أهداف سامية نبيلة وأضبطها بالشكل لكي يسهل على الطفل العربي تقويم لسانه، وتوخيت أن يكون صدور هذه المجموعة في العام الدولي للطفل.

آراء:

– صحافة الأفراد اتسمت بالطرح الجريء والملتصق بحيوية الإنسان العربي عموماً والمواطن خصوصاً.

– لو كان لي من الأمر شيء لأنشأت مسرحاً شعبياً حرا بإشراف وزارة الإعلام.

– الأدباء الشباب استطاعوا إثبات وجودهم على حساب تخطيهم لماضيهم وتراثهم أي بالتقليد- مما خلق فجوة في تطور الأدب.

– ليس لي عمل غير ما أنا بصدده الآن من أكمال الأمثال الشعبية.

– الصحافة مهنة غير مأمونة العواقب.

عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيِّد

* الأستاذ عبدالرحمن العبيد رئيس نادي المنطقة الشرقية الأدبي.. وباحث وشاعر معروف.. أدعو ضيفنا إلى أن يقدم نفسه بشكل أوسع؟

– أنا عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد من مواليد مدينة الجبيل بالمنطقة الشرقية عام ١٣٥٢هـ للهجرة.. وقطعت رحلة الكلمة أو مع الكلمة حوالي أربعين عاماً

* ما شاء الله.. فيها بركة

– مع الشعر ومع البحث.. ثم اتجهت إلى الثقافة الإسلامية كعنصر أساسي في إرفاد الفكر وفي التنمية الثقافية.. يعني.. استفدت أيضاً من الثقافة الإسلامية في الواقع.. هذه القضية.. الحقيقة.. تحتاج إلى توكيد لأن بعض الإخوة يعتقدون أن الثقافة الإسلامية قضية ثانوية في حياة الأديب لكن والله من تجربتي.. الثقافة الإسلامية هي الأساس وترشد وتثري الأديب والمفكر.

* نعم.. في دراستك الأولى.. أستاذ.. ماذا قرأت؟

– في الواقع أنا تخرجت من الفصل الخامس الابتدائي من الجبيل وتركت الدراسة وذهبت إلى والدي في نجد أيضاً.. بعد عودتي حاولت أن أنتظم في الدراسة.. وأكملت الدراسة الثانوية عن طريق المنزل لأني ارتبطت بالزواج وارتبطت بالأعمال التجارية مع والدي في البداية.. وفي ذلك الوقت لا يوجد لدينا جامعات.. يعني.. عام ١٣٧٠للهجرة.. أنا بدأت العمل وتزوجت.. أول جامعة لدينا في المملكة كانت عام ١٣٧٧هجرية التي هي جامعة الملك سعود.. ثقافتي كانت عن طريق القراءة والاطلاع.. دواوين الشعر.. كتب اللغة.. ثم أيضاً المؤلفات المعاصرة من أدباء العصر.

* وحينما بدأت تكتب راسلت أي جريدة؟

– والله في الواقع كانت بدايتي مع صحف المنطقة الشرقية.. جريدة الخليج العربي.. جريدة أخبار الظهران.. مجلة الإشعاع ثم مع اليمامة ثم مع بعض الصحف في داخل المملكة.. راسلت المنهل أيضاً.. وأخيراً انتقل الموضوع إلى عدة صحف في داخل المملكة وقد يكون في خارجها أحياناً.. في صحف الخليج.. بدايتي الثقافية هي بداية ثقافة المنطقة الشرقية.. أقول هذا باعتزاز وذلك ابتداءً من عام ١٣٧٣للهجرة.. بداية رحلة الكلمة.. في هذا العام صدرت أول صحيفة في المنطقة الشرقية وهي مجلة قافلة الزيت.. بعدها بسنة صدرت أخبار الظهران.. بعد سنتين صدرت الخليج ثم صدرت مجلة الإشعاع عام ١٣٧٦هـ وتتالت الصحافة وبدأنا نتحرك فيها أنا مع

العديد من الزملاء والإخوة مثل عبدالله أحمد شباط.. الدكتور محمد اللحم وبعض الإخوة في المنطقة.

* وكانت بداية موفقة لك في العمل الصحفي.. بأن يعني.. أن نعرف القراء بك وبشعرك وببعض ما لديك من أدب في بدايتك الأولى بكل تأكيد.. لولا هذه الصحافة لما عرف أدبك؟

– نعم.. نعم.. كانت هي المنطلق.

* صحافة الأفراد في بدايتها؟

– نعم.. صحافة الأفراد.. الأستاذ سعد البواردي في مجلة الإشعاع.. سئل عن من هم كتاب الجريدة فكان اسمي أحد هؤلاء كشاعر.. أخبار الظهران.. أشرفت على صفحتها الأدبية وعينت مدير تحرير.. وكانت في عهد الأستاذ عبدالعزيز العيسى. وكان مهتماً بالمطابع.. والطباعة.. نعم بعد أن تركها الأستاذ

* كان عاملاً في شركة أرامكو كما سمعت

– لا.. لم يكن في أرامكو.. وإنما كان يعمل عملاً.. عملاً تجارياً.. لكنه تسلم هذه المطبعة بعد الأستاذ عبدالكريم الجهيمان.. فعملت معه كمدير تحرير.. وكنت أكتب افتتاحيات أخبار الظهران وأشرف على صفحتها الأدبية.. ونشرت العديد من القصائد ابتداءً من عام ١٣٧٤ يعني.. قبل كم؟ ثلاثين أو أربعين عاماً؟

* أو أكثر من ذلك؟

– أربعين.. حوالي أربعين سنة.

* طيب.. وانطباعك عن الأستاذ الجهيمان حينما كان رئيساً لتحرير الجريدة؟

– والله هو في البداية.. كان في بداياته الشعرية.. لم يكن له مؤلفات في ذلك الوقت كان يتجه إلى المقالة.

* الصحفية؟

– نعم.. وتحدثت عنه في كتابي.. كتيب صغير اسمه (الأدب في الخليج العربي).. وتحدثت عنه كأحد الأقلام في المنطقة الشرقية التي ساعدت على تكوين الثقافة في المنطقة.

* هذا الكتاب لم يطبع مرة أخرى مع أنه مرجع في تلك الفترة في الواقع؟

– نعم.. والله ياأستاذ محمد هو من كتب البدايات التي تؤرخ للأدب في بلادنا.. أعتقد أن طباعته مرة أخرى تستلزم التعديل والتبديل في منهجية الكتاب.. فيفقد قيمته.. في تصوري أنه قد أدى.. قد أدى رسالته هو الآن مرجع لكثير.. كما أقرأ من بعض الإخوة.. إي نعم

* أنت الآن رئيس لنادي المنطقة الشرقية الأدبي.. وهذا النادي أسس قريباً.. يعني.. أعتقد له

خمس أو ست سنوات.. في هذه الحدود.. ماذا قدم النادي خلال هذه الفترة؟ وهل فعلاً قدمت كل ما لديك من طموحات عبر هذا النادي في سنواته؟

– والله ياأخي.. النادي الأدبي كلفت برئاسته.. وكان لي الشرف في ذلك.. حينما أسند إليّ هذا العمل أمضيت حوالي ستة أشهر أو خمسة أشهر ونحن نخطط للبرنامج الثقافي ونؤسس.. لأن التأسيس في الواقع يحتاج إلى تثبيت وإلى فكر وإلى مداولات وإلى محاورات وإلى مشاورات وإلى زيارات أيضاً لبعض الأندية الأدبية وهذا ما قمت به.. الآن ولله الحمد لدينا رصيد ضخم من النشاط المنبري والنشاط الثقافي.. لدينا إصدارات.. لدينا طموحات كثيرة.. تحقق البعض منها.. وأرجو إن شاء الله.. بمعونة أهل الأدب والفكر في المنطقة وأعضاء مجلس الإدارة أيضاً وأسرة النادي نستطيع إن شاء الله أن نطور هذا الصرح الثقافي الذي أعتقد أنه الآن يسير بخطى ثابتة.. صحيح أننا لم نحقق حتى الآن الطموحات الكبيرة التي ترنو إليها الدولة وولاة الأمر حفظهم الله ولكن استطعنا.. وهكذا كل عمل يحتاج إلى بعض الوقت، ثم بيئة المنطقة.. البيئة الصناعية تختلف في الواقع عن البيئات الأخرى.. وإن كنا ولله الحمد استنفذنا البرنامج العام للنادي أو المقرر لنا ونعمل به مضاعفاً.. المقرر لنا اثنتا عشرة محاضرة.. نحن نؤدي في السنة أكثر من أربع وعشرين محاضرة.

* شيء طيب.

– نعم.. وكذلك الكتب.. وكذلك الأنشطة العامة.

* كم صدر من الكتب الآن من النادي؟

– والله صدر مجموعة الآن.. صدر حوالي عشرة كتب.

* من أبرز الأسماء مثلاً؟

– والله.. على مشارف الزمن للأستاذ محمد الملا.. ديوان شعر أيضاً للأستاذ خالد الحليبي.. ومجموعات كبيرة.. وأنا شاركت الحقيقة بالموسوعة الجغرافية..

* للمنطقة؟

– لشرق المملكة العربية السعودية.. نعم.. وديوان ياأمة الحق صدر أخيراً.

* عن النادي؟

– نعم عن النادي.. وهناك حوالي.. الآن.. ثمانية مؤلفات في المطبعة.. أعتقد أننا سنستطيع إن شاء الله إبرازها خلال هذا العام إن شاء الله..

* بإذن الله تعالى.. لكن لديكم خطة أن تكون إصداراتكم شهرية.. في كل شهر مثلاً كتاب أو..؟

– والله ما نستطيع.. ما نستطيع.. تحكمنا كثير من.. أو يحكمنا الكثير من الأمور.. تعرف

الإصدار الشهري يحتاج إلى جهد.. ويحتاج أيضاً إلى ميزانية.. ويحتاج.. لكن مثل الأندية الأخرى.. يعني.. أعتقد أربع إصدارات خمس إصدارات في السنة.

* هل هي مدروسة.. الكتب.. وجيدة ومنتقاة؟

– تمر بلجان تحكيم.. ويعني.. لا نطبع الكتاب حتى نقتنع بأنه فعلاً يثري الثقافة في بلادنا.

* هل لديكم نية إصدار مجلة مثلاً دورية أو فصلية تخدم أدب المنطقة؟

– نعم.. كانت هناك فكرة تتجه إلى إصدار هذه المطبوعة.. تعرف الأندية الأدبية لا تملك إصدار مجلات لكنها تملك إصدار ملف أو مطبوعة تسمى.. لكن لا تملك أن تصدر مجلة.. المجلة تحتاج إلى مؤسسة.

* تسمى ملف؟

– أو نحن لدينا الكتاب الدوري الثقافي لنادي المنطقة الشرقية.. والآن.. جاهزة مواد العدد الأول.. وأعتقد أنه سيصدر قريباً جداً إن شاء الله.

* وهذا بشكل شهري؟

– لأنه هو دوري.. استطعنا أن نصدره نصف سنوي.. ويشتمل على العديد من المحاضرات التي ألقيت على منصة النادي. كذلك نستكتب في بعض القضايا.. كبار أساتذة الأدب لدينا في المملكة.. وكذلك الشعراء.. فيه قصائد للدكتور غازي القصيبي.. فيه دراسات للدكتور محمد بن حسين أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام.. دراسات متعددة أعتقد إن شاء الله.. أنه سيسهم أيضاً وسيسدّ ثغرة لا بأس بها.

* وكيف مستوى النادي بالنسبة للجمهور والمتلقين عامة؟ هل أرضى كل الأطراف؟ هل استقطب كل التيارات الأدبية في المنطقة؟

– والله ياأخي نحن نحاول هذا.. نحاول ونفتح أبواب النادي للجميع.. لكن هناك ضوابط وهناك يعني.. أمور تحتاج إلى.. لأننا نوجه الرأي العام، النادي قاعدة وصرح لتوجيه الوعي الاجتماعي ولذلك نحن نرحب بكل ما يثار.. ولكن هناك قضايا في الواقع نعاني منها.. مثل موضوع قصيدة النثر.. البعض يريد أن يفرضها على النادي.. وهي قضية لاتزال في أخذ ورد.. ولم يعترف بها في المؤسسات ولا في الصحف ولا في الجامعات.. قصيدة النثر أبعد ما تكون عن الشعر.. هي نثر فني.. يعني نحن نواجه مثل هذه المسائل.. وأصحاب قصيدة النثر بالطبع لم يرضوا عن النادي لأنه لم يسايرهم في هذا الاتجاه.

* نعم.. بعض الإخوان طلبوا منكم مثلاً المشاركة في أمسيات بقصيدة نثر؟

– لا والله لكن هم.. يعني.. يرون موقف النادي وكثرة الأمسيات الشعرية وكلها تتناول الشعر

المقفى.. أحياناً ينطلق من النادي مثل هذا الصوت.. نحن نرحب به ونسهم من أجل إلقاء الأضواء على القضية.

* والتقييم؟

- التقييم عن طريق أساتذة الأدب وهذا ما حصل بالفعل في أمسية قبل أيام أقيمت في النادي.. وتكلم بعض الإخوة والنقاد عن قصيدة النثر وأنها في الواقع نثر فني وأبعد ما تكون عن الشعر.

* بشكل أوضح أنا استمعت إلى قصيدة من قصائد الشاعر أحمد الملا وهو من شباب المنطقة هنا.. فوجدت فعلاً أن هذا الشاعر يميل إلى كتابة هذا اللون من الكتابة الفنية..؟

- هو أحد الذين طالبوا بفرض قصيدة النثر.

* وتداخل معه الأستاذ الدكتور جابر قميحة؟

- نعم وآخرون أيضاً.. وكانت المداخلات أخوية بهدف التوجيه وبهدف إرفاد اللغة وإثراء اللغة العربية لأن قصيدة النثر في الواقع تفتقر إلى الموسيقى وتفتقر إلى القافية وإلى الوضوح وإلى الرؤية وإلى الخصائص التي يتميز بها الشعر العربي.. هو نثر ليس إلا..

* بغض النظر عن هذه القضية تتواصلون مع طبقة الشباب من الكتاب والكاتبات أيضاً في النادي؟

-التواصل مفروض أن يحصل هذا.. التقاء الجيل الرائد بالجيل الصاعد.. هذا ما سنحاوله في النادي. وفي الواقع نتيح الفرصة دائماً في الأمسيات الشعرية وفي اللقاءات.. بالنسبة للكاتبات أعتقد أننا نكتفي بأن يبعثوا بكتبهم أو مؤلفاتهم لدراستها من قبل النادي لكن ليس لدينا صالة مخصصة للنساء.

* لم تحدث بعد.. ولكن هل في نية إحداث هذه القاعة؟

- والله هذا شيء يرجع إلى الرئاسة العامة في الواقع وإن كان في تصوري أن الجمعيات النسائية هي التي يجب أن تقوم بهذا الدور.. النادي الأدبي في الواقع يقوم بدور ثقافي ودور توعية يتعلق بالشباب ويتعلق بالأدباء لكن المرأة لها قناتها.

* الأمسيات القصصية.. هل اهتممتم بذلك ؟

- نعم نعم.. أقيمت عدة أمسيات قصصية وشارك فيها الكثير من المعروفين بالقصة في المنطقة الشرقية.

* ونشرتم شيئاً من الإنتاج القصصي على شكل مجاميع؟

- نعم.. في الكتاب الدوري الثقافي.. نشرنا مجموعة من هذه القصص.

* صدر منها شيء؟

- عموماً.. لإحدى القاصات وهي شريفة الشملان..

* لكن على شكل مجاميع لم يصدر بعد شيء عن النادي

- نشرنا للأستاذ محمد صديق مجموعة قصصية.. وللأستاذ فهد المصبح مجموعة قصصية.. وكلهم من القاصين الشباب

* الأستاذ عبدالرحمن العبيّد شاعر ويعني وصدر لك ديوان أو أكثر من ذلك في الواقع.. ولكن بين يدي الآن ديوان ياأمة الحق.. وهو آخر إصداراتك؟

- نعم نعم

* لكن قبله صدر شيء كثير؟

- صدر ديوان في موكب الفجر.

* هذا الديوان الأول؟

- نعم الديوان الأول.. وهذا هو الثاني.

* وهو مطبوع طباعة جيدة وأنيق هذا الديوان حقيقة.. دعني أستعرض الفهرس بالنسبة للقصائد.. من ضمن القصائد.. ياأمة الحق.. وبنت بائعة اللبن.. والنصر.. وحوار مع التاريخ.. وسقوط الحضارة.. وجيل الحجارة.. وتحية المتخرجين.. وياقادة الفكر.. ومن هؤلاء وتكريم المعلم.. وسقوط الشعارات.. وأبكي على مكة ودم الشهيد.. ورثاء الشيخ خالد أبوبشيت وهكذا.. إلى أن أصل إلى بعض القصائد الأخرى والتي تقول هنا عن مأساة البوسنة والهرسك.. والمحاورة الأزلية.. والوصية.. فيه قصيدة عن المدينة المنورة يبدو أنا استمعت إليها أو إلى جزء منها؟

- قصيدة عنوانها تحية إلى المدينة النبوية.. وألقيت في النادي الأدبي بالمنطقة.. بالمدينة المنورة.. نادي المدينة المنورة الأدبي.. أقول فيها:

بضع وستون أم حلم وتذكار ... يموج في بحرها صفو وأكدار
يامسقط الرأس هل في الدار من ألق ... وهل يناجيك مثل الأمس سُمّار
وهل حياتك تجري مثل عادتها ... بحر وأسواق غواص وأسفار
مراتع.. كم سألناها وكم صمتت ... عن الجواب فتفشي سرها الدار

* قصيدة جميلة.. حتى البحر جميل.. غنائي.. ممكن أستمع إلى الجزء الثاني...

- أقول فيها :

بضع وستون والقنديل أشعله ... والشعر متقد والقلب موّار
أتيت نحو ربوع الخير أنشدها ... شعري فيهتف تاريخ وتذكار
أتيت والشوق يحدوني لمسجدها ... يهفو للقيا حجاج وزوار

هنا تنزل روح القدس وانتلقت		تفيض بالأمن والإيمان أنوار
نعم الديار إذا أبصرتها همست		ذكراً ووافاك تمدين وإعمار
عانقتك من التاريخ ألوية		وموكب في سبيل الله سيّار
وأسمعتك المباني ذكرى ومئذنة		وصافحتك محاريب وآثار
هنا فيها مشى المصطفى من حول دعوته		مهاجرون إلى المولى وأنصار

* اللهم صلي على محمد.. نعم
- أقول فيها :

يامسجد الخير يعلو من مآذنه		هدي وأصداء تسبيح وأذكار
من هاهنا خط للإسلام دولته		وقام بالشرع صرح ليس ينهار
وصفوة الخلق في مثواه جاوره		نعم المجاور ذاك النور والجار
أزجي صلاتي وتسليمي معطرة		إليه ما طرفت في الخلق أبصار
أنا الذي كم تسامى في قصائده		إذا شدا وتر أو باح قيثار
تعثر اليوم شعري في مدائحه		فدونه من وراء الشعر أسوار
تكبو القوافي على أعتاب سدته		مهما تسامت ثقافات وأفكار
القفر من سمتي والخصب ديدنه		أنا يجاري الربيع الخصب إقفار

* ياسلام.. أيضاً.. ممكن
- أقول فيها أيضاً :

أكرم بمن جاء بالقرآن معجزة		فيها من الحق بشير وإنذار
وجاز كل الطباق السبع رافقه		ذاك الأمين وقد أخفته أسرار
والأنبياء تأسوا في إمامته فسار		في الدرب أخبار وأخبار
ما الحب دعوى ولكن أن تتابعه		يحدو إلى الخير إيمان وإصرار
بضع وستون والأقلام مشرعة		تهجو مواقف من خانوا ومن جاروا
وعصبة حسبوا الدنيا تمجدهم		وما دروا أنهم في الناس أصفار
بئس الذين على أعقابهم رجعوا		والناس في الخير إقبال وإدبار
وبعضهم شرعه حق يدين به		وبعضهم شرعه دنيا ودينار

واهـاً لـقـلـب غـريـب فـي تجـلـده ما عـاقـه الأهل أو شـطـت بـه الـدار

لكـنـهـا فـطـرة المولـى تـعـلـمـنـا أن المـــواقـــف أدوار وأطـــوار

إلـى جـدارك ربـي غـيـر مـفـتـتن ومـنـك تـكـسـب أرزاق وأعـمـار

* في الواقع نحـن قد تجاوزنا الثلاثين دقيقة الأولى من البرنامج وقد استمتعنا معك بجولة حول أنشطة النادي الأدبي وحول قصيدتك الأدبية وجزء من شعرك.. ولكن ياأستاذ أيضاً من ضمن القصائد الجميلة التي قرأتها لك في هذا الديوان أو على الأصح اطلعت على عنوانها.. في الواقع قصيدة عن البوسنة والهرسك.. بدءاً نتحدث عن أزمة البوسنة قليلاً.. لأنها هي الجرح الموجود الآن والذي نزف ولايزال ينزف.. ومع الأسف الشديد كنا نتحدث سابقاً عن قضية فلسطين وتحدثنا قديماً وقديماً.. يعني.. تحدث آباؤنا عن قضية الجزائر وعن الاستعمار وهكذا.. وهذه المنطقة العربية والإسلامية من جرح إلى جرح.. وقد اتسع الخرق على الراقع.. ما نعرف ماذا نبكي.. ومتى نبكي.. نبكي أزمتنا الآن في البوسنة كيف ترى الحل لهذه الأزمة؟

– والله ياأخي أزمة البوسنة والهرسك هي بين المسلمين وبين الصرب.. وهذه الحرب واضحة مقاصدها وأهدافها والله سبحانه وتعالى أخبرنا عنهم «ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم»..

* إن استطاعوا..

– إن «استطاعوا».. هذه قضية أعتقد.. نراها واضحة في قضية البوسنة والهرسك.. حقد على الإسلام وعلى المسلمين وعلى إقامة دولة إسلامية في أوروبا.. الحل.. تسألني عن الحل.. ياأخي الحل يكمن في مسألتين أنا في تصوري.. المسألة الأولى تحقيق الجهاد عند أهل البوسنة والهرسك.. تحقيق فعالية الجهاد.. لأن الجهاد يتطلب له متطلبات.. والأمر الثاني.. تحقيق التعاون والتكافل بين المسلمين لمعونة إخوانهم في البوسنة والهرسك.. وبالطبع إن هذه المعونة وهذا التكافل ينطلق من عدة قنوات.. والحمد لله بلادنا وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين جهوده وجهود هذه الدولة واضحة في نصرة إخواننا المسلمين.. وهذا لاشك من منطلق عقيدتنا ومن إيماننا بوجوب التعاون والتآخي والتراحم مع المسلمين.. لذلك دور المملكة العربية السعودية واضح في نصرة إخواننا.. لكن يبقى الجهد المبذول من نفس البوسنة والهرسك في أن يتركز فيها جهاد.. وستأتي معونة الله إليهم.. سيأتي ملائكة يقاتلون معهم.. كذلك التوعية.. توعية المسلمين في المحافل الدولية لنصرة هؤلاء.. أعتقد أن هذا كله من الجهاد أيضاً.. ونستطيع أن نحل هذه القضية عن طريق الجهاد.

* ليس إلا القوة؟

– ليس إلا القوة. . لن يكفي الآن النقاش وتعلمنا من قضية فلسطين أن المحافل الدولية لا تفيد. . لا تفيد أبداً إلا القوة. . ولذلك الله سبحانه وتعالى يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة».

* والرأي العام العالمي متخاذل. . منصرف عن هذه القضية وكأنه يهادن في سبيل تحقيق مطمح الصرب.

– هذه القضية واضحة. . واضحة. . لا تخفى على أحد

* لو اجتمع المسلمون. . يعني. . ليست المملكة وحدها فقط قادرة في الواقع على القيام بهذا الواجب لوحدها ولكن لابد من تضافر الأمة الإسلامية جميعها.

– لابد. . لأن التضامن الإسلامي وتشريع التضامن يقتضي تعاون المسلمين جميعاً. . هناك مواثيق في هذه المؤسسة الإسلامية الكبرى. . وهناك أيضاً جهود تتضافر وتتعاون وتتكاتف كل بما يستطيع. . هكذا المسلمون. . هذا بقوته. . وهذا بعلمه وهذا بتقنيته.

* وهذا بماله؟

– وهذا بماله. . نعم.

* ممكن نستمع إلى جزء من تعبيرك عن هذه المأساة؟

– القصيدة عنوانها مأساة البوسنة والهرسك. أقول فيها:

حكم القضاء ونفذت أقدار ... وتسعّرت بالمسلمين النار
وعلا الصليب على المآذن فاعتلى ... فوق الغثاء الضائعين العار
صبراً سرايفو بأي جريرة ... يغتال شعب مسلم وديار
شنت عليه الصرب حرباً يكتوي ... بلهيبها الفضلاء والأحرار
صبراً سرايفو فكم من إخوة ... في لج ليل في المهالك ساروا
كم طفلة تدمي الفؤاد دموعها ... ويتيمة أودى بها الفجار
وصبية ضمت ضفائر شعرها ... يجتزها. . في قسوة غدار
لم تدر أين تفر. . ممن ساقها ... وغد وأدمى قلبها أشرار
ترنو لمعتصم يجهز جيشه ... يأتي ويغضب للحمى ويغار
صبراً سرايفو فكم من محنة ... تسري بها الأنباء والأخبار
صبوا على المدن العريقة حقدهم ... لهباً وإن حل المساء أغاروا
كم دمروا من منزل واستهزؤوا ... في مسلم وتهدمت أسوار
ومساجد تشكو مظالم أمة ... فجعت بها الصلوات والأذكار

في كل يوم ذلة يسقى بها قومي وجرح نازف وصغار
صبراً سرايفو فشعبك يغتلي الماء ويعصف فوقه الإعصار
والدين يعلو بالجهاد يقوده وإلى إمامته هدى ومنار
لكن جهد المسلمين مضيّع بمبادىء يدعو لها سمسار
ومناصب يعلو بها متبلد يلهو به الكرسي والدينار
أفكارهم فسدت فضلوا دربهم وضلال هذا العالم الأفكار
صبراً سرايفو وكم من أمة هبت يضمد جرحها الإصرار
بعثت كرامتها وأدرك ثأرها بضياغم حملوا السلاح وثاروا
قادوا الجهاد وشمروا عن ساعد يحمى به دين وتحرس دار
بالصبر والتقوى ستحيا أمتي ويعود مجد شامخ وفخار
والبغي مهما طال صرح بنائه لابد من يوم به ينهار
يامجلس الأمن الذي أشبعتنا خطباً فصاحاً كلها استنكار
أوما ترى ذبح الشعوب كأنه ذبح الشياه يسوسها جزار
أوما ترى الصرب الطغاة تنمروا ما ردهم عما جنوه قرار
أوما ترى البوسنة تئن جريحة يسطو على إسلامها الكفار
دول ترى المأساة ملء عيونها فيصدها بغي بها وضرار
يا أمة الإسلام أين رسالة للمسلمين شعارها الإيثار
وأخوة في الله تجمع شملهم بمهاجرين يحوطهم أنصار
وتضامن تعلو به أوطانهم وتناصر تقضى به الأوطار
سر الجهاد وسر كل فضيلة همم من المتطوعين كبار
والليل مهما طال حبل ضلاله يتلوه صبح مشرق ونهار

* دعوة للأمل والتفاؤل إن شاء الله.. صدفة أيضاً أنها من نفس.. تقريباً.. البحر السابق.. البحر البسيط فيما يبدو هذا؟

- نعم.

* مستفعل فاعل مستفل فاعل.. نعم وأيضاً على القافية.. يبدو.. الرائية الأولى استمعنا إليها رائية في مدينة رسول الله.. اللهم صلي على محمد.. والأخرى أيضاً ذات توجه إسلامي حقيقي أيضاً.. رائية.. أعاننا الله جميعاً كمسلمين على التحمل.. مثل هذه القضايا؟

– والله شعور طيب ياأستاذ محمد.. ولو كل مفكر وأديب فكر.. يعني بمثل هذا الاتجاه لكنا استفدنا كثيراً.. لأن الكلمة اليوم سلاح.

* لابد من إيقاظ مشاعر المسلمين جميعاً نحو هذه المأساة.. لأن الذبح في كل ساعة.. دماء تراق في كل ساعة؟

– نرى أنا بحاجة إلى توعية.. أنا أقرأ عن رسائل تأتي من الاتحاد السوفييتي.. من إخوة هناك يطلبون كتباً ويطلبون عن طريق الرئاسة العامة لرعاية الشباب.. يطلبون كتباً في الثقافة العربية.. في الثقافة الإسلامية.. هم بحاجة.. لأنهم أمضوا سنوات طويلة تحت الاستعمار الشيوعي.

* أيام تيتو ويوغسلافيا..؟

– وجهود الدولة ولله الحمد في نشر القرآن.. أيضاً أنا سمعت بشريات كثيرة عندما وصلتهم أول طائرة تحمل المصاحف من المملكة.. كان لها وقع جيد في نفوسهم.

* عوداً على بدء.. ونعود إلى جزء من سيرتك الذاتية.. لو استقبلت من أمرك ما استدبرت لكنت تكون أيضاً هكذا؟

– لو استقبلت من أمري ما استدبرت.. لسرت في نفس الطريق الذي أنا عليه الآن.. وهو إخضاع الكلمة للدعوة.

* شيء عظيم.

– إخضاع الكلمة للدعوة إلى الله.. وهذا لا يمنع من الأدب.. لا يمنع من الشعر.. ولا يمنع من كتابة المقالة.. ولا يمنع من كتابة القصة.. لكن إخضاعها لخدمة عقيدة الأمة وفكر الأمة ومنهج الأمة.. بنفس المنهج الذي رسمه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم.. بالهدوء والدعوة باللين وبالحق وببيان محاسن الإسلام.. أعتقد أن الأمر.. يتطلب جهداً.. أنا قبل أن أبدأ في هذا المشوار في مجال الدعوة.. أمضيت خمس سنوات.. انصرفت إلى كتب الثقافة الإسلامية.. وإلى دراسة المنهج الإسلامي.. والحمد لله تحقق لي ما تمنيت.. وألفت كتاباً باسم (أصول المنهج الإسلامي).. وأحمد الله أني أخضع إنتاجي بقدر.. ولو أنه في الواقع جهد مقصر. والله أعترف بهذا.. لكن أقول أنصح بأن يكون لنا رأي ويكون لنا فكر.. أنصح جميع أصحاب الأقلام والأدباء..

* امتداداً لدعوتك الآن نحو تكوين شخصية مستقلة ذات ملامح مميزة ولها منهج فكري مستقل أيضاً لها حضور هذه الشخصية في الوطن العربي؟

– في الوطن العربي عامة.. والله.. فيه قضايا إنسانية الآن يدعون إليها كقضايا إنسانية لكن قد تكون بجهد فردي.. أما نفس الدول فلا أرى الآن توجهات وأفكاراً وتطلعات.. لا.. لا.. لم تبنَ على العقيدة.. بنفس المنهجية وبنفس الواقع الذي تنتهجه المملكة العربية السعودية ولله الحمد..

فرق كبير.

* لكن كأدباء.. لكن كأدباء.. لنا حضورنا هناك.. في أقطار الوطن العربي..؟

– لاشك أن الكتاب السعودي بدأ يغزو.. في الحقيقة.. وجهد الرئاسة العامة أيضاً في المعارض التي تقام بين فترة وأخرى في أوروبا وفي مصر وفي غيرها من البلاد العربية.. لاشك أنها تسهم في نقل الثقافة ونقل رؤية عن واقعنا.. وأعتقد المملكة العربية السعودية تستطيع عن طريق هذه المعارض.. وعن طريق تسهيل الكتاب وتصديره.. تستطيع أن تسهم أيضاً في هذا المجال.

* هل يعرفون عن أدبنا ما نعرف عن أدبهم في بعض الأقطار العربية؟

– والله إلى حد ما.. إلى حد ما.. لعلنا نحن نعرف الأكثر.. هم يفرضون ثقافتهم عن طريق تسهيل الكتاب وعن طريق اليسر وعن طريق التوزيع المنظم

* والرخص؟

– نعم والرخص.

* الكتاب السعودي ما يزال يعاني من هذه المشكلة.. مشكلة التصدير لغلاء الكتاب السعودي حتى في الداخل فما بالك بالخارج.. هل يمكن تسهيل هذه القضية؟

– والله في تصوري أن هذه القضية عولجت في أكثر من مؤسسة ثقافية ولا يمكن حل هذه القضية إلا بتعاون عدة قنوات وعدة جهات.. دور النشر الكبرى في المملكة العربية السعودية.. الرئاسة العامة لرعاية الشباب.. الجامعات.. الأدباء أنفسهم.. يعني.. تحتاج إلى عدة قنوات تجتمع وتدرس قضية تصدير الكتاب السعودي مثل ما يدرس الآن تصدير المنتجات السعودية والناجحة الآن وتغزو العالم.. أيضاً الكتاب السعودي يجب أن يكون له عن طريق المعونة أيضاً..

* تصديره حتى في الداخل.. حتى في الداخل لابد أن يكون رخيصاً؟

– وكذلك في الداخل.

* ضريبة مثل ضريبة الجمارك على الورق.. هل تعتقد أنها أيضاً تشكل عائقاً في ارتفاع سعر الورق؟

– والله ربما..

* الشحن.. الشحن مثلاً.. الخطوط السعودية يجب أن تعطي تسهيلاً في نقل هذا الكتاب.

– لابد معونة.. لابد من دراسة قضايا تصدير الكتاب وأيضاً طباعة الكتاب.. لأن هذا يعين في تنمية الثقافة في البلد ويعين على فهم حقيقة الواقع الحضاري الذي تعيشه المملكة.. الآن الحضارة ليست جسور ومباني اسمنتية.. فيه ثقافة..

* الحضارة معرفة؟

– أنظر إلى الحضارات السابقة.. تلاشت وانتهت.. لم يبق منها إلا الفكر.. لم يبق منها إلا النتاج الأدبي الحضاري الثقافي الذي يتحدث عن هؤلاء..

* الحضارة في البدء معنى وكلمة؟

– نعم.

* كيف تقيم الواقع الأدبي الآن في المملكة العربية السعودية من خلال المؤسسات الأدبية ومن خلال الصفحات الأدبية؟

– لاشك بأننا أفضل بكثير مما كنا عليه.. تطور الوعي الأدبي وتطور الوعي الثقافي.. الجهد المبذول للرئاسة العامة لرعاية الشباب.. الجهد الذي يبذل من وزارة الإعلام لشراء الكتاب.. الأنشطة المتعددة في كل القنوات.. في الجامعات وفي الأندية الأدبية.. ظهور أدباء جدد.. لكن الحقيقة هناك فجوة بين الجيل الرائد والجيل الصاعد.. أنا ما أستطيع كل ما أحببت أن أترك هذه القضية وجدت أنه لابد من الرجوع إليها.. في الواقع لابد من التقاء الجيل الواعد بالجيل الرائد.. وإلا كيف ينمو لديهم الأدب.. كيف ينمو الفكر.. كيف يستطيعون أن يطوروا الأسلوب والفكرة.. كيف يستفيدون من تجارب الآخرين.. هناك انفصال أو انفصام.

* ربما.. ربما تكون أنت متهماً من قبلهم ياأستاذ عبدالرحمن.. بأنك تقليدي.. كيف تدفع هذه التهمة؟

– التقليدي.. يعني.. لم أنظم قصيدة النثر أنا.. وإلا الحقيقة التقليدي.. لو.. لو.. ننظر إلى حقيقة الأمر.. المقلد هو الذي يقلد الأمم الأخرى ويقلد.. يستورد الأفكار ويستورد الأساليب أما التجديد والتحديث في حد ذاته فهو قضية لا يتخلى عنها أحد.. ليس هناك صاحب عقل ينكر أو يقف موقف المتراجع في قضية التجديد والتحديث.. لكن لا يكون على حساب لغتنا.. ولا يكون على حساب ثوابتنا.. فرق بين الإبداع والابتداع؟

* والابتداع؟

– نعم.. وحتى في المضمون أحياناً.. ولا نريد أن نخصص أو نسمي.. حتى في.. أنا لديّ مجموعات.. الحقيقة.. أقرؤها أول.. يعني.. كيف كيف يصل الفكر إلى هذا يعني.. يقلدون بالفعل حتى في مسخ المضامين.. مضامين ممسوخة.. ما تجد فيها شخصية المسلم ولا شخصية المواطن السعودي.. ما أدري.. بينما في الواقع لو تكون لدينا وجه سعودي ويتحرك في الأدب وفي الثقافة.. ينطلق من ثوابته.. ونجدد ونمارس التحديث والتجديد.. ليس هناك مانع أبداً في الأسلوب.. في الأفكار.. حتى الشعر شعر التفعيلة الآن أصبح يترخص به ومعترف به في الجامعات والمؤسسات.. وهو شعر تفعيلة.. وهو من أحدث ما أتيح.. أما قصيدة النثر.. أما الأفكار

والمضامين التي تظهر فيها الأساليب الصور الباهتة الممسوخة.. أعتقد أننا لا نقبلها.. لا نقبلها لأنفسنا ولا نقبلها لبلدنا.

* نعم.. جميل جداً.. بالنسبة للرواية والقصة ياأستاذ عبدالرحمن تقرأ فيهما؟

- والله كنت أقرأ سابقاً عندما كنت شاباً.. كنت أقرأ روايات الهلال وأقرأ لبعض القصاصين العرب.. نعم.. لكن في الواقع الآن والله لا أقرأ القصة.

* والقصة السعودية؟

- القصة السعودية.. أسمع كثيراً عنها. أقرأ ولكن لم أتعرف على.. شخصيات القصة وما يدور فيها وإن هذا ليس من تخصصي في الواقع.. ولكن كفن أدبي يتذوقه الإنسان.. لاشك أنها قضية.. يعني.. تتعلق بالأدب.. الأدب هو علوم اللغة العربية.. الأدبي المنسوب إلى الأدب وحينما ينتسب الإنسان إلى الأدب فلابد أن يعرف علوم الأدب.. وعلوم الأدب هي اللغة والإنشاء والمحاضرات والبديع والبيان والنحو.. كاتب القصة يحتاج إلى هذه.

* كل المعارف؟

- كلها يدخل في نطاق الأدب.

* حضورك الثقافي والأدبي في الصحافة الأدبية يبدو قليلاً أحياناً.. لماذا تغيب؟ ككاتب مقالة؟

- والله أنا كنت في بداية حياتي.. أكتب المقالة.. وكتبتها في الإشعاع وفي أخبار الظهران.. في افتتاحيات عدة مرات.. وفي جريدة اليوم أكثر من مرة وأكثر من تخصص لكن أنا منصرف للمحاضرات.. منصرف للثقافة الإسلامية.. منصرف للشعر.. منصرف للبحث العلمي الأكاديمي وهو إصدار موسوعة جغرافية كنت أفكر فيها.. ويعني.. أبشرك الآن صدرت وانتهت في خمسة أجزاء.. صدر الجزء الأول والثاني وهناك ثلاثة أجزاء.. تتناول ثلث جغرافية المملكة العربية السعودية التي هي جغرافية المنطقة الشرقية.

* الخمسة أجزاء كلها من عملك.. أم ساعدك أحد؟

- نعم.. نعم.. كلها.

* سلسلة؟

- لكن الذي صدر الآن جزءان.. يتناول جميع المواقع والمياه والأمكنة والجبال.. وطبعه النادي الأدبي.. لأنه أحد المشاريع في النادي وأيضاً.. يعني.. هذا التنوع لم يتح لي الفرصة بالارتباط في كتابة مقالة.. لأنني أؤدي عن طريق المنبر وعن طريق التأليف نفس ما يطلب منا.

* كصدى.. بالنسبة للنادي.. صدى النادي في الصحافة الأدبية.. كيف تجد هذا الصدى؟

- والله ياأحبابي.. ياأخي.. الواقع أننا نشكو أحياناً من عدم متابعة إنتاجنا في النادي.. نحن

ندعو كبار أساتذة الجامعات.. ونناقش كباراً.. يعني.. أهم القضايا التي تهم الأمة.. سواء في حياتنا الاجتماعية أو الثقافية أو العلمية.. تحدثنا وتناولنا قضايا التعريب اللغة العربية... تناولنا قضايا أخرى كثيرة ومهمة.. قضايا الطفولة وأدب الطفل.. وكان يشارك فيه عدد من الإخوة في النادي ومن جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ومن جامعة الملك فيصل.. شاركنا أيضاً في مناسبات متعددة.. انسجاماً مع المناسبات التي تقيمها الدولة.. مثل مكافحة الإيدز ومثل يعني.. عدة قضايا.. لكن لا تجد لها صدى الصحافة هي سندوتش أو يسمونها سندوتش.. مقالات خفيفة وحاجات خفيفة أعتقد.. لكنهم لا يبخلون علينا.. ينشرون أحياناً أخبار.. وينشرون.. لكن

* لماذا لا تلخص المحاضرة لهم مثلاً؟

– لو طلبوا مني..

* هذه وظيفة المحرر؟

– لخصنا المحاضرات لهم.. ولخصنا الإنتاج.. يعني.. تقام الأمسية الشعرية.. يلقى فيها سبع قصائد.. ثمان قصائد.. عشر قصائد.. ما ينشر واحدة منها.. وهي بلغة عربية سليمة ومفهومة.. و.. يعني..

* طيب جريدة اليوم فيها ملحق أدبي.. لماذا ما يتولى مثلاً هذه الأشياء؟

– والله الملحق الأدبي مع الأسف.. هم طيبون لكن الذي يشرف عليه.. إنت تعرف.. أصحاب قصيدة النثر ولكن في الواقع هم لا يعارضون إذا طلبنا نشر بعض الأشياء أو بعض الأفكار أو بعض الأخبار لكن لو حصل تعاون بين النادي وبين الجريدة في أن يكون لنا مخصص.. يعني.. صفحة أسبوعية لكان هذا جيد جداً.. صفحة نكتب فيها إنتاج النادي وما يذكر و.. المحاضرات ونسهم معهم ونمدهم أيضاً بـ.. عندنا الباحث الأدبي يستطيع أن يعين لكن.. يعني.. لم نجد لديهم الحماس.. المفروض أن هذه البادرة يجب تبدأ منهم.

* ربما مستقبلاً.. إن شاء الله.. نود أن نختم اللقاء بقصيدة تختارها.. ماذا تود أن تسمعنا؟

– والله كما تشاء.. يعني..

* إذا كان شيء من ذاكرتك.. إذا كنت تحفظ شيئاً من شعرك؟

– نعم والله قليل.. الحقيقة.. أنا لا أحفظ كثيراً.. هنا قصيدة عن أبها.. تجمع بين العاطفة وحب الطبيعة.. والوفاء وبعض الإخوة..

إلى آخره..

ودعت أبها وطاقات الرياحين ... وهاتف الشعر أغريه ويغريني

عهدته جامح الإنجاز أطلبه ... وهاهو اليوم في أبها يناجيني

ياقلب غردوهات الشعر في وله فالحسن يأسرني والشعر يسبيني
الحسن يبدو جلياً في مشاهدها والشعر نسكبه ملء العناوين
ودعت أبها وكم رفت نسائمها يامرحباً ألف جاءتني تحييني
فقلت ماذا سأهديها وأمنحها التمر من هجر أم مسك دارين
أم باقة من رياض الشعر صادقة وصادق الشعر من أقوى البراهين
فقلت أمنحها شعري أبوح به مجنح الشوق يرضيها ويرضيني
ودعت أبها وأنداء ورابية تموج بالعطر في طاقات نسرين
ودعت سودتها الخضراء حالمة ضبابها برداء الشعر يكسوني
والروض يعبق في القرعاء يغمرني عبيره فهو يدنيني ويقصيني
ودعت دلفان ينساب الغدير به ثراً وتعبق أغصان الرياحين
ودعت أبها وكم رفت خمائلها والغيم يهدي لها أبهى التلاوين
ودعت فيها غروب الشمس في شفق يعانق القمم النشوى ويرويني
حتى إذا ملأت صدري ببهجتها وبت بالشعر أشجيها وتشجيني
ثبث رسالة حب من مفاتنها والحب يجري ندياً في الشرايين

*القصيدة جميلة.. وصفية

في ختام هذا اللقاء.. أود أن تبعث برسائل تلكسية مباشرة على الهواء إلى بعض الجهات أو بعض الظواهر.. ظاهرة الغموض.. والرمز في الشعر.. هل تود أن تقول كلمة.. كلمتين لهم؟

– والله أقول يجب أن نصون أدبنا عن هذه التوجهات حتى نبني لنا شخصية في الأدب تقوم على الوضوح وتقوم على الرؤية وتقوم على المنهجية وتقوم على ثوابتنا وعلى لغتنا.. أرجوكم أن تحسبوا ألف حساب قبل نشر مثل هذا الإنتاج الذي لا يفيد ولا يغني.

* ابنك.. ماذا تود أن تقول له؟

– اتق الله وحافظ على مستقبلك

* ولو اختار طريقاً آخر غير الأدب.. هل تحبذ ذلك؟

– والله له ما يشاء.. له ما يشاء.. وأكبرهم سناً اختار الاقتصاد.. خريج اقتصاد.

* طيب ثمة كتاب سعوديون يرصدون كثيراً من نتاجهم في أدراجهم دون عون أو مساعدة من أحد ماذا تود أن تقول لهم؟

– والله لابد من مساعدة الأديب.. لابد من التعاون في نشر ثقافتنا بجهد من الأندية ومن

الرئاسة ومن وزارة الإعلام.. لابد.. ووزارة الثقافة التي تكلمنا عنها قبل قليل.. تستطيع أن تسهم في تنمية الثقافة وفي مساعدة الأدباء والكتاب الذين لديهم إنتاج ويعوزهم التشجيع المادي خاصة.. وإلا المعنوي ربما يكون إنتاجهم جيداً.. لكن القضية الآن تحتاج إلى معونة في هذا الإنتاج.

* وفي الختام عناية التلفزيون بالأدب؟

- والله التلفاز.. ما أعرف.. الاهتمامات قليلة في الواقع.. لم تكن.. في تصوري.. واضحة.. لم تكن واضحة.. أعتقد أن التلفاز يستطيع أن يؤدي الكثير إذا عني بالمحاضرات التي تلقى في الأندية وبعض المراكز الثقافية بدلاً من هذه المسلسلات التي.. يعني.. لا أقول وزارة الإعلام.. لها رأيها.. لكن بالطبع محاضرة ونقاش علمي ومداخلات ومحاورات سيستفيد منها الجمهور وسيستفيد منها المواطن السعودي أكثر بكثير من المسلسل.

شكراً لأديبنا وشاعرنا الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالكريم العُبيِّد رئيس النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.. والباحث والأديب المعروف.. داعين له بالتوفيق والصحة والعافية إن شاء الله في كل خطواته العلمية والعملية.. شكراً لك..

عثمان بن سيار المحارب

هذا الشاعر المحلق في رومانسية شفافة، يسرف في أحلام الغد... يزرعها بين أشطر قصائده... وينثرها على خطى كلماته.. لا يلمس في وجه السماء غير قسمات الجمال، وعذابات الوجد.. تغني بـ(ليلى) حتى ثملت قوافيه.. ونام بعد ذلك ينتظر الموعد الذي لا يجيء. عثمان بن سيار.. نقرأ له فنحسب أن ثمة دفئاً لازال يدفعه إلى أن يقول، ويخاطب الكون.. ويحرك النسمات... وحين تحضر ذاكرة الوطن نجده يجسد الحب والأمل والوفاء في هذا التراب.. يذر حياته على جراحه... فتعود مندملة باسمة... ويمد ذراعه ليحتوي كل أرجاء الوطن الكبير .. فيتودد.. يبكي.. يستقبل نسيم الرجاء... هو واحد من قافلة بدأت مجتمعة.. لكنها انتهت متوزعة على أكثر من مسؤولية.. يتذكر .... ويتحدث عن الشعر.

– يمكن أن أقول .. إن ذلك بدأ معي في المدرسة الابتدائية، كان لنا أستاذ يدرسنا مادة الإنشاء هو المرحوم الشاعر محمد بن مقحم، وكان يمتاز بخفة الظل وحسن العشرة، ويحضنا دائما على قراءة الشعر ونثره، ومن الطرائف التي تدل على مدى ظرفه أنه أعطانا موضوعاً شيقاً .. قال على كل منكم أن ينظم أسماء زملائه.. فكانت ورطة لنا جميعاً. بالنسبة لي مكثت يومين، وكأني أعاني من ألم أضراس!! حتى استطعت أن أنظم محمد .. أحمد.... إلخ، وبعد ذلك وقع في يدي كتاب (مجهورات الأدب) فقرأت القسم الأخير منه، وحفظت الكثير منه، خاصة القصائد التي لها جرس قوي، ثم انتقلت إلى دار التوحيد، فأقمنا هناك نادياً أدبياً، وألقيت فيه أول قصيدة. ولقيت من التشجيع ما دفعني إلى أن أسعى في هذا الطريق، وخاصة من الزميل الشيخ عبدالله بن خميس. وبعد ذلك، مشيت بخطى وئيدة، إلى قبل ٢٠ سنة أبى الشعر فيها إلا أن يفرض نفسه!

القصيدة أشكالها المختلفة

* مذهبك في الشعر؟

– فيما أقوله .. يعرف عني أني محافظ أي ملتزم بالشعر العمودي (وحدة البيت في القصيدة) لي قصائد نشرت لا تعتمد على هذا، وإنما تعتمد على وحدة التفعيلة.. أقرأ كل ما يقوله الشعراء... وأضع خطأ تحت كلمة (الشعراء) لأنه ليس كل ما كتب يكون شعراً.. وأوجز فأردد.

فالمهم هو انفعالي بهذا الشعر، بغض النظر عن قالبه، سواء كان عمودياً أو غير ذلك، فأنا أعجب بشعر نزار قباني، وغازي القصيبي، وشعر السياب، وكثير من الشعراء، الذين لا يلتزمون دائماً بوحدة البيت. أما ما ينشر في بعض الأحيان من كلام من هنا وهناك لا تستطيع أن تقول إنه شعر

إلا إذا كتب تحت العنوان (شعر)..!! وحتى هذه الكلمة لا تعطيه جواز مرور إلى دنيا الشعر... فهو نثر قطعت أوصاله.. وأحياناً يكون نثراً رديئاً.

القصيدة الحديثة

* مفهوم القصيدة الحديثة؟

- كلمة (حديثة) لا تعطي ميزة القصيدة تعطيها هوية فقط... أي أنها ولدت في هذا العصر فقد تكون القصيدة حديثة بهذا المعنى، ومع ذلك فهي في شاعريتها رديئة وليس من حقي أن أرفض أي شكل من أشكال القصيدة... ولكنني لا أميل إليه. لأن ذلك الشاعر الذي قال قصيدة النثر لا شك أنه كان منفعلاً بها كما انفعلت أنا بقصيدتي التقليدية... ولكن لأسباب لم يقولبها كما أريد أنا.

القصيدة لا ترضي الرغبات..!!

* قصيدتك هل استطاعت أن تستوعب همومك؟

- يقال في كثير من المناسبات و بل في العالم كله إن العصر ليس عصر الشعر... وهذا القول له نصيب من الصحة، فالشعر الآن هو أقل الفنون الأدبية رواجاً سواء في المملكة العربية السعودية، أو البلاد الأخرى.. ومن هنا فإني أرى أنه ليس مطلوباً معه وهو في هذه الحالة أن يحمل هموم الشباب ومشكلاتهم ولكن أرى أن الشعر السعودي بشتى ألوانه هو نبع من هذه البيئة، متأثر كل التأثر بما يجرى حوله، ومن ذلك هموم الشباب ومطامحهم.

الشعر الشعبي

* هل تتوقع أن يستمر على هذا التصاعد؟

- الشعر الشعبي نوعان: نوع يطلق عليه الشعر النبطي، وهذا أعتقد أنه سيستمر لأنه عميق الجذور، وخاصة في منطقتنا هذه، فهو في وقت من الأوقات كان سيد الساحة.. وسيستمر.. لماذا؟ لأننا نجد بعض حاملي المؤهلات العليا من شعراء القصص يقولون هذا الشعر وبشكل جيد جداً.

- الشعر الشعبي الحديث الذي لا يلتزم بقوالب الشعر النبطي المعروفة. ويقال بألفاظ اللغة الدارجة في عصرنا الحاضر، ويميل إلى الغنائية فهذا النوع من الشعر أتوقع له الاضمحلال مع تطور التعليم وانتشاره وأعتقد أن ذيوع هذه الألوان من الشعر الشعبي أمر طبيعي، ، لأنه نابع من بيئتنا، وتميل إلى جيدة بغض النظر عن رأينا فيه.

أين هي العصا السحرية؟

* كيف ترى مسار الحركة الأدبية؟

- أرى أن الحركة الأدبية في فترة العصر التي عشتها حتى الآن أنها كانت في الماضي في الخمسينيات والستينيات وأوائل السبعينيات الهجرية كانت نشطة، وتستقطب الكثير من الناس...

ولأضرب لذلك مثلاً، وهو أنه كان عندما يقام ناد أدبي يتقاطب الناس إليه أفواجاً بدون أن يدعوا إليه ليستمعوا إلى كلمات وقصائد. ويروا بعض التمثيليات ونحوها، ثم إن ذلك الاحتفال بما ينشر بفنون الأدب في الصحافة الفنية، فتجده في ذلك الوقت مدار نقاش في كل مكان يوجد به بعض المتعلمين، أما الآن فيبدو الركود على الحركة الأدبية وأقولها غير متأثر بآراء الآخرين ولكن أين هي العصا السحرية التي يمكن أن تحركها؟ لا أدري من أين نأتي بتلك العصا.. فحتى التشجيع المادي لم يستطع أن ينهض بها. ربما لأن المناخ العام لا يسمح بأكثر مما هو كائن.

طموحي القومي

*** يبدو من خلال شعرك صدق إحساسك الوطني... ماهو تصورك لدور الشاعر قومياً؟**

– كل إنسان في شبابه يكون له توجهات، وتكون حرارة التفكير متدفقة وفي شبابي عاصرت مخاض ولادة الفكر القومي العربي، وما دعا إليه من وجود الاستعمار ثم الاستقلال واحتلال فلسطين... وغير ذلك وكل هذا تأثرت به فكانت لي في هذا المجال قصائد تدعو إلى الوحدة والتضامن العربي... وتتطلع إلى ذلك اليوم الذي يصبح فيه العرب أمة واحدة شكلاً ومضموناً... وأذكر من ذلك قصيدة قلتها في فترة يأس وفي حالة نفسية معينة، مطلعها:

اعبسي ما شئت أو فابتسمي	أنا من حسنك يا هند عم
راعني حاضر قومي فاغربي	عن حمى قلب شجي معتم
لم تعد تأسره حمر الشفاه	ولا سحر العيون النّوم
لذ في السهد كأني موجع	في الدجا يرغب مسرى الأنجم

ومنها:

آن أن ننفض عن أجفاننا	سنة الشك وسحب الوهم
آن أن نفصح عن آلامنا	أي جدوى للأنين المبهم
جرحنا الراعف لا تلأمه	عزة في أمسنا المنصرم
والكفاح الحق لن تقهره	قوة في الأرض مهما تظلم
فانطلق يحدوك عزم صارم	نهضة الأوطان أسمى مغنم
لكأني بك قد أحللتها	في الغد الباسم عليا القمم
وتهادى الحرب في أفيائها	تنقذ الدنيا بروح المسلم

وكنت على ما يبدو متأثراً في هذه القصيدة بقصيدة الشاعر الكبير عمر أبي ريشة التي يقول مطلعها:

أمتي هل لك بين الأمم	منبر للسيف أو للقلم

وظل هذا الشعور ملازماً لي كعربي مسلم فكنت في المناسبات أشارك في مثل الحروب العربية ضد إسرائيل وكذلك في المناسبات الوطنية.

الصحافة الأدبية

* النوادي الأدبية والصحافة الأدبية أين يقعان في مسار الوعي الثقافي؟

– النوادي الأدبية لم تهتد إلى الطريق السليم لتحريك الحياة الأدبية وتطويرها فحصرت همها في نشر بعض الكتيبات وهذا عمل مشكور على كل حال. الصحافة الأدبية هي الباقية في الساحة، وحسبها ما تقوم به من تشجيع للبراعم الجديدة فلربما وجدنا في المستقبل من بين هذه البراعم غصوناً حافلة بأشهى الثمار إن شاء الله.. فقد غاب عن الساحة وللأسف مَن من الممكن أن يكتشفوا المواهب، ولم يبق إلا هذه الصحافة الأدبية في الجرائد السيارة التي بواسطتها يمكن أن تكتشف تلك المواهب، وتلقى التشجيع والمؤازرة.

هذا ليس من شأني

* في ملاحقتك للأحلام، وتغنيك بالعذابات اللذيذة تصل إلى رقة الرومانسيين وشفافيتهم؟ هل أنت كذلك؟

– كشاعر.. لا استطيع بالدقة أن أحدد مدى تأثري بهذا المذهب أو بهذا الشاعر أو ذاك... هذه مهمة الناقد. ولكنني دون شك تأثرت والتأثر بكل ما أقرأ من جيد الشعر، ولا أعتقد أن هناك شاعراً لم يتأثر في غيره، تأثرت بالشعر القديم وبالشعر الحديث، وقرأت كثيراً من الشعر، وتأثرت به، ولكن رصد مسار هذا التأثير ومداه تلك هي مهمة الناقد الأدبي.

أين النقد؟

* وكيف هو النقد الآن؟

– الحركة النقدية في بلادنا الآن كأمها الحركة الأدبية، وإن وجد بعض من يتصدون للنقد فهو نقد من السطح، لا يتعمق النص الأدبي، وإنما يتبع مساره بشكل مباشر، وربما لعدم وجود النقاد المتخصصين الذين يجعلون شغلهم الشاغل النقد.

المذاقات تختلف

* هل تتوقع للقصيدة الحديثة الرواج؟

– أتوقع أن يكون لها عشاق ومحبون، لأن المجتمع ليس باللون، وليس بالذوق الواحد، وحبذا لو اقتصر تشجيع النشر في هذا المجال على الأنواع الجيدة حتى لا ندخل إلى الساحة إلا من يستحق ذلك بحق.

أنا معجب بهؤلاء

* ترى من لفت نظرك من الشعراء الشباب؟

- اعجب كثيراً بالشاعر (مسافر) عبدالكريم العودة، حمد العسعوس.

* ومن تتذكر من زملائك؟

- الشاعر المرحوم أحمد بن سليمان المنصور.. كان شاعراً بحق، ولكنه لم يحتف بهذه الموهبة، وظل على هذا المنوال رغم مطالبتي له أن يسفر عن وجهه في هذا المجال حتى توفاه الله. وكذلك من زملائي سعد بن معطي كان يقول الشعر، وكنت أتوقع له مستقبلاً في هذا المجال ولكنه هجر الشعر، وكذلك الشيخ عبدالله الفالح كان فلتة في كل شيء.. وعلى الأخص في النقد والشعر والكتابة النثرية، إلا أنه أصيب بعارض نفسي فانصرف عن الأدب.

هذا ما لدي!

* ماهي إصداراتك؟

- صدر لي (ترانيم واله) قبل سنوات.. ولدي تحت الطبع (إنه الحب) على غرار الديوان الأول... كما لدي تحت الإعداد ديوان بعنوان (خمسة أبيات) يتضمن مجموعة خماسيات... كنت قد نشرتها في جريدة الجزيرة. وديوان يشتمل على قصائد المناسبات الوطنية والقومية، وهذا لم أختر له اسماً بعد.

عـــــزيز ضياء

أديب كبيـر من أدباء هذه البلاد.. ومفكر.. وباحث قدم للأدب خدمة جليلة وللصحافة الأدبية خدمة طيبة، نحن ضيوف في منزل الأستاذ الأديب عزيز ضياء... فباسمكم جميعاً أرحب بضيفنا الكريم... ونحن الآن في ضيافته فماذا سيقدم لنا... مرحباً بك

- مرحباً بك أستاذ أهلاً وسهلاً.

* أهلاً وسهلاً بك.

* نحن الآن في المكتبة... وهذه المكتبة.. ماشاء الله.. زاخرة بالعديد من كتب الأدب والثقافة والفكر والتاريخ والسياسة... وهي كتب في الواقع.. أصبحت... بعضها نادر... لكنك اعتنيت بها وجلّدتها تجليداً فخماً فنحن نغبطك على هذه المكتبة العظيمة.. أنا شخصياً أتحدث عن نفسي.

- شكراً لك

* لأنني أراها مكتبة وكنزاً كبيراً لمن يملكها حقيقة.

- شكراً لك

* بدءاً.. يعني... نحن في هذه المكتبة أيضاً نقدم العديد من إصداراتك التي طبعتها أو طبعت بعضها ولكنك لم تطبع العدد الكبير الذي لازال في الأدراج.

- فعلاً

* نعم.. نحن يمكن أن نشير في الواقع إلى ثلاثة أو أربعة من التي طبعت.. ولكنني أعرف منك وأعرف أيضاً من خلال سيرتك الثقافية والأدبية أنك تضم بين جنبات هذه المكتبة عديداً من المخطوطات التي تنتظر النشر... والذي أعلم أنك ترجمت أيضاً من الإنجليزية إلى العربية عديداً من هذه الكتب.

- أي نعم

* فيا ترى لو ذكرّنا ببعض هذه المترجمات... بالإضافة إلى ماكتبته.

- أي نعم... يعني.. أذكرّك ببعض ماترجمت؟

*نعم.. ببعض ما كتبت وما نشر لك إلى الآن... بالإضافة إلى ماترجمته؟

- ما نشر لي أظن هو أربعة أو خمسة كتب... غامرت بنشرها أو طباعتها مؤسسة تهامة.. بزعم أو بظن أنها يمكن أن تلقى ما تستحق في تقديرها من رواج... وهي ستة كتب ظهرت على التوالي منها (ماما زبيدة) وهي مجموعة قصص قصيرة... ومنها (قصص من سومرست موم)

الكاتب الإنجليزي المعروف وما صرح بنشره منها عدد قليل وهو الذي طبع.. بينما هي في الواقع أكثر من ذلك... ثم كتاب آخر ترجمته عن موظف ماكنت أعرف أنه موظف في المملكة... نسيت اسمه الآن.. ولكنه (عهد الصبا في البادية).. وترجمته عن الإنجليزية... جسي كازن.. إسم الرجل أو شيء من هذا القبيل... علمت فيما بعد أنه موظف في المملكة... موجود هنا هو تكلم معي تلفونياً... قال لي أنا الآن أجلس مع ابنتي.. وقد قرأت ترجمتك لكتابي فتقول إنها... الترجمة أفضل كثيراً مما كتبت أنا.

* يا سلام

- شكرته على ذلك.. هذا كتاب... ثم ترجمت لرابندرات طاغور.. وهو الكاتب الهندي المشهور... الكاتب الفيلسوف والموسيقار... ومن القلائل الذين جمعوا الكثير.. يعني كان موسيقاراً وكان كاتباً فيلسوفاً ومفكراً فأنا اخترت له جملة قصص.. هي كتبت بالبنجالية في أساسها.. ثم وجد من ترجمها للإنجليزية.. فأنا قرأتها من الإنجليزية وترجمتها من الإنجليزية.. وهي قصص يغلب عليها العنصر الرومانسي أو البعيد عن.. البعيد عن الواقعية.. الواقعية الشرسة كما ينبغي أن أسميها.. وأعني بذلك الواقعية المفتوحة والتي لا تتوقف عند حدود... كان طاغور يتوقف عند هذه الحدود كثيراً.. فترجمت.. أظن.. (قصص من طاغور) أو... وثم ترجمت كتاباً آخر... أعتقد أنه أهم بالنسبة لتقديري وليس لتقدير القراء... وهو (عام ١٩٨٤ في العالم).. وهذا الكاتب إنجليزي إسمه جورج أورويل.. سبق هذا الكتاب أن كتب ما يسمى... ما سماه مزرعة الحيوان... ومزرعة الحيوان عبارة عن صراع متوهم لمجموعة من الحيوانات اعتنقت فكرة... أن يكون لها كيان... وهذا الكيان اشتراكي أو شيوعي... فتجد في القصة طرائف عجيبة جداً.. للحصان دور.. ولغيره دور... وصاحب المزرعة نفسه إضطر في النهاية أن يهرب من المزرعة لأن الحيوانات كلها تجمهرت عليه... هذا كتاب مزرعة الحيوان... أنا قرأته ولم أترجمه.. ولكنني اعتزمت أن أضع له سيناريو وأن أخرجه تمثيل... تليفزيونياً.. ولكن عاقني عن ذلك الحاجة إلى منتج غيري أنا.. يقدر أن هذا العمل يستحق... وهو كذلك يعني.. ضد الشيوعية وضد العالم في ذلك الوقت أما الكتاب الذي ترجمته.. هو لجورج اورويل هذا بعنوان ١٩٨٤. ويعني العالم في ١٩٨٤ وهي قصة رائعة جداً.. وأعجبني مدير المطبوعات في الإعلام... الذي يوافق على نشره وطباعته بالرغم من أن فيه ماكان يمكن أن يعترض عليه... وبهذه المناسبة أرجو أن تذكرني باسم المسؤول عن المطبوعات.

* الأستاذ محمد الخضير

- لا.

* وكيل الوزارة المساعد للإعلام الداخلي الأستاذ عبدالرحمن الراشد.

- الراشد كان هذا الكتاب.. أنا أودعته في جدة هنا للمسؤولين عن الرقابة.. فظل ما يقرب من ستة أشهر أو أكثر.. لا جواب... ثم قالوا إنهم أرسلوه إلى الرياض.. فإذا بالأستاذ الراشد جزاه الله خيراً يتلفن ويبدي شيئاً من الإعجاب بالكتاب ويقول: يجيك الآن الكتاب واطبعه.

* شيء جميل

- وبالفعل طبعته.. وكان الغلاف من تصميم ابني ضياء عزيز ضياء.. وفي هذا الكتاب كتبت فيه مقدمة بقلمي أنا.. لا علاقة لها بالقصة... وأحسست من الأستاذ الراشد أنه معجب بالمقدمة أيضاً... فإذا أتيحت.. تاحت لك الظروف أن تقرأ الكتاب أرجو أن تعنى بقراءة المقدمة، ثم ترجمت عدداً من قصص الأطفال لا أذكر كم.. لعلها عشرة.. أو أحد عشر كتاباً.

* نعم... لكن الملاحظ أنك تعتمد في مؤلفاتك الآن على الترجمة... الذي تكتبه فعلاً.. ككتابة إبداعية قليل.. لماذا ياترى؟

- هو... الإبداعية.. ينبغي أن نتفاهم... ماذا تعني بها أنت... وماذا يعني بها الناس.. وماذا أفهم منها أنا.

* أي أنا أتمني الذي تبدعه أنت.. سواءً كان ذلك الإبداع على شكل مقالي أو قصة تكتبها أنت

- نعم

* فالذي تكتبه ماسوى ماما زبيدة كان مترجماً.. لماذا يعني.. أين مقالاتك الكثيرة؟ والتي لو جمعتها لحوت مجلدات كثيرة جداً... وأين مثلاً إبداعاتك الخاصة القريبة من الشعر.. كنت تكتب شيئاً قريباً من الشعر.. كخاطرة أو نثر مشعور؟

- أي نعم... هذا الذي تتحدث عنه.. كثير جداً... وخطر لي أحياناً أني أجمعها... يعني.. أفند... أويعني أصل بين هذا العدد الكبير من المقالات... ووجدت أن.. اجتمع عندي مالايقل عن عشرين أو خمس وعشرين كتاباً بعناوين مختلفة.. وعندما جربت الطباعة عند... عند تهامة.. وقيل لي مع الأسف إن بعض هذه الكتب ظل في مخازن تهامة... لم يبع ولم ينشر.. وأن أطبع هذا على حسابي كله.. يكلفني مليونين أو ثلاثة ملايين ريال على الأقل... وأنا لست هذا الثري الذي يستطيع أن يضحي بمثل هذا المبلغ، فهذه الكتب موجودة ونائمة... وستظل نائمة إلى أن يشاء الله.

* جميل... بالنسبة لمقالاتك العديدة... أنا قرأت لك مقالات عديدة جداً... وبعضها أدبي بحت... وبعضها يختص بالنقد... وبعضها شيء يشبه الذاتي أو قريب من هذا.. في صوت الحجاز... ومن قبل ذلك... في أم القرى.. وفي البلاد السعودية... وفي عديد من الصحف... أعتقد أنك تظلم نفسك يا أستاذ عزيز حينما.. يعني.. تجحف في حق ذاتك بحجب

هذا العدد الكبير من المقالات النقدية والأدبية والذاتية عن القراء فلوا اختصرت هذا العدد الكبير حتى في كتاب أو كتابين على الأقل كمرحلة أولى ثم تتابع إصدار ما تبقى؟

– هو ذا يترتب عليه أن أكون أنا مهتماً وعندي اهتمام بأن يقرأ هذا . . . أو بأن يعاد نشره في كتب . . . أنا فقدت هذا الاهتمام . . هذا . . . هذه الكمية من الكتب أو المقالات باقية في الأدراج وستظل باقية في الأدراج إلى . . . إلى ما شاء الله.

* كأن هذا فقط يخص الباحثين عن الأدب السعودي . . الباحث الذي ينقب عما كتبت أو ماكتب نظراؤك في تلك المرحلة بالذات من تطور الأدب السعودي والمرحلة المقالية المهمة . . يعني كأن الباحث هو الذي سيعنى بجمع وانتخاب هذه الأنواع من المقالات ودراستها . . . كما فعل بعض الباحثين . . . . وهذا عمل شاق حقيقة . . للباحث؟

– هو الموضوع أني عندما أردت طباعة (حياتي مع الجوع والحب والحرب) وهو أقرب مايكون إلى سيرة ذاتية مكتوبة بأسلوب روائي . . لأن فيه الحوار . . وفيه عناصر الرواية . . . كلفني مبلغاً كبيراً طائلاً . . . وهذا المبلغ الكبير لعلي استطعت أن أضحي به إرضاءً لأبنائي ومن هم حولي من الأقارب الذين ألحوا عليّ في أن أطبع هذا الكتاب فطبعته في مطابع البلاد . . أظن بعناية الدكتور عبدالله مناع . . ومن ذلك أخذت حسابي فيما يمكن أن أقبل عليه من طباعة الكتب الأخرى . . . . ومايمكن يكلفني كل كتاب . . . لعلك تعلم أو سمعت أني اعتزمت طباعة مايسمى أو ما سميناه (إلى أبناء الرافدين) في الأزمة التي مرت بنا . . . وزارة الإعلام وافقت . . . وأنا أنتظر مراجعته كما قيل لي مرة أخرى . . . واتفقت مع مطابع البلاد التي يرأسها الأخ عبدالله مناع على طباعته . . . فوجد أنه يكلفني كذلك مبلغاً طائلاً . . . ولكن لا بأس أن أضحي بهذا المبلغ وأعتقد أنه سيجد شيئاً من الرواج . . . ربما أكثر من الرواج الذي تجده قصة حياتي مع الجوع والحب والحرب.

* هل يعني . . سيكون هناك أجزاء لاحقة في قصة الحياة . . . أستاذ عزيز ضياء؟

– هذه . . . سيكون فيها الآن هو الجزء الأول والثاني ويغطي مرحلة طفولتي إلى نهاية عهد الطفولة . . يعني قبيل . . قبل المراهقة . . ولكن الجزء الثالث والرابع سيتناول حياتي في الشباب . . في أيام الشباب . . . عندما كنت موظفاً في الشرطة مثلاً . . . وهناك قصص كثيرة مرت بنا . . . ثم ما بعد ذلك في عهد الرجولة والمعاناة والانطلاق في الحياة بالنسبة للأدب والشعر والفن وكذلك بالنسبة للحياة العملية بكل مفاجآتها الكثيرة التي لا تعلم منها شيئاً ولكن هناك من يعلمون.

* أستاذ عزيز . . . مكتبتك ما شاء الله مليئة بالكتب وعلى اختلاف الاهتمامات . . فيها جزء كبير من الكتب ذات المنحى الديني والفقهي كما رأيت؟

– أي نعم

* وكثير منها أيضاً ذات منحى تاريخي بالإضافة إلى كتب الأدب والكتب الإبداعية في القصة والشعر ولكن وجدت لديك أيضاً اهتماماً بالنواحي الفنية... فلديك أكثر من لوحة معلقة... هل هذا يعني مزاحمة من الابن الأستاذ أيضاً ضياء... يعني... هو الذي أيضاً ألح عليك بشيء من هذا أم أن لديك اهتماماً قبل ضياء؟

- هو في الواقع أننا أسرة تتعشق الفن وربما كانت هذه الكلمة كبيرة أو تستكثر علينا... لكن في الواقع هي كذا.... على سبيل المثال.. أم ضياء زوجتي كانت هي التي تقدم برنامج الأطفال لعدة سنوات وكان اهتمامها بنواحي فنية كثيرة جداً بالميكرفون والكتابة،،، والفن كذلك تعرف منه شيئاً كثيراً... أما إبني ضياء فقد تعشق الفن منذ... منذ كان في الثامنة من عمره... ولا أنسى أنه طلب مني أن يتعلم العزف على العود فجئته بمدرس واشتريت له عوداً... واستطاع بعد شهرين أن يعزف بمهارة... ولعل الإذاعة كذلك سجلت له بعض الأغاني منها.... النوري النوري... إن كنت سمعت بالنوري... ومنها أنا بدي أصير طيار.

* معروفة.

- وإلى آخره... وأبنائي الآخرون... يعني عندي بنتان أخريان تجهز إحداهن الآن تجهز نفسها للبكالوريوس في اللغة الفرنسية والأخرى كذلك لا أذكر ماذا تجهز نفسها في الجامعة... ولكن حاسة الفن مثلاً كل منهن أو منهم يعني على الأقل بأن ترسم زهرة بأن تتعشق لحناً معيناً... موسيقى معينة.... إلى آخره فنحن أسرة تتعشق الفن.

* جميل.

- فهذا مايمكن أن أقوله عنهم.

* نعم.. وأنت قبل ذلك كنت أيضاً إذاعياً أو مذيعاً مقدماً لعديد من البرامج ؟

- أي نعم

* في إذاعة عموم الهند فيما أذكر؟

- نعم!

* لكن هذا في إذاعة عموم الهند؟

- أي نعم

ولكن هل واصلت عملك الإذاعي داخل المملكة مذيعاً ومنتجاً برامجياً؟

- واصلت كمشارك بالبرامج وكاتب لها... وواصلت في الإذاعة بالتعليق السياسي... واستمر التعليق السياسي حوالي عشر سنوات أو أكثر... وكنت أكتبه يومياً.... ومن هنا جاء احترافي.. وأسميه احترافاً بالتعليق السياسي حتى الآن... ومنه هذا التعليق الذي ظهر وسمع

بعنوان إلى أبناء الرافدين.

* لو رجعنا إلى الوراء قليلاً أستاذ عزيز ضياء وحاولت أن أذكرك ببعض ... ببعض زملائك... زملاء المرحلة الأدبية التي عشتها سابقاً على سبيل المثال الأستاذ محمد حسن عواد... الأستاذ حمزة شحاته.

- أي نعم

* الأستاذ عبدالله عريف... الأستاذ حسين سرحان ... مجموعة.... كوكبة من الأدباء أنعشوا ونهضوا بالأدب في منطقة الحجاز بالذات في إبان أوائل صدور الصحافة السعودية ومابعدها بقليل... لو رجعت إلى تلك الفترة والفترة الحاضرة الآن فترة الأدب السعودي المعاصرة... كيف تقارن بين المرحلتين؟ كيف ترى تلك المرحلة وكيف ترى هذه المرحلة؟ ماهي سمات تلك المرحلة وسمات هذه المرحلة؟ هل كان الأدب مزدهراً في تلك أكثر من الآن أم العكس... بماذا كنتم تشعرون في تلك المرحلة؟ وهل خمد هذا الإحساس الآن أم نهض أكثر؟

- والله هذا سؤال فيه ذكاء... وفيه عمق... وفيه بعض الإحراج.. لابد أن أقول إننا ... وأعني من ذكرت من الأصدقاء الذين رحلوا رحمهم الله ومن بقي منهم.... أتمنى له طول العمر.. كنا مجموعة لعلها تختلف كثيراً عن... عن جميع المثقفين في تلك الأيام.. ودعني أكن صريحاً فأقول إننا كنا نتعشق حرية الفكر... وهذا مطلب لا أدري كيف تعشقناه في الواقع.. ولكن تصور أننا في اجتماعنا في المركاز فيما كنا نسميه الأولمب في المسفلة وتسمية الأولمب نفسها تعطيك فكرة معينة عن مستوى المجموعة وتفكيرها... كنا في تلك الأيام ندرس أو درسنا أو قرأنا جمهورية أفلاطون وتناقشنا فيها كثيراً أنا وحمزة وقنديل والآخرون.. كنا نقف عند جملة من جمهورية أفلاطون عدة ليالي نناقشها... ونتصارع حولها... والنقاش يدور حول من... إما أنهم قرأوا هذه الكتب أو أنهم يريدون قراءتها.. فمستوانا الفكري في تلك الأيام .. كان على هذا.. المستوى... ولا أستطيع أن أقول إن هذا المستوى موجود الآن إلا إذا كان الناس أو المجموعة... يؤسفني أني لم أتعرف إليها حتى الآن.

* لكن يظهر هذا المستوى من النضج في الكتابات التي نقرأها الآن؟

- نعم.

* أو في الندوات التي تحضرها... في الكتابات التي تنشر أو في الندوات التي تحضرها... ألا ترى أن هناك مستوى متميزاً من الاختيار في القراءة والاختيار في التفكير؟

- لعله موجود ولكنه لا يصرح به.

*نعم .. يعني ... تتوقع أن قراءات الجيل الأول كانت أكثر ... أكثر اختياراً ... أكثر توفيقاً

في الاختيار للفكر الحر؟

– لعلها كذلك... والسبب أننا كنا نتوخي أن نكون الأفضل من غيرنا.. يعني.. كان هناك خريجو مدارس الفلاح

* أي نعم

– هؤلاء يعني ... يحملون شهادات ومثقفون.. ولكنهم من نوعية تختلف عن نوعية اتجاهاتنا.. إتجاهاتنا وعندما أقول (نا) أعني أنا والعياذ بالله منها والأخ المرحوم حمزة شحاتة والأستاذ أحمد قنديل والأستاذ محمد عمر توفيق.. وإن كان محمد عمر حتى الآن يمتاز أو يتميز عنا بشيء كثير جداً من التحفظ فيما كنا نذهب إليه نحن الثلاثة في الفترة الأخيرة هي طالت... اشترك... لحق بنا عبدالله عريف... وكان أصغر سناً منا ولكنه تعشقنا أيضاً.. وتعشق أفكارنا... ثم رحمه الله عبدالسلام الساسي.. هذا كان ميكرفوننا بمعنى أنه يذيع ما يسمع (يبلغ) وينشره بين الناس ويجيئنا بحصيلة ما سمع عنا من شتائم... أحياناً مقذعة... وكان هو الذي يذيع.... هو الذي ينقل قصائد هجو محمد حسن عواد في حمزة شحاته وهجو حمزة شحاته في حسن عواد... وهذا يتم في المركاز في المسفلة في الأولمب الذي يطل على مزارع باخطوة من جهة وعلى ما كان يسمى بركة ماجن من جهة أخرى... وهذا يتم على شرب الشاي والاستمرار في الحديث حتى الصباح تقريباً إذا كان ضوء القمر وإذا لم يكن هناك ضوء القمر ففانوس أو إتريك أو شيء من هذا القبيل... وأحياناً نطفيء ونظل في الظلام نتحدث ولا ولا ننتهي إلا قرب الفجر.. قرب الفجر.. هذه حياتنا كانت... فلا أدري إن كان فيها إن كان في الجيل الذي نعيش معه اليوم... الجيل الجديد لهم مثل هذا الاهتمام ... كنا مستغرقين في هذا الفكر .. يعني لانخرج معاً.... لم يكن يعنينا من الدنيا من الذي أصبح صاحب مال وتجارة... من الذي سافر أو قدم... من الذي تزوج أو أنجب... كل هذه ليست في اهتمامنا.. اهتمامنا الأول والأخير هو هذا الفكر الذي كانت تقدم به إلينا الصحف من مصر ومن سوريا ومن لبنان... وعلى الأخص في تلك الأيام... جبران وميخائيل نعيمة وشعراء الرابطة... وكان منا من ينتقد هؤلاء... أنا كنت أول من تأثر بجبران وكتب على طريقته... لكن أنا أحسست بأنه.. بأنه يمثل الضعف الإنساني أكثر مما يمثل القوة... ولعلي مخطئ في ذلك.... ولعل السبب كذلك أننا قرأنا لمن أحسسنا أيامها أنهم الأقوى.

* الأستاذ عزيز ضياء... لو رجعنا من خلال هذا الكلام .. ومن خلال هذا الإيحاء الذي تفضلت به... رجعنا إلى الماضي واستذكرنا بعض العناوين في خلافاتكم ومناوشاتكم وخصوماتكم الأدبية؟

– أي نعم

* فتتذكر من المناوشات الأدبية الجميلة مثلاً مشاهدات حسين سرحان في المدينة المنورة وماحدث بينه وبين عبدالكريم الجهيمان على إثر هذه المقالات التي كتبها السرحان ومقالات أيام العيد للأستاذ أحمد السباعي والمرحوم السباعي حينما رجع من مصر وكان وقتها يدرس في كلية فكتوريا بالإسكندرية.

– مين السباعي؟

* السباعي فيما يبدو

– أحمد السباعي لم يدرس في فكتوريا.

* أو.. أو... حاول أن يدرس؟

– الذي اذكره أنه السباعي ابن مكة

* لكن ذهب ولم يستطع يبدو.. ورجع؟

– لا أدري عن هذا.

*وحينما... حينما كتب أوراق العيد عقبت عليه بعديد من المقالات ياأستاذ؟

– لعله كذلك لكن لا أذكر الآن.

*نسيت الآن أنت؟

– نسيت نعم.

*جميل.. أيضاً هناك مقال يعني مقالات... أو خلافات أدبية حصلت حول مسألة.. مثلاً... العمامة؟

– أي نعم

* في الزي.. الزي واللباس.. ومقالات حصلت حول.... حول المنظر الجميل بين حمزة شحاته وعبدالله عريف والعطار ومحمد عمر توفيق يعني..أحدهم يناصر عبدالله عريف وأحدهم يناصر الأستاذ حمزة شحاتة.. هل تتذكر من هذه المقالات شيئاً ما أو شيئاً مما لم أذكره أنا ونسيته؟

– هو لاحظ يا أستاذ.. أني أنا سافرت عدة مرات منها مرة إلى مصر إلى القاهرة لاستكمال دراستي الثانوية بعد أن أيقنت أني أستطيع دراسة السنوات الأربع في الثقافة العامة في سنة واحدة.. وكان هذا خطأ ذقت مرارته بعد ذلك لأنني رسبت في الاختبار في اللغة الإنجليزية التي كنت أظن أني أعرفها أفضل مما يعرفها غيري.. فرسبت في الإنجليزية.. وفي الملحق نجحت في الإنجليزية لأرسب في الكيمياء... وهذا في مصر... وهذا استغرق وقتاً طويلاً... ثم بحماقتي أو بظني أني يجب أن أحصل على ما أريد.. كنت أنوي دراسة الطب في الواقع فسافرت إلى بيروت ودخلت الجامعة الأمريكية في بيروت على أساس أنهم لم يطلبوا مني شهادة وإنما لقاء وفي.

هذا اللقاء الحديث دار بيني وبين المختبر . . . هما اثنان . . . واحد يسأل الآخر . . . فلم يجدوا ما يمنع أن أدخل السنة الرابعة الثانوي يسمونها سكندري سكول بريك .

* متى حدث هذا؟

- لا تسألني عام كم . . أنا أنسى أنا لا أتذكر .

* أي في حدود عام ١٩٥٠- ١٣٥٠هـ

-لعله كذلك . . . لعله كذلك .

* نعم . . إنما لا يحضر في ذاكرتك شيء من الخلافات الأدبية التي تمت حتى في أثناء تواجدك في البلاد؟

- والله قليل . . . لأنه بعد سفري إلى القاهرة كما ذكرت لك . . إلى لبنان . . . انفجرت الحرب العالمية الثانية . . . والذي فجرها هو هتلر كما تذكر . . ولا أنسى أني كنت . . ممن تعصب وتحزب لهتلر . . بينما صديقنا الزيدان الله يرحمه كان ممن تعصب وتحزب لتشرشل . . . وكان الصراع بيننا في البيت عندي أنا على هذين الاثنين . . وكان يعني . . . يغيظني . . . كما ينبغي أن يقال . . . يقول لي سترى أن تشرشل هو الذي سوف ينجح وصاحبك هذا الذي اتخذت شاربه شارباً لك . . . كما هو الآن . . . هو الذي سيهزم شر هزيمة . . . وكنت أستبعد هذا كثيراً وأنا أحب هتلر حتى الآن .

* رغم جبروته؟

- رغم . . . هو ليس جبروت . . . هو القوة التي ينبغى أن يتمتع بها كل شعب في الدنيا .

* هذا رأيك الذي يخصك يعني؟

- نعم

* لأنه قد تجاوز مسألة القوة إلى مسألة إهدار . . . دماء ملايين أو آلاف الناس؟

- هو أهدر دماء . . لكن الآخرين كذلك ، ، أهدروا دماء الذين قتلوا في ألمانيا عند . . يعني . . . عندما انتصر الحلفاء . . . ملايين هم خسروا ملايين كذلك . .

* على أي حال هذا رأيك؟

- هذا رأيي .

*نعم . . . نعم .

- وعلى كل حال هتلر راح .

* هو راح وانتهينا . . يعني . . . يضرب مثلاً للقوة؟

- أي نعم . . . أنا معجب بالقوة في الشعوب التي تريد أن تكون قوية .

* هذا من إيحاء كتاب نيتشة . . هكذا تكلم زرادشت؟

– لعله . . . لعله من كتاب نيتشة.

* نعم جميل أو ربما؟

– أنا أتعشق القوة حتى في العصفور . . . عندي عصفور يشاركني عندما أكون وحدي بإرسال تغريده متواصلاً فأنا هذا يعطيني . . يعبر . . عن قوته ومن أنه قادر على التغريد المتواصل.

* شيء جميل؟

– معجب به.

* شيء جميل؟

– هذا لايعني أني لا أعجب بالضعف أو لا أحنو عليه . . أو أني لا أتأثر به . . . بالألم الذي يعانيه الناس وبالأخص الأفلام التي نراها في هذه الأيام في كثير جداً من الشعوب . . . ولانريد أن ندخل في السياسة الآن ولكن أكاد أذرف الدمع عندما أرى المشاهد . . مشاهد للمسلمين في البوسنة والهرسك . . يعني . . . هذا لا يتنافى مع هذا . . . أتمنى وأتطلع إلى اليوم الذي يصبح فيه المسلم قوياً . . . أن يقول أن المسلم فوق الجميع حقاً كما قالت ألمانيا . . ألمانيا فوق الجميع.

* لو استقبلت من أمرك ما استدبرت لكنت تختار هذا المنهج الذي أنت تسلكه الآن؟

– نعم.

* ولو استقبلت من أمرك ما استدبرت . .

– أيوه

* لكنت تختار هذا المنهج من التفكير وهذا المنحى من الكتابة وهذا الإنتاج الذي قدمته أم سيكون لك تفكير آخر؟

– لا أعتقد أني سيكون لي تفكير آخر . . لأنه لما أمتاز به بيني وبين نفسي أني صاحب مبدأ . . . وما أومن به يندر أن أتنازل عنه . . إلا إذا اقتنعت بأنه يستحق التنازل . . أو يرغمني على التنازل . . . وحكاية المبدأ هذه حكاية طويلة يا أستاذ . . . والكلام فيها يطول . . ولكني إنسان صاحب مبدأ في كثير جداً من تصرفاتي وفي كثير جداً من علاقاتي بالناس . . ولهذا لعلي ألا أخفي عليك أني خسرت كثيراً ممن عرفت من الناس نتيجة لهذا المبدأ.

* نعم . . . وربما خسرت مواقع عملية بالنسبة لك أيضاً . . . يبدو نتيجة لهذا الذي تؤمن به؟

– يعني مثلاً . . . لايعجبني الضعيف . . والذي يتخذ من ضعفه ذريعة أو وسيلة لاستجداء العطف والرعاية . . . وهذا كثير مع الأسف الشديد.

* نعم . . . لما بدأت حياتك الأدبية والثقافية ماذا هيأت . . . ماذا هيأت نفسك لكي تكون؟ هل أنت رسمت لهذا المنحى الذي أنت عليه الآن . . أم أن هذا صاير بالصدفة؟

– لا . . . هو كان الهدف الأساسي الذي خرجت به من المدينة وأنا يافع إلى مكة. . إلى مكة لمدرسة زعموا أنها. . . أو زعمنا نحن وفهمنا نحن أنها مدرسة للطب فإذا بها مدرسة تمريض. . . وفي مكة عشت الفترة التي أعتقد أنها كانت. . كان لها الأثر في بناء مستقبلي كله. . . والحكاية تطول في الواقع لكن. . . عد إلى ماذا تريد؟

* نعم . . يعني. . . . أنت هل هيأت نفسك لكي تكون على هذا النحو الذي أنت عليه الآن أم أن . .

– أديباً.

* أديباً؟

– كاتباً أم إنساناً؟

* يعني أديباً وكاتباً ومثقفاً. . أم أنك كنت تسعى إلى شيء ولكن حصل خلاف ذلك؟

– لا . . . هو أنا تعشقت الحروف وأنا في الرابعة عشرة أو أقل من عمري . . . ولي حكاية مع كتاب جبران خليل جبران لابد سمعته. . . . ألا هو كتاب العواصف والعواطف. . . تعشقت الكتابة في الليلة التي قرأت فيها هذا الكتاب فأخذت أكتب إلى صديق في المدينة المنورة على هذا النسق . . . وكان دافع الكتابة الحب. . . كنت أحب فتاة في سني. . . نحن صغار . . . . أطفال. . يعني هي في سن الطفولة وأنا كذلك. . . قريب منها. . . وهو يعرف هذه الفتاة ولكن لم يكن يأتي بذكر اسمها لمن يقرأ عليهم رسائلي. . لأنه أعجب بهذه الرسائل كثيراً. . . فهذا الذي رسم دون أن أعي. . خطر أو إتجاهي إلى الكلمة وإلى الحرف وإلى الأدب.

* في المستوى الثقافي الحاضر يا أستاذ عزيز. . يعني هل ترى علامات مميزة لهذا التوجه الأدبي القائم في مستوى الشعر والقصة والإبداع عموماً. . . والنقد وحركة النقد. . . هل أنت راضٍ عن هذا التوجه. . هل فيه ثورة ونشاط؟ أم فيه سكون وخمود؟ هل يبشر بعلامات تميز على مستوى العالم العربي. . . أدبنا السعودي؟

– مستوى العالم العربي أو العالم أو المملكة؟

* لا أدبنا نحن في المملكة. . . هل يبشر بمستوى متميز على مستوى العالم العربي إذا قورن . . . نعم وهل هو ساكن أم في ثورة ونهوض؟

– لأكن أميناً مع نفسي ومعك فأقول . . . إن الجامعات السبع وعلى الأخص جامعة الملك عبدالعزيز وجامعة الملك سعود في الرياض. . . أعطت نماذج من المثقفين . . . أحترمها وأشعر أن لها قيمة . . وأنها تستطيع أن تكون كقيادة فكرية لو تخلت عن الرسميات التي تعيشها. . بطبيعة وجودها في مراكزها وفي مستقبلها. . فكثير جداً من خريجي الجامعات أو من حملة المؤهلات الكبيرة يستحقون الإعجاب . . . ومؤهلين للقيادة الفكرية إذا تفرغوا لها. . . وإذا استهدفوها ولا

أدري إن كانوا بينهم وبين أنفسهم يستهدفون ذلك أم لا . . . ولكنني أشعر ولا أرى هذا النبض الذي يدل على التطلع للقيادة الفكرية في بعض ما يكتب . . في بعض مايكتبون هم . . . أو ما يكتب عنهم . . . وأحب أن أضيف بالمناسبة . . . أن ما أعطتنا إياه الأيام هؤلاء الفتيات اللائي يكتبن في الصحف . . . أقرأ لهن في اليمامة وفي الرياض . . منهن كذلك هذه الفتاة التي تعجبني . . . انتصار العقيل . . كلهن يكتبن وكلهن يستهدفن هدفاً . . . لعله يدخل في باب الحجاب الذي يلتزمنه بطبيعة الحال . . يعني أقصد الحجاب في الكتابة كشيء يشبه الحجاب بالنسبة للسفور والحجاب . . . فأنا معجب بهذا العطاء وأعتقد أن الأيام سوف تسفر عن رعيل . . لعله أفضل كثيراً جداً من رعيلنا في أيام الشباب .

* وهل هناك ثمة تميز لهذا الأدب على مستوى العالم العربي أم أنه لازال نسخة مكررة مما يكتب؟

– له تميز عن العالم العربي بنواحي كثيرة جداً . . . نعم . . . يتميز عن العالم العربي يا أستاذي . . إذا تأملت الصحافة نحن نقرأ ما تمدنا به الصحف . . الدول العربية المجاورة في الواقع لا تجد إلا تكراراً وإعادة مرة بعد أخرى لما قاله فلان ولما للجيل الذي مضى . . . ولكن ليس هناك إبداع إلا قليل . . . إلا القليل جداً الذي يشعرك بأنه هنا محاولة . . . محاولة إنبات أو زرع شيء جديد . . هناك مؤلفون كبار وأساتذة كبار ومحققون للكتب الكبيرة كثيرون . . . وهناك نقاد أيضاً تحترمهم . . . ولكنهم للأسف . . . ولكنهم . . . يعني . . أكثرهم ممن يعدون في جيل أمثالي وليس في جيل الشباب .

* الجيل الجديد؟

– من الجيل الجديد.

* يسعدني أستاذ عزيز أن أشكرك وأن أقدم لك كل التحية والتقدير لهذا الحديث الممتع ونحن في ضيافتك وإن كنا لم نأخذ منك الشيء الكثير بعد . . كنا نطمع إلى أن نأخذ أكثر من ذلك . . . ولكن حال دون ذلك ضيق الوقت .

– يهمني جداً أن أشكرك أستاذ عوين على هذه الزيارة.

عزالدين إسماعيل

الدكتور عز الدين اسماعيل أديب غني عن التعريف . . . ولكننا نقدم نبذة مختصرة للتذكير ليس إلاّ بشخصية عزالدين اسماعيل العلمية والدراسية أو العلمية . . فالدكتور الآن أستاذ متفرغ في جامعة عين شمس ويشرف على عديد من الدارسين في مراحل الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه . . . وكان سابقاً رئيس أكاديمية الفنون بالقاهرة . . رئيس تحرير مجلة فصول الفصلية لمدة إثني عشر عاماً . . . الدكتور أيضاً له عديد من الكتب التي صدرت أكثر من عشرين كتاباً . . في مجالات نقدية وعلمية ودراسية مختلفة. لعل أبرزها دراسة في الشعر العربي، ودراسة عن الأدب وفنونه . . . نحاول أن نتعرف أكثر على الشخصية العلمية للدكتور عزالدين إسماعيل بعد هذا المشوار الطويل والذي نرجو له أن يمتد طويلاً لكي يعطي ويثمر للمكتبة العربية مرحباً بك ضيفاً علينا .

– مرحباً بك ضيفاً أنت علينا . . وشاكر جداً . . . وحقيقة الأمر أن كلام الإنسان عن نفسه من أشق الأمور وأصعبها لأنك لا تعرف عن أي شيء تتحدث؟ وما الذي يهم في هذا الحديث بالنسبة للمستمع أو المتلقي . . وهذه المشكلة تقف أمامي الآن فلا أدري من أين أبدأ حديثي . . . ولكن دعني ألتزم بما أشرت إليه من الخط العلمي لأنه ربما كان أهم ما يهم المستمع . . . فشخصي لا أهمية له إلا من هذه الناحية . . . إذا كانت هذه الناحية لها أهميتها .

* نعم . . نحن الآن في مكتبة غنية بعديد من الكتب النقدية والدراسية والعلمية وقد تجولت فيها قبل أن نبدأ التسجيل في الجزأين بين الجزء الأول والجزء الثاني من المكتبة . . . . ورأيت أن فيها كتباً أيضاً عربية في الواقع أتتك من بلدان عربية مختلفة أو ربما أنت اقتنيها واشتريتها من دول الخليج ومن المغرب العربي ومن سوريا . . . . وهذه دلالة أكيدة على التواصل العربي الحقيقي بين المثقفين العرب . . بمعنى أن لديك إلماماً في الواقع واطلاعاً على ما يصدر في تلك البلدان من إبداعات ومن دراسات نقدية وعلمية . . وهذا شيء يحمد لك حقيقة لأن بعض الأدباء يقتصرون على إنتاج البلد الذي ينتمون إليه؟

– في واقع الأمر أن هذه مشكلة . . يعني أنا لا أدّعي أن عندي كل ما يصدر في الخارج ولا معظم مايصدر في خارج مصر . . ولكننا نتراسل نحن هنا وبعض الأخوة الأصدقاء في مختلف الأقطار العربية لكي نعرف . . . أو يعرف كل منا ماذا يصنع الآخر في هذه الآونة . . . خصوصاً فيما يتعلق بمجال التخصص الدقيق وهو النقد الأدبي ولهذا ومن خلال عملي في مجلة فصول

انعقدت أواصر الصداقة بيني وبين عدد كبير من الإخوة المشتغلين بجدية في هذا الحقل الخصب العميق المهم. . . . ومن هنا كانت هذه العلاقة العلمية بيني وبين عدد لا بأس به من المبدعين والدارسين في مختلف الأقطار العربية. ومن ناحية أخرى . . فاهتمامي الشخصي لم يقتصر في يوم من الأيام في أي دراسة أنشأتها على إنتاج الإخوة الأدباء الكتاب المصريين بل كان منظوري دائماً يتسع لكل ما أستطيع الحصول عليه من نتاج عربي خارج مصر ويدخل في دائرة الرؤية عندما أشرع في إقامة دراسة تتعلق بموضوع من موضوعات الدراسة الأدبية أو النقدية. . ربما يتضح هذا بشكل ملموس في كتابي عن الشعر العربي المعاصر وهو فيما أتصور من الكتب التي نظرت لحركة الشعر العربي المعاصر. . . . لحركة الشعر الجديد. . منذ بواكيرها في أواخر الأربعينيات وحتى اليوم. . . . فهذا الكتاب على الرغم من أنه صدر في عام ١٩٦٧م إلا أنه كان خلاصة ما أنجز في تلك الحقبة على الساحة العربية كلها من تجارب شعرية مهدت لترسيخ هذ الاتجاه الجديد الذي استشرى وانتشر وأصبح الآن هو السائد تقريباً في الساحة الشعرية العربية بأسرها. . . وما أكثر الدواوين التي لا يحصيها الإنسان من الشعر الذي خرج من بطن هذه التجربة وتطور هو نفسه وأصبح هناك أكثر من جيل نتحدث عنه من أجيال الشعر العربي المعاصر. . . هي الأجيال التي طورت بدورها أيضاً ما صنعه وما شققه الرواد من طرق في مجال كتابة الشعر المعاصر حتى أصبح عندنا كما قلت ثلاثة أجيال نستطيع أن نتحدث عنها. . . كل جيل له إسهامه وإضافاته التي أضافها وتطويره الذي أدخله على شكل القصيدة ومضمونها وعلى رؤيته العامة لفن الشعر العربي وكيفيات إيراده وكيفيات إنتاجه . . كل هذا يؤكد المعنى الأول الذي قصدت إليه. . . وهو أنني إنما أهتم في دراساتي بالإنتاج الأدبي العربي على الإطلاق ولا أقصر هذه الدراسات على الشعر أو الأدب المصري وحده.

* نعم . . لعل هذا المنهج تكرس لديك وأنت رئيس تحرير مجلة فصول. . فأصدرتم أعداداً خاصة عن . . مثلاً. . . الأدب في مناطق عربية معينة؟

– لا . . . لم تكرس مجلة فصول أو أعداد من مجلة فصول بيئات مشتقة. . لأن هذا كان يوقعنا أيضاً في محظور آخر وهو أن الكتابة عن هذه المناطق المختلفة تستدعي احتشاداً كافياً لإنتاج أعمال أو دراسات جادة. . . رصينة وعميقة عن هذا . . . عن إنتاج هذا المناطق. . . ولم يكن هذا ميسوراً لنا دائماً . . . لأنه الكتابة في مجلة فصول كانت تخضع لموازين ومعايير صعبة للغاية . . فضلاً عن إعداد عدد أو أكثر لأنه في هذه الحالة كان لابد أن نعطي كل قطر من الأقطار العربية عدداً مستقلاً. . . ومعنى هذا أننا كنا في حاجة إلى عدد كبير من الكاتبين كي نصدر أعداداً كثيرة كلها متخصص بهذه الطريقة ولكن حقيقة الأمر أن هذا كان يكرس التفتيت والتجزيء ولا يؤكد الوحدة

التي نؤكدها دائماً ونسعى إلى تأكيدها . . لكن الدراسات التي كنا ننشؤها في هذه الأعداد حول موضوع أو محور واحد كانت الإسهامات التي تأتي فيها من شتى أقطار الوطن العربي. . . . فإذن الموضوع واحد ولكن التناول بأقلامٍ ودارسين موزعين توزيعاً واضحاً على أقطار الوطن العربي. . . . وهنا يلتقي الجميع على صفحات هذه المجلة وتصبح مقروءة في وقت واحد لديهم. . . . الذي يكتب من المغرب يقرأ ما يكتبه الدارس من المشرق. . . أيضاً والعكس صحيح. . . . إذن فقد التقى الجميع حول موضوع واحد . . وهذا من الحوار الضمني الذي يتحقق على بعد المسافة. . . ودون الإلتقاء الشخصي.

* على سبيل المثال. . . ماهي المحاور التي طرقتموها كقضايا؟

– والله منذ البداية موقفنا من التراث العربي. . . هذه القضية التي تشغل هماً كبيراً من هموم المثقف العربي بصفة عامة ماموقفنا من التراث؟ كيف نتعامل مع التراث العربي؟ وبصفة خاصة نحن. . . بما أن المجلة كانت مجلة متخصصة في النقد الأدبي فلابد أن يتجه التفكير في مسألة التراث إلى التراث الأدبي. . . يعني التراث الأدبي العربي فكان هذا موضوعاً لأول عدد صدر من المجلة حتى إن كثيراً من الأعمال التي قدمت في هذا العدد استطاعت أن تقف موقفاً واضحاً من القضية المطروحة في مجالات الأدب العربي القديم بوصفه تراثنا الأدبي الذي نريد أن نعرف ماذا نصنع به وكيف نصنع. . . هذا من أول ما شرعنا في الاهتمام به. . . وتكرر ذلك فيما بعد على نحو أكثر تخصصاً بمعنى أننا أفردنا عدداً لتراثنا الشعري على وجه الخصوص وأفردنا أيضاً عدداً لتراثنا النقدي أيضاً. . فكل هذا كان الهدف منه ألا نفقد هذه الصلة القوية بيننا وبين التراث . . ولكن بالشروط التي يتقبلها وضعنا الراهن ويفرضها أيضاً. . بمعنى ألاّ نأخذ هذا التراث على أنه مسلمات ونهائي ولا مجال لإعادة النظر فيه. . . بل على أنه معين لا ينضب للمراجعة وإعادة المراجعة والقراءة وإعادة القراءة . . لكي نستخرج أفضل ما نستطيع أن نستخرجه منه بمنظور عصري يلائم طبيعة الحياة التي نعيشها. . . . يلائم تطور الفكر الذي تحقق في زمننا. . . وبل أكثر من هذا . . . . لكي يواكب ما تطور إليه هذا الفكر المعاصر عندنا وعند غيرنا. . . . إذن فنحن ننظر إلى تراثنا في بعدين. . في بعده التاريخي القديم وفي بعده الآني. . . كيف يمكن أن يكون ذا فعالية حقيقية في حياتنا الفكرية. . . وكيف يمكن أن يكون بهذا دافعاً إلى نشاطٍ مجددٍ يواكب كل الحركات الفكرية التي تنشأ في عالمنا المعاصر.

* نعم . . الموضوعات الأخرى أيضاً كعناوين. . . ؟

– طبعاً هناك اهتمام بقضية الإبداع . . . قضية الإبداع مثلاً. . . . أظن أننا أصدرنا عددين لهذه القضية. . . لأن قضية الإبداع أيضاً فيها كلام كثير. . . وهي قضية تقليدية قديمة جديدة. . . منذ

البداية أيضاً كان للعرب إسهام في تجلية هذه القضية على نحو أو آخر . . . ومازال هذا يحدث على مدى الزمن ومع مضي الزمن . . سواءً في ثقافتنا العربية أو في الثقافة الغربية . . . فقضية الإبداع في الأدب وفي الفن بصفة عامة قضية مطروحة دائماً وعلى هذا كان لابد من إعادة النظر في الأفكار التي طرحت على معنى الزمن في هذه القضية ومحاولة بلورة موقف من هذه الأفكار حتى تكون على بينة بحقيقة وجوهر هذه العملية . . . هذا النوع من النشاط الإنساني الذي ينشأ عنه ما تسميه الأدب والفن . . كيف ولماذا وبأي الطرق وبأي الوسائل ولأي . . . وما أهمية هذا كله في الحياة بالنسبة للإنسان المعاصر .

* أعتقد أن هذه الأعداد الجميلة التي صدرت من مجلة فصول هي في الواقع كتب ضخمة . . يعني تُعَدّ مراجع الآن في المكتبة العربية للدارسين والباحثين؟

– أعتقد أن هذا كان هدفاً من الأهداف لأنه في حقيقة الأمر هناك موضوعات كما ذكرت فيما يتعلق بقضية الإبداع . . . هناك موضوعات أضطررنا إلى أن نصدر فيها أكثر من عدد . . . عددين مثلاِ لكي نستوعب قدر المستطاع كل الكتابات الجادة الممكنة التي تغطي القضية من شتى جوانبها . . . وعلى هذا فإننا عندما نتحدث عن . . مثلاً عن موضوع الإبداع ونريد أن نرجع الآن إلى مرجع يغطي . . لا إلى كتاب . . . . وهذا هو الفارق . . . لأن الكتاب يحمل وجهة نظر صاحبه . . . ووجهة نظر واحدة يريد صاحبها أن يدعمها بكل الوسائل . . . وهو كتاب له خطته وله هدف واحد . . . ولكن في مجلة فصول عندما أجد عددين يضمان على الأقل عشرين دراسة تتعلق بموضوع الإبداع . . . نستطيع أن نتصور التنوع والمداخل الكثيرة التي تدخل منها إلى هذا الموضوع من خلال هذه الدراسات . . . فهي إذن توفر على الإنسان الاطلاع على عدد ضخم من الكتب وليس على كتاب واحد في موضوعنا .

* الدكتور عزالدين إسماعيل . . . وأنت الآن متفرغ للعملية التعليمية . . بعد رحلة طويلة طبعاً مع الأعمال . . . والأعمال الثقافية المختلفة والمتعددة . . . . ماذا حصلت وماذا جنيت . . . وماذا قطفت يداك . . ماذا قطفت يداك من خلال التجربة القديمة . . . هل أنت الآن أهدأ مما كان سابقاً . . مما كنت عليه؟

– لا أعتقد أني الآن . . . أنا كنت اتصور هذا حقيقة الأمر . . . كنت أتصور وأتمنى هذا . . ولكن يبدو أن الطبيعة تغلب التطبع . . . فحقيقة الأمر أنني أكثر إنشغالاً هذه الأيام مما كنت في تلك الأيام . . . . مازال هناك ارتباط عملي في الحياة الثقافية بصفة عامة . . . وهو أنني أرأس جمعية . . الجمعية المصرية للنقد الأدبي . . . وهذه الجمعية نشطة . . . تقيم كل أسبوع ندوة حول قضية أو موضوع أو تتابع أعمالاً أدبية صدرت حديثاً بالدراسة والنقد .

* شي جميل

– وهذا يحدث أسبوعياً. . . . ولابد من مباشرة هذا النشاط كل أسبوع ودون توقف ودون تخلف . . فهذا يشغل جزءاً من وقتي بطبيعة الحال. . ولكن ليس هذا بالشيء الكبير. . . المهم أنني أدركت أن لدي مشروعات معلّقة منذ ذلك الزمن. . بعضها بدأ ولم يتم . . . بعضها يحتاج إلى مزيد من التمحيص، بعضها أوشك أن يتم ولابد من إتمامه وهكذا. . . فعندئذٍ فكرت في أن يكون . . تكون راحتي موجهة إلى هذا. . هذه الأعمال المرجأة أو المؤجلة منذ ذلك الوقت لكي أتمها ولكي تقر. . . . وفي الوقت نفسه أيضاً أضيف أشياء جديدة. . . من إحساسي بحاجتنا الملحة إلى متابعة الفكر النقدي العالمي المتطور والذي يفاجئنا بين كل يوم بالجديد. . . . إي أن أترجم بعض الأعمال التي أرى لها أهمية بالنسبة للمشتغلين بالنقد عندنا لكي يكونوا على معروفة بذلك. . يعني. . . على سبيل المثال . . ما يتعلق بقضية التلقي وتطور التفكير النقدي من الاهتمام بالمؤلف. . . الموقع. . . أو بالعمل الأدبي المبدع. . وترك هذا إلى الملتقى. . . وكيف أن المتلقي هو الآن الذي توجه إليه كل الأنظار ويركز عليه الاهتمام لأنه على أساس أنه هو الذي عندما يقرأ هو الذي ينشئ ما يقرأ. . . أن العمل الأدبي لا يحقق إلا من خلال المتلقي. . . وبدون المتلقي لا وجود للعمل . . إذن كيف يتلقى. . . وبأي منطق يتلقى. . . ماهي القضايا التي تتعلق بالمتلقي هذا. . . وكيفية تحقق العمل من خلال هذا التلقي. . على اختلاف مستويات المتلقي وبيئاته المختلفة. . . فهناك مشكلات تتعلق بالتلقي. . . مشكلة التلقي هذا. . . . هناك كتاب مهم في هذه الناحية صدر في اللغة الإنجليزية وقد ترجمته وهو على وشك أن يظهر مطبوعاً.

* باسم ماذا؟

– باسم نظرية التلقي . . . مقدمة نقدية.

* يعني. . . تدعو فيه إلى إشراك المتلقي في العملية الإبداعية؟

– هي للكاتب . . . يحلل قضية وتطور هذا النوع من الاهتمام في النقد الأدبي العالمي الحديث. . . تطور الاهتمام من المبدع ومن النص الأدبي ومن. . . . إلى المتلقي بوصفه فاعلاً. . . . إنه الطرف الثالث في مجموعة في مثلث العملية الأدبية. . . مثلث العملية الأدبية . . . مبدع يبدع عملاً. . . يقدمه. . . لمتلقي.

الاهتمام طوال الزمن منذ البداية. . . . منذ أرسطو وأفلاطون. . الاهتمام موجه إما إلى المبدع أو إلى العمل المبدع الأدبي. . ولكن المتلقي لم يكن يدخل في هذه الدائرة. . . مع أنه هو الزاوية الثالثة التي تغلق المثلث.

* هي الزاوية الأهم فيما يبدو . . . والمقصودة.

– وهي الزاوية المقصودة. . . وهو كل هذا العناء. . . . . مقصود به هذا المتلقي. . . كيف تتم عملية التلقي وعلى أي الأسس تتم. . وبأي المعايير. . . ومن الذي يتلقى ما يتلقى. . . . إلى آخر هذه القضية.

* تساؤلات عديدة فعلاً. . . ؟

– تساؤلات كثيرة. . . . تاريخ الاهتمام بهذه القضية. . . وتطور الاهتمام بها. . . . وإلى أن أصبحت مبلورة في شكل كامل. . . هو ما يتناوله هذا الكتاب الذي فرغت من ترجمته.

* نعم. . وهذا آخر نتاجاتك تقريباً. . . ؟

– هذا آخر شيء أصدرته أو على وشك أن يصدر.

* في أثناء تجوالي في مكتبتك دكتور عز الدين إسماعيل لم أجد جزءاً خاصاً بالفنون مثلاً ؟

– لا هذه ليست مكتبتي التي رأيتها. . . أنت رأيت في الواقع ثلث المكتبة والثلث الباقي في أماكن أخرى.

* موزعة على البيت يعني. . ؟

– موزعة على البيت في أماكن أخرى كثيرة. . . . ولكن فيما يتعلق بالفن. . . الفن التشكيلي. . . كان من الموضوعات التي شغلتني حتى منذ أن كنت طالباً. . . . كنت أحضر في موسم . . . في موسم شتوي. . . المعارض الفنية التي تقام في القاهرة ويشارك فيها فنانون تشكيليون. . . ومع الفنانين التشكيليين الزوار أو الضيوف الأجانب الذين كانوا يعرضون أيضاً أعمالهم في مصر. . وكنت أكتب عن هذه المعارض نوعاً من الـ. . لا أقول النقد ولكن التعريف أو يعني. . . الانطباع في مجلة الثقافة التي كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ويرأس تحريرها أستاذنا الجليل المرحوم الأستاذ أحمد أمين. . . فمنذ الأربعينات المتأخرة وأنا أكتب عن هذه المعارض الفنية وأرتبط بفكرة. . . . بالعمل الفني التشكيلي. . لأنه في حقيقة الأمر لابد للمشتغل بالأدب ألا يقصر رؤيته على الاهتمام بالأدب. . . بالفن الكلامي. . بفن القول وحده. . . . بل لابد أن ينفتح على كل الفنون لأنها آخر الأمر كالأواني المستطرقة. . . هناك قاعدة أو أرضية مشتركة عامة بين كل الفنون. . . . معظم القضايا التي تناقش في مجال فن بعينه يمكن أن تناقش في مجال الفن الآخر. . . . والعزلة والانفصال بين هذه الاهتمامات غير صحي لابد من توسيع الأفق بإدخال كل أنواع الإبداع الفني في بؤرة الاهتمام حتى يصب بعضها في بعض وتتبلور منها فكرة كاملة.

* الأستاذ الدكتور عز الدين إسماعيل نحن لا زلنا في ضيافتك. . وكنا قبل قليل نتحدث عن مكتبتك الفنية أو الجزء الفني في المكتبة؟

– أيوه

. * فماذا نسمع؟ من حيث السماع. . . تحدثت عن الفن التشكيلي واهتمامك به. . ولكن ماهي

الأشياء التي تشد وتلفت انتباهك في السماع.

– في السماع... تعني الموسيقى

* نعم

– يعني... أنا ككل المثقفين الذين يحرصون على التعرف على كل أشكال الفن... وكل أشكال الأداء الفني... وفيما يتعلق بالموسيقى.. فحقيقة الأمر أنا أستطيع أن أكيّف نفسي تكييفاً لا أدري كيف.. هل يتحقق للغير بنفس الطريقة أم لا؟ وهو أنني أستطيع أن أسمع.... وأقدّر الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية.... كلٌ في مجاله.... فلا أفرق بينهما ولا أميز بينهما إلا بأن هذا لون وهذا لون... وأن تذوق هذا اللون يحتاج إلى تأهيل له... وهذا يحتاج إلى تأهل آخر له.... وكل ما هنالك أن الإنسان يستطيع أن يطوع نفسه بسهولة لكي يتقبل هذه الموسيقى في مجالها وهذه في مجالها.. و هذه في مجالها... فبالنسبة لي أنا أسمع هذه الموسيقى الغربية خصوصاً الكلاسيكية بطبيعة الحال... ولكن ربما لا تعجبني كثير من التجارب الموسيقية الحديثة.... وخصوصاً التي ..يعني.... خرجت على رصانة الإبداع التأليفي.... وأصبحت تحت اسم التجريب تصنع أشياء لامعنى لها.... أشياء فيها نوع من التهريج أكثر منه... إبداعاً حقيقياً.... هذا بطبيعة الحال مرفوض.. ولكن فيما يتعلق بالموسيقى العربية... فحقيقة... الآن أيضاً... هذه الموجة من الألحان التي يسمونها الشبابية.... ربما كنت أنا قد.. يعني تجاوزت هذا الزمن... ولذلك ربما كان حكمي عليها غير صحيح.. ولكن أعتقد إلى حد كبير... حتى بعض الشباب الآن لايعجبهم مايسمى بهذه الموسيقى الشبابية والألحان الشبابية.. لأنهم يدركون فيها الرتابة والتكرارية وعدم بذل الجهد... ليس وراءها رؤية ولا إحساس عميق ولاجهد ولافهم ولا استخراج لأبعاد الدلالة في الكلمة التي تغني حتى يستطيع اللحن أن يقول شيئاً إلى جانب الصوت الذي يؤدي... هكذا كانت دائماً... الموسيقى عندما تصحب الغناء تقول شيئاً يضاف... لا تصحب.. لا تصحب فقط المغني.. مجرد أن تكرره ولكنها كانت تضيف إلى صوت المغني شيئاً آخر يكتمل معه... يتكامل معه... وتصبح صوت المغني وصوت الموسيقى بنية موحدة متكاملة.. هذا ماكنا يعني.. نجده عند كبار ملحنينا... طبعاً في مقدمتهم عبدالوهاب والرعيل الآخر من اللحنين الذين مازال كثير منهم إلى الآن موجوداً.... وإن كان إنتاجه قد تضاءل أمام الهجمة الأخيرة.

* نعم.. ولو أحببت أن تستمع شيئاً؟

– والله هناك أغنية لعبدالوهاب.. غناها بعض المغنين من الأجيال التالية.. يعني... بعض الأحيان كان عبدالوهاب يغني ويترك للمغنين الشباب.. أن يجربوا أنفسهم في غناء هذه الأغاني.. هي أغنية قديمة مطلعها.. كل ده كان ليه... لما شفت عينيه» يعني... هذه من أحلى الأغاني التي كانت

تطربني في ذلك الزمن البعيد من عبدالوهاب طبعاً. . . الإنتاج المتأخر فيه أشياء عظيمة جداً. . . ولاشك فيها. . . . وحتى إن آخر أغنية لحنها استمعت إليها منذ قريب. . . . منذ عهد قريب. . . . لمغنية قيل إنها مغربية شابة صغيرة جداً. . . وأعتقد أنها تسمى سمية أو شيء من هذا . . . وهذا اللحن من أجمل الألحان . . . وهو آخر لحن. . . . وضعه لها. . . . فهذا ما أستطيع أن أتذكره الآن.

* دكتور عزالدين إسماعيل. . . . رأيت في مكتبتك مجموعة من إصدارات نادي جدة الأدبي ففرحت بذلك وعلمت أن لك تواصلاً مع هذا النادي. . . وربما مع غيره من أندية الأدب في المملكة العربية السعودية.

ربما بحكم موقعك طبعاً النقدي أولاً ثم بحكم موقعك رئيساً لتحرير مجلة فصول فترة طويلة. . فالسؤال هل تواصلت مع أدباء وكتاب سعوديين . . سواء كانوا نقاداً أو مبدعين. . . . ونشرت لهم. . . أو قرأت شيئاً من إنتاجهم وكتبت عنه؟

– في الواقع إنه. . . . فعلاً. . . . بعض الأخوة السعوديين أضافوا إضافات عظيمة في مجلة فصول في ذلك الوقت وتواصلنا من خلال تعارفنا عن هذا الطريق. . . وأنا نفسي زرت النادي. . . النادي الأدبي في جدة أعتقد ثلاث مرات. . في مرتين ألقيت محاضرتين على فترات. . . . والمرة الثالثة وهي . . أعتقد أنها تاريخية بالنسبة لي.

وأيضاً بالنسبة للنادي الأدبي في جدة. . . لأنها كانت مؤتمراً أدبياً. . . . مؤتمراً أدبياً نقدياً. . . . عقدناه في جده في رحاب النادي الأدبي في جدة. . . وهو المؤتمر الذي عمل تحت عنوان (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) وقد اشترك في هذه الندوة طائفة من المشتغلين بالنقد الأدبي على الساحة العربية. . . وكنت واحداً من هؤلاء. . وقد عملنا على ما أتذكر حوالي أربعة أيام متواصلة صباحاً ومساءاً في هذه الندوة. . . . ثم نشط النادي في أن يخرج حصاد هذه الندوة في شكل مطبوع. . . يشكل الآن مجلدين. . . هذان المجلدان فيما أعتقد تاريخيان لأنهما يحددان في ذلك الوقت كثيراً من النقاط المهمة في موقفنا النقدي في الساحة العربية كلها. . . . ورؤيتنا النقدية. . . وأي مثقف له صلة بالأدب وبالنقد أعتقد أنه مطالب بأن يطلع على هذين المجلدين ليعرف أين نحن الآن . . . لأنه للأسف الشديد أن بعض المناطق تستطيع أن تقول إنها خطت خطوات متقدمة ومناطق أخرى تكاد تكون عازلة لنفسها عما يحدث في غير موضعها الدقيق أو المحدد. . . فتتصور الأشياء ماتزال هناك متخلفة. . . ويخيل إليها أنها مطالبة بأن تبدأ من البداية. . . . في حين أن مناطق أخرى تكون قد تجاوزت هذه البداية. . . تجاوزتها بزمن وبمراحل. . . وطرحت الشيء الجديد الذي ينبغي أن يكون هو في هذه اللحظة الأساس الذي ننطلق به. . . منه بعد ذلك. . . . وليس أن نعود فنكرر ماصنعه الآخرون وتعبوا في الوصول.

إليه. . . . أقول إن ما تحقق في هذه الندوة في جدة. . . في النادي الأدبي في جدة بشكل ركيزة أساسية لكل مشتغل بالنقد الأدبي على الساحة العربية. . . . لا ينبغي له أن ينطلق في أي دراسة في هذا المجال قبل أن يعرف ماذا تم في ذلك الزمن لكي ينطلق منه ويتحرك بعده وعلى أساسه وليس من ورائه في هذا المجال أو يعود القهقري إلى الأشياء في بداياتها كأن شيئاً لم يحدث.

* دكتور عزالدين إسماعيل . . . الأدباء السعوديون. . . . الذين لك صلة بهم وقرأت عنهم أو قرأت لهم؟

– والله فيه. . . أنا يعني. . . كان معي منذ يومين الشاعر الأستاذ حسن القرشي. . . . وهو صديق قديم منذ زمن وله دواوينه الشعرية الكثيرة المعروفة . . . ربما كان هذا يحسب على شعراء الأجيال القديمة. . . بعض الشيء ولكن هناك أيضاً شعراء محدثون نسبياً أذكر منهم عبدالله الصيخان ، الحميدين.

* سعد الحميدين؟

– سعد الحميدين. . . دكتور غازي القصيبي. . طبعاً غازي القصيبي ربما كان من جيل القرشي إلى حد ما . . . وهكذا يمكن . . . ذاكرتي لا تسعفني الآن بأسماء . . لكن أنا شايف إنه في أسماء أخرى أحدث بالفعل . . عندي دواوينهم بمعنى يشاركون مشاركة مساوية تماماً للشعراء الذين يكتبون الشعر على الساحة العربية في أماكن أخرى. . . . يعني قطعوا شوط التجربة بشكل سريع جداً. . . . وأصبحوا على صلة بالحركة الشعرية في صورتها الأخيرة.

* نعم . . . هذا بالنسبة للشعر ولكن القصة أيضاً والرواية. . . لدينا أجيال كتابية في المجال هذا. . . . فلعل لك إطلاعاً على بعض ما يصدر.

– والله . . فيما يتعلق بالرواية والقصة القصيرة. . . . . الإنتاج كثير جداً ويعني. . أنه الواحد في همومه واهتماماته المختلفة المتنوعة. . . .يمكن . . . كان الوقت لا يسمح بمتابعة هذا بشكل جيد ولكن لابد أن يأتي الوقت. . . الوقت الملائم للتعرف على إنتاج الإخوة السعوديين في هذا المجال.

* نعم . . توزيع الكتاب السعودي والمطبوعة السعودية الدورية أو الصحافة السعودية في القاهرة أو في بعض محافظات جمهورية مصر العربية. . . هل تعتقد أنه مقبول ومعقول. . . يعني يتيح للقارئ وللمتابع الدقيق الحصول على ما يريده في هذا النتاج؟

– إلى حد ما. . . أعتقد أنه يحتاج لقدر من الاهتمام أكثر.

* جميل

– يعني يحتاج لقدرة توزيعية أو خطة توزيعية مدروسة بشكل آخر؟

* خاصة أن الصحافة السعودية تحوي في كثير من إصداراتها على عدد أسبوعي يختص

بالأدب؟

– هذا صحيح ولكن . . . لكن بصفة عامة أحس أن المسألة تحتاج إلى قدر من الاهتمام أكثر . . . . حتى يصل . . . تصل هذه الصحافة . . . لكي تصبح متاحة أو مقروءة شأنها شأن الصحف التي تأتي من لبنان مثلاً . . . . . وهكذا .

* الكتاب الذي تقرأ في هذه الأيام؟

– لا أنا لا أقرأ في كتاب واحد في أي وقت لأن قراءتي للأسف كانت في كثير من الأحيان قراءة موجهة بمعنى . . . أنني أضع أمامي مشكلة أو هناك موضوعاً للدراسة فعندئذٍ لابد أن أجمع ما يتعلق بالموضوع وأقرأ قراءات متنوعة في الكتب التي تتعلق بالموضوع . . . لكن القراءة التي تقصدها ربما كانت تتعلق بالإبداع . . . الإبداع الأدبي . . . لأن هذه أعمال منفصلة .

* القراءة الاختيارية الذاتية نعم؟

– للقراءة الذاتية الاختيارية . . . وإن كانت حتى هذه القراءة الذاتية الاختيارية ما تلبث بعد أن تتم أن تدخل في نظام قراءة موجهة . . . يعني . . .

* كل خاضع للدراسة . . . ربما؟

– يعني . . . ربما أيضاً توضع لها التعليقات . . . توضع عليها التعليقات والتهميشات والإضافات والأشياء إعداداً لأنها يوماً ما يمكن الرجوع إليها في دراسةٍ أو ما إلى ذلك . . يعني . . . للحقيقة . . . أنا أحسد الكثيرين الذين لديهم متسع للقراءة . . للمتعة فقط . . . أنا لا أقرأ للأسف للمتعة فقط . . . أنا أقرأ وعيني على العمل . . . إلى أي حد يمكن أن يكون موضع نقد أو دراسة أو ما إلى ذلك .

* نعم . . هذه طبيعة الدارسين دكتور . . . طبيعة الباحثين والدارسين؟

– للأسف . . للأسف .

* يعني . . . ربما كان المبدعون . . . المبدعون أكثر في الفرصة على القراءة الذاتية الاختيارية

– طبعاً . . هم لأنهم غير مطالبين لأكثر من هذا .

* نعم

* نعم ولأنهم لايعنون بالدرس النقدي؟

– وهذا أيضاً لأنهم . . . قليل منهم من يلقي بالاً لما يكتب من النقد . . . . ويرون هذا يعني . . نوعاً من الترفع . . . . وإن كنت أعتقد أن هذا من أخطر الأشياء . . يعني إذا سألتني هل كان يمكن لأدبنا أن يكون أكثر تطوراً مما وصل إليه . . .أكثر تقدماً . . . . لقلت نعم . . ولكن بشرط أن لا يبتعد الأدباء المبدعون عن حركة الفكر النقدي . . . .التي تدور حولهم . . ويظنوا أنهم أرفع من هذا . . . أو أنهم لا شأن لهم بما يقوله النقد والنقاد . . شأن كثيرين من الأدباء عندنا على الأقل . . . أعرف

كثيراً منهم كان يقول والله أنا لا دخل لي بعلم النقد ولا أحب أن أسمع النقد وأنا أعمل ما أريد ويعمل النقاد مايريدون.

* مسترشدين برأي المتنبي.. ربما؟

- هذه.. هذه النزعة لا تجدي المثقف المبدع... هو مثقف وثقافته وكتابته محسوبة على الثقافة فلكي تكون كتابة مثقفة مواكبة لحركة الفكر فلابد أن يقرأ أيضاً.. وفي بعض الاتجاهات هناك أحياناً.. يكون النقد أكثر إقناعاً من العمل الأدبي الأصلي نفسه.

* نعم كانت الثنائية موجودة دكتور في كل البيئات الأدبية يعني بأيهما أهم النقد أو الإبداع من يقوم على الآخر..؟

- حتى هذه القضية كانت موجودة دائماً لكن الآن تنحل... لكي تذوب الفوارق الحاسمة بين نشاط ونشاط... النشاط الإبداعي معروف مجالاته... والنشاط النقدي هو أيضاً يشكل همأ إبداعياً وكما كنا نقول منذ قليل.... إنه العمل الإبداعي لايوجد ولا يتحقق إلا بقارئه

* طبعاً

- فإذن القارئ هو الذي يعطيه أبعاده الحقيقية.

* نعم... نعم

- وربما يعطيه أبعاداً أكثر مما خيل لمبدعه الأول أنه يحققها.. يعني... كثيراً مايكون النقد كاشفاً لقيمه ولأبعادٍ في العمل الأدبي لم تجل بخاطر المبدع الأصلي نفسه.

* ولهذا النقد يكون الإبداع مرتين؟

- ولذلك يكون عملية النقد عملية إبداع على الإبداع.

* إبداع جديد في الواقع؟

- إبداع جديد... فلهذا أقول كثيراً ما كان النقد يقرأ باستمتاع.. شأنه شأن قراءة الأعمال الإبداعية.

* ولكن هناك يادكتور مخاطرة جداً.... أن بعض النقاد في الواقع يحمل النص مالا يحتمل من ذاته.... يعني.. يخلق أشياء حول هذا النص لم تخطر ببال المبدع؟

- ليكن... هذه قراءة.... أليست هذه قراءة... وليس هذا... أليس هذا يعني تصوراً للعمل؟

* ولكن ينوء به النص بما حمل به؟

- ينوء به.. لكن من وجهة نظره أنه يحتمله... ما دام هذا وارداً.. وليس ملزماً.... الأمر في هذا أنه غير ملزم هذه القراءة.

* نعم

– هذه قراءة ترى العمل بصورة معينة... تفسره تؤوله تفسيراً خاصاً ولكنها تحافظ على وحدته وتكامله وبنيته.. إذن عليّ أن أتقبلها هكذا من صاحبها... وليس هناك ما يفرض مطلقاً أن يكون صاحب النص هو المرجع والحكم... في أن هذا صحيح أو غير صحيح.... لا داعي إطلاقاً لاتحاد مرجعية المؤلف هذه... لا ضرورة لها على الإطلاق.

* نعم.. هو الخوف من المبالغة والتهويل وتضخيم النص؟

– لا.. هناك فرق ما... قد تعنيه.. ربما كان يدخل في مسألة الطنطنة للعمل... لا.. هذه مسألة أخرى.. لأنه صديقي.. أو لأني بيني وبينه مودة... أو ما إلى ذلك.. لعل

* أحياناً يريد الناقد أن يصنع مجداً على حساب المبدع؟

– لنفسه؟

* نعم

– لا.. هي مسألة.. أن يصنع مجداً لنفسه... أيضاً من حقه.. ولماذا.. يعني.. يصنع المؤلف المبدع مجداً لنفسه والناقد يظل تابعاً يعني... ولماذا؟ هذا نشاط... أليس هذا نشاطاً عقلياً وروحياً يبذله الناقد أيضاً.

* نعم... أنا لا أقف بحق الناقد يادكتور... بل أقف معه... ولكن أحياناً تجد أن هذا النص ناء وتكلكل كثيراً بكل المقولات التي صاغها وحبكها هذا الناقد حول هذا النص... وقد يكون النص بسيطاً وطيباً جداً بحيث يدخل له القارئ والمتلقي دون هذه التفسيرات العليلة؟

– لا... يعني.. يعني... كلما أمعن الإنسان في رؤية النص وتقليبه وتداوله من نواح مختلفة.. والدخول إليه بمداخل مختلفة... كل هذا يثري العمل حتى وإن كان يبدو في ظاهره ساذجاً أو بسيطاً أو هيناً... فإن هذا الإثراء له قيمته وله أهميته بلا شك.

* دكتور السؤال الأخير تقريباً، ربما شغلك في حياتك العلمية في هذه المرحلة بالذات كثير من الرسائل العلمية التي تشرف عليها أعتقد أنه قبل ما أجيئ إليك كان لديك طالب دراسات عليا؟

– صحيح.

* ما هي أبرز رسالة علمية تشرف عليها الآن سواء في الماجستير أو الدكتوراه؟

– والله هناك رسالة تتعلق بالشاعر لبيد.. وهي دراسة في بنية الفكر الشمولي أو الكامل الذي يستخفي وراء القصيدة الجاهلية من داخل عقلية لبيد نفسه.. يعني.. هي نوع من التحليل القائم على رؤية بؤرة التمحور في موقف الشاعر... وكيف تنشر هذه البؤرة في قصائده المختلفة.

* يطيب لي أن أشكرك على هذه الضيافة الجميلة.

– شكراً أخي محمد.

علوي طه الصافي

علوي الصافي ذلك الشاب الذي تألق نقدياً لفترة ثم اختفى وراء إصدار أدبي شهري . . ؟ هل يعني هذا غياب روحه النقدية، واختفاء نظراته إلى ما ينشر يومياً في صحافتنا من ألوان الأدب . . ؟ إنه يتذكر -وبشكل جيد- تلك المرحلة التي كانت الأقلام فيها تختصم . . ثم تصطلح على قضية من قضايا الفكر والأدب. ويتذكر ما فعله ذلك «المسمار» من ثقوب في ذاكرة الأدباء. . . وما شنته «ليلى سلمان» التي تحمل شهادة ماجستير في الصحافة من هجوم على بعض الأدباء، لم يقل في هذا اللقاء كل شيء لكنه يشير إلى أهم ما حصل. . سألته. . . وقلت. . . لعلك ترجع بذهنك إلى أيام زمان، يوم كنت موجوداً ثم تنظر إلى الحاضر فتدرك المسافة الرهيبة بين النشاط والركود؟ قال:

- في رأيي -وأرجو ألا أكون مغالياً- أن الحركة النقدية قبل ثمان أو عشر سنوات كانت أفضل منها في الوقت الحاضر، وهذه الأفضلية لا تأتي من حيث المستوى، ولكن من حيث النشاط والحركة، فقط كان الوسط الأدبي خلال المرحلة السابقة أكثر حركة ونشاطاً. . . وكان الأدباء والنقاد على صلة مستمرة وحميمة بكل نشاطات الساحة الأدبية والنقدية، وكانت هناك مسامرات وندوات ولقاءات خاصة في المنازل وقد شارك في هذه الحركة النقاد والأدباء جنباً إلى جنب وكذلك المؤسسات الاجتماعية والرياضية. رغم غياب المؤسسات الفكرية والأدبية فقد كانت النوادي الرياضية لها نشاط ثقافي جيد، إلى حد أنه لا يمر شهر إلا وتلقى محاضرة أو محاضرتان بينما في الوقت الحاضر لدينا مؤسسات أدبية عديدة. ودور نشر وأدباء أكثر من الفترة السابقة، وأيضاً يوجد داخل المجتمع الأدبي أدباء ونقاد من الوطن العربي، وكان من المفروض أن ينتج هذا الوسط من خلال هذا الثراء الذي يمتلكه حركة نقدية أو أدبية أفضل مما كان عليه الوضع قبل عشر سنوات مثلاً.

وحتى نكون أكثر عدلاً فإننا لا نستطيع أن ننكر ما تقوم به دور النشر السعودية في طبع الكتاب السعودي ونشره وانتشاره في الداخل والخارج، وهو عمل رائع يشرف هذه المرحلة، ونتمنى أن يلقى هذا النشاط تجاوباً من النقاد السعوديين والعرب، وهم على مستوى كبير من الشهرة والأصالة والقيمة.

أسباب الركود النقدي

* ترى ماهي أسباب هذا الركود النقدي؟

- لأننا نمر بمرحلة، تتمثل فيها نقلة حضارية مادية رهيبة، وهذه النقلة بالتأكيد أدت وستؤدي

إلى صناعة متغيرات اجتماعية ونفسانية وفكرية وعقلية. . . نأمل أن تتمخض هذه المتغيرات في المستقبل القريب عن عطاء كبير في الحقل الأدبي ليسهم مع النهضة في جانبها المادي.

هذه معاركهم!

* نماذج نقدية عن فورة الحركة الأدبية في المرحلة السابقة؟

- الحقيقة أنني حين تحدثت عن المرحلة السابقة فإنني أعني الجانب الحركي منها، لكن: هل هذا النشاط وتلك الآراء، والمعارك الأدبية التي كانت دائماً تدور بين أبي عبدالرحمن بن عقيل وبين علوي الصافي، أو بين أبي عبدالرحمن وعبدالله بن خميس. . أو بين حمد الجاسر وعبدالقدوس الأنصاري على جيم جدة، أو بين عبدالله نور ومشعل السديري على «اللامنتمي» أو بين ليلى سلمان وتركي السديري وعلوي الصافي، أو بين مسمار ومجموعة من الأدباء؟

هل هذا النشاط أثر في الحركة الأدبية. . أرجو أن تعذرني عن الإجابة. فهذا حق من حقوق الكوكبة التالية. . كان هناك تجاوب كبير جداً بين القارئ والنقاد، فأنا أذكر -مثلاً- حين كنت أعمل في اليمامة أن كثيراً من الشباب كان يأتي إلى مطابع الرياض في المرقب قبل صدور المجلة للحصول على أعدادها، أو بعد صدورها لاختفاء الأعداد لأنه تم توزيعها، وحين تبحث عن حقيقة هذا الاهتمام نجد أن بعضهم يود أن يقرأ ماكتبه مسمار عن أديب من الأدباء، أو مارد به أديب على مسمار، أو ما قال «جيم» من الكتاب في رده على «س» من الكتاب الآخرين.

هذا في حد ذاته غير موجود الآن، وهذا لا يعني أني أجرد هذه المرحلة من كل عطاءاتها، ولكنني أقول إن عطاءات النقد في المرحلة الماضية أكثر مما هو موجود الآن. والسؤال الذي يظل قائماً، ماهي ثراءات الحركة النقدية السابقة في الأدب السعودي؟

وهو سؤال يحتاج إلى تقييم وتقويم للحكم على المرحلة أو لها، ومع ذلك فأنا متفائل أن في الكوكبة الشابة الحالية أقلاماً واعدة بالعطاء، الذي يتجاوز الحدود الإقليمية ليعانق الكون كله، فالأرض التي أنبتت كثيراً من العظماء قادرة على الاستمرار في العطاء وإخراج علماء جدد.

قصة مسمار «وليلى سلمان»!

* ليلى سلمان ومسمار هل هما اسمان لناقد واحد هو «علوي» ترى ماذا كان يريد أن يقول متخفياً تحت هذين الاسمين؟

- أولاً: ظاهرة الأسماء المستعارة ليست غريبة في الساحة الأدبية، وستستمر استمرار رغبة الإنسان في التجديد، ورغبته في الغموض والتخفي والتنقل. . . ولا أريد أن أطرح أمثلة على هذه الظاهرة لأنها تكاد أن تكون من البديهيات. وقد قرأت كثيراً هجوماً سافراً على ظاهرة الأسماء المستعارة إلى حد أن بعضهم اعتبرها نوعاً من التخلف، ولا أود أن أرد على هذه الآراء. لأن

استمرار هذه الظاهرة ووجودها في مجتمعنا وفي مجتمعات العالم لن يوقفها الرأي القائل بأنها ظاهرة من ظواهر التخلف. ولا أدري كيف ربط هؤلاء القوم بين ظاهرتي «التخلف» والأسماء المستعارة. هل لأننا معقدون.. أم لأننا في أعماقنا نعيش القبلية، أو قبلية الجاهلية؟ وكل ما أود أن أقوله: إن ظاهرة الأسماء المستعارة في الأدب والفن والمجتمع أيضاً هي ظاهرة نفسية بالدرجة الأولى. تحولت فيما بعد إلى حقيقة تاريخية، بل أصبحت عرفاً في الأدب والفن والصحافة.

ولأن «ليلى سلمان» و«مسمار» أصحاب قضية في ذمة التاريخ، ولأن الضجة التي أثيرت حولهما كانت عن انفعال أو افتعال –فيما أرى– لذا أود أن أقول لك إنني كنت أتعاطف معهما تعاطفاً وجدانياً وعقلياً، لأنهما كانا يمثلان الجانب الحركي وسط المجتمع الساكن، والمسكون بالرتابة والطيبة هل يكفي هذا التعاطف أنهما جزء مني؟ وأنني جزء منهما؟ لأنهما يعبران بصدق وحماسة عن ما أود أن أقوله باسمي الصريح؟ ليس لخوف، ولكن احتراماً لتلك الطيبة التي تميز بها المجتمع الساكن، والمسكون بالرتابة..؟ فنحن في مجتمع يجب أن يوقر الصغير الكبير، وأن يعطف الكبير على الصغير، وهذا المجتمع يرفض أن يتطاول علوي الشاب الغر على الشيخ الكبير والقلعة الحصينة عبدالله بن خميس، أو عبدالله بن إدريس، أو غيرهما... مع احترامي وحبي للجميع.

هذا المجتمع يرفض أن يشار –ولو بمجرد إشارة– إلى تلك القيم الهادئة المستقرة بنظرة النقد أو المناقشة.. وفي اعتقادي أن ليلى سلمان ومسمار كانا يمثلان مرحلة من المراحل التي فرضتها طبيعة التطور.. وطبيعة المجتمع في ذلك الوقت.

مسمار... يمكن أن يعود!

* هل تتوقع أن يعود مسمار وليلى سلمان إلى الساحة ويرجعا إلى شيء من نشاطهما في الماضي مع خصوم جدد؟

– من حقهما أن يعودا وأن يقولا آراءهما في المرحلة الحالية، ولا يهمهما أن يكسبا خصوماً جدداً... وإن كانا يسعدهما أن يلتقيا بأصدقاء يتألقون عطاء وحماسة، وهما لم يموتا، مازالا يعيشان على أديم هذه الأرض، ويتزودان كل يوم وليلة بالثقافة والتأمل... من الداخل والخارج، وهما بالتأكيد يرصدان هذه الحركة المعاصرة التي تزخر بكوكبة شابة، وبكثير من العطاءات الكبيرة والتي بدأت دور النشر تهتم بها سواء بالنسبة للرعيل الأول من أدبائنا (شحاته– العواد– الصبان–الفلالي– بالخير– عبدالمقصود) أو الجيل التالي عزيز ضياء و ضياء الدين رجب، ومحمد حسين زيدان، والجيل التالي لهم كعبدالله جفري، وعبدالله نور، وعبدالله الماجد، وهاشم عبده هاشم، وفهد الحارثي، وتركي السديري، وأبو عبدالرحمن بن عقيل،

وغازي القصيبي، وعلي الدميني، ويوسف الكويليت، وحمد القاضي، وأحمد الصالح. . . . وغيرهم. . . وما نتطلع إليه من خلال الجيل الشاب الذي يمثل واجهة الساحة الأدبية، وهي كوكبة واعدة تمتليء بالعطاء، ومنهم عبدالله الصيخان، وجهير المساعد، وجار الله الحميد، ومحمد علوان، وجبير المليحان، وعبدالله الزيد، وحسين علي حسين، وداود الشريان، وفهد الخليوي، وفوزية البكر، ولطيفة السالم، وغيرهم.

ماذا عن الحاضر؟

* والحركة النقدية الآن. . . كيف تنظر إليها؟

– ليس من شك. . . . يوجد مانسميه بالحركة النقدية لكنها فردية، أقصد من هذا أنك قد تقرأ نقداً لإنسان ما عن كتاب ما أو عن أديب ما. . لكنها تفتقر إلى التواصل المستمر الذي يثري الحياة الأدبية، لكن الملاحظ أن هذه الحركة قادمة من الخارج، ولا أقصد من هذا التحيز إلى إقليمي ولكن أقصد أن هذه الحركة النقدية هي رؤية خارجية لعطاء غير سعودي، وكان بودي أن تكون هذه الرؤية من خلال عطاءات الأدب السعودي، ولكن أن يكتب ناقد سوري أو مصري، عن كتاب أو أديب سوري أو مصري فإن هذا لا يخدم الحركة النقدية في المملكة، وبالتالي لايمكن اعتبارها حركة نقدية سعودية. كما أنني أتساءل: أين الناقد السعودي الذي استطاع أن يطرح تجربته النقدية من خلال تقويمه للأعمال الأدبية المختلفة (شعر، قصة، دراسات)؟ كما أنني أتساءل عن الناقد السعودي أو غير السعودي الذي استطاع أن يغربل ما تطرحه دور النشر السعودية من كتب تشمل مختلف المعارف الإنسانية، وحين أسأل عن الناقد فانني لا أطرح سؤالاً استنكارياً. . ولكنه سؤال تقريري لأنه يوجد نقاد في المملكة سعوديون، وغير سعوديين قادرين على الإسهام في تنشيط الحركة النقدية، ولكي أكون واضحاً ومنطقياً لن أقول لك اعفني من طرح الأسماء، فهذا هروب يمارسه كثير من الكتاب والنقاد وأتذكر من نقادنا القادرين د. منصور الحازمي، فهو ناقد شاء أم أبى، ويستطيع لو أراد أن يلملم شتات فن القصة في المملكة من خلال دراسات عميقة تشتمل على الطرح الاكاديمي، التقعيدي والتأصيلي إلى جانب الرؤية الذاتية أو الخاصة له كناقد. د. أحمد الضبيب، أيضاً هذا الرجل قادر على طرح كثير من الدراسات النقدية في مجال حقله. د. غازي القصيبي رغم أنه شاعر إلا أنه ناقد حقيقي وأصيل وهذا ماتؤكده محاضراته التي يلقيها من حين إلى آخر في النوادي أو في قاعات الجامعات، أو من خلال مقالاته التي تنشرها الصحف. وأيضا الأساتذة عبدالعزيز الرفاعي وعبدالله نور، وعبدالله الماجد وفهد الحارثي.

هذه أسماء مجرد أمثلة لما يمكن أن نتطلع إليه من خلالهم في إيجاد حركة نقدية، كما يوجد لدينا من النقاد العرب الذين أسهموا بصورة أو بأخرى، وهم قادرون أيضاً إذا أرادوا على متابعة

مابدأوا، فهم على سبيل المثال: د.أحمد كمال زكي، د.شكري عياد، د. يوسف عز الدين، د.حسن ظاظا، د. يوسف نوفل، وغيرهم. هذا ما يمكن أن يقال عن الحركة النقدية.

من ينقد أعمالنا؟

* العمل الإبداعي السعودي لن يعرف خفاياه إلا من يتلقونه ويعايشونه بكل جوارحهم وهمومهم؟

- أولاً المتلقي الذي نشير إليه هنا عادة يكون جمهور القراء، وليس شرطاً أن تكون هذه الجمهرة ناقدة، أو لديها القدرة على النقد، ولكن هناك نفر من هؤلاء القراء الذين نطلق عليهم مصطلح النقاد، هؤلاء يمثلون ناحيتين، أولاً: أنهم جزء ممن أشرت إليهم بالذين يتلقون العمل الأدبي، ولكنهم لا يتوقفون عند مرحلة التلقي، بل يتجاوزونها إلى مرحلة تقييم هذا العمل، والمشاركة الإبداعية من خلاله، فالنقد عمل تال للأدب ولكنه ليس تابعاً له، لأن النقد لا ينشا من فراغ، ولايعطي في فراغ، وإنما ينشأ من وجود، ويعطي من خلال هذا الوجود، فإذا كان النقد تالياً للأدب فإنه لا يقف موقف التبعية، ولكنه يتجاوز هذه النقطة إلى مرحلة المشاركة في الإبداع، فالنقد عملية تقويمية إبداعية، بل ربما يجب أن يكون الناقد أكثر ثقافة من المبدع . . . لهذا فإن للنقد مهمتين. . الأولى: اكتشاف أعماق العمل الأدبي، أي مضمونه، وبالتأكيد فإن الناقد السعودي خير من يمكن أن يقوم بهذه المهمة أكثر من غيره، لأنه جزء من هذا المضمون، ولأنه أقرب حسياً ونفسياً وعقلياً إلى هذا المضمون.

المهمة الأخرى: يتناول الجانب الخارجي (الشكل) أو الجانب التكتيكي للعمل الأدبي، وهذه المهمة يستطيع أن يقوم بها الناقد العربي أو الإنجليزي، أو الفرنسي كما يقوم بها الناقد السعودي، لأن قضية الأشكال الأدبية هي ملك لكل الشعوب.

ومع ذلك فإن أي ناقد سواء كان عربياً أو غير عربي قد يستطيع أن يتغلغل إلى أعماق العمل الأدبي السعودي، وفي محاولة لاكتشاف مضمونه. وهذا جزء من مهمته النقدية، أما من حيث التوفيق فهذا راجع للقدرة الذاتية للناقد نفسه، فقد يكون الناقد السعودي -مثلاً- ناقداً قاصراً ويكون الناقد الآخر ناقدا أصيلاً وقادراً. . . وبالتالي قد يتفوق هذا الأخير على الناقد السعودي، لكن حين يوجد الناقد السعودي القادر وليس القاصر فإنه لا شك أقدر على فهم مضمون العمل الأدبي السعودي.

ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نحرم أي ناقد من تناول أعمالنا الأدبية، لأنها من غير بيئته، ولو قلنا بهذا الرأي فإننا نفرض ونضع سدوداً وحواجز بين الناقد المعاصر، وبين الأعمال الأدبية الكلاسيكية القديمة.

صمت الكتاب مثل صمت الكاتبات!!

* تتهم الكاتبة بأنها تختفي وتصمت بعد زواجها . . وفي المقابل يتهم الكاتب بالصمت حين يسند إليه عمل إداري آخر . . ؟ وعلوي صمت كثيراً بعد أن رأس تحرير «الفيصل»؟

– لا شك أن تورط الأديب أو الناقد في أعمال خارج إطار العملية الأدبية والنقدية فيه قتل كبير لما يجيش داخل نفس الأديب أو الناقد، وفيه حد لتطلعاته الفكرية والأدبية وفيه تجميد لمساهماته الفكرية والأدبية، وليلى سلمان إذا كان اسمها اسم امرأة، فلا يعني أنها حقيقة امرأة تزوجت ثم صمتت ومسمار أيضاً لا يعني أنه اختفى أو صمت لأنه قال كل شيء.

قد تكون ليلى سلمان امرأة، وقد لا تكون امرأة، كما أن مسمار قد يكون امرأة مختفياً وراء اسم رجل، ومع ذلك ومن خلال معلوماتي أنهما يعيشان في هذا المجتمع ولا أستبعد أن تجمعهما روح واحدة، وفعل واحد. . . يتهم أنها علوي الصافي! ولا أود أن أقول كما قال ذلك السياسي العربي حين اتهم بتنظيم مظاهرة ضد الإنجليز فرد على هذه التهمة بقوله: شرف لا أدعيه، وتهمة لا أدفعها!

وسيأتي اليوم الذي يكشف فيه عن حقيقة هذين الاسمين، والأدب لا يفرق بين المرأة والرجل، لأنه مخاطبة من العقل للوجدان، وتأثر بالوجدان من العقل. . . ولا عبودية للغرائز الجسدية، هذه الغرائز التي لا تفرق بين الرجل والمرأة فليس هناك أدب له شنب وذقن، وأدب يضع المكياج على وجهه، والحمرة على شفتيه، والأقراط في أذنيه، ويضع على صدره قلادة ترتعش على كاعبين ثائرين. . !

اما بالنسبة لي أنا أعترف أن كثرة العمل والمسؤوليات في مجلة الفيصل إدارة وتحريراً قد أجهضت كثيراً من الولادات الحية في أعماقي . . . كما أنها قيدت من جنوني الايجابي وتطرفي الاصطلاحي، أخشى ما أخشاه إذا استمرت هذه االحاله أن يموت في داخلي علوي الأديب أو الناقد. . . وهذا ليس ذنبي مساعدة علوي الصافي في النهوض بمجلة الفيصل، وبالتالي التخفيف عن أعبائه.

وهنا أعلنها صريحة، أرحب بكل عطاء قادر، وهي ملك للجميع، وعلوي ليس فيها إلا عاملاً لا يستطيع أن يؤدي واجبه لوحده، ويتطلع أن يجد حوله وداخل قلبه أخوة له يسهمون معه في إيجاد حركة صحفية بناءة.

هذه تهمة!

* يقال: إن نقدك مجرد تهويش، أو مجرد إثارة؟

– من الصعوبة جداً أن نرد على كل ما يقال، ولا أعتقد أن كل ما يقال هو الحقيقة، وقد يكون

أيضاً الحقيقة، لكنه يظل مجرد قول، ورأي للآخرين، وأنا لا أدعي إطلاقاً أن ما كتبته كان في مستوى ترشحه كل الأقوال، وتجمع على جودته كل الآراء، لأن هذا النوع من المسؤوليات هي مستويات كاملة، والكمال لله وحده.

هذا صراع على البقاء

* ماهو تصورك للصراع القائم بين الجيلين (الشيوخ) و(الشباب)؟

– هذه سنة الحياة، فلا بد أن يوجد تنافس على الأصح بين جيلين، وذلك لاختلاف التوجهات، واختلاف المفاهيم، واختلاف ثقافة الجيلين، وهذه الظاهرة موجودة في كل زمان، وفي كل مكان، وهي ظاهرة صحية، ومظاهرة لا نستطيع أن نوقفها... إذ المعروف أن القديم السابق يحرص على أن يكون كل شيء، بينما يحاول الجديد أن يحتل جزءاً من المكان، من خلال هذا التنافس قد ينتج نوع من الصراع الحاد الذي يؤدي إلى التمزق والقطيعة، وقد يكون صراعاً هادئاً، كالحرب الباردة.

والفروق بين جيل وجيل –في رأيي– سنة من سنن هذه الحياة، وجانب من جوانب التكوين بين البشر، فكما أن هناك فروقاً فردية بين فرد وفرد في المجتمع الواحد والزمان الواحدفلماذا لا تكون هناك فروق بين جيل يمثل توجهات وفكراً في مرحلة معينة، وبين جيل يخالف تلك التوجهات!

والصراع الذي يحصل عادة نتيجة صراع على البقاء فقط، فالسابق يخشى أن يأتي عليه الجديد، والجديد يحرص أن يوجد له مكاناً في المجتمع ومساحة على الخارطة الجغرافية، والبقاء في رأيي دائماً للأفضل والأجود والبناء.

هذا رأيي!

* من وجهة نظر نقدية... كيف تواجه شعر الشباب؟

– في المملكة لا شك أنهم يمثلون عصرهم، لكنهم لا يمثلون أنفسهم، ولا ببيئتهم ولا مجتمعهم، فأنا لا يعجبني الشاعر الذي يستعمل الأساطير اليونانية، والأساطير الرومانية، والخرافات الفرعونية بكل مدلولاتها التاريخية المختلفة في كثير من الأحيان والتي لا تربط القارئ العربي بها أية صلة.. فماذا نفهم من تموز وشعراء تموز، وماذا يمكن أن نضيف إلى القارئ بهذا التلميح، وماذا يمكن أن يستفيد القارئ لو أراد البحث عن شعراء تموز... ولماذا نرهق القارئ بهذه المصطلحات الأسطورية، وهذه الدلالات الخرافية... وقبل كل هذا نسأل .. ما الأدب..؟ ماذا نريد من الأدب..؟

إنني أرى أن للأدب وظيفة اجتماعية، وأن على الأديب دوراً كبيراً في التعبير عن هموم عصره، ومشكلات بيئته بصورة أقرب من الافتعال والهروب لاستيراد أساطير أجنبية!

كما أن هناك ظاهرة أخرى قد لا يدركها الإنسان، وهو ما يمكن أن يسمى بظاهرة التغريب،

ليس عند شعرائنا فقط. الذين -للأسف الشديد- يمثلون نسخاً كربونية لنسخ عربية كربونية أيضاً، فهناك نسخ كربونية من الشعراء العرب تأثروا بشعراء أكثر أصالة منهم كأليوت، وباوند، وبيرون، فجاء شعراؤنا في المملكة ليكونوا نسخة من النسخ الكربونية.

وفي رأيي أن الاسطورة بقدر ما تثري القصيدة هي أيضاً تقتلها، وتجعل بينها وبين المتلقي سداً يحول دون التأثر والتأثير.

فحين تقرأ مثلاً لسعد الحميدين، وعبدالله الصيخان بعض ما يكتبان من قصائد تجد أنهما يقلدان النسخة الكربونية، فكأنهما نسخة ثانية أو ثالثة... وهذا مالا أريده لشعرائنا الذين نتطلع أن يكونوا على مستوى الدور الذي نود أن يكونوا عليه.

لكن مع ذلك لا ننكر عليهم شاعريتهم، وفي نفس الوقت نأسف أن توظف هذه الشاعرية وتُشوَّه من خلال التأثر المطلق بغيرهم.

علي جواد الطاهر

* نحاول أن نقدم مجموعة أو عدداً من الضيوف الذين لهم اهتمامات ثقافية وأدبية واجتماعية وفنية، نحاول أن نستجلي أذواقهم ونستجلي اتجاهاتهم الأدبية والفنية والاجتماعية، نحاول أن نقف على خصائصهم من خلال السؤال إثر السؤال، ومن خلال المتابعة الدقيقة لخواطرهم ولتداعياتهم الذهنية حينما يتحدث أحدهم إلينا حديثاً مستفيضاً مستأنياً مستريحاً.. يوقفنا في هذا الحديث على النقاط المهمة في حياته، وعلى الدواعي الفكرية له، وعلى ما يهمه في الحياة والفن والمجتمع.

تشرفنا بزيارة منزل الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر، أستاذ الأدب العربي في كلية الآداب جامعة بغداد سابقاً، والأستاذ أيضاً قديماً في جامعة الملك سعود في مدينة الرياض. وهو الآن متفرغ للبحث العلمي وللدرس والكتابة. على أية حال نحاول أن نصل إلى تعريف أوسع وأشمل عن حياة ضيفنا الكريم كاستهلال لمقدمة هذا الحديث، ونحن الآن في مكتبته، وبين أفياء هذه الكتب، وبين أوراقه وبين فهارسه، وما جمعه، وقد عرف ضيفنا بأنه مفهرس ومؤرشف وجامع ومتابع ودارس. كل هذه الأشياء هي مفاتيح حوارنا معه. نقول لضيفنا الكريم أهلاً وسهلاً.. وحياك الله يا دكتور.

– وبكم.. يا أهلاً ومرحباً.

* دكتور.. تعودنا أن نقدم الضيف ببعض العناوين السريعة من بطاقته الشخصية عن حياته، وعن أدبه وعن دراسته وعن أسرته.. فماذا تقول؟ أو ماذا تحوي بطاقتك؟

– والله لا تحوي شيئاً كثيراً.. شأنها شأن أية بطاقة من بطاقات من هؤلاء الناس.

* نعم.

– الولادة في بيت متوسط الحال.. له حظ من القراءة والكتابة، وفيه شيء من الكتب.. وتعلم على ما كان آنذاك عنه.. قراءة القرآن الكريم.. حفظه.. ثم الانتقال إلى المدارس المدنية الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية ثم دار المعلمين العالية ببغداد، وهي ما يساوي كلية التربية فيما بعد، والتخرج سنة ١٩٤٥ للميلاد، ثم العمل لسنة ونصف سنة في التدريس الثانوي، ثم بعثة لدراسة الأدب في مصر، ثم في باريس للحصول على الدكتوراة من السوربون أوائل سنة ١٩٥٤م

* وحصلت عليها في تلك السنة؟

– هو حصلت عليها في سنة ١٩٥٤م وعدت وعينت في دار المعلمين العالية نفسها أيضاً أستاذاً للنقد الأدبي والأدب العربي.. ومحاضراً في كلية الآداب التي كانت قد فتحت حديثاً آنذاك.

* إذن أنت تجيد فيما يبدو لي ثلاث لغات؟

– أجيد العربية والفرنسية وشيئاً لا بأس به من الإنكليزية.. على الأقل للقراءة.

* لكنه لا يبدو عليك شيء من اللغة الفرنسية في أدبك.. ألا تقرأ بها كثيراً؟

– أقرأ وأكتب وأستفيد منها مصدراً في كثير من كتاباتي ودراساتي ولاسيما في كتاب (مقدمة في النقد الأدبي) وثم هذا الكتاب الذي تراه (الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي) وهذان كتابان لا يمكن أن يؤلفا دون الاعتماد على المصدر الفرنسي.

* اللغة الفرنسية؟

– فالشيء الذي أريد أن أقوله.. وقد أثرته فعلاً، أنه حينما نتعلم لغة أجنبية أو أدباً أجنبياً نتشرب الجيد الأصيل العميق في هذا الأدب لنغذي به أدبنا، لغتنا، لنتنطع بذكر مصطلحات، وقد لاحظت لسوء الحظ وحسنه أن الذين يتنطعون كثيراً باستعمال مصطلحات وألفاظ انجليزية وفرنسية هم أقل حظاً من التحصيل العلمي هناك. وكثيراً ما ضربت مثلاً بالدكتور طه حسين الذي هو أعلم العالمين باللغة الفرنسية، لكنه حين يكتب في الموضوعات العربية نقداً أو تاريخاً لا تراه يعرج على هذه المصطلحات إلا عند الضرورة القصوى.. وهو أعرف بها وبأسرارها وبتاريخها عند قومها.

هذا الذي أثرته.. في الحقيقة جدير بالعناية والدراسة، فمنا من يعود بحصيلة قد تكون قليلة.. غالباً قليلة.. فتراه يزج بالكلمة الأجنبية هنا وهناك.. بمناسبة وغير مناسبة، وأتعس ما في الأمر أنه يستعملها خطأ.. يعني الآن.. ولو عدنا إلى هذا الكتيب الذي أمامك (الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي) وما ألف إلا من أجل تصحيح ما شاع من خطأ في استعمال هذه المذاهب وفي دلالتها، وفي الخلط بينها وبين ما يمكن أن يكون قريباً منها في النقد العربي.

* نعم.. وهذا ما لاحظته في أدبك وفي كتاباتك.. أنك لا تحاول إظهار قراءاتك باللغة الفرنسية.. ولعل هذا الكتاب الذي أقف الآن عليه لأول مرة. الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، يوقفنا أيضاً على المذاهب الأدبية الدراسية والفكرية أيضاً في درس الأدب والفن من وجهة نظر نقدية، ويبدو من وجهة نظر فرنسية في أغلبه، على أية حال، لعل اللغة الإنكليزية أيضاً رافد مهم في ثقافتك وفي أدبك؟

– هذا صحيح.. الأصل في المصدر لهذا الكتاب هي اللغة الفرنسية والأدب الفرنسي.. والسبب أولاً لأن اللغة الفرنسية هي اللغة الأجنبية الأولى بالنسبة لي.. الشيء الثاني أن هذه المذاهب إنما ترسخت وشاعت وعرفت، وكانت لها أمثلة نظرياً وعملياً عند الفرنسيين أولاً، قد ينشأ المذهب عند غير الفرنسيين مثلاً.. ما يعرف بالرومانطيقية.. كان في ألمانيا وإنكلترا قبل أن يتبناه الفرنسيون.. لكن الفرنسيين.. هم الذين ساروا فيه طويلاً.. وضربوا الأمثلة والدراسة. ومثل

هذا.. أي شيء آخر.. بما في ذلك ما هو شائع في الوقت الحاضر عن البنيوية.. البنيوية وجدت عند غيرهم.. لكن هم الذين عرفوا بها وأشاعوها.. فهذا السبب.

* دكتور علي، لنعد إلى كتبك، فقد قدمت للمكتبة العربية عديداً من الكتب.. وتصفحت الصفحة الأخيرة من أحد كتبك فوجدت ما يزيد على أربعة عشر كتاباً، وقد زادت، يمكن على هذا الرقم.. فلعلك تذكرني ببعض هذه الكتب، ولعل أبرزها الآن (مقدمة في النقد الأدبي) الذي تفضلت بذكره قبل قليل؟

– نعم.. يمكن أن نصنف هذه الكتب إلى أبواب.. الباب الأول الذي يقوم على تاريخ الأدب العربي، وفي طليعته الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، يتناول هذه المرحلة التي لم تدرس، وتركت ثغرة في تسلسل تاريخ الأدب العربي، ومنه وقريب منه كذلك كتاب خاص عن الطغرائي الذي هو أحد أعمدة هذه الفترة، ولاميته مشهورة، وقد وقفت عندها وقفة تأريخية نقدية، ومما يتصل بتاريخ الأدب العربي أيضاً الاشتراك مع الدكتور يحيى الجبوري في تحقيق ديوان الطغرائي ونشره.. وقد طبع مرتين، وكذلك تاريخ الشعر العربي في العصر السلجوقي.. طبع مرتين. وعندي أيضاً ديوان الحزيمي.. أيضاً جمع وتحقيق مع الأستاذ عبدالجبار المعيد، ولي دراسات مستقلة أيضاً منها دراسة عن الحزيمي نفسه ولي كتاب غير منشور عن محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء، وقد نشرت فصولاً منه في مجلة مجمع دمشق، وفي مجلة الآداب ومجلة الأديب، وبقيت فصول أخرى، وأرجوا أن أوفق لإخراجه كتاباً. يمكن تطول علينا القائمة، لكن نعود إلى الباب الثاني الذي هو في النظرية النقدية، وقد استوفينا مقدمة في النقد الأدبي.. الخلاصة في مذاهب النقد الأدبي.. كتابات هنا وهناك بانتظار إضافات لهذين الكتابين في طبعة جديدة. الخلاصة هذه الطبعة الثانية التي بين يديك، والذي حدث أنه ما بين الطبعتين، مجلة المنهل طبعت، نشرته متسلسلاً عن الطبعة الأولى في عدة أجزاء، وآمل أن أضيف له في طبعة مقبلة المذاهب التي جدت بعده أو التي لم أستوفها في وقتها، في العملية النقدية عندي، كنت في الأساس أهتم بنقد الشعر وهذا طبيعي، لأن ثقافتنا تقوم أولاً على الشعر، لكن وجودي في فرنسا والعودة منها ووجود أنواع أدبية جديدة عند العرب ومنها القصة والرواية والمسرح، جرتني من حيث أريد ولا أريد إلى هذا الباب، ولي في ذلك كتاب في (القصص العراقي المعاصر) و(من حديث القصة والمسرحية) ودراسات مطولة عن قصاصين عراقيين، واحدة عن نزار سليم وواحدة عن عبدالملك نوري، ولي أيضاً في المخطوط كتاب آمل أن يطبع قريباً بعنوان عن المسرحية.. والرواية العراقية.

* نعم.. ولن أغفل ذكر كتاب مهم يهمنا نحن في المملكة العربية السعودية، وقد قدمته قبل حوالي

ثلاثة أعوام أو عامين إلى القراء في المملكة العربية السعودية بعنوان «معجم أدب المملكة العربية السعودية» فيما يبدو في مجلدين ضخمين، كل مجلد يقع في حوالي تسعمائة إلى ألف صفحة.. وربما زاد هذا العمل الجليل الذي قدمته لفهرسة وترتيب ومتابعة الأعمال الأدبية والأعلام الأدباء والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، عمل يستحق الذكر ويستحق الإشادة، وقد كنت أول من يعنى من الببلوغرافيين بهذا العمل بشكل مفصل وعلمي، فأود أن تلقي عليه الضوء خلال هذه الدقائق؟

– هو الاسم الدقيق للكتاب (معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية) ويشمل ما تيسر لي الوقوف عليه، وهو كتاب أراجعه وألم به منذ العنوان حتى النهاية مروراً بالمقدمة والمادة والخاتمة، أو ما أصل إلى العلم به عن طريق موثوق، وهو لا يقف عند الأدباء لأنه يشمل الفقهاء يعني ما ألفوا طبعاً الشرط بالموضوع أن يكون هناك تأليف.. المؤرخون وما أرخوا.. الجغرافيون وما جغرفوا – إذا صح التعبير – ثم يأتي الأدباء، فيهم الشعراء وفيهم الكتاب وفيهم القصاصون والروائيون.. وفي كل النواحي.. كل ناحية فيها كتاب.. ولم أبدأ المشروع على أنه معجم.. الحقيقة بدأته عندما تعاقدت مع جامعة الملك سعود لأعمل فيها في عام ١٨٨٣ هجرية ١٩٦٣ ميلادية، فاطلعت على مناهج الجامعة، وأقصد قسم اللغة العربية من كلية الآداب فاستغربت أننا ندرس كل شيء، في تاريخ الأدب، في عصوره، لكننا لا ندرس الأدب السعودي.. كيف ندرس الأدب الحديث. ليكن ندرس الأدب الحديث في مصر.. في العراق.. في الشام. لكن جامعة في السعودية لا تدرس الأدب السعودي، هذا غير معقول، لم يكن آنذاك معنا في القسم أحد من السعوديين، فقلت إذن لأقم أنا بهذه المهمة. طبعاً هذه المهمة تقتضي أولاً الاطلاع على المصادر.. المعلومات لكل عربي خارج السعودية كانت محدودة عن هذا الأدب.. كنت قد ألممت بكتاب أدباء الحجاز، لمحمد سرور الصبان، ألممت بكتاب آخر.. المهم أن ألم بمصادر هذا الأدب من شعر وتاريخ ومقالة وصحافة وقصة ورواية، التي بدأت آنذاك. كان الدمنهوري قد كتب روايتين على الأقل، فبدأت أجمع.. أقرأ.. كل ما قرأت ازددت ثقة بضرورة إيجاد هذا الدرس في الأدب السعودي.. لكن ازددت أيضاً جهلاً لأن المسألة أوسع من هذا. ومرت سنة ومرت سنتان وأنا أجمع، وقلت في نفسي لابد لمن يدرس أدباً، وطبعاً نحن نسير على منهجية يكون عارفاً جداً وإلا لا يكون، فاستمررت في هذا الموضوع أجمع المصادر.. أكتب عنها.. أسجل ملاحظات عنها.. بنية تدريس الأدب السعودي.

* نعم يا دكتور؟

– فطال الأمد.. وكنت أستعين أيضاً بالمكتبات الخاصة والعامة وبالسوق.. وبعض الطلبة أيضاً

كانوا يعينونني في جمع المادة.. لكن لحسن الحظ.. بعد سنتين أو ثلاث عاد المبعوثون السعوديون إلى التدريس في جامعة الملك سعود.. كان الضبيب والحازمي وإخوان آخرون.. هم حتماً أهل لهذه المهمة، فتركتها على عاتقهم، وإن لم يؤدوها كما.. في وقتها.. يعني.. الآن طبعاً اختلفت الأمور.. فهذا السبب.. واجتمعت عندي جزازات لا تحصى.. لما عدت إلى العراق في أواخر ٨٨ للهجرة ٦٨ للميلاد قلت لا أضيع هذه الأشياء.. واتصلت بالأستاذ العلامة الشيخ حمد الجاسر.. وكان يصدر (العرب) وفاتحته أن ننشر هذا الذي تهيأ لي حلقات في العرب، واستمر، ومضيت أكتب وأكتب، وبلغت حوالي ستين حلقة ثم جمعتها وصدرت بهذا الكتاب بعد إضافات كثيرة.

* هذا بالنسبة لمعجم المطبوعات؟

– بالنسبة لمعجم المطبوعات.

* في المملكة العربية السعودية.. نعم.. إذن ننتقل إلى نقاط أخرى في حياتك.. دكتور؟

– والله.. العفو.. ما دمنا عند الأبواب يعني باب المقالة عندي مهم جداً.. لأني أشعر أن المقالة فن لا أقول مظلوم.. سيثبت وجوده عاجلاً أو آجلاً. ولكن فيه مجال كبير للإبداع والتميز.. ولأن يكون كما هو كان فعلاً.. يعني.. نوعاً معدوداً بين الأنواع الأدبية.. هناك الشعر بأنواعه.. القصة.. الرواية.. المسرحية.. المقالة المبدعة. فعنيت بتدريسها.. أدخلتها في مناهج الدراسة الثانوية.. كتبت عنها.. دعوت لها.. وحاولت أن أكتب شيئاً يضعني على طريقها.. ومنذ الأربعة وخمسين للميلاد بدأت بشكل مركز على هذه الناحية.. نشرت في المعلم الجديد.. ثم استمريت.. وكانت لي مجموعة كتب أذكر منها كتاب بعنوان (مقالات) صدر.. ثم كتاب (وراء الأفق الأدبي).. وأخيراً (أساتذتي.. ومقالات أخرى) أحاول أن أبث شيئاً من الطراوة في المقالة.. بعيدة عن الجفاف العلمي الأكاديمي.. وربما كان فذلك نوع من رد الفعل للإغراق الأكاديمي.. ومنهج البحث.. والحواشي.

* نعم.. وبعد جهدك في المقالة.. ماذا تتوقع لهذا الفن أن يكون.. فن المقالة خاصة لأنه فن يكاد أن يكون الآن مضيعاً ومهملاً من كتابه، بعد أن افتقد رواده السابقين الذين قعدوه وأبدعوا فيه.. هل تتوقع له ازدهاراً ونمواً؟

– هو مضيع وغير مضيع.. غير مضيع لأن الآن الجرائد والمجلات تقوم على المقالة.. لكن أنا أقصد المقالة المبدعة التي ترتفع إلى مستوى الشعر والقصة.. وهذه طبعاً تحتاج إلى شيئين في الأقل: إلى توجه نحو كتابة المقالة مبدعة.. توجهاً وتوجيهاً.. وأن تتولاها موهبة.. لها حظ من الإبداع. يعني حينما نجحت ذلك النجاح الباهر في مصر يوم تولاها طه حسين والزيات وزكي مبارك والمازني.. كان هناك عاملان.. عامل التوجه لكتابة المقالة وعامل البذرة الشعرية التي في

نفوس هؤلاء.. لم يعرفوها شعراً. طه حسين نظم شعراً يضحك، لكنه كتب مقالة أعلى من الشعر.. ومثله المازني.. وهذا الذي أقوله.

* ندخل إلى حياتك الشخصية دكتور.. هل لك أولاد إن شاء الله.

- نعم.

* في نفس المجال والتخصص؟

- لا.

* ورقيين أعني؟

- الأولاد هم ثلاثة، اثنان تخصصا في الهندسة، واحد يدرس الآن الدكتوراة في هندسة الجو في أمريكا، وواحد حصل على الماجستير في هندسة الري.. والثالث الآن في كلية الزراعة في السنة الثالثة.

* ليس لهم صلة بالوراقة؟

- ليس لهم صلة، وإن كان يمكن أن تكون لهم صلة، وإنما الجو.. العصر الحديث.. هو جو علوم.. المعاش عن طريق العلوم.. وتركتهم على حريتهم.. كان ممكن أن يكون فيهم الناقد أو حتى القاص، ولكن.

* نعم.. في أثناء إقامتك في المملكة العربية السعودية فترة خمس أو ست سنوات مدرساً أو أستاذاً في جامعة الملك سعود.. ماذا لفت انتباهك في المملكة.. في الحياة الاجتماعية مثلاً.. في تعامل الناس في الثقافة المحلية في المملكة؟

- الحقيقة المسائل الاجتماعية والتقاليد، نحن كنا يعني أشبه بغرباء، على أننا يعني، من عنصر واحد، لكن الغريب يكون أديباً.

* عام ٨٨هـ انتهت المأمورية بالنسبة لك.. يعني.. دكتور في عام ٨٨ رجعت؟

- رجعت.

* يعني من مدة كم سنة رجعت إلى العراق؟

- من ٨٨

* يعني أكثر من عشرين سنة

- أي

* إذن ليكن حديثنا فيما يتصل بما قبل عشرين سنة، لكي تكون الصورة واضحة تاريخياً؟

- لا.. الحقيقة بعد أن اختصرت قضية الجوانب الاجتماعية، أبقى عند الجوانب الثقافية التي هي أهم شيء بوجود أستاذ، لاسيما كان يطمح أن يلم إلماماً جيداً بالأدب السعودي، كنت أقرأ كثيراً،

أبحث كثيراً، أزور المكتبات العامة والخاصة، أستعين بأصدقاء لهم صلة.. وأذكر بصورة خاصة الأستاذ القرشي، كنت أزوره في بيته وأستفيد من مكتبته وحديثه.. وأزوره في مكتبه في وزارة المالية آنذاك، وأفدت من صديق آخر هو الأستاذ عبدالله بن إدريس أيضاً، وكنت أستطيع.. لأن الصعوبة الكبيرة لمن يريد أن يلم بأدب جديد أن يميز أعلامه هل هذا سعودي.. هذا غير سعودي.. هذا طبعاً بفترة معينة.. حقيقة.. كنت أستفيد منهما بصورة خاصة، وأفادني كتاب الساسي في التاريخ والأستاذ سرور وكتاب عبدالله عبدالجبار.

* التيارات الأدبية؟

– التيارات الأدبية.. وكتاب ابن إدريس الذي هو عن شعراء نجد.. ومنها أنطلق إلى الدواوين نفسها، إلى كتب التاريخ نفسها، فكانت هذه أكثر ما شغلني، وأنا هناك، لأن هذا هو عملي.. إذا كان أنت تعجب بكتاب يؤلف من نحو ١٤٠٠ صفحة كيف كان؟ طبعاً.. كان بالانصراف والهواية لدرجة الجنون أحياناً في البحث، ولم يكن ذلك سهلاً أن أتنقل.. أن أزور مكتبات السوق يعني، كان لأنه دوام عندي، أخرج من الكلية وأذهب إلى البيت أتغدى.. أخرج إلى مكتبات السوق.. يوم عند هذا.. يوم عند هذا.. بالبطحاء وبالثميري.. إلخ.

* بالبطحاء.. طبعاً كانت مركز المكتبات؟

– نعم مركز المكتبات كان هناك.

* بالبطحاء.. نعم.. بودي لو تعطيني صورة عن هذا الوضع الثقافي قبل عشرين سنة؟

– الوضع الثقافي قبل عشرين سنة. الحقيقة كان بداية نهضة جديدة.. الآن نرى آثارها واسعة.. تأليفاً ونشراً ومكتبات عامة وخاصة وجامعات.. كنت آنذاك أشعر أن البلد مقدم على شيء ضخم.. يعني.. لما كانت مثلاً جامعة الملك سعود، بدأت بعدد محدود من الطلبة.. وإذا.. في زماننا في ألف وكذا طالب وطالب.. فيها آداب وبها تجارة وفيها علوم.. و.. بدأت.. فتحت كلية تربية.. وكانت تفكر بكلية طب. هذا من الناحية الجامعية.. فهذه من ناحية الجامعة.. والمكتبة أيضاً كانت تتسع.. وزارة المعارف كانت تعيد تأليف مكتبتها.. وهي كانت قريبة من.. المكتبة العامة.. كانت تابعة لوزارة المعارف.

الشباب.. الطلاب أيضاً كانوا يقبلون على الدرس على اختلاف في المستويات طبعاً حسب ظروفهم.. لكن أذكر خصوصاً إدارة الدكتور عبدالعزيز الخويطر.. كان حازماً فعلاً واستطاع أن يضفي على الجامعة جواً علمياً وإدارياً حازماً، لأن الحقيقة كان أي مجموعة من الطلاب تفتح لهم.. وتترك لهم الزمام يتفلتوا.. كان يضبطها.. وأيضاً غير الضبط.. الدوام.. والطلبة.. أيضاً ضبط الأساتذة.. كانوا يحتاجون إلى ضبط ومتابعة.. وكان يتابع.. يعني.. نحن نشعر..

يتابع كل صغيرة وكبيرة.

* نعم.. هذا عن الجو الثقافي.. طيب دكتور.. الجو الاجتماعي؟

- نستمر.. الاجتماعي.. أنا.. الحقيقة قليل معني به لكن الصحافة.

* نعم.. تفضل عن الصحافة؟

- الصحافة فعلاً كانت مورداً كبيراً بالنسبة لي.. وأستطيع أن أقول.. كنت أقرأ الجرائدكلها يومياً.. أقرأ طبعاً ما يتصل بالأدب والأدباء.. ما ينشر من شعر من قصص من أخبار كتب.. أيضاً كانت تهمني كثيراً.. وألاحظ أنها كانت صحافة جيدة ومتنوعة.. وللمقالة التي أبحث عنها حظ منها. والمجلات.. كانت المنهل طبعاً تستمر على حالها.. ولا يوجد ما يقال له مجلة بمعنى الكلمة.. الجزيرة كانت قد توقفت.. وإن اطلعت على اليمامة كانت قد توقفت.. وإن اطلعت على أعدادها السابقة.. طبعاً جيدة.

* يعني صحافة الأفراد كانت قد انتهت؟

- المجلات.. أتكلم.. وبدأت طبعاً مجلة العرب آنذاك تصدر في بيروت و.. ثم لاحظت نهضة معينة للجرائد في المدينة وعكاظ.. في كتابة المقالة.. استؤنفت وكان منهم.. علي حافظ وحمزة شحاتة.. وكانت قصائد لمحمد حسن فقي أيضاً مستمرة في المدينة.. أي.

* تفضل دكتور؟

- هذا جانب مهم.. ثم جاء نظام المؤسسات وتوزعت الجرائد بشكل جديد.. والإضافة الجديدة يمكن كانت جريدة اليوم في المنطقة الشرقية.. أما المدينة والبلاد وعكاظ بقيت كما كانت لاسيما في أول عهد المؤسسات.

* دكتور.. من هم أبرز تلاميذك في تلك الفترة؟

- التلاميد كان عددهم قليلاً أذكر منهم الآن يحيى محمود ساعاتي.

* دكتور يحيى محمود ساعاتي؟

- الذي هو الآن أستاذ في جامعة الإمام.

* في جامعة الإمام - قسم المكتبات؟

- والذي عمل مأثرةً تذكر له وهي مكتبة الملك فهد.. والآن يشرف ويحرر مجلة عالم الكتب وهي مجلة رائعة.. يعني.. لا نظير لها.. وكان عندي طالب أيضاً نابه، وأيضاً يواصل الدراسة هو محمد حسن باكلا.

* دكتور محمد حسن باكلا.. نعم

- وكان طالب آخر كنت أتمنى أن يواصل دراسته.. الذي هو السندي.. كان اسمه.. مع

الأسف.. يعني.. كان نشيطاً.. مفكراً.. جيداً.. من مكة المكرمة.. اسمه فؤاد سندي. وطالب آخر أيضاً الآن هو دكتور الذي هو عبدالعزيز بمكة مدرس

أتذكر فيما بعد..

* إذاً تذكرت.. ممكن تسعفنا باسمه.. وغير هؤلاء من الباحثين ممن واصلوا دراساتهم؟

– والله لا أتذكر أحداً.. بس كنت أيضاً مرة أخرى أتمنى.. وجدت معيدين سعوديين عبدالله العنيد وعبدالله غليقه عبدالله العنيد سافر إلى لندن ولا أعرف عنه شيئاً بعد ذلك.. وعبدالله غليقه حيل بينه وبين البعثة.. فعمل في مكتب في وزارة الزراعة.. وكان مؤهلاً ليكون أستاذاً من طراز أول.. لكن لظروف معينة حرمت الجامعة منه.

* استمر موظفاً والآن وكيل وزارة الزراعة.. نعم؟

– أي نعم.. بس.. مع هذا.. يعني.. كنت أفضل يعني أن يكون أستاذاً.. لعقليته.. لثقافته.. لخلقه.. الحقيقة رأيت أناساً من طراز عالٍ.

* نعم.. دكتور؟

– وأنا درست في سنة من السنوات سنة أولى وكان عددهم كبير.. لهذا لا أتذكرهم.

* دكتور.. لعلك أيضاً استمعت إلى ألوان من الفنون السعودية والغناء السعودي والطرب السعودي.. فتابعت ذلك من خلال الراديو أو من خلال ما يباع من كاسيتات أو اسطوانات قديمة.. بالنظام القديم حتى.. نحن الآن نتحدث كأننا نتحدث عن زمن غابر؟

– أي نعم.. ربع قرن.

* لأنه خلال هالعشرين سنة تطورت أشياء كثيرة جداً؟

– قبل الجواب.. أعود إلى الدكتور عبدالعزيز.. عبدالعزيز الهلابي أو الهلاّبي.

* الدكتور عبدالعزيز الهلابي.. نعم؟

– الذي هو الآن في مكة يدرس تاريخ.

* عبدالعزيز الهلابي.. نعم؟

– هو كان خريج قسم اللغة العربية.. وكان آنذاك يبحث عن موضوع.. وكثيراً ما يحاول أن يكون الموضوع الذي يختاره للدكتوراه في مسألة نجد وأدب نجد.. ما أدري أخيراً ماذا عمل.. لكن أعرف جيداً أنه الآن أستاذ في جامعة أم القرى ربما.. دكتور عبدالعزيز الهلابي.

* شكراً لذاكرتك دكتور

نعود إلى النقطة التي أثرتها قبل قليل.. هل يمكن أن تقف عندها.. بالنسبة للناحية الفنية؟

– الناحية الفنية الحقيقة لسوء الحظ.. أولاً ما تهمني كثيراً.. لكنني كنت قد دهشت لكثرة ما في

الرياض من كاسيتات ومغنين.. وما تكاد تركب التاكسي إلا ويشتغل المسجل بحيث يمكن الأسماء التي تذكر و... منهم طلال مداح.. هذا الذي كان اسمه يغلب عليهم.. والرجل الآخر الذي بمكة وبالعسكرية.

* طارق عبدالحكيم؟

- وطارق عبدالحكيم.. إي نعم.

* الدكتور علي جواد الطاهر.. أنت من أي حي في العراق؟

- في بغداد.. منطقة الجادرية

* هذا الحي يعتبر وسط المدينة حياً بعيداً أم قريباً؟

- إنه بطرف المدينة.. هو حي جامعة بغداد حيث تقوم.. ويعتبر هو قديم وجديد، قديم لأنه كان كله بساتين ونخيل وفواكه.. أما الآن فقد اجتاحته البيوت وكلها جديدة.

* أي نعم.. والمسكن الذي تسكن فيه.. طبعاً.. ملك لك شخصياً؟

- نعم.. بيتي

* وهذه الحديقة الجميلة الغناء التي تتمتع بها.. بإشرافك

- يعني.. ليست غناء.. ولكن لا بأس بها.. لاسيما في أن أيام الصيف الواحد يحتاج إلى الحديقة.

* إلى الاسترواح فيها.

- نعم

* أي نعم.. لك أطفال الآن صغار؟

- لا.. قلت لي ثلاثة.

* كيف كان تاريخك السابق... عاطفياً

- والله.. الكتاب لم يترك لي تاريخاً عاطفياً.. كأني ولدت وكتب علي أن أقرأ وأقرأ.. وأن أحب الكتاب أكثر مما يحب الآخرون في قضايا عاطفية.

* لكن لو أردت أن تكتب شيئاً من أشواقك.. فماذا ستقول؟

- أشواق الكتاب أيضاً.

* ستظل أشواقاً كتابية؟

- أشواق كتابية

* طيب.. إذن ندخل إلى المكتبة.. من هذا المنطلق.. إلى مكتبتك.. وهي تحوي الآلاف من الكتب. ويبدو في أشياء مخفية في الأدراج.. تكون قصاصات.. أكثرها قصاصات أرشيفية؟

- أي نعم

* فكيف تنظم هذه المكتبة.. وأنت من رجال الببلوغرافيا؟

- المكتبة أولاً هي مكتبتي.. ليست مكتبة كبيرة جداً.. أو هي مفاتيح.. أنا أعتبرها، لأن المكتبات الحقيقية.. مكتبة كلية الآداب.. مكتبة جامعة بغداد.. المكتبة الوطنية.. مكتبة الأصدقاء.. لسبب بسيط، وكما لاحظنا سعة وتشعب الميادين التي أطرقها.. الدراسة.. مقالة.. ترجمة.. نقد أدبي.. نقد قصة.. نقد مسرحية.. نقد مقالة.. نقد لغوي أحياناً نقد تأليفي.. منهج البحث.. لا يمكن أن تقوم به مكتبة خاصة. الشيء الثاني لم أرد لهذه المكتبة أن تكون مكتبة فقط. ولو شئت ذلك لكان فيها الآن أكثر من خمسين ألف كتاب. لكن أردت لها ومنها أن تكون مفاتيح إلى ما هو أكثر.. فما لا أحتاج إليه في القراءة والكتابة أبعده بشكل وبآخر عنها.

* نعم.. إذن لابد أن تكون كل الكتب في التخصص نفسه؟

يا هل ترى.. مبوبة؟

- طبعاً.. إن الكتب العامة من معجمات، لسان العرب، أعلام الزركلي، يتيمة الدهر، خريدة القصر.. تجد إلى جوارها دواوين الشعر العربي القديم من الجاهلية فصاعداً.. تجدإلى جوارها الدواوين الحديثة: البارودي، وشوقي، إلى الجواهري إلى نزار قباني. تجد النقد الأدبي.. كتب النقد الأدبي القديم من طبقات الشعراء فصاعداً.. تجد دراسات عن النقد الأدبي العربي حديثاً، ابتداء من كتاب طه أحمد إبراهيم «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»، وانتهاءً وليس انتهاءً كتاب الدكتور إحسان عباس. ثم تجد كتب النقد الأدبي الغربي.. تجد الكتب المترجمة.. تجد الرواية المترجمة.. القصة القصيرة المترجمة.. تجد أيضاً الكتب الفرنسية ولها جدار كامل.. ثم تجد من جديد مصادر أخرى.. القصص، الروايات، المسرحيات، هذا هو التبويب، وغالباً أعرض كل كتاب أحتاج إليه من دون ارتباك.

* نعم.. الدوريات والصحف والمجلات.. كيف تستطيع تنظيمها؟

- الدوريات.. طبعاً عندي مجموعة كاملة.. ولعلها الوحيدة في العراق من مجلة العرب التي يصدرها الشيخ الجاسر مجلدة وموضوعة في مكان.. وكثيراً ما.. أرجع إليها.

والمنهل منذ.. على الأقل بدأ تجديدها.. منذ بدأ الأستاذ نبيه يجددها.. والمجلات العراقية.. عندي المورد والأقلام.. وآفاق عربية.

* وكلها كاملة؟

- كاملة.

* كاملة.. نعم.. طيب القصاصات خاصة من الصحف اليومية.. كيف تستطيع تجميعها..

خاصة من ورق عادي وخفيف.. ممكن أن تتعرض للتلف؟

- غالباً.. الموضوعات التي تهمني إما.. لاسيما إذا لم تكن من مجلات المجاميع.. أقصها وأحتفظ بها.. وإذا من المجاميع أقتني عددين.. عدد للقصاصة وعدد.. وأحياناً أصورها. ولي سند آخر لهذه المكتبة وهو المخزن.. يعني.. نحواً من عشرين كرتوناً من الكتب.. التي هي بعيدة عن الحاجة اليومية.. وإذا احتجت إليها أيضاً أكاد أعرفها.. هذا للتاريخ.. وهذا من المترجم.. وهذا من السعودي بصورة خاصة.. عندي في الحقيقة مكتبة خاصة للكتاب السعودي في المكتبة.. وكرتونان في المخزن.

* في المستودع.. نعم.. إذن هل لديك بالتأكيد مخطوطات معينة نتيجة لهذه القصاصات وهذه الأوراق وهذه الاطلاعات العامة؟

- المخطوطات.. تقصد من تأليفي؟

* مخطوطات تأليفية.. نعم.

- ذكرت محمد بن سلام وكتابه «طبقات الشعراء» درة التاج من شعر ابن الحجاج كتاب.. هذه المقالات التي أنشرها في الفيصل بعنوان: وأنت تقرأ.. أصبحت تكون كتاباً.. كتاب أيضاً من مجموع مقالات أكتبها أسبوعياً في مجلة الف باء بعنوان: الباب الضيق.. وكتب أخرى ربما لا ترد.. آ.. كتاب آخر نشرته على شكلين غير كاملين وهو الكتاب الخليجي.. فقد أصدرت مجلة عالم الكتب عدداً خاصاً بالكتاب الخليجي، فكتبت عن هذا الكتاب موزعاً على الأقطار السبعة بصفحات كثيرة قد تبلغ مائة صفحة في المجلة، ثم استخرجت منه كتاباً أو كتيباً بمعنى أدق.. بعنوان: أريد أن أصدره يوماً ما باسم الكتاب والكتاب الأدبي في الخليج العربي.

* نعم دكتور.. وأنت تقيم الآن في بغداد بعد تفرغك و.. يعني.. ابتعادك تقريباً عن الجو الجامعي.. أستاذاً كنت في الجامعة.. متفرغاً للبحث والدراسة ولكن يفضل لديك وقت معين يمكن أن تقضيه في بغداد متنزهاً أو زائراً أو مستمعاً أو مشاهداً للسينما مثلاً أو ذاهباً في استرواح خاص؟

- أيضاً نرجع إلى الكتاب.. هذا الكتاب لم يترك لي وقتاً للتنزه أو ميلاً كثيراً للتنزه إلا نادراً... أما السينما فقد يغنيك عنها التلفزيون فيما يعرض أحياناً من أفلام جيدة، لكني أعنى بالمسرح متابعة وأحياناً أستزار لمشاهدة هذه المسرحية أو تلك ومن ثم الكتابة عنها.

* والفن العراقي؟

- الحقيقة الفن العراقي.. تقصد الفن.. الفنون التشكيلية من رسم ونحت وكاريكاتير.. ما في شك أنه فن قطع أشواطاً عالية وراقية ويتميز أيضاً ومبكراً هذا الفضل لرائد كبير.. الذي هو جواد

سليم.. درس في إيطاليا ودرس ربما في غير إيطاليا.. انكلترا.. ومعه آخرون مثل فائق حسن هؤلاء فنانون كبار. ولكن الذي أريد أن أذكره جواد سليم مبكراً.. وهو العارف بالفن الغربي بكل مدارسه بما فيه التجريدية وما إلى ذلك حينما عاد ليدرس في معهد الفنون الجميلة، فبدأ يؤسس لما يسميه مدرسة عراقية.. أن يعنى بحاضر العراق.. بمجتمعه.. بريفه.. بأمجاده، بتاريخه القديم رجوعاً إلى السومريين أيضاً، وأنشأ جيلاً على هذا المنهج.

* والفن الغنائي؟

- الفن الغنائي لسوء الحظ لا أجد فيه شيئاً يلفت النظر كثيراً.. وإن كنت أعجب كثيراً بمحمد القبنجي، وأعتبره رأس المقام.. وقد توفي يرحمه الله.. ومن يعجب كثيراً بناظم الغزالي.. وهناك مغنيات ومغنون كثيرون.. لكن..

* الدكتور علي جواد الطاهر.. ختاماً لهذه الحوار.. والآن أشرفت الساعة التي ضربناها معك موعداً على الانتهاء.. في منزلك ودارتك بهذا الحي البغدادي الأصيل من العراق.. نود أن تقول كلمة ختام وكلمة وداع لأحبائك في المملكة العربية السعودية، خاصة وأنت قد عشت معهم فترة من الزمن قد تزيد على ست أو خمس سنوات.. وربما لك أصحاب وأحبة وأصدقاء؟

- أنا لا أقول وداعاً.. أقول لقاءً.. يعني.. الحقيقة لي أصدقاء فعلاً.. يعني.. كبار في العلم والمنزلة والأدب.. وأبدأ بالشيخ حمد الجاسر ثم الدكتور عبدالعزيز الخويطر.. ومن الأصدقاد في قسم اللغة العربية الدكتور الحازمي والضبيب.. والفدا والشامخ وهم.. يعني.. ومازلت على صلة بهم مراسلة أو تهادياً في المؤلفات وطلاب كذلك الذين ذكرناهم وفي مقدمتهم الدكتور يحيى محمود الساعاتي. ولا أنسى ولن أنسى الشيخ عبدالعزيز الرفاعي الذي تبدأ مراسلتي معه.. يمكن أن تبلغ أكثر من ألف رسالة.

* نعم.. وهذا لون جديد وقديم في نفس الوقت من أدب الرسائل العربية الذي كاد أن يندثر؟

- وهو على كل حال يبين عمق الصلة والصداقة والمنفعة الأدبية.. لأن هذه الرسائل هي كثيراً ما تقوم على سؤال وجواب في قضايا أدبية.

* وهي ليست ملكاً لك بالتأكيد.. فنحن نريد أن نطلع عليها.. ما دامت ليست بهذه الخصوصية الدقيقة؟

- لا ليست فيها خصوصية.

* لابد من نشرها في المستقبل؟

- يعني لابد من مختارات منها.. مثل المراسلات مع الشيخ الجاسر ومع الحازمي أيضاً.

* نعم.. ولعلنا نوصل أو قد أوصلنا لك هذا السلام وهذه التحيات إلى أحبائك وأصدقائك نعود

أن نستأذن الآن . . إذا كنت تسمح لنا . . نستأذنك في ختام الحوار .

– تفضل . . العفو . . أنا شاكر في الحقيقة . . وهي فرصة كنت أسعى إليها

* شكراً للدكتور الأستاذ علي جواد الطاهر . . الأستاذ السابق بكلية الآداب جامعة بغداد وهو المتفرغ الآن للدرس والبحث العلمي والأرشفة وأحد المعنيين بالببلوغرافيا الأدبية سواء كانت في المملكة العربية السعودية وأدبها أو في العراق وما يصدر فيه من آداب عربية مختلفة . . شكراً لك . . نتمنى لك عمراً مديداً وصحة وافرة إن شاء الله .

– للجميع والعمر والصحة للجميع أيضاً وللشباب والشيوخ .

علي جعفر العلاق

ندخل إلى مجلة عراقية عريقة هي مجلة الأقلام التابعة لوزارة الثقافة والإعلام في العراق.. ويرأس تحرير هذه المجلة أحد الأقلام النقدية.. وأحد المهتمين بحركة النقد الأدبي أكاديمياً وعلمياً وانطباعياً ربما هو الدكتور علي جعفر العلاق. وقد عرف بما يكتبه نقداً ودراسة من خلال هذه المجلة ومن خلال مجلات أخرى مختلفة. نحاول أن نصل في زيارتنا لهذه المجلة إلى تصور شامل عن الحركة الثقافية في العراق من خلال لقائنا بالضيف الكريم، وإلى استجلاء بعض الجوانب الشخصية والذاتية والأدبية لدى ضيفنا.

– أهلاً وسهلاً.. أنا من مواليد ١٩٤٥م في محافظة واسط جنوب العراق. أكملت دراستي.. الحقيقية كل المراحل الدراسية عدا الدكتوراة أكملتها في بغداد... أكملت شهادة الدكتوراة في جامعة أكستر البريطانية سنة ٨٣ في موضوع المشكلات الفنية في شعر البياتي. وكانت دراسة نقدية مقارنة.

بدأت الكتابة في الواقع بفترة مبكرة من حياتي... يعني أنا لم أنه الدراسة الابتدائية... وأنا بدأت كتابة الشعر... أولاً كان الشعر العامي... وعندما انتقلت إلى المرحلة المتوسطة بدأت كتابة الشعر الفصيح بتشجيع من أساتذتي بعد أن عرفوا عندي تفوقاً محدداً في دراسة اللغة العربية وفي الإنشاء إلى آخره. أصدرت حتى الآن أربع مجاميع شعرية. والمجموعة الخامسة في الطريق.. المجموعة الأولى كان اسمها (لا شيء يحدث لا أحد يجيء) عام ٧٣، المجموعة الشعرية الثانية إسمها (وطن لطيور الماء) سنة ٧٥، الثالثة (شجر العائلة) سنة ٧٩، الرابعة (فاكهة الماضي) سنة ٨٧.

* نعم... هذا بالنسبة للإصدار الشعري.. طبعاً.. غير الدراسات وغير البحوث؟

– نعم... الدراسات أيضاً شغلت حيزاً واضحاً من اهتماماتي.. وأيضاً بفترة مبكرة في الحقيقية يكاد النشاطان يكونان مترافقين في حياتي.. أصدرت في سنة ٧٧ كتاباً عنوانه (قصائد مختارة) يضم مجموعة شعرية مختارة لخمسين شاعر عربي... وكتبت مقدمة تحليلية طويلة لها. في سنة ٨١ أصدرت كتاباً نقدياً اسمه (مملكة الغجر) وهو دراسات متخصصة في نقد الشعر. في سنة ٨٥ قدمنا أنا وزميلان لي في الجامعة (مختارات شعرية من شعر الشريف الرضي) في سنة ٨٩ صدر لي كتاب اسمه (دعاء القصيدة الحديثة) دراسة في قصيدة الحرب. تحت الطبع الآن لي كتاب بعنوان (في حداثة النص الشعري) يضم مجموعة من الدراسات النقدية التي تبحث في مظاهر

الحداثة كما تجلت على مستويات عديدة في القصيدة العربية على مستوى اللغة.... على مستوى الرؤية... مستوى الرموز والأساطير الشخصية للشاعر في تعامل الشاعر مع المدينة إلى آخره.

* نعم طيب بحوثك ودراساتك في بعض المجلات ومن ضمنها الأقلام.. هل جمعتها أو جمعت شيئاً منها في كتاب؟

- هو في الحقيقة ،الكتاب سواء (مملكة الغجر) أو (دماء القصيدة الحديثة) أو الكتاب الذي في طور الصدور هو مجموعة من الدراسات التي سبق أن نشرت أو قدمت في حلقة دراسية في مهرجان المربد.. في مؤتمر أدباء العرب.. وفي مهرجان جرش في الأردن.

* نعم.. ورئاستك لتحرير الأقلام؟

- لا هو ليس فيه أي مستوى من مستويات الإدارة في الحقيقة لأنه عمل ملذ ويضعني في الصميم من الحياة الثقافية لأنني أتعامل دائماً مع النتاج الشعري والأدبي والنقدي والروائي والقصصي يومياً وربما هذا السبب الذي جعلني أزهد في الذهاب إلى أى موقع إداري آخر. وفضلاً على ذلك بقائي رئيساً لتحرير هذه المجلة التي مضى على تأسيسها ٢٥ عاماً.

* هذا بالإضافة إلى أستاذيتك في الجامعة؟

- أنا في الجامعة أيضاً محاضر في موضوع الأدب المقارن والأدب الحديث. فيعني هذان الحقلان.

* نعم

- هما اللذان يتقاسمان نشاطي حقيقة.

* نعود إلى الأقلام.. يعني... المعروف أن الأقلام أصدرت عدداً خاصاً عن قضايا نقدية وقضايا ربما نسميها قضايا إعلامية نسبة إلى الإعلام؟

- نعم

* الأدباء؟

- نعم

* يعني مثلاً كتبتم عن علم من أعلامكم في القصة والرواية في العراق في الواقع الذي هو عبدالملك نوري؟

- نعم

* وربما كتبتم عن شعراء آخرين غير عبدالملك القصاصي والروائي. وكتبتم عن قضايا نقدية وظاهراتية مختلفة في الحركة النقدية والأدبية والإبداعية... ممكن أن نذكر بعض العناوين وبعض الأسماء لكي نتعرف على جهدكم كاتبين وباحثين؟

– نعم اختطت مجلة الأقلام منذ سنواتها الأولى خطة في النشر لا تقتصر على العراق وإنما تشمل الأقطار العربية.. لأبدأ معك أولاً في اهتمامات المجلة في تغطية الأدب العربي في الأقطار العربية. على مدى تاريخها أصدرت المجلة عدداً كبيراً من الملفات والأعداد الخاصة التي غطت فيها الأدب في الخليج.. الأدب الحديث في اليمن.. تحديداً، القصيدة الجديدة في السعودية.. الأدب في الأرض المحتلة.. الأدب في الأردن.. في البحرين... في المغرب... في تونس.. في الجزائر... هذا كان اهتمام.. صدر أعداد خاصة أو حلقات لتغطية هذا الأدب.

* نعم

– أصدرت المجلة إضافة إلى هذا في تغطية الأدب العربي أصدرت في أعداد خاصة.. في ظواهر محددة أو في مصطلحات أو أنواع أدبية.. فأصدرت عدداً في الأدب الصهيوني.. إحساساً منها بأنك كي تعرف عدوك كما ينبغي يجب عليك أن تعرف البنية الداخلية.

* نعم

– وكيف يجسد هذا التفكير في صياغات أدبية في الرواية وفي الشعر وفي القصة القصيرة وفي المسرحية والنقد وكان عدداً مثيراً حقيقة للاهتمام وعليه إقبال شديد... أصدرنا عدداً في النقد الأدبي على مستوى الوطن العربي وعلى مستوى العالم... وأصدرنا عدداً في الشعر على مستوى الوطن العربي ومستوى العالم أيضاً... في الفترة الأخيرة ومنذ خمس سنوات انتبهنا إلى موضوع ظل مقفلاً منذ فترة وهو التعريف ببعض الأعلام... أعلام المبدعين في العراق.. فبدأنا بإصدار ملف خاص عن الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا باعتباره روائياً وشاعراً وناقداً ومترجماً أيضاً أصدرنا ملفاً خاصاً عن عبدالأمير الحصيري وهو شاعر عاش ومات بطريقة فاجعة في الحقيقة ... وكان يبشر بأن يكون من أروع الشعراء الكلاسيكيين.

* نعم

– شاعرنا كان يبشر بمستقبل باهر جداً في الشعر

* جمعتم في هذا الملف شعره مثلاً؟

– جمعنا شعره... قدمنا دراسات عنه..... وبالمناسبة صدرت لاحقاً مجاميع شعرية له لم تطبع في حياته إنما بعض أصدقائه ومنهم الأستاذ عزيز سيد جاسم قام بجمع القصائد التي كان الشاعر يتركها لديه وأصدرها في مجموعتين شعريتين كبيرتين من الشعر.

* نعم.. فعلتم هذا الشيء نفسه مع جبرا إبراهيم جبرا؟

– لا.. جبرا.. تعرف... رجل حيوي ونشط ويطبع أعماله أولاً بأول. قمنا بإصدار ملف عن فؤاد التكرلي... وهو روائي معروف وكاتب قصة معروف أيضاً، من الرواد الملف الأخير

الذي أصدرناه كان عن عبدالملك نوري . . . ونشرت في هذا الملف مسرحية جديدة وفصل من رواية لم تنشر للكاتب . . إضافة إلى دراسات سلطت الضوء عليه مسرحياً وروائياً وقصاصاً . . . هذا ما يحضرني من بعض اللفات في . . . دأبنا على استثمار مهرجان المربد الشعري كل عام بأن نصدر عدداً مزدوجاً في الإبداع العراقي . . . فأصدرنا عدداً في الرواية العراقية وعدداً في القصة العراقية القصيرة وعدداً في الشعر العراقي المعاصر والعدد الأخير الذي صدر هذا العام متزامناً مع مهرجان المربد كان عن النقد المعاصر في العراق .

* هذا كل ما صدر من الأقلام تقريباً في شكل أعداد خاصة عن الأدب العراقي بالذات وبعض الأدب العربي في الواقع؟

– نعم

* الدكتور علي جعفر العلاق . . . درست في انجلترا؟

– نعم

* وعشت الجو الغربي أو . . . الجو الإنجليزي فماذا رأيت هناك وماذا . . . وهل أراحك شيء معين هناك مثلاً . . . بالنسبة . . . لاوجه الثقافة الغربية؟

– في الحقيقة مع أن المدة التي قضيتها في إنجلترا وهي أربع سنوات لم تكن كافية لتأسيس انطباع عميق تفصيلي في الحياة الثقافية والفكرية هناك . . إلا أنها يبدو لي كافية لتأشير بعض الملاحظات على هذا المجتمع المتقدم في أمور عديدة . . . . الملاحظة الأولى التي جلبت انتباهي أننا نكثر الحديث هنا عن أزمة الشعر . . الشعر في أزمة . . العصر ليس عصراً للشعر . . وإنما عصر رواية مثلاً . . التقنية قتلت الشعر . . . قتلت المخيلة . . نلهث نحن أكثر مما يلهث الغربيون في تأكيد هذه الأزمة . ولكن لو فحصنا موقف الغربيين . . نتحدث عن البريطانيين تحديداً عن الشعر لوجدنا أن اهتمامهم بالشعر يكاد يفوق اهتمامنا نحن العرب .

* نعم

– ولأقل لك . . يعني . . مثلاً على ذلك ليس هناك من جامعة عربية تفكر أو سبق لها أن فكرت أن تكرّس كرسياً للشعر لشاعر لا يشفع له غير نتاجه الشعري .

* نعم

– وتاريخه المرتبط بوجدان الناس . . . . . إنما تبحث عن الشهادات وعمن يحمل الشهادة في الدال أو يحمل شهادة الماجستير . . . والأقدميات كما هو جاري في السلك الإداري هذه واحدة . . بينما في انجلترا تجد: ت . س . اليوت أو ديلان توماس أو سيد الويس أو غيرهم من الشعراء المهتمين يتبوأون مراكز مهمة لتدريس الشعر لأنهم شعراء مهمون . ومؤكد حتى في الشعر في

الأدب العربي لو تصدر مبدع عربي كالبياتي على سبيل المثال أو السياب لو كان حياً أو صلاح عبدالصبور أو خليل حاوي أو نازك الملائكة، مع أنها عندها أكاديمية عليا. . . لو تصدر أي منهم لتدريس الشعر لفاق أي أستاذ متخصص يحمل شهادة دكتوراه. هذا أولاً شيء ثان. . هذه الجامعات تصدر عدداً لا يحصى من المختارات الشعرية لشعرائهم المهمين وللاتجاهات الشعرية. وكل جامعة لها مطبعة خاصة لإصدار المعاجم التي تثري الحياة الثقافية والتي تقدم دائماً الجديد عن الشعر، هناك في انجلترا تستطيع الحصول على ليس المجموعة الشعرية فقط للشاعر المعني وإنما كاسيتات مسجلة بصوته. . . مجموعة من قصائد، مسجلة بصوته ومغلفة داخل غلاف جميل.

* نعم

– وبحجم هذا الكاسيت ثمة كراس صغير مدرجة فيه، القصائد التي سجلت.

* نعم

– هناك تجد كاسيتات لتوم كين، تدهيوز، ودبلين توماس، ت.س. إليوت، سيدالويس، بل وصل الأمر بهم في اهتمامهم بالشعر أن كبار الممثلين لديهم والذين عرفوا بقدرة إلقائية هائلة لديهم كاسيتات مسجلة بأسمائهم. . . لشارل بيرثن مثلاً. . . لديه كاسيت مهم جداً.

* لمن من الشعراء؟

– مختار. . مختارات كثيرة من شعراء قدامى وشعراء محدثين.

* نعم

– ظاهرة أخرى أنا جلبت انتباهي. . في سنة ٨٢ أقيم مؤتمر في جامعة أكستر. . هذه الجامعة التي درست فيها. . . تقع في جنوب إنجلترا. . . المؤتمر كان عنوانه. . . الإحساس بالمكان والأدب أو الأدب وحس المكان.

* نعم

– وقد عرضت دور النشر مثل نورمان، فايبر، ماكميلان، عرضت أو أقامت معرضاً لكتبه. . كان من ضمن فقرات المهرجان أن الشاعر توم لنسن يقرأ مجموعة من القراءات الشعرية لقصائد المكان انسجاماً مع شعار المؤتمر أو المهرجان لأنه عنده قصائد يتوفر فيها حسن المكان أو المعالجة المكانية.

* نعم

– الذي جلب انتباهي حقاً والذي يعكس تحضّر هذاك المجتمع وكيف اهتمامه بالشعر أن عدداً من طلبة الدراسات العليا كان قبل أن يدخل القاعة يذهب إلى معارض الكتب ويشترون إما دواوين

منفردة لشاعر أو المجموعة الكاملة ويدخلون إلى القاعة. وعندما صعد الشاعر إلى المنصة ذكر عناوين القصائد التي سيقرؤها. أنا أرقب بعض الطلبة الذين يجلسون في الصف الأمامي كانوا يؤشرون على الفهرست على بعض القصائد حتى يلاحقوا الشاعر في قراءته لهذه القصائد.

* نعم

- وحتى يقفوا على طريقته في إلقاء هذا البيت أو ذاك وفي تغيير نبرة صوته.

* نعم

- وصولاً إلى الدلالة الأهم.

* نعم

- قلت في نفسي أتمنى أن احترامنا للشعر يصل لهذا المستوى. وأننا عندما نحضر أمسية شعرية لأحد شعرائنا نأتي ونحن محتشدون فعلاً لسماعه.

* نعم

- بكل إخلاص.. بكل عمق... ومعنا مجموعة من مجاميعة الشعرية.

* نعم

- طبيعي... لا أقول إن كل الحاضرين فعلوا الشيء نفسه... لكن هذا مؤشر يقول إن الشعر أي إعادة طبع المجاميع الشعرية والمختارات الشعرية بحيث تخرج بانطباع أنه في الحديث عن أزمة الشعر يبدو حديثاً مفتعلاً في معظم الحالات.

* نعم

- لأنه لا يصح... وإلا لوكان الشعر في أزمة حقيقية وتخنقه التقنيه والتقدم العلمي لكان من باب أولى أن يصرخوا في الانجليز ويرفعوا عقيرتهم بالشكوى من أن الشعر يكاد يموت.

* وتعتقد أنه لا يمكن أن تخنق التقنية الأشواق؟

- لا يمكن.

* لا يمكن وإن ظهرت هذه الأشواق في شكل روائي أو قصصي ليس لها بُدّ من أن تظهر على شكل قصيدة؟

- ثم إن هذا إضافة إلى ما تفضلت من أن الشعر يرتبط بما هو ثابت من الجوهر الإنساني والثابت من الجوهر الإنساني لا يتغير بتغير الظروف.

* نعم

- لا يأتي زمان يكف الإنسان عن الحب... كما أنه لا يأتي زمان يكف الإنسان عن الكراهية

* نعم؟

– ولا يكف عن الحلم

* نعم؟

– ولا يكف عن الوهم ولا يكف عن الخوف ولا عن الأمل ولا عن اليأس... وهذه منذ أول إنسان خلق على وجه البسيطة.

* نعم

– وحتى إلى مالا يحد من السنين... هي جوهر الإنسان..

* هي الميادين الرحبة للشعر... هي الميادين الرحبة... نعم، هذه بالنسبة لإقامتك في انجلترا في أثناء دراستك الدكتوراه... وقد تلمست ما لديهم من أوجه الحسن في حياتهم الثقافية. دكتور علي جعفر العلاق بالنسبة لقراءتك مثلاً للأدب السعودي؟

– الحقيقية التي لا مفر من الإقرار بها أننا في الوطن العربي جميعاً.. أكاد أقول إنا مقصرون إزاء بعضنا البعض والسبب عوامل عديدة.. يعني... صعوبة انتقال الكتاب من هذا القطر إلى ذاك.. صعوبة انتقاد مطبوع ثقافي كالمجلات مثلاً أو الصحف... هذه الأمور تجعل معرفتنا ببعضنا قليلة.

* نعم

– نلتقي مجموعة كبيرة من الأدباء والمثقفين فنأخذ مالديهم من جديد ونعطيهم ما أصدرنا من مجاميع جديدة.

* نعم

– وهذا.. صار نوعاً من الصلة أو مستوى من الصلة نحن فرحون به لكنه ليس كافياً بأي حال من الأحوال.

* صحيح

– نحن نحلم بحالة أن العراقي عندما يخرج صباحاً ويمر على أي كشك يبيع الصحف والمجلات والكتب أن يجد على الرفوف دواوين لشعراء سعوديين ومجلات سعودية وأخرى مغربية وثالثة سودانية وأخرى من الكويت أو الأردن أو لبنان وهكذا. نحلم بهذه الحالة. وكذلك الحلم نفسه ممكن نوسعه ونتمنى أن الحالة نفسها تصبح في السعودية وتصبح في المغرب العربي وتصبح في مصر وفي السودان، لأننا أبناء أمة واحدة وثقافة واحدة ووجدان واحد.

بالنسبة للأدب السعودي... في الحقيقة... أنا زرت السعودية ثلاث مرات. وكنت آنذاك عضواً في الهيئة العليا لمهرجان المربد. اتصلت بمجموعة من المثقفين والأدباء. ولي صلات طيبة وعميقة مع الكثير منهم وحصلت على مطبوعات من السعودية. في السعودية حركة أدبية وثقافية

نشطة. ومن يتأمل ما تقوم به بعض النوادي الأدبية سواء في الرياض أو في جدة أو في أبها سيجد حركة كبيرة... وبرز في السنوات العشر الأخيرة بعض النقاد المهمين وبعض الشعراء أيضاً المهمين.. صحافة نشطة... مجلات نشطة. هذا بالتأكيد سيوصل الأدب السعودي إلى نقطة من النضج نتمناها له جميعاً... يعني... أنا أقرأ مجموعة من النقاد الموجودين في السعودية ومجموعة من الشعراء الموجودين. ونحن كما قلت بادرنا في الأقلام عندما... لا أكتمك أنه كان عندنا إحساس أن الشعر في السعودية شعر كلاسيكي فقط.. وهذا الانطباع ناتج ليس عن قلة المتابعة وإنما عدم توفر ما نستطيع قراءته وعن أن النقد هو النقد القديم فقط. لكن عندما تفتحت هذه الصلات أكثر فأكثر وصارت زيارات ورأينا المكتبات ودور الطبع... وأتينا ونحن محملون بالكتب الجديدة تبين لنا أن الأدب.. صورة الأدب في الحقيقة تختلف. نحن في مهرجان الأمة سنة ٨٤ فوجئنا بمجموعة من الشباب السعوديين مثلاً محمد الثبيتي على سبيل المثال. الدميني، الحربي، الصيخان... أصوات لم تكن قد سمعنا بها... وأصوات تكتب لا أبالغ إذا قلت إنها تكتب شعراً وأنا اتحدث هنا عن القصيدة الحديثة لا يقل يعني.. جمالاً ورقة عن الشعر الذي يكتب في لبنان مثلاً أو يكتبه الشباب في العراق. فبادرنا إلى إصدار ملف خاص للقصيدة الجديدة في السعودية وكان هذا موضع ترحيب وتهليل من الأوساط الثقافية هنا لأنهم لا يعرفون شيئاً عن أن في السعودية شباباً مهتمين بهذا الجانب.. والاتجاهات الحديثة في النقد الآن في السعودية الآن ظهرت هناك أسماء كبيرة سواءفي الحياة الأكاديمية أو خارج الحياة الأكاديمية.

* نعم

– يعني.. نفس الجدل الذي يوجد عندنا في العراق... ولا حظت بعضه يمكن في مهرجان المربد أنه البنيوية والإسلوبية السيميائية.

* نعم

– ونفس الجدل الذي يدور في السعودية الآن من قبل النقاد. فيه ناقد يعارض... وناقد يتغنى المنهج وناقد.. هذه الحركة الخصبة مهما كان.. يعني... قناعتنا بها... آخر شيء تفرز ماهو ثمين وماهو راسخ في الحياة الثقافية.

* نعم.. بعد الاغتراب... بعد الاستقرار؟

– طبعاً.. حتماً.... هذه في كل بلدان العالم.... أي إتجاه جديد يأتي يستقبل أول مرة بانبهار ثم بعد ذلك تنتهي موجة فترة الانبهار يبدأ الحوار مع الناتج الجديد. الحوار المبني على الندية والتكافؤ.. وثم ينفرج من هذا الحوار موقف تستفيد مما في المنهج من جديد وجيد الذي يتفاعل مع جذور تراثية.

* نعم

– ومع فهمي لتراثي واستيعابي لثقافتي القومية وينتج منها شيء يخدم الشخصية النقدية.

* وعلى مستوى الفنون أو الفن في المملكة العربية السعودية... تتابع شيئاً معيناً؟

– للأسف لا... للأسف لا... لأنه يمكن هذا أيضاً... أيضاً. الانحياز المهم للأساس.. يعني يجب أن نكون أول ما تفهم من الشعر والنقد قبل أي شيء آخر فلم يتهيأ لي الحقيقة سوى رسام واحد حضرت الحقيقة دعيت إلى بيته ورأيت مجموعة من اللوحات له اسمه يحيى جبار اليحيى.

* نعم

– غير عبدالجبار اليحيى؟

* نعم عبدالجبار اليحيى... وبالنسبة للفن الغنائى خاصة وأنت تكتب شعراً... وربما تمنيت أن تغني لك بعض القصائد التي تحوي النغمة الإيقاعية الغنائية؟

– نعم... أنا منذ طفولتي.. حقيقة... ميّال للغناء... يعني... الغناء الحقيقي الأصيل.. ومنذ طفولتي كنت مؤيداً لصوت طارق عبدالحكيم وبعد ذلك طلال مداح ومحمد عبده.. يعني هذه الأصوات أهم الأصوات التي أتابعها أنا حقيقة.

* نعم... وماذا تحب أن تسمعنا؟

– نعم يمكن أقرأ قصيدة اسمها «مرايا الروح»

* إذن تنشد قصيدة بعنوان مرايا الروح

– شجرٌ أخرس.. أم مائدةٌ تنحني جرداء ما بينهما

أم رماد يتنامى... هل هما حقاً هما!

مرة كان عراء المائدة غائماً.. كان دخان المائدة رجلاً وامرأة متقدة

مضيا.. أعني مضينا.. لم يكن غير عراءٍ ورمادٍ عالقين في مرايا الروح.. أو بين اليدين لم يعد غير الصدى .. كيف انتهينا!

لم يعد بستاننا الريّان ريّاناً ولاجمرُ يدينا

كيف.. أعني .. أين... بل أعني حتى كنا التقينا.

* ودائماً عهد الأشواق بالإنسان أن تغنى ثم تأتي.. كيف صلتك بالمرأة؟

– المرأة حقيقة كون عجيب... ضرورة لازمة لتقدم الحياة... وضرورة لبقاء الكون على نظام وترتيب محدد يعني.. لايمكن تصور مجتمع ما دون امرأة ولا تصور رجل ما دون امرأة. والمرأة أنا في صلتي بها حقيقة لا تكاد تخلو قصيدة من قصائدي من حضور خاص داخلي حميم للمرأة. ولا أرى المرأة بحدودها المادية الحسية فقط وإنما أراها أبعد من ذلك. أراها رمزاً أو حلماً

تجسد افتقادات كثيرة وتجسد أحلاماً عديدة لم يسعفني الحظ بل الإمساك بها. أو مازلت أطاردها لأنها شوق مستمر دائم. . المرأة . . أنا لي صلة خاصة بأمي رحمها الله. وكنت أنظر من خلالها إلى أي دور بطولي يمكن أن تلعبه المرأة. أن تلعبه المرأة في حياة أطفالها، وفي حياة أسرتها، وفي حياة مجتمعها. والدتي امرأة أميّة شعبية قروية لكنها كانت صلبة إلى حد مخيف، وقوية الإرادة، وأتذكر حتى الآن دخولنا المدرسة أيضاً بإلحاحها المستمر على والدي. مع أنه علّمنا القرآن الكريم ونحن في القرية. . علمنا القراءة والكتابة. وأتينا إلى بغداد ودخلنا صفوفاً متقدمة. . . لم أدخل الصف الأول وأتذكر أنه بعدما فجعنا بيتم مبكر. . -لأن والدنا انتقل إلى رحمة الله- ظلت وهي تقتحم مدينة غريبة. وكانت تذهب إلى الريف إلى أعمامي أو أخوالي أو أصدقاء والدي وكانوا قد حفظوا العهد لوالدي وكانوا أوفياء لعلاقتهم به. . استطعنا أن نتجاوز محنة حقيقية. . وظلت إلى أن توفاها الله وأنا في إنجلترا للدراسة فامتلأت كل خلجة من وجداني ومن كياني اعتزازاً كبيراً لامرأة من هذا النمط تستطيع أن تبني أسرة وتستطيع أن تحمي أطفالاً من ضياع ومن تشرد وتستطيع أن تسهم مساهمة فعالة وبعصامية شديدة في أن توصلهم إلى مرحلة لم يكونوا يستطيعوا الوصول إليها دون أن يكون لها هذا الدور.

* نعم

- أنا مدين به لهذه المرأة العظيمة. . حقيقة.

* نعم

- يعني . . هي كانت تقرأ الشعر الشعبي وخاصة في أيام عاشور. وكانت تحفظ الكثير منه وتكتب بعضه وكانت تمتلك صوتاً شجياً جداً. . . مازلت أتذكر أنه خلال الشتاء ونحن ما زلنا أطفالاً نتجمع حولها كانت تقرأ لنا بعض أغاني الأمهات أو بعض الشعر الشعبي المكتوب عن الأم والمرأة وماتعانيه من ضنك، وما تعانيه من قسوة الحياة، قسوة الحب، قسوة الأمومة. . كل هذه الأمور شكلت مناخاً ومزاجاً خاصاً لي وجعلني أتفتح بشكل مبكر على هذا العالم. . عالم الشعر.

* وبالتأكيد أنها الأم فلابد من الاحترام والتقدير وإبراز كل معاني الولاء والوفاء لهذه الأم ولكل أم أعطت مثل هذا العطاء وضحت وقدمت الكثير. . ربت وعلمت.

- نعم

* وأرشدت وسهرت. . وكل شيء نعجز أن نذكر فضائلها.

* هل لديك أبناء؟

- نعم لدي وصال وخيال.

* تقصد وردتين؟

- وردتان.. تسمية جميلة.

* لعل الله أكرمك بهاتين الوردتين لأنك تحب الرقة والشفافية والمشاعر الجياشة الفياضة ولا تقول أن الرجل طبعاً.. خشن دائماً.. ويعني... لكن يصفة عامة المرأة أكثر رقة.

- أكبر رقة بالتأكيد.. وتجعله أرق.. يعني وجود المرأة في الحياة.

* أي نعم

- تخفف من صوته العالي الصاخب.. حتى من علاقاته أحياناً تكون فوضى... يبدو أو يبدأ في أن تأخذ هذه العلاقات منحى أكثر تحوراً.

* كأنني وصلت إلى مشاعرك الذاتية من خلال قصيدتك ومن خلال حياتك عن الأم.

- نعم

* فكأني بك إنساناً مليئاً شجناً ومليئاً مشاعر فياضة جياشة تحدثت بالتأكيد عن آلامك الذاتية.. لأن كل إنسان له إنكساراته.. من آمال وآلام يناغيها ويناجيها بينه وبين نفسه كالمعزوفة. فهل من شيء من الشعر في هذا الميدان أو في هذا التناغي.

- سأقرأ قصيدة أخرى اسمها «سيدة الفوضى»

- أقول فيها:

من أين جاءت هذه السيدة... من أين جاءت هذه السيدة فحركت غدراتنا الراكدة

ألم يُصحَّ في وجهها عامل.. ألم تَنَفْ من ريحنا الباردة

من أين جاءت هذه السيدة

نشهد أنا مارأينا هوى مثل هواها

قل ألقت بها قبيلة... ألقي بها مركب مطارد

خفيفة صاعدة

بل قيل ألقت بها سحابةً يقال أوقيل ... ولكنها أشاعت الفوضى كما تشتهي

وأجرت الريح كما تشتهي

وأيقظت قطعاننا كُلها... وأشغلتنا دفعة واحدة

من أين جاءت تلكُم السيدة... وأين غابت تكلُم السيدة

قالت وداعاً.. ثم لم تلتفت لريحنا المهمومة الباردة

* دكتور علي.. مدى الثقافة العراقية الحقيقة أنا رأيت نوعاً من الفسيفساء في هذه الثقافة. فهي أشكال وألوان.. والتقيت بمثقفين وأدباء وشعراء مختلفي المذاهب والتوجهات والمشارب الثقافية وكأني بالمثقف العراقي يبدو أنه غير خاضع لتيار ثقافي معين. فهو أيضاً يقرأ ثقافات مختلفة غربية

وعربية وغير عربية. . . ماذا تكون هذه التوجهات المختلفة. ببعض البلدان تجد أن الثقافة تسير على نمطية معينة ولا يختلفون إلا في التفاصيل الصغيرة. . بينما هنا رأيت مثقفين يختلفون في التوجه وفي الرؤية النقدية ، ربما في المشرب الثقافي. . . في المنبع الأول. . . ماهو تفسير هذه الظاهرة؟

– ربما . . يعني . . . تعرف جيداً أن العراق كان سوقاً مهمة للكتاب . . . يعني منذ الخمسينات. . وكانت دور الطبع أو دور النشر تحسب حساب القارئ العراقي فيما تصدر من مطبوعات. . حتى أتذكر أن بعض الكتب التي كانت تمنع لأسباب سياسية في الخمسينات أو في الستينات. . أو بعض المجلات لأنه فيها معرفة معينة. . . كان صاحب دار النشر يرفع هذه الملزمة ويضع غيرها محتسباً أو حاسباً أمر العراق. . لأن العراق سوق رائجة للكتب. . . هذا الكم الهائل من القراء. . . . والولع. . . الميل الدائم للقراءة والكتابة. . يعني عبارة ديمون ستيوارت شائعة يعني صارت شائعة جداً أن عدو شعراء العراق بعد تخيله. . . وعبارة أخرى تقول. . إذا رفعت حجراً عراقياً فلابد أن تجد تحته إما شاعراً أو عاشقا يتأوه.

* نعم

– يعني. . . هذا العراق ميدانه الثقافي. . غزير. . . تراثه الحضاري غزير. . حركات تجري في الشعر بدأت من شعراء كبار في تاريخنا العربي ولدوا فيه. . يعني. . . ولسبب ما ليس مجال خوض فيه الآن. . . . أن حصة العراق من الشعراء. . . يعني ربما ما يضاهيها بلد آخر لأسباب تاريخية عديدة وأسباب حضارية. . الحركات السياسية. . . الحركات الفكرية. . . ما دار بين المتكلمين والفلاسفة. . . ترجمة الآثار الإغريقية. . الفلسفة. . . كلها كانت في العراق موجودة. . . . فهذه تركت أثرها واضحاً على الذهنية أو المخيلة العراقية.

* نعم.

– في الفترات. . في السنوات المتأخرة. . . حركة الحداثة في الشعر العربي تركزت في العراق بشكل واضح. . . حتى إن بعض النقاد يقولون إن الشعر في أي بلد عربي أو الشاعر في أي بلد عربي لا يبدأ خطواته الأولى في الكتابة قبل أن يلتفت جهة العراق حتى. . . يعني. . . يعلم تماماً ماذا يجري في الساحة الشعرية هناك من جديد.

* جيد

– وكذلك تتحدث عن الفنون التشكيلية و. . . كل هذه العوامل لم تحدث لولا أن الفرد العراقي ميّال للقراءة. . . في العشر سنوات الأخيرة حدثت حركة ترجمة هائلة في المغرب العربي أو لبنان مثلاً. . . معظم هذه الترجمات تبشر باتجاهات نقدية حديثة. فبدأ يتبلور أو يتأسس جدل حول المناهج وحول الاتجاهات النقدية الحديثة. وبدأ بعض النقاد في العراق يتميزون بتناول خاص

للشعر . . فمثلاً ببعض المناهج.

* نعم

– أتذكر في سؤالك شطراً يتعلق بالنقد؟

– واضح جداً أنه الآن في عدة اتجاهات في النقد. . . هناك اتجاه بنيوي واتجاه تفكيكي. هناك اتجاه يميل للواقعية ولا يفصل الأدب عن مرجعياته الاجتماعية والتاريخية والسياسية. . إلى آخره. . هناك حركة عارمة و. . أنا لا أجد في ذلك ضيراً. . . حقيقة

* نعم

– لأنه . . . أنت عندما تريد للمجتمع أن يتجانس في بنيته الثقافية . . فلا يتم هذا التجانس بأن توفر له ثقافة محددة واحدة.

* التعددية مطلوبة في هذا

– وفر له. . يعني. . . خيارات عديدة في الثقافة. . ومستويات عديدة في التفاعل. . . عند ذلك يتم عبر هذا التفاعل وهذا التمثل وهذا الاستيعاب الوصول إلى ما قلنا في بداية الحوار. . . إلى اختياره لمنهجه الخاص أو طريقه الخاص التي تناسب شخصيته وتناسب ثقافته وميراث أمته التي استوعبه ورضعه منذ كان طفلاً أو كان صغيراً.

* نعم

– فهذه الحركة الآن في العراق التي جاءت . . حركة فعلاً محتدمة . . فيها اتجاهات متضاربة تبدو في النقد في الشعر . . في الشعر الحديث. لدينا أسماء مهمة في الشعر الحديث، لدينا أسماء مهمة في الشعر الحديث الآن . . يعني جيلي الذي يلي السياب. . . فيه سعدي يوسف شاعر مهم جداً.

* نعم

– فيه . . يوسف الصايغ شاعر مهم جداً

* أي نعم

– فيه . . عبدالرزاق عبدالواحد. . ولو أن اتجاهه انحصر في الشعر العمودي في السنوات الأخيرة لكنه شاعر مهم، فيه رشدي العاني. . . الآن جيل الستينات. . لنصل إلى جيل الستينات. . . يعني. . فيه خمسة إلى ستة شعراء مهمين على مستوى الوطن العربي. . . نأخذ حميد سعيد. . . نأخذ سالم مهدي. . . نأخذ حسب الشيخ جعفر. . نأخذ ياسين طه حافظ. . . شعراء مؤثرين . . . وحتى الأجيال الأصغر منهم سناً. الآن إذا انتقلنا إلى النقد تجد هذا الصراع الذي حكيته لك. . . وهناك الشعر العمودي الذي بدأ ينتعش في السنوات الأخيرة بسبب ظروف الحرب

التي وجدت فيه عامل تعبئة في وجدان الناس وعامل شد للصفوف.

* وهذا التنوع في الواقع يعطي خصوصية معينة للمجتمع العراقي؟

- هذا طبيعي.

* وليس أشق على الفكر من ثقافة البصمة الواحدة؟

- آه . . . هذه قاتلة.

* أو ثقافة الصوت الواحد. نعم . . . التعددية مطلوبة في الثقافة وفي التفكير. شكراً لضيفنا الدكتور على جعفر العلاق . . . رئيس تحرير مجلة الأقلام العراقية . . والأستاذ بكلية الآداب جامعة بغداد . . . والناقد المعروف هو فنان شامل أو أديب شامل.

- شكراً جزيلاً أولاً على هذا الحوار الممتع حقيقة. . . وأقول ممتعاً . . يعني . . . ليس من باب المجاملة وإنما أحسست فعلاً أنه حوار يعني يديره ببراعة رجل له عمق في الثقافة وله متابعة طيبة.

* دكتور . . شكراً لك هذا قد يكون فيه نوع من المجاملة . . على أيه حال نحن نشكرك ونتمنى أن نسعد بلقائك مرة أخرى لدينا في المملكة العربية السعودية ضيفاً عزيزاً في بلدك.

- أشكرك شكراً جزيلاً.

عمران بن محمد العمران

عمران بن محمد العمران أديب وشاعر مقل... ساهم في إنعاش الحركة الأدبية وإثرائها، وعايش عهدين في عمر صحافتنا، صحافة الأفراد، وصحافة المؤسسات... ورأس تحرير جريدة الرياض لفترة.. وكان له إصداران يدرسان مرحلة أدبية من تاريخ الجزيرة العربية يقول:

البدايات:

بدأت حياتي الأدبية ناشئاً، أمارس كتابة المقالة، وأبعثها إلى جريدة «البلاد السعودية» والمدينة المنورة، ومجلة اليمامة.. وذلك في أوائل السبعينات الهجرية وكان من أبرز الكتاب آنذاك في المنطقة الوسطى الأساتذة عبدالله بن خميس وعبدالكريم الجهيمان وسعد البواردي، وأحب أن أوضح أن اليمامة في ذلك العهد تختلف عنها في الوقت الحاضر جوهراً وشكلاً.. حيث رأس تحريرها شيخنا الجليل حمد الجاسر.. وفي مطابع الرياض التي أنشئت عام ١٣٧٤هـ يلتقي عدد من الكتاب والمثقفين في مدينة الرياض يوم ذاك.

* بداياتك هل كانت مع الشعر، أم مع المقال؟

- البداية كانت مع المقالة.. وأنا أسميها مقالة، من باب التجاوز لأنها لا تعدو أن تكون أفكاراً عابرة ساذجة تنقصها الدراسة والخبرة بطباع الناس، والحياة، وحاولت قرض النظم، ولا أقول الشعر، لأن الشعر ذو معني عميق، لا يدركه طالب مازال على مقاعد الدراسة واستمر بي الطريق في الكتابة، فكنت أكتب بعض الدراسات الأدبية حول الشعراء وأدباء في ماضي هذه البلاد.. فأخرجت عام ١٣٧٧هـ أول مؤلفاتي وهو كتاب عن أعلام الشعر اليماميّ وكتاب نقدي أدبي تاريخي، ترجمت فيه لمجموعة من شعراء اليمامة في شتى العصور... وبعد هذا الكتاب بعشر سنوات أخرجت مؤلفي الثاني «ابن مقرب حياته وشعره» استعرضت فيه حياة هذا الشاعر المغمور من شعراء بلادنا في القرن السابع الهجري، ودرست شعره دراسة أدبية نقدية وافية، وكان هذا الكتاب هو أول كتاب عن هذا الشاعر العظيم، حيث يكاد السواد الأعظم من المثقفين في بلادنا، وفي العالم العربي يجهلون هذا الشاعر، وأحمد الله أن كان هذا الكتاب مفتاحاً لدراسات أخرى، جاءت بعده، حول هذا الشاعر.

* ومتى مارست الشعر؟!

- بعد مزاولة النثر بقليل وذلك في الصحف التي كانت تصدر آنذاك أي قبل عهد المؤسسات، وفي نادي المعهد العلمي، ونادي كلية اللغة العربية، الذي كان يقام كل مساء خميس... وليس ما

نشر في الصحف هو كل ماقالته من شعر ، فلدى بعض القصائد لم يقدر لها النشر ، ولكن آمل في إخراجها في ديوان خاص.

الشعر.. كيف كان

* والشعر آنذاك كيف كان؟

- كان معظمه يسير على النمط العربي ، وإن كان هناك بعض من الشباب ينشرون كلاماً يشبه هذا الذي نشاهده كثيراً هذه الأيام.

* والآن ماذا ترى في «القصيدة»؟

- الحقيقة أن ما ينشر هذه الأيام من قصائد وأشباه قصائد يمكن تصنيفها على ثلاثة أنواع:

١- شعر حديث ، يتسم بروح العصر ، ويحقق أغراضه ، وفيه تجربة حقيقية سواء في صوره البيانية ، أو في معانيه.. لكنه يلتزم بنمط القصيدة العربية وزناً وقافية.. وفي نظري أن هذا النوع خليق بالبقاء وسيظل امتداداً لأدبنا ، وحلقة من حلقات تاريخنا.

٢- ما يسمى بالشعر المنثور ، وهو كالأول في روحه وأغراضه ، ومعانيه ، إلا أنه لا يلتزم بقالب الشعر العربي ، وهذا النوع في الحقيقة أدب جيد ، ولكنه لا يدخل في باب الشعر ، وإنما يدخل في باب النثر الفني ، فهو أدب على أي حال ولكنه ليس شعراً!!

٣- النوع الثالث: لا هو من الأول ولا من الثاني ، ومن الأسف أنه هو الذي يملأ معظم الصفحات الأدبية في صحافتنا هذا النوع هو شبه شيء بالهذر والهذيان ، وليس من الحق أن يشرفه منصف بتسميته أدباً ، فهو ليس مفهوماً في أذهان أصحابه ، الذين يكتبونه وهذا النوع لن يقدر له البقاء ، ولن يعلق بالذاكرة ، لأنها على كل حال ترفضه. وتأباه طبيعتها.

القصيدة الباقية:

* إذن ماهي القصيدة الباقية؟!

- التي تحتفظ بقالبها الموسيقي ، الذي عرفت به ، ولا يعني أن تكون جامدة تعيش بأفكار الماضي ، وبأسلوب امرئ القيس وعصره.

إنما يجب أن تتجدد مع متطلبات الحياة الحديثة ، وتتلون بصورها ، فالشعر «معنى وصورة وقالب».

هؤلاء الشعراء

* شعراء آثاروا الانتباه؟

- حسين سرحان ، حسين عرب ، محمد حسن فقي ، حمزة شحاته ، عثمان بن سيار ، غازي القصيبي... ومن خارج المملكة عمر أبوريشة وبدوي الجبل وغيرهما.

الخلافات كثيرة

* تتذكر خلافا حول قضية ما أيام معايشتك آنذاك للأدب؟

– مرت حياتنا الفكرية والأدبية بخلافات ومناقشات حادة، لعل من أبرزها تلك المشادات الأدبية التي قامت بين المرحومين حمزة شحاته ومحمد حسن عواد، والمجادلات التي قامت بين الأستاذين حمد الجاسر، وعبدالقدوس الأنصاري، حول جيم جدة! وبغض النظر عما قيل أو ما يقال عن جدوى تلك الخصومات، وعدم جدواها فإنني أعتبرها إثراء لحياتنا الأدبية.

* هل وظيفة المعبر والأديب في أيامنا هذه تقلصت عن سابقتها قبل سنوات؟

– الواقع أنها لم تتقلص عن سابقتها، فمهمة الأديب تجاه مجتمعه هي رسالة أبدية، لكن الظروف المتغيرة من آن لآخر تجعل هذه المهمة تبدو واضحة حيناً، ومتقلصة حيناً آخر.

* لذا .... الأديب ليس مربوطاً بظرف معين؟

– الأديب هو –قبل كل شيء– إنسان ذو لحم ودم، فهو جزء من مجتمعه يفرح لفرحه، ويتألم لألمه.. ولهذا من الصعب أن ينسى واقعه... ولئن لم يستطع التعبير عما في نفسه بأسلوب ما فإنه بلا شك قادر على التعبير عن ذلك بوسيلة أخرى، قد يفهمها القارئ مباشرة، وقد يفهمها بعد جهد، أو وقت.

* هل تفسر الغموض في شعر بعض الشعراء بهذه الحالة؟

– إذا كان الأديب أو الشاعر غامضاً لدرجة يصعب معها فهم غرضه على الناس فإنه لا يمكن اعتبار الغموض على هذا النحو وسيلة من وسائل التعبير الإيجابية بل هو هروب من الحقيقة، وخروج عن دائرة الأدب والفن.

الساحة تمتلئ بالغوغائيين

* تفاؤلك لنتاجات أدبائنا؟

– الواقع أن من ينسبون للحياة الأدبية الحاضرة كثيرون جداً، لكن الأدباء الحقيقيين هم القلة مع الأسف، وأدباؤنا الواعون ملومون جداً لتقصيرهم في تغطية الحياة الفكرية في البلاد، وعدم مساهمتهم في وسائل نشر الأدب كالصحف والأندية... مما أتاح للمتأدبين، ولكن من هب ودب بملئ الساحة بنتاج هزيل، وفج.

* مثل ماذا؟

– تقرأ القصيدة أو القصة، أو المقالة فلا تستطيع الخروج منها بأي محصول فكري، ذي وزن، وإنما هي أفكار واهية، وأساليب معماة.

* قراءتك في القصة؟

– قرأت للأستاذ إبراهيم الناصر، وهو يكتب قصصاً جيدة، لكنه في السنوات الأخيرة انزوى عن الكتابة ولم نعد نقرأ له شيئاً.

* كتابات الشباب؟

– فيها الغث والسمين!

* والنشاط الأدبي العام؟

– الأندية الأدبية تعيش عزلة مميتة، وأنا لا ألقي اللوم على الأندية وحدها.. وإنما على الأدباء أيضاً.

* لعل حواجز معينة تمنعهم من المشاركة؟!

– الأدب يتأثر –صعوداً وهبوطاً– بالظروف المحيطة به سياسياً واجتماعياً فمتى وجد المناخ الجيد ازدهر... وإلا فإنه يخبو.

* المثقفون الذين يحملون آراء وجيهة في مختلف شؤون الحياة كيف يوصلون أفكارهم إلى الناس في ظل ظروف لا تساعد على التعبير؟

– المثقفون ليسوا ملزمين بأن يكتبوا ما تختلج به أفكارهم لأن الثقافة شيء، والأدب شيء آخر. ونحن هنا نحكي في الأدب، والثقافة في عمومها رافد من روافد الأدب الأساسية، لكن مع هذا يتمنى المرء أن ينشر المثقف أفكاره على الناس، لأن فيها ولا شك فائدة كبرى لهم، والصحافة أمامهم مفتوحة! فما الذي يمنعهم من الكتابة فيها؟

الحرية ليست على حساب القانون

* المساحة التي يمكن أن يتحرك فيها الأديب ليطرح إبداعه؟

– يجب أن يكون الأديب متحركاً على ساحة واسعة من الرأي، لأن الحرية مطلب أساسي لكل أديب ومفكر، فبدونها لن يكون هنا أدب أو فكر جيد، على أن هذه الحرية يجب ألا تكون على حساب النظام والقانون.. وإلا فإنها تصبح فوضى... ويصبح الفكر معها فوضوياً أيضاً.

* هل حزنت على شيء من تلك الفترة التي عشتها؟

– الواقع أن الناس منذ عشرين سنة أو أكثر كانت تغلب عليهم البساطة والبراءة، فكانوا في أفكارهم ومناقشاتهم منطلقين من هذه الاعتبارات، وهذا بعكس حياة اليوم التي سادها التعقيد في شتى مظاهرها.. فأصبح الأديب أو المفكر تبعاً لذلك يعاني من عقد تحيط به من كل جانب، وتبعاً لهذا نستطيع أن نفسر الغموض الذي يسود الحياة الأدبية والفكرية.

أنتم عندكم إسهال

* وأشياء غير مرضية الآن؟

– الاسهال الفظيع المتمثل في كثرة إخراج الكتب دون تمحيص للصالح من الطالح. . حبذا لو كانت هناك جهة ذات اختصاص تناقش هذا الأمر، فلا يخرج إلى الناس إلا الإنتاج الجيد المفيد.

لماذا اعتزلت

* ولماذا اعتزلت؟

– بالنسبة للقراءة . . . فأحمد الله أني لم أقاطعها، وأخصص جزءاً من وقتي كل يوم أقضيه في مكتبتي المنزلية، أما الكتابة فإنها تتطلب جواً فنياً أكثر مما تتطلبه القراءة، ولذا فمشاغل العمل تحول بين الإنسان، وبين ممارسة الكتابة. . . لأنه عندما يريد أن يكتب يعلم في قرارة نفسه أن أفكاره ستكون معروضة للناس، وسوف يصدرون عليها حكمهم والكاتب في الغالب لايريد لأفكاره أن يحكم عليها الآخرون، ويجب أن يتلقى الآخرون أفكاره بالرضا، ومع هذا فأنا لم أتوقف عن الكتابة بتاتاً فبين حين وآخر أدفع ببعض القصائد إلي إحدى مجلاتنا لنشرها. . . فالكاتب ليس موظفاً يؤدي عملاً يومياً ثابتاً روتينياً، بل هو يكتب كلما سنحت له الخاطرة، فقد يكتب في اليوم أكثر من مقال، وقد يمر عليه شهر دون أن يستطيع كتابة شيء.

الالتزام الصحفي

* ترى إذن أن الالتزام الصحفي يقضي على إبداع الكاتب؟

– نعم الالتزام بمواعيد معينة، أو بزاوية ثابتة يكتب فيها هو أمر يجعل هذا الأديب أو الكاتب في كثير من الأحيان يعطي إنتاجاً دون المستوى، وهذا بعكس الكاتب الذي لا يتقيد بالتزام معين، بل يكتب كلما وجد من نفسه الرغبة في الكتابة وفي هذه الحالة يعطي نتاجاً جيداً ومقروءاً فهو لا يكتب لسد الفراغ، وإنما يعطي من ذاته.

العوضي الوكيل

العوضي الوكيل صاحب صولات وجولات... شغل الساحة الأدبية مدة من الزمن... وصاحب جيل العمالقة إبان فترة النهضة الأدبية في الخمسينات والستينات... كان تلميذاً باراً للعقاد... صاحبه طوال حياته وكتب ودافع عنه... ولازال يوالي إصدار سلسلة «الديوان» التي أنشاها الثلاثي الكبير – العقاد– والمازني– وشكري.

* لا يزال محافظاً على حضور واستمرار ندوة العقاد الأسبوعية التي تعقد في منزل العقاد صباح يوم كل جمعة.. وحين سألته... ألا تشعر بثقل هذا التكليف رغم إلحاح المرض عليك؟

– قال: إن هذه الندوة دين في أعناقنا يجب أن نفي به... إلى أن يرثه عنا تلامذة مخلصون..!

وكان يغتصب الكلمات، فتخرج أحياناً ملتبسة غير مفهومة، بسبب مرض ألم به، وأقعده للعلاج سنة كاملة بأمريكا، وأصغيت إليه علني أسمع فلا تفوتني كلمة مما يقول.. لكنني أعييت، فطلبت منه أن يقرأ السؤال ثم يكتب الإجابة بخط يده فذلك أجدى علينا جميعاً.. قلت له:

* الأستاذ العوضي صاحب رأي معروف في الساحة الأدبية، وخاصة في مجال النقد.. كيف ترى النقد والنقاد في أيامنا هذه؟

فكتب:

– النقد في أيامنا هذه سار بعيداً عما يحب أن يكون عليه، فكلمة مجاملات لا تعني النقد شيئاً، والنقاد الآن شراذم تتناصر على الباطل، وتجانب الحق والصواب.

* متى يتوافر الناقد الجيد؟

– يتوافر عند وجود الأدب الحر، ولانقد حيث لا حرية..!!

* يقال: إنك تحب المشاكسة كثيراً هل هذا صحيح؟

وهنا اعتدل في جلسته، وألقى إليّ نظرات الاستفهام.. قلت... عفواً المشاكسة الأدبية؟ فابتسم .. ثم قبض على قلمه بشدة. وكتب:

– كنت تلميذاً مخلصاً ملازماً للعقاد لا أكاد أفارقه، وكنت أرى من وراء الكواليس ما لا يراه كثير من الناس وقد عشت قضية السفود بتفاصيلها، وألفت عنها كتاباً كبيراً طبع منذ نحو عشر سنوات ونفذت طبعته، وعشت الصراع بين العقاد وأمين الخولي وكتبت عنه كثيراً، وأستاذنا العقاد أثرى الحياة الأدبية بصراعاته كما أثراها بإبداعاته.

* وأردت أن أزيد في اشتداد عاطفته نحو أستاذه العقاد فقلت: إن العقاد اغتصب الشعر فغلبه

الشعر؟

فكتب

- شعر العقاد ليس كمثله شعر، فهو هو الشعر، لأنه يوضح أفكاره ويصوغها صياغة. وبعضهم يتهمه بالتعقيد، وليس التعقيد إلا في عقول من يقرأ ولا يفهم. والعاطفة يجب أن تكون سهلة التعبير.. أما شعر الفكرة فالشعر إذا خلا منها فأي شيء تسميه؟ هذا ولا شك.

* وطه حسين؟

- رأيي في طه حسين، سجلته بصراحة في كتابي «رسوم وشخصيات» حيث قلت:

المنشيء المبدع في البيان كعازف اللحن على الكمان
طربت من ألفاظه الحسان فلا تسلني بعد عن معان

وقد أغضب هذا الكلام طه حسين حين نشره.

* وحين أثرت مدرسة الديوان، قال قف.. وكتب - يسمونها خطأ مدرسة الديوان، وكان شكري والمازني والعقاد يسمونها مدرسة الطبع والسليقة..

وأنا أفخر بأني واحد من أبنائها وتزعم جماعة في بعض كتبهم ومنشوراتهم أنني من جماعة أبو للو.. وهذا خطأ، فجماعة أبوللو لم تدع إلى مذهب جديد كما دعت مدرسة الديوان، وخلاصة رأي أصحاب الديوان، بصرف النظر عن خطأ التسمية: أنها مدرسة دعت إلى توضيح مفهوم الشعر لا إلى مذهب جديد فيه، فالرأي عندهم أن الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق.

* ثم دار الحوار حول الرواية والقصة: عن إصدارات أدباء الرواية الرواد هيكل - حقي - وسواهما.. وأدباؤنا الآن: فكتب

- لقد أجبت على سؤالك بادئ الأمر، فقصة زينب، وقنديل أم هاشم، وأمثالها هي اللبنات الأولى في بناء القصة العربية بعد أن استوى مفهومها من الأحدوثة إلى القصة والأقصوصة.. وأنا أقرأ فأعجب بثروت أباظة - وهو تلميذي - ومحمد عبدالحليم عبدالله - وهو زميلي في دار العلوم. ونجيب محفوظ وكلهم صاحب قصة مبدعة.

* قلت: نجيب محفوظ في رواياته الأولى أقرب إلى سير القصة من رواياته الحديثة، حيث تتغلب «الأيدلوجيا» المطروحة، ويفرض الزمن غموضه أحياناً، فتتقطع الأواصر بين الأشخاص؟ ما رأيك.

- إضافات نجيب محفوظ وثروت أباظة وأمثالها مدت أمداء القصة وآفاقها أشواطاً وأشواطاً، وأصبح لقصصهم طعوم متميزة عن عالم القصة الأقدم.. وهذه الإضافات هي عندي بمثابة تلذيذ الطعام بزيادة توابله.. والمحور احياناً يضيع في بعض قصص نجيب، فتدور القصة حول لا شيء

مثل زقاق المدق.

* وعن القصة القصيرة ومزاحمتها للشعر قال:

– القصة كالشعر كلاهما يتقدم ويزدهر بشرط واحد: مزيد من الحرية الأدبية لكي يبدع الأدباء وينتجون في ظلال تكريمهم وراحتهم. إن الشعر الحر ضرب الشعر الصحيح في الصميم فتراجع الشعر أمام القصة التي كثر قراؤها وعشاقها.

* وعن شروط القصة القصيرة قال:

– القصة القصيرة يجب أن تصاغ في فكرة واحدة موجزة، فإذا هي طالت أفسدها طولها.. وليس للقصة القصيرة عندي شروط غير وضوح الفكرة وسلامتها وبعدها عن التعقيد.

* ثم انتقل الحوار إلى أدب الشباب، وعقبات النشر أمام الناشئين.. وأحببت أن أثير هذه النقطة على إثر الحادث المحزن الذي وقع لأحد الأدباء الشبان «محمد رجائي عليش» في الأسابيع المنصرمة، وكان كاتباً قصصياً، أصدر مجموعة قصصية بعنوان «لاتولد قبيحاً» وأهداها إلى أمه، ورواية طويلة بعنوان «إنهم يكرهونني» وانتحر على شكل مفجع، فقد أشعل النار في شقته، ثم ذهب بعيداً بسيارته وأطلق الرصاص على رأسه فكتب الأستاذ العوضي:

– هذا السؤال يجدر بنا أن نجيب عليه بما كان يحدث لنا في أيامنا، فقد أنصفني انطوان الجميل رئيس تحرير الأهرام وأنا قبل العشرين،. ونشر لي هيكل والمازني في السياسة الأسبوعية وأنا دون العشرين... وأنا أرى أن الدول العربية بحاجة إلى إنصاف شبابها الأدباء ولعلك قرأت اليوم نبأ انتحار أديب شاب لم يجد الشهرة التي تشيعه، ثم أضاف: وأرجو ألا يقع لأحد ما وقع للقصاص المنتحر، ومن رأيي أن النشر هو إفراغ طاقة مكبوته.

* قمت بدراسة للأدب السعودي كيف رأيته؟

– الشعر السعودي المعاصر يتفرق فرقين عظيمين، الأول فكرة وتأمل وحكمة وهذا يتأثر بالحجازيين القدامى أمثال زهير وحسان والعرجي وعمر... والثاني... صور البادية وما إليها، وهذا يتأثر بذي الرمة غيلان... ومن الأولين.. العواد وحمزة شحاته.. وحسن القرشي ومن الرعيل الثاني.. عبدالله بن خميس.

* وعن آخر أعماله كتب:

–آخر أعمالي شرح جديد لديوان المتنبي... وبين يدي الآن «الديوان في الأدب والنقد» الجزء الرابع «مع نزار قباني» و «هكذا عشت حياتي» وهو ترجمة شخصية ولازال هذان الكتابان مخطوطين كما ترى وهنا كانت الساعة تدق الحادية عشرة والنصف ليلاً... فخشيت أن ألزمه ما لا يلزم، وقد نهاه الطبيب عن الجلوس كثيراً، فأستأذنته وودعته شاكراً.

فهد العرابي الحارثي

نقوم بزيارة إلى منزل الدكتور فهد العرابي الحارثي الأستاذ بكلية الآداب جامعة الملك سعود ورئيس تحرير مجلة اليمامة، ونريد من خلال المحاور الذي يثيرها هذا اللقاء أن نكشف شيئاً من أوراق ضيفنا الكريم ونقدم بعضاً من أطروحاته الأدبية والثقافية.. ولن أطيل في هذا التقديم لكي أترك الفرصة لضيفنا الكريم ليتحدث عن نفسه.. ليس التعريف الرسمي الذي قدمته سلفاً وإنما التعريف الأكاديمي العلمي الدقيق لأطروحته في رسالته العالية ودراساته وتوجهه الصحفي المبكر سواء من خلال جريدة الرياض قديماً أو مجلة اليمامة حديثاً... والمشاركات الصحفية المختلفة في صحف ومحافل صحفية عديدة.

* مرحباً دكتور فهد

– أهلاً وسهلاً يا أخ محمد أنا سعيد جداً أن أستضيفك أنت في منزلي هذه الليلة وأرجو أن نوفق في ضيافتكم.. وأهم ما سأقدمه لك في هذه السهرة أو في هذه الجلسة اللطيفة هو محاولتي أن أجيب ما أمكنني على الأسئلة التي ستطرحها عليّ.

* شكراً دكتور... بادئ ذي بدء... نود أن نبدأ من الخطوات الأولى لك في مجال الصحافة وفي مجال البحث الأدبي والعلمي الأكاديمي... فهل سارت الصحافة مقارنة لرغبتك العلمية أم أن هناك الرغبة العلمية الأكاديمية الطاغية التي ألزمتك بالبحث وتركت الصحافة فترة معينة أو اعتزلت اعتزالاً خفيفاً تقريباً في أثناء دراستك وهل وجدت حرجاً أو مضايقة في الجمع بين هاتين المعشوقتين أو هاتين الرغبتين؟

– أولاً أعتقد أنني طالب علم ... وسأظل طالب علم... أحاول دائماً أن أتزود مما تتيحه لي الفرص أن أتزود منه لأنني أعتقد أن الإنسان بناء فكري ولغوي قبل أي شيء آخر.. وما دام هناك فرصة لكي يزداد الإنسان من هذا الغذاء الفكري والروحي فلاشك أنه سيتجدد وستتجدد خلاياه في الداخل وسيحاول دائماً أن يجدد نظرته للكون والحياة والأشياء من حوله.. لهذا فأعتقد أن الصلة بنواحي المعرفة المتعددة صلة دائمة ومستمرة وليس هناك شخص يستطيع أن يقدر حق المعرفة المتعددة وحق العلم.. يظن أنه في يوم ما سيصل إلى نقطة النهاية وحينما يعتقد أي شخص بأنه وصل إلى هذه النقطة فإنه في الواقع يحكم على نفسه هو بالنهاية.

ثم النقطة الأخرى أعتقد أن علاقتي بالناحية الأكاديمية والناحية الصحفية على ما بينهما من تناقض أحياناً وتنافر شديد أحياناً أخرى... تكاد تكون علاقة غريبة جداً.. يعني.... يمكن الله

سبحانه وتعالى وفقني إلى أن أوائم بينهما رغم ما فيهما من تناقض كما قلت ورغم ما بينهما من تنافر . . . ولعلك أيضاً تستغرب أنت أن تجتمع هذه المتناقضات أو هذه المتنافرات في إطار أو في وعاء شعوري واحد وتجد أنها تحقق الحد الأعلى إن لم أقل الأدنى من التعايش داخل هذا الوجدان . . وأعتقدأن المسألة لكي لا أخرج أمامك بطلاً . . . ليست على هذا المستوى من الصعوبة التي قد تبدو من خلال العرض الذي قدمته أنا في هذه اللحظات . . لكنها حينما تتوفر الرغبة الأكيدة في أن يزاوج الشخص بين طموحه العلمي وهوايته الفنية . . . إن صح هذا التعبير . . . والتي يمكن أن تدخل فيها جانب الصحافة والكتابة . . فأعتقد أنني استطعت أن أحاول وأن أجرب . . . والحكم على هذه المحاولة وعلى هذه التجربة تكون للناس بطبيعة الحال وليس لي أنا شخصياً .

العلاقة بدأت منذأن التحقت بمدرسة دار التوحيد في الطائف . . . وهي كما تعرف من المدارس العريقة وكانت الوحيدة في المملكة العربية السعودية . . . ذات المعارف المكثفة . . في هذا المجال . . . فقد أصر والدي أن أكون أحد المنتسبين إليها . . . وقد كانت تأتي إليها البعثات التعليمية من مختلف أرجاء المملكة وفي تلك الأثناء ازددت شغفاً بالأدب والفكر وبنواحي المعرفة المتعددة في نفس الوقت التي ولدت فيه هواية أو ميولي الصحفية والكتابة . . . كنت يومها في المرحلة المتوسطة . . . وكنت أتعامل مع جريدة الندوة في مكة بما أكتب من مقالات وبما أكتب أحياناً من محاولات ينشر بعضها ويدفن الكثير منها . . . ولكني لم أكن أيأس بل كنت أحاول وأحاول إلى أن ختمت المرحلة الثانوية في المدرسة المذكورة ثم انتقلت إلى مكة المكرمة لأكمل أيضاً المشوار الأكاديمي في جامعة أم القرى التي كانت في تلك الأيام عبارة عن كليتين . . . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكنت أحد منسوبيها . . وكلية التربية ، وفي الوقت الذي . . الذي كنت أكمل فيه هذه المراحل الأكاديمية من حياتي التعليمية كنت أيضاً أمارس المهنة الصحفية على قرب أكثر . . . إذ كنت أحد محرري المحليات في جريدة الندوة نفسها والتي كانت تصدر والتي لازالت تصدر في مكة المكرمة . . . وكنت أظن أنني في يوم ما سيكون هناك نهاية لعملي بالصحافة . . . لكن لم أتصور أن يكون هناك نهاية لصلتي بالجانب الأكاديمي . . . فكنت أتطلع دائماً إلى أن أكون على . . . . يعني . . . مواصلة مستمرة في هذا المجال لكن الصدف تشاء أن أعمل معيداً . . أن أعمل معيداً في جامعة الملك سعود في الرياض في كلية التربية . . . وتشاء الصدف أن أكون أيضاً في الوقت نفسه المحرر الثقافي لجريدة الرياض والتي كانت تصدر أيضاً في مدينة الرياض . . . ويستمر هذا التزاوج حتى تنتهي مرحلة المعيدية ثم أنتقل إلى باريس لإكمال أيضاً المراحل الأكاديمية النهائية مرحلة الماجستير والدكتوراه وتأتي الصدف إلا أن أكون هناك صحفياً أيضاً وأكون في الوقت الذي كنت أحضر فيه للماجستير والدكتوراه في جامعة السوربون بباريس أن أكون مديراً لمكتب مؤسسة اليمامة الصحفية

في باريس أيضاً . . . والمكتب كان يتولى تغطية الأحداث الجارية في فرنسا وفي أوروبا الغربية بشكل عام وبعض دول شمال أفريقيا . . . كان يعمل فيه حوالي خمسة صحفيين إلى جانبي فقلت ربما إنها كانت فترة الدراسة وفترة الحيوية . . . بالتأكيد لما أعود إلى الرياض من جديد بعد انتهاء المرحلة الأكاديمية ستنتهي أيضاً علاقتي بالصحافة وسأظل أكاديمياً كأحد الزملاء المدرسين في الجامعة . . . ولكن الصدف تشاء أيضاً وأعين في جامعة الملك سعود بعد أن تخرجت أستاذاً مساعداً في كلية الآداب . . . وبعدها بشهر واحد أعيّن رئيساً لتحرير مجلة اليمامة . . وكأن القدر يريد دائماً أن أكون أو أن أوائم بين المهنتين أو بين الاهتمامين الأكاديمي من جانب والعملية الصحفية من الجانب الآخر، أنا شخصياً لا أفهم كيف حصل كل هذا . . . لست نادماً على شيء . . أنا سعيد بما أنا فيه . . . ومسرور بكل الأشياء التي تحققت . . . إن كان قد تحقق أشياء ذات بال . . . . على كل حال . . لكني مسرور بما عملت ولا أستطيع أن أفسر تماماً ما الذي يحصل أو ما الذي يحدث . . . أو كيف حدث كل هذا . . . هل هي كانت رغبة أكيدة متأصلة في نفسي وأنني كنت أسعى إلى تحقيقها . . . أو أنها الصدفة نفسها هي التي أرادت أن يكون الوضع على هذه الهيئة . . المهم أنني لازلت في هذه المزاوجة بين الصحافة والجامعة.

* والبحث العالي . . . والشهادة العالية . . بحث الشهادة العالية . . الدكتوراه . . . فيما يبدو كان في الأدب طبعاً ولكن المسمى الدقيق لهذا البحث . . . وهل ترجم . . . أو هل سعيت إلى ترجمته لكي تضيف إلى المكتبة العربية شيئاً ما في نفس الموضوع الذي طرقته باحثاً أكاديمياً؟

– البحث كان في الواقع في مرحلة من مراحل الأدب القديم . . . وهي مرحلة الأدب في صدر الإسلام . كثير من الناس من خلال الأشياء التي ربما أكتبها في . . في المناسبات التي أشارك فيها . . . ربما يعتقد أن تخصصي أحياناً في الأدب الحديث . . إنما في الواقع تخصصي في الأدب القديم . . . هي في مرحلة الأدب في صدر الإسلام . . . وموضوع الأطروحة يتعرض للشعر كنشاط قوي متفرد عند العرب في تلك المرحلة وعلاقته بالدعوة الإسلامية . . . وعلاقته أيضاً من حيث المنهج الفكري بينه وبين الشعر .

الشعر في مرحلة من المراحل كان يحتل كامل المخيلة العربية . . . فلا يفسح المجال لأي شكل من أشكال التعبير الأخرى . . . متفرداً في سيادته لسدة البلاغة والبيان . . لكنه يفاجأ هذا الشعر . . . بنزول القرآن الكريم الذي يتحدى العرب في فصاحتهم وفي بلاغتهم . . . بمعنى أنه بمعنى آخر يتحدى حتى الشعراء وهم كانوا في مقدمة الفصحاء والبلغاء . . . وهنا يشعر . . يبدأ الشعر . . . ويبدأ الشعراء يشعرون بأنهم يتحولون إلى درجة ما دون الأولى . . لأن الأولى يبدأ بأخذها القرآن الكريم من الشعر الذي كان يتسيد على كل أنواع التعبير موضوع الدكتوراه كان

يبحث في هذا الموضوع . . . . بشكل عام . . . وفي الدور . . . الشعر كان منتظراً أن يلعب دوراً سلبياً في هذا الموقف بعد أن اقتحم القرآن المكان الذي كان يحتله في المخيلة العربية . . . لكننا نجد أنه يأخذ العكس تماماً . . . إذ يصبح مسانداً للدعوة . . . ويصبح من الوسائل التي تعول عليها الدعوة في بعض متعلقاتها . . . فالرسول صلى الله عليه وسلم يشعر بأهمية هذا . . . . الفن القولي . . . وهو الشعر فيكوّن فريقاً من الشعراء الذين أوكل إليهم مهمة أن يذبّوا عن الإسلام . . . وأن يذبّوا عنه وعن صحابته في مواجهة الفريق الآخر الذي كان يقف في مكة هاجياً ومندداً بالدعوة وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبالصحابة وبالإسلام . كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى بأن المواجهة المادية مع كفار قريش لا تكفي وحدها وإنما لابد ممن مواجهة معنوية أيضاً . . . مستخدماً نفس الأسلحة التي كانوا يستخدمونها . . . . وأبرزها وأهمها وأكبرها تأثيراً في تلك الفترة طبعاً . . . الشعر . . حتى إنه يعين مستشاراً لهؤلاء الشعراء . . . هو أبوبكر الصديق . . نظراً لضلاعة أبي بكر الصديق في معرفة أنساب العرب . . . وبالذات أنساب قريش . . . فكأنه كان يسعف هؤلاء الشعراء بالمادة الخام التي يرتكزون عليها في هجائهم . . وهو والرسول صلى الله عليه وسلم كانا يؤمنان تماماً بأن هذا الشعر أشد على الكفار من وقع النبل . . لأن العرب . . . في القديم . . . كما تعرف كانوا يرون بأن جرح اللسان كجرح السنان تماماً . . . . والعرب أيضاً كانوا يحتفلون بميلاد فارس مقدام فيهم لكنهم يرون دائماً بأن في كل قبيلة أكثر من فارس . . . ولكن قد لايكون في القبيلة سوى شاعر واحد وكان الشاعر بالنسبة لهم يكاد يكون أهم بكثير من الفارس . . . لأنه كما قلت . . . الفروسية إكتساب أما الشعر فموهبة وفطرة . . يعني الرسالة كانت في الواقع تدور في هذا.

* لانريد أن نعرض الرسالة كلها . . . لأنها طويلة بالتأكيد . . . باعتبارها رسالة دكتوراه . . . ولكن هذا المحور الرئيس لموضوع البحث العالي . . . وأتمنى إن لم تكن طبعت بعد أن تطبع . . لكي تضيف شيئاً مفيداً ومهماً إلى المكتبة العربية؟

– الواقع أنا شديد الحماس إلى أني فعلاً أعود إلى رسالة الدكتوراه . . . هي مكتوبة باللغة الفرنسية باعتبار أنها قدمت في جامعة فرنسية . . . ولترجمتها ولطبعها . . . ولكن ترجمة رسالة كتبت بلغة أجنبية إلى اللغة العربية قد يظن البعض أنه مجرد ترجمة . . . نقل من الفرنسية مثلاً إلى العربية . . . . هذا الكلام غير صحيح . . لأنه لابد لك من العودة إلى جميع المراجع التي عدت إليها في لغات أخرى غير اللغة الفرنسية مثل اللغة العربية مثلاً والعودة إلى نفس النصوص التي اقتبستها لتعود إلى النص الأصلي . . . لأنه حينما تنقل النص من العربية إلى الفرنسية يصبح مترجماً . . . لكن حينما تعيده إلى العربية أنت دون العودة إلى مصدره الأصلي سيكون نصاً آخر مختلفاً .

* لابد من التوثيق؟

- لابد من التوثيق من جديد... وكأنك تعد الرسالة.. في نظري... من جديد، وهذا في الحقيقية يحتاج إلى جهد... وأنت من الناس الذي يعرفون الأشياء اللي أنا بأعملها في الواقع يعني... تتيح لي قليلاً.. قليلاً جداً من الوقت.. في الوقت الراهن... ولكن طبعاً الرسالة أنا أعتز بها وبذلت فيها سنوات طويلة وبحثت وأخذت عليها يعني... درجة مميزة.. فيهمني جداً أن تكون إحدى الإنجازات التي أعتز بها بالنسبة للثقافة العربية أيضاً.

* ولأنها اقتطعت هذا الوقت من عمر الإنسان ومن جهده فلابد أن تطبع وتقدم إلى الناس.... ويقدم للناس وللقراء هذا الجهد... ويتبادر إلى ذهني الآن يعني اقتراح أو فكرة... لماذا لا تأخذ عليها درجة في الترجمة لماذا لاتترجم وتضاف هذه الترجمة إلى رصيدك بدرجة معينة علمية... مثلاً ترقية من مرتبة علمية إلى مرتبة أخرى؟

- ما أعتقد.. لأنه أنت وأنا... يعني... منحت الدرجة على هذا البحث.. كونك تنقله إلى لغة أخرى ما أعتقد أنه يفيدك ولا أظنه من الإنصاف أنه يفيدك في أن تترقى إلى درجة أكاديمية أخرى في سلم الكادر الجامعي... لأنه من المطلوب أن تقدم بحثاً أصلياً... مقالة أصلية.

* لكن.. دكتور... سنكسب من هذه الترجمات... كتباً عديدة وأبحاثاً عديدة... أيضاً تخدم مكتبتنا وتخدم قراءنا وتخدم تراثنا العربي سواء... حتى في المجالات العلمية أو التقنية... يعني... لوترجمت كل هذه البحوث المقدمة بلغات أخرى غير العربية إلى العربية لوفرنا إلى المكتبة زخماً علمياً وثقافياً وأدبياً كبيراً جداً ونعتقد أنه في المكتبات الأوروبية بلغاتهم المختلفة شيء من العطاء العربي كبير... يعز على نفوسنا أن يبقى بتلك اللغات بعيداً عنا؟

- على كل حال أعتقد أن مسألة الترجمة تعتبر عاملاً مساعداً للترقية لكنها ليست أصلية في الترقية بمعني لو قدم الباحث أربعة بحوث مثلاً ومعززة بترجمة أو ترجمتين يمكن ترفع من قيمة الأبحاث إذا كان قيمة الأبحاث قيمة متوسطة مثلاً... لكن أعتقد أنا أيضاً في الوقت نفسه أنه يعني لا تحسب أبحاثاً أصلية وإنما تكون مساعدة.. مثل المؤلفات الأخرى حينما يتقدم شخص للترقية بمجموعة أبحاث أو مقالات علمية محكمة ويقدم معها كتاباً مثلاً... جمع فيه مجموعة مقالات أو كتاباً في قصائد شعر... تعرف الشعر ما يعتمد في: الترقية... وكل الأعمال الإبداعية في الواقع لا تعتبر في الترقية... لكنها تعتبر من العوامل المساعدة.... وتسمى أكاديمياً بالأعمال الإنشائية الممتازة.. فهي تساعد على الترقية ولكنها لا تعتمد كأبحاث أصلية.

* هذا كلام على هامش الرسالة يادكتور.... بودي أن نعود إلى تاريخك القديم الصحفي حينما بدأت كاتباً وبالذات في مرحلة الرياض... محرراً أدبياً... باعتبار أن هذه المرحلة تتفق وتتساير

تقريباً مع توجهك الأكاديمي الأدبي فماذا في ذاكرتك من الأسماء ومن الطروحات ومن القضايا التي أثرتها مع زميلك فيما أعتقد أو زملائك في القسم الأدبي في جريدة الرياض. . . . واعتمدت تلك الفترة على مقالات أدبية كثيرة وكان للمقالة شأن كبير في تلك الفترة باعتبار أنها المحرضة والداعية إلى الرأي والمناقشة والطرح. . . وهل تحنّ إلى تلك المرحلة؟ أم أن تلك مرحلة تجاوزتها وفيها سلبيات كثيرة وفيها عقبات وفيها توقعات؟

- لاشك أن أي مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان تكون فيها سلبيات ويكون فيها إيجابيات حتماً ويكون. . ربما كان سعيداً جداً بما حدث في تلك الفترة لكن لا أظن أنه سيكون سعيداً جداً فيما لو عاد يمارس نفس الأشياء التي كان يمارسها في تلك الأيام. . . حتى إيجابياتها. . . أنا في رأيي. . . ربما تدخل في باب التكرار الممل ربما تدخل في باب الاسترجاع الرتيب الذي ليس فيه جديد وليس فيه باب. . .أي باب أو أي جانب من جوانب المفاخرة مثلاً. . . مرحلة الكتابة في بدايات توليي الإشراف على القسم الثقافي في جريدة الرياض في تلك الفترة كانت مرحلة غنية جداً . . وكان هناك مجموعة من الشباب الذين كانوا يثرون الساحة حقيقة بإبداعاتهم وبشعرهم وبقصصهم.

* الأسماء؟

- كان منهم في تلك الفترة المبتدئون وكان منهم المتمكنون . . . وكان منهم المتمكنون في تلك الأيام. . . أذكر من المتمكنين الذين كانوا يسهمون معنا . . كنا نصَدر ملحقاً بالمناسبة. . . ملحق أسبوعي يصدر كل يوم خميس. . . في أكثر من ست عشرة صفحة وبحجم التابلويد. . . بلغة الصحافة الحديثة. . . ليس بحجم الجريدة اليومية المعروفة الآن وإنما بحجم نصف الجريدة ويباع على ما أذكر مع الجريدة اليومية. . . وكان لهذا الملحق. . . كنت أشرف على هذا الملحق. . . . وكان يتعاون معي فيه الأخ سلطان البادي وأم هاني العبادي. . . كانت تحرر للمرأة. . . وبالمصادفة العجيبة مدير تحرير اليمامة حالياً الأخ عبدالعزيز المنصور. . . وكان محرراً فنياً في نفس الملحق. . . وكان هذا الملحق ثقافياً فنياً كما نلاحظ من مختلف الجوانب التي يمكن أن تتصورها في تلك الأيام . . . يأتي بعدهم مباشرة الجيل الثاني الذي يمثله مثلاً أحمد الصالح (مسافر) كان في تلك الأيام في بداية . . في بداية اقتحامه للساحة. . . . . الحقيقية. . . وقد اقتحمها قوياً حقيقة. . . وكان الناس لايعرفون اسم أحمد الصالح مطلقاً. . . وكانوا يعرفون مسافر فقط. . . حتى أني أذكر بالمناسبة أنه كان هناك . . كان هذا الاسم مسافر. . . . وكانت القصائد التي تكتب باسم مسافر مجالاً لادعاءات كثر من ناشئة الأدب في تلك الأيام يعني. . في سن معينة. . . كان كل منهم يزعم للآخرين الذين لا يعرفون من هو مسافر أنه هو مسافر فكان أيضاً شاعراً جيداً في الواقع. . . . . اختفى عن الشعر نهائياً هو الدكتور إبراهيم الفوزان. . . وأعتقد أنه الآن متخصص في التعليم

الخاص. . . ولكنه اختفى عن الساحة الثقافية هو الآخر. منهم أيضاً القاص الجيد والممتاز في الواقع الذي كان ناشئاً فعلاً تلك الأيام هو الأستاذ عبدالله باخشوين. . هو الآن تحول إلى قاص من الدرجة الجيدة. . . وكان فيه أيضاً إدريس إدريس مدير تحرير اليمامة حالياً. . . طبعاً كان يكتب بعض الأشعار. . لكنه ترك الشعر واتجه إلى الصحافة، صحيح أن شعره جيد لكن. . . ماكنت أتوقع من تلك الأيام أنه سيكون شاعراً فحلاً. . . شاعراً جيداً لكنه الآن يعتبر صحفياً من الصحفيين الممتازين. . . وأعتقد أنه وجد طريقه الصحيح.

* هذه بعض الذكريات الجميلة حين كنت في الرياض محرراً أدبياً أو رئيس القسم الثقافي مع طبعاً نشاطك العلمي والدراسي. . . وهنا في الواقع نحمد لك هذه السيرة العصامية الجميلة لأن القراء لايعرفون في وقتها أنك كنت تدرس أو تواصل تعليمك أو تحصيلك العلمي. . . وإنما النتائج تتبين في هذا المجال متأخرة كما هو الحال الآن. . . لكن هل كنت تطرح نفسك بشكل كامل في هذا التحليل الأدبي بمعني هل تمارس النقد الأدبي أو كتبت نقداً أدبياً أو مقالة نقدية أدبية أو كنت تكتفي بما كنت تكتبه من خاطرات أدبية. . . ووجدانيات أحياناً في اليمامة وقتها أيضاً في الصحفة الثانية مثلاً مشاركات مختلفة؟

– لا. . اليمامة جاءت بعد. . . . اليمامة جاءت بعد انتقالي إلى فرنسا. .

* مراسلاً أنت كنت؟

– أنا كنت مسؤولاً عن مكتب. . . . مؤسسة اليمامة الصحفية. . التي هي الرياض واليمامة طبعاً. . . فكنت في الفترة الأولى إذا أردت أن أجيب على الجزء الأول من السؤال. . . . يعني. . . . كتبت بعض الدراسات الأدبية، وأرجو المعذرة ألا يحتسب هذا من باب الحديث عن النفس. . أصل أنت أسئلتك لابد أن تجر إلى الحديث عن النفس. . في تلك الفترة كنت طالباً في الجامعة وكان ويمكن الصدفة شاءت أن أكون الطالب الوحيد الذي يسهم في الموسم الثقافي للكلية التي أنا أحد منسوبيها. . . فيدرج اسمي ضمن أسماء الأساتذة الذين هم يشاركون في الموسم بالمحاضرات. . . فكتبت بحثاً وألقيت منه جزءاً. . كمحاضرة عن التذوق الأدبي مثلاً. . . . وكتبت بحثاً آخر وألقيت منه جزءاً من المحاضرة في نفس الجامعة بعنوان التطور والتجديد في الشعر العربي. . . وكان بحثاً لاقى استحساناً من أساتذتي تلك الأيام. . . أنا حقيقة يمكن لو أرجع أقرؤها اليوم. . أكيد لي ملاحظات كثيرة جداً. . . لكن يمكن لسني ولوضعي كطالب تلك الأيام وكان قد وجد استحساناً وتشجيعاً من هذا. . . وكان موسماً ثقافياً جداً نشطاً. . . على فكرة يحضره حتى أناس من خارج الكلية. . . أذكر من علقوا على هذا البحث الأستاذ أحمد محمد جمال والأستاذ أحد السباعي –رحمه الله– وحدثت بين الاثنين معركتان خصاميتان من أجلي أنا. . على أساس أن

الأستاذ أحمد السباعي كان مع التجديد وأنا كنت مع التجديد في الشعر والأدب . . . طبعاً فريق المحافظين كان يقف في مقدمتهم الأستاذ أحمد جمال ولهذا كان هناك حوار بين الاثنين يمكن أنا كنت السبب فيه. . أنا الحقيقة ضربت هذا المثال على أساس أقول كان هناك محاولات للكتابة والدراسات الأدبية.. بعض الأبحاث لما كنت أيضاً رئيس القسم والمسؤول عن القسم الثقافي في جريدة الرياض أيضاً. . . كنت أكتب مثلاً افتتاحيات الملحق وهي دائماً تتعرض لقضايا أدبية. . . طبعاً لكن مقالات صحفية هي الأخرى. . أو ما يمكن أن يسمى بصحافة الأدب. . صحافة عن الأدب في الوقت نفسه. . . يعني. . كان الواحد يحاول أيضاً أن يكتب بعض الدراسات من الدراسات التي كتبناها تلك الأيام عن رمزية. . . وكانت موجة أو موضة الرمزية تلك الأيام تكتسح العالم العربي. . حتى بين المثقفين في المملكة. . . . ومن الذي كان يستطيع أن يكتب في مثل هذه الموضوعات أو يتابع الإنتاجات الأدبية والفكرية المختلفة فيها سواء من الداخل أو في الخارج. . يعني. . . إذا اعتبرت هذه المحاولات جزءاً من النشاط المتوقع من شاب في مقتبل حياته العلمية وفي مقتبل حياته الكتابية لك ذلك وإن أردت أن تعتبرها وأنا معك في اعتبارها محاولات بدائية في الواقع يمكن أنا شخصياً منقطع عنها من زمان. . لو عدت إليها الآن ربما أعيد تقييمها من جديد. . ربما أستحي حتى من نشرها في المرحلة التي جاءت فيما بعد . . التي هي مرحلة فرنسا أو مرحلة باريس. . في الواقع إلى جانب مسؤولية الاضطلاع بالمكتب في باريس كان في مجلة اليمامة باب أسبوعي. . مقال طويل يمكن أربع صفحات كل أسبوع كان اسمه باريس أيام. . . طبعاً الكتابة فيه ليست عن باريس إنما يمكن أنا اخترت باريس كما كانت. . . أما الكتابة . . فكانت فيه. . . ثقافية وأدبية وفكرية بشكل عام. . بعد ذلك. . . انتقل هذا المقال الأسبوعي إلى جريدة الرياض . . وباسم آخر.

* نعم وهذا ما كنت أريد أن أطرقه . . يعني الاسم. . . اسم الصفحة كانت مرافئ . . أو شيء من هذا القبيل؟

– المسافات كلمة.

* المسافات كلمة كانت صفحة . . الحقيقة ناجحة ومقروءة جداً؟

– كانت . . كانت ثلاث مقالات في الأسبوع . . يوم السبت. . . ويوم الإثنين. . . . ويوم الأربعاء كمقال مطول في الصفحة الثالثة، ، يوم السبت أكتبه أنا. . يوم الإثنين يكتبه تركي السديري رئيس التحرير ويوم الأربعاء يكتبه يوسف الكويليت. . كنا نحن الثلاثة الذين نكتب ثلاث مقالات في الأسبوع. . . يوم السبت والاثنين والأربعاء واستمرت. . الحقيقة . . فترة طويلة ثم توقفت

* وأنا أرجع إلى مقالتك الحديثة وأجدها مختلفة اختلافاً جذرياً وكبيراً جداً بين القديم أو عن القديم

فمقالتك أحوال التي تكتبها في افتتاحية اليمامة.. وأحياناً تستمر فترة ثم تنقطع أو تختفي وتعود... وهي مقالة في صفحتين أو أكثر.. أحياناً مختلفة في التضمين الفكري ومختلفة في الرؤية والتنظير عما كنت تفعله سابقاً... ومقالتك فيما يبدو في الأول كانت تميل إلى الشفافية في التعبير وإلى الرقة والأسلوب الأدبي مع ما بداخلها من أطروحات مختلفة تمثل مرحلتك الفكرية وقتها... أما الآن فهي مشبعة في الواقع.. مشبعة بمساعي إلى الرؤى أو بحث عن الرؤى الفكرية الواضحة في مسائل الحياة الحاضرة أو مسائل التفكير المطروق الآن... وتميل إلى الصعوبة في بعض الجوانب نظراً لازدحام التنظير الفكري فيها في بعض الجوانب فهل تميل إلى جمع هذه المقالات وخاصة الحديث منها في كتاب.. والملاحظ أنك لم يصدر لك أي كتاب .. طوال مسيرتك الصحافية و الكتابية؟

– أود أن أنوه في البداية بأنه ليس لي خيار أو لم أختر أنا كيف كنت أكتب في القديم وكيف صرت أكتب الآن.... ولست الأول في الواقع الذي يقول لي الكلام هذا... سبق أن كثيراً من المحبين والأصدقاء طرحوا مثل هذه الفكرة وخصوصاً الإخوة الذين .... يعني تربطني بهم علاقة... وبحكم العلاقة كانوا يتابعون الأشياء التي كنت أكتبها.. في الأول والتي صرت أكتبها الآن... فيبدو لي مثل هذه الملاحظات... وأنا حقيقة أقولها صادقاً لست متعمداً... ولم أختر شيئاً يمكن .. يمكن أنه .. يعني.. خطوة... خطوة... خطوة جديدة أو مغايرة تماماً حصلت في فهمي للأداء الكتابي بشكل عام... يمكن أنه تطور إلى شيء جديد. يمكن أنه انحدار إلى شيء جديد.. يعني أنا في الحقيقة ما أستطيع أن أسميه ولا أستطيع أن أصفه.. كل ما أستطيع أن أقوله بأنني وجدت نفسي هكذا أكتب حتى إنني لا أستطيع أن أتبين الملامح.. الفروق حقيقة بين ماكنت أكتب في القديم وبين ما كنت أكتب في الوقت الحالي إلا في شيء واحد وهو أنني ربما كنت في فترة الشباب المبكر كان الواحد ربما كان أكثر حماساً.. ربما كان أكثر اندفاعاً.. ربما كان أكثر حرارة في بعض.. الآن أكثر هدوءاً... أكثر... أكثر ... أكثر حسابات... حسابات عقلانية وليست حسابات أنه يعني... يخاف من شيء أو يخاف على شيء.. لا.. بقدر ماهو نوع من الهدوء... ومحاولة الوصول إلى نتائج يرضى عنها هو.

* لاحظت ذلك أنا في الحقيقة وأعتقد أنك أكبر من سنك في بعض النواحي.. وفي بعض الأطروحات يعني؟

– فيمكن هي أتت هكذا... يمكن لتقدم الواحد في السن... يمكن للتراكم المعرفي الذي حصل عنده.. وإن كان الواحد من عشرين سنة يقرأ.. لو ما يقرأ إلا ساعة في اليوم وإلا ساعتين أكيد سيصير عنده نوع من التراكم المعرفي.... ربما منهجية جديدة أنا استفدتها من دراستي في الغرب

ما كانت موجودة في الأول. . ربما أن الناس نفسهم تغيروا. . . بمعنى. . . أنا بالنسبة لي. . . كتّاب من الأول كنت أعتبرهم معجزات في عالم الكتابة الآن أجدهم لا شيء. . ومتأسف على المرحلة التي قضيتها معهم وأتابعهم. . أسف كبير جداً. . . هذا ليس معناه أنهم أساءوا. . لكن يمكن أنا تقدمت. . . يمكن القراء هم الذين تقدموا عني وأنا ما زلت واقفاً في مكاني . . . هم يتوقعون أني أمشي معهم.

* طيب . . وهل تجمع هذه . . أو بعض هذه المقالات في كتاب معين؟

- هذا السؤال . . . . هذا مهم جداً. . . وأيضاً طرح في أكثر من صحيفة زميلة ومن أصدقاء وأيضاً محبين. . . ولكن أعترف لك أني أنا أخاف من الكتاب. . . الكتاب بالنسبة لي مسؤولية ضخمة. . مسؤولية مهمة جداً. . المقالة مسؤولية. . لكن مسؤوليتها أقل من مسؤولية الكتاب. . . . المقالة ممكن تعدلها. . ممكن تغيرها. . . ممكن تبدلها. . . . ممكن حتى تنكرها. . . يعني. . . بمعنى أنك في يوم من الأيام تقول يا أخي هذه مقالة كتبتها في ظرف معين.

* وانتهت؟

- وانتهت. . لكن مسؤولية الكتاب أكثر . . يعني . . فيه مقالات طبعاً كل ماكتبته أؤمن فيه وكل ماكتبته أعتقد أنه ينبع من نفسي لكن. . . أعتقد أني لو رجعت قرأتها. . سأجد نفسي أني أنا سأحاول إعادة كتابة البعض إلى الأفضل وربما إلى الأقوى. . . وعملية إعادة كتابة البعض من جديد. . . وعملية التفكير أيضاً في أنه هناك جدوى حقيقية لأن تكون هذه المقالات في كتاب. . هذه تحتاج إلى قرار شجاع. . يعني أنا أرى كثيراً من الإخوان يطبعون مقالاتهم لمجرد أنهم يجمعونها ويطبعونها في كتب ويزحمون السوق بها. . . ومع الأسف ما يكفيهم الكتاب الأول ولا الثاني . . يكررون المحاولات لأكثر من مرة. . أنا حينما أرى هذه الكتب أفجع وأقول إن كانت ستجد نفس المصير الذي وجدته هذه المقالات فمن الأفضل لي ولها أن تبقى في الأدراج.

* دكتور فهد العرابي الحارثي وقد أبحرنا معك في مسيرتك الثقافية والأدبية والصحفية. . أريد التوقف عند بعض النقاط في تصورك الفكري ورؤاك التنظيرية مثلاً لنواحي معينة في الثقافة. . . وأملي أن تكون الإجابة مفيدة، فبودي أن أسأل عن رؤيتك أثناء إقامتك في الغرب. . . في فرنسا بالذات. . . يعني. . . هل استمالك الغرب استمالة كاملة. . . . أو الثقافة الغربية بالذات أو النمط الغربي. . . أو ماذا كسبت من هذه المدة التي أقمتها هناك والتصقت فيها ثقافياً وفكرياً بالإيقاع وبالحياة الغربية؟

- أعتقد أننا متفقون على أن الذهاب إلى الغرب فيه فوائد جمة وإلا لما كنا قد ذهبنا أساساً ولما كانت هذه الدولة الكريمة قد خسرت مئات الآلاف على طلبة للتعليم أو التعلم ولاكتساب الخبرة والتجربة والعلم في تلك الدول. . لكن هذا لا يعني أيضاً أن هذه التجربة ككل تخلو من سلبيات وأحياناً تكون

سلبيات قاتلة، الموضوع أنا في نظري يعتمد على الشخص نفسه.. كيف يستطيع أن يقيس خطاه في العالم الجديد الذي ينتقل إليه، العالم الذي تنتقل إليه مثل أي عالم آخر فيه السيء جداً وفيه الجيد جداً... أنت تذهب من وطنك ومن بلدك ومن أهلك وتعايش الغربة لهدف محدد معين وهو أن تكتسب تجربة ما أو خبرة ما ثم تعود بهذه التجربة وبهذه الخبرة إلى بلدك... حين تحدد هذا الهدف بوضوح في ذهنك... من هنا تبدأ تبحث في التفاصيل الأخرى وفي الجزئيات الأخرى وهي أنه كيف أستطيع أن أفيد من هذا العالم فآخذ من خبراته وأجتنب شروره وسيئاته.

ما فيه شك أن هناك أشياء كثيرة أعجبتني في الغرب... أشياء كثيرة جداً... موضوعية الغرب في كثير من الأشياء... اهتمام الغرب بالعلم والإنتاج.... منهجية الغرب في كثير من الأشياء العلمية والفكرية والاجتماعية احترام الغرب للإنسان بشكل عام... أشياء إيجابية كثيرة جداً... يقابلها طبعاً كما هو ضمن أشياء سيئة وسلبية ومدمرة للأخلاق وللروح وللتطلع نحو آفاق جميلة في الحياة.. يعني.. أنا أعتقد أن العلاقة بالآخر يجب أن تكون منصفة بحيث تذكر كل الإيجابيات ولكن أيضاً في نفس الوقت تذكر كل السلبيات.

* تخصصك في التراث دكتور فهد.. لم يبدو عليك كثيراً في شخصيتك بالذات.. يعني.... فعلاً نلحظ أن بعض المتخصصين في التراث.. حتى يكون شكلهم تراثياً... أو ألفاظهم أو عباراتهم تكون متقعرة أو يكون فيها لون من المبالغة أو الاستعارة من ذلك الزمن الذي عاشوه فكرياً... فأنت حديث كأنك درست فقط كل تفاصيل الأدب الحديث؟

- يمكن التأثير في هذا يعود إلى المزاوجة التي تكلمنا عنها قبل قليل... كونك أنت تختار أن تكون كاتباً أدبياً معاصراً إلى جانب ذلك تختار أن تكون صحفياً.. لابد أن يكون لك قرارات ومتابعات من نوع ما... يمكن هذه التي أفادت في هذا الجانب الأكاديمي الآخر أو الجانب التراثي ربما كان محصوراً في الجامعة نفسها... ولهذا دائماً أنا أقول للزملاء في مجلة اليمامة أقول لهم أنا أجيز في هذه المجلة بعض الأشياء التي لا أقرها ولا أعترف بها من الجامعة... فيمكن يكون عندي شخصيتان شخصية إعلامية وشخصية أكاديمية.. وهناك أشياء لا أقرها في الجامعة وأقرها في المجال الإعلامي وفي مجلة اليمامة.. والعكس صحيح.. لأنني أعتقد أن لكل شيء حالة.. أنا أعتقد الذي أفادني في هذه الناحية ليس ذكاء متميزاً.. أو خاصية فطرية موجودة عندي ليست موجودة عند الآخرين لكن التجربة والخبرة ونوعية الممارسة التي أمارسها في حياتي.

* السؤال الأخير تقريباً... اليمامة هل قدمت لها كل ماتريد... وهل خرجت بالشكل الذي تطمح إليه وخاصة في توجهها الذي يفترض أن يكون فيه شيء من ذاتك.. أقصد التوجه الأدبي تقريباً... وكان من المفترض أن تكون ناقداً أدبياً.. لولم يأخذك الإعلام والصحافة؟

– اليمامـة أنا واحد من أعضائها. . صـحيح أن اسمي رئيس تحريـر مجلة اليمامة. . لـكن أنا أقدم في اليمـامة مايقدمه الزملاء الآخرون. . . ولهذا فأنا أظـن بأن اليمامة لـيست صناعة فـهد الحارثي ولكنها صناعة الفـريق الكامل الذي يعمل مع فهد الحارثي. . بمعنى أنني . . قدمت أشياء كثيرة من نفسي لمجلة اليمامة ولكنها ليست كلها من عملي أنا وإنما من عمـل الإخوة الذين معي. . . لو لم أكن رئيساً لتحرير مجلة اليمامة هل كنت سأصبح ناقداً أدبياً . . لا أدري.

* يعني ماكان في بالك مثلاً وأنت تدرس وأنت تطرق أبواباً من الأدب مختلفة في قراءاتك وفي تناولاتك الثقافية أن تكون ناقداً أدبياً . . ولعل الأكاديمية هي ربما رسخت قدميك في هذا؟

– أحب النقد الأدبي. . وأحب قراءته . . لي قـراءات كثيرة في النـقد الأدبي ولي محاولات فـي النقد الأدبي حتى في الفترة الأخيرة. . أقدم بعض الدواوين الشـعرية. . من هذا المنطلق. . ومنها ديوان سمو الأمير بدر بن عبدالمحسن. . صـحيح في الأدب الشعبي ولكن تناولته تناولاً أدبيـاً صرفاً بغض النظر عن اللحظة أو الإطار اللغوي التي تحدث فيه سمو الأمير بدر. . . طبعاً تعرف. . بدر شاعر كبير. . فناقشت شاعرية بدر من منطلقات نقدية وأدبية . . لكن . . يعني . . ما أدري . . لا أستطيع أن أقول لو ما أكون رئيساً لتـحرير مجلة اليمامة أنني سأصبح ناقـداً أدبياً . . ما أدري يمكن كان أحاول . . يمـكن كان أنجح . . يمكن كان أفشل أيضاً.

* شكراً للدكتور فـهد العرابي الحـارثي . . الأستاذ بـكلية الآداب جـامعة الملك سـعود بمدينـة الرياض ورئيس تحرير مـجلة اليمامـة والعضـو في العديـد من الروابـط أو من الرابـطات والجمـعيات الـثقافية والأدبية والإعلاميـة. . شكراً لضيفنا الكـريم ونتمنى لك مزيداً مـن العطاء ومزيداً من التوفـيق والنجاح وأن يعود ثقلك الأدبي أو تحصصك بارزاً واضحاً وأن لا تسرقك الصحافة المطبوعة الأسبوعية واليومية عن الدراسـة الأكاديمية التي أعـطيتها جـهدك ووقتاً طويـلاً من حياتك. . وأن تعـود إلى أحضان الكـلمة الأدبية الشاعرية الرقيقة بعيداً عن ضجيج الآلات والمطابع وحبر الصحافة اليومي السائل أو المستهلك.

– شكراً جزيلاً يا أخ محمـد. . وأتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يحـقق ما فيه الخير. . . إن كان في دعوتك هذه خـيراً لي ولبلدي فأتمنـى من الله سبحانه وتعـالى أن تتحقق. . وإن كان فيـما أنا فيه خير لي ولديني ولبلدي فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعينني ويساعدني. . . وعلى كل حال هو إسهام ومـحاولة لعـمل شيء سواء فـي هذا المجال أو في ذاك. . . . أشـكر لك حسـن ظنك علـى كل حال بأنك تـعتقد بأنني سـأكون لي شأن أكبر مما أنـا فيه الآن أو موازي لما أنا فيـه الآن. . هذا حسن ظن مـنك. . . وهذا يدل عـلى تهـذيبك وحسـن خلقك . . أشكرك مـرة أخرى وأرجو أن نكـون قد وفقنا في إستضافتك هذه الليلة. . شكراً جزيلاً.

كوركيس عواد

سعدت بزيارة الأستاذ المحقق اللغوي والباحث المؤرشف التراثي الأستاذ كوركيس عواد وهو غني عن التعريف.. ولكنني أود أن أقدمه بكلمات مختصرة وقصيرة لكي أذكر ببعض جهوده وببعض عطاءاته في ميدان التحقيق اللغوي.. فهو قد قدم للمكتبة العربية عشرات الكتب التراثية المحققة والمطبوعة طباعة حديثة... وأحصى في كتب أخرى ما تخزنه المخازن المكتبية في العراق وفي غير العراق من هذه الكتب العربية سواء منها ما كان متيسراً تحت اليد أو ماكان نافذاً ومنتهياً أو موزعاً في مكتبات أوروبا وفي غير أوروبا... وكل ما يتصل بحياة الأستاذ كوركيس وما يتصل بجهوده العلمية وما يتصل بفنه وثقافته وإطلاعه وعلاقاته وصلاته الشخصية... سنحاول أن نستجليه بهذا اللقاء خلال هذه الساعة من الزمن... باسمكم جميعاً أحب أحيي ضيفنا الكريم ونقول له أهلاً بك.

– شكراً لكم على هذه الكلمة الكريمة التي تفضلتم بها... وأنا سعيد جداً أن أكون مهياً للإجابة على ما تبتغون من تساؤلات واستفسارات.

* نعم.. أستاذ كوركيس.. شكراً لك مشاعرك الطيبة ولترحيبك بنا وأود أن أقدم بطاقة مختصرة فما أدري.. إذا ذكرنا رؤوس الأقلام في حياتك الشخصية؟

– ألخص ذلك بكلمات لكي لا أطيل، ما أريد أن أقوله أن ولادتي كانت في مدينة الموصل في سنة ١٩٠٨.. وتلقيت دراساتي فيها ثم في بغداد. وعملت موظفاً في التعليم.. وفي مكتبة المتحف العراقي.. مكتبة المتحف العراقي تسلمتها من سلفي في سنة ١٩٣٦م وقد كان فيها يومذاك ثمانمائة وأربع مجلدات.. حتى أني قلت للذي سلمني هذه المكتبة... قلت له يا أخي هذه المكتبة لا تستوجب أن يكون لها موظف مسؤول.. لأنني أنا الآن في بيتي أملك من الكتب أكثر مما في هذه المكتبة... ثم أخذت المكتبة في النمو... وواقع الحال أني لقيت عوناً ومساعدة واهتماماً من قبل المسؤولين الكبار في مؤسسة الآثار لتنمية هذه المكتبة. فاقتنينا من الكتب كل ما أمكن اقتناؤه ضمن إطار الهدف الأكبر من مثل هذه المكتبة. مكتبة المتحف العراقي ليست مكتبة عامة... وإنما مكتبة تحوم موضوعات كتبها حول شؤون التاريخ والآثار.. وهذا التاريخ.. وهذه الآثار في الدرجة الأولى هي مما يمس شؤون العراق.. ولكن العراق جزء من الوطن العربي.... فكان علينا أن نعني باستجماع ما يمكن استجماعه من كتب التراث العربي القديم... ومن الكتب التي ألفها أبناء العربية في عصرنا في مشارق الأرض ومغاربها أو كما يقولون من المحيط إلى الخليج .. هذه العملية

استنفذت طاقة واستنفذت جهداً كبيراً . . لأنه ليس من السهل استجماع مثل هذا العدد من الكتب الذي بلغت في آخره نحو مائة الف مجلد باللغة العربية وببعض اللغات الشرقية وبأهم اللغات الغربية. . وكلها مكتبة اختصاصية ليست مكتبة عامة. . لماّ أقول مكتبة اختصاصية أريد بذلك أنها مكتبة تبحث عن تاريخ الأمة العربية منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر . . وما يحوم حول ذلك من تراث حركة تأليفيه واسعة النطاق تشمل ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا. . . ولا أريد أن أقول إن في أوروبا قامت حركة تأليفية باللغة العربية ولكني أعني بذلك أن هناك مئات الكتب العربية القديمة. . . كتب التراث العربي قد نشرت في أقطار أوروبا وتداولتها الأيدي. . . وصار للغة العربية شهرة بعيدة المدى في مشارق الأرض ومغاربها. . هذا.

* نعم. . وفي عام ١٩٦٢م تركت المكتبة أستاذ؟

– نعم

* وتفرغت للبحث والتأليف؟

– نعم

* ولم تزاول عملاً حكومياً فيما بعد؟

– إنما عملت بعد ذلك عملاً مؤقتاً ولم يكن دائماً. . وذلك أنه في تلك الأثناء أسست جامعة في بغداد هي المعروفة اليوم بالجامعة المستنصرية. . وكان رئيسها يعرفني معرفة شخصية. . . ويعرف اهتمامي بالكتب وعنايتي بالمكتبة. . فرأى أن يلقي على عاتقي موضوع تأسيس مكتبة لتلك الجامعة . . . فابتدأنا بتلك المكتبة من الرقم واحد. . وبقيت فيها بضع سنوات أعمل خارج أوقات الدوام لأن مكتبة الجامعة كانت مسائية يومذاك. . لم تكن تفتح في الصباح وإنما مساءً. . وأنا لما كنت في الوظيفة دوامي مع دوام الدوائر الحكومية. . فكان في وسعي أن أداوم في مكتبة الجامعة المستنصرية في حين هي مفتوحة الجامعة. بدأنا من رقم واحد. . ولما تركتها كان فيها حوالي مائة ألف مجلد. . وهذا الرقم يجب أن نلتفت إليه بالنسبة إلى وضع المكتبات في العراق وماكان يحوم حولها من ظروف لأن في ذلك التوسع في المكتبة لابد له من معين. . هذا المعين الذي يعينها على التوسع هو المال ، كانت الدولة سخية غاية السخاء في البذل لتنمية هذه المكتبة وتوسيعها بالوجه اللائق الذي تستحق. مثل ما قلت إننا بدأنا بالرقم واحد.

* وانتهيتم بمائة ألف؟

– نعم

* نعم. . . مصادر معرفتك ومصادر قراءاتك وثقافتك الشخصية . . ممكن أن نلقي عليها جزءاً من الضوء؟

– هذا السؤال سؤال وارد وجيد وأنا أجيب عليه بما أستطيع الإجابة. أقدر أقول إن المسألة شخصية قبل أن تكون بشكل آخر. وإني منذ صغري كنت مولعاً بالمطالعة ثم نشرت... حاولت أن أنشر فكان أول مقال نشر في سنة ١٩٣١. هذه المقالة الأولى التي نشرتها في حياتي.. ثم لما نشرت ولم أكن أصدق يومذاك بأنها ستنشر.. ولكن نشرها كان نقطة الانطلاق بالنسبة لحياتي الفكرية.. شجعني هذا النشر على أن أكتب مقالة ثانية... والثانية نشرت... أعقبتها الثالثة وهلم جرا.

* من عام ١٩٢٦م؟

– أول مقال نشر لي في سنة ... العفو.. في سنة الواحدة والثلاثين.

* نعم قبل حوالي ستين عاماً تقريباً؟

– وأول كتاب نشر لي طبع في سنة ١٩٤٣ ثم توالت المقالات وتوالت الكتب... حتى إن المقالات والكتب لو أراد شخص أن يحصيها في سجل لقام من ذلك كتاب.. متكامل... نعم.

* وهل جمعت هذه المقالات في كتاب؟

– أحتفظ بسجل.. نعم وهو لايزال محفوظاً ولم أنشره.. إنما أكتب كل بحث ينشر لي أدخل عنوانه ومحل نشره وتاريخ نشره.

* نعم... وهو أمامي على طاولة التسجيل؟

– نعم

* كتاب يحمل عنوان كوركيس عواد في آثاره المطبوعة والمخطوطة.

– صح.

* لعله بقلمك؟

– نعم.

* قد أحصيت فيه جميع ما نشرت منها في الدوريات والصحف؟

– نعم .. هكذا ... نعم

* وقد توقفت هذه الفهرسة عام ١٩٨٧م. وآخر مقالة كتبت عنوانه كتب المئات في الأدب العربي القديم والحديث؟

– صح.

* ونشرت في مجلة المجتمع العلمي بالعراق؟

– نعم.

* على أية حال هذه إضافة قصيرة جداً حول مصادر معرفتك... وتبين لنا أنها بجهد ذاتي منك في تتبع المعرفة والثقافة والتحصيل العلمي وبخاصة منه ما كان يتصل بالجانب اللغوي وبالتراث

العربي القديم. . . الأستاذ كوركيس عواد عضو في مجامع علمية عدة. . . نعم . . . فهو عضو في المجمع العلمي في العراق ثم في بعد في عمان وفي القاهرة. وعضو في. .

– دمشق

* مؤازر في الهند؟

– نعم.

* كما سمعت؟

– نعم

* وعضو في دمشق. . . هذه العضوية التي تتمتع بها في المجامع العلمية المختلفة كونت لديك معرفة واطلاعاً على مستوى اللغة العربية وعلى مستوى التراث العربي ومعاناة الباحثين في هذا التراث وما يمكن أن ينتظر الجهات الرسمية وما يمكن أن ينتظر الباحثين ومحبي هذا التراث من جهد ومن واجب تجاهه. فماذا رأيت من كنوز تراثية وعربية في مكتبات هذه البلدان التي أنت عضو فيها حينما تقوم على الأقل بزيارة هذه المجامع وتطلع على مكتباتها وفهارسها؟

– بالنسبة إلى المخطوطات العربية التي تتوفر في كثير من مكتبات الدنيا في مشارق الأرض ومغاربها حاولت أن أطلع على تلك المجاميع في سفرات متعددة طوال عشرات من السنين. . . وأقول إن التراث العربي بعد أن رأينا أنه من السعة الوافرة في تنوع موضوعاته من أعظم ما يعرف من تراث عالمي. . بالنسبة إلى اللغة العربية أو بالنسبة إلى اللغات الأجنبية أي لغة كانت. . أستطيع أن أضع التراث العربي –ولا أقول هذا من باب التعاطف مع اللغة العربية باعتبارها لغتي– ولكني أقولها كحقيقة راهنة أن التراث العربي تبوء الصدارة بين ما يعرف من تراث لأية لغة كانت . . حتى إذا أخذنا التراث اليوناني الذي يعتبر في الأوساط العلمية من أغني التراثات. إذا صح التعبير بهذا الجمع. لا أظنه بدأ في التراث العربي من حيث سعته. وأنا أذكر شيئاً في هذه المناسبة أن ابن النديم مؤلف كتاب الفهرست. . وهذا الكتاب معروف لدى الكل ومتداول بين الأيدي ويستفيد منه الناس حتى يومنا هذا، أحصيت ما ذكره ابن النديم من أبناء الأمة العربية القدامى. . . يعني مضى عليه ما يزيد يمكن من ألف سنة. . . فمثل هذا الشخص لما يأتي يضع بين أيدينا مداولة كتاباً مثل كتاب الفهرست. . . لولاه صدقوني لجهلنا كثيراً حتى من أسماء الكتب التي ألفت باللغة العربية. . مع ذلك ابن النديم قد فاتته أشياء كثيرة. . . لم يتسنى له الوقوف عليها. . . وهو معذور. . . لأن المواصلات والاتصالات يومذاك كانت صعبة. . والطباعة لم تكن معروفة. . فالحصول على المخطوط أو بتعبير آخر الحصول على الكتاب المخطوط ليس بالأمر السهل لأنه يتطلب عناءً. . بينما نحن اليوم متمتعون بوجود وسيلة ميسرة سهلة. . . ألا وهي الطباعة. . . يأتي

أحدنا إلى إحدى مكتبات السوق فيقتني ما يقتني من كتب وبأبخس الأثمان ويمتلكها. في حين إننا نرى شخصاً عاش قبل ألف سنة ويريد تحصيل الكتاب كان عليه أن يبذل الغالي والرخيص في سبيل الحصول على ذاك الكتاب.. وإذا لم يتسنى له اقتناء هذا الكتاب فعليه أن يستنسخه بيده.. ترى كم من الجهد والوقت وسهر الليالي تستنفذ في سبيل كتابة كتاب مخطوط... فلنجرب نحن ونتولى استنساخ كتاب.. أي كتاب كان لنرى ما كان يعانيه القدماء. ولكن هؤلاء القدماء رحمهم الله حقيقة عانوا ما عانوا بكل سخاء فكري ونفسي ومادي.. لم يكونوا ليبخلوا بشيء، لم يكونوا يترددوا في البذل في سبيل الوصول إلى شيء من هذا.

* نعم... على حين توجد الآن وسائل الحفظ؟

- نعم

* والأرشفة؟

- نعم

* والتخزين؟

- نعم

* وتيسير المعلومات؟

- نعم

*قدم إلي الدكتور جليل العطية كتاب أشتات لغوية وأشار إلى أنه الكتاب الأخير الذي بين يديك الآن يعني آخر ما كتبت إلى هذه اللحظة... وهذا الكتاب يعنى بأوزان الأسماء وأوزان الأفعال.... وسائل حرفية مختلفة جداً.... طبعاً هذا من تأليفك؟

- نعم

* ليفتح أمامي هذا الكتاب سؤالين... السؤال الأول عن جهودك العلمية التأليفية.. الشق الثاني من السؤال ما يتعلق بتحقيقك التراثي لكتب تراثية مختلفة... فماهي ياترى أبرز تلك الكتب التراثية التي عنيت بنشرها وتعتز بأنك قمت بها؟ ثم ماهي الكتب التي قدمتها بنفسك أنت باحثاً ومفكراً وأديباً؟

- كتب التراث العربي حقيقة... لا أقولها من باب المغالاة أو التباهي وإنما أعتبر أن التراث العربي من أغنى ما يعرف من تراث على سطح الأرض.. لا أقولها مبالغة ولا تزيداً وإنما أقرر حقيقة.. يعني... فلنفترض أنه يأتي من يقول ياهذا أنت تقول هذا الكلام في حين إن التراث اليوناني غني جداً... نعم غني هذا صحيح ولكن إذا قسنا من يعرف من كتب التراث اليوناني بما يعرف من كتب التراث العربي لرأينا البون شاسعاً بين الجانبين.... أقصد أن التراث العربي يعد

من حيث العدد . . . من حيث الكمية المادية أضعاف أضعاف مايعرف من تراث يوناني وروماني مجتمعين . . . وهذا موضع مباهاة بالنسبة للأمة العربية أجمع . . . . واقعاً . . لماذا؟ لأن هذه الكتب قد ألفت في رقعة واسعة من سطح الكرة الأرضية تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي هذه الرقعة الواسعة من الأرض التي تدخل فيها ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوربا . . . . ولما أقول أوربا إنما أعني بلاد الأندلس . . . وتراث الأندلس باللغة العربية من التراثات -إذا صح التعبير- الواسعة الغنية وإن كان ما انتهى إلينا من ذاك التراث هو جزء صغير مما كان عليه في إبان مجده وازدهاره . . . نعم .

* نعود إلى شخصيتك وأود أن تذكر لو تفضلت بعض أسماء من الكتب التي قمت بتأليفها أو التي قمت بنشرها من التراث؟

- كنت عنيت في بعض الأوقات بعمل فهرست بأسماء المؤلفات التي وضعتها . . وهذه المؤلفات على ثلاثة أنواع قسم منها من تأليفي الخاص وقسم منها مما ألف من كتب التراث وحقق من قبلي . . . وقسم ثالث هو ماترجم من لغة أجنبية إلى اللغة العربية . . إى بارك الله بيكم .

* نعم . . . الدكتور جليل العطية قدم لك الفهرست . . الخاص بمؤلفاتك؟

- هذه . . . نعم . . . هذه . . لكي يعينك .

- أخي العزيز الدكتور جليل العطية . . من مفاخر الدهر . . . صدقوني إني معجب بأدبه ولطفه وخلقه ما لاأستطيع التعبير عنه .

* نعم . . لعله يعين ذاكرتك بالفهرست؟

- يعني هذا الفهرست قد ذكرت فيه وهو بخط يدي ماكتبته . . . نعم . . ومانشر لي من مقالات في شتى المجالات سواء في مجلة أو في جريدة . . . مع ذكر التاريخ والصفحة . . إلى آخره . . . وهو بحد ذاته . . . . هذا هو الفهرست .

* فإذن ماهي أبرز الأسماء يادكتور . . . يا أستاذ . . . أبرز الأسماء التي قمت بنشرها من كتب التراث؟

- من كتب التراث نشرت كتاب الديارات للشابشتي . . عن نسخة فريدة في العالم موجودة في مكتبة برلين . . . فصورتها . . . وأخرجتها للناس . . . وطبع مرتين أو ثلاث مرات . هذا الكتاب مصدر من مصادر التراث العربي الذي بكل جدارة يستحق أن نباهي به ونفاخر سائر أمم العالم . . نعم قد يقال التراث اليوناني تراث غني ولكن أستطيع القول دون مباهاة ولا مبالغة إن التراث العربي هو أضعاف أضعاف ما يعرف من تراث يوناني . . فضلاً عن اتساع الجوانب الفكرية التي استوعبها هذا التراث . . . هذا التراث الذي يشمل شتى الموضوعات الفكرية التي اهتم بها الناس على

تمادي العصور وهذا ليس بالأمر الهين الذي يستهان به. . . إنما مفخرة من مفاخر الدهر.

* وكتاب آخر تتذكر؟

- ألفت كتاباً جعلت عنوانه خزائن الكتب القديمة في العراق . . من أقدم العصور حتى سنة ألف للهجرة.

* كم جزء؟

- مجلد واحد طبع في حدود ٣٥٠ صفحة أو ٤٠٠ صفحة. . . وهو كتاب نادر في موضوعه. . تناولت فيه بالبحث المكتبات التي نشأت في العراق أو التي أنشئت في العراق منذ العصر السومري. . . عصر السومريين حتى سنة ألف للهجرة. . . أعني بذلك أنني استوعبت فيه ذكر أهم المكتبات التي اشتهرت في العراق منذ ماقبل الميلاد في العصر السومري والبابلي والآشوري. . ثم في العصر الإسلامي. . . وانتهيت فيه إلى سنة ألف للهجرة على أساس اعتبرت أن سنة الألف للهجرة هي نهاية العصور القديمة. . . من بعد ذلك ندخل في العصور الحديثة. . . وهذه تحتاج إلى وضع مؤلف آخر. . . إذا تيسر وأعانني العمر على إخراجه فأنا سأشتغل به.

* لعله يخرج إن شاء الله؟

- إن شاء الله

* رأيت لك كتاباً في أجزاء. . في الواقع. . . أعتقد . . عن بعض المكتبات أو بعض المخطوطات في المكتبات الإسلامية؟

- أي نعم، هذا الكتاب وأنا أسميه (البحث) حقيقة . . جعلت عنوانه المخطوطات العربية. . . أو بتعبير آخر فهارس المخطوطات العربية في خزائن العالم. . . وأنا ممن يباهي بالتراث العربي وممن يحب هذا التراث ويعتقد أنه من أوسع مايعرف من تراث على وجه الأرض. . . ولا أقول في هذا مبالغة أو مباهاة ولكني أقرر حقيقته في هذا الكلام. . . لا أبالغ إذا قلت إنه من أوسع ما يعرف من تراث لدى أية أمة في العالم وأكتفي بأن أورد مثالاً صغيراً على ما أقول. . . هذا كتاب الفهرست لابن النديم الذي ذكر فيه مؤلفه وهو من أبناء أوائل القرن الرابع للهجرة. . قد ذكر فيه ستة آلاف كتاب ذكرها. . . . وقد وقف عليها. . . وهناك كتب كثيرة قد فاتت ابن النديم ولم يرد لها ذكر في كتابه. . . وهو معذور. . . الرجل معذور. . لأنه لم يكن لديه في ذلك الزمن الإمكانية في المواصلات الفكرية. . . ماقولك في شخص يعيش في إسبانيا أو بتعبير آخر يعيش في الأندلس. . . ويؤلف كتاباً بالعربية. . . كيف يصل هذا الكتاب إلى بلاد العراق أو إلى بلاد سائر الأقطار العربية. . . من أصعب الأمور يومذاك.

* نعم . . شيء أكيد

- والأمور مرهونة بأوقاتها.

* الآن أستاذ كوركيس عواد... كم تحوي مكتبتك من الكتب؟

- مكتبتي.. تقصدون مكتبة المنزل؟

* أي.. أي نعم مكتبتك كم تقتني من الكتب؟

- ليس لدي إحصاء دقيق بالشكل الذي تتصورونه... والمثل يقول من شدة الظهور الخفاء مع أنني رجل مكتبي... قد عملت وأمضيت سنين طويلة من حياتي في تنظيم المكتبات وترتيبها وتكوينها واستجماع موادها.. ولكني أقول إنها تضم بضعة آلاف حالياً... تضم بضعة آلاف ولا أملك رقماً دقيقاً.

* نعم... والكتب المخطوطة التي تنوي إخراجها في المستقبل وانتهيت من تأليفها وبيضتها... كما هو متبين الآن على طاولة المكتب؟

- نعم

* كم تبلغ؟

- في تصوري أنها تزيد عن عشرين كتاباً.

* نعم... وسبق أن أخرجت كم كتاباً تقريباً؟

- ومن قبله أنا عندي كتب عديدة يعني لا تقل عن عشرين كتاباً.

* نعم

- مما طبع لي بين كتاب كبير ووسط وصغير من حيث الحجم.

* نعم

- أنا أنظر إلى الكتب كما أنظر إلى الناس.. فأنا اعتبر الشيخ الذي يبلغ من العمر ٨٠ سنة كما أنظر إلى الطفل الذي عمره أيام... هذا إنسان وهذا إنسان.... فالكتب في نظري أو في مقاييسي ليست الحجم... وإنما في الخدمة التي تؤديها.

* وأنفس كتاب تعتز به في مكتبتك.. ماهو ياترى؟

- الذي أعتز به إما أن يكون بسبب موضوعه.. أو لسبب آخر... مثال ذلك أني أعتز بنسخة من كتاب هو ثاني كتاب يطبع في العالم باللغة العربية... وأملك نسخة مطبوعة... وقد طبع سنة ١٥١٦... وأنتم تقدرون كم مضى عليه من الزمن.

- هذا أشبه شيء بالمخطوط... أصبح... ولا وجود له وقد تكون هذه نسخة فريدة في العراق.

* قد تكون نسخة فريدة في العالم ليس في العراق فحسب؟

- في يقيني أنه بما أنه طبع في إيطاليا... هو الكتاب من حيث الموضوع لا أعتز به... كموضوع

ولكنه من وجهة طباعية موضوعة . . . مزامير داؤود . . ماكو سفر المزامير . . . في الكتاب المقدس . . . . . مزامير داؤود . . . هذا وهو كتاب أدبي من ضمن أسفار التوراة المتداولة بالأيدي . . . ولكن في نظري قيمة هذا الكتاب في طباعته لأنه قد طبع في مدينة تورينو في سنة ١٥١٦ .

* وأنفس كتاب وقفت عليه في أي مكتبة من مكتبات العالم . . . . حينما تقوم بزيارة هذه المكتبات لتتفقد المخطوطات فيها؟

– ياسيدي هذا أمر يطول شرحه . . لأنني يتملكني الفرح والسرور . . . وبنفس الوقت الأسف والأسى حينما أزور مكتبة من مكتبات الدنيا وأرى فيها المخطوطات العربية معروضة ومعتنى بها . . . ومختزنة بشكل علمي صريح وصحيح هذا ما يفرحني . . ومما يؤسفني أنني أرى هذا التراث العربي الذي مقره كان ينبغي أن يكون في البلدان العربية قد تشتت شمله وتفرق في مكتبات العالم شرقاً وغرباً . ولكن من جهة أخرى أقول ما أسعد . . . ما أسعد تلك المخطوطات التي استقرت في تلك المكتبات . . . لأني أرى العناية الفائقة التي تبذل في سبيل الحفاظ على تلك المخطوطات ما طابت له . . . وما تفرح له . . . وتؤمن إيماناً صادقاً بأن هذه الكتب هي سعيدة في هذا العصر . . . لأنها محفوظة بذاك الشكل . . . وقد رأيت في بعض مكتبات الشرق . . . ولاأريد أن أسمي مكتبة بعينها . . . وإنما أشير إشارة عابرة . . . إلى أن بعض المكتبات لم أجد فيها من العناية بذاك التراث النفيس العظيم الواسع الأطراف الذي شمل شتى الثقافات السائدة في تلك العصور . . . مع ذلك أرى أن ذاك التراث لا يعنى به العناية اللائقة به . . وهذه خسارة بالنسبة للأمة العربية قاطبة . . نحن نفرح حينما نجد العناية بالمخطوط العربي عناية بالغة وكلما تبالغت العناية كلما زاد الانتفاع من تلك الكتب .

* هل تسعفك الذاكرة ببعض الأسماء . . مثلاً . . . . أو باسم أو باسمين من هذه الكتب وقفت عليه أو عليها في مكتبة ما من مكتبات العالم؟

– هناك من الكتب ما ذكرته في بعض مؤلفاتي . . مثال ذلك أني حينما زرت أميريكا وبالتحديد حينما زرت الولايات المتحدة . . . وكنت موفداً من قبل مؤسسة اليونسكو للبحث عن المخطوطات العربية في أميريكا . . . اليونسكو حقيقه لها الفضل في إيفادي إلى هناك لهذا الغرض . . . لغرض المخطوطات العربية والتعرف عليها . . . صدقوني بأننا لم نكن نعلم شيئاً ماعدا مخطوطات مكتبة واحدة . . . وهي مكتبة جامعة برستين التي كان يعمل فيها الأستاذ فيليب حتي العالم العربي الشهير ، هذه كنا نعرف عنها لأنها قد أصدرت فهرست . . فهرساً واسعاً بما لديها من مخطوطات عربية . . . فعرفنا ما فيها ولكن في سفري إلى هناك رأيت أن هناك عدداً هائلاً من المخطوطات العربية التي لا يعرف عنها أحد من أبناء الشرق . . . . بل كثير من المستشرقين لايعرفون

عنها. . . . لأنها لم تكن مفهرسة. . ولم تنشر فيها فهارس تعرف بعض التعريف لمحتوياتها.

* نعم . . . كمثال. . . . اسماً من الأسماء مثلاً كتاباً أو كتابين أستاذ؟

– الكتب التي استوقفتني حقيقة كثيرة. . وقد أحصيت جانباً منها وذكرته بعناوينه في أثرين من آثاري المطبوعة. . . أحدهما (جولة في دور الكتب الأمريكية) وقد طبع في سنة ١٩٥١. . . ذكرت في هذا الكتاب مالايقل عن ١٥٠ مخطوطة. . وهناك كتاب آخر جعلت عنوانه (المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية) هذا الكتاب لم أستطع نشره لأنه كتاب كبير ومازال مخطوطاً لدي. . . ولكني استخرجت منه نوادر المخطوطات العربية ونشرته في بحث ظهر في مجلة سومر. . . مجلة سومر تصدرها مديرية الآثار العامة. . . . وهي من المجلات النفيسة المهمة في البلدان العربية قاطبة. . . . . من المجلات الكبرى التي يباهي بها. . . على كلٍ نشرت هذا العمل في مجلة سومر وقد استوعب منها ما يبلغ ٦٠ صفحة مع أن. . مع العلم أن سومر من قطع الربع الكبير.

* الأستاذ كوركيس عواد. . ماذا في ذاكرتك أوماذا ينطبع في ذاكرتك من الأسماء التالية: هل تتذكر شيئاً ما عن الأب إنستاس ماريو الكرملي؟

– أتذكر أشياء كثيرة. . . . وأنا أتحدث الآن وكأني أراه بعيني. . . وقد اتصلت به فكان يرحب بي ولا يسميني إلا ابني بالروح. . . حتى في . . . مكاتباته . . وأنا أحتفظ بمجموعة من رسائله بخط يده. . . . حينما نتكاتب كنا. . حينما كان يذهب من بغداد إلى القاهرة في كل سنة لكي يحضر جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة . . وهو أحد أعضائه. . . . بل من أبرز أعضائه حقيقة. . . أحتفظ بمجموعة رسائلة التي كان يكتبها لي. . وكلها علم وفضل وأدب.

* طه حسين؟

– لم تحصل بيني وبينه مكاتبة . . ولكني زرته في القاهرة. . وتحدثنا في بعض الأمور. . ورأيت منه علماً وفضلاً وأدباً لايوصف.

* عباس محمود العقاد؟

– لم أره. . لم ألتق به مع الأسف. . . ولم تحصل بيننا مكاتبة.

* نعم. . . محمد بهجت الأثري. . . من العراق؟

– نعم . . صديقي وزميلي. . . وهو عضو في المجمع العلمي العراقي. . . وأنا كذلك عضو . . وحينما نجتمع في كل أسبوع . . . . كثيراً ما نختلس بعض الدقائق لكي نتحدث فيما بيننا. . . . والرجل من أبرز كتاب العراق. . أقدر أقول إني أضع اسمه في طليعة الكتاب العراقيين.

* نعم. . . الأستاذ حمد الجاسر؟

– حمد الجاسر صديقي. . . وأنا أعتبر المجلة التي يعنى بإصدارها من أنفس المجلات العربية. . . وبل هي مرجع من المراجع التي لا يستغنى عنها في بابها.

* تتذكر بعض الأسماء التي غابت عن بالك . . ممن عشت معهم أو اشتركت معهم في عمل علمي أو في ندوة علمية. . من الأعلام وتحب أن تقول عنه شيئاً ما في هذا اللقاء؟

– الذين شاركت معهم في التأليف. . أستطيع أن أذكر أخي الأستاذ ميخائيل. . . وقد كان قبل دقائق جالساً هنا. . . . اشتركنا كلانا في وضع. . أو في نشر بعض التآليف. . . . يا أخي أنا في ذكرك!!

* ممكن الأستاذ ميخائيل يأتي ويقدم نفسه. . . أستاذ ميخائيل تفضل. . . ممكن أن تقدم نفسك للمستمعين. . باعتبارك باحثاً ومشاركاً للأستاذ كوركيس؟

– مرحباً بكم

* شاركت الأستاذ كوركيس في بعض المؤلفات؟

– نعم

* ممكن نتحدث عن المؤلفات التي قدمتها للمكتبة العربية. . . سواء منها ماهو مطبوع. . . وما كان مخطوطاً ينتظر الطباعة؟

– كخلاصة؟

* نعم

– ما عنيت به من تأليف الكتب والرسائل المطبوعة خلال سنوات ١٩٣٩–١٩٨١ مجموعها أربعة عشر. . بينها خمسة بالاشتراك. . . أول رسالة عنيت بتأليفها طبعت ١٩٣٩. . الكتب المحققة خلال السنوات ١٩٤٧حتى ١٩٨٣ مجموعها تسعة. . بينها أربعة بالاشتراك. . . أول كتاب محقق طبع في بغداد سنة ١٩٤٧، أما المقالات في المجلات والصحف في العراق وفي خارج العراق في مختلف بلدان العالم مجموعها ١٧٢ مقالة، أول مقالة كانت بعنوان . . مآثر القرن التاسع عشر. . . نشرت سنة ١٩٣٣. . وطبعاً هناك أحاديث أغلبها كانت من إذاعة بغداد. . . . وبعضها من إذاعة الكويت، إذاعة بيروت. . القاهرة، القدس، لندن، مختلف الأحاديث في ميادين التراث العربي . . إيوه.

* وقمت بعمل مشترك أنت والأستاذ كوركيس عواد باعتباركما أخوين تلتقيان في كثير من الأشياء؟

– نعم. . وكما يقال الشيء بالشيء يذكر. . قبل ما شرفتم كنا نتكلم. . أكثر حديثنا حينما نلتقي في ميدان التراث، في ميدان التعليم. في ميدان البحوث. من مجلة الدراسات التي اشتركت بها. .

صدرت طبعاً.. وبين أيدينا هناك بعض الدراسات.. ستكون مشتركة بإذن الله.. من جملتها كما تفضلتم... الأشقاء... الأشقاء في قديم الزمن... الذين استغلوا في ميدان التعليم والعلوم... يعتبرون في ميدان التراث... هذا بين أيدينا نشتغل فيه.

* نعم.. هذا كتاب؟

- إن شاء الله

* هذا كتاب... يعني.. نفيس في بابه... وقليل.. يعني مثل هذا الكتاب الأشقاء الذين اشتغلوا بالعلوم؟

- الأشقاء الذين اشتغلوا.. وماهي الكتب التي أصدروها.... وهكذا.

* وأنتما منطلقان من نفس التخصص الذي تعملان فيه؟

- نعم... نعم

* وأنتما متقاربان في السن كما يبدو... متقاربان في العمر.. في السن؟

- بيننا.. نعم.. قريبين.. أنا.. أبصرت النور في مدينة الموصل في ٢٣ شباط سنة ١٩١٢.. ونشأت في الموصل وترعرت بها... وتلقيت في مدارسها مبادئ العلم.. ثم.. واصلت الدراسة في بغداد... وتخرجت في دار المعلمين سنة ١٩٣١. واشتغلت في سلك التعليم عدة سنوات وفي سنة ١٩٤٤ اختارني وزير المعارف العراقي لأكون سكرتيراً خاصاً له.. وبقيت أشغل هذه الوظيفة حتى الشهر الخامس سنة ١٩٧٠.

* أي نعم

= واشتغلت خلال هذه السنوات البالغة ستاً وعشرين سنة بمعية عدد كبير من وزراء المعارف والتربية والتعليم.... وأحتفظ بذكريات طريفة... ولعلي... أوفق في يوم ما.. على أن أقوم... بتأليفها بصورة علمية وطبعها.

* نعم... إذن أستاذ ميخائيل.. أنتما لستما بعيدين عن بعضكما زمناً... فأيكما أكبر...؟

= الأخ

- أنا أسلّم.. أيعني أكبر

*...

- هو تولد ١٩٠٨ وأنا ١٩١٢

* وهذا أدب في الجواب.. إذن أستاذ ميخائيل شكراً لك على هذه المعلومات الجميلة.. والمعلومات المهمة عن حياتك... ونفع الله بعلمك وبأدبك وثقافتك وفنك.

ونعود إلى الأستاذ المسنّ.. إلى من هو أكبر سناً.. ممكن نتحدث عن حياتك الشخصية...

نتحدث عن حياتك الشخصية وجوانب الحياة التي لديك. . . كم لك من الأبناء أستاذ كوركيس.

– لدي ابنان وابنتان. . هالشاب الجالس هناك هو ابني الكبير.

* نعم. . . . الاسم الكريم. . الأستاذ؟

– سهيل

– سهيل هو ابني الكبير. . ولدي ابن آخر وهو الآن في أميريكا يتلقى العلم في معاهدها، ولدي إبنتان متزوجتان. . والحمد لله . . كلهم متزوجون ولهم أولاد. . . فأنا أشكر الله أني بقيت في قيد الحياة إلى أن رأيت أحفادي.

* الحمد لله.

– وهذه من نعم الله

* نعم. . . وهل منهم أحد تخصص في جوانب اللغة والتراث أو الأدب؟

– الواقع أنه . . التخصص في هذا الميدان يتوقف على الشخص . . ابني الكبير هو مهندس. . . ومهندس مدني وله اختصاص نادر في العراق. . . وابني الثاني مقيم في اميريكا ويشغل منصباً أيضاً. . . وبناتي متزوجات وكل واحدة منشغلة في شؤونها. . ولكن الصغرى لا تزال بالرغم من زواجها موظفة في بعض دوائر الدولة.

* نأتي إلى شيء من ثقافتك الذاتية. . . أستاذ كوركيس، هل تقرأ في فنون أخرى غير ما تخصصت فيه من الأرشفة والحفظ والتحقيق؟

– لا شك أني أطالع أشياء لا تدخل ضمن اختصاص معين. . . وهذا موضوع أظن يتصل بكثير من الناس كثير من الناس ممن تقع بأيديهم أشياء لا تدخل ضمن اختصاص معين فيطالعونها. . . . والثقافة لا تتكون من زاوية واحدة. . ولا من جانب واحد بل تتكون من اجتماع نقاط وأفكار شتى. . . . وتتبلور في ذهني الإنسان فيستفيد منها في اختصاصه أو في جوانب أخرى من الحياة.

* إذا كنت . . يعني. . . لا تعاني من عمل تأليفي معين. . وأنا لا أتوقع أنك منقطع عن عمل تأليفي معين. . لكن إذا حصل ذلك فماذا تعمل. . ماذا تشغل نفسك. . . أوبماذا تعنى به؟

– لا . . ماعندي ما يشغل نفسي أكثر من المطالعة. . . . أقول لك . . يعني. . . . المطالعة بحر لا ساحل له. . . وأنتم من أدري الناس أن الكتب التي تصدر في الأقطار العربية في مشارق الأرض ومغاربها. . . . كتب لا يمكن أن تحصي فأنا في بحر لا ساحل له. . . كل مافي الأمر أني أختار مافي وسعي أن أقرأه. . . . والقراءة مثل ما قلنا لا تنتهي. . . كلما زاد الإنسان في القراءة كلما ازدادت سعة جهله بسعة العلم . . . وهذا يعاني منه كل واحد من مثلي.

* هل تتابع شيئاً من وسائل الإعلام غير القراءة؟

- أحب السفر.

* السفر.. نعم

- حينما يحصل لدي فرصة سانحة لكي أسافر فأنا لا أتردد في ذلك... وقد زرت أوربا مرتين وزرت أميريكا وزرت أكثر أقطار الشرق العربي... واستفدت فوائد شتى.... منها أني اتصلت بطائفة كبيرة من العلماء والباحثين والمستشرقين.. وأني اطلعت على مكتبات لم يكن في وسعي أن أطلع عليها.... وقد أفدت من بعضها.. ثم هناك السفر مثل ما يقول سافر ففي الأسفار خمس فوائد.. هذا الشاعر حين يقول.. فالفوائد شتى.

* نعم.. وكيف إقبالك على الفنون.... على الفنون بعامة؟

- إني من محبي الفنون... وأقرب مافي نفسي أني أحب الموسيقى.... والعزف على العود... وكنت في أيام شبابي أعزف على العود.. ولكني بعد أن بلغت الثمانين أصبح هذا الشيء عبارة عن ذكرى قديمة.. ذكريات قديمة لا تزيد عن ذلك.

* وماذا تحب من المقامات..... أو من الألوان؟

- المقامات.. الغناء القديم الذي نسميه بالموسيقى الشرقية... يعجبني أن اسمع العزف ويعجبني أن أسمع الغناء القديم.

* شكراً لضيفنا الأستاذ الكريم... الباحث اللغوي... والمحقق كوركيس عواد... أحد علماء الأمة العربية.... وأحد علماء العراق... تحياتنا لك... ودعاؤنا لك بالصحة والعافية.

- شكراً لكم.. وكل الشكر.

ماجد صالح السامرائي

هذه المرة نحن في العراق نلتقي ونسعد باستضافة الأستاذ ماجد صالح السامرائي. وهو أحد الإخوة الناقدين. من النقاد الأدباء الذين أثروا الساحة الأدبية بطروحات مختلفة ومتميزة سواء في درس النص الشعري أو في درس المادة القصصية أدبياً ورؤيوياً وأيضاً أسهم من خلال المهرجانات الشعرية والأدبية ومن خلال إشرافه على الصفحات المتخصصة في عديد من الصحف العراقية. وهو الآن رئيس القسم الثقافي في جريدة الجمهورية وعضو الهيئة العليا المنظمة لمهرجان المربد الشعري منذ عام ١٩٨٣م.

– شكراً لك على هذا التقديم. وشكراً لك على هذه الفرصة التي تتيحها لي لأكون عبر هذه الساعة معك ومع الإخوة المستمعين. وأتمنى أن نستطيع قول شيء لا يجعل هذه الساعة تذهب بدداً.

* نعم.. أنا عشمي كبير جداً أستاذ ماجد. وتعودنا في البداية أن نقدم ضيفنا من خلال نقاط صغيرة تحويها بطاقته الشخصية لكي تبين مسيرته الحياتية والفكرية والأدبية. فلعل الفرصة الآن معك لكي تقدم نفسك من خلال نشاطاتك وعطاءاتك وحياتك وكفاحك العلمي والأدبي؟

– ولدت في مدينة سامراء. وهي كما تعرف مدينة تاريخية عريقة. ولدت العام ١٩٤٥م وفيها كانت دراستي الأولى الابتدائية ثم المتوسطة ثم الثانوية. وبعدها التحقت بكلية الآداب بجامعة بغداد في قسم الصحافة وتخرجت في هذا القسم.

بدأت حياتي الأدبية في مرحلة مبكرة نسبياً. ونشرت بعض ما كتبت وأنا ماأزال صغير السن. ويبدو أن ما كتبت منذ البداية قد اتسم بطابع الدراسة والنقد والمتابعة، وبالذات متابعة الشعر والكتابة عن الشعر. أذكر أن أول مقالة كتبتها كانت بعد نهاية الدراسة الابتدائية ودخولي في الدراسة المتوسطة وكانت أيضاً عن الشعر وفي الشعر.

* بداية مبكرة جداً؟

– يبدو أن هذا قدري

يعني بهذا المعنى

* ثم واصلت الكتابة وأيضاً منذ أن كنت في الدراسة المتوسطة والثانوية عقدت صلتي بالإذاعة فكنت أقدم حديثاً واحداً في الشهر. وكنت أصغر محدّث بين محدّثي إذاعة بغداد. وكتبت أيضاً في عدد من المجلات العراقية وفي عدد من المجلات العربية وأصبحت مراسلاً لمجلة الآداب منذ العام ١٩٦٨. كنت قبلها مراسلاً لمجلة صدرت في الأردن اسمها مجلة أفكار. وكتبت فيها رسائل ثقافية

مايزال يذكرها الصديق الشاعر الأردني عبدالرحيم عمر الذي كان رئيساً لتحرير هذه المجلة، يذكرها بالخير ولم يكن يتصور أنني ماأزال طالباً في الدراسة الثانوية. عملت في الصحافة قبل أن ندخل الجامعة. بل لأقل إنني عملت في الصحافة أيضاً محرراً غير متفرغ لبعض الصفحات الثقافية منذ العام ١٩٦٢. ثم بعد انتقالي إلى بغداد في ١٩٦٧ امتهنت الصحافة وبدأت أكتب فيها وزاولت أعمالاً مختلفة في هذه الصحافة من محرر في الأخبار. وأعتقد أن هذا أمر مهم لكل صحفي يدخل للصحافة.

* نعم.. البداية الأولى؟

- وكان الفضل في دخولي إلى هذا الميدان أو دخولي هذا الميدان للأستاذ شاكر علي التكريتي الذي كان رئيساً لتحرير جريدة الشعب يوم جئت لأعمل معه في الجريدة فسألني ماذا تعمل.. قلت له أنا محرر صفحات ثقافية. فقال لي هذه لا تصنع صحفياً. إذا أردت أن تكون صحفياً فاعمل في الأخبار. وكقبول للتحدي دخلت هذا الحقل وأعتقد أنني حققت بعض النجاح فيه. ثم في سنة ٦٨ بعد أن أوقفت الصحف في سنة ٦٧ عفواً. بعد أن أوقفت الصحف وصارت كلها للدولة من خلال المؤسسة العامة للصحافة يومها انتقلت أيضاً إلى جريدة المساء ثم صارت جريدة الشعب. وبعد اشتغالي بجريدة الشعب حوالي خمسة أشهر ثم اختياري لأكون واحداً من محرري مجلة جديدة كانت المؤسسة تريد أن تصدرها وهي مجلة ألف باء. فكنت واحداً من ثلاثة أسسوا هذه المجلة واضطلعنا بمهمة أعتقد أنها كانت ناجحة. وقمنا بتجربة نجحت وأثبتت وجوداً. بعدها انتقلت إلى مجلة الإذاعة والتلفزيون استلمت سكرتارية تحريرها. وكنت رئيساً للتحرير بالوكالة لأنني أنا الشخص الأول في هذه المجلة. بعدها عدت إلى مجلة ألف باء ثم انتقلت إلى جريدة الجمهورية واستلمت ملحقها الأسبوعي ومنذ ٧٨ حتى اليوم وأنا رئيس القسم الثقافي في هذه الجريدة. نصدر كل يوم صفحتين ثقافيتين. هذا من جانب ومن جانب آخر... أن الصحافة رغم أنها أخذت كثيراً من وقتي وشغلتني كثيراً إلا أنها لم تحل بيني وبين كتابة الدراسة النقدية والمتابعة الفكرية.. وكتابة الدراسات. فكتبت خلال هذه الفترة دراسات كثيرة مايزال معظمها مخطوطاً لأنه يحتاج إلى استنساخ لا أكثر.. وأنا كسول في هذه الحالة لذلك تجدني لم أصدر حتى الآن سوى سبعة كتب.. مع العلم أن لدي أكثر منها بكثير مايزال مخطوطاً. هذه الكتب بدأتها حقيقة بكتاب رسائل السياب الذي أعتبره كتاباً رائداً في هذا المجال. جمعت فيه رسائل السياب التي أرسلها إلى أصدقائه من الأدباء والشعراء العرب والعراقيين.. وطبع في بيروت سنة ١٩٧٥. ثم أصدرت في العام نفسه كتاباً عن الشاعر العراقي المرحوم فاضل طاقة. وهو عبارة عن دراسة عنه ومختارات من شعره كوفاء لصديق كنت أعتز كثيراً بصداقته ثم.. أصدرت بعد ذلك كتاباً بعنوان شخصيات

ومواقف.. طبع في تونس وهو عبارة عن حوارات مع مثقفين ومفكرين عرب حاولت من خلالها أن أعطي صورة بانورامية لجانب من التفكير العربي في مجالات ثقافية متعددة بين الشعر والرواية والقصة والفكر أيضاً.. ثم أصدرت كتاباً بعنوان الزمن المستعاد. هذا الكتاب ضم دراسات في الشعر وفي القضايا الفكرية. إلا أن المحور الأساس أو الجامع الأساس لهذه الدراسات هو أنني كنت أبحث عن علاقة هذا النتاج الذي يكتب اليوم أو الفكر الذي نتمثله اليوم بتراثنا وبشخصيتنا العربية في مرتكزاتها الأساسية. ولذلك أسميته الزمن المستعاد حاولت من خلاله أن أقول بوحدة هذا الزمن العربي أو بزمن العربي المنحدر إليه من مختلف الأزمنة والذي يشكل في داخله زمناً واحداً. ثم أصدرت بعد ذلك كتاباً بعنوان رؤيا العصر الغاضب. وفي هذا الكتاب جمعت بعض الدراسات التي كتبتها عن الشعر والتي تجمعها سمة الغضب. فكما قلت في إحدى دراسات هذا الكتاب.. وكانت عن الشاعر الفلسطيني المرحوم أبوسلمى عبدالكريم الكرمي قلت إنه جاء الحياة أو أنه يوم جاء الحياة كانت الدنيا العربية تأتزر بالعاصفة. لذلك رأيت أن سمة الغضب هي التي تميز هذا النتاج.. الغضب على الواقع.. الغضب على المستعمر.. الغضب على كل ما من شأنه أن يحول بيننا وبين التقدم.. الغضب على الأشياء التقليدية على.. وهكذا.. بعد ذلك أصدرت أو في الحقيقة مررت بتجربة أقرب ما تكون إلى الوجدانية الفكرية. وهذه التجربة أحسست أنها تقتلعني من مكاني و.. أو من زماني لترميني في أزمنة متعددة.. هذه الأزمنة هي ربما تكون أزمنة عشتها في الماضي.. القريب، ربما تكون زماناً حاضراً.. وربما تكون زماناً متطلعاً إليه.. فكتبت هذه التجربة من خلال شخصية أسميتها عبدالله.

* هذا عمل روائي؟

– هو أنا.. لا.. لم أفكر هل سأكتب رواية أم سأكتب مقالاً أم سأكتب أي شيء.. إلا أن الصديق الروائي والمبدع الكبير والناقد الكبير أيضاً الأستاذ جبره حين كتب مقدمة لهذا الكتاب اعتبره قصيدة وقال أخيراً كتب فلان قصيدته الكبرى.. التي ظل و.. حقيقة أن هذا الكتاب يمثل تجربة شخصية.

* يعني سيرة ذاتية؟

– هو أقرب ما يكون إلى السيرة الذاتية.. هو من النوع الذي تتداخل فيه الفنون.. تتكسر الحواجز

– تتداخل فيه الفنون جميعاً؟

* تتكسر الحواجز.. يعني.. في هذا الكتاب كسرت فعلاً حواجز الجنس الأدبي.. أو النوع الأدبي.. وفي البداية ظننت أنني سأكتب حلقة واحدة.. فكتبتها.. فأثارت إعجاب بعض

الأصدقاء.. وكلموني عنها.. ثم وجدت نفسي في الأسبوع الذي بعدها أكتب حلقة ثانية ثم ثالثة.. فرأيت بعض الأصدقاء يسمونني أو ينادونني.. بعبدالله.. وكان كلامهم فعلاً دافعاً لي للمواصلة.. وانغمرت في هذه التجربة ووجدت نفسي لا أستطيع الخروج منها.. والحقيقة أنني مأزال أسير لحظاتها.. كلما فكرت بكتابة شيء في هذا السياق.. عبدالله في هذا الكتاب شخصية متماسكة.. شخصية ربما تكون غير راضية على زمنها.. وغير راضية من زمنها.. شخصية ترفض بثقة ولا تقبل بسهولة.. ويتحدى بما امتلأت به نفسه من فعل الزمن.. يبدو أحياناً شيخاً كبيراً عركته تجارب الزمن.. ويبدو أحياناً رقيقاً مثل قصبة.

* ياسلام شعر؟

- يشده الحنين.. إلى ماضيه.. يشدّه الحنين إلى أصدقائه.. يشده الحنين إلى حبيبته.. يذكرها حين يذكرها.. يذكرها بكثير من الشفافية والرفعة... وأحياناً يرفض أشياء تقف بك عند هذه الشخصية فتتأمل وتقول من أي زمن جاء.

- وطلبت من بعض الأصدقاء شهادات عن عبدالله.. وكتب لي هؤلاء الأصدقاء شهادات عن عبدالله كشخص اختفى.. فوضعت هذه الشهادات كما كتبوها

* جميل.. وهذا توثيق لهذه الشخصية؟

- من خلال الآخرين.

* ومن خلال هذه الشهادات.. نعم.. نعم؟

- من خلال الذين تابعوا عبدالله في مساره.

* إذن هذا يعني تقريباً ملخص للسيرة الذاتية التي صورتها في شخصية عبدالله؟

* يمكن تنتقل إلى الكتب الأخرى؟

- الجانب الثاني.. كتبت الكتاب الثاني اسمه صخرة البداية.. صخرة البداية حقيقة هو استكمال لهذه السيرة..

* هي سيرة عبدالله؟

- لكن ليس من خلال شخصية عبدالله إنما من خلال شخصية الفتى الذي يحمل طوق الياسمين.. عدت فيه إلى الطفولة أكثر.. وإلى مدينة الطفولة أكثر.. وكتبت بتأزم أكبر لأنني كتبت عن زمن فقدته..

هناك كتاب ثالث استكمالاً لهذه.. لهذه المسيرة نفسها.. لم أكتبه.. لدي الآن كتب أخرى مازالت مخطوطة وأفضل عدم الحديث عنها إلى أن.. تظهر فقط. أقول أن.. أنني قمت بقراءة لفكر النهضة العربية في الفكر العربي الحديث.. وكتبت دراسات ومقالات كثيرة عن هذا الفكر..

ربما ستظهر قريباً بكتاب عن طه حسين وآخر عن وهم النهضة. . وكتبت أيضاً عن بدر شاكر السياب باعتباري مهتماً به. . قراءات في شعره. . أزعم أن فيها جديداً يمكن أن يضاف أو يقال. هذه. . باختصار. . يعني. . مسيرة ٤٥ عاماً.

* جميل. . دعني باعتبارك محرراً أو مسؤولاً عن القسم الثقافي ومحرراً للمادة الأدبية بشكل رئيسي فيها أسألك عن إشكالية اختيار المادة الأدبية في هذه الصفحات. . باعتبار أن المحرر الأدبي أو المشرف على هذه الصفحات يكون محرجاً في تكوين مادته الأدبية. . هل تميل إلى لون من الأدب القديم أو الجديد أو صراع القطبين تقريباً كما هو حاصل الآن في حياتنا بشكل عام سواءً اجتماعياً أو أدبياً. والنص دائماً يصور الصراع الحياتي بصفة عامة. . أقصد الصراع في التفكير بين الماضي والحاضر وبين التوقيع للمستقبل واستشرافه. . فهل تركز على جانب أو لون واحد من النص الأدبي الحديث مثلاً أو القديم؟. . هل تطرح رؤية أحادية معينة؟

– أنا أعتقد أن العمل في مجال كهذا سواء كان في الصحافة أو الإذاعة. . عمل لا يرتبط بموقفي الشخصي. . أي بمعنى أنه لا يرتبط بتوجهي الأدبي والفني في مجال ما، بقبولي الشعر الجديد أو قبولي الشعر القديم أو رفضي أحدهما. الأساس عندي هو المستوى. . المستوى الفني. . والمستوى الفكري الذي تعالج فيه القضية أو تطرح فيه المادة. . لذلك تجدني صعباً. . صعب القبول. . صعب الرضا. . بنفس الوقت أعتقد أن هذه القضية جلبت لي خصومات كثيرة. . لكن أنا مسرور أيضاً بهذه الخصومات لأنها غير آتية أو غير نابعة من أساس موضوعي وبالتالي فهي تكشف المخاصمين. . هذا أولاً. . وثانياً لأنني في هذه الخصومات وقفت ضد الرداءة، ومنعت الرداءة من أن تتسرب إلى الصفحات التي أشرف عليها. لم أتساهل في يوم ما في نشر مادة لكونها لصديق أو أهملت مادة لكونها لشخص لا أعرفه. قدمت أسماء كثيرة. . منها أسماء معروفة. . ومنها أسماء تقدم لأول مرة في هذه الصحافة. . بعض الأصدقاء أو بعض الإخوان الذين ينشرون أحياناً أرد إليهم مادتهم وأناقشهم في بعض القضايا التي فيها. استطعت بالفعل من خلال القسم الثقافي في جريدة الجمهورية وعلى مدى هذه السنوات التي ذكرت أن نوجد نوعاً من التقاليد. . تقاليد في الثقافة. . تقاليد في الكتابة. . والتقاليد حتى في التعامل.

* هذا شيء جميل

– وأنا فعلاً فخور بهذا. . وقد ساعدني بعض الإخوان. . على أن أرسي هذه التقاليد. . وعلى أن نرسي هذه التقاليد بحيث أصبحت. . وهذا كلام ليس لي إنما أسمعه دائماً من كثير من الإخوان المنصفين فعلاً. . أصبح النشر في صفحة آفاق من جريدة الجمهورية تزكية للكاتب. . واعترافاً بالكاتب وبالشاعر. حقيقة الأمر هذا مدعاة فخر لي ومدعاة لجميع الأصدقاء الذين تعاونوا معي

على أن نرسي تقليداً مثل هذا التقليد.

* جميل

– أنا لا أقف ضد مادة لكونها تنتمي إلى التيار الفلاني أو التيار الفلاني أو لكونها مادة تعنى بهذا الجانب ولا تعنى بجانب آخر أنا أفضله.. تجد هناك دراسة في التراث.. لكن هذه الدراسة أريد أن تضيف.. وأن تعطي رؤية جديدة للتراث لا أن تكون دراسة مقلدة أو ناسخة.. هناك القصيدة العمودية التي أنشرها في يوم وأنشر قصيدة قد تكون قصيدة نثر في يوم آخر.. لكن المعيار هو الجودة.

* والفنية؟

– والفنية.. ولكي أشعر أني أقدم شيئاً للقارىء لي بعد قراءته ما هذا الغثاء.. تجد أيضاً دراسات تعنى باللغة أحياناً ننشرها.. ونركز على هذه الناحية وهكذا..

* نعم.. وكيف عنايتك بالمقال؟

– عناية شخصية أم عناية..

* عناية.. عناية الصفحات الثقافية بالمقال؟

– هي مبنية على المقال.. هذه الصفحة لو رأيتها.. إنها تقوم على الشكل التالي: أن هناك مقالاً أساسياً مقالاً رئيسياً.. يأخذ أحياناً ثلث الصفحة.. وقد يتجاوز هذا المقدار.. أيضا.. هناك قصيدة.. وهناك مقالة قصيرة.. ومادة مترجمة لكي نوجد هذه الصلة بالعالم هذه الصفحة التي أحدثك عنها لا تعنى بالنواحي الإخبارية.

النواحي الإخبارية نتركها للصفحة الأخيرة.. من الجريدة.. فالمقالة هي الأساس، والجانب الإبداعي هو الأساس.. لأول مرة ربما تكون في الصحافة.. أن يكون هناك تقليد.. أن هناك كاتب يكتب في يوم معين وتنتظر هذا الكاتب يكتب في هذا اليوم.. في اليوم الفلاني تجد قصة.. ولا تجدها في بقية الأيام.. وهكذا

* نعم.. عرف الجدول الرئيسي لهذه الصفحة؟

– لبعض الكتاب الذي تستطيع أن تلتقيهم.. من خلال يوم محدد.. يكتبون فيه.. ومما يسر أنني أتلقى أحياناً مكالمات هاتفية.. من بعض الأصدقاء.. أن فلان اليوم.. لماذا لم يكتب.. حين ينقطع

* تتحدد ملامح الشخصية.. شخصية الصفحة؟

– هذا صحيح.

* بوجود هؤلاء الأشخاص؟

– وقد كسبنا بالفعل من الأسماء لهذه الصفحة الكثير.. يعني.. هناك ما بين خمسين إلى ستين اسماً.. يكتب في هذه الصفحة شهرياً.

* شيء جميل ورائع.. نعم.. نعم..

الأستاذ ماجد صالح السامرائي.. من خلال - طبعاً - العلاقة بالثقافة بأوجهها المختلفة ومن خلال اطلاعك الشخصي وإدارتك لقسم ثقافي في هذه المطبوعة ومن خلال دراساتك ومن خلال علاقاتك الشخصية وحضورك هذه المهرجانات وأنت أحد الأعضاء المنظمين في مهرجان المربد، واتصالك الشخصي بمثقفين وكتاب تكونت لديك ذائقة.. ذائقة فنية تحكم بها على القصيدة وعلى المقالة وعلى النص الأدبي من أي جنس كان أو أي لون كان.. هذه الذائقة يمكن تسري على الفنون الأخرى.. مثلاً على حضورك مسرحية ما أو مشاهدتك لها حتى عبر جهاز الفيديو، أو مطالعتك لبرنامج تلفزيوني مثلاً أو سماعك لبرنامج إذاعي متكاملاً بحيث تستطيع الخلوص إلى حكم نهائي على هذه المادة الفنية أنها جانبها الصواب في كذا وأخفق معدها في كذا. وهذه المسرحية لم توفق في هذا الجزء من المسرحية وهكذا.. وبالإضافة إلى ذلك الجزء الآخر من الفن وهو الموسيقى والأغنية.. هل تصحبك ذائقتك الفنية وتحضر لك دائماً.. بحيث تحكم على هذه المادة الموسيقية والغنائية بأنها.. يعني.. لم ترتق للمستوى المطلوب.. أو أنها أسفّت.. أو أنها لم تعبر تعبيراً جيداً؟

– الحقيقة أنني منذ أن بدأت الكتابة في بعض المجلات.. يعني منذ الستينيات.. منذ منتصف الستينيات وربما بحكم طبيعة عملي.. مثلاً.. مراسل لمجلة أفكار.. ومعها نسيت أن أذكر مجلة هناك كانت تصدر في القدس اسمها الأفق الجديد.. كان يشرف عليها شاعر وأديب مهم اسمه أمير شُنار.. كنت أكتب عن الفنون التشكيلية.. عن بعض الأعمال المسرحية.. ونمت معي هذه الناحية بمرور الزمن حين اشتغلت في الصحافة وفي مجلة ألف باء وفي مجلة الإذاعة والتلفزيون بالدرجة الأساس.. كنت مشرفاً على القسم الثقافي.. القسم الثقافي لا يشمل الأدب فقط وإنما يشمل جانب الفنون أيضاً.. أكاد أقول لم يقم معرض له شيء حتى ولو بسيط من الأهمية خلال الفترة الممتدة من ٦٨ وحتى الـ٧٧ أو ٧٨ ولم أكتب عنه.. ومعظم المسرحيات التي شاهدتها خلال هذه الفترة أيضاً كتبت عنها. إلا أنني لم أكتب في الأغنية لأنني أعتقد أن هذا جانب يحتاج تخصصاً معيناً إلا أنني في هذه الناحية.. ناحية الفنون التشكيلية والمسرحية كنت أجد اللقاء بينها وبين الشعر وبين الأدب. وآخر ما كتبت في هذا المجال هو دراسة مقارنة بين بدر شاكر السياب وجواد سليم قدمتها في مهرجان المربد الشعري السابع. وقد أثارت انتباه الكثيرين ونشرت أيضاً. أخذها الصديق حسن عبدالله الخليل ونشرها في مجلة الحرس الوطني على حلقتين. والآن وسعت هذا الموضوع نتيجة لما لمست من اهتمام. فأصبح لديّ كتاب ربما سأدفعه قريباً إلى النشر. لكن هذا لا يمنع من أن أقول رأيي أحياناً بأغنية كمتذوق أو كسامع.. وعادة يهمني سماع ماله صلة بالنفس الإنسانية ما أجد الكلمات من الأغنية تتصل بهذه النفس.. ما أجد اللحن فيها يرتفع على الحدود العادية بكثير..

ما أجد الأداء فيها يعطيني إحساساً بأن هذا المؤدّي يؤدي الكلمات بصوت أو بنبرة تنسجم مع مافي روح هذه الكلمات...

* جميل

- يعني.. أنا حقيقة.. ربما في ناس.. هناك من الناس من يريد أن يسمع لوناً واحداً.. أنا مثلاً بنفس الوقت الذي تعجبني فيه فيروز كثيراً وأكاد أسمعها بشكل يومي.. إلا أن هناك أصواتاً أخرى أحب أن أسمعها دائماً أو حين تقدم شيئاً أظل أسمع هذا الشـ.. يعني.. أنا يعجبني مثلاً حسين نعمة في فترة مبكرة من أغانية.

* نعود إلى شيء من ذاكرتك ومرئياتك.. فأول كتاب قرأته تقريباً.. وتوقفت عنده وأثر في حياتك؟

- حقيقة أنني بدأت القراءة أيضاً مبكراً.. قرأت وأنا ماأزال في الصف الثاني الابتدائي.. كنت أقرأ هذه المكتبة الصغيرة التي ألفها كامل الكيلاني.. كلها.. ثم حين تدرجت أكثر قرأت أيضاً رحلات كلفر التي.. قدمتها هذه المكتبة الصغيرة من خلال دار المعارف في مصر.. واستمريت أقرأ.. استوقفتني رحلات كلفر وشدتني للجو.. الأجواء التي ترسمها.. الأجواء المتناقضة تقريباً.. في عالم يبعث على الغرابة.. وحاولت في تلك السنوات المبكرة طبعاً وأنا ما أزال في الابتدائية.. أن أقرأ العقاد فلم أتواصل مع أسلوبه.. حاولت أن أقرأ طه حسين في تلك الفترة فوجدت أن النبرة اللغوية لطه حسين ربما الآن حين أقرؤها أجدها شيئاً آخر.. لم أجد نفسي في تلك اللغة.. كنت أريد لغة تكتفي بما تقول. أي أن لا تنسرب بالجملة في مسارب أبعد.. من الحدود.

* يعني ممكن تسميها الثراء أو الإسراف اللغوي؟

- هو البلاغة.. فجأة اكتشفت المدرسة الشامية.. وأسميها المدرسة الشامية لأنها بالفعل كذلك هي مدرسة.. وقع في يدي كتاب يتحدث فيه عن العلاقة بالتاريخ.. وهو كما بدا لي محاضرة ألقاها الدكتور شاكر مصطفى.. هذه الـ.. قرأت لشاكر مصطفى فأدهشني.. وقرأت من بعده لبعض الكتاب السوريين واللبنانيين فقلت هذا هو الأسلوب

* نعم.. ممكن تذكر الأسماء؟

- منهم صدقي إسماعيل مثلاً

* من الذاكرة.. نعم؟

- منهم صدقي إسماعيل.. وقد حرصت إلى أن أصبحوا هؤلاء أصدقاء لي فعلاً أتابعهم.. إلا أنني أقول هنا إن أول كتاب استوقفني.. بل لأقل أثر في حياتي.. هو رواية همنجواي الشيخ والبحر التي ترجمها منير بعلبكي.. وقرأتها بترجمة منير بعلبكي وكنت في الصف السادس الابتدائي.. وكتبت عن هذه الرواية بعض الملاحظات.. وبعض الأفكار.. ليست للنشر إنما كانت مطلوبة مني في

مجال آخر . . طلبها صديق لكي يستعين برأيي في تقديم مادة طلبت منه في الدراسة.

* جميل

– فكتبت له ملاحظاتي هذه . . هذه الرواية . . قد تستغرب أنني لم أعد قراءتها . . لكنها ماتزال تعيش في نفسي منذ ثلاثين عاماً . . شخصية سنتياغو شخصية مدهشة . . أقول إنني تعلمت منه في تلك السن المبكرة كيف أصبر على مجالدة الظروف . . وكيف أقول بانتصاري . . أو أحقق انتصاري حتى لو كان حصاد هذا الانتصار في النهاية هو ذلك الهيكل الفارغ للسمكة التي اصطادها والتي أكلتها أسماك القرش التي أحاطت به. الغريب أنني الآن أتذكر أنني ربما وقفت مواقف ربما مررت بتجارب وكنت مثل سنتياجو فيها . . والغريب أنني لم أحمل منها سوى أنني انتصرت . . وثبّت موقفي . . ولكن مافي يدي هو ذلك الهيكل . . الذي بلا لحم.

* هنا عالمية العمل الأدبي . . تلتقي الشخصيات الإنسانية في كل مكان وأينما رحلت أو أقامت وأينما قرىء هذا العمل الأدبي؟

– نعم . . هذا صحيح

* شخصية إنسانية عالمية . . نعم لأن الطرح بعيد عن الإقليمية أو حدود التفكير الذاتي الأناني الصغير هذا بالنسبة أيضاً للأعمال الروائية . . لكن لو تذكرت أبرز ما قرأت في خلال هذه الفترة من أعمال عظيمة أثرت في تكوينك ووجدانك؟

– الحقيقة أنني . .

* وتذكر الأسماء . . أي أسماء الأعمال

– في هذه الفترة . .

* وأسماء أصحابها

– أي في هذه الفترة . . في هذه الفترة أيضاً . . وأنا أقول لك من خلال المدرسة الشامية كنت أبحث عن هذه الكتابات . . استوقفتني كتابات جبرا إبراهيم جبرا . . قرأته متفرقاً في بعض المجلات ثم وجدت كتاباً له فأخذته وبدأت أقرأ . . فأعجبت بتفكير هذا الرجل . . وبأسلوب هذا الرجل . . ثم التقينا صدفة . . وكان لقاؤنا في الإذاعة . . كان يريد أن يقدم حديثاً وكنت قد حجزت الاستديو مسبقاً لتقديم حديث . . ولو كان آخر حديث قدمته في سنة ٦٣. بعدها تركت الإذاعة لمدة ثلاث سنوات . . وأكثر . . الحقيقة أربع سنوات . . وجاء ولم أكن أعرفه إلا من الصورة، فأعطيته دوري . . ليسجل قبلي وحين خرج شكرني وتعارفنا . . وكنت مأأزال فتى . . فاستغرب أن أكون بهذه السن وأن أحدّث إلى جانبهم . . كان استغراباً . . ليس استغراب استنكار وإنما استغراب إعجاب . . فأعطاني عنوانه وتلفونه وطلب مني أن أتصل به أو أن أزوره . . فزرته . . فكان

مسؤولاً عن مجلة فـي الشركة التي يعمل فيها . . وهذه المجلة قد جعلها مجلة أدبية واحتضنت الكثير من نتاجات الكتاب . فكتبت . . في هذه المجلة ونشر لي مقالاً . . وكان أول مقال نشر لي وأذكره تماماً هو عن الشاعر السوري فواز عيد من أول ديوان لـه «في شمسي دوار» . . كتبت بعدها مقالة أخرى عن شاعر سوري آخر أيضاً اسمه خليل الخوري قبل أن أعرفه . . وهو الآن من أصدقائي الأحباء يعني قرأت له ديواناً اسمه «لا در في الصدف» . . الحقيقة أن هذا الديوان كان يقوم على تجربة الفراغ . . وعلى تجربة الخيبة . . وكان يقول باستمرار أنه يردد عبارة: وفارغ هو الصدف أو أنه يكتب قصيدة بعنوان: صدفه فيكتب عن تجربة حياتية فيقول إن هذه الصدفة كانت جميلة وأخذناها كانت ملأى . . لكن ماء . فهذا الديوان أثار انتباهي كثيراً لأن تجربته تجربة حضارية وتجربة تقوم على أساس فلسفي . . كتبت عنه مقالة وأرسلتها إلى الأستاذ جبرا . . وجئته بعد أسبوعين فقال لي مقالتك وصلت وهذه المقالة بمستوى مقالتك السابقة . . وأنا أريد لك أن تتجاوز المقالة السابقة في كل مقالة جديدة تكتبتها . . إذا أردت أن أنشرها فهي صالحة للنشر . . وإذا أردت في ضوء هذه الملاحظة أن تعيد النظر فيها فهاكها . . قلت له أعطينيها . . وأخذتها وبعد أسبوعين أرسلتها له مرة ثانية وإذا به معجب بها ودفعها إلى النشر .

* جميل

– منذ ذلك اليوم وحتى الآن وأنا ماأزال كلما كتبت مقالة ترن هذه النصحية أو هذه العبارة في ذهني أو تقف أمامي وأنا أريد أن أكتب . . وقد فعلتها معه أيضاً حين أتيتني كانت في يدي كما ترى رواية الغرف الأخرى وهي آخر رواية لجبرا . . كنت كتبت عنها مقالاً وتركت هذا المقال ولم أنشره فترة . . ثم لم أرضَ عن هذا المقال فكتبت مقالاً ثانياً . . والآن أنا أحاول أن أعطيه صياغته الأخيرة .

* أود أن نتوقف ولو في أعمال كأسماء . . يعني . . لكي لا تأخذنا التفصيلات عن أسئلة أخرى . . حتى أسماء مثلاً . . مؤلفين . . أو كتاب أعمال روائية أو أدبية أو فكرية أثروا في تكوينك ووجدانك . . أسماء معينة . . استعراضات؟

– الحقيقة أن المرحوم صدقي إسماعيل وهو سوري كان من المؤثرين المهمين في تكويني . . وبالذات أذكر كتابه المهم والمجهول للأسف «العرب وتجربة المأساة» . . هذا الكتاب درس حس المأساة عند الإنسان العربي . . من الجاهلية إلى العصر الحديث .

* نعم . . مبحث مهم جداً ؟

– ومختصر جداً ومكثف جداً أيضاً كان لكنه كتاب أعتقد أنني قرأته للمرة العاشرة على مدى ربع قرن . . من الأسماء التي تشدني فكراً ولغة أيضاً شاكر مصطفى . من الشعراء أنا أعتبر السيّاب هو الشاعر المهم والأول في تجربة الشعر العربي الحديث . وكذلك أنظر إلى خليل

حاوي.. هذان الشاعران يعجبانني كثيراً. وقد كتبت عنهما.. دراسات عديدة.. كتب عن السياب بطبيعة الحال أشياء أكثر. وكتبت عن خليل حاوي أيضاً.

* نعم.. والأعمال الروائية؟

- الأعمال الروائية في الحقيقة.. أعود إلى جبرا وأقول إن راوية جبرا أعتبرها روايات قريبة جداً إلى نفسي.. لماذا؟ ربما لأنها مبنية على أساس فكري.. على تجربة حياتية ممزوجة بالتجربة الأدبية أو العكس.. من القصاصين الذين أدهشوني. في البداية حين قرأت لهم يوسف إدريس خصوصاً في لغة الآي آي.. في بيت من لحم.. في النداّهة.. في هذه الأعمال القصصية كان يوسف إدريس قاصاً من الطراز الأول.

* هل تحفظ الشعر أستاذ ماجد؟

- والله ربما كانت هذه ناحية.. من عيوبي لأنني أحفظ الشعر كثيراً.

* ميزة حلوة؟

- نعم و..

* خاصة أنك عنيت بشعر السياب وربما جاء هذا السؤال إلى ذهني لكي.. يعني.. أرجو أن تتفضل مثلاً بإسماعنا قصيدة من اختياراتك الجميلة لبدر شاكر السياب؟

- والله القصيدة التي أرددها باستمرار والتي تمثل مأساة بدر شاكر السياب بنفس الوقت الذي ترسم منحنى للتفكير عنده ولتجربته القاسية التي عاناها، وربما كانت آخر قصيدة كتبها وهي قصيدة المعول الحجري. على الرغم من أن هذه القصيدة سوداء.. وكان يرى النهاية فيها متحققة إلا أنني أجد فيها بناءً فنياً وذهنياً وفكرياً متكاملاً. يقول في هذه القصيدة:

رنين المعول الحجري.. في المرتج من نبضي
يدمر في خيالي صورة الأرض
ويهدم برج بابل.. يقلع الأبواب.. يخلع كل آجرة
ويحرق من جنائنها المعلقة الذي فيها.. فلا ماء ولا ظل ولا زهرة
وينبذني طريداً عند كهف.. ليس تحمي بابه صخرة
ولا تدني سواد الليل نار فيه.. تحييني.. وأحييها
تعالي ياكواسر ياأسود ويانمور ومزقي الإنسان
إذا أخذته رجفة ما يغث الليل من رعبي
فضجي بزئيري وزلزلي قبره..
دماغي.. دماغي.. وارث الأجيال.. عابر لجة الأكوان

سيأكل منه داءٌ شل من قدميّ شديداً على قلبي

حمى الأسرار تطلعه على المتربص الخافي

إذا نطق الطبيب فأسكتوا العرّاف والفوّال

رنين المعول الحجري يزحف نحو أطرافي..

سأعجز بعد حين عن كتابة بيت شعر في خيالي جال

فدونك ياخيال مدى وآفاق وألف سماء

وفجّر من نجومك.. من ملايين الشموس.. من الأضواء

وأشعل في دمي زلزال

لأكتب قبل موتي أو جنوني أو ضمور يدي من الإعياء خوالج كل نفسي.. كل أحلامي وأوهامي

وأسفح نفسي الثكلى على الورق ليقرأها شقيّ عاش بعد أعوام وأعوام

ليعلم أن أشقى منه عاش بهذه الدنيا

وآلى رغم وحش الداء والآلام والعرق

ورغم الفقر أن يحيا

وما يرضي.. قناع الموت أنت.. وهل ترى لو أسفر الموت أخاف

ألا دعي التكشيرة الصفراء والثقبين.. حيث امتصت العينين جحافل من جيوش الدود يجثم حولها الصمت.. تلوح لناظري

ودع الدماء تسح من أنفي من الثقبين

فأين أبي وأمي.. أين جدي أين آبائي.. لقد كتبوا أساميهم على الماء ولست براغب حتى بخط اسمي على الماء

وداعاً ياصحابي.. ياأحبابي..

إذا ما شئتموا أن تذكروني فاذكروني ذات قمراء

وإلا فهو محض اسم تبدد بين أسمائي.. وداعاً ياأحبابي.

* كانت هذه نهاية السياب؟

- نعم

* على هذا النحو؟

- نعم

* من التأس والألم؟

- نعم

* وهي نهاية كل حي.. طبعاً؟

- نعم

* ولكن نهاية تختلف عن نهاية.. نهاية شاعر يحمل قضية معينة وفناناً كبيراً يرسم ويبدع ويتحسس الآلام الإنسانية.. تستحق التأمل والدرس والتوقف كثيراً وكثيراً؟

وفي ختام هذه الساعة نشكر ضيفنا الناقد العراقي الأستاذ ماجد صالح السامرائي رئيس القسم الثقافي بجريدة الجمهورية وعضو الهيئة العليا المنظمة لمهرجان المربد الشعري منذ ١٩٨٣م وقد استمتعنا خلال هذه الجولة مع قراءاته ومع محاولاته الأولى وطروحاته الآن الفكرية والأدبية والنقدية ومع استشرافه المعارف العامة من خلال هذا الكفاح في طلب المعرفة وفي طلب الموقف المضيء فكرياً وأدبياً. شكراً لناقدنا ومتمنين مزيداً من العطاء.. متمنين أيضاً أن تخرج هذه الكتب المخطوطة إلى الجمهور وإلى القراء لكي تبقى مواقفه مقروءة.. مدروسة.. متداولة.

شكراً لك أستاذ ماجد.. ولنا لقاء إن شاء الله.

شكراً لك وأتمنى أن أكون دائماً عند حسن الظن.

محمد بن سعد بن حسين (١)

* قمنا بزيارة إلى دارة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين الباحث والأديب والمفكر المعروف وهو أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وأستاذ منهج الأدب الإسلامي والبحث الأدبي بالدراسات العليا بالكلية.... ولضيفنا الكريم نشاط متعدد ومختلف الجوانب في الصحافة الأدبية على شكل مقالات ودراسات في الدوريات المتخصصة بالإضافة إلى برامج عديدة في الإذاعة السعودية تتصل بالأدب وبالثقافة وبالدراسات القريبة من هذا المجال. باسمكم جميعاً أحيي ضيفنا الكريم وأقدمه لكم تقديماً سريعاً ليس تقديماً شاملاً.. وسأطرق في السؤال الأول... ما يتصل ببدء الحياة الثقافية والأدبية وكيف اتصل بهذه الحياة.. وكيف عرف طريقه إلى القراءة والكتابة والمناشط الأخرى المختلفة... مرحباً بك يا دكتور.

- أهلاً وسهلاً بك يا أخ محمد.

* لعل السؤال الأول يا دكتور وأنت تقدم كل هذا النشاط... وندعو الله أن يزيدك نشاطاً وتدفقاً وأداءً.. كيف تشق طريقك في بيئة يبدو أنها كانت شحيحة عليك وعلى أمثالك من طلاب العلم في وقت مبكر قبل أن تتيسر وسائل الدراسات ووسائل البحث ووسائل طلب العلم؟

- في الواقع إن البيئة التي نشأت فيها لا يمكن أن ينطبق عليها هذا الوصف بأنها شحيحة كل الشح.. لأن الناس في الماضي ما كان يصعب على مثلي أن يجد من يقرأ عليه لأن شؤون الحياة ومشاغلها لم تتسع الاتساع الذي نعيشه الآن... ولم ينشغل الناس كثيراً ولذلك كان من اليسير جداً أن يجد الإنسان من يقرأ له. وأيضاً هناك شيء مهم جداً في حياتي وأحسبه كذلك في حياة كثير من الآخرين سواي.. وهو المسجد كان مصدراً ثقافياً جيداً لنا في بداية حياتنا... ذلك أن أئمة المساجد في تلك الأيام كانوا يعتادون .. كانت لهم عادات جيدة في القراءة على سبيل المثال .. بعد العصر هناك درس يغلب عليه الطابع الوعظي... متصل في جميع أيام السنة... ومن تلك الكتب التي كانوا يقرأون فيها كتاب لطائف المعارف لابن رجب... وأمثال هذا الكتاب... وهذه كتب إلى كونها تضم أحاديث وآيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة هي أيضاً تضم شيئاً من الشعر ومن أقوال السلف الصالح مما هو زاد للمثقف في الواقع.. ثم أنه كان عندهم أيضاً قراءة بعد صلاة... بعد أذان العشاء إلى أن يحين وقت الصلاة عندما يجتمع الناس.. وهذه القراءة تحدد في رمضان بخاصة فتكون هناك قبل الأذان وقراءة بعد الأذان.. وفي الغالب تكون القراءة في

هذه الأوقات في كتب التاريخ وكتب السيرة وكتب التفسير. . . وأحسب هذه من أهم ما يعني. . يتزود به الإنسان فعلاً. . . لأن كتب التاريخ عندنا كما تعلم تضم إلى جانب الأحداث التاريخية. . تضم أدباً وفكراً جيداً في الواقع. . . قد يقال إن في كتب التاريخ والتفسير إلى جانب اشتمالها على كثير من الأحاديث والأخبار والمعاني الجيدة يوجد فيها أشياء من باب الاسرائيليات ومن باب أيضا مادس عن الفكر العربي من الشعوبيين. . هذا صحيح لكن الوعي الثقافي. . . وهذا أمر يجهله كثيرون من أبناء هذا الزمان. . بل وربما يجهله جميع أبناء. . . جميع أبناء هذا الزمان. . . وهو أن الناس حتى العامة صاروا يعرفون هذه الأخبار التي يمكن الاعتماد عليها والتي لا يمكن الاعتماد عليها. . . وذلك لاصغائهم دائماً إلى أقوال العلماء وإلى تفسير العلماء وإلى شرحهم وبيان ماهو حق وبيان ماهو خطأ. . لذلك تجد العامة فيما قبل أربعين سنة أو خمسين سنة. . . تجد عندهم ثقافة دينية. . . وأيضاً استطيع أن أقول ثقافة تراثية جيدة في الواقع. . . . وتجدهم يروون كثيراً من السير والأخبار والأشعار. . . . . أنا منذ صغري عشت في المسجد. . وكان أبي. . . كان عمي عبدالله. . . أبو محمد بن حسين رحمه الله ثم أبي رحمه الله . . . كانا يحرصان على أن أكون في المسجد قبل الأذان دائماً. . . هذا الحرص جعلني أسمع كل ما يقال. . وجعلني أجالس أناساً كباراً في السن في تلك الأيام. . لهم ثقافات جيدة. . . ويعني. . . بلغ من أمر حرصهم على حضوري دائماً في المسجد وملازمتي روضة المسجد أن أولئك الرجال الفضلاء الذين كانت لهم أماكن مخصصة في روضة المسجد بعدما تجاوزت الثانية عشرة من العمر صاروا يتركون لي مكاناً في روضة الصف. . . حتى بعد ما سافرت إلى الرياض. . . لأني أنا سافرت إلى الرياض صغيراً. . . فكنت إذا عدت. . . وكانت عودتنا في تلك الأيام في الغالب تكون في الليل. . . إذا ما جاء الفجر وأتيت وجدت مكاني متروكاً ينتظرني.

* لتعودهم على حضورك طبعاً؟

– لتعودهم على حضوري وأيضاً إلى جانب هذا. . . المكانة الاجتماعية للأسرة.

* ولطالب العلم؟

– طالب العلم. . هذا طبعاً يعني احترام. . احترام طالب العلم عند أسلافنا والأقدمين. . . أنا أتمنى لو أن أهل هذا العصر قبسوا منه ولو يسيراً. . . يجلون طالب العلم ويقدرونه و. . . يعني. . . أحسب أن . . أن في تقديره ما شجع طالب العلم على المزيد من العطاء وعلى المزيد أيضاً من اكتساب المعرفة.

* دكتور. . . ما اسم القرية التي كنت ولدت فيها ونشأت فيها في البدء؟

– القرية هي العودة. . . في إقليم سدير. . . إحدى قرى إقليم سدير.

* تبعد عن الرياض كم كيلو؟

- تبعد عن الرياض ١٥٠ كيلو . . . وهي آخر قرى سدير على وادي الفقي . . ويبدو لي أنها من أقدم قرى اليمامة . . . وفيها آثار لقصور فخمة بنيت قديماً وأدركت أنا بقايا تلك القصور . . . وكنا نجد فيها أشياء من بقايا الأواني وما أشبه ذلك . . ولم نكن ونحن صغار ندرك قيمة تلك الآثار ولذلك ضاع منها الكثير . . . والواقع أني أحسب أن . . . أحسب أنه لو أهتمت إدارة الآثار بالتنقيب في القصرين . . . المسميين بقصر جميز وقصر غيلان لوجدت فيهما كثيراً . . . مثال ذلك البئر التي في القصر بئر ضيقة ولكنها منحوتة في الصخر نحتاً من على وجه الأرض إلى الماء . . منحوتة نحتاً . . . وهذه القرية يبدو لي أنها كانت تسمى جماز . . . وقد ذكرها صاحب صفة جزيرة العرب الهمداني . . قال إن أول ما يليك من قرى وادي الفقي جماز . . طبعاً لم يعد هناك قرية تسمى جماز . . . . هناك قرية من أسفل منها كانت تسمى بمسافر . . . وهي الآن من ضمن المراعي . . . حينما كانت مراعي في تلك الأيام . . . ومن أعلى منها وبجانبها بلدة العودة التي نشأت فيما يبدو بعد جماز . . . ويبدو لي أن نسبة غيلان هنا . . قولهم قصر غيلان . . . يبدو أن ذا الرمة سكنها فترة . . سكن هذا القصر فترة من الزمن . . . لكن المنطقة أقدم بكثير من أيام بني أمية . . . والعمران فيها قديم جداً . . . وهذا ما يجهله كثيرون . . يجهلون العمران القائم في كثير من أنحاء جزيرة العرب ومنها اليمامة . . . فهي منطقة في الواقع معمورة . . . ومنطقة زراعية أيضاً . . . فيها النخيل والحبوب وكل هذا معروف منذ أيام الجاهلية . . . لكن مع ذلك تجد أن التاريخ قد نسي هذه الأشياء ولم يذكر من آثار هذه البلاد ومن مظاهر التحضر فيها إلا ما كان من أم حجر التي أقيمت على مكانها مدينة الرياض الآن . . . أما ماعدا ذلك مثل . . ملهم . . ومثل غيرها من التي ورد لها ذكر في الشعر العربي في الجاهلية فقد نسبت وكانت المنطقة معروفة بنخيلها وبزروعها .

* طيب دكتور . . بعد أن عدت إلى الرياض . . بمن اتصلت من العلماء ومن طلبة العلم! وكيف تعرفت على طريق الأدب وطريق القراءات التي نمّت فيك موهبة الكتابة وربما الشعر فيما بعد . . لأنك أيضاً عرفت شاعراً . . . ولكن طغيان البحث العلمي والأدبي والكتابة النثرية قد غطى على هذه الصفة الشعرية؟

- أولاً . . الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله المفتي والعالم الجليل والرجل الذي نشّأ أجيالاً من العلماء كانت شهرته ذائعة ومنتشرة . . وما كان والدي وعمي يذكرون لي . . . يعني . . . العلماء إلا ويكون اسم الشيخ محمد في المقدمة منهم . . . . وحتى أن والدي كان يصف كل شيء حتى صوت الشيخ محمد . . . تصورته من وصفهما له خطيباً ومتحدثاً . . . و . . . . ولذلك كان من الطبيعي أن أتجه إلى حلقة الشيخ . . . لكن الشيخ محمد بن إبراهيم كانت حلقته . . حلقات درسه

المتصلة في الليل والنهار . . . كانت قد خصصت للذين قطعوا شوطاً من الدراسة. . ومن هنا كان اتجاهي إلي حلقات الشيخ عبداللطيف . . . وهو الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم أخو الشيخ محمد. . . علم في العلم. . . لا يشق له غبار وبخاصة في الفرائض وعلم المواريث. . . وفي كثير من العلوم كان مقدماً رحمه الله. . إلى جانب أن الرجل يتصف بصفات خلقية نادرة جداً من السماحة والبذل وحسن المحاورة وماإلى ذلك . . . فدرست عليه في حلقته التي كانت للمبتدئين في اللغة العربية وفي التوحيد كنا ندرس عليه حاشية. . . كنا ندرس عليه الأجرومية. . . وبعد الأجرومية ندرس ثلاثة الأصول للإمام محمد بن عبدالوهاب وما يتصل بها من مختصرات للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. . . وفي. . . بعدما قطعنا شوطاً. . . ولم يطل بنا هذا الشوط في الواقع. . . التحقت بحلقة الشيخ عبداللطيف بعد المغرب في دراسة الفرائض. . . والتحقت بحلقات الشيخ محمد بن إبراهيم وكانت عامرة في الواقع بعلوم النحو. . . علوم اللغة العربية وبخاصة النحو. . . وعلوم الحديث والفقه والتفسير وما إلى ذلك. . وفي آخر الأيام. . . أحسب ذلك في سنة ١٣٦٨هـ تقريباً صار الشيخ عبداللطيف أيضاً يجلس لطلاب العلم بعد صلاة الظهر في روض المربع شرح الزاد فكنا نقتنص دائماً هذه الجلسات ونحرص على أن لا يفوتنا شيء منها سواء ما كان يقرأ في المتون والمختصرات أو ما كان في المطولات. . . وكان للشيخ محمد بن إبراهيم أيضاً درس عام في المسجد قبيل أذان العشاء وبعد أذان العشاء إلى الصلاة كما هي عادة كثيرين من الأئمة في مساجدهم . . وكان الذي يقرأ عليه الشيخ عبدالعزيز بن شلهوب وكان سريعاً في القراءة ومجوّداً أيضاً ولذلك كان. . يعني. . يقطع مسافات طويلة في القراءة . . فكنا نستفيد كثيراً لأن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله كلما مرت مسألة. . . وكانت القراءة تكون في التاريخ وفي التفسير. . . كلما مرت مسألة يعلق عليها ويشرح . . . وقد . . . يعني يجري سؤال على ألسن طلاب العلم. . فإذا قال أحدهم أحسن الله إليك. . . توقف القارئ. . . وعرف الشيخ أنه يريد أن يسأل. . . كانت كلمة أحسن الله إليك إعلاماً بالاستئذان بالسؤال. . . فيأذن له الشيخ بالسؤال ثم يبسط بعلمه. . . يعني. . ويفيض في المسألة بعلمه الغزير كما هو معروف عنه. . . حتى لا يدع فيها شبهة إطلاقاً. . ثم درست أيضاً على بعض العلماء الآخرين مثل الشيخ سعود بن رشود ومثل الشيخ إبراهيم بن سليمان وهكذا.

* بعد أن تجاوزت المرحلة . . . مرحلة الطلب الأول يادكتور. . . كيف تعرفت على الطريق الأدبي؟

– الطريق الأدبي لم نكن على جهل به في الواقع . . فكما قلت لك سلفاً . . كتب التاريخ وكتب التفسير فيها كثير من الشعر الجاهلي والإسلامي . . . وكنا نسمع هذه الأشعار. . . وقد نحفظ أشياء منها بل كنا نحفظ الكثير من تلك الأشعار التي ترد في البداية والنهاية وفي مروج الذهب للمسعودي

وفي تفسير ابن كثير وابن جرير وأمثال هذه الكتب كانت تشتمل على نصوص أدبية جيدة. . . فكنا على صلة بهذا. . لكن أقدم كتاب . . . يعني. . . أول إتصال بكتاب أدب لأديب من أدباء العصر الحديث. . . أول كتاب في الواقع ولست أدري كيف وصل إليّ . . . . هو كتاب مقالات لأحمد عبدالغفور عطار.

* هذا أول كتاب؟

– أول كتب الأدباء . . أدباء العصر الحديث. . . كان هذا الكتاب . . . وكان عبدالغفور عطار طبعاً كتب ذلك الكتاب في بداية حياته. . . ولم يكن على المستوى الجيد لكنه بالنسبة لنا كان شيئاً جديداً.

* هو أول كتاب للكاتب أيضاً على ما يبدو الآن؟

– أي نعم

* في عام ١٣٥١هـ . . في هذه الحدود تقريباً؟

– لا . . عام ١٣٥١هـ أنا مازلت في الحضانة.

* طيب يا دكتور . . آسف أني تجاوزت في السن قليلاً؟

– الحقيقة أن تاريخ الميلاد عندي هو ١٣٥٢هـ أي نعم.

* بارك الله لك في وقتك . . وفي عمرك يادكتور . . . لكن هذا من كتب الأدب في المملكة العربية السعودية؟

– أي نعم.

* الذي يتبادر إلى الذهن أنك يمكن أن تتخرج من دراساتك الأولى. . . فقيهاً وليس أديباً. . لأن مشوار المعلومات الفقهية والعلمية والدينية طويل جداً في حلقات الدرس وحلقات العلم على خلاف ما تخصصت فيه في المستقبل. . يعني. . درست اللغة العربية والأدب والنقد؟

– لعلمك رشح كثيرون من أمثالي للقضاء وكنت منهم بعد التخرج. . وحين قلت للشيخ محمد بن إبراهيم إني من كلية اللغة. . . وأنا كنت اتجهت إلى كلية اللغة العربية بتأثير من أبي رحمه الله لأنه نفّرني من القضاء. . . فوجدت في كلية اللغة العربية مخرجاً. . . فالشيخ محمد عندما راجعته في الأمر قال أنا لا أريد دراستك في الكلية ولا في المعهد . . أنا أريد دراستك في الحلقة. . لكن الشيخ عبداللطيف ابن إبراهيم . . وهذا أمر يعني. . . خفت فيه سواء في الواقع بعد تخرجي. . الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رحمه الله هو الذي استنقذني من هذا. . . ذهب إلى الشيخ محمد وأقنعه. . . ومن الغد أتاني الخطاب في تعييني . . . بتعييني مدرساً في معهد الرياض العلمي.

* هذا بعد أي مرحلة دراسية؟

– بعد الكلية.

* في عام ٨٣ أو عام ٨٢؟

- في عام ٧٨ . . لكن أنا كنت أعمل . . . كنت أدرس وأنا طالب في أشياء أخرى منها تعليم المكفوفين ومنها مدرسة كنت أنشأتها مع اخواننا . . . ليلية . . . أنشأناها تبرعاً . . . وكنا نحن الطلاب نحن الأساتذة . . . والمدير منا . . والفراش منا . . . نتناوب التدريس والمبصرون يتناوبون الفراشة . . وأذكر كان مديرها الزميل الشيخ عبدالعزيز الخراشي .

* أيضاً كان طالب علم . . . يعني؟

- كان زميلاً لنا .

* وأين تقع في الرياض؟

- كانت في المدرسة المحمدية . . . والمدرسة المحمدية كان موقعها إذ ذاك في حي اسمه حي مليحه وهو الآن في الجزء الغربي الجنوبي من ميدان دخنه .

* من هم أساتذتك يا دكتور في كلية اللغة العربية؟

- كثيرون .

* أبرز هؤلاء الأساتذة؟

- كلهم الحمد لله من البارزين . . . . وحتى في المعهد كان يدرسنا في الواقع . . الذين كانوا يدرسوننا في المعهد كانوا . . . كانوا يؤتى بهم من كليات أو سواء في المعهد أو في دار التوحيد . . يؤتى بهم من كليات الأزهر . . . ويدرسوننا في المراحل الثانوية . . . أما في الكلية فكان منهم من درسنا في المعهد . . . كثيرون منهم درسونا في المعهد . . . منهم السراحين الدكتور عبداللطيف سرحان ومحمد سرحان وعبدالسلام سرحان . . . وإن لم يأت إلاّ سنة .

* هؤلاء إخوة؟

- هؤلاء إخوة وكلهم رحمهم الله . . . من العلماء الأفاضل . . عبدالسلام سرحان هذا كان يعد حاوياً لمعاجم اللغة العربية مع أن تخصصه أدب وليس بلغة .

* ما شاء الله

- لكنه كان عبارة عن معجم شامل لمعاجم اللغة العربية . . . ولذلك أنا كنت أتمنى لو أن الرجل ألف لنا معجماً لماهو أفضل في الاستعمال في اللغة في الواقع لأنه كان لا يفضل إلا الأصح . . لايكفه الصحيح في اللغة .

* ما شاء الله

- ومحمد سرحان كان تخصصه بلاغة . . . وعبداللطيف سرحان تخصصه نحو . . . وهم إخوة ثلاثة رحمهم الله .

* وفي الكلية أيضاً؟

– ودرسونا في الكلية.. نعم .. ماعدا عبدالسلام كان درسنا في المعهد.

* وغيرهم يا دكتور؟

– فيه الشيخ رفعت.. محمد مصطفى رفعت.. وهذا عالم فاضل.. ما أظن أنه برز في علم النحو مثل هذا الرجل... كان إذا شرح لنا الموضوع لا يحتاج بعد شرحه في الغالب إلى أي مذاكرة.. كان يأتي بالضابط.. وإن شئت فسمها القاعدة ثم يصوغها في عبارة سهلة ويقول هذا هو كذا... فإذا اطمأن إلى أنها قد استقرت في أذهاننا قال.. إلاّ.. ثم بدأ يفرع.. وقد.. يعني... رسخت الفكرة في أذهاننا.. ومنهم أيضاً الشيخ الدكتور يوسف عمر... ومنهم أيضاً الشيخ محمد جمعة ومنهم.. جملة... منهم الشيخ عبدالرؤوف اللبدي... وهذا هو ورفعت كان لهما أثر كبير.. فأما رفعت فهذا الرجل ما درسنا فناً إلا وظننا أن هذا الفن هو تخصصه.. ودرّسنا النحو وقلنا هذا تخصصه... وفعلاً هذا هو تخصصة.. ودرسنا... ودرسنا الأدب.. يعني.. تسمع منه وتقول هذا هو تخصصه.. ودرسنا الحديث.. القراءة.... لكن أذكر أني في يوم... من الأيام... نحن كنا نثق بأساتذتنا... ونتفاعل معهم.. ونحرص على الاستفادة منهم في كل شيء... ولذلك.

* هذا شأن طالب العلم يا دكتور؟

– نعم هذا ما يجب أن يكون عليه طالب العلم فعلاً... فأذكر أني أتيت له يوماً من الأيام بقصيدة... وقلت له يا شيخ مارأيك في هذه القصيدة... وأنا كنت قد بذلت فيها جهداً كبيراً جداً ونسجتها على نمط الشعر الجاهلي.

* من البدايات طبعاً؟

– فكنت أظن الرجل سيعجب بها... فلما قرأها قال لي يا إبني إذا كانت... إذا كان شعرك على هذا النمط فالأولى أن تترك الشعر... وفعلاً تركت الشعر... إلى أن جاءت مناسبة في الواقع... ما أدري ما الذي دفعني إلى أن ألقي فيها قصيدة... فوجدت تشجيعاً... جيداً في الواقع... وكوفئت مكافأة... في يومها.. كانت عظيمة .. فعاودت قول الشعر.. وكان ذلك ... وكانت القصيدة التي أعادتني إلى الشعر قصيدة نظمتها حين افتتح الملك سعود رحمه الله مبنى الرئاسة العامة للمعاهد والكليات.. الذي كان بين شارع الملك فيصل رحمه الله وطريق الملك عبدالعزيز رحمه الله الذي هو شارع البطحاء.

* مقر الكلية يعني؟

– مقر الكلية السابق.

* الشريعة؟

- المقر السابق . . . نعم

* خلفها معهد الرياض العلمي؟

- معهد الرياض .. لا . . معهد الرياض لم يكن في الخلف.

* لم يكن . . . جاء في وقت متأخر؟

- لا لا . . هو الأصل . . . معهد الرياض كان يشغل الدور الأرضي والدور الأول . . . والكليتان كانتا في الدور الأعلى . . . أي نعم . . فلما اتسعت الكليتان . . . نقل المعهد إلى مبنى شرق . . شرق هذا المبنى.

* في الخلف؟

- وجهه على شارع . . طريق الملك عبدالعزيز . . وترك المكان للكليتين.

* ووجه كلية الشريعة واللغة أمام . . مقابل مسجد العيد تقريباً؟

- أي نعم . . يعني . . وجهه غربي . . . . نعم . . . فعدت بعدها . . . بعد هذه القصيدة

* لكتابة الشعر؟

- أي نعم . . . لأني أنا أتيت بالقصيدة إلى الشيخ عبداللطيف . . . وكان الافتتاح سيكون غداً والشيخ ينظم للحفل . . . وكان الحفل جيداً في يومه . . فقلت له يا شيخ أنا عندي قصيدة . . . وكان يحبني رحمه الله فقال لي . . لكن كيف ستقرأ القصيدة قلت له سأقرها بطريقة المكفوفين . . فسر بذلك لأن ذلك شيء جديد.

* جديد نعم صحيح

- فكنت يوم إلقاء القصيدة يقول لي . . يقول لي بعض الزملاء إن الملك سعود كان يميل إلى الشيخ محمد رحمهم الله جميعاً ويسأله . . يعني ما هذا؟ وكان الشيخ يشرح له ويقول إن هذه طريقة كذا وكذا.

* جديدة عليهم يعني؟

- أي نعم . . . ولذلك الشيخ عبداللطيف لما نادوني بعد صلاة المغرب لكي آخذ ورقة الجائزة . . وكانت جائزة مالية جيدة جداً في الواقع . . . وهي التي أعادتني . . كان ينادي عبدالله المزاوي ويقول يا عبدالله تعال . . . هذا الذي يقرأ بأصابعه.

* نعم . . . كانت غريبة وجديدة ولكنها أفادت الكثيرين؟

- نعم . . . نعم

* بالمناسبة يا دكتور . . . نعود إلى موضوع إكمال الدراسات العليا . . فكيف طرأت لك فكرة إكمال الدراسات العليا . . . وكيف يعني . . كابدت وجاهدت في سبيل أن تكمل هذا المشوار

الجميل. . . خاصة وأنك تحتاج إلى مقرئ. . كما هي عادة غير المبصرين. . ولكن الله أعانك على ذلك وقرأت كثيراً. . . ويبدو أنك قد رحلت إلى مصر. . لم تأخذ الدراسات هنا؟

– أولاً. . . . الدراسات العليا ماكانت قد وجدت في هذه البلاد. . . والإ ما كنا خرجنا نطلب ذلك في غيرها. . . فمن أجل ذلك طلبنا أن تكون الدراسة خارج البلاد. . ولذلك أبناؤنا الآن محظوظون لأنهم لم يتعبوا مثل ما تعبنا في الارتحال والغربة وما إلى ذلك.

* وهنا يا دكتور. . أكملت تسع سنوات؟

– نعم

* تسع سنوات تقريباً

– ماهي؟

* يعني . . . الهجرة إلى الدراسة . . نسميها؟

– لا لا . . سأقول لك قصتها . . . أنا سجلت للماجستير سنة ٨٢ ولكن ظروفاً حالت دون هذا الأمر و. . ثم جدت لي ظروف أيضاً فتركت الدراسة وتركت النظر في الدراسة. . في سنة ١٣٩٠هـ بدأت أفكر فيها. . لكن كان الأزهر قد فرض نظاماً وهو أن من مضى عليه خمس سنين لا يسجل. . . فقال لي الدكتور عبدالله التركي الله يذكره بالخير ويمد في عمره. . أنظر. . فنحن مازلنا نحاول إلغاء هذا النظام. . فألغي هذا النظام. . . وفي سنة ١٣٩٣هـ أو ٩٢ . . وكنت أدرس في الكلية. . . كلية اللغة العربية. . كنت أدرس فيها وأنا لم أحصل بعد على الماجستير ولا الدكتوراه. . كان هو مدير. . عميد الكلية فقال لي ما رأيك في أن تتم الدراسة وتحصل على الماجستير والدكتوراه. . وكان ذلك قد راقني لأن الطلبة يخاطبونني يا دكتور. . يا دكتور. . وأجد خجلاً من نفسي وإن كنت أنا في الواقع أعرف أن الدكتوراه ليست هي التي تعطي الإنسان العلم.

* القيمة العلمية. . نعم؟

– ويعني. . كثيرون ممن لم يحصلوا حتى على الثانوية كانوا من كبار العلماء وتتلمذ عليهم كبار من يحملون الدكتوراه. . لكن أياً كان. . . كل من حولي دكاترة. . فإذا لماذا أنا أبقى هكذا. . . فصادف هوى في نفسي عرض الدكتور عبدالله التركي. . . . . صادف هوى في نفسي وفعلاً تقدمت من جديد وبدأت . . يعني. . . الدراسة. . وقد طويت المرحلتين والحمد لله. . . الماجستير والدكتوراه في ما يقرب من خمس سنين ونصف. . . الماجستير والدكتوراه معاً.

* ما شاء الله

– أي نعم

* مع أنها في غربة وتحتاج إلى قارئ؟

- والماجستير أيضاً ليست كما هي عندنا الآن . . . الماجستير كانت السنة التمهيدية . . سنتين . . . سنتين .

* كانت سنتين . . يعني . . . السنة التمهيدية؟

- كانت السنوات التمهيدية سنتين . . نعم .

* الآن . . سنة واحدة في الدراسات العليا في المملكة؟

- أي نعم

* والدكتوراه أيضاً لم تكن فيها سنة دراسية أو شيء من هذا القبيل . . كانت بحثاً فقط؟

- لا . . لا بحث فقط

* بحث نعم . . . وأخذت الدكتوراه في عام ٩٨ تقريباً هجرية؟

- نعم

* نعم . . أتذكر ذلك تقريباً يبدو لي؟

- لا . . هو كذلك . . هو كان فيما أتذكر في ٢٣ شوال

* من عام ٩٨؟

- أي نعم

* دكتور . . . الآن بعد هذه الرحلة الطويلة من طلب العلم قدمت إلى المكتبة السعودية والعربية عديداً من المؤلفات في البحث الأدبي والعلمي؟

- الحمد لله . . . أنا طبع لي الأن من الكتب ٣١ أو ٣٢ كتاباً . . وفي المطبعة . . وفي الطريق إليها أيضاً كتب أخرى والحمد لله . . . وكلها في خدمة الفكر التاريخي والأدبي والأماكن والبقاع وأيضاً الحديث الشريف .

* الحديث النبوي الشريف . . . . نعم؟

- أنا كتبت في الأدب الإسلامي . . كتبت كتابين . . وطبعاً منذ سنتين تقريباً اللي هو الأدب الإسلامي عبر العصور . . . . والأدب الإسلامي بين الواقع والتنظير . وكتبت كتاباً عن محمد صلوات الله وسلامه عليه وموقف أهل الكتاب منه ومن الرسالة اسمه الرسالة والرسول . وفي هذه الأيام أيضاً سيخرج من المطبعة بعد يوم أو يومين كتاب من مجلدين اسمه زاد المتقين من كلام سيد المرسلين .

* مختارات من الأحاديث النبوية؟

- أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام كلها خيار فلا نقول فيها أنها مختارات . . لأنه حديث . . . ماصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فكله خيار . . . . لكن هو جمع لجملة من صحيح الأحاديث ولم . . يعني . . أثبت فيه من الأحاديث إلا ما صح وحتى الضعيفة ما أثبته فيه من الحديث الضعيف

إلا قدر يسير جداً في أبواب الوعظ والإرشاد يعني.. وأيضاً كنت أتحرى في هذه الأحاديث الضعيفة أنها... أن تكون بعيدة عن أن تكون قريبة من ميدان الوضع أو ما إلى ذلك.

* وعلقت على بعض الأحاديث؟

- والله كان في نيتي أن أشرح الكتاب ولكن وجدت أن الشرح سيطول.. وأقصد أن الزمن سيطول بإخراج الكتاب... فكتبت مقدمات للموضوعات... مقدمات أرى إن شاء الله فيها شيئاً من الخير والنية قائمة إن شاء الله على كتابة شرح لهذا الكتاب بحول الله.

* لعل الله يبارك في وقتك إن شاء الله وتفعل هذا لأن فيه خير وبركة؟

- إن شاء الله

* الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين.. لازلنا معه في ضيافته في برنامج ضيف الليلة.. وقد استمعنا إلى جزء عن سيرته الذاتية في الواقع... وإلا فالسيرة طويلة فيما يبدو.. والزخم العلمي والبحث وراء المعرفة ووراء الأدب ووراء الكتابة والنشر مسيرة طويلة... ولكننا نتوقف عند بعض الإشارات المهمة في هذه الرحلة العلمية.. دكتور.. ذكرت أجزاءاً من هذه السيرة ولكن يبدو أنك غفلت عن ذكر محطة تتوقع أنها مهمة... الذي أعلمه أنك درست بدار التوحيد في الطائف... ويبدو أنك قد التحقت في دراسة من نوع ما في مكة المكرمة لا أعلمها.. فهل التقيت هناك.... في هاتين المدينتين بأستاذ أو أساتذة دعوك أدبياً؟

أنا دراستي في مكة كانت أشبه بمرحلة قصيرة جداً... درست فيها على الشيخ عبدالرزاق حمزة.

* في المعهد العلمي؟

- لا ... في الحرم المكي... ثم انتقلت إلى دار التوحيد... وفي الحقيقة أنا التقيت أو أخذت من جملة من العلماء منهم الشيخ عبدالمنعم النذر وعبدالسلام سرحان... الدكتور عبدالسلام سرحان... الدكتور محمد الطيب النجار والشيخ علي كرسون.. وتستطيع القول إن عبدالسلام سرحان وعلي كرسون وعبدالرؤوف اللبدي... عبدالرؤوف اللبدي من أساتذة كلية اللغة العربية.. درست عليه في كلية اللغة العربية... عبدالسلام سرحان وعلي كرسون في دار التوحيد... هؤلاء الثلاثة هم الذين كان لهم أثر كبير في الواقع في إثارة الميل الأدبي عندي في الواقع... ولذلك قصص طويلة أنا متأكد أن هذا المقام لا يتسع لها.. يعني.. فيها شيء من عنف الأب وانقياد التلميذ وحرصه على امتثال أمر الأب.. أشياء قد تتاح الفرصة للحديث عنها.. وأنا على فكرة عندي مشروع كتاب اسمه من حديث الشيوخ أحصيت من شيوخي خمسة وأربعين عالماً... سيضم تراجمهم كتاب إن شاء الله أقضي به شيئاً من حق هؤلاء الأدباء الفضلاء عليّ.

* تفعل خيراً كثيراً؟

- إن شاء الله

* الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين متواجد في الساحة الثقافية بشكل طيب جداً... ولكن هذا التواجد هل نتوقع أنه .. يعني يرضي ذائقة المحدثين من الشباب بالذات.. الأدباء؟

- أنا الذي أتمناه لشبابنا أن يكونوا على صلة بأسلافهم ومن هم أقدم صلة بالعلم والفكر فذلك خير للجميع.. نحن نستفيد من أبنائنا ولكن نريد أيضاً أن يستفيدوا منا فلدينا الكثير مما هم في حاجة إليه... هل يعجب ما أقول الشباب أو لا يعجبهم؟ وهل يعجب الشيوخ أولا يعجب؟ هذا شيء آخر... إنما أنا يكفيني أني .. يعني.. أولاً راضٍ عما أقدم .. هذه ناحية... الناحية الأخرى أن هذا الرضى منطلقه أني أحس بأني أسهم في خدمة مجتمعنا وفي خدمة فكر أمتنا وفي خدمة ثوابتنا التي كثيراً ما غمزت بتكرار... بالتأكيد والتكرار على طلب المحافظة على هذه الثوابت.

* ومن هذا المنطلق قد يتهمك بعضهم يا دكتور بأنك تميل إلى التقليدية وأنك لا تنصف هؤلاء الأدباء الشباب وتضعهم في محلهم من التقدير والثناء؟

-أما أني لا أضع الشباب في مكانهم من التقدير والثناء فأنا لم أقل إن هذا الذي يظن كاذب لكن أطلب من الشباب أنفسهم أن يرجعوا إلى ما أكتب وما يذاع عن مؤلفاتهم وعن كتبهم وعن دواوينهم وما أنشر في الصحف عنها .. وبعد ذلك إذا نظروا إلى ما أقول ليحكم... عليهم أن يحكموا بعد ذلك أقوالي في صفهم وفي صالحهم أم لا... وأنا مطمئن إلى أن الجواب نعم والحمد لله وأن .. أني أتهم بميلي للتراث فهذه تهمة أنا أسرّ بها.. أسر بها جداً لأني أولاً والحمد لله على صلة قوية بالحديث... ويعني أحمد الله على ما أوليته من معرفة في هذا المجال.. وأحمد الله أيضاً على أني على صلة قوية أيضاً بالتراث الذي أعتز به وأعتد به وأستفيد منه ومازلت أستفيد منه إلى الآن منه ومن الحديث أيضاً.. ولكن.. يعني .. هناك حديث لطه حسين تحدث فيه عن الذين يصرفون النظر عن التراث وقال إن التراث جزء من شخصيتنا ... فهل نستطيع أن نستغني عن شخصيتنا وهل نستطيع أن نبتر تاريخنا وذاتنا من القديم ونقف على الجديد وحسب... ويعني.. لام الذين يقولون هذا القول.. وقال إنه إذا كان الحفاظ على التراث وعلى القرآن الكريم والسنة المطهرة والتراث العربي.. إذا كان رجعية... فيشهد الناس أنه رجعي.. أي نعم.

* شكراً لضيفنا الكريم الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض... وأستاذ منهج الأدب الإسلامي والبحث الأدبي بالدراسات العليا بالكلية والباحث والأديب المعروف... شكراً ومتعك الله بالصحة والعافية وزادك الله نشاطاً لكي تمد المكتبة السعودية والعربية بالمزيد .. شكراً

- أهلاً ومرحباً.. وفقنا الله وإياك وإخواننا إلى ما فيه الخير.

محمد بن سعد بن حسين (٢)

هذا الحوار محاولة لاستجلاء آراء الناقد الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في ظاهرات الحياة الأدبية لدينا، وما يتردد فيها من تنظير نقدي وما يتبادله الكتاب والدارسون من مقولات حول الجديد والقديم، والتأصيل لما يمطره العقل الحديث من رؤى متميزة في الأدب والفكر عربياً وعالمياً . . ود. ابن حسين قدّم لأدبنا وثقافتنا دراسات وأبحاثاً عديدة كشفت شيئاً من وجه هذا الأدب، وأسفرت عن حقائق يتضمنها، أو نفت شبهاً علقت به، وهو إلى ذلك يخرج باحثين ودارسين في الرسائل العلمية بإشرافه عليهم، وعنايته أكاديمياً بأبحاثهم.

وللدكتور آراء عديدة في كل ما يدور في الساحة الأدبية، يحجم عن قول بعضها ابتعاداً عن الصدام والعنف النقدي ويطلق بعضها بين حين وحين في أسلوب لين سهل لا يغضب ولا يحدث طنيناً فهو حتى في آرائه الانطباعية النقدية منهجي، لا يستطيع الخروج من رداء الدرس العلمي، لم يقل كل شيء ولكنه قال عناوين عريضة يُفهم منها الكثير.

* د. محمد أنت تدرس منهج الأدب الإسلامي في الدراسات العليا، والأدب السعودي في الليسانس فكيف ذلك. . . وأنت متقاعد؟ ولماذا تقاعدت؟

– أولاً تقاعدي لإكمالي أربعين سنة في الخدمة، أما استمراري في العمل في الكلية، أستاذاً لمنهج الأدب الإسلامي في الدراسات العليا، والأدب السعودي في الليسانس فليس ببدع أن يستمر الأستاذ مادام قادراً على العطاء، بل إن ذلك هو ما يجب أن يكون فعلاً، ثم إن استمراري في الواقع جاء تلبية لرغبة الجامعة والكلية.

لست ضد الأدب الإسلامي

* يشيع كثيرون أنك ضد الأدب الإسلامي وأنت تدرس منهجه، فكيف هذا؟

– الواقع أن هذه الاشاعة قابلني بها طلابي قبل غيرهم، لأني قد عودت أبنائي على مصارحتي بكل شيء فكان هذا السؤال مما وجه إلي في الدراسات العليا في الليسانس ويقيني أن منشأ هذا الاستفهام هو سوء الفهم لمفهوم الأدب الإسلامي، وإلا فمن المعلوم أني كنت عضواً في ندوة الأدب الإسلامي، التي أقامتها كلية اللغة العربية بالرياض، كما أني كتبت في هذا الميدان أكثر من مؤلف. منها على سبيل المثال المدائح النبوية بن المعتدلين والغلاة، وعن شعراء الإسلام. والالتزام الإسلامي في الأدب، ثم الشعر الصوفي – تحت الطبع– والذي سيغشى الأسواق قريباً، ثم الأدب الإسلامي بين الواقع والتنظير، وهو ثمرة بعض المحاضرات التي ألقيتها على أبنائي في الدراسات

العليا، في هذا الفصل الأخير فكيف يُقال بعد ذلك، عمن يُقدم مثل هذه الأعمال أنه ضد الأدب الإسلامي. وللعلم لم أذكر لك البحوث والمقالات الكثيرة التي نشرت في الصحف والمجلات، وإنما ذكرت لك الكتب.

أين هو الأدب الإسلامي؟

* هل يوجد ثمة ما يُسمى بـ «الأدب الإسلامي» وكيف تقيم وجهة نظر المعارضين له ولأعضاء رابطته؟

– نعم وهذا لا ينكره إلا جاهل، فأدبنا العربي منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وهو أدب إسلامي. قد يعتري بعض نصوصه شيء من الانحراف، وشأن ذلك كشأن ما يحدث في الفنون الأخرى، وإنما اشتهر الشعر بذلك لكونه أمكن في الألسن، وأسير وأقرب إلى الأذهان، أما ما عداه فيمر دون أن يلتفت إليه في الغالب.

إن لرجال كل علم هفوات كهفوات الشعراء فهل نقول عن ذلك العلوم إنها ليست إسلامية؟! أظن أنه لا يقول بمثل هذا عاقل، وعلى أي حال فإني أرجو أن يكون جلاء هذه القضية في الكتيب الذي سينشر قريباً وهو «الأدب الإسلامي بين الواقع والتنظير».

هل أنت تقليدي

* يقال إنك تميل إلى القديم، وإنك «تقليدي» في الدرس، وفي الكتابة؟

– أما أني أميل إلى القديم فشيء أعتز به وأما أني تقليدي فإذا كانت المحافظة على القديم والاعتداد به تقليدية فإني أقول إني أعتز بتقليديتي، بل وإن شئت فرجعيتي على حد تعبير طه حسين، إني أعرف جيداً أن الذين يقولون هذا القول غير صادقين مع أنفسهم، ولكنهم يريدون التحرش. وما عودت نفسي على الاستجابة لمثل هذا.

لست ضد الحداثة

* كيف تفسر وقوفك أمام تيار الحداثة. وميلك إلى اتهامها بكل المقذعات؟

– يبدو لي أن موقفي هذا لم يُفهم، والذين أساؤوا فهمه هم الذين لم يفهموا معنى «الحداثة» عند أربابها، إن الحداثة مضمون مفهومه نسف جميع الثوابت، ومادامت هذه هي الحداثة فأنا أرفضها، وأربأ بإخواننا وأبنائنا عن طرق هذا الميدان. على أن بعضاً من الناس يخلط بين الحداثة والتجديد في الأشكال الأدبية فيجعلون شعر التفعيلة وما أشبهه من باب الحداثة، وليس منها في شيء وإنما ذلك محاولة تجديدية في ميدان الشكل الشعري، وهي محاولة إذا نجحت فستكون إضافة جيدة وممتازة في ميدان الشكل الشعري عندنا.

لست تاجراً.

* هل أنت تاجر كتب؟! وهل تجارة الكتب تُغني؟ وهل لديك رصيد جيد منها في سبيله إلى النشر؟

– أتمنى أن أكون تاجر كتب، فالعمل في ميدان الكتاب محبوب. وأسأل من اتجروا في ذلك والواقع أن ما نشرته الآن اثنان وعشرون كتاباً وينام في الأضابير أكثر من ذلك بكثير، فلعلي أكون تاجر كتب لأنشرها كلها.

الجديد في الأدب

* القصيدة الحديثة... وأسلوب القصة الجديد، والنمط المقالي الأدبي المتخفف من قيود السبك القديم، كيف تراها؟

– كل عمل أدبي لم يخرج على نظام لغة العرب، فهو مقبول عندي، هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون فكل عمل لم يتضمن هدماً للثوابت، أو تدنيساً لها فهو مقبول، بشرط أن يكون مفهوماً، لأني لست على استعداد لقبول غير المعقول أو كما يسمونه «اللامعقول».

الناقد والمبدع

* هل الناقد مبدع فاشل؟

– لست أدري كيف يصدر منك مثل هذا السؤال وأنت أعلم بواقع الناقد والمبدع، إلا إذا كنت تريد التهويش فهذا شيء آخر، وإلا فمن يقول إن الناقد غير مبدع، فضلاً عن وصفه بالفشل في هذا الميدان، ربما كان هذا السؤال نفثة من بعض الفاشلين أو الذين لم يفهموا مهمة الناقد فآلمهم نقده، فأرادوا إيذاءه.

* وأيهما أسبق النقد، أم الإبداع؟

– لست أدري كيف يصدر منك هذا السؤال، الناقد لا يقنن إلا بعد الممارسة، والممارسة لا تكون إلا بوجود العمل الإبداعي، وإذن فمن الطبيعي أن يتقدم الإبداع النقد.

النقد المدرسي أكاديمياً

* يتصف بعض النقد الأكاديمي بأنه مدرسي معلب، فهل تنجو من هذا؟

– مسكين هذا الأكاديمي، مرة تصفونه بأنه متحجر، ومرة بأنه ناقد مدرسي، وأخرى بأنه حفار قبور، وهكذا إن الرجل الأكاديمي رجل يلتزم حدود المعرفة العلمية. ويتعامل مع النص بهذا الالتزام، فلا يدع الأمور الأخرى تفسد عليه أمره بمداخلاتها، ومن أجل ذلك قيل عنه هذا القول، إن صح أنه قد قيل.

النقد الانطباعي والأكاديمي

* وأينك من اللونين النقديين الانطباعي والأكاديمي؟

– لا تناقض بين الشخصيتين في الواقع، لأن الناقد الناجح فيما أرى هو الذي لا يحصر نفسه في حال النقد داخل مذهب أو إطار معين، بل يترك لمعارفه وتجاربه وانطباعاته فرصتها لتقول وجه الحق فيما تراه.

عوائق البحث

* ماهي عوائق البحث العلمي النقدي لدينا؟ وهل خدم أدبنا دراسة وكشفاً؟

– الواقع أن الذي جرب البحث في سنين مضت ثم في هذا الزمان لا يجد أي عائق في هذه الأيام بالذات، فكل تلك العوائق التي تقف أمام الباحث ذللت، فالعائق الوحيد فيما أرى هو ضعف العزيمة، وإذا كنت تعني الأدب السعودي، وأظنك كذلك، فإنه قد خدم، في الميادين الأكاديمية والإعلامية، ميادين النشر، ولكنه لا يزال في حاجة إلي المزيد من الخدمة، لأن ما بذل في خدمته جاء متأخراً، ولذا نجد صدى ذلك عند إخواننا في البلاد العربية الأخرى ضعيفاً. وهذا قد يجرنا إلى حديث آخر لا يتسع المجال له، وهو من المسؤول عن عدم انتشار الكتاب السعودي في البلاد العربية الأخرى، أهو المؤلف أم دار النشر، أم من؟ هذا حديث ربما جاءت له فرصة أخرى إن شاء الله.

جيل بلا أساتذة

* ما الذي يقلق نفسيتك في أدبنا؟، وهل ثمة جيل بلا أساتذة؟ أو أساتذة بلا تلاميذ؟

– اتباع الناعقين. الواقع اني أذكر أنا كنا حراصاً على التتلمذ على شيوخنا، وعلى صحبتهم مدى الحياة، وأذكر أني وأنا أعمل في التدريس كنت إذا وجدت فرصة ليست عندي فيها محاضرة أذهب إلى حيث يكون أستاذي، فأجلس مع الطلبة لأستمع إليه وأستفيد منه، ولذلك فمشكلة شباب اليوم أنهم يريدون أن يكونوا أساتذة قبل أن يتتلمذوا وأنا أتمنى أن يتم لهم ذلك، ولكن كيف؟!

النقاد العرب

* ما رأيك في الدرس النقدي الذي يقدمه بعض الإخوة العرب للأعمال الإبداعية السعودية... هل هو مُقنع؟

– يذكرني هذا قولاً لطه حسين تحدث فيه عن بعض الأعمال الأدبية فوصفها بأوراق التسول في سوق الأدب.

مجلاتنا

* إذا قارنا حركة النشر في المجلات والدوريات الخاصة بالثقافة في المملكة ببعض أقطار الوطن العربي وجدنا ضعفاً هنا في هذا المجال لا يتفق ومكانة المملكة ثقافياً وتاريخياً؟

– أظن أن هذا قول مبالغ فيه، فحظ مجلاتنا وصحافتنا بشكل عام من الأدب الرفيع كحظ ما لدى

إخواننا إن لم نفقهم في هذا الزمن الأخير. وهذا يذكرني بالتهم التي يُتهم بها أدبنا بشكل عام، يجب أن نكون واقعيين عن صحافتنا أو أدبنا، بل وعن أي مجال من مجالات حياتنا، فالواقعية خير ما يمكن سلكه في استمرار نشاط الحياة، بل وازدياد هذا النشاط، ويقيني أن الإبداع له مجال رحب في مجلاتنا، ونرجو أن يتسع مجاله في صحفنا لأن الضغط على مساحته في الصحف قلصه إلى حد ما.

واقع النقد

* أخيراً ما واقع النقد لدينا.. بين المنهجية والانفعال وصراع التيارين القديم والجديد؟

– مما يُمنى به النقد الأدبي اقتحام الأهواء والميول الشخصية ميدانه، وعندي أن من يسمح للأهواء والميول الشخصية بالنفاذ إلى نقده ناقد فاشل أو غير منصف لتنازله عن خاصية الناقد، وهي التجرد والاعتدال، وطبيعي ألا يخلو حديث الإنسان من نفس شخصي، ولكن يجب ألا يكون على صورة تفسد عملية النقد، كما يجب ألا يُسمح لذلك بالنفاذ، فإذا غافلت نفس الناقد منهجه فإن ذلك أشبه بالخطأ والنسيان. وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم «غفر لأمتي الخطأ والنسيان» الحديث.

إن الناقد يجب أن يطلب التجرد والإنصاف، والتعامل مع النص الأدبي دون النظر إلى صانعي هذا النص، إذ أنه ما الذي يعنينا من أمر صانع النص، كل ما يعنينا هو هذا النص، ولا شيء بعد هذا.

قد تعين المعرفة الشخصية على فهم النص، لكن كثيراً ما كانت طريق إفساد.

وأتمنى لو استطعنا أن نحفظ توازننا ونحن نسير بأدبنا إلى حيث نريد له من تقدم وازدهار لأننا لا نستطيع أن ننفك عن القديم كما أننا لانستطيع الصد عن الجديد.

طلب الجديد مع اصطحاب القديم هو السبيل الأمثل، وبخاصة في أمتنا التي قام حاضرها على ثوابت رسخت في ماضيها. وهذه الثوابت في الشكل والمضمون معاً، وهذا ما يجب أن يلحظه كل طالب جديد وكل مصطحب للقديم فلا قديم ينفع ولا جديد وحده يصلح.

محمد بن سعد بن حسين (٣)

الحديث في الأدب السعودي لن يحيط به لقاء مثل هذا الذي يُتاح مع علم من أعلام الفكر والأدب لكي يشير إلى مواطن الازدهار ومواطن الضعف في مسارنا الأدبي... لذلك اكتفيت في هذا اللقاء بإسقاط جميع الاستفهامات عن كل شيء سوى الشعر!!

* يُتهم الشعر السعودي بأنه نشأ تقليدياً، ولم يستطع التخلص من هذا التقليد إلا في النزر اليسير... مارأيك؟

- أولاً، مسألة التقليد... كل أدب أياً كان شعراً أو نثراً لابد فيه من تقليد في بداية الأمر، ونستطيع أن نقول إن الحياة كلها لا بد فيها من تقليد، وما من جديد إلا وقام على تقليد... إنما القول: بأن الأدب السعودي لم يتخلص من التقليد، هذا قول مجحف لأنه في الواقع صدر عن أمرين، أو يمكن أن أقول هما رأيان قال بهما بعض الناس، الأول هذا الاتهام الذي أوردت، وهو قول باطل كما تعلم، لأن من يقرأ الشعر السعودي يجد فيه كثيراً من مظاهر الجدة، سواء في الشكل أو في المضمون.

والقول الثاني: إن الشعر السعودي تقليد للشعر في البلاد العربية الأخرى، وهذا قال به أكثر من باحث سعودي مع الأسف، ودائماً يعزون كل جديد عند الشعراء السعوديين إلى الأخذ عن أدباء المهجر والشام ومصر... وقد ذكرتُ في أكثر من مناسبة أن هذا قول باطل، فليس من الضروري إذا التقى شاعران مثلاً على فكرة أو على أمر ما أو نحو ذلك، فلا يعني هذا أن أحدهما أخذ عن الآخر، وإذا كان ذلك مبتكراً فلماذا لا يكون هذا مبتكراً أيضاً؟ وأرجح أن يكون هذا من توارد الخواطر كما يسميه الأقدمون، وأنا لا أنكر أن هناك تقليداً لبعض شعراء المهجر، وبعض الأدباء الآخرين، ولكنه قليل عند بعض الشعراء، ولكن الذي جعل هذا الرأي ينتشر لدى الباحثين من سعوديين وغيرهم هو في الواقع أن بعض الرواد مثل طه حسين وصلاح اللبكي وأمثالهما قالوا عما قرأوه من الأدب السعودي إنه تقليد... وإذا أردت أن تطلع على شيء مما قالوه فإنك واجد هذا في مقدمة ديوان «محروم» للأمير عبدالله الفيصل.

من هنا نجد أن الباحثين اتكأوا على هذه النقطة، مثلاً طه حسين يقول: إن عبدالله الفيصل تأثر بالمصريين إبراهيم ناجي وعلى محمود طه وأمثالهما، واللبكي يقول: إن عبدالله الفيصل تأثر باللبنانيين والشاميين وأدباء المهجر... وهكذا... فشاع هذا الرأي إما ارتياحاً إلى قول طه حسين واللبكي أو تقليداً له... ويؤسفني جداً أن تحوي بعض الكتب وبخاصة الأطروحات أن تحوي

مثل هذه الفكرة، يعني أنهم جعلوه مسخاً ماهو إلا صورة لشعر الشعراء العرب في المهجر والشام ومصر.

* هل معنى هذا أن شعرنا استطاع تجاوز مرحلة التقليد إلى الإبداع .. أم أن القصيدة لا زالت تُحاك على النهج المقلّد لا تكاد تخرج منه إلى سواه؟

- شعراؤنا ينقسمون إلى قسمين: مجددون ومقلدون.. وهؤلاء الذين تشير إلى شعرهم إنما هم امتداد لفترة التقليد في الشكل، ولكن في مضامينهم حيناً تجديد، لكنه لا يتجاوز مناسبة أو ما شابهها... ولا أخفي عليك أنني أقرأ لبعض هؤلاء فألمس اعتسافاً بيناً للكلمات، وإكراهاً لها حيناً على مواطنها في الكلام... ولعل هذا هو الذي جعل شعر هؤلاء أبعد من أفكار القراء الشباب... إنما لو عُني هؤلاء بأشكالهم، وبالذات موقع الكلمة من العبارة، وائتلاف العبارات على نحو لا يكون الإكراه فيه ظاهراً لكان أجمل، ولذلك يعروني حيناً شك في طبع هؤلاء وأحمل شعر جملة منهم على أنه شعر تصنع لا صنعة.

* إذن متى برزت شخصية الأدب السعودي على شكل يمثل البيئة السعودية؟

- الواقع أن المملكة كما تعلم لم توحد إلا على يد المغفور له الملك عبدالعزيز في عام ١٣٥١هـ وحين وُحدت البلاد بأجزائها الشاسعة وحُدت مصادر ثقافتها، ومن قبل كانت المصادر مفرقة لعدم اتحاد البلاد على وجه العموم هذه ناحية أخرى، ربما اتصالها بالتاريخ أو ثق ولكن دائماً التاريخ يؤثر في الأدب... وما قبل توحيد البلاد وحكم الملك عبدالعزيز كانت جميع أجزاء البلاد بعيدة عن مصادر الثقافة ماعدا الحجاز فالحجاز كان على صلة وثيقة بالعالم العربي والإسلامي عن طريق الحجاج، واتصال الحجازيين بالخارج كان على شكل رحلات الحجازيين إلى البلاد الأخرى، ومن هنا كانت صلاتهم بالعالم العربي والإسلامي قوية... فتأثروا بما كانوا في تلك البلاد في وقت مبكر قبل المناطق الأخرى في الجنوب والشمال والوسط.

وأما المنطقة الشرقية فقد كانت لها صلات بالهند، ولكن لم تكن لها صلات بمصادر الثقافة في البلاد العربية وكانت الثقافة الإسلامية وبخاصة في ميدان الأدب في البلاد الإسلامية غير العربية كانت تشبه ما يعرفه سكان هذه البلاد الساحل الشرقي من جزيرة العرب، إن لم يكونوا أقل منهم معرفة بالأدب من هنا لم يظهر التأثر والتأثير في الأدب السعودي بوجه عام إلا بعد منتصف هذا القرن أي بعد توحيد المملكة.

* الخطي... الأسكوبي... البيتي... الأشرم... هذه الأسماء ماذا تعني في الشعر السعودي؟

-هذه تعني حركة انتقالية في الشعر السعودي من فترة جمود إلى فترة هي مفتاح أو بوابة التجديد.

* مارأيك في هذه المقولة التي أذيعت هذه الأيام.. لو اتجه شعراء النهضة الحديثة إلى أدبنا القديم الذي يمثله الخطي والبيتي والأسكوبي لقطعنا خطوات في الإبداع أفضل مما وصل إليه شعراء اليوم؟

– أحمل قول هذا القائل على أنه يريد أن الشعراء لو اتجهوا في أشكالهم الأدبية الموروثة بما فيها فصاحة الكلمة والعبارة لكان أسلم، أما المضمون، أما الصورة الأدبية والأفكار والمعاني فما إخاله يقصد هذا... وإلا لكان رجوعاً إلى أيام الانحطاط الشعري... والإقليمية بعد هذا مسألة فيها نظر... صحيح أن لكل بيئة آثارها فيما يتصل بالمضمون وقد يكون لها آثار في الشكل أيضاً، وبخاصة الكلمة.... أما المضمون، فالاختلاف فيه واضح، لكن مما يؤسف له أن بعض المضامين المحرفة والهدامة وجدت طريقها إلى بعض أقلام كتابنا.

* حركة البعث الشعري لدى الشباب اليوم ... هل يمكن قياسها بحركة الشباب في الأربعينات والخمسينات من ناحية الثورة على التقليد.. وأعني بشباب الأربعينات والخمسينات أمثال العواد والعطار وحسين عرب وحمزة شحاته وغيرهم؟

– الواقع .. أنا أرتاح كثيراً لشيوع الحماسة الأدبية في الشباب.. ولكن هذه الحماسة في شباب اليوم وجهت أو اتجهت – لا أدري– وجهة غير سليمة في جملتها لا تفصيلاً، ولو أنها اتجهت اتجاهاً مسدداً لأتت بالعجب، ولذلك لا نستطيع أبداً أن نقيس حركة الشباب اليوم بما كان على يد الرواد الأوائل من أمثال العواد وحسين عرب وإبراهيم فودة وأمثالهم... لأن أولئك نهضوا بالشعر ونقلوه من التقليد إلى ميدان التجديد الذي يخبط خبط عشواء، والتجديد ليس معناه مخالفة القديم وحسب، بل معناه الإتيان بما من شأنه إنهاض الأدب من كبوته سواء استصحب القديم في تجديده، أو جانب ما لا يلائم التجديد من مظاهر القديم.

* الموازنة بين الشكل والمضمون في قصيدة الشعر الحر مختلة، فكفة الشكل تشيل دائماً بكفة المضمون ... ما رأيك؟

– شعراؤنا الذين يدعون التجديد عنوا بالخروج على الأشكال العربية، إلى جانب إفراطهم في هذا انقبضت أقلامهم عن المضمون، وربما كانت مضامينهم في كثير من الأحيان هزيلة، والخروج على الأشكال العربية لا يُعتبر تجديداً إلا إذ كان خروجاً مشروطاً بإحلال محل هذه الأشكال أشكالاً ملائمة تحفظ لنا التميز الكياني لكل فن من فنون الأدب، لأن الأشكال إذا اختلطت في الفنون العربية لم يكن هناك مميز بين هذا وذاك، والغالب أن المميز هو الشكل، لأن المضامين تلتقي فيها القصيدة والقصة والرواية والرسالة الأدبية والمقالة وغير ذلك، والذي يميز لنا الفرق بين هذه الفنون الأدبية هي الأشكال فأنا أقبل أي شكل بشرط أن يوفر أولاً لنا التمييز الكياني للفن

الأدبي، والثاني: ألا يكون هذا الخروج على فصاحة الكلمة والتركيب والعبارة عن الفن الأدبي أما إذا خرج عن الفصاحة إلى العامية فهو مرفوض وإن بلغ القمة.

* ألا ترى أن التجديد في الشكل يتبعه تجديد في المضمون، كما تقول د. نازك الملائكة «الشكل والمضمون وجهان لعملة واحدة»؟

- التجديد في الشكل لايلزم تجديداً في المضمون... لأن المضمون شيء والشكل شيء، وهما مختلفان ولكن غير متعارضين.. ويمكن أن تقول إن التجديد في الشكل تجديد في الصورة ولكن الصورة في واقع أمرها هي التي لها وجهان.. وجه مضمون ووجه شكل... والتجديد في الشكل قد يجدد في الصورة فقط، أو ما يتصل من الصورة بالشكل.

* تصورك لمستقبل القصيدة لدى شباب اليوم... هل ستتبلور إلى شكل أحسن مما هو عليه الآن، أم ستثبت، أم ستأخذ من التراث بشيء يسير؟

- رأيي في التجديد يختلف عما أومأت إليه، والذي أرجوه من الله تعالى أن يوفق أبناءنا إلى الاتجاه السليم الذي يخدم أمتنا ولغتنا ومجتمعنا المحافظ على أصالته، وفي شبابنا اليوم خامات جيدة لكنها تُستغل على وجه غير مرض، وعسى أن تستخدم في المجالات المجدية التي تحافظ على ما يميزنا كأمة ذات تميز، وأيضاً يميز فنوننا، لأني قلت لك: كل فن من فنوننا له تميّز كياني، وهذا يأتي من خلال الشكل.. فأي تجديد يهدم هذا التميز فأنا أرفضه.

مهما بلغ التجديد في أي شكل فلن تذوب الفواصل بين القصيدة والقصة مثلاً، حتى لو صارت القصيدة نثراً لن تقرأ على أنها قصة؟!

* ولكن إذا كانت القصيدة نثراً هذا لايعني أن النثر سيكون شعراً!

- مادمتم تريدون أن يكون النثر شعراً فلا جناح عليكم إن جعلتم الشعر نثراً.

* ليس هذا ما أريد يا دكتور... إنما أريد أن القصيدة الحديثة مهما توزعت وأصبحت تشبه المنثور، لكنها تحتفظ بطابعها الموسيقي الناتج عن نغمات التفعيلة، بالإضافة إلى الترابط الداخلي، وتحمل روحاً جديدة شاعرية، أصبحت نثراً!!

- على أي حال في تراثنا العربي من النثر الذي يحمل خصائص الشعر الحر والمنثور، فإذا شئتم أن نسميه شعراً فسموه، وعليكم أن تسموا «أسواق الذهب» و«الوجديات» لمحمد فريد وجدي شعراً!! وسترى فيها الروح الشاعرية بارزة... وبلا شك هي أقوى بكثير مما هو موجود في أعلى نماذج الشعر المنثور.

* النقد الأدبي هل كان مسايراً للنهضة الأدبية الحديثة في بداية نهضة الشعر السعودي... وهل كان له دور في تحديث القصيدة السعودية؟

– لم يبرز في الأدب السعودي ناقد جاد إلى الآن. . . فيما قبل عام ١٣٧٥هـ صدر كتيب اسمه «المرصاد» للمرحوم إبراهيم الفلالي. . هذا الكتيب سمعت به واجتهدت في الحصول عليه، فلما وجدته رددت المثل العربي «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» ولكن مع هذا لا نستطيع إلا أن نقول إنه أسهم في حركة التجديد في الشعر، مع ما لنا عليه من استدراكات، وربما قرأتموها مستقبلاً. . . أما النقد عندنا هذه الأيام فجله صار مهاترات ومشاتمات ليس إلا.

* الملاحظ في الدراسات النقدية ضعف حظ الشعر السعودي على مستوى الآداب العربية من النقد مع أن لدينا شعراء متمكنين من فنهم موضوعاً وأداء؟

– السبب هو سوء توزيع الكتاب السعودي، وندرة وصوله إلى أيدي الباحثين خارج الجزيرة، ومن أجل هذه المسألة تبنيت برنامج «من المكتبة السعودية» الذي يذاع من الإذاعة السعودية. . . والسبب في سوء التوزيع، ضعف دور النشر، وقلة إمكانياتها، ومنافسة الدور الأجنبية لها. . . ويقيني أن الكتاب السعودي بدأ يأخذ دوره، فالدكتور عبدالقادر القط تناول بعض النصوص لغازي القصيبي ولغيره، مثلما تناول باحث آخر ديوان محروم للأمير الشاعر عبدالله الفيصل.

محمد بن عمر بن عقيل الظاهري (١)

أبو عبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري اختفى لفترة طويلة عن إمداد الساحة الثقافية بكتاباته، ومقالاته وبرامجه. ويدور أكثر من سؤال حول هذا الاختفاء.. هل هو عزوف عن النشر مع بداية تحول جديد لدى هذا الرجل المملوء بالعاطفة والإحساس الفني المرهف -أم هو اتهام للمتواجدين الآن على نواصي الزوايا الصحفية ... والمشرفين على مسيرة الأدب، والمدعين لموضات الحداثة، والاشراق العصري الجديد في قوالب القصيدة ومضامينها.

أبوعبدالرحمن كشف في هذا اللقاء بدايات توجهه إلى أبي محمد بن حزم، ثم ما أعقب هذا الإعجاب من ولع بالظاهرية كمذهب فكري يدخل ضمن دائرة نشاط العقل الإسلامي.. وقال أشياء عن مضايقة «عوام المثقفين» وغوغائيي الناس لمن يطلب الحقيقة لذاتها دون ارتداء قناعات هشة! سألته عن البدايات:

* أين وصل نجاح المذهب الظاهري في ميزان تقبل المريدين والرافضين؟

- لا أستطيع الآن ولا غيري أن يحدد ميزان المذهب الظاهري بين المذاهب الفقهية الإسلامية، لأن التمذهب الآن تمذهب اضطراري لا اختيارياً، فكل طالب علم متمذهب للمذهب الفقهي السائد في بلده، لذا هو المذهب الرسمي للدولة... أو ستذهب للفقه السائد في الجامعة التي يدرس بها.

وإنما أجد ميزاناً للمذهب الظاهري عند فئتين من الناس:

الفئة الأولى:

فئة المثقفين من ذوي التخصص في العلم الشرعي، والتمرس في المذاهب الأكاديمية، الذين اندمجوا مع أفكار الظاهرية عن قناعة وإعجاب كآل الكتاني عموماً من المغرب، وكالدكتور إحسان عباس، والشيخ سعيد الأفغاني، والشيخ محمد أبو زهرة -رحمه الله- ود. عبدالرحمن خليفة، ود. طه الحاجري... وعدد لا أحصيه من طلاب الشهادات العالية، فأذكر ما لا يقل عن اثنتي عشرة رسالة قدمت لدراسة جانب من الجوانب العلمية لدى ابن حزم.

الثانية:

فئة رجال الحديث، لاسيما في الهند، فهؤلاء وجدوا أن الوسيلة الصحيحة للاجتهاد هي تلقي كلام الشرع بحذق لغة العرب، وتحكيم ملاحنها، والاحتفاء ببديهيات العقل، والاقتصار على صحاح النصوص، فوجدناهم ظاهريين من غير أن يعلنوا ذلك. ولو ذهبنا إلى الأصول النيرة الفعالة في مذهبي الإمامين الشافعي وأحمد لوجدناها هي النصوص التي انفق الظاهريون أعمارهم

في بلورتها..

وبإيجاز فإن أحد الكتاب، وأظنه فتحي عثمان جمع ضميمة سماها آراء تقدمية كلها منقولة بالحرف الواحد عن «محلى» ابن حزم.

نعم درس.. ولكن

* هل درس هذا المذهب في جامعاتنا السعودية؟

– أعرف أن د. عبدالله الزايد أخذ رسالته عن أصل من أصول أهل الظاهر، وراجعني طلاب عدة قد اعتمدت رسالاتهم لدراسة ظاهرة عن ابن حزم، أو تحقيق كتاب من كتبه. . . . . بل أن هيئة كبار العلماء التي شكلت حديثاً تحتفي جداً بالنقل عن ابن حزم ولا يسعها إلا براهينه في كثير من الأحيان. بل أن الشائع في بعض الدول الإسلامية أن الحنابلة لا سيما ابن تيميه، وابن القيم معدودون في الظاهرية من ناحية الفقه، كما يطلق عليهم الظاهرية أحياناً من ناحية العقيدة لإمرارهم النصوص على ظواهرها. . . وأعجب من هذا أن الشيخ ابراهيم السمنودي، ألف كتاباً من جزئين يرد على الشيخ ابن عبدالوهاب –رحمه الله– وأتباعه سماه «الرد على الظاهرية وأتباعهم من الوهابية». وقد ناقشت سماحة الشيخ الوالد عبدالله بن حميد –رحمه الله– في ذلك فأبى الاعتراف بأن الحنابلة من أتباع الظاهرية.. ومادام الأمر أقرب إلى المداعبة فإنني أعترف بأن الحنابلة من أتباع الظاهريين، لظاهرتين تاريخيتين:

أ– أن المؤرخين يجمعون على أن سيادة المذهب الظاهري في الشرق العربي والإسلامي سابقة لسيادة المذهب الحنبلي، وما عرف المذهب الحنبلي مذهباً رسمياً إلا على يد أبي يعلى في القرن الرابع الهجري.

ب– أن محققي الحنابلة في الأعم الأغلب عالة على زيادات ابن حزم في الحجة والبرهان.

خذ على سبيل ذلك «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، وبعض كتبه، إذا قال: «قال أبو محمد» فسيكون ناقلاً أميناً ومرتباً حاذقاً لحجج ابن حزم، قال: قال ابن حزم «فسيرد قوله ويماحكه بالجدل بنفس المنهج الجدلي الذي بلوره ابن حزم.

لنا أتباع:

* هل كان لمذهب ابن حزم وجود قبل عشرين سنة؟

– المذهب الظاهري في هذه البلاد كغيره من المذاهب الأخرى من شافعية وحنابلة ومالكية لا وجود لها على الصعيد الرسمي، لأن المذهب الرسمي للدولة هو الحنبلي، وإن كان يوجد في المنطقة الغربية والجنوبية، والشرقية بعض أتباع المذاهب الفقهية الأخرى... وإنما وجد أفراد قلة كالشيخ محمود شويل.. وقد أخبرني الشيخ أبو تراب الظاهري: أن للشيخ محمود شويل تعليقات

على «الفصل في الملل والنحل»... كما يحتفي بآرائه رجال الحديث كالمشايخ: عبدالرحمن المعلمي، محمد عبدالرزاق حمزة، عبدالحق العمري.. وغيرهم وعلى أي حال فكتب ابن حزم من مراجع علماء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب المهمة.

قصتي مع ابن حزم!

* متى بدأت تميل إلى ابن حزم؟

- كانت معرفتي بابن حزم منذ الصغر عن طريق كتابه اللطيف «طوق الحمامة في الألفة والألاف.. ولم يتعد هذا مجرد الإعجاب بكتاب أدبي دون أن أميز إمامة ابن حزم... وعندما التحقت بكلية الشريعة رأيت مشايخي الأزهريين، ومعظمهم أحناف أشاعرة ينكتون بكتب ابن حزم، وبآرائه، فدلفت إليه عن طريق حب الاستطلاع ولم تكن المادة تسمح لي باجتلاب جميع كتبه فكنت أستعير المحلى والأحكام من مكتبة المعهد العلمي بشقراء، ثم أرهقت والدي -رحمه الله- في شراء كتاب المحلى.. وأذكر أنني اشتريت الطبعة الأولى منه عام ١٣٨٠هـ تقريباً بـ ١٢٠ ريال وهي أكثر من نصف راتبي في المعهد!!

وهذا المبلغ يساوي ألفي ريال الآن.

وقد أرهقت والدي -رحمه الله- كثيراً في تأثيث مكتبة أكثر ما فيها لابن حزم أو عن ابن حزم.

وفي عام ١٣٨٨هـ انتسبت إلى المذهب الظاهري، وليس ذلك من باب خالف تعرف ولا لحب شيء يقال... ولكنني يعلم الله أنست بكتب ابن حزم المبنية على نظرية المعرفة البشرية التي تعتبر مدخلاً لجميع العلوم، فوجدت حسن المنهج، ومتانة الفكر، ودقة الملاحظة، والتمييز، وضبط الأصول ووضوح الحجة، وملاحة العبارة. ونحو هذا نفقده في ملفات كتب أصول الفقه. فأهم كتب أصول الفقه اليوم: كتاب الأحكام للآمدي وهو الذي درسنا إياه في معهد القضاء العالي، وماهو إلا قطعة من الجدل المبني على صورية المنطق الأرسطي ولعمر الله أن دين الإسلام الذي نزل بلغة العرب لا يفهم من هذه الكتب، ولا وكلنا الله إليها في فهمه... وإنما نفهم دين ربنا بحذق لغة العرب مفردة وصيغة وسياقاً وبلاغة.

وبلا ريب أن المرء كلما تقدمت به السن وهو في كل لحظة من حياته جاد في طلب العلم سيكتشف ويعرف في كل يوم ما لم يكن يعرفه بالأمس، ولم يزدني التقدم في السن، والإلحاح على طلب العلم بصيرة بهذا المذهب، وتصميماً عليه -وكلما خلوت بنفسي رجوت الله أن ألقى ربي وأنا ظاهري المذهب جامعاً بين العلم والعمل..! ولقد نذرت نفسي لتجلية هذه الأصول، وكشف اللبس عنها في كل مناسبة ابتداء بالمقدمة المستوجبة التي كتبتها للسفر الرابع من كتابي عن ابن حزم، الذي يطبع الآن في بيروت بعناية الوالد الأستاذ د. إحسان عباس.

لا يضايقني إلا عوام المثقفين!!

* كيف كانت المعارضة، وحدة الانتقاد لخروجك بهذا المذهب؟

– لم آخذ أي مضايقة من رجال العلم، ومنهم أساتذتي الذين أهديهم كلما استجد عندي مباحثي... لاسيما سماحتي الشيخين ابن باز وابن حميد.

وإنما ربما يرد الانتقاد من بعض العوام ومن في حكمهم من جمهرة المثقفين الذين لا علم لهم بالشرع فيظنون أن الظاهرية مذهب خامس.... كأن الحق محصوراً عندهم في الأئمة الأربعة. ولم يدر هؤلاء المساكين أن أئمة المسلمين ذوي الاجتهاد والمسائل المحفوظة كثيرون فيهم من يساوي الأئمة الأربعة، ومنهم من يتفوق عليهم بالعلم، من أمثال ابن مهدي، وابن أبي ذئب، وابن المبارك، والسفيانين، والحمادين، وابن جرير، وإنما اشتهر هؤلاء الأئمة الأربعة لأن اتباعهم ولوا السلطة كولاية القاضي أبي يوسف الحنفي في المشرق، وولاية الليثي في الأندلس.. ولاريب أن كل مذهب يكون رسمياً للدولة سيكون له عامة الرعاية اتباعاً بما في ذلك العوام وشبههم!

والمضايقة الحقيقية التي صادفتها في حياتي إنما هي عند دراستي في معهد القضاء العالي في الامتحان التحريري، وفي التحضير للرسالةالتي كان عنوانها في أول الأمر (الظاهرية مالها وما عليها).. مما جعلني أعزف عن التحضير للدكتوراه، وقد سجلت لها منذ ثمان سنين!! فآليت على نفسي ألا أسلم لحيتي لشرف يتحكم بفكري وما أرى هذه الرسالة العلمية إلا بريداً للوظيفة والمنصب، أما العلم الحقيقي فلا يؤخذ إلا جثواً على الركب بحرية فكرية. وأشترط مع الحرية الحيوية الفكرية، لأن بليد العقل والذهن لا يستفيد من معارف الدنيا لو أفرغت في دماغه، وإنما يزيد أهل العقول نكداً.

الاستفادة من الظاهريين حاصلة الآن!

* هل استفاد الدارس والمثقف من مذهبكم هنا؟

– أما الاستفادة فهي واضحة الآن فقد مر علينا حقبة من الزمن لا نجد عند علمائنا إلا زاد المستقنع، وكشف القناع، والشرح الكبير، والإنصاف، ومن أبعد النجعة امتلك المغني...أما الآن فقد تدفقت كتب الحديث وشروحه بأيدي طلبة العلم، وصاروا يطلبون الدليل لأقوال الأصحاب.. ولا ريب أن انتشار كتب الحديث وشروحه في منتصف الطريق إلى الظاهرية.

وبتقدم العلوم النظرية الفكرية سترد هؤلاء الطلبة إلى تمييز منهج الاستنباط الصحيح الذي يدل على مراد الله ويبرئ العهدة من آراء الرجال، واختلافات الفقهاء وليس ذلك إلا بالرجوع إلى منهج صدر الأمة من السلف الصالح، الذين يفهمون كلام الله وكلام رسوله بملاحن اللغة العربية، وبديهات العقل، والإيمان بأن العقل يفهم الشرع ويميزه. ولا يضيف إليه بزيادة أو

نقص أو استبدال أو اقتراح . . . وليس المذهب الظاهري . . . شيئاً غير ذلك .

الظاهر ليس بالضيق!

* أحياناً يفهم من ظاهر النص المنع بينما مفهومه الإباحة. وهو أمر تميل إليه النفس . . . وينفّر من الظاهريين ومذهبهم؟!

- هذا السؤال يذكرني بما قررته في أكثر من مناسبة بأن جمهور الفقهاء غير الظاهريين بمن فيهم الأجلة الأعلام لم يفهموا معنى الظاهر ، فظنوا أن الظاهر بمعنى الواضح ، وأن غير الظاهر بمعنى الخفي ، بحيث يحتمل في مراد الشرع في خفية لا في واضحة. . وليس هذا -والله- معنى الظاهر الذي بنى عليه الظاهريون مذهبهم وإنما هو كل ما في القضية من معنى ، سواء كان هذا المعنى واضحاً أو خفياً ، ولهذا كان الظاهر عندهم ظاهرين:

- ظاهر لغوي:

وهو جميع ما يدل عليه ظاهر اللفظ وظاهر الجملة ، بحيث يكون غير الظاهر ولا يدل عليه اللفظ أو الجملة ، خذ مثال ذلك ، قول الأحناف «لو حلبت المرأة لبنها وعملت منه جبنة أو خبزة ، وأكلها إنسان آخر حرم عليه ما يحرم من النسب! فهذا الكلام ليس ظاهراً ، لأن ظاهر الرضاع لغة أن يكون؛ أ- مصاً ، ب- بفيه ، ج- من ثدي . . . فإن اختل قيد من هذه القيود لم يكن رضاعاً ، وإنما يسمى شرباً ، أو صعوطاً أو أكلاً .

- الثاني:

ظاهر عقلي ، وهو ماحتمه العقل بيقين أو رجحان ، فإذا قلت: حكم الشرع الذي ورثه أبواه أن للأم الثلث ، فالعقل يعلم أن الثلثين للأب بحتمية عقلية لا بتنصيص لغوي .

والعقل يستفيد هذه الحتمية من القسمة العقلية بأنه: لا ورثة إلا الوالدان ، وأن الثلث للأم ، وأن ما بقى من الإرث الثلثان. . إذا ما بقى من الإرث لمن بقي من الورثة.

والظاهر ليس بالضيق الذي يتوهمونه ، لأنه قد يكون نصاً باللفظ ، كقوله تعالى:﴿حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى﴾ فالصلاة الوسطى منصوص عليها باسمها ، وقد يكون نصاً بالمعنى والصفة فالأمر بالقصاص عند الاعتداء يشمل الإغراق والإحراق والخدش ، والوخز بالإبر والضرب ، والشتم إلى ما لا يحمي ، لأن كل مسمى لغوي من هذه المسميات يطلق عليه اعتداء. . بالمعنى لا بالنص والقانون عند أهل الظاهر -كثر الله سوادهم- أنهم ينظرون في الخطاب الذي جاء إليهم من ربهم أو رسولهم نظرة متأملة في معنى المفردة ، وصيغتها ومكانها من سياق الكلام ، ويضمنون النصوص بعضها إلى بعض ، حتى لا يأخذوا بنص ويتركوا نصاً . . . ومن جملة النصوص يأخذون رهاناً مركباً.

ومنهجهم في جزئيات النصوص أن يحملوه على المصطلح الشرعي كالصلاة يحملونها على الهيئة الشرعية المعروفة، فان لم يوجد عندهم مصطلح شرعي حملوه على المعنى المجازي الغالب الاستعمال، فإن لم يجدوا معنى مجازياً غالب الاستعمال حملوه على المعنى الحقيقي الوضعي، ولا يحملون على المجاز غير الغالب الاستعمال إلا بشرطين.

أولهما: أن يكون هذا المعنى المجازي مألوفاً في لغة الأدب.

ثانياً: أن يكون هذا المعنى المجازي المشروع في لغة العرب متعيناً أو راجحاً في ذلك النص بذاته بحيث يكون وارداً للمتكلم.

هذا ما بيني وبين أبي تراب!

* هل بين أبي تراب وبين أبي عبدالرحمن شيء من الاتفاق غير ما أنتما عليه من الصحبة في ظاهر المذهب؟

- كنت أتابع معارك أبي تراب وهو في سن اليفاع، وأنا في سن الصبا فأعجب بعارضته وتراثيته، فشددت إليه الرحال، من حاضرة الوشم، والتقيت به نازلاً من شقته بجدة بعمارة بخش بباب مكة على غير سابق معرفة، كما فعل بقي بن مخلد مع أحمد ابن حنبل، فأعلنت له الإعجاب فانقاد للصحبة، وظللنا على تأكيد هذه الصحبة لاتفاقنا في المشرب العلمي، فصرت أستفيد منه، ويفيد مني، وربما سعى ساعي داحس والغبراء بالإيقاع بيننا، فتكون معارك أدبية، وماهي إلا ما يوصف في أمثال العامة بقولهم «عض ريام».

وأهم اختلاف بيني وبين أبي تراب أنه في المذهب اللغوي ينحو إلى السماء وعصمة النقل، وأنا أنحو إلى الاجتهاد في ترسية القواعد، وعدم تبرئة النقل من العصمة، ورد شواذ الأمثلة إلى مسلمات القواعد، والإيمان بأن في كلام العرب المدون شذوذاً أو خطأ وعامية ولحناً، وربما كان الخطأ من العالم الناقل لا من البدوي المتلفع بشملته.. وأذكر أنموذجاً لذلك أن أبا علي الهجري نقل في كتابه «التعليقات والنوادر» عن البادية «البدن» بمعنى مسان الأروي.. ففسر المسان على أنها مشتقة من سن بفتح السين، وإنما هي من (السن) بكسر السين، وهو كبر العمر!

فالبدوي الذي نقل عنه الهجرى لم يخطئ، وإنما صحف الهجرى وتبعه القراء.

الظاهريون ليسوا متزمتين!

* هل يعتبر المذهب الظاهري أقل تزمتاً وأكثر ميلاً إلى الإباحة؟

- هذه دعوى مغرضة، فليس من أهداف الظاهرية التحقيق أو التشديد ولا التحريم أو التحليل، وإنما هدفهم معرفة الشرع على ما هو عليه من تحليل، أو تحريم.. ولهذا كانوا أوسع من غيرهم في التسهيل على المسلمين في بعض المسائل وأشد من غيرهم في بعض المسائل، ولعدم معرفة الناس

بهذه الحقيقة فمنهم من وصفهم بالسعة كابن قيم الجوزية، ومنهم من وصفهم بالضيق كسعيد الأفغاني، والواقع أن الضيق أو السعة نتيجة في مذهبهم من باب المصادفة، وليسا مقصداً يهدفون إليهما.

هدفنا التحرر من المذاهب

* يتبادر إلى أي مطلع أن الاتفاق على أصول الأشياء خير من الخلاف المذهبي... ونكسب بهذا جهداً ووقتاً؟

– هدف الظاهرية التحرير من المذاهب، فهم لايدعون إلى التمذهب لشخص بعينه، وإنما يدعون إلى الاجتهاد في النصوص والاتفاق على أصول مدروسة، مأخوذة من فطرية اللغة العربية، التي نزل بها الشرع، ثم بعد الاتفاق على الأصول يخطو المسلم في اجتهاده متحرياً الحق غير عاند، ولهذا فهم يقولون إن خطأ العالم المسلم اجتهاداً خير له من صواب غيره تقليداً.. لأنه متعبد باجتهاده الشخصي، مدعي عن التقليد، فإن كان عامياً فليسأل أهل الذكر من العلم.

الظاهريون - والفن!

* التذوق الفني طبيعة عند الظاهريين.. إذ أن المعروف عن أبي محمد ابن حزم –رحمه الله– أنه كان ذا ذوق فني؟!

– التذوق الفني ليس لأي مذهب فقهي أو فكري، وإنما قد يكون ميزة لعدد من رجال المذهب، بحيث يقال إن أكثر رجال هذا المذهب ذوو ذوق فني.. وذاك بسبب تعدد مشاربهم العلمية.. وفي الواقع أن من مصادفات التاريخ كون معظم علماء الظاهرية ذوو ذوق فني من أمثال محمد بن داود... ونفطويه وابن دحية. ومنذر بن سعيد ابن لوطي، وابن حزم... إلخ.. لأنهم تعلقوا بالأدب وأنسوا بمسامرة أهله فجبلت نفوسهم على الذوق الفني، وربما كان لعامل البيئة دخل.. فابن حزم قبل أن يكون فقيها عاش في بيت وزارة، مليء بالجواري والمغنيات، وكان حفظ النصوص الأدبية الماتعة من ديدنهم. وبهذا السبب وجدت النظريات الفنية والأدبية العملاقة في كتب ابن حزم ولولا اتجاهه للعلم الشرعي والفلسفي لكان من القمم الأدبية والنقدية في العالم العربي.

وما أنا إلا من غزية!!

* وماذا عن أبي عبدالرحمن وولعه بالفن؟

– التعلق بالفن وليد التعلق بالأدب... وقد كانت بداية حياتي متخصصة لدراسة الأدب وقيمه، ولو لا إرغام والدي لي –رحمه الله– بالدراسة في المعهد العلمي. ثم في كلية الشريعة فيما بعد لكانت قراءاتي مقصورة على النواحي الأدبية. ولكن إشرافي على فكر ابن حزم ودراستي الشرعية مع بداياتي الأدبية كل ذلك أتاح لي تنمية ثقافتي بحيث لم أقتصر على فن نظري بعينه.

وبلا ريب أن العلوم النظرية يأخذ بعضها برقاب بعض . . أما عن الناحية الفنية، فقد كنت في بداية حياتي متابعاً للفنون الشعبية وألحانها في بلادي (شقراء) حفياً بها ثم أتاحت لي الفرص متابعة الفن الغنائي العظيم لأم كلثوم، أيام سيطرتها على عقول الشبيبة العربية:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غـــويت وان ترشد غزية أرشد

ثم تطورت هذه الذائقة إلى ماهو أعلق بوجدان وظروف حياتي، على أنني أحاول الآن الانعتاق من ظرف الأدباء ووجدانياتهم لأن إيجابيات الفكر عزيمة، وانمياع الفن قد يكون رخصة في بعض ملامحه فلن تعود للرخصة إلا بعد الفراغ والتعب من العزائم وربما ينماع الجاد في بعض اللحظات ثم يعود مشحوذاً كالسيف يعود إلى غمده.

هذا البرنامج أستعين به على نوائبي؟

* هل جنوحك لإعداد برنامج «قراءة في صحيح الإمام مسلم» صورة لاهتمامك بذلك اللون من الجد الذي تعنى، وانكفائك عن الانمياع!!؟

- إنما حرصت على هذا البرنامج في بداية الأمر لدخله المادي أستعين به على نوائبي، إلا أن إخلاصي في البحث لهذا البرنامج فتح عليّ كثيراً من آفاق العزائم ، فاتعظت به أكثر مما يتعظ به المستمع وقديماً قال الغزالي أو غيره طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

وخير ما فيه بالنسبة لي: أنه ذكرني بكثير من معارفي الشرعية التي نسيتها فأوشكت أن أكون رجلاً من العامة.

وقد حرصت فيه: أن أطيل الباع في أمور العقيدة وشرح الأحكام الشرعية. أما في باب المواعظ فكنت أمسها برفق . . إلى أن أرى أني اتعظت شخصياً جعلنا الله هداة مهتدين . . كما يقال في البرنامج ولم أجعل من هذا البرنامج شرحاً لمذهب فقهي بعينه، وإنما جعلته تعبيراً عن النتائج للأصول السليمة التي أقول بها عن مناقشته . . . وهي الاكتفاء بالنص وإزالة التعارض من أفهام المسلمين حولها وتفهمها بموجب لغة العرب، وبدهيات الفكر، فقد أوافق الظاهريين وقد أخالفهم . . مع حرصي على اضطراد الأصل . . . ولا تتناقض الأصول في برنامجي.

محمد بن عمر بن عقيل الظاهري (٢)

كنا قد بدأنا مع أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري حديثاً نشرنا جزءه الأول واليوم نستكمل هذا الحوار الذي يدور جله حول أدب الشباب ومسيرة النقد، ورؤية أبي عبدالرحمن للأنماط المطروقة الآن في القصيدة.

الشعراء الهيبيون

* أبا عبدالرحمن اختلف الشعراء المحدثون في بنائية القصيدة الحديثة وكان هذا الاختلاف حاداً، ومزروعاً على عدة جهات الشكل (الإطار) والأمشاج التي تشد أعصاب القصيدة... والايحاء الشاعري... كيف نحدد مذهبك أمام هذه الرؤى؟

– كمنطق للحديث في هذا المجال لابد أن ننطلق من مسلمة فلو طرح للحديث مسألة شرعية لانطلقنا من مسلمة دينية، ولو طرح للحديث مسألة في الهندسة لكانت مسلمة المختصين من جهة علمية، ولو طرح للحديث قضية قومية أو وطنيه لكانت المسلمة من قوميتنا ووطنيتنا، أما الأدب فهو فرع جمالي ننظر إليه من مسلمات جمالية ونعفيه من الأيدلوجيات الفكرية، لأنه بطبيعة تكوينه لا يتحمل أيدلوجية الفكر، إلا أن يكون ذلك لمحة غير مباشرة، تتعامل مع الذوق والعاطفة أكثر مما تتعامل مع صلابة المنطق.

ومادام الأدب وبالذات الشعر قضية جمالية فيجب أن ننظر إليه بمقياس جمالي غير جامدين على جماليات الأدب العربي القديم، المتعلقة بالخطابية، والنبرة، والتهويل الخيالي.. ولا تجمد عند جماليات المدرسة الكلاسيكية العربية الحديثة... التي تتألق أضواؤها الخافتة على لسان أم كلثوم بعد رحيل إبراهيم ناجي ورفاقه لأن جماليات هذه المدرسة تضخيم للعواطف.

فإذا كان الناقد سادناً للجمال لابد أن يلفت نظره ما وقع عليه الجاحظ من تقنين للجمال وما وضعه «امانوئيل كانت» الذي كتب عن مملكة الحكم فيجب أن نتابع المدرسة الجمالية في عطائها الفكري والتقنيني ولانقف عند حد في سبيل المزيد من الاكتشاف.

والعمودية أو ما يسمى في المصطلح بالشعر الحر ليساهما قضية الأديب اليوم، لأن هذا مظهر شكلي باهت... إنما الغرض في رؤية الأديب ومضمونه الحالم أو المفكر ومن هذا المنطلق نأبى تشوية الجمال الفني، ونقله عن حقله بمجرد الدعوى، ويأبى ابن الجزيرة العربية الذي فطره الله على استقلال الفكر وحريته ومتانته أن ينسلخ من هويته الفكرية ويستسلم للقبح الفني الذي ينادي به معين بسيسو، ويوسف الخال، وأدونيس، وغيرهم من إغراق في الهيبية وتحطيم للثوابت

الفكريـة، والحسية وإرباك للمعادلات التاريخية وتعرية لما يسمى أثراً أدبياً من كل نفحة جمالية، لأن الأثر الذي يراد أن يسمى أدباً لابد من دينونته للعنصر الجمالي فإن تبرأ من عنصر جمالي فليبحثوا له عن حقل يدخلوه فيه، فإن أرادوا أن يجعلوه من باب تكثيف الرؤية بالأحلام والهيبية فليشمروا عن سواعدهم ويتكلموا بلسان علماء النفس، بفكرهم ومصطلحهم وتجربتهم.

وان أرادوا أن يحققوا الرؤية الفكرية فليشمروا عن سواعدهم ويتكلموا بلغة ومُصطلحات أساطين الفلسفة والمنطق.

أما إن أرادوا أن يمتعوا أمتهم بأثر أدبي ويجعلوا هذه المتعة ذات أيدلوجية وطنية أو قومية أو فكرية فليشمروا عن سواعدهم ويخاطبوا الأخيلة والعواطف بالمقاييس التي فهمها علماء الجمال من طبيعة النفوس البشرية.

وبذلك على أن الظاهر الشكلي ليس هو قضية الأديب هذا اليوم أنك تقرأ قطعة أدبية مثقلة بغريب اللغة لشاعر كلاسيكي فلا تخفي إعجابك الصادق بمقياس جمالي تاريخي.. وقس على هذا تعاقب المقاييس الجمالية التاريخية منذ الأعشى إلى أبي نواس، إلى أبي تمام، إلى بديعيات ابن النية والحاجري، إلى صوفية المهجر، إلى كلاسيكية خليل شيبوب وناجي فالإعجاب في كل ظاهرة من هذه المظاهر أن يحكمة مقياس جمالي تاريخي. تعتبره كعصا الأعمى يتوكأ عليها لحظة ويلفها على الوتد لحظة دون أن يستغني عنها، ثم تغير الشكل فلم ينسب عن الذائقة الجمالية –لا أقول العربية بل العالمية– في زيادة أحمد عبدالمعطي حجازي ومحي الدين فارس، اللذين خاف عليهما شعوبيو وعلمانيو الوقت الحاضر فنبزوهم بأصحاب السلفية الجديدة، فديوان (مدينة بلا قلب) نجد فيه القصيدة متحررة من الشكل الظاهر الباهت. محتوية على مضمون فكري أو حلمي. ولكنها تتوثب وتتعلق بروح الجمال.

ثم جاء أدونيس ورفاقه في حوار مواقف الذين صرحوا لبعض السذج في بعض مقاهي الغرب بأنهم يثورون على قيم الشرق ويمزجون فلول الهلال بالريح... ويريدون بالهلال رمز الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية).. وإذا جئت إلى زعيم أدبي كأدونيس فلا أصفه بالسذاجة، أو الوعي الجمالي فهو من أقدر الأدباء على إنتاج الأدب الجمالي، وإنما أصفُه بأنه عبقري خبيث. عرى الأدب الحديث من جمالياته، وأثقله بقيود الهيبة واللاوعي ليفرغ في حمى هذه الدوامة ما يختلج في ضميره من عداء وكره لراية الأمة الإسلامية منذ عهد الرسالة إلى هزيمة الخلافة في الآستانة وبالرجوع إلى سيرته (ملوك الطوائف) نجد أن التصريح بهذا الكره فإن وجد من ظن لذلك ضلل بأبعاد الرؤية الكاملة للقصيدة التي لا يفهمها هو فضلاً عمن سواه..!!

ولو كان أدباء الشباب يحملون استقلالا فكرياً، ورؤية قومية مستقبلية واضحة لكفاهم إعلان

أودنيس ورفاقه بسخريتهم في الرموز والأبعاد اولتحولات والربح والهلال، مع ما في ذلك من غموضية النصيرية والصليبية.

ولاريب أن في العالم العربي قمماً نقدية على وعي بهذه المؤامرة الأدونيسية فعادوا لتقنين الأدب كالجزائري، ومطاع صفدي، وهم إلا أن الاتجاه الشيوعي لهؤلاء جعلهم يؤوون من العار إلى .... ويرسمون للأديب قوانين تفضح نوايا هذه الشرذمة من الطائفيين وتكشف عن نوايا جديدة للعلمانيين.

وواجب الناقد العربي اليوم أن يشرف على الأدب في عمومه. عربية وأجنبية، المعادي منه والموالي نصوصه، ونقده... فيلتزم بحيزيه، ويأخذ بمجمله، واحتراماً للحقول العلمية، واحتراماً للثوابت البشرية التي بنيت عليها حضارة العصر الحديث، فيجب أن يكون منطلق نقدنا من مقاييس جمالية وفكرية صحيحة، ودراية بحقيقة العواطف البشرية، وألا يكون أدبنا العربي حالة يتبع سقاط الأخير من الهيبيين في فكرهم وعواطفهم، الذين قذفت بهم بلاد الحضارات واعتبرتهم من العاطلين.

ليست مما عملته أيديهم!!

* ينحو أدباء الشباب إلى الاكتساب من هذا المظهر الحداثي في قصيدة خاصة... هل يعود هذا إلى ما تعنيه ... أم إن مداركهم جمالية ليس إلا؟

– من المسلم به عند هؤلاء الشباب أنفسهم أن الحداثة التي ينادون بها ليست مما عملته أيديهم، وهذا يكفي في اقتناعي لالتماس خطوط الحداثة من منابتها الأصلية، بعقلية الرائد الذي لا يكذب أهله الذي يلتزم بالميزة، ولا يأخذ بالمجمل عن حرية وحيوية فكرية معاً.

ولقد حاولت أن أقوم بسياحة أدبية في هذا الأدب الشبابي فكععت مفلساً من كل المغريات التي تشدني فأنا أجد عند أدونيس ما يغريني وإن كنت أكره عداءه لأمتي ولا أجد عند هؤلاء الطيبين أثارة من إغراء.... ثم حاولت أن أكاشفهم بومضات نقدية فانثالت عليّ صيحات الغوغائية، لا عن قضية يملكونها وإنما هي عصابة صحفية فلذت بالعافية، وألغيت واجبي الأدبي في بلدي واقتصرت على التعامل مع الحرف المضئ في أي فرع كان... وتسليت ببدايات الرواد من شعراء السعودية، الذين خطوت في دراستهم بالجزء الأول من كتابي عن الأدب السعودي وإن كان بعض هؤلاء الشباب –وهم قلة(!!) ميزة تشدني اليهم كأحمد الصالح (مسافر) فهو في تراثيته وتجديده أو محاكاته للتجديد ينطلق من قناعة أدبية يملك وسائلها، وهذا وحده يكفي ويتيح الفرصة للتعامل مع النقاد.

لست وصياً على هؤلاء الشباب

* أبا عبدالرحمن كيف ترى أطروحات الشعراء الشباب وهل تفصح عن شيء من توجهاتهم؟

- هذا مجال يطول استقصاؤه وإنما حسبي طرح أنموذج من باب قياس الشاهد بالغائب، فإذا نظرنا إلى القمم الأدبية لم نجد أن التعلق بالأدب هو كل حصيلتهم بل نجد علماء في حقول شتى وذوي إشراف على الآداب العالمية... إما بما يملكون من النطق بعدة لغات، أو من متابعتهم للترجمات العربية، فالأدب ليس علماً يتميزون به، وإنما يتميزون بموهبة شخصية فقط.

فصلاح عبدالصبور لو لم يكن عنده إلا موهبته الأدبية لكان من آلاف الشعراء العرب الذين يتلهون بالشعر بعواطف فردية إلا أن الرجل مع موهبته الفطرية على وعي تام بقوميته، وقضايا وطنه المعاصرة، التي تسمى سياسة أو تاريخاً حديثاً، وهم على وعي بالتراث العربي ففهمه للحلاج -مثلاً- أكثر من فهم مؤرخ عربي ترجم للحلاج، وهو مع ذلك مشرف على الآداب العالمية شرقيها وغربيها فهذا مؤهل لتكثيف الرؤية الأدبية وقد حقق ذلك بالفعل وقس على ذلك البياتي، فهو عالم مثقف ممتاز، قبل أن يكون شاعراً ومثله أحمد عبدالمعطي حجازي الذي يهز حياتك بأدب لا يخلو من السذاجه الطفولية فإذا به صاحب حس لغوي وبلاغي في نقداته التي يكتبها عن أبي نواس وغيره بمجلة الآداب، فاجتمعت موهبته وحصيلته الثقافية ليكون من الرواد في تكثيف الرؤيا الأدبية.. وقس على هذين كل رواد الأدب الحديث. بما فيهم أودنيس فهو فيلسوف، ولاهوتي ومؤرخ وعلى وعي بقضايا الأمة.. اجتمع ذلك إلى موهبة إلا أن عبقريته عامل هدم وتخريب وإذا وجدنا القبح الفني في أدبه فليس ذلك لقصور في موهبته، وإنما هو تعمد للتشويه بمقتضى أيدلوجيته الطائفية.

أما الشباب هذا فلست وصياً ولا مشرفاً على تربيتهم العالمية وإنما حسبي أن أقول لهم إن الريادة الأدبية لا تكون بالأماني، وإنما تكون بمحو الأمية الثقافية والتفرد العلمي والفكري... بشرط وجود الموهبة، وحذق الوسائل الجمالية التي تشد المتلقي، ولا سيما الأمة العربية، فقد عرف عنهم أنهم حسيو النزعة.

ولو تفرغ د. غازي القصيبي، وحسين سرحان لإضاءة خيوط الحداثة، وانعتقا من السلفية البحتة للأدب العربي لكانا طليعة نباهي بها الأقطار العربية الأخرى. إذ عقمت سعوديتنا من أمثال السياب والبياتي، وعبدالصبور.

إن صاحب قصيدة (الهنود الحمر) و (مليكة الغجر) قادر على أن يكون من أساطين الرؤية الحديثة لو تفرغ لذلك.

هذا حديث خرافة يا أم عمرو

* هذا الصراع حول الحداثة (التعبيرية) بمضامينها أضاع جهداً كان لابد أن يصرف في مناقشة قضايانا القومية؟!

– لا . . . أنا لم أقل إن قضيتنا هي توجيه الأدب ، وإنما قضيتنا إبداع الأدب ، وإيجاده فإذا وجدت الموهبة الفطرية مع المذخور الثقافي القادرة على إبداع أدب حديث ، فالتوجيه يعد ذلك مرحلة اختيارية لا اضطرارية ، فالأدب الشيوعي المفطور لا يستطيع أن يوجه أدبه إلى تمجيد الرغيف والعمال ، فيثير المشاعر ، وقد يتحول هذا الشيوعي إلى طائفي فيوجه أدبه لإصابة العقلية العربية بالخيال ويفلح فنياً في ذلك وقد يتحول إلى الإسلام فيتخذ من سيرة بعض البطولات الإسلامية حلماً ووعياً وفكراً أدبياً.

إذن توجيه الأدب عجينة لينة في يد الأديب فكل ما يقال من أعراق اجتماعية في هذا البلد ، وتحفظات حديث خرافة يا أم عمرو؟ فالأديب الذي تحقق وجوده الأدبي موهبة وثقافة لا يصعب عليه توجيه الأدب في أي لحظة تصريحاً وتلميحاً.

مناخ الفكر

* هل للتقاليد الاجتماعية ، أو سيطرة فكر معين في أي بلد كان أثر في إبداع الأديب؟

– نعم . . . لهذا أثر في إخفاء الأدب أو توجيهه . . . . وليس له أثر في إماتة الموهبة فها نحن كأنموذج تاريخي قريب نرى تغير أنظمة الحكم على مدى سنوات قليلة لأكثر من مرة في العالم العربي ، ولكل نظام قيوده وتقاليده ، وقد بقي الأدباء الأصلاء معايشين لهذه الأنظمة ، وإنما حصل فقط توجيه الأدب أو إخفاؤه إلى حين.

الشيوخ عفا الله عنهم

* هل أثر أدباؤنا (الشيوخ) في تلقي الشباب قبل أثر الأدب العربي القادم من مصر أو من لبنان أو العراق؟

– هذا السؤال يحمل قضايا غامضة متداخلة ، ولابد أن نضع الأمور موضعها لنرفع عنهم الحرج ، وذلك بالنظر إلى التالي:

أ– ليس مقياس أصالة هؤلاء الشيوخ أن يحملوا الشباب علي تقليدهم ، وإنما مقياس الأصالة عندهم أن يبلغوا القمة في المنهج الأدبي الذي ارتادوه ولم تقبل ذائقتهم غيره.

فشاعر كالشيخ عبدالله بن خميس يرى القدوة في فحولة الشعر العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ومتعته في زهرة العصر العباسي ، يكفي لإثبات أصالتهم أنهم حققوا هذا المطمع الذي يريدون. وأن تقبل الذائقة الأدبية النقدية نصوصهم بالمقياس الذي قبلت به شعر البحتري والشريف الرضي ، ومهيار الديلمي . . . إلخ.

ولا يجوز أن نحاكمهم بأسلوب النقد الأدبي الحديث لأنهم لم يقبلوا هذا المنهج الحديث ولم يرتضوه فنحاسبهم بمقياس جمالي أدبي تاريخي ، ولم يضر إبراهيم ناجي وزملاءه ألا يكونوا

ذوي أثر فيمن خلفهم من جيل حجازي، وعبدالصبور.

ب- بين هؤلاء الشيوخ وفوعة الشباب المتلعثمة مرحلة تاريخية هي مرحلة المخضرمين من أبناء الخمسة والأربعين عاماً إلى ثلاثين عاماً، فهؤلاء الشيوخ -نضر الله وجوههم- ذوو أثر في هذا الجيل المخضرم على صعيد الشعر والنثر معاً. فهؤلاء الشيوخ لهم ريادة ولاريب، وليس من المعقول أن نطلب أثر الشيوخ في الشباب، ونتخطى مرحلة المخضرمين بل لابد أن هؤلاء الشباب بدءوا متأثرين بجيل المخضرمين سواء نسوا ذلك أم تناسوه!

ج- ريادة الشيوخ في الجيل الذي يليهم لا تعني بلورة اتجاه الشباب نهائياً، وإنما تعني شد الجيل الموالي إلى بعض النطلقات... وإن فرض أن لنا أدباً شبابياً متبلوراً فلا يمكن أن يكون من غير بداية وطنية، وإلا كان تقليداً كسيحاً بحتاً، بل لابد من الإشراف على المدارس الأدبية التي سادت فبادت، كمدرسة المهجر، والديوان وأبولو... فالإشراف على هذه المدارس إنما جاء عن طريق الشيوخ، كما إن الإشراف على المدارس الحديثة منذ عهد نازك إلى عهد أدونيس إنما جاءت بتلقين أو لفتة أو إيماءة من جيل المخضرمين الذين هم بواسطة العقد بين الشباب والشيوخ.

هؤلاء أشك في كفاءتهم

* تطرح بعض قصائد الشباب صوراً للقصيدة الحديثة المستوعبة... لكن الدراسة النقدية تغفل عنها.. ترى ما موقفك؟

- موقفي ليس موقفاً معارضاً لهذه الصور أساساً وإنما هو موقف الشاك غير المصدق بوجود كفاءات مهيأة لتحمل أعباء هذه الدعوى في إيجاد معمارية القصيدة الحديثة ورؤيتها... وحكمي في هذا التعميم مبنى على معظم ما أشاهده من الطرح الأدبي في الصحافة.. أما الكفاءات المحتمل وجودها في طي الخفاء فهذه لا مجال للحكم فيها.

وإنما أقول هيبية الأدب الحديث فإنما ألح على القبح الأدبي الذي افتراه القادرون على إبداع أدب حديث صحيح، من العالم العربي خارج المملكة... لعلمي بكفاءتهم الفكرية والثقافية الهائلة أما تلفيق الأطر فلا أسميه هيبية ولا يحزنون ولا أدخله في مسمي أي أدب لأنه لا ينطلق من بلورة فنية، ولا أيدلوجية فكرية، ولا ارتداد مدروس، مقنن له بعد رحلة واعية في تراث الأمم القديم من عربي وأجنبي.

بل دهشت من مجالسات شفوية لبعض هؤلاء الشباب، رأيتهم يهاجمون المقدمات النقدية الرائدة لأرسطو، ومن جاء على شاكلته من أدباء العربية القدماء، ولم يدر هؤلاء المساكين أن هذه المقدمات هي الشذى اللماعة في الساحة الأدبية العالمية عموماً.

بل الذي خبرته من تجربتي العلمية أن الثوابت الفنية والفكرية تبقى في كل فن، أو فكر معبر

مهما تعاقبت الأيام والأعوام، واختلفت البيئات والجنسيات، إلا أن سأم الناس من التكرار يجعل بعض المفكرين أو الأدباء يعيد تلك الثوابت بزي جديد مع اتحاد الجوهر.

مشية الغراب:

* اتهام قائم لابن عقيل من الشباب حيث ظن به (التمشيخ) من خلال دراسته لابن حزم وانفتاحه على التراث.. وآخر من الشيوخ حيث اعتقدوا أنك منحرف إلى أوهام المحدثين وتخريفاتهم وقيل إنك الآن تمشي مشية الغراب؟!!

– قبل تحديد موقفي يجب ألا يفسر اتجاهي الأدبي بالتراثية الصرفة، لأن بدايتي بأدب ابن حزم لا تعني أن أدبي كان تراثياً، وإنما كانت بدايتي الأدبية قبل أن يولد الشباب، ولم أظل بحمد الله كالبركة الراكدة، بل عمقت اتجاهي الأدبي بالإشراف على مختلف الأدب العالمي، عربيه وأجنبيه، ولو منحني الله لغة أجنبية لأتيت بالعجائب لم يحل ذلك دون تزودي بدخائر الترجمات.

يضاف إلى هذا أن الأدب ليس حتماً أن يكون مبدعاً في فرع آخر أو فروع من الأجناس الأدبية، كالشعر، الرواية... إلخ.. لأنه قد يحول دون الإبداع قصور في الموهبة التي تفهم الأمثل وتقترحه، وإن عجزت عن إبداعه. كالذواقة يختار أجمل الأزياء التي قرها كل ذوق راق، وهو ليس من مصممي الأزياء وقد يعوق عن ذلك مشاغل علمية... وإنما الذي يجب أن يسمى أديباً بجدارة ألا يحرم من الأبداع في بعض أجناس الأدب. وعلى الأقل، المقالة والحوار والإشادة في كل منثور، وأن يكون على كل تقدير ذواقاً لمجالي الجمال والكمال في الأدب. وهذا لا يتم إلا بتنمية ثقافية صعبة فلكي يكون الأديب ذواقاً لابد أن تكون عنده الأوليات من بداية علم النفس التي تختبر بها العواطف، والأوليات من مبادئ علم اللغة، التي يتميز بها الحس الجمالي لإيقاع المفردة واستملاح جمالها في درج الكلام، وقس على هذا شتى الأوليات من المعارف البشرية.

وإن جئنا إلى ما أتخمونا به من دعوى الحداثة، فلذلك شرط أوعب وأشد تعقيداً مما يشترط للأديب التراثي، وهو الاطلاع على تفصيلات الفلسفة الحديثة، فمما لا يجوز أن يكابر فيه مكابر أن مدارس الأدب بمختلف أجناسه واتجاهات النقد كلها مفرعة على المذاهب الفلسفية المعاصرة ابتداء بديكارت وانتهاء بسارتر.

أما تحديد موقفي في هذه التراثية التي خلعت إليّ اضطراريا لا إرادياً، فأفسرها بلمح وحيد، وهو: أن الخلاف بيني وبين شانئي من الشباب ليس هو خلافاً بين التراث والحداثة، وإنما هو اختلاف في نقطتين جوهريتين.

أولهما: شرط دعوى الحداثة وهي المنظمات التي ذكرتها آنفاً التي لم أر أن الشباب حققوها.

وآخرهما: أن عدم اتفاقي معهم قد يكون لغلبة النزعة العقلانية عندي مع الاحتفاظ بكل قيمة

جمالية.. لأن العقلانية بداية ونهاية هي المحك في تمييز قيم الفن، وهي العصمة من الهيبية، وتلفع أقزام الطوائف.

وبإيجاز فالأديب الأصيل هو من لا يكون التراث بدايته ونهايته، وإنما تكون بدء على ميز الكمال والجمال في كل ما وصلت إليه يده. أو سمعه، أو بصره، من تراث عالمي قديم أو حديث فالقيم الجمالية والفنية من الثوابت الكونية التي لا تتغير بتغير العصر والجنس والمكان، وإنما تتراوح الحاجة إليها بتعاقب الظروف الماضية والزمانية والعرفية.

القصيمي لديه شهوة الجدل:

* يقال إن عبدالله القصيمي أهدى إليك بعض كتبه وأنكر عليك منحاك الفكري، هل تعتبر القصيمي ظاهرة كتابية، كما ادعى أن العرب تنفرد بالصوت فقط؟!

- اعتبار القصيمي ظاهرة فكرية غير مسلم به، إنما يعتبر ظاهرة فكرية من له تقنين فكري يحكم طرحه وآراءه سواء أكان على حق أم ضلال، من أمثال سارتر، وكانت وفي عالمنا العربي زكي نجيب محمود ومحمد فتحي الشنقيطي، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب -رحمه الله-.

أما القصيمي فهو ظاهرة جدلية مغالطة، وليس هذا تجنياً مني لسبب بسيط وهو أنه حينما يتناول موضوعاً تاريخياً مثل كلامه عن العرب (ظاهرة صوتية) يضخم هذه الحقيقة بشواهد تاريخية وحينما يريد إنكار ظاهرات تاريخية نصية ثابتة يردها بغير الأسلوب الذي أثبت به الظاهرات التاريخية في كتاب (العرب ظاهرة صوتية)، فمثل هذا جدل ومغالطة.. لأنك لايمكن أن تعتبر النص التاريخي حجة وغير حجة في آن واحد... إلا وافق نظرية نقدية في التوثيق التاريخي، تحكم به فكرك في هذا المجال.

وعلى سبيل المثال يسرف في استعمال القوانين العقلية التصورية البحتة في إنكار الحقيقة الأزلية فإذا جاء الحوار في إثبات الحقيقة الأزلية فقدت القوانين التصويرية البحتة ردها. وقال... نحن في عصر الحس والتجربة ولا تقبل الأمور الميتافيزيقية بالتصورات العقلية... فهذا المنهج شهوة جدل، فلابد أن تكون عنده قناعة يستحييها أو يبتكرها في منهج نظرية المعرفة، بحيث يلتزم العقلانية أو الحسبانية، أو الحسية، أو ما يشاء... المهم ألا تتناقض أصوله ولا يسمح لنفسه من البرهنة ما يرفضة من غيره ولهذا كان جدل القصيمي كله هدم، دون إيجاد بديل صحيح.

لن تلحد!

* هل تنوي نقل رؤيتك هذه في كتاب... مثلاً؟

- عندي كتاب تقوم مؤسسة تهامة بطبعة بعنوان -لن تلحد- معظمه في مناقشة القصيمي في بعض أبحاثه، لاسيما (لا تقرأ لئلا يصغر آباؤك) وللحق أعترف بأن الفصل الذي كتبه عن ظاهرة

التفكير العربي في كتابة (العالم ليس عقلاً) من أمتع الموضوعات وأعمقها، لو تجرد من الدعاية السافرة للإلحاد، والتضخيم المفتعل للظاهرة الجبرية الكسولة، وبلا ريب أن الظاهرة الجبرية الكسولة، وما يناقضها من تمرد على القدر ظاهرتان تاريخيتان في جيل متأخر من العرب، لضعف المفهوم النصي الإسلامي في حياتهم ولكنهما لم تكونا قط ظاهرتين في حياة العرب خلال ٥٠٠ عام من عهد الرسالة والذين انطلقوا بخيولهم من أقصى شرق آسيا إلى منتصف أفريقيا، واستحيوا أشد كتب الحضارات تعقيداً، من أثينا والإسكندرية وذيلوها بإضافاتهم الضخمة، لايمكن أن يوصفوا بالجبرية.. وإنما يوصف بها العربي ابن الجيل الحديث الذي تحكمه الضغوط السياسية الخفية، وهو لا يستطيع صنع إبرة.

هذه كتبي القادمة:

* هل لديك كتب أخرى ستصدر قريباً؟

– يطبع الآن في بيروت «أقوال الدارسين في ابن حزم خلال ألف عام» تقديم د. إحسان عباس... وقد نجز منه ٤ مجلدات.. سوف تصدر جميعاً إن شاء الله.

وكتاب (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) لأبي عبدالله الحميدي... توليت تحقيقه مع د. عبدالحليم عويس وكتاب «الذخيرة» من المصنفات الصغيرة يطبع الجزء الأول في بيروت عند د. صلاح الدين المنجد، والجزء الثاني عند الأستاذ عبدالله العوهلي... وأنتظر صدور كل من «لن تلحد»... و«هكذا علمني وورد زورث».

ويصدر قريباً «هموم عربية» عن النادي الأدبي بالمدينة المنورة وأيضاً عن دار العلوم ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، الجزء الأول.. وقدم له الشيخ عبدالله بن خميس.. وقد نجز منه الآن خمسة أسفار السفر الخامس عن راكان بن حثلين(*).

ماذا وراء استقالتك من النادي

* لماذا قدمت استقالتك من النادي الأدبي بالرياض؟

– حاولت أن أحقق بعض الشيء بموجب الإمكانات المالية التي وضعت في يدي، بل تجاوزت هذه الإمكانات إلى فتح باب التبرعات إلا أن الإمكانات بقيت محدودة !! وبقي النادي غير مهيأ لتحقيق رسالته ولست بمعذور من الناس إن لم أحقق طموحهم، وإمكانيتي لا تمكنني من ذلك، مع أني أمضيت مدة استهلكت فيها نشاطي الذي يمكن أن أقدمه، فأفرغت المكان لغيري، استحياء لكفاءات جديدة. واتجهت إلى منحاي الأول في البحث والتأليف.

---

* كل هذه الكتب صدرت وأغنت المكتبة العربية، كما صدر بعدها عشرات الكتب القيمة، ومازال -كما أعلم- لديه إضبارات علمية عديدة تنتظر منه فراغاً لإكمالها وإخراجها للناس.

الدكتور محمد يوسف نجم

ضيفنا هو أحد النقاد الذين أعطوا الأدب من جهدهم ووقتهم شيئاً كثيراً وأحد المؤسسين لبعض القيم النقدية في الأدب الحديث على الأخص وبعض الدراسات التراثية وله نشاط ثقافي عام في مجلات وإصدارات مختلفة.

ضيفنا هو الأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم أستاذ الأدب العربي في الجامعة الأمريكية في بيروت ورئيس اللجنة الدائمة للثقافة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) والمقرر العام لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي.

وبداية لأي حوار نستهله عادة بتقديم إضاءات أكثر مما قدمت عن السيرة الحياتية بشكل مختصر وبعض الآثار العلمية وبعض العطاءات الأدبية.

- شكراً ياأخي.. أنا يجب أن أقدم نفسي أيضاً بطريقتي الخاصة. فأنا إنسان عربي اسمي محمد يوسف نجم. أحمل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ودرجتي الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة القاهرة أيضاً. وأعمل في التعليم الجامعي منذ سنة ١٩٥٤م وأعمل في خدمة الثقافة العربية منذ أدركت قيمة هذه الثقافة ومنذ أتيح لي أن أخدمها الخدمة الحقيقية من خلال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومن خلال مشاركتي في المؤتمرات والاتحادات والمهرجانات التي تقام في البلاد العربية. وعملي في التدريس وعملي في الثقافة رافقه عمل أو جزء متواضع في التأليف تناول الأدب القديم التراث والأدب الحديث والأدب المعاصر فأنا أعتقد أن الأستاذ الجامعي يجب أن يتعمم قبل أن يتخصص. وأنا تعممت قبل أن أتخصص، اتجاهي واتجاه الجامعة بالنسبة إلي كان أن أتخصص في الأدب العربي الحديث ولكنني وجدت أن ثقافتنا وحدة واحدة وأنه ليس هنالك حديث وقديم في الأدب. هناك تراث أمة متصل وآخذ بعضه برقاب بعض. والشاعر أو الأديب الذي ينبت نبتاً شيطانياً غير مستند إلى تراثه لا أعده أنا أديباً أصيلاً. وما يقال عن الأصالة والمعاصرة أو الجمع بين القديم والحديث هي مقولات صحيحة فيما أرى.

* دكتور محمد يوسف نجم هذا عن المنحى الأثر التخصصي لك وقد بدأته معمماً كما تفضلت وذكرت ذلك ولكن الآثار التي قدمتها علمياً وبالأخص الرسائل العلمية التي بحثتها متخصصاً في بعض المسائل الأدبية بغض النظر عن كونها قديمة أو جديدة؟

- نعم.. من حيث التأليف ما ألفته في الأدب العربي الحديث.. التأليف الأكثر كان في الأدب العربي الحديث.

* نعم

- في النطاق النقدي كتبت كتاباً عن فن المقالة وكتاباً عن فن القصة ودراسة عن تطور النظرية النقدية في الأدب العربي الحديث منذ بدايتها في القرن التاسع عشر حتى حوالي ١٩٦٠م.

* جميل

- وترجمت كتابين في النقد أحدهما مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق لديفيد ديتشيز والثاني النقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمن. وقد ترجمته مع أخي ورفيق دربي الأستاذ الدكتور إحسان عباس الذي أكن له حباً شديداً وتقديراً عظيماً في نفسي. حيث الدراسات في الأدب العربي الحديث. أيضاً كتبت عن تاريخ القصة لفترة معينة وكرست جهدي لتاريخ المسرح وأعتقد أن ما قدمته لتاريخ المسرح يعتبر أساساً للدراسات المسرحية التي قامت في البلاد العربية منذ ١٩٦٠ حتى اليوم. ومازال أعمل في المسرح ولديّ عشرات الألوف من البطاقات ولديّ حوالي ١٠٠٠ مخطوطة من مخطوطات المسرح العربي بعضها سأنشره ولكنني سأضعها كلها موضع دراسة ونقد إن شاء الله إذا مدّ الله في العمر.

وكتبت أنا وصديقي الدكتور إحسان عباس عن شعر المهجر. الشعر العربي في المهجر. وأعتقد أن هذه الدراسة كانت في وقتها دراسة رائدة لأنها لم تكن دراسة تاريخية ولكنها اعتمدت اعتماداً أولياً على تحليل النص واستخلاص المناهج والاتجاهات من النصوص الشعرية وكانت هذه الدراسة سنة ١٩٥٦م أو ٥٧ جديدة في بابها في ذلك الوقت.

الحمد لله أننا لدينا عدة اتجاهات في النقد، اتجاهات حديثة جداً والحمد لله أن المملكة أيضاً فيها عدد من النقاد وأساتذة الأدب الذين يأخذون بالمناهج الحديثة، وهذا مالم نكن نعرفه من قبل.

* لكن لو رجعنا إلى الرسائل العلمية التي قدمتها لكي تحصل على درجة علمية في رسالتي الماجستير اللتين قدمتهما وكذلك في الرسالة العلمية العالية للدكتوراه؟

- رسالة الماجستير الأولى كانت عن أحمد فارس الشدياق. وهو شخصية أدبية جبارة متمردة من القرن التاسع عشر أعتبره من أعظم أدباء زمننا في عصر النهضة. ولم تنشر هذه الرسالة لأنني غير مقتنع بها حتى الآن. ماتزال هنالك فجوة أحاول الآن أن أردمها وهي جريدة الجوانب التي أصدرها الشدياق في الأستانة من ١٨٦١م إلى ١٨٨٤م. والحمد لله أن هذه الجريدة كادت تجتمع الآن بين يدي كاملة باستثناء بضعة أعداد. وعندما أدرس الجريدة لأنها من الأعمال الرئيسية التي قام بها الشدياق إن شاء الله.. سأنشر دراستي عنها.

الدراسة الثانية كانت عن قصة في الأدب العربي الحديث وقد نشرتها بشكل معدل وكانت رسالة رائدة لم يسبق لأحد أن تناول هذا الموضوع، اكتشفت كتاباً منذ سنة ١٨٧٠م وأنا غير راضٍ عن

هذا الكتاب لأنـه تجمع لي مادة جديدة وبحكم السن والخبرة والنقاش مع الطلاب أثناء المحاضرات تكون لـي مادة جديدة وصححت بعض أخطائي وكنت عـازماً على إعـادة النظر فيها وكتابته من جديد ولكن الظروف التي تعرفونها والتي يمر بها لبنان تحول دون ذلك.

* نعـم

– الرسالة الثانية كانت عن المسرح العربي وقد نشرت وهذه الرسالة من خمس عشرة طبعة

* شيء جميل

– الحمد لله أنها كانت مصدراً كما قلت لدارسي المسرح وثم تابعتها وبدأت أكملها لأنها كانت حتى ١٩١٥م تغيرت نظرتي إلى كثير من الأمور وعندي معلومات جديدة وعندي أخطاء ارتكبتها وتبعني غيري فيها. وأنا أعتذر لهؤلاء الذين ضللتهم وجررتهم ورائي إلى الخطأ. ولكن أيضاً العمل مستمر.

ولكن أيضاً الظروف تحول دون أن ينطلق العمل على الصورة التي أبتغيها.

* دكتور محمد يوسف نجم تسمح لي قليلاً أن أشير إلى مسألة من المسائل العلمية في النقد الأدبي التي عنيت بها وهي مسألة المقالة. فقد كتبت كتاباً رائداً في هذا الفن على قلة ما كتبت فيه. كتابك عن فن المقالة والذي طبع مرات عديدة ووزع توزيعاً جيداً في أقطار عربية مختلفة هل لازلت محافظاً على آرائك التي قدمتها بتعريفك لفن المقالة والشروط التي وضعتها ودرسك النقدي لها وبحثك عن أصولها وجذورها في الأدب الغربي بالذات وخاصة الأدبين البريطاني والفرنسي. ثم هل بإمكانك أن تعيد النظر في بعض أصول هذا الكتاب لكي تبحث عن أصل المقالة في أدبنا العربي القديم ثم تطورها في أدبنا العربي الحديث، ومدى استفادة أدبائنا المحدثين في عصر النهضة من المقالة في أصلها وفي جذريها العربي القديم ثم الأوروبي في عصور التنوير في القرون الوسطى. كنت أود أن يكون هذا الكتاب وأنت أهل لذلك يادكتور لما عرف عنك من أصالة وتميز ورصانة في البحث العلمي أن يكون أشمل وأكثر توسعاً وأكثر تفصيلاً ثم أكثر التصاقاً بالأدب العربي قديمه وحديثه في تعريف فن المقالة واكتشاف نصوصه نصوص المقالة الأولى في أدبنا. فهل لك أن تجليّ لنا هذه النظرة وتطرح لنا آمالاً قادمة إن شاء الله في هذا الفن؟

– ياسيدي الفكرة وراء فن المقالة وفن القصة لم تكن دراسة هذا الفن أو تاريخ هذا الفن وتطوره في عالمنا العربي أو في أدبنا العربي أو في العالم فالقضية بكل بساطة أنني في سنة من السنوات أحببت أن أدرّس الفنون الأدبية ومن هذه الفنون الأدبية الجديدة أو المستحدثة في أدبنا كان في المقالة صحيح أن فن المقالة هو التطور الطبيعي لما سمي بالرسالة في أدبنا القديم وتمثل في أدبنا القديم بمختلف الأنواع الحديثة التي أشرت إليها. لكن لم تكن الدراسة هي دراسة أدبية. هي كان كما

يسمى (مانيول) كتيباً يوضع بين أيدي الطلاب كمفتاح لدراسة المقالة. وهذا ما فعلته في فن القصة أيضاً. أنا أدرّس القصة في الأدب العربي الحديث فطلابي لا يعرفون ماهي القصة وماهو فن القصة. فبدلاً أن أقضي الفصل أو نصف الفصل في المقدمات النظرية آثرت أن أكتب لهم كتيباً وأحيلهم عليه ثم أطرق الموضوع مباشرة. الكتيب بين يدي الطلاب يقرؤوا هذا الموضوع.. فعندما نحلل قصة من القصص لأدبائنا لهيكل أو لتوفيق الحكيم أو لنجيب محفوظ أشير إلى كتاب فن القصة وأقول قضية الشخصيات أو قضية الحوار واستعمال قضية الزمن في القصة أو كذا أو كذا طرحت في كتاب القصة صفحة كذا وكذا مطلوب منكم أن تراجعوه يعني لم يكن المقصود أن أدرس فن المقالة كما تفضلت أنت ودرست فن المقالة في الأدب السعودي وهو جهد فيما أرى جهد شاق وعظيم، إن المقالة ظهرت مع الصحافة وكان لها دور قبل أن يكون لدينا مقالة أدبية. كان لدينا المقالة الصحفية التي تتناول الموضوعات. والصحافة لم تكن يعني في بدايتها على الأقل أدباً رفيعاً يعني أنت لاحظت الركاكة الموجودة في أسلوب الصحافيين وكذا ثم تفرعت أصبحت المقالة أداة من أدوات التعبير عن قضايا أو مشكلات أدبية أو إنسانية أو قضايا وصفية أو تحليلية وأصبحت عدة من عدة الباحث كما هي عدة من عدة الأديب الناقد أو الأديب المبدع. فأظن أن الكتابين في حدود تصوري لهما آنذاك قد أدّيا غايتهما. إنما هل أعود إلى هذا الموضوع؟ ثق أن أمامي مشروعات وبدأت في بعضها.. تقتضي سنوات كثيرة جداً. وأسأل الله أن يكون في العمر بقية. ولكن ماحدث من تعطيل في السنوات الأخيرة في لبنان عطل مشروعاتي. كان عندي تصور أن الأدب العربي الحديث كله في العالم العربي أرخ له على أساس الفنون كما فعل مثلاً جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية أن أكتب تاريخ الأدب العربي الحديث في جميع أقطاره وبلاده.

* نعم

– وأنت لا تعرف مكتبتي وأرجو أن تراها في يوم من الأيام.

* أتمنى ذلك؟

– مكتبتي ضخمة جداً. وحريص حتى الآن مع تقدم السن على أن أجمع جميع المصادر والكتب التي تعينني على هذه الدراسة لأنني إنسان مؤمن والمؤمن لا يفقد الأمل والإنسان المؤمن يعيش كما قال الرسول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً» وأنا أعمل لدنياي كأنني أعيش أبداً كما أعمل لآخرتي كأني سأموت غداً.

* نعم.. دكتور محمد يوسف نجم استخلاصاً مما تفضلت في ذكره بالنسبة للفنون الأدبية أود التوقف عند مسألة المقالة في الفترة الراهنة؟

– نعم

* كيف ترى المقالة الآن بعد انحسار المد البياني أو مد الأسلوب البياني الذي ظهر في فترة النهضة المبكرة بعد انحسار الاستعمار تقريباً يعني على وقت زكي مبارك والمازني والزيات وطه حسين والرافعي.. مجموعة البيانيين ممن أرّخوا للفترة البيانية الجميلة في بداية النهضة هل ترى أن للمقالة الآن راية مرفوعة في صحافتنا؟ أم أن هناك فنوناً أخرى زاحمتها وأثرت عليها وأشغلت الأذهان عنها وفي الوقت نفسه صرفت الناشئين عن تتبع البيان العربي الجميل في ذلك الأسلوب وذلك الأثر الرفيع؟

– سيدي المقالة لا تموت لأنها وسيلة حديثة من وسائل التعبير عن النفس، هي ما يتطلبه البحث القصير في جريدة أو في مجلة أو في ندوة أو كذا. المقالة لا تموت ولكن أدباؤنا الكبار الأول كلهم نشأوا وأمامهم تحدٍ كبير هو التراث العربي. التراث العربي عند أعلامه لا أعني التراث العربي تراث قرون التخلف أو قرون التدهور ولكن التراث الأدبي عند أعلامه. وكان الأديب الحديث عندما يرى ينظر خلفه إلى الجاحظ أو أبي حيان أو كتّاب الرسائل ويرى هذه العناية الفائقة في الأسلوب يحاول أن يخرج من عباءتهم، أن يكون معهم، وهذا ما فعله البارودي في شعره.

* نعم

– لما قامت المدرسة الحديثة وجد الشبان آنذاك العقاد والمازني

* نعم

– أن أمامهم شخصاً اسمه المنفلوطي. وهذا الشخص كان كما نقول يعقد جميع الأدباء وكذلك الدكتور طه. فالدكتور طه هاجم المنفلوطي. يريدون أن يزيحوا هذه العقبة حتى يأخذوا دورهم أو يبرزوا. العقاد والمازني.. كل الشبان في قلبهم يعترفون بنفوذ المنفلوطي الأدبي وفي نفس الوقت يجدونه عقبة في تاريخ تقدمهم. الشعراء منهم وجدوا شوقي عقبة ولذلك العقاد هاجم شوقي في عشرات المقالات. ولكنه طبعاً لم يزعزع منزلة شوقي. منزلة المنفلوطي شيء آخر.

* نعم أكيد

– المنفلوطي كان زياً من أزياء العصر في أوائل القرن أواخر القرن وأوائل القرن. كان التحدي البلاغي هو المهارة اللغوية. فالأدباء الشبان عندما ظهروا حاولوا أن يكتبوا فكراً حديثاً بأسلوب بلاغي ولكن بعضهم سقط في الطريق لعدم وظيفية هذا الأسلوب.. يعني.. كيف يمكن أن يعبر محمد حسين هيكل عن فكر الوضعيين أو مدرسة المنفعة أوتين أو انتول فرانس أو روسّو بأسلوب المنفلوطي هذا شيء مستحيل.

* نعم

– وكذلك العقاد كيف يعبر العقاد عن الفكر النقدي للأدب الإنجليزي بأسلوب المنفلوطي هذا

مستحيل. الذي بقي صامداً وفي نظري دوره أقل من أدوارهم هو مصطفى صادق الرافعي. والرافعي سنة ١٩٣٧م عندما توفي أثيرت قضية الرافعي.. يعني.. ماهو أو من هو هذا الرجل الذي صمد وبقي محافظاً على هذا الأسلوب البلاغي الذي فيه محاكاة لأسلوب القدماء ولأسلوب القرآن الكريم.. وكذا. الرافعي بحكم عاهته فقد ولد أصم. وبحكم ثقافته كان أقل من هؤلاء. ولكن كان له أسلوب متفرد. وأنا أحب هذا الأسلوب.. أحبه.. طبعاً عندما أبحث عن الفكر أبحث عنه عند العقاد. ولكن عندما أبحث عن الأناقة الأسلوبية أبحث عند الزيات وعند الرافعي.

* نعم

– فالقضية أن الأسلوب زي، يعني رفاعة الطهطاوي وهو من كبار رجال الإصلاح في عصرنا كتب بأسلوب أقرب إلى الركاكة وهو شيخ أزهري. أسلوبه ركيك في نظري. مع تطور الصحافة أخذ الأسلوب يتطور. لو أخذنا أسلوب الصحافة منذ بدايتها يعني مثلاً مع حديقة الأخبار في بيروت سنة ١٨٥٨م وفي جريدة الأهرام وأنا يعني بكل تواضع قرأت هذه المادة وحديقة الأخبار عندي والأهرام راجعتها من ١٨٧٦م إلى ١٩٥٢م صفحة صفحة وأحس يعني أنه في تقريباً كل عشرين أو ٢٥ سنة تطور أو ضعف في الأسلوب يعني كل ماقام جيل كل ما تغير تغيَّرت الثقافة، وتطورت الثقافة. وكلما تقدمنا حضارياً يتغيَّر المزاج والذوق كما في ملابسنا وكذا في مطاعمنا وفي كل شيء. يعني ماكان يحبه أبي وأبوك وماكان يحبه جدي وجدك نحن الآن لا نحبه.

* نعم

– المقالة فن مرن وفن وعر الأسلوب وأنا في نظري لولا الصحافة ولولا المقامة لما استطعنا أن نجد لنفسنا أسلوباً بحثياً علمياً نستطيع أن نعبر به عن أفكارنا في النقد الأدبي أو في علم الاجتماع أو في الفلسفة أو في حتى الدراسات الرياضية والعلمية والطب. المقالة فضلها كبير.

* محمد يوسف نجم بعد هذه السياحة العلمية في آفاق متعددة لك بحثاً وعلماً ودراسة وطرحاً للرأي أو بحثاً عن هذا الرأي. أود التوقف أيضاً عند بعض المسائل الحياتية لك لكي نستريح معها استراحة؟

– نعم

* لك من العمر ونرجو لك إن شاء الله الصحة والعافية وطول العمر ما يقرب من الـ٦٥ أو سبعين؟

– لا ٦٥ عام. أنا مولود في ١٩٢٥/٧/٢١م.

* إذن أرجو المعذرة.. الخمس سنوات زدتها

– أنا أشعر أني شاب دائماً. وأنا مازلت نشيطاً كالعادة. وعندما تكون الكهرباء موجودة في

بيروت يمكنني أن أجلس على مكتبي ست ساعات دون توقف وأنا أقرأ وأنا أكتب وأنا

* ماشاء الله

– كما كنت أفعل في مطلع شبابي

* ولك من الأبناء يادكتور كم؟

– لي ابنتان وولد وجميعهم متزوجون

* نعم

– ويعيشون حياتهم المستقلة.. وأنا وزوجي نعيش حياتنا المستقلة.

* الدكتور محمد يوسف نجم بالنسبة للقراءات التي تأخذ بها تسلية ومتعة غير القراءة التخصصية العميقة التي تفرضها عليك ضرورة البحث العلمي.. فماذا تقرأ.. أو لو خيّرت في مكتبة أين تقع عينك عليه من الأرفف؟

– أنا رجل أقضي أكثر الوقت في مكتبتي الخاصة. ومكتبتي الخاصة كما قلت كاملة ومتجددة. وأنا أتابع حركات الشباب كما أتابع كتب التراث. وعندما أكون خلواً من أي عمل في الكتابة أو في القراءة المفروضة عليّ أحياناً أتناول جزءاً من كتاب من التراث. ربما كان جزءاً من كتب التفسير أو من كتب الحديث أو كتاب الأغاني أو من كتاب العقد أو من كتب الرجال وأقرأ فيه.. أحياناً أتناول أديباً حديثاً معاصراً وأقرأ فيه وأستمتع بقراءة القديم كما أستمتع بقراءة الحديث. أدب التسلية غير موجود عندي في الحقيقة. يمكن تسليتي الوحيدة أن أشاهد بعض المسرحيات الأجنبية خصوصاً على... مسجلة على شريط الفيديو.. مسرحية إنجليزية.. وهذه المتعة.. أو أستمع إلى موسيقى.. إنما في القراءة أنا لا أميّز إلا إذا كنت مضطراً إلى أنني أقرأ كتاباً بعينه.. وبعض كتب التراث قرأتها أكثر من مرة وأقرؤها أكثر من مرة وأجد فيها دائماً متعة متجددة

* نعم

– يعني هذا التراث الذي يُحارب والذي يصمه أصحابه في الأحيان.. بعض المدافعين عن التراث هم أكبر المتهمين لهذا التراث. وطبعاً لا أريد أن أكشف عن كل أفكاري في هذا.. وقلت هذا في ندوات وفي اجتماعات كثيرة جداً. هذا الدين الذي بني على السماح وعلى التأمل وجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وحث رسوله الكريم على طلب العلم.. هذه دعوة مفتوحة لطلب العلم وهذه توليد لفكرة التأمل.. تأملوا وتفكروا ياأولي الألباب.. دائماً.

* نعم

– ما تأخذوا الشيء بالتسليم وهذا هذا من قوة الدين وعظمة الدين. دين متكامل إنساني منفتح. دين تنوّر ودين عقل ودين فهم. فأصحاب هذا الدين يسيؤون إليه عندما يجمدونه في قالب واحد.

نحن ديننا أقام أعظم حضارة أقيمت في التاريخ.. ولا أبالغ ولا أتعصب.. وأنا أستاذ جامعي ومسؤول عن كلامي. وعندما أقول هذا الكلام أقوله عن دراسة. نحن دوّنا في الفتوح الإسلامية أجمل وأبيض صفحة في تاريخ البشرية. وهذا ليس بشهادتي فقط.. هنالك مستشرق اسمه (ماثيو ارنولد) كتب كتاباً عن الدعوة إلى الإسلام وبين سماحة الإسلام في هذه الدعوة.. الدعوة القائمة على الإقناع.. وعلى ترك الحرية للمدعو.. وعلى معاملته معاملة إنسانية.. هذا الدين الذي نعتز به.. ونفتخر به يجب أن يعود اليوم كما كان عند أصحابه الأول الذين أقاموه عند الرسول صلوات الله عليه وعند خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم.

* نعم

- فهذا الدين هو الذي أنشأ هذا التراث. نحن عندنا في الحديث.. في علم الحديث أقدم منهج علمي للدراسة.. ما نسميه المنهج.. وندرسه لطلابنا اليوم.. استطاع علماؤنا في الصدر الأول أن يضعوا منهج الجرح والتعديل.. هذا أعظم منهج تاريخي.. نقد السند ونقد المتن.. واستعمله المؤرخون من بعدهم.. واستعمله علماء الأدب من بعدهم. وجاء العصر الحديث ليتحدثوا عن منهج ديكارت والمنهج العلمي. هذا كله موجود ولكن أصحاب هذا الدين وأصحاب هذا التراث لا يعرفونه.

بعضهم يتغرب 'غربة تامة ويقول ليس لدينا شيء.. وكل شيء لدى الغرب. وبعضهم ينظر إلى هذا التراث على أنه المرجع الأول والأخير وهذا لا يصح لأن العلم يتطور. الإسلام وضع لنا الأصول السليمة ويجب أن نبني على هذه الأصول السليمة.. ونحن لا نخاف من شيء.

نحن نعتز بديننا لأنه دين قوة ودين حضارة ودين فكر ودين تنوّر فيجب أن نبني عليه. وللأسف أن علماءنا في القرن الأول كانوا يتجادلون ويخوضون في معارك. لا أحد ضرب الثاني ولا أحد قتل الثاني وإنما يناقشون نقاشاً علمياً موضوعياً. وهذا النقاش العلمي الموضوعي.. هذا الحوار الذي كان يطرح الرأي ويقبل الرأي الآخر في نفس الوقت هو الذي أنشأ حضارتنا.

ويجب أن نعود إلى هذا.. يجب أن نعود إليه.. نعيد إلى هذا التراث حقيقته وأصالته وعلميته وموضوعيته.

يجب ألا نشوهه بالتعصب القائم على الجهل بهذا التراث.

* نعم دليلاً على كلامك دكتور لو رجعنا إلى العصر العباسي الأول وكذلك الثاني وربما أواخر العصر الأموي لوجدنا تلك الإشراقات الفكرية والعلمية العظيمة التي خاضها وقدمها أبناء هذه الأمة من عرب ومن غير عرب من مسلمين دخلوا في خير الأمة وتاريخ الأمة العربية والإسلامية وتجادلوا وأعطوا الأفكار المختلفة وأحياناً المتناقضة تناقضاً تاماً ولكن تجمعهم الروح العلمية

وتجمعهم الأهداف العلمية تحت نطاق خدمة الأمة العربية والإسلامية وخدمة الهدف العظيم لنشر تراث هذه الأمة؟

– نعم

* ومبادئها.

– نعم

* فما كان بعضهم يضيق ببعض وما كان بعضهم يحارب فكر بعض وما كان بعضهم يخرج أحداً من دائرة هذا التوجه العام الذي يجمعهم جميعاً. فلماذا نضيق ببعضنا لما نختلف مع بعضنا فكرياً أو نختلف مع بعضنا في بعض الآراء.. يعني.. تساؤل غريب جداً نبثه نحن جميعاً ونحن نتكلم على منبر من منابر الوعي وبث التنوير وبث الفكر الجيد وبث الفكر الملتزم وبث الفكرة الإسلامية المستنيرة أنا أشاركك في هذا التعجب يادكتور.. وما أدري لعلك تؤكد على مبدأ التسامح ومبدأ البحث عن الفكرة المضيئة أين كانت بغض النظر عن حساسيتها أو غض النظر عن إمكانية التصادم أو الاختلاف أو الاتفاق معها؟

– لاشك أولاً.. أولاً كل مسلم ينبغي أن ينطلق من إيمان عميق. وأنا دائماً أقول أنا عربي ومعتز بعروبتي.. ومسلم عميق الإيمان.. وأنا أتمثل دائماً بقول عمر رضي الله عنه: العرب مادة الإسلام.

«العرب مادة الإسلام». فأنا عربي مسلم وبعد ذلك أنطلق في كل دراساتي وفي كل بحوثي وفي كل مناقشاتي وفي نظرتي إلى التراث من أنني عربي مسلم. وأفهم الإسلام فهماً حقيقياً. وهناك أمثلة مشرقة جداً. ولا أقول عن العصر العباسي الأول أو الثاني كما تفضلت.. أقول في وقت مبكر.. اقرؤوا.. اقرؤوا ما روي لنا عن الخلفاء.. اقرؤوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة جيدة.. اقرؤوا السيرة.. اقرؤوا مواقف رسول الله.. مواقف.. قمة في التسامح وقمة في الإنسانية وقمة في التحضر. ومواقف الخلفاء طبعاً الذين اتخذوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لهم.. فلماذا نشوّه هذا الدين ونطمس هذه الصفحات البيضاء من تاريخه ونجتهد اجتهادات.. في نظري.. تسيء إلى الدين أكثر مما تحسن إليه. الدين قوي والدين عزيز والدين قلعة شامخة لا تمسها هذه السهام الورقية التي توجه إليها.

الدين قوي.. وانطلقوا من عزة هذا الدين لا.. لا لتغزوا العالم ولا لتهدموا الديانات الأخرى.. فالإسلام لا يقرّ ذلك.. ولكن لتجلية هذا الدين بصورته الحقيقية.. والدعوة الحقيقية إلى الدين لا تكون بالتكتلات ولا الاجتماعات لا الجمعيات.. الدعوة الحقيقية للدين هي في تجلية حقيقة الإسلام.

* نعم

– وأنا جلست مع مستشرقين وتجادلت مع قسس ورهبان وعلماء لاهوت من المسيحيين، وعندما أكشف لهم بعض النواحي في الإسلام يتعجبون.. فأين.. أين.. فإنني.. عندما أكشف لهم بعض المواقف التاريخية ولا أقول في العصر العباسي أو الأموي.. أقول في زمن الرسول.. زمن الخلفاء.. زمن الإسلام الصحيح في نظري يتعجبون

* نعم

– لم يستطع إلا قلة قليلة من علمائنا أن يسجلوا هذه الصفحات البيضاء المشرقة في ديننا وفي تاريخ هذا الدين

* نعم

– وكيف استطاع هذا الدين أن يبني هذه الحضارة العظيمة.. كيف استطاع أن يقتحم هذه الدول العظيمة المتحضرة.. طبعاً بعض المشترقين يقولون لك.. دولة الفرس كانت في نهايتها وحدثت اضطرابات.. ودولة الرومان وكذا.. لا.. هذا الدين غزا هذه الدول وفتح هذه الدول لأنه أقر مبدأ العدالة مبدأ الحرية ومبدأ المساواة قبل أن تقرها الثورة الفرنسية وقبل أن يقرها أي فكر أوروبي حديث.

* بعد هذه التجلية.. لقيم رفيعة وإنسانية وشاملة في ديننا وفي توجهنا الفكري نحو تراثنا العظيم.. أود التوقف دكتور محمد.. ونحن في ضيافتك نتوقف عند فترة زاهية.. فيما أعتقد.. من عمرك.. ولازالت فترات عمرك زاهية إن شاء الله.. ولكن الفترة الخمسينية أو الفترة الأربعينية وكذلك الستينية.. ثلاثين سنة تقريباً وهي بداية الانتعاش الفكري الجديد في العالم العربي.. عشتها في بيروت.. وهي موطنك وهي بلدك وكانت بيروت مثار تساؤل طويل عند المثقفين والأدباء والفكرين العرب وكانت أيضاً موقع نظرة إعجاب ومكان تجمع لهؤلاء المثقفين لأنها تصدِّر أو تصدِر مجموعات كبيرة من الصحف والمجلات والدوريات المتخصصة.. وكذلك تصدر آلافاً بل أكثر من ذلك سنوياً من الكتب من دور النشر المختلفة. فكانت تحفل بالنوادي العلمية. وأترك الحديث لكي تتحدث بشيء مما في ذاكرتك عن تلك السنوات التي عشتها والتقيت فيها بعشرات من الأدباء والمثقفين العرب.. فماذا تود أن تقول؟ وإلى ماذا تطمح في السنوات القادمة لبيروت إن شاء الله؟

– ياسيدي أولاً أريد أن أصحح بعض التصحيح.. أولاً أنا عربي.. وأنا أصلاً فلسطيني وتجنست الجنسية اللبنانية أو منحت الجنسية اللبنانية بمرسوم جمهوري تقديراً لأعمالي العلمية. وعشت في لبنان وتعلمت فيها أولاً ثم تعلمت في مصر وعشت في مصر.

* نعم

– وصلتي بالعالم العربي كله صلة وثيقة جداً. أولاً أنا أسقط مفهوم الجنسيات في نظري الجنسية أتذكرها عند الحدود وفي المطارات.

* نعم

– إنما جنسيتي الحقيقية الجنسية العربية.. أنا عربي.. أنا أنتمي إلى هذا الوطن العربي.. وهذا الانتماء جعلني أتابع كل ما يجري في العالم العربي كلما يتاح لي ذلك.

بالنسبة لبيروت طبعاً سنوات الأربعينيات كانت سنوات الدرس وأوائل الخمسينات كانت تكملة الدرس في مصر. ومن منتصف الخمسينات حتى اليوم أنا في بيروت مع بعض السفرات.. يعني.. تغيب قليلاً في بعض الجامعات الأمريكية مثل جامعة هارفرد أو جامعة إنديانا كأستاذ زائر. طبعاً أنا شهدت الحركة الأدبية وازدهار الحركة الأدبية. شهدتها درساً وشهدتها معاصرة. شهدتها درساً لأنني لا أبالغ إذا قلت لك أني أعرف الهلال والمقتطف والضياء والجامعة والثقافة والكاتب والكتاب وكل ما صدر من المجلات العربية. وليس لي فضل في ذلك لأنني أنا صاحب اختصاص كما قلت لك بنيته على دراسة جيدة للتراث. وفي نفس الوقت أنا صاحب اختصاص في الأدب االعربي الحديث وأنا أعتبر نفسي من الذين يعرفون الكثير عن هذا التراث. وربما كانت هذه المعرفة الشاملة ناتجة عن النظرة الشاملة.. مادمت أنظر إلى نفسي على أنني عربي فمعنى هذا التراث القديم هو تراثي والنتاج الحديث هو نتاجي سواء كان مصرياً أو لبنانياً أو فلسطينياً أو سورياً أو عراقياً أو سعودياً أو في أي بلد آخر هو مادام.. مادام نتاجاً بلغتنا العربية فهو نتاجي.. أنا ابن هذه اللغة وابن هذه الحضارة.

لكن نعود إلى بيروت.. في الحقيقة بيروت مركز حضاري خسرناه. في القرن التاسع عشر كانت بيروت واللبنانيون كانوا السباقين إلى كل حركات التجديد في الفكر العربي دون استثناء. المسرح أول من عرفه اللبنانيون من سنة ١٨٤٧م مارون النقاش.. القصة أول من عرفها اللبنانيون سليم البستاني سنة ١٨٧٩م. الصحافة اليومية أول من عرفها اللبنانيون سنة ١٨٥٨م. حديقة الأخبار المجلة الثقافية أول من عرفها اللبنانيون مجلة الجنان سنة ١٨٧٠م. وعندما هاجر اللبنانيون إلى مهجرهم الأكبر مصر.. مهجرهم الثقافي الأكبر إلى مصر أو مهجرهم الآخر إلى أمريكا الشمالية أو أمريكا الجنوبية أيضاً أقاموا حركات أدبية وفكرية عظيمة هذا دور لا ينسى لهم. من الخمسينات بدأت بيروت أو من الأربعينات في الحقيقة بدأت بيروت تنتعش أكثر فأكثر في الخمسينات زادت انتعاشاً. وطبعاً هنالك تفسير واضح.. القسط الكبير من الحرية الذي كانت تتمتع به لبنان.. في لبنان كنت تستطيع أن تصدر أية مجلة وتدافع عن أي تيار فكري وعن أي مدرسة

أدبية.. وهذه الحركة الأدبية الكبيرة من ١٨٥٠م إلى ١٨٧٥م ربع قرن من ١٩٥٠م إلى ١٩٧٥م ربع قرن من الازدهار الثقافي العظيم الذي كان تظله راية الحرية.. حرية فكرية وحرية ديموقراطية الفكر والرأي.. والرأي الآخر.. والطرح.. والطرح المقابل.. كل هذه الأشياء كانت مقبولة فلذلك بيروت كانت مركز نشاط لكل الأمة العربية.

* سؤال أخير دكتور.. هل تقرأ شيئاً من الآثار السعودية الأدبية أو الفكرية؟

- والله أنا أقرأ وأقرأ كل شيء ولكن لا أستطيع أن أكوّن رأياً نقدياً.. إنما أنا آتي كل مدة ومدة.. كلما آتي أستطيع أن أجمع الكتب وأقرأها.. وأعتقد أنه هنالك نهضة واحدة واتصلت بعدد من الشبان وجلست إليهم واستمعت إليهم.. يعني هؤلاء الشبان يذكرونني اليوم بما كنت أسمعه من الشبان في بيروت في الخمسينات.

* ونحن نشكر ضيفنا الكريم والذي صحبناه خلال هذه الساعة من الزمن.. الأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم أستاذ الأدب العربي في الجامعة الأمريكية في بيروت ورئيس اللجنة الدائمة للثقافة العربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمقرر العام لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي والعضو في لجان عربية كثيرة تعنى بالأدب العربي وبالبحث في مجالات كثيرة في أدبنا العربي الحديث. شكراً لضيفنا الكريم.. آملين أن نرى نتاجاته البحثية والعلمية مطبوعة منشورة والتي ستخدم بالتأكيد كثيراً من فنوننا وألواننا الأدبية سواء كان ذلك في النثر البياني أو في المسرحي أو في الدرس البحثي. شكراً لك ونلقاك إن شاء الله على خير.

- شكراً ياأخي محمد وإلى لقاء متجدد إن شاء الله.

محمد العروسي المطوي

الأستاذ محمد العروس المطوي رئيس اتحاد الكتاب التونسيين ورئيس تحرير مجلة القصص الصادرة عن نادي القصة في تونس، الأستاذ محمد.. مرحباً بك وأهلاً بك في المملكة العربية السعودية.

– شكراً جزيلاً.

إذا أحببنا أن نأخذ منك بعض المعلومات البسيطة عن.. عنك شخصياً.. المعلومات المتعلقة بسيرتك أو اجتماعياتك؟

– أنا محمد عروس المطوي... طبعاً من قرية من الجنوب التونسي تسمي.. المطوية... ولهذا أنسب إليها زاولت تعليمي الابتدائي هناك... ثم الثانوي والعالي في الزيتونة... جامع الزيتونة... واشتغلت بالتدريس مدة ثماني سنوات، ثم لما استقلت تونس انخرطت في السلك الدبلوماسي، وأنا سعيد جداً بهذه المناسبة إذا قلت إن أول ما سميت سفيراً للجمهورية التونسية إنما سميت هنا في المملكة العربية السعودية وكان ذلك سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف.

* اشتغلت في العمل الدبلوماسي سفيراً في المملكة العربية السعودية؟

– اشتغلت في المملكة واشتغلت في العراق... وأول ما سميت سفيراً... أو أول سفارة.

* أي نعم

– لأنه بالأول كانت مفوضية فانتقلت بعد إلى سفارة... وكنت أنا محظوظاً عندما سميت أول سفير لتونس في المملكة العربية السعودية.

* ومكثت هنا كم سنة؟

– في ثلاث سنوات ونصف تقريباً. ثم بعد العمل في العراق، ورجعت إلى تونس وانخرطت في السلك الدبلوماسي من نوع ثان وهو الحياة البرلمانية... فقضيت أكثر من أربع نيابات... يعني حوالي عشرين سنة، وطبعاً المجال يدعو إلى أن أترك المكان لغيري. وأنا الآن محال على المعاش كنائب سابق من سنوات. لكن الأعمال الأدبية متوفرة وموجودة من السابق... ومن أهمها أنني مازلت رئيساً لاتحاد الكتاب التونسيين، رئيساً لنادي القصة.. وكما تفضلت نادي القصة يصدر مجلة فصلية اسمها قصص.. الآن في سنتها العشرين وهي مستمرة.

* شيء جيد.. ولك كتب أو مجموعات قصصية صدرت لك؟

– والله.. كتبي متنوعة.. فمن جانب الإبداع عندي ثلاث روايات ومجموعة قصصية

ومجموعتان شعريتان. من جانب الدراسة .. عندي دراسات تاريخية في الغالب.. منها دراسة عن الحروب الصليبية في المشرق والمغرب.. منها دراسة عن السلطنة الحفصية وهي من أهم السلطنات في تونس.. في تاريخ تونس.. كذلك أيضاً فيه رسالة أخرى من مدينة القيروان ورسالتها الثقافية في المغرب الإسلامي. بالإضافة إلى أعمال تحقيق أخرى مع.. سواء بالإنفراد أوبالاشتراك. من جملة الإنفراد هنالك كتاب اسمه تحفة المحبين والأصحاب في حال المدنيين من الأنساب أي سكان المدينة المنورة. هذا كنت حققته في تونس بالإضافة إلى أعمال محققة أخرى بالإشتراك مع الإخوان. أذكر على سبيل المثال. جريدة القصر وجريدة العصر.. للعماد الاصفهاني.. القسم الإسلامي المغربي.... أي ماكان يخص شعراء تونس والجزائر والمغرب الأقصى وصقلية والأندلس.. كذلك أيضاً أخيراً تحققنا كتاباً يعتبر كان مفقوداً.. حاولنا جمعه وترميمه وهو أنموذج الزمان في شعراء القيروان.. لابن رشيق القيرواني المعروف بالنقد وهو كتاب مهم لأنه يعطي نظرة أخرى لابن رشيق المعروف بكتاب العمدة والنقد الأدبي. وأنموذج الزمان بين النواحي التطبيقية أو الانطباعات النقدية التي أعطاها ابن رشيق لمائة شاعر وشاعر كانوا معاصرين له.

* جميل

- وعندي أيضاً مساهمات عديدة في مكتبة الطفل العربي.

*ماهو الشيء الذي كنت تحلم به في مسيرتك الأدبية ولم يتحقق الآن؟

- الذي لم يتحقق الآن هو أنني أتمنى أن أنهي ماعندي... في كثير من المشاريع والأشياء التي... الزمن أحياناً بالنسبة للأديب غير المتفرغ.. نحن أدباؤنا في تونس.. لا أدري.. أنتم هنا... لكن نحن في تونس قلّ أن يكون هناك أديب متفرغ... هو يسرق من وقته على حساب نفسه وحساب عياله على حساب أهله، ولهذا كثير من الأشياء التي ربما يرجو الإنسان أن تتحقق .. كما يقال عنك أنك تموت وفي نفسك شيء من حتى.. كذلك الأديب يرغب دائماً وأبداً.. . مادام عنده رغبة في العطاء أن يتم إبلاغ ذلك العطاء إلى غيره.

* نعم... ولو أردت أن تتوجه الآن بأمل أو بدعوة أو بعتاب في رسالة قصيرة فماذا تقول؟

- لمن

* لمن تشاء

- لمن أشاء أنا أو لي أن أعاتب نفسي.

* على ماذا؟

- أعاتبها لأنني كثيراً ما تراضيت عن تسجيل أشياء أو اشتغلت بأشياء أخرى.. غير أنا قد أكون

مثلاً.. عشت مدة في حياتي الدبلوماسية أعتبرها من أجدب حياتي الأدبية... وقد أكون غنياً في ناحية أخرى.. ولكني من الناحية الأدبية ومن حيث الإنتاج أعتبر تلك الفترة كانت جدباء نسبياً.. ولو أني لم أبعد عن الأدب.. حتى بحكم هوايتي أو صلتي سواء هنا في السعودية أو في العراق أو في مصر... كنت إنما على صلة بالأدباء والمحاضرات واللقاءات لكن من حيث الإنتاج.. تأتيك مشاغل أخرى تفرض عليك التوقيت.

* نعم.. وننتظر منك الكثير.. إن شاء الله.

- إن شاء الله... نأمل في ذلك يارب.

* هذا ضيفنا الأستاذ محمد العروس المطوي.. رئيس الكتاب التونسيين.. ورئيس نادي أو رئيس مجلة القصص الصادرة عن نادي القصة التونسية... شكراً لك على هذه الدقائق... ونرجو من الله أن يوفقك لأداء ولتقديم أعمال طيبة سواء في ميدان القصة والرواية أو في ميدان الدراسة التاريخية والفكرية.

- شكراً جزيلاً... وتحياتي لأشقائي في المملكة العربية السعودية مسؤولين وغير مسؤولين من الناحية السياسية أو من الناحية الفكرية والأدبية.

محمد عزيز الحبابي

الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي المفكر والفيلسوف المغربي المعروف عضو أكاديمية المملكة المغربية وأكاديمية علوم ما وراء البحار بفرنسا وأكاديمية البحر الأبيض المتوسط بإيطاليا والأكاديمية الدولية لفلسفة الفنون في سويسرا وعضو مراسل لمجمع اللغة العربية في مصر انتخب أميراً للقصة في عام ١٩٨٢م وله اهتمامات متعددة في محافل علمية مختلفة وقد أعطي درجة أستاذ في الجامعة المغربية بالرباط، كأستاذ للفلسفة وأشرف على بحوث علمية وأكاديمية، وهو صاحب نظرية درست وكتب عنها الكثير وثبت أجزاء كثيرة من أركانها وهي نظرية «الشخصانية الواقعية» أو ما تعرف في بعض الأطروحات العلمية الأخرى «بالشخصانية الإسلامية» وقد أصدر كتابين يحللان ويدرسان أجزاء هذه النظرية الكتاب الأول من الكائن إلى الشخص والكتاب الثاني « الشخصانية الإسلامية، وهو إلى ذلك شاعر وقاص روائي قبل أن يكون مفكراً قد جمع العاطفة والعقل كما يقال وقلما اجتمعتا عند مفكر أو اجتمعا عند أديب مبدع.

* بودي د. محمد أن نذكر نقاطاً مختصرة سريعة عن حياتك أولاً فيها النشأة وفيها التعليم وفيها الإجازات العلمية التي حصلت عليها وكيف بدأت الطريق إليها؟

– بدات ككل الأطفال المغاربة بحفظ القرآن الكريم ثم دخلت المدرسة الابتدائية المزدوجة أي تعلمت العربية والفرنسية، كانت العربية تأتي في الدرجة الثانية لأن الفرنساويين لا يعدونها لغة حية لغة أعمال وإنما لغة تعبُّد، في بيتي أبي كان أستاذاً بالقرويين وجدى كان أستاذاً للقرويين وفي أسرة أمي أسرة أعطت كثيراً من العلماء والفقهاء من سلالة عبدالقادر الجيلاني فإذن استطعت بفضل الله أن أنشأ منذ صباي في جو عربي مسلم وهو في نفس الوقت متفتح على الغرب فأتقنت لغتي القومية وأتقنت اللسان الفرنسي فاصبحت كاتباً باللغتين.

– طبعاً هذه هي البداية الأولى وقد كانت سنة ميلادك عام ١٩٢٣م؟

* ولدت في اليوم الذي ولد فيه المسيح بن مريم في ٢٥ ديسمبر فإذن يحتفل العالم بميلادي دون قصد!! ثم بعد الدراسة الثانوية ذهبت إلى فرنسا وتابعت الدراسة وحصلت على الإجازة في الفلسفة وشهادة في الفيزياء وبعدها نجحت في دبلوم الدراسة العليا، وما يعادل درجة الماجستير ثم في دكتوراه الدولة بالسربون بأطروحتين الأطروحة الأولى حول الشخصانية الواقعية دراسة عامة ثم أطروحة كانت هي من الحريات إلى التحرر وصدر هذا الكتاب في القاهرة كما صدر عن الكتاب الأول جزء من ثلاثة أجزاء تحت عنوان (من الكائن إلى الشخص).

* وواصلت بعد ذلك دراساتك وأبحاثك العلمية والفلسفية في المغرب عندما رجعت؟

- بقيت في فرنسا وقتاً طويلاً لأنني عندما ذهبت إلى فرنسا لأول مرة ذهبت هارباً لأنني لما كنت في الاعدادي كنت نشيطاً في الحركة الوطنية ضد فرنسا فألقي عليّ القبض وسجنت ونفيت، وعندما رجعت إلى عالم الحرية المحروسة استرسلت في مواصلة الدراسة وبعد أن وصلت إلى فرنسا هارباً أخذ مني الجواز ولم أعد متمكناً من العودة حتى بعد أن جاء الاستقلال بقيت محاصراً في فرنسا لأنني لا يمكن أن أتحرك وبعد أن استقل المغرب بسنتين أو ثلاث أخيراً دخلت إلى المغرب.

الكائن والشخص

* د. محمد وقد قدمت إضاءة قصيرة عن حياتك، أود التوقف عند بعض النقاط في فلسفتك وخاصة تلك التي ركزت عليها في دراستك العالية وهي رؤيتك نحو الشخص، وقد بحثت عن الإنسان كائناً ثم عنه شخصاً ثم عنه إنساناً متكاملاً وفسرت كيف يكون هذا الكائن عادياً ثم كيف يتحول إلى شخص ذي قيمة يرؤى ونظريات يعيش بها في الواقع ويتكيف معها لتخلق له الجو الملائم للعطاء والإبداع، ولكن كيف يتحول فيما بعد إلى إنسان متكامل وهو ما يطمح إليه الفلاسفة والمنظرون والداعون إلى القيم المثالية العظمى حينما تتحقق له سبل الالتزام بالمبادئ تكمل الإنسانية في خير ما يراد لها تقريباً. هل هذه النظرية متحققة في الواقع أو تطمح إلى تحقيقها ثم كيف تسعى إلى تحقيقها من خلال القيم العامة. وهل يمكن أن تلتقي في المثاليات الفكرية عند الأديان الأخرى ثم تلتقي مع الإسلام في مجمله هل تتعارض مع رؤى الفكر تقريباً؟

- يا أخي هذا شلال من الأسئلة. هي كثيرة لا يمكن أن أجيب عنها في وقت واحد الأحسن لكي نكون على منهاج قويم أن نأخذ بسؤال بعد الآخر.

* إذن نبدأ السؤال الأول بعد هذه الاضاءة من الكائن للشخص ثم من الشخص إلى الإنسان أريد تحليلاً لهذه المسميات؟

- في أيام الاستعمار كان المستعمرون الأوروبيون إنجليز وأسبان وفرنسيون وإيطاليون يعتبرون المستعمرين -بفتح الميم- في مستوى قليل من مستوى الإنسان الآخر بل ينكرون إنسانيته في بعض الأحيان، إن المستعمر قوة مسخرة في خدمة المستعمر قد شيئونا كما نريد أن نعبر نحن من أشيائهم نملأ أفقهم.. نملأ معاملهم ونحركها ونحمل البندقية لندافع عنهم متى ما كانوا في مأزق أيام الحرب. وبالفعل إن تحرر فرنسا وكثير من الشعوب الأخرى كان في كثير من المواجهات بفضل المستعمرين سنغاليين وماليين ومغاربة وجزائريين، إذن لم نكن أنفسنا كبشر في مستوى البشرية ولكن كآلات متحركة تأتيها أوامر من الخارج وتحركها إذن كنا في مستوى الكينونة الخام ففي الفلسفة الشخصانية كانت تحاول أن يعي المستعمر حالة أوضاعه المنحطة ليتغلب عليها لأنه إذا لم

يعها وكان مريضاً، وإذا لم يكن التشخيص مسبقاً لا يمكن أن يبدأ العلاج.

ثانياً: أن الغربيين المستعمرين أحياناً يتعاملون بحسن نية تجاه هذه الأوضاع كما هي، وجد عادات مكتسبة وعاش عليها ويموت وهو على ما شب عليه فكان يجب أن نصادم الغربي ليفهم أيضاً المضار التي يرتكبها إن لم يكن هو مباشرة جيرانه أو اخوانه أو شعبه هذه عملية مزدوجة، مسألة ثالثة إذا بدأ هذا الصراع المزدوج فإن من ورائه لن نصل إلى أي غاية، هذه الغاية هي أننا نشعر أن لم نمنح الحياة كي نكون أشياء بل أشخاص والشخص دائماً يتشخص ينمي أبعاده الجوانية وينمي الشعور بقيمته وبعيد النظر في كرامته في الوقت نفسه، الآخر يشعر أنا مرتبطان بشكل ليس إنسانياً وليس طبيعياً فيبدأ الصراع من جديد على مستوى آخر وتسير مركب الدنيا بدون استعمار وتسير مركب الكمال عند الآخر ونصل إلى نقطة يكون فيها الحوار بالتساوي هذه هي ظاهرة أولى كيف نصل إلى ذلك؟! هذا هو ما قصد إليه الكتاب الأول من الكائن إلى الشخص دراسة حول الشخصانية الواقعية في أي واقع. الكتاب الثاني تكميل للأول وهو من الحريات إلى التحرر يجب أن تكتسب حرية مخربة إلى أن تصل إلى التحرر التام حرية القول، حرية التعبير، إلى غير ذلك فإذا استطعنا أن نحقق مجموعة من الحريات وكل حرية تتكامل مع الحرية الأخرى فسنتحرر. إذن أن استقلال بلادنا المستعمرة لن يتم إلا إذا بدأنا بتحريرنا من أنفسنا وغيرنا بأنفسنا ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ هذه المسألة الأولى فإذن من الحريات إلى التحرر أعطى غاية من الغايات التي يجب أن تتحقق يكتمل الإنسان اجتماعاً بوجوده الذاتي وبمساواته بكل الآخرين.

مقـــــارنة

* دكتور محمد لو وضعتك في مصاف بعض الأسماء سواء كانت سباقة لك أو آتية بعدك ولكن تلتقون في مرمى واحد وهو مرمى الفلسفة والنظر التأملي الفكري دعنا نأخذ الدكتور زكي نجيب محمود ورؤيته في المثالية الفلسفية تقريباً المستمدة من هيجل ونأخذ في الوسط محمد عزيز الحبابي ثم نأخذ بعدك مفكراً آخر من المفكرين المغاربة وهو محمد عابد الجابري كيف تقيم هذين معك؟

– يجب أن أفيد قليلاً قبل أن أقوم بمقارنات أن أعرف كل واحد في ذاته، نجيب محمود اشتغل بالمنطق قبل كل شيء واشتغل بفلسفة وضعية لم يكن له قصد كما هو في الشخصانية الواقعية ويدور في منهاج عقلاني. أما صديقي وتلميذي محمد عابد الجابري فيهتم الآن بشيء مهم جداً هو إعادة قراءة تاريخ الثقافة العربية الإسلامية وهو شيء مهم في حد ذاته مهم لأنه سينظف تاريخنا من الخرافات والأساطير وكل ما أضيف إليه أنه يقارن بين معطياته. البحث عن الحقيقة من هنا نتفق حول البحث عن الواقع ما هو والابتعاد عن عالم متخيل ليس له عوامل واقعية في الواقع المعيشي. ولكن هو يرمي إلى شيء وأنا أرمي إلى شيء آخر. أنا سبقته لأنني أكبر منه سناً ثم هو بدأ يؤلف

على استقلال بلاده وأوضاعه التاريخية أنا كنت إذ ذاك أشعر بالإهانة كمستعمر وكنت أشعر في داخلي بشيء من مركب النقصان وكان المستعمر يبث فينا ذلك ويشحن نفوسنا بهذا المركب في أنه أتى وهو في عهد الاستقلال ولهذا يصعب أن نقول هذا مشتق من هذا، إننا نتكامل فيما بيننا الثلاثة كما يتكامل كل واحد منا مع آخرين فعالم الفكر متصل ومتسع جداً.

* السؤال عن التشابه أو التنافر؟

– ليس هناك تنافر، هناك تقارب فكل واحد منا يعمل في ميدانه للوصول إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

هيجل وسارتر

* متح كثير من المفكرين من نبع الفكر الألماني من وقت نيتشه إلى وقت جوته إلى وقت هيجل فهل استمددت شيئاً من فكرك أو دراساتك من أحد هؤلاء المفكرين؟ كيف صلتك بالفكر الغربي بوجه عام خاصة النظرية الغربية المحدثة الفوكوية من ميشيل فوكو؟

– أولاً: إن كل ما وصلت إليه الفلسفة من تقدم ما حققته في القرن التاسع عشر والعشرين منبعه هو هيجل الماركسية هيجل. الوجودية هيجل وبالتالي فلابد أن أكون قد تأثرت به إن قليلاً وإن كثيراً هذا أولاً، لقد أخذنا من الغرب كل شيء من الابرة للطائرة وبالتالي لابد أن نتأثر بطرق البحث وكيفية السير وكما يقول ابن خلدون المغلوب ينزع دائماً إلى تقليد الغالب في رحلته للمعاش في سلوكه في تفكيره وإلى غيره ونحن تأثرنا ولا زلنا نتأثر بالغرب إلى أن يشاء الله أن ننهض بأي شيء أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال فسواء إن أردت أو لم أرد إن التأثير يقع دون إرادتنا، نعيش في وسط ما، ذاك الوسط يؤثر علينا هناك تأثيرات واعية وأخرى تحدث دون وعي منا خصوصاً أن الغرب يمثل كل شيء بالنسبة لشعوب العالم الأخرى أما الاختيار والغربلة فتقع مباشرة فأنا في تكويني العربي الإسلامي لا أجد في نفسي ميلاً طبيعياً إلى كل ماهو غربي.. هناك أشياء أهرب منها بالرغم عني هناك أشياء أندفع إليها بالرغم عني هذا شيء طبيعي.

* إذن رفضت كثيراً وربما وقفت كتابياً تأصيلياً أمام فكر غربي سواء حين كنت في فرنسا أو في بلادك؟

– لم يكن الرفض انطلاقاً من موقف متعمد أو غير متعمد فهذه الأشياء تتسرب عن وعي ودون وعي.

القبول ... أم الرفض

* بالنسبة لمصادرك الفلسفية الأولى هل قرأت مفكرينا العرب قراءة قابلة لكل شيء أم قرأتهم ونقدتهم؟

– حينما اكتشفت الفلسفة الإسلامية أعجبت بالغزالي ثم اكتشفت تفكيراً آخر حينما كنت في فرنسا فصرت محايداً بالنسبة للغزالي وبقيت أبتعد عن الغزالي ثم بدأت أنتصر لفلسفة ابن رشد ثم منذ سنوات قلائل أقيم مهرجان عالمي حول الغزالي وموسى بن ميمون وكانت الأكاديمية المغربية تشارك في هذا المهرجان هيأت مؤتمراً خاصاً في المغرب حوله فعدت إلى الغزالي عدت إليه وأنا حزين ولكن رجعت إلى الحب الأول ولم يطل هذا الحب كثيراً لأنني صرت أعثر على أشياء عند الغزالي مقلقة للنفس أنه يعادي الفلسفة ويعادي الفقهاء ويعادي الناس كلها هذا مزاج صعب وفي نفس الوقت يأخذ من هذا ومن هذا ولكن الشيء الذي أزعجني عنده ونفرني من الغزالي والغزالية هو استعماله للحديث الموضوع للحديث الأسطوري الخرافي وهذا شيء لم أتحمله خرافات كثيرة وهو رجل عبقري وأسلوبه ممتاز ولكن كيف بهذا العبقري وقد أجاز لنفسه أن يعتمد في بعض تحاليله على أحاديث خرافية يشم رائحة الوضع فيها من مدى بعيد.

لازلنا مهمشين

* لقد عرفت أنك اتجهت من الكائن للشخص ثم ذهبت إلى رؤية أكثر تفاؤلاً وأكثر تأملاً حين طرحت رؤيتك حول المستقبل؟

– على عكس ما ذهبت في سؤالك ليس هناك تفاؤل، إن التفكير في الغرب مقلق جداً بالنسبة للعالم العربي والإسلامي وإنه يزعج الفكر والقلب ويضطرنا إلى أن نتأمل بعمق وأن نعمل أكثر من اللازم وإلا ستكون الكارثة الكبرى... عندما تحقق الاستقلال والتحرر كما أسلفنا لاحظت أن الشخصانية تجاوزت لاختلاف الظروف ولكن في الوقت الذي نرى فيه الغرب متشائماً من أوضاعه الحالية ويعمل بجد على تبديل الأوضاع وعلى تهيئ الظروف لبناء غد مخالف لليوم نرى أننا لازلنا مهمشين لا نرى إلا نموذجاً واحداً أن نكون مصنعين أقوياء في هذه الحضارة التي ليست لنا ولم نسهم في إبداعها وليست لنا المسائل الكفيلة لندخل فيها لأن الغرب يحرس حضارته ويبعدنا عنها بطرق سليمة وطرف حربية إذن خسرنا المعركة بالحرب فعلينا أن ندخل حرب الغاب عن طريق حضارة نبعت وإلا فإن الغرب سيفوتنا بحضارتين وهذه هي الكارثة الكبرى وهذا هو الاتجاه المعين لنظريتي وقد ضمنتها في كتاب «عالم الغد العالم الثالث يتهم» وفي كتاب «أزمة القيم» الذي سيصدر في القاهرة وهو يطرح مشكل إصابة الصناعة الصناعية بالشلل كما أن هناك كتاباً لم يصدر بعد تحت اسم كتاب «أزمة المبادئ» الذي يظهر المقولات اللازمة لمنطق جديد في حضارة جديدة.

الحبابي .... الأديب

* كتبت إثر عودتك من فرنسا رواية معبرة عن آلام وتطلبات جيلك الثقافية والسياسية والفكرية

فروايتك «جيل الظمأ» التي حملت فيها كثيراً من جيلك، هل لديك اتجاه نحو تكرار التجارب الروائية أو هل لديك أعمال روائية جاهزة معدة للطبع؟ وكذلك الشعر.

- أصدرت روايتين من نوع آخر أصدرت «إكسير الحياة» وأخرى صدرت أخيراً بالدار البيضاء والتي مسرحها الأستاذ محمد عفيفي وقد مثلت في الثلاثة شهور الأخرى في الرباط قلت من نوع آخر لأنها من نوع فرنسي جديد يسمى رواية «العلوم المتخيلة» أما بالنسبة للشعر فقد صدر أول ديوان لي بالعربية باسم «بؤس وضياء» وديوان «يتيم تحت الصفر» كما صدر لي ديوان بالفرنسية إضافة إلى دواوين أخرى بالفرنسية والتي جمعت في ديوان «الأعمال الشعرية لمحمد عزيز الحبابي».

الثقافة .. والحضارة

* يكثر الخلط مابين الثقافة والحضارة هل يمكنكم أن تلقوا لنا الفروق ما بينهما؟

- الحضارة هي نتاج إنساني بدأت منذ أن أخذ الإنسان يصارع الطبيعة ويبدع ويخلق ويكتشف فهذه أشياء مكتسبة تنضم إلى أشياء أخرى يكتشفها الإنسان من ناحية من النواحي وهذا المجموع يكون حضارة إنسانية ليست لأحد أما الخاص فهو ثقافة فهي طرق تمليها الجغرافية الخاصة والتاريخ الخاص فلكل قوم ثقافتهم والثقافات كلها روافد للحضارة لأنها إرث مشترك إنساني عام الحضارة تنطلق بالشمولية حيث لم تكن هناك تقسيمات هذا لي وهذا للآخر ولم تكن في أول الإنسانية قبائل وجنسيات وعنصرية، كان الإنسان هو الإنسان يحارب الحيوان يحارب نواميس الطبيعة التي تفتك به ويحاول أن يعيش وكل تجاربه تنتقل إلى إنسان آخر وتبادل التجارب هو مجموعها الذي يكون الحضارة الإنسانية.

* ماهو المستلب من شخصيتك؟

- كنت أشعر بالاستلاب وقد حاولت أن أتغلب على هذا الاستلاب والحمد لله فقد رزقني الله القناعة.. كنت أتمنى أن تكون لي ذرية كبيرة لكن الله رزقني ولدا.. أنا أعرف أن الشعب العربي لازال يعاني من الأمية ومن النخبوية هذا شيء يؤلم لكنه سيتغير اليوم، في كل الشعوب العربية نلحظ أن الشرطي صار مؤدباً أكثر من ذي قبل، وسائق التاكسي صار يقرأ الصحيفة وهو أمر مبشر.

محمد فتحي غانم

قمت بزيارة إلى منزل الأستاذ محمد فتحي غانم نريد من خلالها الحديث عن جوانب من شخصية ضيفنا الكريم الأستاذ فتحي غانم .. وهو اسم الشهرة روائياً وكاتباً صحفياً ومفكراً. نود أن نتطرق في البداية كما تعودنا إلى تقديم الضيف من خلال بعض أعماله الكتابية بالذات خاصة أنه كاتب متفرغ في هذه الفترة... ويتواجد في صفحات كثيرة في الصحف المصرية بالذات وفي بعض الصحف العربية مرحباً بك أستاذ فتحي.

– أهلاً بك.

* نحاول أن نستجلي كثيراً من جوانب شخصيتك وعطائك الأدبي.. فيما أتذكر صدر لك أكثر من عشرين رواية فيما يبدو... وآخر عمل توليته رئيساً لتحرير مجلة روز اليوسف .. فبعد هذه المسيرة الطويلة لو ألقيت نظرة على الماضي.. ماذا تقول وأنت الآن تمثل استراحة المحارب بعد هذا الكفاح؟

– الحقيقة أن الراحة لم تأت بعد بالمعنى الحقيقي للراحة لأني عندما أتذكر ماكنت أريده لنفسي طوال الحياة ومنذ الصغر ... كان هو الكتابة بالقلم والتعبير بالكلمة ... وكان هذا هو أهم شيء بالنسبة لي.. وتابعت هذه الرحلة بوسائل مختلفة منها التعبير الأدبي بكتابة القصة أو الرواية.. ومنها كتابة المقال الصحفي أو عرض لبعض الأفكار.... ومازلت أمارس هذا الجهد بطريقة أو باخرى... أما الأعمال والمسؤوليات التي توليتها فقد كانت باستمرار نوعاً من التكليف الذي أقوم به كمرحلة من المراحل.... ولم يكن له دور مهم بالنسبة لي.. بنفس أهمية الكتابة.

* نعم... تعتقد أن الكتابة هي وظيفتك الأولى والأساسية؟

– نعم ... هذا صحيح... شغلت بالكتابة منذ طفولتي.. وقد جذبتني الكلمة بقوة تأثيرها وقوة تعبيرها لأني منذ الصغر ومنذ أن بدأت أدرك أني أعيش في الحياة رأى أبي أن يختار لي أستاذاً من الأزهر فعلمني القرآن الكريم وحفظت على يديه آيات القرآن الكريم فكان لهذا تأثير كبير في نفسي... إعجاز الكلمات ومافيها من تناسق وإبداع .. وما فيها من رؤية ورويّ للأحداث .. كل هذا لا شك أنه كان العامل الأكبر المؤثر في اختياري للتعبير بالكلمة والاهتمام بالكلمة.

* نعم طبعاً هذا بناءً على توصية الوالد واهتمامه بك.. يعني لجأت إلى أستاذ من أساتذة الأزهر الشريف لكي تتوالى وتتصل مع القرآن الكريم.. لكن هل لك قراءات أخرى غير الكتاب الكريم؟

– بالطبع

* في بداية التكوين أستاذ فتحي؟

- نعم . . . والدي كان من رجال التربية والتعليم . . وكان الاتجاه في ذلك الوقت وما زال إلى التعليم المتعارف عليه وهو التعليم المدني . . . أن نتعرف على العلوم والمعارف المدنية . . أن نتعرف أو نتعلم اللغات الأجنبية سواءً كانت الإنجليزية أو الفرنسية . . وهذا الاهتمام كان من الطبيعي مرتبطاً بظروف كثيرة للتطور الموجود في العالم . . . نوع القوى الاقتصادية التجارية الثقافية التي تتفاعل في العالم . . فكان المدارس نفسها كانت مدارس مدنية . . وان هناك هذا الاختلاف أو التنوع بين ثقافتين ثقافة من التراث . . ثقافة عربية أخذناها منذ نضج الفكر الإسلامي . . وثقافة أوروبية جاءت مع النهضة أو الحضارة الأوروبية. هذا الاختلاف بين الثقافتين كان في رأي أبي أنه يحتاج إلى إعداد منذ الصغر فلا أتأثر تماماً بالحضارة الأجنبية والثقافة الغربية رغم أنها مهمة ومفيدة . . ولكن يكون هناك باستمرار هذا التوازن بين الثقافة الغربية وثقافتنا نحن .

* جميل . . . . وبناءً على ذلك توجهت في قراءاتك إلى تناولات مختلفة في هذه الثقافة الأوروبية بالإضافة إلى قراءتك العربية؟

- نعم بناءً على ذلك أصبح لدي منهج أتبعه . . وهو أني أثق أولاً في ثقافتنا . . . أثق في أصولنا وأقترب وأنا واثق دون خوف ودون عقد كما يقال عقد نفسية من الثقافة الأجنبية . . . ولذلك من البداية كنت أقرأ وأتعلم أيضاً الإنجليزية والفرنسية وقرأت الكثير من الروايات والكتب .

* على سبيل المثال . . مثلاً . . عناوين أو الأسماء . . أسماء مؤلفين مثلاً؟

- بالنسبة للغة الإنجليزية كان من البداية قراءة مسرحيات شكسبير مبسطة لأنه هناك كتب كانت مبسطة لمسرحيات شكسبير بلغة إنجليزية سهلة . . أو مجموعات من الروايات الكبرى لتشارلز ديكنز مثلاً مكتوبة بلغة مبسطة إنجليزية .

* بالإنجليزية أيضاً؟

- إنجليزية نعم .

* يعني في نصها الأصلي تقريباً ولكن مبسطة؟

- مبسطة

* مثل أوليفر تويست مثلاً . . وما حولها؟

- يعني . . مجموعة كبيرة من الروايات مثل أوليفر تويست . . . ديفيد كوبر فيلد . . . بكويك بيفرز . . الكثير من الروايات لتوماس هاردي وآخرين . . . مثل . . فيما بعد قرأت لألدوس هكسلي وقرأت لهمنجواي وهو أديب أمريكي وباستمرار تطورت القراءة سواء باللغة الإنجليزية أو باللغة الفرنسية . . . وتعرفت على المناهج الحديثة في الكتابة التي ظهرت في الغرب للتعامل مع إيقاع

الحياة السريعة.

أيضاً في اللغة الفرنسية تأثرت بالكتابات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية لكتّاب مثل ألبيركامي وجان بول سارتر وبول كلورويل وهو قديم وفرانسو مورياك والأديبة الفرنسية كوليت وغيرهم كثيرون.

* نعم.. هذا على نطاق الثقافة الغربية... ولكن لورجعنا إلى الثقافة الأم.. الثقافة الأصيلة لنا نحن العرب... ماهي القراءات الأولى التي كونتك تراثياً في الثقافة القديمة وفي الثقافة الحديثة؟

– القراءات الأولى كانت باستمرار في دواوين الشعر سواء الحماسة وأبي تمام.. أشعار المتنبي أشعار أبي العلاء.. أشعار... أشعار كثيرة.. ثم أيضاً قرأت من أهم الكتب التي تأثرت بها في وقت مبكر كان كتاب مقدمة ابن خلدون الرجل الذي وضع أسس علم الاجتماع الحديث.. أيضاً بعض الكتب التي تناولت تاريخ الأمة الإسلامية مثل الطبري ومثل الكتب التي تناولت الثقافات الأجنبية القديمة في الحضارات القديمة... تناول الفكر الإسلامي مثل الملل والنحل وهما كتابان: من الملل والنحل أحدهما لابن حزم والآخر للشهرستاني.

* يعني وكتاب ابن حزم يختلف عن كتاب الشهرستاني أستاذ فتحي؟

– نعم.. هو الاختلاف... نجد في الشهرستاني اهتماماً أكثر بمناقشة القضايا الخاصة بالمذاهب الفكرية.. يعني تجد فيه فيثاغورث... تجد فيه أرسطو.. نجد فيه أفلاطون.. تجد فيه...

* هذا ابن حزم؟

– لا

* هذا للشهرستاني.. هو المشهور في الواقع؟

– وهو كيف استطاع هذا العالم أن يعيد قراءة أفكار القدامى ومناهجهم الفلسفية ويصيغها بصياغة أقول إنها صياغة عالم مسلم بحيث إنه احترم حقيقة الفكر القديم وأبرز المعاني التي تصور الكون التصوير الصحيح من وجهة نظر العالم المسلم... ولم يفعل هذا بالنسبة للفكر اليوناني أو الحضارة اليونانية فقط ولكنه فعل أيضاً هذا الشيء أو هذا التفسير للبوهية مثلاً والكونفوشيه لم يقف عند عملية حجز أو إبعاد الفكر الأجنبي ولكنه نظر إليه من واقع أنه فكر إنساني وأنه بالضرورة.. أنساق داخل هذا الفكر... نقاط مضيئة ترتبط برؤية سليمة للكون من خلال الإيمان بوجود خالق لهذا الكون.. خالق واحد أحد... هذا هو التصور الذي كان يراه في أرسطو وكان يراه في أفلاطون وكان يراه في المفكرين على اختلاف مذاهبهم.

بالنسبة لابن حزم الأمر كان هناك فيه حوار وهو حوار على مستوى راق ورفيع مع علماء الأديان الأخرى... سواء كانوا من النصارى أو سواء كانوا من اليهود... فكان يناقشهم في

مناظرات علمية حول رؤيتهم أو تفسيراتهم . . ويصحح لهم من وجهة نظره التفسيرات التي يقولونها ويوضح لهم أن الرؤية الصحيحة تكون على نحو آخر في النقط التي يختلف فيها معهم.

* نعم. . . . هذا في الجانب التراثي. . . يمكن أبرز ما قرأت تقريباً . . والقراءات الأولى التي كونت شخصيتك الثقافية، في جانب التراث. . . نحن نسميه الآن تراث. . لأنه مضى عليه مائة سنة تقريباً. . أدب النهضة بالذات . . ماهي القراءات التي انتقيتها واخترتها وكونتك. . يعني. . . وهل أصبح لديك في فترة قراءاتك المحدثة القدرة على الاختيار والانتقاء بحيث أنك تنتقي الجيد من الغث؟

- في الفترة الأولى كانت عملية الاختيار من قبل أستاذي من الأزهر الشريف الذي كان ينصحني بقراءة كتب تساعدني على التمكن من اللغة العربية. . . فكان يقرأ معي البيان والتبيين وكان يقرأ معي نظرات المنفلوطي وكان يقرأ لي. . . أو يقرأ معي بعض الكتب للأستاذ مصطفى صادق الرافعي. . . وهي كتب تهتم باللغة كلغة. . . وتهتم بصياغة الكلمة ورصانتها وتهتم بالمحسنات البديعية. . . تهتم بالكلمة في حد ذاتها.

ولكن في الحقيقة . . . بعد ذلك. . . . مع تطور الحياة . . . وبعد الحرب العالمية الثانية. . . ولا شك أنه بتأثير الأدب الغربي من ناحية. . وقبل ذلك لرؤيتي لبعض الإيقاعات الإبداعية الموجودة في آيات القرآن الكريم التي وجدت فيها صياغة على أحدث مستوى معاصر اليوم.

وجدت أني غير مضطر إلى الالتزام بالصياغات الأدبية والتقليدية. . وأنه من الممكن أن نتعامل مع اللغة للوصول إلى القارئ بأسلوب سهل. . . وأسلوب ينقل إليه المعنى دون جهد كبير. . لأنه أصبح المطلوب التعرف على المعاني. . . التعرف على الأفكار. . . التعرف على المواقف. . . وليس الاستغراق في متعة اللغة لحد ذاتها. . . . من هنا كان التعبير بالقصة أو التعبير بالرواية عن أحداث واقعية أو عن رؤية للمجتمع الذي أعيش فيه والعلاقات بين البشر في هذا المجتمع. . . كانت تلح عليّ في أن استخدم لغة قريبة من هذا المجتمع المعاصر. . . وتشجعني على أن أبتعد عن الزخرف اللغوي وأقترب إلى لغة أكثر سهولة في التعامل وفي التناول بالنسبة للقارئ. وهذا هو الذي دفعني إلى عملية التغيير في ناحية التعبير بالأسلوب. . . واتخذ هذا مسارين: مساراً بالنسبة للكتابة الأدبية. . . وهنا كانت العملية شاقة جداً لأنها كانت عملية تنقية الكلمة من كل زوائد أو محسنات لامجال لها. . لأنها إضافة لغوية وليست إضافة للمعنى.

* صحيح

- يعني. . . لامعنى أن استطرد مثلاً في وصف الليل بأنه الليل الجميل الرائع المثير. . هذه إضافات لابد أن أكون أكثر تحديداً فأقول أيّ ليلٍ أتحدث عنه.

* إبعاد المترادف تقريباً؟

– إبعاد المترادفات هذه العملية تختلف من ناحية أخرى عن عملية كتابة المقال الذي يعبر عن أفكار ويحتاج أيضاً إلى هذه التنقية وهذه الدقة في الكتابة... ولكنه لا يحتاج إلى ما يسمى بالإيقاع الضخم الذي يتحرك وينتقل إلى القارئ وهو يقرأ النص الأدبي.. لأنه في النص الأدبي هناك نوع من الاتصال بين الكاتب والقارئ من خلال الإيقاع الذي تتخذه الكلمات وهي تتحرك في التعبير عن معنى ما.... هناك نوع من الشعور النفسي يتردد... نوع من الذبذبة التي تنتقل من الكاتب إلى القارئ من خلال هذا النص الأدبي.

* نعم وبالذات في الجانب الروائي أكثر؟

– خصوصاً في الجانب الروائي .. وهو أحياناً يقترب من الشعر في إيضاحاته ثم يحتوي إلى نوع من النثر القريب من الشعر... أو يبتعد عنه على حسب درجاته.

* الأستاذ الكاتب الروائي فتحي غانم صدر لك أكثر من عشرين رواية.. لعل آخرها فيما يبدو.... فيما أتذكر الحسن والجمال... هذه الرواية الأخيرة... أبرز ملامح رواياتك الفكرية والأطروحات... يعني فيها اتصال واقعي جداً مع الواقع المحلي لك في البيئة المصرية... أم أن لها أبعاداً أخرى أكثر عروبة وأكثر اتساعاً.. ماهي الرواية التي تبقى في ذاكرتك وتود ألا تنساها أبداً... ولاينساها القارئ أو المستمع؟

– صعب أن أتحدث عن رواية ... يعني.. تبقى زي ماهو في النهاية حياتنا كلها كبشر تنتهي ولا يبقى من هذه الحياة إلا الذكرى الحسنة أو النافعة وهذا شيء عظيم.. لأن الإنسان بجسده... بماله .. بكل ما لديه من مقتنيات كل هذا إلى زوال.... ولكن الذي يبقى طالما توجد الحياة ذكراه إذا كان عمل عملاً صالحاً. أو إذا كان والعياذ بالله أخطأ أو ارتكب ظلماً فيبقى هذا كذكرى أيضاً.. ولذلك.. المعنى أو الضمير هو الذي يبقى... الرواية التي تمثل ضمير الإنسان أو تمثل هذه الذكريات عند البشر بما فيهم من خير أو شر، عدل أو ظلم، بما فيهم من رؤية للحياة... هذا هو الذي يهم في نهاية الأمر. بالنسبة ... مثلاً الرواية الأخيرة التي كتبتها العنوان مثلاً ست الحسن... وهو تعبير شعبي.. في رسالة ست الحسن والجمال ولكن المعنى الذي كنت أبحث وراءه هو أنه إذا كان هناك حسن أو جمال فهو هبة من الله سبحانه وتعالى وأن هذه الهبة أو هذه المنحة يجب علينا أن نحافظ عليها... أن نصونها... ولا نتصور أننا نملكها بأنفسنا وأننا نتمتع بها لأنفسنا.. وإنما هي هبة نستخدمها أو نوظفها في الخير.... في خدمة البشر... في العمل الصالح.. فهذه الهبة هبة الجمال.... إذا لم تصنها المرأة وإذا لم تستطع أن توظفها الوظيفة الصالحة فلابد أن تنقلب إلى شر... وتصبح خطراً مدمراً... من هنا أقول لك إني أتناول عملاً ما

في الروايـة فأحاول أن أسير أغوار الموضوع أو القضيـة إلى أكبر عمق أستطيع أن أصل إليه من حيث علاقة الإنسان بالآخر. . . بالآخرين في المجتمع البشري. . . أو علاقته بالكون وبخالقه. . . هذا إذا استطعت أن أحققه . . فهي رحلة تكون شاقة وأشبه بالغوص في أعماق محيط لاقرار له. يهمني كان باستمرار أن البشر يولدون أحراراً بفطرة هي كما نقول دائماً هي فطرة الإسلام. . . ولكن فهم معنى الحرية أحياناً ينحرف بهم. . . فلا يتصوروا الحرية على أنها مسؤولية. . . مسؤولية أن أكون صالحاً. . . أن أكون خيّراً أن أكون عادلاً. . أن أكون أميناً. . أن أكون نزيهاً. . . هذه لا يمكن أن تبتعد عن الحرية. . . يعني. . . حر غير نزيه لايمكن أن يكون حراً. . . الحر كاذب وغير صادق لايمكن أن يكون حراً. . . فحر غير مسؤول عن تصرفاته لايمكن أن يكون حراً. . . . نحن نتحدث عن الحرية الآن ونسلبها كل هذه الصفات التي هي ترتبط إرتباط حقيقي بالحرية. . . هذا خطأ. . . وهذا تصور عندما نتتبعه. . . عندما يريد إنسان ما أن يمارس حريته فنجده ينحرف أو يدخل في متاهات من هذه المتاهات باسم حريته. . . هنا يصبح الموضوع يحتاج إلى تناول وإلى رؤية توقظ لدى القارئ الفهم الحقيقي للحياة.

* نعم . . . يمكن هذه أبرز ملامح الرواية الأخيرة ست الحسن والجمال؟

– نعم

* هكذا ؛ نعم؟

– هو عموماً بالنسبة لي في الروايات الأخرى التي كتبتها كانت باستمرار تتناول درجة الحرية التي يحصل عليها الإنسان ورؤيته ورغبته في أن يتحرك وأن يمارس حياته. . . ثم يحدث أن يقع في انحرافات أو في فهم خاطئ وما يؤدي إليه هذا التورط في الخطأ. . . أحياناً نتصور أن براءته واقتناعه بأنه بريء. . . وأنه لا يفعل شيئاً يضر. . . . هو في حد ذاته يؤدي به إلى نوع من الانحراف لأنه يصبح إنساناً سلبياً وإنساناً ينتظر أو يتفرج على أخطاء الآخرين. . . . وهذا أيضاً خطأ. . ولأنه لايمارس الحياة كما يجب أن تكون الممارسة.

* نعم. . . هل لك كتب أخرى غير الروايات . . . كتب في نطاق الفكر أو التحليل أو النقد الأدبي مثلاً أو الدراسات الاجتماعية . . . المختلفة؟

– هو الكتاب الذي ذكرته لك عن الفن في حياتنا وتناولت فيه مرحلتين من مراحل الفن باعتبار أن الفنون كلها متصلة بعضها بعضاً. . . يعني. . . الحركة الأدبية ترتبط إلى حد كبير بالحركة الموسيقية أو بالمسرح أو بالشعر أو بفنون الرسم. . . والتشكيل. . . الرسم. . . والفنون التشكيلية. . . . تناولت مرحلة لكبار الأدباء. . . كان طه حسين في الأدب . . . . اعتبرته أنه يقارن بأم كلثوم في الموسيقى. . ويوسف وهبي في المسرح والفنان مختار في الفن التشكيلي. . . وفي مرحلة تالية قارنت

بين توفيق الحكيم في الأدب ومحمد عبدالوهاب في الموسيقى وزكي طليمات في المسرح. . . . ورأيت أن المرحلة الأولى كانت شخصيات لها نوع من القيادة بقوة الشخصية. . . يعني طه حسين كانت شخصيته قوية. . . وقام برحلة من أعماق الريف في الصعيد إلى القاهرة إلى الأزهر الشريف ثم إلى الخارج. أيضاً أم كلثوم جاءت من قرية في الوجه البحري إلى القاهرة . . . وأيضاً تزعمت عالم الموسيقى. يوسف وهبي أيضاً خرج من أسرة لا صلة لها بالمسرح وأصبح شخصيته. . . . له شخصية قوية ومؤثرة. . . الشخصية هنا هي التي أبرزته وجعلت منه نوعاً من القيادة الكبيرة في مجاله الذي يعمل فيه. بالنسبة للجيل الذي يليهم من ناحية التطور . . . توفيق الحكيم اهتم بالصنعة يعني كانت صنعته في الكتابة أهم من شخصيته وكذلك عبدالوهاب صنعته في الموسيقى كانت هي الأبرز من شخصيته. . . يعني. . . أم كلثوم كان لها نوع من الزعامة الكبيرة. . . عبدالوهاب زعامته ليست من هذا النوع . . . . زعامته في مهارته. . . في ذكائه. . . في براعته. . . في صنعته وفنه. أيضاً زكي طليمات كان وجوده في المسرح ليس على مستوى الشخصية الكبيرة كيوسف وهبي ولكنه كان صانعاً خبيراً في صنعته في مجال المسرح. وفي هذا الكتاب تناولت هذه الفكرة. . . وكان فيه رؤيتي لعالم الأدب والفن في المجتمع المصري.

* نعم. . . الأستاذ فتحي غانم بعد هذه الرحلة في الصحافة. . . وأنت الآن متقاعد وبعيد عن العمل الصحفي إلا من خلال الكتابة. . . ماذا أعطتك الصحافة خلال المدة الطويلة التي عشت فيها؟

– أعطتني تجربة كبيرة عن الحياة. . . عن العلاقة بين عالم الكتابة والنشر وعالم السياسة والعلاقة بينهما خصوصاً أني مررت بمراحل مختلفة بين العمل في الصحافة عندما كانت ما يسمى بالقطاع الخاص أو الحر. . . . وعندما كانت الصحافة تعتبر أحد القطاعات السياسية في داخل المجتمع. . . وتبع يعني. . . الجهاز السياسي. . . أعطانا. . يعني لها وضع في التشكيل السياسي الموجود في المجتمع. . فالاختلافات التي مرت بها الصحافة نظرت إليها كتجربة وكتبت عنها أكثر من رواية. . . يعني. . . . الرجل الذي فقد ظله. . . وزينب والعرش. . . من الروايات التي تناولت عالم الصحافة بشكل واضح.

* وكيف تقيّم الصحافة المصرية الآن. . . يعني. . وأنت الآن كمتابع من بعيد. . . . قارئاً وكاتباً؟

– إنها في مرحلة من المراحل يعني. . . أصفها بأنها مرحلة أزمة التحول أو الانتقال أولاً هناك أزمة عامة للصحف عموماً في العالم. . . أنها تنتقل من الشمولية. . . . يعني. . . كانت الصحيفة تتناول كل الموضوعات. . . صحيفة شاملة تتناول السياسة. . . الاجتماع . . . . الرياضة. . . الحوادث. . . . أخبار البورصة. . . . أسواق المال. . . . كل هذا في صحيفة واحدة. الآن الاتجاه إلى الصحافات المتخصصة. . الصحافة المتخصصة. . لأنه بالنسبة للأخبار العامة أصبح هناك

التلفزيون والقنوات الفضائية القادرة على نقل الأحداث بسرعة وفي نفس اللحظة، وبكل الوسائل نستطيع أن نرى الحدث ونرى الأشخاص الذين.. يعني.... يواجهون الحدث... فلا معنى لأن تعيد قراءة هذا في الصحيفة أصبح المهم أن ترشدك الصحيفة إلى مزيد من الفهم أو التمييز بالأحداث التي هي في مجال اهتمامك . طبيعي أن الاهتمامات متعددة فإذا كان اهتمامك سياسياً فلك أن تقرأ صحيفة سياسية... إذا كان اهتمامك رياضة فتقرأ رياضة.... إذا كان اهتمامك بالأحداث الاجتماعية فهناك صحف مختصة بهذا.... إذا كان اهتمامك بالفن... حول مجالات الفنون... فهناك صحافة مختصة بهذا في العالم اليوم.... التخصص يزداد... فهناك صحف متخصصة للحدائق.. للمنازل.. للطعام وطهي الطعام.... صحف خاصة مثلاً..... ألعاب خاصة مثل صحيفة خاصة تصدر للشطرنج مثلاً أي لعبة من الألعاب المتخصصة.. الكرة.... كرة القدم فقط وليس غيرها... كل هذا.... أصبح التخصص هو الطابع السائد.... هذه العملية تحتاج إلى نوع من التحول لم يتم حتى الآن ولكن بدأت الصحف في مصر وفي العالم العربي الآن تتجه إلى هذا التخصص أو تصدر طبعات أو مطبوعات متخصصة إلى جانب الصحيفة الشاملة ... ومع الوقت سوف يبرز التخصص أكثر وأكثر.

النقطة الثانية بالنسبة للصحافة أن التحولات التكنولوجية في الطباعة من حيث طريقة تصوير الصحيفة وجمعها الأخبار وإعدادها وطباعتها ونوع الورق الذي يستخدم وتوزيعها عن طريق الأقمار الفضائية على مسافات شاسعة في الكون كله... كل هذا أيضاً يحتاج إلى عمليات تمويل وعمليات... وإلى رؤية اقتصادية من نوع آخر... أعتقد أنه مازال هناك مشكلات أمام صحافتنا في مواجهة هذه التطورات الاقتصادية المالية.

* يقال أو هكذا نرى أن الصحافة المصرية بالذات والكتاب المصريين... على احترامنا وتقديرنا لجهوداتهم الفكرية والأدبية وعطاءاتهم يعني... يكاد أن يكونوا منغلقين على أنفسهم فلا يعرفون إلا ما كان مصرياً من الكتاب والأدباء ومن الثقافة... على حين هناك نهضات ثقافية وكتابية في أوطان عربية كثيرة مثل... في المغرب.... في سورية.. في العراق... في لبنان... في المملكة العربية السعودية... بمعنى أن مثلاً الكتاب المصريين لا يعرفون كثيراً عما يحدث في المملكة العربية السعودية من توجهات ثقافية وفكرية وعطاء إبداعي في القصة وفي الشعر إلا بقدر يسير جداً... فما سر هذا الانغلاق على ثقافة مصر؟ بينما يفترض أن يكون هناك تواصل عربي أكثر شمولاً.

– هو يعتقد أن عملية اللقاء تتحقق في مناسبات عديدة... ويعني هناك... مجموعة كبيرة من الكتاب المصريين يذهبون إلى السعودية في كل عام... أعتقد أن هذا معروف.

* نعم.. في موسم الجنادرية؟

– في موسم الجنادرية.. ويكتبون عن هذا الموسم... يكتبون عن هذه اللقاءات... هذا يعني موجود... ولكن ربما الذي يعنينا هو درجة الاهتمام.. وأن نكون خارج نطاق اللقاءات وذكر هذه اللقاءات والحديث عنها والحديث عن الأشخاص... ربما كان الأهم أن تكون هناك تناول للأعمال بالتحليل.. بالنقد... بعرض ما يكتب ويناقش ... هذا الجانب الفكري الجاد لاشك أنه ينقصنا إلى حد كبير.. . ولا يعاني من هذا الكتاب العرب عموماً ولكن حتى نحن في مصر هنا... أنت تتحدث معي... وكثيراً ما يقال أو تقرأ أن ما أكتبه لا يلقى الاهتمام الواجب من النقاد... وكثير من الكتب التي أخرجتها وطبعت في الخارج وظهرت عنها أبحاث كثيرة وفي الخارج... ومع ذلك هناك نوع من الإهمال بين النقاد له.. وأنا أقرأ هذا... وأقول إن هذا لا يهمني ككاتب... إنما هي رؤية أفكار نتبادلها ونطرحها للمناقشة.... ويعني يكون لها دور في تحريك الفكر وفي صنع رؤية ورأي عام... هذا الأمر له أسبابه التي ربما نجدها في مجتمعنا.... نجدها في غير الأدب وفي غير الاهتمام الأدبي.... لها مشكلاتها الاجتماعية ومحاذيرها... ولكن أعتقد أن المشكلة التي تطرحها موجودة أولاً ولكنها ثانياً موجودة في مصر كما هي موجودة في الخارج حتى بالنسبة لما يكتبه الأدباء المصريون.

* نعم... نود أن نتناول بعض التساؤلات خلال العشر دقائق الباقية من البرنامج... وتكون الإجابات .. بصورة أقصر لأنه بقي معنا عشر دقائق. في عائلتك... هل هناك من العائلة أم من الأبناء من يتوجه توجهاً ثقافياً؟

– هو لي إبن واحد... وهو أحمد... ودرس في الجامعة الأمريكية في القاهرة... وكانت دراسته في العلوم السياسية ولكنه اهتم بالسينما ورفض أن يعمل في الدبلوماسية في أي نشاط خاص بدراسته السياسية وقال إن السينما تستفيد من الدراسة في العلوم السياسية... وله في هذا شأنه ... وبدأ العمل منذ ثلاث سنوات كمخرج سينمائي.. واشترك مع المخرج رأفت الميهي أظن في رواية سيداتي آنساتي كمساعد مخرج... ومع .... في فيلم الإمبراطور... أحمد زكي ورغدة أيضاً كان مساعد مخرج... له نشاط في أفلام تسجيلية.. ولكن حياته هو يختارها.. وهذا قدر.

* قراءتك لشيء من الأدب السعودي... ماذا في ذاكرتك من الأدب والثقافة السعودية أو أعلام الأدب السعودي؟

– في الواقع هي قراءات يعني... ينقصها الكثير ... كنت أرجو أنك أنت.... يعني كنت تترك لي فرصة لأن أتذكر ما قرأته في بعض المجالات السعودية والتي شاركت في الكتابة في بعضها أحياناً كإقرأ أو أقرأها يعني... و

* مثل الكتّاب . . . هل تتابع كاتباً معيناً في المملكة العربية السعودية أو قرأت كتاباً . . . لدينا طبعاً مجموعة كتّاب في القصة في الشعراء نقاد أدباء . . . سمعت مثلاً عن ناقدين . . . دكتور عبدالله الغذامي . . . دكتور سعد البازعي . . . مجموعة كبيرة من المبدعين الشعراء . . . حسن القرشي . . الدكتور غازي القصيبي . . . . سعد البواردي مجموعة من الكتاب في الصحافة . . تركي السديري . . . عبدالله الجفري . . . نماذج معينة؟

– عبدالله الجفري . . . قطعاً أنا قرأت له . . . كل هذه الأسماء لاشك أني قرأت لها سواء كانت شعراً أو مقالاً . . . سواء قرأت مثلاً في الشرق الأوسط . . . في الحياة أو قرأت في مجلة إقرأ . . . . في مجلة الحرس الوطني . . في كل هذه . . . . من المطبوعات التي أقرأها وفيها دراسات وفيها مقالات . . لاشك أنها على مستوى جيد أيضاً في صحيفة عالم اليوم أيضاً في . . في . . . بل أقصد أن هناك مجموعة من المقالات أذكرها ولكن في حدود أنني تابعتها كشيء أقرأه في مجلة أو في جريدة . . . ولكن لم أقف موقف الدارس أو الناقد خصوصاً أن هذا كله يعني . . . جاء في السنوات الأخيرة التي لاحظت فيها عموماً أن النهضة الصحفية وعملية النشر في السعودية تأخذ إيقاعاً متسارعاً وناضجاً من حيث الطباعة . . . من حيث التطوير . . . من حيث وجود أقلام جديدة كثيرة تكتب وبجدّية طبعاً . . . هذا كله ملحوظ .

* نعم . . . جميل . . . لعل السؤال الأخير أستاذ فتحي هو رؤيتك وتفاؤلك للواقع العربي في المرحلة الراهنة هل أنت متفائل من مستقبل الأيام بالنسبة للأمة العربية كأمة قوية متضامنة تعالج أخطاءها تبتعد عن الانتكاسات التي تحدث في تاريخها عموماً . . . نتمنى أن نرقى إلى مستوى أفضل من حيث الإنجاز التنموي والإنجاز الحضاري والتواصل مع الأمم الأخرى بشكل مستقل وبشكل قوي؟

– إذا كان على التمني أو الأمنيات فطبعاً أتمنى الشاهد يقول . . أنني إن صدقت فهي خير المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً . . يعني . . . ممكن أن يكون الأمر كذلك . . . إنها أماني نتصورها ونريد أن تكون صادقة . . . . وإذا لم تصدق فقد عشنا بها زمناً رغداً . . لكن أقول إن علينا في هذه المرحلة ألا نفكر كثيراً في هذه الأحلام ولا تشغل بها عن من واقع صعب ولابد أن نواجهه وندرك أننا في الأمة العربية نعاني من مشكلات كثيرة حادة وتناقضات سياسية تتحول إلى معارك . . ولا أريد يعني . . . أن أدخل في تفاصيل ولكن أقول لك إن هذا أمر واضح . . . وأن علينا أن نتمسك برؤية الواقع وبالفهم وأن نستخدم عقولنا وألا نغرق . . . نغرق في الأحلام . . . بل نكون واقعيين وأن نحدد بوضوح وثقة ما نريده لأنفسنا ونعترف بأن الوطن العربي قائم على عدة أوطان وأن هناك مصالح واهتمامات متعددة . . . وأنه عندما نعترف بهذا نستطيع أن نواجه

الواقع.. ونستطيع أن نتفاهم على هذا الأساس... أما أن نتجاهل وجود خلافات ونتجاهل وجود مصالح مختلفة ومتعارضة أحياناً فهذا لن يساعدنا على الوصول إلى المرحلة التي سوف تأتي فيما بعد ليكون هناك نوع من التفاهم العام والأشمل وتتحقق الأحلام التي نتحدث عنها.

* رسالة أخيرة أستاذ فتحي؟

– أن يكون إحساسنا باحترام أنفسنا قائماً على أنه في نفس الوقت احترام للآخرين... أن يكون حرصنا على حريتنا قائماً في نفس الوقت على حرصنا على مسؤوليات... وعلى تمسكنا بالقيم الأصلية كالصدق والأمانة والنزاهة.. أن يكون إدراكنا لحقيقة الحياة أن الذي يبقى هو العمل الطيب الصالح.

* يطيب لي أستاذ فتحي أن أشكرك على هذه الضيافة الجميلة... ونحن في زيارة إلى منزلك العامر في القاهرة شكراً لضيفنا الكريم الأستاذ فتحي غانم الذي قدم للمكتبة العربية أكثر من عشرين رواية وأكثر من كتاب في مجالات أخرى مختلفة وكان نائباً لرئيس تحرير مجلة روز اليوسف إلى وقت قريب ولكنه الآن متفرغ للكتابة وللعطاء ويكتب بشكل منتظم أسبوعياً في عديد من المطبوعات المصرية والعربية.. شكراً لضيفنا الكريم ونتمنى في الواقع عمراً مديداً وعطاءً متواصلاً إن شاء الله.

– أشكرك.

منصور بن إبراهيم الحازمي (١)

نحن الآن في زيارة إلى منزل الأستاذ الدكتور منصور بن إبراهيم الحازمي الأستاذ بجامعة الملك سعود سابقاً . . عضو مجلس الشورى . . وهذه الزيارة في الواقع زيارة مثمرة بالتأكيد لأنها زيارة إلى منزل أديب وباحث وشاعر . . . ونحن الآن في هذه المكتبة والتي تنم عن شخصية صاحبها لتعدد المعارف وتنوعها ولتعدد اهتمامات صاحب هذه المكتبة. . . فقد اطلعت على بعض جوانب من الكتب الموجودة. . . . وفي الواقع أنا أغبط الدكتور الحازمي على هذه الثروة التي يمتلكها والتي اقتنصها طوال فترة قراءاته ومطالعاته وزياراته ورحلاته وأصبحت تكوّن في الواقع الجزء الغالي من المنزل في هذا المكان من البيت. مرحباً بك يا دكتور . . وأهلاً بك. . . والواقع أنا قدمت تقديماً مختصراً وإلا فالتقديم هو أطول من ذلك وأكثر من ذلك وسيجرنا الحديث إلى أعمالك. . في أثناء الحديث. . مرحباً بك.

- شكراً. . شكراً يا أخ محمد. . وأرجو أن تكون هذه الزيارة مثمرة كما تقول. . . والمكتبة طبعاً هي جزء من شخصية أستاذ الجامعة والواقع أنا لا أتضرر أو أتميز بهذه المكتبة. . . وإنما يبدو أنها كما يقولون أداة للشغل أو أداة للعمل.

* نعم طبعاً . . . ليس من باحث إلا وراءه مكتبة كهذة تزيده؟

- نعم صحيح

* طيب دكتور . . . يعني الآن زيارتي إليك في هذا الوقت وفي هذه السنة. . . بعد أن ابتعدت عن الجامعة قليلاً. . . وإن لم تبتعد بهمتك وبحثك ودراساتك . . . أنا أعتقد أن الزيارة الآن مناسبة لكي تقول شيئاً ما بعد أن قضيت فترة رائعة ومثمرة في الجامعة وتخرج على يديك أجيال من الدارسين ومن الباحثين وبعد فترة طويلة من المعاناة العلمية ومن معاناة الدرس والبحث العلمي. . . ماذا تقول عن الفترة التي تقضيها الآن؟ هل من كلمة في أي مرحلة أنت الآن؟ في أي فصل من فصولك؟

- والله يا أخ محمد أنت تعرف أن أستاذ الجامعة في الواقع عندما يسلك الطريق الأكاديمي العلمي فإنه يظل طوال حياته ملتزماً بهذا الطريق الذي سلكه. . . وإن اقتضت خدمة الوطن أحياناً أن يتنقل من مكان إلى مكان ولكنني سأظل مديناً للجامعة . . ومنتمياً إلى الجامعة . . وأنا أعتبر وجودي في مجلس الشورى مثل زملائي الآخرين هو في الواقع عبارة عن خدمة توخى المسؤولون أننا نستطيع أن نقدمها. . ونرجو أن نكون عند حسن ظن الجميع في هذا الاختيار . . أما العلاقة بالجامعة فلا تزال. . أنا عندي إشراف الآن على بعض الطلاب والطالبات وليس ما يمنع

أن أعطى بعض الدروس في المستقبل . . . وإذا كان أمر الشورى ينص على أنه لا يجوز الجمع بين وظيفتين . . فإن رئيس مجلس الشورى حفظه الله الشيخ محمد بن جبير في الواقع يتحمس كثيراً جداً لنشاط الأعضاء خارج المجلس ويشترط أن لا يؤثر هذا العمل الخارجي على العمل الأساسي الذي نحن بصدده الآن وإنما أنا لا أزال في الواقع أرى أنه طبعاً الجامعة . . لم أفقد الجامعة ولم تفقدني الجامعة وأرجو فعلاً أنني أستمر في البحث العلمي لأنه جزء من كياني وجزء من طبيعتي ومن شخصيتي ومن تربيتي لأننا قد تربينا على هذا الطريق فنحن لانزال في هذا الطريق إن شاء الله.

* دكتور منصور الحازمي . . وأنت عضو مجلس الشورى . . . . وأنت تفضلت وفتحت باب الحوار عن مجلس الشورى . . طموحك كإنسان مثقف داخل هذا المجلس . . . أكاديمي ومؤسس ثقافياً ولك اهتماماتك الثقافية الذاتية بعيداً عن تكليفك كأستاذ في الجامعة ماهي الأشياء التي تطمح إليها في تكوين الثقافة في بلادنا؟

-المجلس قسم إلى ثمان لجان . . يعني . . . لدينا ثمان لجان . . أنا في لجنة . . . اللجنة التعليمية الثقافية والإعلامية . . هذه اللجنة نستطيع من خلالها أنا وزملائي أن ننظر في كثير من القضايا أو الموضوعات التي تهم المواطنين في الواقع . . بالنسبة للتعليم أو الثقافة أو الإعلام . . وكما ترى بالنسبة للثقافة المسؤول عن الثقافة في الواقع أجهزة متعددة . . يعني . . الرئاسة العامة لرعاية الشباب . . . وزارة المعارف . . . وزارة الإعلام . . . . أيضاً هناك جهات أخرى تشارك في القضايا الثقافية أو . . الأجهزة الثقافية إذن متعددة ومتشتته . . وليس هناك جهة واحدة . . جهة واحدة ترعى هذه الشؤون . . وربما في المستقبل . . وأنا أعتقد أن هذا . . طرح الموضوع في الواقع قبل هذا . . يعني . . إنشاء وزارة مثلاً للثقافة . . . أو جهاز للثقافة أو أن تتبع الثقافة لجهة مثل الرئاسة العامة لرعاية الشباب ممكن أن تكون الرئاسة العامة للثقافة والشباب . . . يعني هذه من الأشياء . . التي كانت طرحت سابقاً قديماً . . . فأنا أعتقد أن مثل هذه الموضوعات ممكن أن تطرح في هذه اللجنة ومن خلال مجلس الشورى . . ومن خلال طبعاً الاتصال بالمسؤولين وبالأجهزة الثقافية التي تتولى وترعى الشؤون الثقافية . . . وأنا فيما يبدو لي أن الثقافة . . مرة كتبت عن الثقافة وقلت إنها الجبهة الضعيفة التي نُسيت . . . نسيت الحكومات العربية أن تقويها . . أنا أعتقد أنه . . والتي يستطيع أن ينفذ منها أعداء الأمة الإسلامية وأعداء الأمة العربية . . لأن الثقافة في الواقع ليست قضية أدب وفن ومكتبة وإنما الثقافة هي كيان . . وهي سلوك وهي شخصية الأمة . . هي في الواقع . . . التي . . هي . . . . هي . . . هوية الأمة ولذلك أنا أعتقد أن الثقافة مهة جداً . . . وإذا لم نتنبه إلى أثر الثقافة وإلى أهمية الثقافة فإننا معناه أننا فعلاً أغفلنا جبهة مهمة جداً يستطيع أن

يتسلل إليها المتسللون . . يعني هذا مهم.

* دكتور منصور . . تعني ملخصاً لحديثك . . . تكوين جهة واحدة ترعى الثقافة في بلادنا . . . يعني . . . تكون هي المعنية بمنح الجوائز . . . بإقامة المنتديات . . . المهرجانات . . . . طبع الكتاب . . . تسويق الكتب . . . إنشاء المجلات الأدبية المتخصصة . . تكوين الوفود الثقافية التي تمثل البلاد خارج المملكة مثلاً . . . . وهكذا . . . مسابقات خاصة بتنشيط الحركة الثقافية؟

– والله أنا أعتقد أن هذه هي الفكرة . . وأن هذه الفكرة ليست جديدة وليست من عندي ولا من عند أحد . . هي . . . هي قضية قديمة . . وسبق أن طرحت ونوقشت حتى في الصحف . . . يعني . . لماذا . . لماذا الانتشار؟ مثلاً جهة معينة . . مؤسسة أو وزارة أو أي . . . سمها ما شئت . . ممكن أن ترى هذه الأجهزة الثقافية التي قد يكون هناك فيه تكرار وفيه تضييع للجهد . . يعني . . بينما لو جمعت الكوادر الفنية والبشرية في جهة واحدة وجمعت ميزانية هذه الأشياء المبعثرة في جهات متعددة . . يعني . . مثلاً الآثار . . . . عندك فيه إدارة للآثار في وزارة المعارف وفيه عندنا قسم للآثار في الجامعة . . . والمكتبات أيضاً . . . الترجمة . . . يعني . . فيه أشياء كثيرة جداً . . . فلذلك أنا أقول أنه يعني . . من صالح بلادنا أن تتوحد الأشياء الثقافية في جهة واحدة لكي نستطيع أن نخطط للثقافة، صحيح أنها تنبع من المثقفين والمبدعين ولكن لابد من رعاية الدولة لها . . . ولابد من التخطيط للعمل الثقافي بشكل واع وبشكل مدروس بحيث إننا نستطيع فعلاً أن نواجه هذا الغزو الكبير جداً الذي يأتينا من خارج الحدود . . والآن من خارج الفضاء لأن الفضاء الخارجي مع الأسف يعني . . الآن الحقيقة هناك تسابق كبير جداً كما تعلم وأنت من رجال الإعلام أن الحقيقة الساحة . . . ولاسيما الذي تشاهده في المحطات الفضائية يشكل اختراقاً كبيراً جداً وخطورة كبيرة جداً على هوية البلدان وعلى ثقافتها وعلى كيانها وعلى قيمها . . فإذا ما قمنا في الواقع . . . . جهة قوة ومدعمة ودراسة ولديها الفنيون ولديها الكوادر المؤهلة . . الآن ليس . . لا يوجد هذا مع الأسف . . لا يوجد(*).

* وأنا أعتقد أن تكوين الجهة هذه سيساعد على نشر الكتاب السعودي وعلى إبراز صورة المثقف السعودي الذي يحمل هوية هذه البلاد وينقل الصورة المثلى لهذه البلاد في الواقع . . . بالإضافة إلى أننا محتاجون كثيراً لنشر تراثنا . . وفيه أشياء كثيرة؛ مخطوطات لم تنشر . . . . للترجمة يا دكتور كما تعلم وأنت يعني . . بالتأكيد مستشار لهذه الشؤون بالجامعة . . بإنشاء أقسام للترجمة في الجامعات لا يكفي . . . لابد من تكوين جهة خاصة بالترجمة . . ترجمة الفكر العالمي الجيد طبعاً إلى ثقافتنا العربية . . . . وترجمة ما يكتب من رسائلنا السعودية في الجامعات الأجنبية؟

---

* تم إجراء هذا الحديث قبل أن يضم الشأن الثقافي إلى وزارة الإعلام، والآن تقوم وزارة الثقافة والإعلام بمهمات جليلة في التخطيط لعمل ثقافي جاد، ونأمل أن تستقل الثقافة في يوم ما بوزارة ترعاها دون أن يقاسمها اهتمام آخر.

– صحيح . . أنا أعتقد أنه يعني هذه من ضمن الأعمال التي يمكن أن تقوم بها هذه المسؤولية عن الثقافة مثلاً . . . بالنسبة للترجمة كما تفضلت . . يعني . . لدينا في الواقع نقص كبير جداً في الإسهام مع اخواننا العرب ومع الأسف أنه حتى الترجمة . . حتى على المستوى العربي هي غير منظمة . . غير منظمة . . بينما في اليابان مثلاً نجد أن هناك عملاً دائماً ودائباً ومنضبطاً بالنسبة للأعمال التي تترجم عن اللغات . . من اللغات الأوربية . . وطبعاً في مقدمتها اللغة الإنجليزية . . واليابان كما تعلم تعتبر من الدول العظمى أو الدول التي في الواقع تنافس الدول العظمى اقتصادياً واليابان تدرّس بلغتها اليابانية بجميع العلوم . . ومع ذلك فإنها تعني بالترجمة عناية كبيرة جداً . . . وكذلك روسيا . . كل الدول في الواقع . . بينما البلاد العربية مع الأسف يعني . . . هناك نوع من عدم وضوح الرؤية . . مع وجود الجامعة العربية . . . ومع وجود المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم . . . ولدى المنظمة قسم خاص بالترجمة ولكن هناك نوع من الفوضى . . . ما يترجم في المغرب العربي . . ربما يكرر . . تكرر ترجمته في المشرق . . . والمصطلحات الموجودة في المغرب غير المصطلحات الموجودة في المشرق . . . الكتاب الجيد ممكن أن يهمل . . الكتاب التافه ممكن أن يقدم . . . فلذلك فيه نوع من غموض الرؤية .. يعني . . . غموض . . لا نعي الطريق . . ففي الواقع أنه قضية الترجمة هي قضية عربية بالدرجة الأولى . . ولكن ينبغي أن تسهم البلدان العربية بشكل مخطط في هذا الحقل المهم جداً لإيصالنا بالفكر الغربي . . يعني . . الفكر الغربي الآن يصلنا نجد ترجمات رديئة جداً . . . ونجد ترجمات للكتب تافهة جداً . . . وأحياناً . . الطيب مع البطّال كلها تختلط مع بعضها البعض

* تجارية بحته؟

– تجارية هذه من القضايا التي ممكن أن تهتم فيها وزارة للثقافة أو جهة للثقافة أو مؤسسة للثقافة . . يعني أنا ما أصر على وزارة ولكنني أصر على أن تكون هناك جهة موحدة . . . وطبعاً هذا ليس رأيي وإنما رأي كما سبق أن قلت . . سبق أن طرح قبل عشر سنوات أو قبل خمس عشرة سنة .

* الأستاذ الدكتور منصور الحازمي . . في هذه الفترة ماذا تعمل؟ في هذه المرحلة من السنة بعد التجربة الطويلة وبعد أن ثبتت مرئياتك العلمية وطروحاتك العلمية أخذت مجالها الصحيح . . ماهي مشاريعك العلمية الخاصة . . بعيداً عن البحث العلمي المكلف به من قبل الجامعة مثلاً . . مشاريعك الذاتية الخاصة . . في النطاق الأولي طبعاً؟

– والله أنا أولاً لست طاعناً في السن ولدينا أمثلة كثيرة يمكن المثال الذي ينبغي أن نقتدي به هو أستاذنا حمد الجاسر . . . ومع ذلك فالرجل يعمل بنشاط وبدأب يغبطه عليه الشباب . . فبغض النظر عن قضية السن أنا أعتقد أنه كما قلت سابقاً إنه الإنسان الذي ألف البحث وألف المطالعة وألف القراءة لايمكنه إلا أن يستمر مع هذه الهواية أو مع هذا الحب . . لأنه الإنسان الذي يعمل في

الجامعة هو يعمل بحب.. والبحث عن الحقيقة والكتابة هي عمل في الواقع.. ليس عمل سخرة وإنما عمل تلقائي يعني... الإنسان يجد فيه لذة كبيرة جداً... فأنا... يمكن عندي مشاريع كثيرة أرجو أن ترى النور قريباً منها معجم المصادر الصحفية (صوت الحجاز) الذي صرت.. خجلاً من ترداده بعد أن مضت أكثر من عشر سنوات على وعدي القراء بأن يخرج هذا المجلد.. وهو في الواقع جاهز ولا يبقى عليه إلا الكتابة البسيطة بالمواد.. يعني.. مواده كلها جاهزة.

* كل أعداد صوت الحجاز يا دكتور؟

– كل أعداد صوت الحجاز.

*من عام ٥١ تقريباً إلى....؟

– نعم إلى بداية الحرب العالمية.

* إلى أن تحولت إلى البلاد السعودية؟

-بالضبط.. إلى بداية الحرب العالمية الثانية... فأنا أعتقد أن صوت الحجاز صحيفة صوت الحجاز صحيفة مهمة جداً... لأنها ليست صحيفة عادية... وليست صحيفة خبر.. وإنما هي صحيفة ثقافية.. ثقافية وفكرية.. وفيها طبعاً سياسة وأحداث ولكن هي تشبه المجلة الأدبية أكثر من الصحيفة السيارة.. لأنها كانت طبعاً أسبوعية نجد أن كثيراً من روادنا الأوائل مثل حمزة شحاته و حسين عرب ومحمد حسن فقي وعبدالقدوس الأنصاري وكثير من هؤلاء الرواد كتبوا قصائدهم وكتبوا مقالاتهم وكتبوا نقدهم في تلك الصحيفة كما تعلم.. أنت تعلم ذلك طبعاً.. وقد قاسيت في كتابك فن المقالة ورجعت إلى الصحافة في المملكة.

* طيب دكتور.. هذا استكمال لمشروعك الذي بدأت به أم القرى... صحيفة أم القرى؟

– لا... صحيفة أم القرى انتهت في الواقع عام ٤٥ ميلادي.. يعني حوالي ٦٦ هجري.. وهي فترة توقفت أنا عندها.. لأنه كل هذه الفترة نستطيع أن نقل هي فترة حياة الملك عبدالعزيز رحمه الله.. هي الفترة التأسيسية للمملكة.... فأنا لو رجعت وأخرجت صوت الحجاز طبعاً هي في خلال هذه الفترة أيضاً يعني... بين الحربين العالميتين.. أيضاً ممكن أن يستكمل هذا المشروع غيري.. وينبغ في جريدة مهمة جداً وهي جريدة المدينة المنورة.. في تلك الفترة التي ظهرت أيضاً فيها مجلة المنهل.. وأعتقد أن مجلة المنهل وجدت من يكتب عنها رسالة دكتوراه

* هو الدكتور سيد تقي الدين؟

– أي.. في واحد كاتب عنها رسالة دكتوراه في فرنسا.

* لا وأيضاً الدكتور سيد تقي الدين في الأزهر؟

– لا لا.. واحد كتب عنها رسالة دكتوراه في.. أظن باريس.

فلذلك أنا أعتقد أن الصحف والمجلات . . أهم في رأيي من الكتب . . لأنه ثمة أشياء لم تظهر في كتب من إنتاج روادنا الأوائل . . نشر في صحف ولم يجمع في كتاب لأنك أنت تجد الإنسان عندما تتقدم به السن وعندما يريد أن ينشر بعض الأشياء التي كان يكتبها في شبابه فإنه يعيد النظر في بعض الأشياء التي كتبها في تلك الفترة إما لأنها طبعاً ذات مكسب وأنا أعتقد أن هذه خطأ . . بينما الإنسان الذي يسقط على هذه المواد مباشرة فإنه يظفر بكنز سمين ومهم.

* على سبيل المثال . . مثلاً حسين سرحان جمع له الأستاذ الدكتور يحيى ساعاتي جمعاً بسيطاً ولم ينشر له كل ما كتب حسين سرحان . . لكننا مثلاً نطمح إلى أن ينشر للأستاذ عزيز ضياء مثلاً . . . ولم ينشر كتاباً واحداً مما كتب . . هذه وظيفة الباحثين كما تفضلت؟

– لا . . لا . . فيه أشياء كثيرة جداً ومهمة ولطيفة وأنا أعتقد أنها . . يعني . . ممكن أن تلقي ضوء . . . . أنا أنا أعتبر أن أدبنا مهضوم . . ومع الأسف أنت تعرف أنه . . يعني . . هذه الفترات . . كيف خرج أدباء ومفكرون جديرون بأن يعاد النظر في إنتاجهم وفي مقارنتهم بزملائهم في البلاد العربية الأخرى.

* إذن يا دكتور عملك تجاوز مرحلة التكشيف والببلوغرافيا إلى شيء من الدراسة أو الإشارات العلمية؟

– لا . . . المواد ليست مقفلة وليست صامتة وإنما أنا ألقي ضوءاً على كل مادة . . . وبأكتب مقدمة كما كتبت في أم القرى . . أنا كتبت حوالي خمسين صفحة مقدمة للببليوغرافيا . . ولكن الذي يجعلني ربما . . السبب وراء تأخير صوت الحجاز . . أنني وجدت كثيراً أو بعض . . قل بعض الباحثين الذي يستفيد من هذا العمل البيلوغرافي ثم لا يذكر شيئاً بالمرة.

* ولا يشير حتى إشارة؟

– ولا يشير حتى إشارة . . . وأنا أعتقد أن هذا الشيء من العقوق . . ويشعر الإنسان الحقيقة . . بالاشمئزاز . . لأن الإنسان عندما يصل إلى درجة البحث والإبداع . . . . الباحث هو الذي يبحث عن الحقيقة . . فعندما يكذب على الناس ويقول . . ويتجاهل كتابك . . ويتجاهل كتابك تماماً . . . . ويدّعي أنه قد ذهب إلى الصحف وأن هناك صعوبات وأنه . . يا أخي أنا فيه . . . بعض الموضوعات التي أخذ عليها دكتوراه . . كانت في جريدة أم القرى يمكن ثلاثة أرباعها موجودة في أم القرى . . ولم يشر اليها إشارة واحدة . . . . فأنا أعتقد أنه يمكن هذا نفسياً . . . أنا شعرت.

* ليس كل الباحثين هذا الرجل الذي بحث بهذا الأسلوب؟

– والله مع الأسف إنه بالذات البيلبوغرافيا دائماً مأكولة ومنكورة.

* وجبة جاهزة؟

- وجبة جاهزة وممكن أن يدعي فيها المدعون . . يقول لك أنا ذهبت إلى كذا وتكبدت المشاق و . . . والصحف غير موجودة في المكتبة . . . ومش عارف إيه . . . وطبعاً أنا يعني . . فيه أمثلة كثيرة ولا أريد أن أذكر . . لا أريد أن أذكر أسماء . . مع الأسف ولكنها موجودة .

* دكتور أنت تقدم المفتاح فقط . . . لكن لا تقدم المادة العلمية أو المادة الأدبية التي تحويها الصحيفة فأنت تقدم مفتاح البحث عن هذه المادة الأدبية في تلك الصحيفة . . . فكيف يعتمد اعتماداً فقط على التكشيف . . لابد له أن يرجع إلى الصحيفة نفسها؟

- يشير إلى المرجع يقول أني استفدت من كتاب فلان . . وو . . وكذا وكذا وكذا . . لماذا . . لأنني أنا أعتقد أن . . هذا من أصول البحث العلمي .

على أي حال . . أنا . . أنا أقول هذا من باب المداعبة . . ولكنها حزّت في نفسي أكيد . . . يمكن الكتاب الآخر الذي أود أن . . أن أمضي فيه وأكتبه بشكل هو كتاب عن الرحلة . . . الرحلة العربية الحديثة في المملكة العربية السعودية . . . وأنا يعني . . كتبت بحثاً منذ سنوات طويلة في مجلة الدارة بعنوان رحلات العرب في جزيرة العرب .

* رحلات العرب؟

- رحلات العرب في بلاد العرب .

* وليس المستشرقين أو الدارسين؟

- لا . . لا . . العرب بالذات . . . رحلات العرب في جزيرة العرب . . وكتبت طبعاً في المملكة العربية السعودية وعلى أساس أنني أدرس هذه الرحلات الحديثة بدءاً من أوائل القرن العشرين . . . بدءاً من رحلة إبراهيم رفعت . . . إبراهيم رفعت في أوائل القرن . . . والبتنانوني قبل الحرب العالمية الأولى . . . والرحلات المتواصلة من محمد حسين هيكل في منزل الوحي . . خير الدين الزركلي في ما رأيت وما سمعت . . شكيب أرسلان في الابتسامات اللطاف . . المازني . . عائشة عبدالرحمن . . . الحقيقة . . مجموعة من الرحلات وجدت أنها جديرة بأن يكتب عنها . . وهذا المشروع يرجع زمنه إلى عام يمكن ٩٦ هجرية .

* بدأت فعلاً؟

- لا . . . أنا ذهبت في الواقع سنة تفرغ إلى جامعة ستانفورد بأمريكا . . وتفرغت عاماً كاملاً . . ووجدت أنه من الخير أن أتفرغ لهذا البحث . . وفعلاً بدأت أجمع مواد هذا البحث منذ تلك الفترة . . وعندما عدت طبعاً . . . عدت بجذاذات كبيرة ومواد كثيرة . . . فنشرت على أساس أن يكون الفصل الأول من هذا الكتاب في مجلة الدارة ثم توقفت .

* ولكن لديك مادة ؟

– ولكنني أيضاً الحقيقة عملت محاضرة في أبها السنة الماضية بعنوان . . . أدبنا . . . أدبنا السعودي في عيون الآخرين . . واستفدت من هذا الجزء الذي كتبته عن الرحلة . . . الرحلة العربية.

* ونشرت المحاضرة في الفيصل على حلقات

– نعم لأنني طبعاً قسمتها إلى . . عين السائح . . وعين الباحث . . . وعين الصديق . . . في هذه . . . طبعاً أنا تطرقت إلى غير الرحلات ولكنني في عين السائح بالذات كنت أقصد إلى أن أبين أن الرحلة العربية القديمة التي ظهرت يمكن قبل الحكم السعودي وفي أوائل الحكم السعودي كان إخواننا العرب ينظرون إلينا كأناس فينا غرابة . . . هذه العزلة الطويلة التي مرت بها بلادنا ولذلك . . . وجدت أن الرحلة بصورة عامة مشوقة وجديرة بالدراسة . . ولم تدرس مع الأسف . . ويمكن أفضل من درس الرحلات وتفرغ لها أستاذنا حمد الجاسر تحقيقاً ودراسة وكتابة لاشك أنه قد ملأ فراغاً كبيراً جداً في هذا الجانب.

* دكتور . . لم يؤخذ هذا الموضوع كموضوع لدراسة الدكتوراه عند دارس معين . . يعني . . الرحلة سواء المستشرقون الغربيون أو الرحالة العرب إلى جزيرة العرب وليس فقط بعد تكوين المملكة العربية السعودية إنما يسبق ذلك أيضاً ببعض الزمن . . . اليسير . . ؟

– والله ما أدري . . الحقيقة أنا أتصور أن أدب الرحلات . . يعني . . قد أغفل إلى حد كبير والذي كتب عن الرحلة كفن قليلون . . . قليلة الكتابات عن الرحلات . . وأنا أعتقد أن الرحلة بصورة عامة . . هي في الواقع نوع من الفن الأدبي الجميل . . . ولاسيما الرحلات التي تتجاوز المعلومات فقط . . . والتي لها أسلوب أدبي جميل ويمكن تنزع نحو التعبير عن الذات.

* عن الذات . . . نعم؟

– عن الذات وعن علاقات . . الرحالة بمن رآهم . . . وتكتب هذه بأساليب جميلة وتنم عن صدق وعن تجربة جميلة . . . وهي فن أدبي . . جميل جداً.

* دكتور . . يعني . . الموضوع مازال الآن مهيأ للطباعة لديك . . إن شاء الله؟

– والله . . أنا كتبت الجزء الأول قسمت في الفصل الذي كتبته في الدارة عن أنواع الرحلات . . . فقسمتها إلى الرحلة . . رحلة الحج والزيارة . . بالنسبة للرحلات التي كانت تأتي إلى المملكة . . الرحلة . . . رحلة الحج والزيارة . . . الرحلة العلمية التي تأتي من أجل العلم . . الرحلة الصحفية . . فهذه الرحلات . . . فيها تصنيف أولي لأنواع الرحلات . . . لأنني طبعاً أنا لا أستطيع أن أقارن رحلة محمد حسين هيكل في منزل الوحي وهي رحلة علمية لأنه يحاول طبعاً إلى جانب النزعة الأدبية . . أن يتقصى منزل الوحي . . . الأماكن التي مر بها الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكة والمدينة . . . لا أستطيع أن أقارن الرحلة هذه برحلة . . . بنت الشاطئ لأرض المعجزات

* مع أنه كتاب صغير؟

– مع أنه كتاب صغير... نعم... أو رحلة مثلاً إبراهيم عبدالقادر المازني... الذين كتبوا في الواقع كثيرون.. فلذلك... أنا انشغلت... بهذا الموضوع فترة طويلة... أيضاً يمكن من الكتب أو المشاريع التي أجد نفسي أيضاً أن أبحثها بشكل مفصل.. أحمد السباعي... أحمد السباعي...

* أنت مهتم بأدبه كثيراً؟

– الحقيقة أنا كتبت.. أنا كتبت... يعني.. قدمت ورقة في الجنادرية قبل سنوات بعنوان.. البيئة المحلية في قصص السباعي... لأنه طبعاً هذا كان موضوع الندوة.. الندوة الكبرى التي تقيمها الجنادرية سنوياً... وهي علاقة الموروث الشعبي بالإبداع.. ولكنني دائماً أنا أرى أن أحمد السباعي كنز كبير جداً ينبغي أن يكتشف.. لأن أحمد السباعي شخصية فريدة بين أدبائنا وروادنا لم تتكرر هذه الشخصية.. في إنسانيته وفي طيبته وفي سخريته.

* وفي طليعيته؟

– هو أديب ساخر... والسخرية في رأيي إنها من أرقى أو يمكن أرقى أنواع الأدب فكتبت أنا تلك الورقة وكان في نيتي أن أتناول أيضاً جوانب أخرى عن السباعي.

* على طاولتك وجدت كتاباً يبدو أنه ليس جديداً كل الجدة.. للأستاذ محمد أركون وهو مفكر إسلامي جزائري فهذا الكتاب يبدو أنك انشغلت به في الفترة الأخيرة... لأنه من الكتب الذي وضعت بين صفحاته علامة مميزة؟

– والله محمد أركون أنا متتبع لكتاباته ولاسيما في الفترة الأخيرة... وأنا الآن أعكف على قراءة معظم ما كتبه أو ماهو موجود لدي في المكتبة... لأنني أعتقد أنه يمثل فكراً جديداً.. مهما اختلفنا معه ولكننا ينبغي أن نقرأ الأفكار المخالفة لنا.. وأنا في رأيي أن الأستاذ الجامعي أو الباحث بصورة عامة ينبغي أن يقرأ كل ما يستطيع وليس هناك حجر على كتاب معين.. فينبغي أن تقرأ هذه الكتب... ربما اختلفنا مع أركون و.. في بعض ما يطرحه من آراء أو من أفكار ولكنه لاشك أنه يحتل بحكم وجوده في فرنسا واتصاله بالعلم الجديد والعلم المتغير والمتطور والمتنوع في فرنسا يمثل ظاهرة جديدة.. يعني.. هذا لاشك إنه يعتبر كسباً مهما كان رأينا فيه كإنسان أو فكر بالذات.. فلذلك طبعاً أنا من الناس الذين يقولون بأنه لابد من النظر في كل ما يجدّ على الساحة الإنسانية العالمية بغض النظر عن الانتماء.. لأن العلم ليس له إنتماء.. ينبغي أن نطلع.. ومن العيب أن نجهل ما يكتبه الآخرون وما يفكرون فيه.. والعيب أن نتقوقع في بلادنا ونغمض عيوننا عن إنجازات الآخرين لأنه هذه مصيبة.

* نعم بالتأكيد... إنغلاق هذا.

– طبعاً طبعاً .

* وقفل باب التفكير . . الأستاذ الدكتور منصور الحازمي . . بدأت مبكراً في تعلقك بالأدب . . وتحدثت كثيراً في بعض مقالاتك عن أحوال مكة وأزقة مكة وتلقفك لبعض الصحف السعودية التي كانت تصدر آنذاك . . في بداية نشأتك الأدبية . . بودي أن أقف على المرحلة الأولى لتكوينك الفكري والأدبي . . . شيء من السيرة الذاتية الميسرة التي يمكن أن تتذكر فيها بعض المكونات لمنهجك الأدبي . . . هل ممكن أن تعود بالذاكرة قليلاً . . متى بدأت؟

– والله . . والله أنا . . . قد تحدثت قبل قليل عن أحمد السباعي وأنت أشرت لي بأنني متعلق جداً بأحمد السباعي . . وأنا أعتقد أن هناك أشياء كثيرة جداً قد تأثرت بها ليس من أحمد السباعي ولكن من البيئة التي عاش فيها السباعي . . فأنا قد ولدت في مكة . . . ومكة يبدو أنها لها تأثيراً كبيراً جداً على سكانها بما كانت تمثله قديماً من أجواء ومن أماكن ومن تقاليد ومن عادات هي في الواقع مجموعة من الأشياء التي تكونت على مر الزمن ومن اختلاط كثير من الأجناس بحكم موقعها المقدس الإسلامي . . فتكونت بيئة خاصة لها . . صحيح أنها بيئة متنوعة ولكن هذا التنوع قد أفاد مكة في أشياء كثيرة جداً . . . كبيئة ثقافية فكرية بغض النظر عن الأشياء الأخرى فلذلك ؟ أنا كتبت مقالة طويلة . . . دحلة . . يمكن قرأتها أنت في كتابي في البحث عن الواقع وكنت أتحدث فيها . . . .

* ما معناها . . يا دكتور . . العنوان؟

– الدحلة . . هي الحارة .

* الحارة بالمصطلح الشعبي؟

– لا . . . لا . . . الدحلة هي في القاموس . . . الدحلة من الشيء . . . هو المكان الضيق بين جبلين . . . والدحلة كانت عبارة عن حارة . . . لأنه طبعاً تعرف . . مكة الله يعمرها كلها جبال . . . كانت الأراضي ومازالت . . . قبل الأنفاق كانت عبارة عن جبال ومازالت . . . ونحن كنا نسكن في هذه الدحلة أو الحارة نسميها . . . يعني . . تتسع في بدايتها ثم تأخذ في الضيق تدريجياً إلى أن يسد . . تسد الحارة . . . لأنها طبعاً بين جبلين . . . بين جبلين . . . شايف فأنا في الواقع كنت . . يعني . . أول مابدأت . . . كنت أكتب . . كنت أريد أن أكتب عن كتاب (عاتق بلادي) عن الأدب الشعبي في الحجاز ثم ما لبثت أن تركت هذه الكتابة . . . . أنا طبعاً كتبت في الأول عن الذات . . وارتددت إلى الزمن الغابر جداً عن حياتي في هذه الدحلة عندما كنت طفلاً . . . . وعن الأشياء التي كنت شاهدتها والحكايات والأساطير والخوف والظلام وكل هذه الأشياء في الواقع تكون جزءاً من الذاكرة . . ذاكرة الطفل عندما يبدأ يعي الأشياء هذه . . . فطبعاً يمكن أنا لست متأثراً فقط بالسباعي . . . حبي للسباعي يمكن مشترك مع آخرين . . . يعني . . أنا يمكن أقول إن هناك مدرسة

اسمها مدرسة السباعي. . وهذه المدرسة تعني بمكة وبحارات مكة ويمكن هذا سر تعلقي بالنظرة الواقعية إلى الأمور . . لأن السباعي كان . . كان واقعياً . . وكان يستعيد كل الحياة القديمة السابقة أيام الحكم العثماني وأيام الأشراف . . المدارس . . الكتاتيب . . أهل الحارة . . . شكاويه . . شقاوته مع لداته أو أترابه في الحارة . . كل هذه الأمور في الواقع من الأشياء التي نفتقدها في أدبنا الإبداعي مع الأسف . . . يعني . . يعني تجد نجيب محفوظ كتب كل رواياته . . . أو أغلبها من حواري مجهولة كانت في الحسين وبين القصرين والسكرية.

– والقاهرة الجديدة . . كل هذه عبارة عن حارات فنحن إذا أردنا أن نبدع حقاً وأن نكون عالميين وأن ينتشر أدبنا خارج الحدود ينبغي أن نبدأ بالحارة وأن نبدأ بالأماكن التي نسيناها مع هذا التطور السريع ومع هذه الطفرة ومع هذا الترف . . لا شك أن التطور جميل ولا أحد يكره أن يعيش مستريحاً ولكن الأشياء التي فقدناها أشياء مهمة ولا سيما بالنسبة للإبداع .

* أنت تقول . . . يحكي الروائي عن الإنسان داخل الحارة . . وليس الحارة كجغرافيا وإنما الإنسان داخل الحارة بعقليته تلك وبروحه؟

– طبعاً لا شك . . لا شك أن قمم الأدب العالمي كلها انبثقت من الحارة . . . لما تقرأ مثلاً لدستوفسكي أو تقرأ لجوركي أو تقرأ للقمم الشوامخ الـ . . . أو ديكنز مثلاً . . . .

* شارلز ديكنز . . نعم

– شارلز ديكنز . . يعني . . ديكنز كتب عن ماذا؟

* أوليفز تويست

* في الحارة

– أي . . كلها كتبها في الواقع عن الحارة . . . وعن البيئة . . . فلذلك أنا دائماً أقول . . بدلاً من أن نتطلع إلى الغرب ونستورد الأشياء البراقة والـ . . لا بأس من الإطلاع ولكن علينا أيضاً أن تكون فينا أصالة وأن تكون فينا . . . طبعاً . . . يعني الغربي عندما يقرأ الأشياء والتي ربما يقرأها في لغته الأصلية يقول هذه بضاعتنا ردت إلينا ولكن عندما يقرأ أشياء جديدة وعن بيئة جديدة . . أو عن حياة فعلاً تختلف عن حياته يقول . . . إذن هذا هو الهدف . . هذا هو الإنسان . . الإنسان في كل مكان هو الإنسان ولكن يختلف ويتنوع . . . تتنوع رؤيته يتنوع المكان . . فلذلك طبعاً يمكن هذه حياتي . . يعني . . في البداية أنا طبعاً عشت في مكة وتعلمت فيها وكنت وأنا صغير كنت شغوفاً في الواقع بقراءة السير الشعبية . . . قرأت الف ليلة وليلة لما كنت صغيراً.

* بمجلداتها الأربعة؟

– طبعاً . . . لاحظ تلك الأيام لم يكن هناك راديو ولا تلفزيون . . لم ينتشر إلاّ قليلاً في بعض

الحواري . . ليس هناك أماكن ترفيه إلا طبعاً الأشياء الترفيهية التي من صناعة البلد

* نعم . . تتذكر . . بعضها . . الأسماء؟

– كنا نلعب ألعاب كثيرة جداً زي الشراة والكبت والاستغماية . . يعني هذه في الواقع . . الكبوش . . . أنا وجدت أن هذه الألعاب الشعبية موجودة ويمكن عند كل الشعوب ولكن بأسماء ومسميات يمكن تختلف فلذلك أنا من الجيل الذي يمثل القنطرة يعني أنا والدكتور الضبيب . . والأنصاري . . . والشامخ . . . جيل القنطرة الذي يمثل يعني منطقة عبور ما بين جيلين . . نحن لسنا كباراً مثل السباعي ولا العواد، ولسنا من الجيل الصغير جداً . . الشباب . . وإنما نحن قنطرة . . قنطرة بين جيلين .

* قربتم لنا أشياء

– يعني نحن نمثل الجيل الثاني .

* قربتم لمن بعدكم أشياء كثيرة من المعارف . . . يسّرتم أشياء . . حدّثتم مناهج . . وضعتم أطراً . . ولكن سار على هذه الأطر جيل جديد . . بدأ بعطي طبعاً؟

– صحيح . . فلذلك . . يعني . . . أنا عشت فترة حياتي وطفولتي في مكة المكرمة قبل أن تدخلها الكهرباء . . الكهرباء حتى في مكة كانت محدودة يمكن في الحرم المكي وفي القصر الملكي . . . ثم بدأت سلك واحد يمد إلى البيوت . . كل بيت باللمبة . . يعني . . مش بالعداد . . يعني . . مثلاً هذا البيت فيه مثلاً عشر لمبات هذا البيت . .

* طريقة قديمة طبعاً . . . لشح الموارد يعني؟

– طبعاً لشح الموارد . . . . فلذلك أنا طبعاً . . يعني . . . أيضاً سعدت بأن ذهبت إلى القاهرة ودرست

* بعد الثانوي يا دكتور؟

– ودرست في جامعة القاهرة

* في عام كام يا دكتور؟

– يعني ما بين ٧٢–٧٨ يعني – ٥٤–٥٨ وكان من حظي أن ألحق . . . بكبار الرواد يعني أدرس على أيديهم . . ويمكن من أوائل هؤلاء طه حسين . . . طه حسين درّسني في سنتين . . . السنة الثالثة والسنة الرابعة . . ودرّستني سهير القلماوي .

* هي تلميذته البارة؟

– تلميذته البارة . . . ودرسني شكري عياد

* والدكتور طه حسين درسك في أي مادة بالضبط؟

– في مادة . . الأدب الحديث؟

* نعم

– هو الأدب الحديث

* وكان وقتها نشيطاً يعني؟

– والله لا . . هو كان طبعاً متقدماً في السن ولكنه كان يعطي هذه المحاضرات . . ثم ما لبث في أوائل السبعينيات أن اعتزل تقريباً يمكن في منتصف الستينيات . . ولا أزال أحتفظ بصورة لزملائي في القسم ومنهم طه حسين . . الأساتذة . . أساتذتي . . صورة تذكارية بعدما أخذنا الليسانس.

* ولكن الدكتور شكري عياد؟

– شكري عياد . . كان أستاذي . . ومحمد كامل حسين وعبدالحميد يونس . . نخبة من الرواد الأوائل الذين . . لم يعوضوا مع الأسف . . . فعلاً أسسوا للثقافة الحديثة ليس في مصر وحدها وإنما في العالم العربي.

* وبعد التخرج واصلت الدراسات العليا في القاهرة؟

– لا . . بعد التخرج . . رجعت واشتغلت في جدة لمدة عام . . . كنت وكيلاً للمدرسة الثانوية النموذجية في مدينة الملك سعود لمدة عام . . . ثم صدفة علمت أن الدكتور عزت خطاب والدكتور رضا عبيد قد التحقا بالجامعة معيدين في السنة التي اشتغلت فيها في جدة . . ثم كنت طموحاً في الواقع لأنني كنت التحقت بقسم الماجستير وأنا في جدة . . . وذهبت في الصيف لأقدم بحوثي إلى الدكتور عبدالحميد يونس رحمه الله . . . والتقيت هناك بالأستاذ ناصر المنقور الذي كان رئيس الجامعة بالنيابة . . . مدير جامعة الملك سعود بالنيابة وطلبت إليه أو منه أن أكون معيداً في جامعة الملك سعود . . فأنا لا أعرف ما هذا المعيد . . . فرحب بي.

* مكسب كبير . . لما يأتي عنصر وطني؟

– توجهت إلى الرياض عام ٧٩ ووجدت أمامي بعض الزملاء الذين كانوا أيضاً عينوا معيدين في تلك السنة . . . أنا والشامخ . . . الدكتور محمد الشامخ والأخ منصور . . . الأستاذ منصور خريجي ومحمد أبو السمح . . منصور الخريجي بقسم اللغة الإنجليزية ومحمد أبو السمح في مكتبة التجارة وأنا والدكتور الشامخ في قسم اللغة العربية . . . وكنا ثاني دفعة تعيّنهم الجامعة معيدين . . . الدفعة التي أمامنا . . التي قبلت عام ٧٨ كانت مكونة من اثنين الدكتور عزت خطاب والدكتور رضا عبيد.

* يعني هم أسبق منكم؟

– هم اسبق ليس بالتخرج وإنما بالتعيين.

* بالتعيين فقط؟

– بالتعيين . . يعني . . نحن تخرجنا . . سوية . . من جامعة القاهرة . . كنا دفعة ٥٨ .

* وكان الدكتور الضبيب معكم؟

– لا . . الدكتور الضبيب بعدنا .

* بعدكم؟

– بعدنا بسنة . . . بعدنا بسنة أظن

* ثم واصلت الدراسات العليا في أمريكا؟

– ثم واصلت الدراسة العليا في إنجلترا .

* الماجستير في القاهرة؟

– لا . . الماجستير لا . . . أنا ما أخذت ماجستير من القاهرة . . . إنما أخذت دكتوراه على طول من إنجلترا . . لأن الجامعة لا تشترط ما جستير . . يعني . . تسجل على الماجستير ثم إذا وجدوا أن بحثك ممكن يحول للدكتوراه يحولوه .

* طيب هذا يا دكتور؟

– أنا أعتقد أن الجامعات تختلف من جامعة لجامعة . . فكنت في جامعة لندن وكتبت طبعاً رسالتي عن الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث . . وهي أول . . وهو موضوع جديد

* كان بكراً؟

– بكر . . . . . ولكن مع الأسف أنني . . لم أترجمه ولم أنشره .

* وإلى الآن يا دكتور؟

– لم أنشر إلا جزءاً منه وهو محمد فريد أو حديد .

* فقط

– الكاتب الروائي . . . وهو جزء من الرسالة بالحقيقة .

* طيب الأسماء التي درستها بالتأكيد كان فيها جرجي زيدان كمؤسس لهذا الفن؟

– يعني هي بداية من . . حتى قبل جرجي زيدان . . . بداية من سليم البستاني .

* طيب دكتور . . . سأرجع إلى جزء من السيرة الذاتية التي تفضلت بذكر بعضها ، يبدو أنها أكثر ثراءً من هذا الذي تفضلت . . الذي ذكرته . . لأن الوقت لا يتيح لنا أكثر من ذلك . . . أسأل عن الكتب التي كونتك؟ كتب مهمة جاءت كعلامات في طريقك الأدبي والعلمي

– والله من الصعب في الواقع أن أذكر كتباً بذاتها .

* في مرحلة الكلية الأولى يا دكتور . . . البدايات الأولى؟

– يعني . . يمكن جيلي ورفاقي الذين كانوا معي في نفس الجيل . . . كنا نقرأ مثلاً الرسالة للزيات .

* كمجلة

- كمجلة. . . قرأنا لطه حسين.

- الأيام . . . الفتنة الكبرى . . حديث الأربعاء. . . العقاد، المازني. . الرافعي طبعاً. . . ذلك الجيل كان يعتبر طبعاً ذلك الجيل كان يعتبر طبعاً مرحلة التأسيس . . لابد أن تقرأ هذه الكتب . . فأعتقد أن الشباب. . الأيام. . يعني. . أنا حاولت أن أعطي ولدي كتاباً للمنفلوطي . . فلم يجد فيه شيئاً . . يعني. . العبرات أو النظرات أو ماجدولين.

* تجاوزها يبدو . . فلذلك هي مكونات الجيل الذي كنا فيه. . . كانت تطلع سلسلة التي هي أظن كتابي. . حلمي مراد. . أنا اعتقد أن لديك سلسلة رائعة وكنا نقرأها مثلاً. . . وكتاب روايات الهلال وكتب الهلال كانت تصل إلى المملكة في تلك الأيام . . كتب كثيرة أنا لا أذكر شيئاً معيناً. . . أنا لا أستطيع أن أقول إن هناك كتاباً قد أثر فيّ أو كتب أثرت فيّ. . . أنا أعتقد أن الإنسان بيقرأ أشياء كثيرة.

* تكوين شامل . . يعني

- تكوين شامل ويختزن الأشياء . . وقد تأتي بعض الأشياء في اللاوعي. . في اللاوعي يعني كثير من الأشياء التي تقرأها وتعتقد أنك نسيتها. . أنت لم تنس في الواقع. . . هي تتكون تترسخ في الأعماق ثم تخرج مرة أخرى في أشكال مختلفة.

* هل تكون أيضاً أحد من غير هذا الابن. . له ميل أدبي؟ هل شخصيتك الثقافية انعكست على مسيرة الأبناء العلمية؟

- والله أنا يمكن عندي بنتي الكبرى . . وهي محاضرة الآن في قسم اللغة الإنجليزية . . هي الوحيدة ربما التي ورثت فيّ هذه النزعة. . . ولكنها تخصصت في الأدب الإنجليزي. . وكتبت رسالتها للماجستير عن موضوع صعب جداً عن كاتبة مشهورة ومؤسسة الحداثة في كتاب الحداثة الجديدة وهي فرجينيا وولف.

* الرجل فرجينيا وولف؟

- نعم هي فرجينيا وولف.

* أقول يعني كتابتها تشبه الرجولة كثيراً؟

- نعم جداً. . . فكتبت الحقيقة رسالة أنا أعتقد أنها رسالة جيدة وكنت أحثها على أن تقوم بترجمتها لأنه موضوع مهم. . موضوع مهم وجديد. . وعسى أن أفلح في . . بقية أولادي يعني عندي بنت ثانية في طب أسنان . . . طبيبه يمكن ستتخرج في الفصل القادم . . . عندي ولدي الكبير في كلية العلوم الإدارية . . . محاسبة. . عندي ولدي الصغير الآن لم يتخصص. . فليس بالضرورة أن

يورث الأب يعني هوايته أو طريقته لأبنائه . . ولكن عندنا الآن الجيل الجديد اختلف طبعاً.

* الثقافات اختلفت . . وتعددت

– طبعاً لا شك .

* الدكتور منصور الحازمي . . . قاص وشاعر وباحث أكاديمي . . أين تجد ذاتك في كل هذه الأشياء؟

– والله أنا لست متخصصاً . . . أنا لست شاعراً ولا قصصياً وإنما أستطيع أن أقول إنني باحث وكاتب مقالة . . أنا أحب المقالة . . أنا أحب كتابة المقالة . . . وإذا كتبت المقال أشعر أنني ممكن أحول هذا المقال إلى فن وأنا أعتقد كما . . بعض الإخوان يقولون إنني أتميز بالسخرية وبفن المفارقة . . وأنا أعتقد أنه هذا هو الشيء الذي يعجبني أنا . . وربما تتحول المقالة إلى شعر وربما تحولت القصة إلى مقالة . . فلذلك يمكن أن يقال . . . المحدثون الذين يقولون إن هناك فن الكتابة وليس هناك فن قصة ولا فن شعر . . فربما معهم حق .

* استفادة النصوص من بعضها البعض .

– استفادة النصوص من بعض . . بحيث إنه . . . يعني . . . . أنا عندي بعض المقالات فتنحو نحواً . . يعني . . أنا يمكن كتبت فيه قصة يمكن تذكزها ثلاثية (ثلاثية البلبل) يعني . . . كتبتها وفيها روح شعرية .

وفيها روح شعرية واضحة . . وفيها . . . يعني . . تجربة حقيقية صادقة أو متقمصة لهذه التجربة . . بحيث إن هذه المواضع الشعرية لها مكانتها وموظفة . . يعني موظفة بشكل ليست دخيلة على النص . . فلذلك أنا أقول إنني طبعاً لا شك أن ابحث له مغرياته كباحث وأحب أن أبحث وأن أصل إلى الحقيقة . . . وهذه مهمتي الأولى . . يعني . . هذه وظيفتي في الجامعة . . . ولكن أحياناً لي وظيفة تذوقية . . يعني . . لها حس إبداعي ولها حس أدبي .

* على أيه حال الأستاذ (عابد خزندار) أول الداعين إلى اختلاط الأجناس وتلاحمها والأستاذ الدكتور منصور الحازمي . . في عبارات . . ماذا تود أن تقول في ختام سهرتنا لهذه الليلة؟

– والله أنا يعني الواحد عندما ينظر إلى هذه المآسي في كثير من العالم والعالم الإسلامي بالذات . . أتمنى فعلاً أن تزول هذه المشكلات وأن يتحد المسلمون وأن يتحد العرب وأن تتوحد الكلمة لأن هذا الوضع الذي نحن فيه هو وضع لم يصل إليه العرب والمسلمون في أي فترة من تاريخهم . . طبعاً تاريخنا فيه كتاريخ أي أمة . . ولكن المآسي الموجودة حالياً هي مآسي فظيعة جداً . . فأنا أرجو وأتمنى وأدعو الله وكما تدعو أنت معي وكل المسلمين أن تتغير هذه المرحلة التي نعيشها إلى مرحلة أحسن وأقدم .

* إن شاء الله

- إن شاء الله ونتمنى ذلك.

* يطيب لي باسمكم جميعاً أن أشكر سعادة الأستاذ الدكتور منصور إبراهيم الحازمي عضو مجلس الشورى.. الأستاذ بجامعة الملك سعود سابقاً... والأديب والباحث والشاعر المعروف.. شكراً.. وقد أمتعنا بهذه السهرة الجميلة داخل أفياء مكتبته العامرة وبهذه السيرة العطرة الغنية بالمعرفة وبالثقافة وبالكلمة الجميلة... شكراً لك يا دكتور.. وصحة دائمة... وعمراً طويلاً... وثراءً متعدد الجوانب إن شاء الله.

منصور بن إبراهيم الحازمي (٢)

* ضيفنا د. منصور الحازمي أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب بجامعة الرياض.

* د. منصور أدبنا السعودي ترى: هل انتهى منشئوه إلى قناعة التوصيل الفاعل والاستجابة لهاجس البقاء المقنع..؟

– الأدب السعودي جزء من الآداب العربية في البلدان العربية المختلفة، وبطبيعة الحال هناك فترات ركود، وفترات انتعاش في كل بيئة من هذه البيئات نتيجة للتطور الاجتماعي والفكري والسياسي.

فقد بدأ الأدب العربي قوياً في بيئتين فقط في أواخر القرن الماضي وهما البيئة المصرية واللبنانية .. ثم بدأت بيئات جديدة تنتج أدباً جيداً، ونافس هاتين البيئتين، فنجد الشعر مثلاً قد انتقل مركز الثقل فيه من مصر إلي العراق، ونجد أن الرواية والقصة لم تعد وقفاً على مصر وإنما انتلقت إلى بيئات أخرى مثل السودان وتونس ولو نظرنا إلى الأدب السعودي نجد أيضاً أنه قد شارك في هذه الحركة الأدبية منذ الربع الأول من هذا القرن، جيل الرواد، محمد حسن عواد وغيره ولا نستطيع أن نقول إن البيئة السعودية قد ركدت، بدليل أن الرواد لا زالوا ينتجون. وقد شارك في هذا الإنتاج جيل من الشباب ولكن مفهوم الأدب قد تغير في هذا العصر عما كان عليه الحال في الجيل الماضي.. فلم يعد يكتب الشعر بالطريقة التي كان يكتب بها أيام ابن عثيمين أو العواد.

ولم تقف القصة القصيرة أيضاً عند جهود القصصيين الأوائل مثل عبد القدوس الأنصاري، وأحمد السباعي وأحمد رضا حوحو. ولكنها أصبحت تكتب بطريقة أخرى فيها اللمحة وفيها الانفعال وفيها الرمز وأصبحت تعبر عن معاناة الجيل الجديد، وعن ثقافة هذا الجيل وهمومه، ونجد أيضاً أن الدراسات الأكاديمية قد تطورت في السنوات الأخيرة تطوراً لم يكن معروفاً في الجيل الماضي.

وبصورة عامة، ينبغي ألا نكون متشائمين بالنسبة للحركة الأدبية وكل ما ينقصنا هو النقد الصادق المواكب للحركة الإبداعية عند الشباب، وتوجيهها التوجيه الملائم.. كما ينبغي لنا دراسة هذا الإنتاج وتقويمه تقويماً سليماً، بحيث نصل إلى نتيجة معينة.. وسؤالك.. لماذا لا نجد التعبير الصادق.

أقول: السر في هذا إحساسنا بتجاوزنا المرحلة الواقعية دون أن نعيشها كما عاشها جيل محمود تيمور ونجيب محفوظ.. والشعراء الواقعيون فتجاوز الواقع إلى مدارس وتيارات جديدة دون

معاناة (اللحظة المعاشة) والتعبير عنها. . . فهناك فجوة في تطور الأدب لدينا.

فجيل الرواد رومانسي. . والآداب الأخرى عاشت الواقعية بعد الرومانسية.

* ولماذا؟

- لظروف كثيرة في بلادنا لأننا شهدنا تطوراً كبيراً في المظاهر العامة، فيكون الواقع أحياناً غير مفهوم لسرعة التغيير فيعيش في دوامة بين الانشداد إلى الماضي والنظر إلى المستقبل القادم.

والمعروف أن الكتابة عن مرحلة ما تأتي ناضجة بعد التحول إلي رحلة تالية. . لأن المعبر غير قادر على تلمس الأسباب والمؤثرات التي تدعو المجتمع إلى ممارسة نمط معين من السلوك. . ولا الاتجاهات التي تمسك بزمام الحركة الاجتماعية وخلفياتها إلا بعد أن يبتعد عنها والمعبر في خضم العاطفة الجياشة. . . أيا كانت لا يستقيم له المعنى، ويصير طوع يديه إلا بعد أن تهدأ الجذوة المشتعلة. وينظر حالته التي عاشها تنظيراً بعيداً عن الانفعال الأهوج. كالمؤرخ تماماً الذي ينبغي أن ينظر من بعيد ولعلنا شاهدنا في هذا نجيب محفوظ فهو لم يكتب ثلاثيته «السكرية - قصر الشوق - بين القصرين- وزقاق المدق- ورواياته الواقعية الأخرى إلا بعد أن عاشها وتمثلها من جديد، فكأنه يكتب الآن مذكرات لتاريخ مرحلة الأربعينات والخمسينات.

ومرحلتنا التي نعيشها مرحلة تغير رهيبة تأتي الكتابة عنها بعد الانتقال إلى مرحلة أخرى، ثم إن مجتمعنا كذلك يحافظ على أنماط معينة من التعامل يصعب عليه أن يتخلص منها بسرعة، ونظرته إلى الإنسان بمنظور التراكم الفكري والشعبي الذي يختزنه.

* القصة القصيرة هل كتابتها الآن تعتبر عملاً توصيلياً لحمل «القضية» لدى المعبر، أم أن القارئ لا يزال ينتظر المقال التقريري الذي يشبه الخطب السياسية؟

- كتاب القصة القصيرة لا يكتبون بطريقة واحدة مثلاً إبراهيم الناصر يمثل الواقعية في أرض بلا مطر وبنات الغدير وهناك التيار السريالي أو الرمزي الذي ربما يصعب فهمه على القارئ والذي يعبر فيه القصاص عن تمزق داخلي، مثل قصص محمد علوان. . . حتى إنها تقترب من القصيدة أحياناً، وهناك تخلق مسافة رهيبة بين المتلقي والمبدع لتجاوز مرحلة التقرير والمباشرة ولكن إيغال المعبر في ذاتيته، وسفره بعيداً عن تواصل التجاذب يحل عقد الامتداد كأحزان عشبة برية لجار الله الحميد وليس هذا يعني أننا لا نريد وجود هذه التيارات وإنما إلى جانبها تيارات مختلفة تستطيع النقل إلى فئات أخرى من المتلقين، والقصة دائماً هي القالب المفضل لدى الجمهور، ولكنها أنواع فمنها ما يخاطب الجماهير لما فيها من التشويق والأحداث السريعة. . . وهناك القصة الهادفة الواقعية التي تصور المجتمع في مرحلة ما. . وهذه أقل تقبلاً من التي قبلها لأنها تخاطب فئة مدربة، وهي جمهور محدود جداً.

* وماذا عن إصدارات النوادي الأدبية؟

– الآن.. تنشر الغث والسمين، وليس هناك مقياس معين في الاختيار.. ونحن لا ينقصنا دور نشر بمقدار ما ينقصنا توجيه الحركة الأدبية وترشيدها... والمكتبة العربية مليئة بالزاد الجيد؟ فأين الإفادة من هذا الزاد؟ ولست هنا ألوم هذه النوادي ولكن أود أن أشير إلى مهام أخرى غير النشر تنتظرها؟

* ماذا عن الملاحق الأدبية ومستوى طرحها للقضايا الفكرية؟

– لازالت الصفحات الأدبية مملوءة بنتاج الرواد وبعضها الآخر يحمل بصمات الجديد من جيل الشباب، والمطلوب إيجاد قنطرة تجمع بين النتاجين لأن الجيل القديم يتعصب لنوعية إبداعية، بينما الجديد ينشد إلى نوعية معين من النتاج.

فتوصيل الطرفين وصهر إبداعهما في (بوتقة) مقبولة من قبلهما جمعياً، فحين يلتقي –مثلاً– من المحافظين أبو عبدالرحمن بن عقيل مع عبدالله الصيخان من أدباء الشباب... تهدأ حدة الصراع بينهما ويجد أن القضية ليست خلافاً على المبادئ الأساسية للرسم الأدبي بقدر ما هي خلافات طبيعية بين جيل وجيل... تشاهد على أي مستوى ولو من غير الأدباء والمفكرين، والمشكلة التي أراها عدم وجود استعداد للتفاهم والاتفاق.

* كيف ترى بداياتك الأدبية –أيام زمان– وبداية المحدثين الآن؟

– من الصعب المقارنة لأن لكل جيل ظروفه وإمكاناته، فجيلنا لم تكن وسائل التثقيف مثلما هي عليه الآن... جيلنا ربما كان معلقاً بالكتاب أكثر من جيل المحدثين اليوم.. بالإضافة إلى مجلات جادة كانت موجودة آنذاك، مثل الرسالة والرواية للزيات والثقافة وغيرها.

أما جيل اليوم فأبرز ما نلحظ فيه عدم تمكنه من اللغة العربية «النحوية والإملائية» وماكان هذا يحدث أبداً عند الجيل السابق.

* وقراءات المحدثين؟

– كونها أشمل مع قلة في التجود باللغة... بلا شك أن اطلاعهم أكثر في الآداب الأجنبية، المترجمة، التيارات المختلفة من فنية وفكرية بحكم انتشار الكتاب، وسرعة الحصول عليه، ومعاصرة الأحداث الفكرية والسياسية التي تطرأ في العالم، وتقريبها أدوات الإعلام... واهتمامات الصحافة.. لأن الأحداث لا تستطيع فصلها عن مضامينها الفكرية وبواعثها الاجتماعية، وكلها تدعو إلى تأمل وتقصي أسباب الحدث.. وإن كان آخذاً صبغته السياسية.

الجيل القديم كان يتردد في النشر، فكان من الصعب أن ينشر أي نتاج لرغبته في التمكن، وخوفه من أقلام النقاد.. لأن معنى إضافته مؤلفاً جديداً أن يبقى على الدوام في ذاكرة الكلمة

معرضاً في لحظات الصدق للانكشاف والتعرية... بدليل أن قليلاً منهم مات ولم ينشر كتاباً مثل حمزة شحاته.. وحسين سرحان... إلى وقت قريب لم ينشر له ديوان.

مع أن نشر الكتاب مسؤولية كبيرة يحاسب عليها الكاتب بقدر أثرها الردئ أو الطيب، وحسن فقي ليس له إلا ديوانان مع أن نتاجه وفير وثر .. وعزيز ضياء ليس له إلا حمزة شحاته قمة ولم تكتشف.

* الخطوات التي كسبتها القصيدة الحديثة هل خلفت أثراً في المفهوم السلفي لبنائية الشعر؟

- مشكلة الشعر في الأدب السعودي هي مشكلة الأدب في العالم كله وقد عولجت هذه القضية بكتاب نازك الملائكة «قضايا الشعر المعاصر» وإحسان عباس، وعزالدين إسماعيل.

وأعتقد أن قصيدة التفعيلة قد أثبتت نجاحها، لأنها لم تنفصم عن القصيدة التقليدية من ناحية الموسيقى فإضافات صلاح عبدالصبور، والسياب وأحمد عبدالمعطي حجازي لبنائيات الموسيقى الشعرية لا أحد يشك في أنها جديرة بالدراسة والموازنة بالقوالب القديمة لتخرج برأي موحد تجاه المسألة التعبيرية الشعرية الحية، ثم إن التطور الذي أصاب القصيدة الحديثة ليس في البناء الموسيقي فقط ولكن في الصور والبناء الدرامي، والطرح الرمزي لهم المعبر.

* شعراء أثاروا الدهشة في الحضور الأدبي؟

- في الواقع الدراسة النقدية هي الكفيلة بإعلان العطاء الجيد ومناقشة السلبيات في الأعمال الأخرى، ولعل من أسباب اختفاء العطاءات المرضية تردي التنظير النقدي للنتاجات أذكر أن شاعراً متدفقاً قد اختفى - كما اختفي كثيرون للأسباب التي قدمناها مثلاً: ناصر بوحميد، ومن الشعراء المتواصلين الآن مع ساحات التلقي مسافر (أحمد الصالح) وغازي القصيبي .. ومقبل العيسى وغيرهم.

مهدي علاّم

زرنا منزل الأستاذ الدكتور مهدي علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة مرحباً دكتور.

– أهلاً وسهلاً.. مرحباً بكم.

* إن شاء الله الصحة ممتازة.

– الحمد لله.. نعمة من الله تعالى... إني لا أزال أصلي واقفاً (نعم)، وهذا من نعم الله تعالى عليّ.. (نعم).

* تذهب إلى السوق وترجع على قدميك؟

– أنا لا بد أن أمشي نحو ساعة في كل يوم.

* جميل جداً.. وتقضي بعض الحوائج دون تعب؟

– لست.. يعني.. نشيطاً جداً في شراء الأشياء إنما أحمد الله تعالى أني أجد من يفعل هذا لي.

* والعمر الآن كم؟

– ثمان وثمانون عاماً.

* والأولاد؟

– ولد وبنت.. الولد طبيب والبنت متخرجة من قسم اللغة الإنجليزية وشاعرة باللغة الإنجليزية.. (نعم) وسبب هذا لاحباً في الفرنجة ولكن المصادفة أنهما عاشا معي ومع والدتهما المصرية في إنجلترا مدة طويلة جداً.. فكان تعليمهما الأول لمدة خمسة عشر سنة تقريباً قبل أن يحضرا معي إلى مصر مرة أخرى.. فكان من العسير عليهما بعد ثقافتهما الإنجليزية التي دامت طوال هذه المدة ودخولها طبيعة «قسم اللغة الإنجليزية هنا وتخرجها منها هي بطبيعتها شاعرة.. يعني بالمصادفة دون فخار.. أنا أقول الشعر عربياً وإنجليزياً ابني مع... يقول الشعر بالإنجليزية لأن ثقافته أيضاً انجليزية أساسياً. فهذان هما ما منّ الله تعالى عليّ به.

* وكلاهما من زوجة واحدة؟

– نعم ولاتزال موجودة معي والحمد لله. وقاسمتني الحياة في مصر وفي إنجلترا والعودة

* والعمل أو المسمى العلمي الدقيق أو الإداري؟

– أنا الآن أتشرف بأني نائب رئيس مجمع اللغة العربية. لكن العمل الأساسي أستاذ جامعي وأستاذيتي الجامعية ترجع إلى سنة ١٩٢٧ عقب عودتي من البعثة التي كانت في إنجلترا. وربما نعود إلى هذا بعد ذلك.

* نعم

– عند انتهاء مدة الخدمة الرسمية أُحلت على التقاعد. . . ومع هذا شرفتني الجامعة التي خدمتها منذ سنة ١٩٥٠ لأني قبل هذا كنت في دار العلوم. بأن عينتني أستاذاً متفرغاً. . وتأدية لواجبي هذا الشرف أذهب إلى كلية الآداب مرة في كل أسبوع هي تقليدياً يوم الأربعاء، لديّ محاضرات في قسم اللغة العربية باللغة العربية ومحاضرات باللغة الإنجليزية لأني سبقت لي الخدمة في هذه الكلية أني كنت أستاذاً لكل من القسمين منذ سنة ١٩٥٠ إلى أن أحلت إلى المعاش.

* يعني لقسم اللغة العربية وقسم اللغة الإنجليزية؟

– نعم

* ودرست الأدب الإنجليزي أساساً. . تخصصاً؟

– هذا إحدى دراساتي في انجلترا عندما كنت طالباً هناك

* موضوع الماجستير والدكتوراه ماذا كان؟

– موضوعي في الدكتوراه هو فن من فنون الأدب لم يتنبه إليه ناس كثيرون اسمه فن المقصورة، المقصورة صورة خاصة من الشعر العربي. . أشهر مقصورة هي مقصورة ابن دريد، تمكنت أنا من جمع إحدى عشرة مقصورة مخطوطة.

* نعم

– منها مقصورة مشهورة أندلسية اسمها مقصورة حازم القرطجني حققتها وشرحتها وترجمتها إلى الإنجليزية. . ودرست موضوع المقصورة نفسه وكيف نشأ في الأدب العربي وهذا. . . هذا موضوع الدكتوراه

* جميل جداً. . . الآن بالإضافة إلى عملك بمجمع اللغة العربية هل لديك أعمال أخرى أم عمل متفرغ لمجمع اللغة؟

– نعم أنا أخبرت حضرتك أني أستاذ في . . الكلية.

* نعم كلية عين شمس؟

– وأنا عضو أيضاً في عدة هيئات من ذلك وتقتضي أعمالاً. . .

* نعم

– فمن ذلك أني عضو في المجلس الأعلى للثقافة ورئيس شعبة الآداب فيه. المجلس الأعلى للثقافة يتألف من ثلاث شعب، الآداب، الفنون، والعلوم الاجتماعية. وكل من هذه الشعب تندرج تحته نحو خمس أو ست لجان دائمة تعمل. وكل شعبة لها رئيس.

* المؤلفات يا دكتور. . المؤلفات التي قدمتها للمكتبة العربية أو الكتب؟

- نعم اختصاراً

* نعم

- للذاكرة هذا أحد كتبي وفيه بيان بأهم مؤلفاتي

* نعم جميل

- ولو أذنت لي

* نعم

- أتلوها منه

* تفضل

- بعض هذه الكتب

* نعم

- تأليف وبعضها تحقيق وبعضها مراجعة للتحقيق

* نعم

- فهي كما ذكرتها أنا في هذا الكتاب

* نعم وما هو؟

- الذي اشترك فيه أنا وبنتي.

* نعم

- لأنها هي ألفت بالشعر الإنجليزي.

* نعم

- وكلفتني أنا أن أترجمه شعراً عربياً.

* نعم

- ونشرناه سوياً.

* نعم واسم الكتاب.

- اسم الكتاب فرعون والنسر أو عودة المجد.

* بالإنجليزي؟

- بالإنجليزية (فيرو أند ذا إيجل).

* ترجمة؟

- ترجمة مهدي علام

* نعم جميل.. ممكن أتناول بعض المؤلفات: بعض الأسماء، لكي نعرف مجالات عطائك

الفكري والأدبي ؟

– ثريا

* لا مؤلفاتك يا دكتور؟

– سأتلوها . . فلسفة العقوبة . . فلسفة الكذب . . . فلسفة المتنبي . . . المتنبي بين نفسيته وشاعريته . . . المقصورة لحازم القرطجني . . تحقيق ونظرية جديدة في نشأة فن المقصورة في الأدب العربي . . نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين . . . النقد والبلاغة للمدارس الثانوية . . قواعد اللغة العربية النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع سبعة أجزاء بالاشتراك . . أحمد حسن الزيات (جوزف لندن سميث) . . الرجل والفنان بالعربية والإنجليزية . . بين اليراع والقرطاس في الغرب والشرق . . الروح الثورية عند برنادشو بالإنجليزية (ذا سيلولوشين ري سييرين أف برنردشو) . . نظرية العفو في الإسلام بالعربية والإنجليزية . . . مراجعة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية والتعليق على مقالات المستشرقين من سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٦٠ . . . نظرية الصدقة الشرعية في الإسلام بالعربية والإنجليزية . . مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً . . المجمعيون في خمسين عاماً .

* جميل جداً

– يضاف إلى ذلك الآن المشاركة في بعض كتب بنتي وبالكتاب الأول فرعون والنسر أو عودة المجد أو كما يسمى في الإنجليزية وهو القسم الذي كتبته هي بالإنجليزية (ذا فيرو أند ذا إيجل) والكتاب الثاني أنها منذ مدة قليلة جداً ترجمت شعراً قصيدة البوصيري البردة إلى شعر إنجليزي تحت مراجعتي أنا وقد نشر هذا الكتاب . ولو أذنت لي أقدم لك نسخة منه .

* شكراً لك على كل حال يا دكتور

– شكراً

* نأتي إلى مجالات العطاء بالنسبة لمجمع اللغة العربية . . معروف أن هذا المجمع خدم اللغة العربية في مجالات متعددة وميادين مختلفة فقدم كثيراً من التصويب والتصحيح وقدم مخططات ومشاريع للنهضة باللغة العربية كما قدم أيضاً مقترحات ودراسات حول التعريب والترجمة فيما نقرأ نحن البعيدين .

– نعم

* فلعلك تقدم مجالات معينة يخدم فيه المجمع هذه اللغة خاصة أنه قدم المعجم الوسيط في جزأين كما أعتقد أو مجلدين وربما تصدر الأجزاء القادمة إن شاء الله وهذا عشمنا تفضل يا دكتور؟

– مجلة المجمع تتولى نشر البحوث اللغوية من الأعضاء وغير الأعضاء . كل من يتقدم ببحث

يليق بمركز هذه المجلة ينشر فيها. . . ومن حسن الحظ أنيّ أنا مشرف على هذه المجلة

* نعم

– إلى جانب هذا تنشر عدداً كبيراً من المصطلحات التي يقرها المجمع بالإضافة إلى هذا أخبار المجمعيين الجدد واستقبالاتهم لأن المجمع عادة عندما يرشح عضواً من الأعضاء يرشحه عضوان وينتخب ولابد من انتخابه . . من الحصول على ثلثي أعضاء المجمع.

* نعم

– وبعد ذلك يستقبل استقبالاً رسمياً يقدمه أحد الأعضاء المرشحين له ثم يتكلم هو عن العضو المترفّع الذي حل محله وشغل كرسيه.

* جميل

– وهذا كله ينشر في المجلة

* جميل جداً ولكن مجالات الخدمة التي قدمها ويقدمها المجمع على مدى السنوات الطويلة التي أنشئ فيه. . هذه موجودة في مجموعات إلى جانب المقالات في مجموعات المصطلحات العلمية تخرج في معاجم متخصصة؟

– لدينا نحو عشرين معجماً في الكيمياء في ا لطبيعة، في الفلك، في الرياضة، في الموسيقى، في الألفاظ الحديثة، كل هذا، كل فرع من هذه الفروع تخرج فيه آخر حصيلة للجّان التي تقوم في هذا العمل، ذلك أن المجمع ولابد أنك على علم بهذا فيه نحو عشرين لجنة. كل لجنة لها تخصص خاص من أعضاء المجمع ومن الخبراء أيضاً، لأنه قد يكون هناك فرع من الفروع ليس فيه متخصص من أعضاء المجمع، كأن يكون فلك، كمبيوتر، أو شيء آخر من هذا. ينتدب خبيراً وهؤلاء يجتمعون أسبوعياً كل لجنة في موعدها. . حصيلة ما تنتهي إليه يعرض على المجلس الذي يعقد في كل أسبوع في الحادية عشرة من صباح كل إثنين يجتمع المجلس وينظر في كل هذه الأعمال ثم ينشر هذا. . بعضه ينشر في المجلة تعريفاً به وبعضه ينشر بينما يتجمع في هذه المعاجم المتخصصة إلى جانب هذا المعاجم اللغوية. . لدينا من المعاجم اللغوية ثلاثة (المعجم الكبير) وأتشرف بأنني أنا مقرره يعني رئيس اللجان التي تعمل في المعجم الكبير منذ أكثر من ربع قرن (وصدر منه أجزاء)

* نعم (صدر منه مجموعة كبيرة)

– صدر منه أربعة أجزاء

* أربعة أجزاء؟

– ثم (المعجم الوسيط) وهذا صدرت منه الطبعة الثالثة الآن

* في مجلدين؟

- في مجلدين .. ثم (المعجم الوجيز).

* أي نعم

- وهذا صدر منه عدد منذ أربع سنوات وهو للمثقفين غير المتخصصين.

* أخذ على المعجم الوسيط أنه يبسط.. يبسط كثيراً من المصطلحات؟

- نعم

* ويتساهل في إدخال كثير من التعابير اللغوية سواء ما كان منها معرّباً أو ماكان منها مستعملاً شائعاً فيقره المجمع... ألا تعتقد أن هذا فيه شيء ما؟ ثم هل من السهولة إقرار ماهو شائع أو تعريبه؟

- هذا ليس فيه أية مخالفة لما نهض عليه المجمع.. فمن أساس عمل المجمع تيسير اللغة بجعلها في متناول المثقفين دون أن تنحدر إلى العامية.

* نعم

- فمن ذلك أولاً الترجمة للمصطلحات إذا أمكن.

* نعم

- فإذا عزّت الترجمة عُرِّب

* نعم

- وعندنا مبدأ خاص بأن أسماء الأجناس المادية لا تترجم. ولا تترجم أكسجين ولا كلوروفورم ولا هيدروجين لأنه كيف يترجم هذا ليس له معنىً يترجم بها فهو يعرف (يقرب نعم) ليوضع في أقرب صيغة عربية ثم بعد ذلك انتقاء كل ما يمكن أن يكون له صلة باللغة الفصحى من اللغة الدارجة. فليس هذا انحطاطاً باللغة بل هو ارتفاع بمستوى بعض اللهجات الدارجة سواء كانت في مصر أو في البلاد العربية الأخرى. هذا الذي بعض الجهات عابت على الوسيط. ولكن معظم الجهات اعتبرته من حسناته.

* نعم بالتأكيد.

- من حسناته

* المعاجم التي تصدر خاصة ما كان منها علمياً تقنياً في الهندسة والطب والعلوم التطبيقية هل تبعثون بهذه المعاجم إلى الكليات المتخصصة التقنية لاستخدامها أمام الطلبة وخاصة في المقررات الدراسية لأننا نرى طلابنا ودارسينا المختصين في هذه الميادين غالباً ما يدرسون هذه العلوم باللغة الأصلية بالإنجليزية أو باللغات الأجنبية الأخرى. فحبذا لو عرضت هذه الجهود عليهم

لاستخدامها؟

- الذي يحصل أن جميع إنتاج المجمع وخاصة فيما يتعلق بالمصطلحات العلمية يرسل عقب كل دورة إلى جميع الهيئات المعنية. مثلاً جميع وزارات التربية والتعليم، جميع وزارات الثقافة، وزارات الإعلام، الجامعات، كل هذه الجهات ترسل إليها هذه الحصيلة.. ليس لنا قدرة التشريع على أن نلزمهم بأن يعملوا بها، لهم أن يأخذوا منها ما يشاؤون. من حين لآخر نقوم نحن بعمل دورات دراسية في تعريب المصطلحات العلمية وتدريسها كالطب وما إلى ذلك، ونجحنا في هذا كثيراً... يعني.. مما أرجو أن يسمح لي أن أذكره أن لدينا اتحاد مجامع.. فنحن لا نعمل في عزلة عن المجامع الأخرى إنما منذ نحو عشر سنوات أقمنا اتحاداً لمجامع اللغة العربية، القاهرة، دمشق، بغداد، المغرب، الأردن، واليوم فقط، اليوم فقط وأنا في المجمع علمت أن الجزائر أنشأت مجمعاً جديداً وسنضمه إلينا. هذه المجامع تنعقد في اتحادها مرة أو مرتين في كل عام في إحدى البلاد العربية. وتتخذ موضوعاً رئيسياً للدراسة، قد يكون تدريس الطب، وقد يكون تدريس العلوم العامة إلى آخره.

* نعم

- هذا العام موضوعنا لغة الإعلام.

* وهل نما إلى علمك أن المملكة العربية السعودية ستنضم إلى مجمع اللغة العربية ليس في العضوية وإنما في تكوين مجمع لغة في المملكة يلتحق ويكون ضمن الاتحاد، ضمن اتحاد مجامع اللغة العربية؟

- سيكون هذا أهم ما يعلم به المجمع ويتشرف به حقيقة.

* نعم لم تسمعوا بهذا؟

- لا لم نسمع بهذا... هل هناك خطوات أخذت في هذا السبيل؟

* نرجو ذلك.

- نعم، لا هذا لم أعلم به، إنما هل أنا في حل من أني أبشر به على سبيل المثال الإرهاص؟

* لا نبشر به على سبيل التمني.

- على سبيل التمني.

*أيضاً في الجانب الآخر مجمع اللغة العربية أخذ على أنه يبسط ويسهل أشياء كثيرة شاعت بعض التعابير الصعبة خاصة في بدايات نشأة المجمع، وتعلم طبعاً قصة الشاطر والمشطور وبينهما طازج وأشياء من هذا النوع أخذت من باب الدعابة.. فهل لك أن تضيف أن هناك اشتقاقات صعبة جداً في بعض التعابير التي يقرها المجمع؟

– أنا سعيد بأن أسمع بهذه النكته لأنها خلدت، فالمجمع لن يقر في يوم من الأيام شاطر ومشطور وبينهما طازج. . فأولاً هذا ليس اصطلاحاً.

* نعم

– والحقيقة أن السندوتش من الأشياء التي تعرّب أساساً وإن كان من الممكن ترجمتها لماذا لأن السندوتش اسم رجل إنجليزي كان يهوى لعب الورق وكان لا يقوم من نضد الورق في لعبه أبداً. . فكانت زوجته حرصاً عليه تضع له الطعام وتحضره له وهو يلعب فاتخذت الشطائر من الخبز وبينها لحم وتعطيه إياه.

* نعم

– فالاسم اسم شخص والأفضل بقاؤه كما تقول باستير

* نعم باستير

– ونحن نتصرف فيه ونقول بستر فنحن نسمي السندوتش سندوتش وإن كانت الشطائر موجودة يعني جميع فنادق القاهرة والاسكندرية لا تستعمل سندوتش وإنما تقول شطائر.

* نعم

– ولكن لا نعيب أن نقول سندوتش أبداً كما نقول بستير

* أنت تعلم يا دكتور أن الترجمة مهمة رئيسية قام بها علماؤنا في القرن الثاني والثالث والرابع وما بعده في سبيل قيام النهضة العربية للاستفادة من حضارات الأمم وسواء كان منها المعاصر أو القديم الماضي، سواء كان منها اليوناني أو الفارسي أو الهندي وغيرهم. هل من نشاطات المجمع إضافة المعارف الجديدة وبعض الاصطلاحات أو بعض الجهود العلمية الصادقة من الآداب والفكر غير العربي إلى تراثنا وأدبنا وحضارتنا الآن؟

– نعم لدينا لجان لدراسات تاريخ العلوم وهي تستضيف كل ما يجدّ من العلوم وتوزعه على اللجان المختصة، للفلك يذهب إلى لجنة الفلك، للطبيعة تذهب إلى لجنة الطبيعة، للكيمياء، للرياضة، إلى آخره. . ذلك لأننا لنا أسوة فيما فعله أجدادنا عندما ترجموا الماثيماتيقا والموسيقا والروتوريقا، كل هذه الأشياء. فنحن ربما نكون أدق وأكثر حيطة منهم الآن فلا نتوسع توسعهم.

* نعم

– فنحن الآن لا نقول الماثيماتيقا وإنما سميناها العلوم الرياضية

* نعم . . نعم هذه المصطلحات التي تفضلت وذكرتها مثل الميثافيزيقيا والميثالوجيا والسيسولوجيا والسيسمولوجيا وأشياء كثيرة مصطلحات غير عربية، هل تستطيعون أن تجدوا لها مقارباً عربياً في لفظه؟

– أوجدنا. وكلاهما يسير جنباً إلى جنب، والقاعدة عندنا في كل المصطلحات الأجنبية التي نحاول ترجمتها أن نضع اللفظ العربي أولاً واللفظ المعرب بين قوسين. ثانياً ونضعهما بين أيدي الذين يستخدمون العربية في جميع البلاد العربية حتى يشيع أحدهما. فإذا شاع قبلناه لأن من الصعب أن تفرض اللغة على أي إنسان، من الصعب جداً.

* نعم.. نعم... وهناك اعتقاد لدارسي علم الاجتماع وتطور الحضارات أن اللغة جزء من الحضارة فما دامت الأمة مهزومة وأمة مغلوبة على أمرها لابد أن تهزم لغتها وتهان مع الأسف الشديد واللغة الإنجليزية الآن لغة شائعة لأن الأمة التي تحملها أمة الآن تقود الحضارة وكان دورنا مجلياً ومعروفاً في الماضي فكانت لغتنا مجلية ومطلوبة.... فلماذا لا نرضى بتطور الحضارات؟

– أنا أرجو أن تسمح لي باختلاف معك في هذا. أنت تردد نظرية ابن خلدون في أن المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب. وكلنا نعلم أن تاريخنا الإسلامي عكس هذه النظرية.

* نعم

– وأن الغالب قلد المغلوب.. فالتتار بعد أن وطئت أقدامهم رقاب المسلمين في بغداد وأسالوا دماء العباسيين أسلموا

* نعم

– الاتراك السلجوقيون فعلوا مثل هذا ومع ذلك أسلموا.

* نعم

– ونحن نرجو في اللغة أن يكون ما نحتذي به هو مسلك الإسلام بمعنى أننا لانُغلّب الإنجليزية أو الفرنسية لأنها كانت في احتلال بلادنا وإنما نحن الآن بلغنا الرشد ونستطيع أن نقول للفلكلور قف مكانك أنا سأختر المأثورات الشعبية.

* نعم

– والكلمتان تسيران جنباً إلى جنب فقط للرغبة في استشارة الجمهور الذي سيستخدم اللغة وفي معظم الأحيان المأثورات.

* نعم جميل.. أشرت إلى الأتراك وإلى التتار.. ربما بعض الأمم كانت متوشحة ليس غلبتها من باب الحضارة وإنما من باب القوة لأن المواجه لها ضعيف فبالتالي لابد أن ينهزموا حضارياً ويعتنقوا المبادئ ويعتنقوا اللغة ويبحثوا عن شيء يقيهم، ربما هذا الشيء شاذ في تاريخ الحضارات؟

– نعم

* بالنسبة لذكرياتك القديمة يا أستاذ.. ذكرياتك القديمة عن المجمع وإعضائه وما صار فيه

والتتالي من الرياديين الذين خدموا المجمع وخدموا اللغة العربية ماذا يحضرك الآن من الذاكرة؟

- أنا سعدت بالاجتماع في المجمع مع عدد من الأصدقاء كنت أعرفهم خارج المجمع في شبابي وهم سبقوني إلى المجمع وبعضهم لحقني فيه فمن ذلك مثلاً العقاد، عرفت العقاد قبل أن أدخل المجمع، طبيعي جداً وأتذكر فكاهته عندما دخلت أنا المجمع نظر إليّ. . . وأنا دخلت المجمع وأنا في سن الستين. . فقال لي أنت أصغر من بلغ الستين.

* نعم

- ومن ذكرياتي معه أني كنت أسعد بالجلوس إلى جانبه وكانت بيني وبينه صداقة حميمة حقيقة من قبل المجمع وفي أثناء وجودي في المجمع كثيراً ما كنت أحتاج كتاباً ولا أجده في المكتبات فكنت أسأله ألديك الكتاب الفلاني فكان يقول لي: ماذا تريد منه؟ فأنا أذكر له النقطة التي أريد أن أرجع إليها في ذلك الكتاب. . في اليوم الثاني يحضر هذا الكتاب من مكتبته وبين صفحاته ورقة في الموضوع الذي طلبته أنا مما يدل على أنه قرأ هذه الكتب.

* نعم

- دليل آخر ذكرت لك قبل الآن أننا نستضيف الخبراء في الفروع التي ليس لدينا فيها تخصص ففي مرة من المرات كان المجلس يناقش مصطلحات علم النبات وحضر أستاذ في علم النبات متخصص، والذي تولى المناقشة معه العقاد. لم يستطع أحد أن يتناول المناقشة معه سوى العقاد. . واختلفا. . فقال العقاد له: اطلعت على الكتاب الفلاني الإنجليزي وما أظن أنك اطلعت عليه فقال: لا لم أطلع عليه قال: نعم. . لم يحضر إلى مصر منه إلا نسختان نسخة في مكتبتي في القاهرة ونسخة في مكتبتي في الإسكندرية. . وكان صادقاً في هذا، فهذا الرجل حقيقة ذكرياتي معه ذكريات رجل عاقل عالم فاضل عظيم. أذكر أيضاً من ضمن الذين سعدت بمرافقتهم أحمد حسن الزيات الكاتب وصاحب الرسالة ولذلك سعدت بأني كتبت كتاباً عنه عندما توفى.

* نعم

- لم أشأ أن أترك تأبينه لأنه عندما يتوفى أحد الأعضاء يقوم أحد الأعضاء الأحياء بتأبينه.

* نعم

- فأنا فضلت أني أقوم بخدمة هذا القلم الذي سعدنا به وتعلمنا على كتابته من قديم من بين الذين سعدت بمرافقتهم.

* من طلابك يا أستاذ؟

- من طلابي

* نعم

– الدكتور أحمد الحوفي الأستاذ محمد عبدالغني حسن الشاعر الذي لقب بشاعر الأهرام

* نعم

– كان طالباً عندي في السنة الأولى في دار العلوم وكانت جريدة الأهرام تنشر له قصائده في الصفحة الأولى كما كانت تفعل لي شخصياً.

* نعم.. من الذي سعدت بمصاحبتهم؟

– من أساتذتي الأستاذ زكي المهندس الذي كان نائباً للرئيس

* نعم

– أنا كنت تلميذه

* نعم وماذا تتذكر عن عضوي مجمع اللغة العربية السعوديين الشيخ عبدالله بن خميس والأستاذ حمد الجاسر؟

– بإيجاز بليغ أذكر لهما الشعر واللغة... أحدهما في قمة الشعر والثاني في قمة اللغة

* نريد شيئاً من التفصيل يا أستاذ؟

– عبدالله الخميس

* نعم

– يعني.. يسعدنا في كل مؤتمر

* نعم

– بقصيدة

* نعم.... نعم

– يعني.. فيها شفاء للنفوس المتعطشة للأدب الرفيع

* نعم

– حمد الجاسر آخر كلمة في اللغة تنتهي إليه

* يا سلام

– لا يعقب عليه معقب ولو.. ولو نظرت إلى المجموعات التي كانت في أيدينا اليوم لتجد أن كثيراً جداً منها محال على الأستاذ حمد الجاسر.. عندما تأتي نقطة من النقط التي لم نجد في معاجم اللغة التي في أيدينا ما يشفي العليل فيها نرسلها إليه.

* نعم

– وهذا من عادتنا مع أننا تجتمع ونبذل الجهد في البحث والاستقصاء لكن لا نتردد عندما نعلم أن هناك متخصصاً أعلم منا في موضوع من الموضوعات.

* نعم

- يحال عليه

* نعم

- وعندما تأتي الكتابة يعني.. فيما يتعلق باليمن.. أحمد عرفات نرسل إليه. فيما يتعلق بالجزيرة العربية وكل ما شملتها حمد الجاسر. فيما يتعلق بالكيمياء إلى فلان.. إلى فلان بالعلوم الشرعية فيعني مثلاً كلمة الإجماع، كنا في مادة الجيم في حرف الجيم الآن.

- خلصنا حرف الألف والباء والتاء والثاء والآن نحن في حرف الجيم من المعجم الكبير

* نعم

- ففي كلمة الإجماع على سبيل المثال ماهو الإجماع.. ولدينا من الكتب لكن بما أن هذا سيخرج من المجمع فلابد أن نرسله إلى المتخصص الشرعي ليعطينا معنى الإجماع شرعاً.

* نعم جميل جداً

- كذلك الإجماع القانوني غير الإجماع الشرعي نرسلها إلى عضو القانون الأغلبية.. معنى الأغلبية المطلقة.. والأغلبية إذا كل هذه الأشياء نتحرى فيها رأي الأخصائيين.

* نعم جميل بالنسبة للأستاذ حمد الجاسر دار بينه وبين عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين دار بينهما حديث يروى أن حديثاً ما دار بينهما.. فهل تتذكر ماذا صار أو ماذا دار؟

- لا أتذكر

* لا تتذكر؟

- نعم

* نعم.. بالنسبة الحقيقة لقراءاتك الأخرى.. دكتور مهدي علام؟

- أنا نسيت أن اذكر لك بقية نشاطي لأني إلى جانب عضويتي في المجلس الأعلى للثقافة أنا عضو أيضاً في المجالس المتخصصة القومية، ورئيس شعبة الأدب فيها.. وأجتمع كل أسبوعين مع الأثني عشر عضواً يمثلون فروع الآداب التي فيها.

* جميل

- إلى جانب هذا أيضاً أتشرف بأني عضو في مجمع البحوث الإسلامية الذي في الأزهر وهو الذي أسس سنة ١٩٦١ وأتشرف بأني أحد مؤسسيه. وهذا المجمع يعني ينتهج نهج الدراسات الفقهية والدينية وله ممثلون أيضاً على نسق مجمع اللغة العربية من جميع البلاد الإسلامية.

* دكتور مهدي علام تقرأ في السياسة في الاقتصاد، في الأدب، في الجغرافيا.. في قراءاتك تخرج عن نطاق التخصص؟

– أنا أقرأ في الأدب العربي والأدب الإنجليزي . . وفي حبي الأول علم النفس لأني أنا عندما تخرجت من دار العلوم سنة ١٩٢٢ أرسلت في بعثة إلى إنجلترا. كانت بعثتي الأولى لدراسة التربية وعلم النفس والأدب الإنجليزي . . بعد أن انتهيت منها بعثتني الوزارة مرة أخرى لدراسة الفارسية والعبرية. . اللغات الشرقية فالحب الأول كان علم النفس.

* نعم

– وبقيت نحو عشر سنوات وأنا أدرّسه وأمارس العمل فيه إلى أن انحرفت إلى الأدب واللغة وبقيت في نطاقهما.

* مع ذلك كان إنحرافاً جميلاً؟

– نعم

* كان انحرافاً مبدعاً بالنسبة للشعر. . ذكرت لي في بداية الحديث أنك تكتب شيئاً من الشعر؟

– نعم

* الشعر الرومانسي فيما يبدو. . . يعني الشعر العاطفي الحالم. . ربما تسمعنا شيئاً من صبابات الصبا

– أنا أقول الشعر ولا أريد أن أعيش شاعراً. يعني أنا سمعتي ليست كشاعر. أنا لي شعر عربي وإنجليزي ومنشور بكثير إذا أردت أن تسمع شيئاً منه.

* جميل

– أنا لي قصيدة أستقبل بها ابني ساعة ولد. كانت الأم وطبيب الولادة في حجرة وأنا في شغل كهذا خارج الحجرة منتظر فضل الله تعالى فإذا الطبيب يخرج ويقول الحمد لله الأم بخير والطفل بخير. دخلت فرأيت وجه هذا الوليد وحمدت الله وخرجت فإذا الشمس تشرق فيأتي مطلع القصيدة:

في انبلاج النهار أشرقت يا طفلي ... كما يشرق الضياء حيياً
مثل عمر النهار في الصبح تبدو ... ثم تنمو مع النهار فتياً
تقطع الليل والنهار وتبقى ... في دروب الصبا غلاماً زكياً
تضمها فوق صدر من الحنان مليء ... تطعم الحب في الرضاع شهياً

سميت ابني حسام. ومن الغريب وهذا من مصادفات الشعراء وإلهامات الشعراء قل ما تشاء في وصفه قلت:

يا حسامي إذا الزمان تقاضى ... سوف ألقي (الفرند) منك وفياً

ووضعت كلمة الفرند بين علامات التنصيص قاصداً بهذا معناها العربي وهو حد السيف وقاصداً

معناها الإنجليزي وهو الصديق. ولم يكن في ذلك الوقت في ذهني أني سأسافر به إلى إنجلترا وأنه سيعيش هناك ويشب... ومن ضمن ما فيها:

سوف نلهو بين الصد ... وتراءى بينهم غلاماً زكياً
سوف تفنى في رفعة الدين ... إنا قد بعثناك مسلماً مصرياً
سوف نرعى عهود أختك رعياً ... وتؤدي الحقوق ما دمت حياً

* لو كان مسلماً عربياً أفضل أستاذ؟

- نعم

* نعم جميل

- أنا قلت هذا لو تسمع آخر القصيدة:

لم أورثك يابني ضياعاً ... قد تضيع الضياع شئاً فشيّا
غير أني أورثتك العقل تاجاً ... ووريث الحجا يبيت رضياً
ليس صوتاً ما يزعم المتنبي ... انت بالحجا غدوت شقيّا
حدثوني عن حازم الرأي ... غدا رأيه لدينا زريّا
ليس للمال خلدوا الأصمعيا ... ليس للمال خلدوا الشافعيّا
ليس للمال خلدوا سقراطاً ... لو لمال لكان ذكراً خفياً
نعمة العلم خدمتهم فأضحروا ... هنا باسمهم حفيّاً حفياً
لو لغير العظاة يذكر قارون ... لأمسى حديثه منفياً

* يا سلام

- إلى آخره.. إلى آخره

* سقراطاً لضرورة الشعر أعربت سقراطاً؟

- لا.. لا لأني في ذلك الوقت كنت غرقان فلسفة وعلم نفس و... ألم أقل لك....

* نعم

- هذا كان في سنة ١٩٣٢ ذلك الوقت الذي كنت فيها يعني... غرقان علم نفس.

* جميل... بالنسبة للشعر العاطفي.. أعطنا شيئاً من الصبابة؟

- لم أمل إليه كثيراً.. وكل الذي أذكره الآن توبة لغلام في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة الآن إلا أنني أقسم الرحمن أني لحبها تركت وأني للمعالي سأعمل وأن الذي كان بيني وبينها كأضغاث أحلام مضت كل هذا ليس له وجود عندي لأن الذي لدي أشياء أخرى.

* نحن الآن في ضيافتك يا أستاذنا.. وسعدنا بصحبتك خلال هذه الساعة في منزلك في المعادي

في مصر وسعيد جداً لأننا تجولنا في المكتبة سوية وتناقشنا جميعاً واستفدت كثيراً يا أستاذ من تجربتك الطويلة.

- شكراً

* ومن خبرتك وذوقك اللغوي

- شكراً

* ونرجو لك العمر المديد بإذن الله وأن يقدرك أيضاً تلاميذك ومحبوك وطلابك لأن تقدير الأعلام من تقدير التراث ومن تقدير الفكر ومن تقدير الأمة لعلمها.

- أشكرك . . أشكرك

* نعم نشكر ضيفنا الكريم الأستاذ الدكتور مهدي علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية ونرجو لك إن شاء الله الصحة وطول العمر

- أنا سعيد جداً بلقائك هذا وسعيد أن هذا الصوت الذي أسعدني الله تعالى بأني نطقت به سيردد في أعز بلاد لدينا في البلاد العربية في مقر الرسالة في مطمح الأنظار . . في أعز تراب نتمرغ فيه.

نبيل راغب

الدكتور نبيل راغب عميد المعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون بالقاهرة والروائي والناقد المعروف، روائي وناقد أثرى المكتبة العربية بثلاث وعشرين رواية، وباثنين وثلاثين كتاباً نقدياً وباثني عشر كتاباً مختلفاً أيضاً في السياسة والاجتماع والعروبة.

* البطاقة تقول ماذا؟

– البطاقة تقول نبيل راغب من مواليد طنطا الغربية في الثاني من يناير ١٩٤٠م، تخرج في كلية الآداب قسم اللغة الإنكليزية عام ١٩٦٠م، ثم عمل معيداً للأدب الإنكليزي في كلية الألسن، ثم سافر إلى انجلترا لكي يحصل على الماجستير في عام ١٩٦٣م من جامعة مانشستر ببريطانيا، ثم عاد ليدرس مرة أخرى في كلية الألسن، ثم سافر مرة أخرى في عام ١٩٦٨م إلى جامعة لانجستر بمقاطعة لانجشير بانجلترا للحصول على الدكتوراة في الرواية الإنجليزية. كانت الماجستير في مسرح برنارد شو، وكانت الدكتوراة في الرواية عند جورج مردس، وهو روائي في القرن التاسع عشر، لم يكن محبوباً من الإنجليز أنفسهم، لأنه كان يكتب الشعر ويكتب الرواية، فعندما كان يكتب الرواية كان يكتبها باسلوب الشعر الخصب الثري جداً، وعندما كان يكتب الرواية يكتبها بإسلوب الشعر، وعندما كان يكتب الشعر يكتبه باسلوب الرواية، فكان معقداً ودقيقاً للغاية. وأنا قبلت هذا التحدي واستطعت الحصول على الدكتوراة في هذا الموضوع بالذات، ثم عدت مرة أخرى في عام ١٩٧٢م إلى القاهرة لكي أعمل بكلية الفنون في المعهد العالي للنقد الفني. بالطبع أثناء حياتي الأكاديمية يعني كنت أعتقد تماماً أن رسالتي بالإضافة إلى عملي في التدريس الجامعي هي التأليف، وكنت أشعر دائماً أن العالم الخاص للمؤلف هو الدنيا أو المتعة المتبقية، يعني أنا طبعاً معتز بكوني عميداً للمعهد العالي للنقد الفني، لكنها في النهاية مجرد وظيفة إدارية، لكن ما سوف يتبقى هو الانتاج العلمي والانتاج الأدبي والتواجد داخل القراء. يعني عندما أتواجد عند القراء من خلال رواية لي أو كتاب نقدي أو كتاب في السياسة أو العروبة أو الاجتماع إلى آخره. هذه هي الحياة الحقيقية للكاتب والحياة الحقيقية للفنان. وفي اعتقادي أن حياة الفنان وحياة الكاتب هي إبداعية، وأرجو من الله أن يديم هذه المنحة العظيمة، وهي منحة الإبداع والكتابة المستمرة. وأيضاً أعتقد أن الكاتب العربي يملك ميزة قد لا تتأتى لكتاب آخرين في العالم، وهي أنه يستطيع أن يخاطب إخوانه العرب من الخليج إلى المحيط من خلال لغتنا العربية، وبالتالي فجمهوره قد يزيد على مائتين وثلاثين مليون نسمة، وإن كنت أعتقد أن الكتب حتى الآن، نسبة توزيعها لا تصل إطلاقاً لهذا

العدد الغفير من العرب الذين يسكنون هذه المنطقة الحيوية من العالم، وإذ أنتهز هذه الفرصة لكي أوجه الانتباه إلى أن الثقافة العربية والثقافة الإسلامية هي البوتقة الحقيقية التي يمكن أن تنصهر فيها كل خلافات العرب، ومن هنا أرجو أن يفسح المجال لكتاب العالم العربي كله حتى يوجد ما يمكن أن يسمى بالحد الأدني للوحدة أو التوحد العربي الذي ننشده جميعاً.

* دكتور نبيل راغب.. أبرز الروايات التي كتبتها تقريباً.. العناوين الرئيسية؟

– أنا كتبت رواية بعنوان (سور الأزبكية)، وهذا السور مشهور جداً في القاهرة، وعليه تباع الكتب المستعملة، ولكن الحقيقة يعني نمتلك في منازلنا كتباً من هذا السور، فأنا أخذت التطورات الأخيرة في المجتمع المصري من خلال سور الأزبكية وحرصت على القيمة التي يمثلها هذا السور. وبالتالي كان كل الصراعات والمواقف الدرامية الموجودة في الرواية تمثل هذه. هناك من يقف مع السور، وهناك من يريد أن يحوله إلى مجرد مكان لبيع الحاجيات المنزلية والملابس.. إلى آخره. أيضاً كتبت رواية اسمها (درب الشوك) وهي تصور بدايات الثورة المصرية.. ثورة ١٩٥٢م منذ دخول الضباط الأحرار الكلية الحربية في أواخر الثلاثينيات حتى مقتل السادات، الخلفية السياسية المواكبة للأحداث الدرامية نفسها.. لكنها ليست كل شيء.. يعني هي ليست رواية تسجيلية، ولكنها رواية في النهاية رواية فنية بمعنى الكلمة. أيضاً كتبت رواية بعنوان (بنات مصر الجديدة) مصر الجديدة هذا حي شهير في القاهرة، لكنني أخذت هذا الحي رمزاً لمصر.. لمصر المعاصرة بصفة عامة، وصورت موقف البنات، بنات مصر الجديدة في كيفية مواجهتهن للتطورات الاجتماعية. أيضاً كتبت رواية تدور في البحر بعنوان (بحر الظلمات) عشت مع الصيادين في أثناء صيد السمك ثلاث ليالٍ، وقمت بدراسة، عندما أقوم بكتابة رواية لابد أن أقوم بدراسة علمية للمادة نفسها التي يمكن أن تبلور. يعني أنا لا أؤمن بأن الراوية عبارة عن حدوته أو حكاية للتسلية فقط، ولكن هناك خلفية أو أساس علمي ينهض عليه المضمون الفكري للرواية. أيضاً كتبت رواية أخرى بعنوان (دماء غجرية) تتبعت فيها تاريخ الغجر في مصر واكتشفت من خلال دراستي لحياة الغجر أن كلهم ينتمون إلى أصل واحد، فمنذ القرن الرابع عشر الميلادي كانوا يعيشون في ولاية بيهار في الهند، ثم غضب الحاكم عليهم فاضطروا للنزوح، بعضهم نزح إلى أوروبا وعبر المجر حتى فرنسا وإسبانيا، والبعض الآخر عبر سيناء ومصر حتى المغرب. واكتشفت أن معظم المفردات التي يستخدمونها سواء في أوربا أو في أفريقيا تقريباً يعني متشابهة.. مجتمع الغجر مجتمع مثير جداً ومجتمع مغلق جداً. أنا توغلت في هذا المجتمع بفضل طالب تلميذ لي كان في كلية الألسن، أدخلني في هذا المجتمع واستطعت أن أجد مادة درامية من خلال هذا المجتمع. أيضاً نشرت رواية في الأهرام، جريدة الأهرام مسلسلة بعنوان (نزوة نوبية) عشت فيها أيضاً في منطقة النوبة. أنا كان

لي خبـرة في منطـقة النوبة قبل تحويل مـجرى نهر الـنيل وبناء الـسد العالي، قـبل أن تغرق الـنوبة القديمة فـي بحيرة ناصر، واسـتطعت أن أتخذ مادة فلكلورية ومادة انثـروبيولوجية، اسـتطعت أن أجسد معاناة وحياة هـؤلاء أو هذا الشعب العريق الذي كان منه بعض الملوك الـذين حكموا مصر في العصـور القديمة، لا أريد أن أطيل بالنسبة للروايات.

* هذه أبرز الروايات؟

- هذه الأبرز.

* نعم نعم نعم، لكن أبرز الكتب النقدية الدراسية التي تعتز بها فعلاً؟

- أبـرز الكـتب الـنقدية الحـقيقـية، نـشرت فـي عـام ١٩٧٨م من خـلال دار المعـارف المـصريـة (موسوعة أدباء أمريكا) وفيها حاولت أن أصـور وأحـلل إنجازات الأدباء الأمريكيين من وجـهة نظر عربـية. يعنـي لم تكـن هذه الموسـوعة التي تـقع في مـجلدين مـجرد تسـجيل أو مـجرد تجميـع للأدب الأمريـكي، ولكنـها كانـت من منـظور عربي وأردت بـذلك أن أمنـح القارىء الـقدرة على أن يـقرأ هؤلاء الـكتاب العـالميين الأمريـكيين بـنظرة نقدية متـفحصة ولـيس بمجرد عـمليـة تلقين، أن يـعرف معلومـات فقط. هناك أيضـاً موسوعة أخرى أعتـز بها جداً وهي (موسـوعة الفكر الأدبي) وهـي تقع أيضاً في جزئين، وفيها تناولت كل الموضوعات الأدبيـة، هذه الموسوعة تتبعت فيها كل الموضوعات الأدبية والمضامين الأدبيـة التي عالجـها سواء الأدب العـالمي أو الأدب العربـي عبر مراحـل مختلـفة يعـني عـبر مـراحل المـضمون، كـيف نـشأ.. كـيف تطـور.. كيـف عولـج.. سواءً فـي روايات أو مسرحيات أو قصص أو ملاحم.. إلى آخره.. وكيف تطور.. وكيف اندثر إذا كان قد اندثر. هذه الموسوعـة تقع في جزئين.. كـل جزء يتناول خمـسة وعشرين مـضموناً أدبياً، وأرجـو أن أكون قد قمت بتغطـية معظـم الموضوعـات التي عالجـها سواء الأدب الـعالمي أو الأدب العـربي. هناك أيـضاً كتاب أعتز به كثيراً، وهو كتاب (التفسير العلمي للأدب). أنا من المؤمنين جداً بالعلاقة العضوية بين العـلم والأدب، رغم أن الـعالم العـربي، أو الفكر الـعربي المعـاصر يعـاني من انفصام غريـب بين الأدب والعلـم. الأدباء يعتـقدون أن العلمـاء ناس يتفاعـلون أو يعمـلون بمادة جافة لـيست لهـا علاقة بالـوجدان والشعـور والإحساس. والعـلماء يـعتقدون أن الأدبـاء ناس يضـيعون وقتـهم في مشـاعر وهواجس لا تغني ولا تسمن من جوع، لكن في اعتقادي أن الاتجاه الحديث من أوائل هذا القرن أن العلم هـو الأساس للأدب، والأدب لا يستطيـع أيضاً أن يهذب العلم ويـوجهه وجهة إنسانـية، وجهة وجدانيـة رائعة. من هـنا قمت بـتفسير الأدب في كتابـي التفسـير العلمي للأدب بالـعلوم الإنسـانية، المنطـق والأخلاق والفلسـفة والاجتماع والـسياسة والأخلاق والجـغرافيا والتـاريخ، وأيضاً بالـعلوم الطبيعية مثل الكيمياء ومثل الفيزياء ومثل الـرياضيات والبيولوجيا إلى آخره.. واكتشفت في النهاية

أن القوانين التي تحكم العمل الفني هي أيضاً قوانين علمية من المقام الأول، وكنت محظوظاً إذ حصلت على جائزة اليونسكو عام ١٩٨٢م على هذا المؤلف.

* شيء جميل.. هي أبرز الكتب التي تعتز بها في الواقع. دكتور نبيل أنت عميد للمعهد العالي في الواقع للنقد الفني؟

- تمام

* في الأكاديمية.. أكاديمية الفنون.. طبيعة نشاط هذا المعهد.. وخاصاً أنت مختص يبدو بالمسرح.. بالنقد المسرحي والتاريخ المسرحي؟

- نعم في الواقع.. المعهد العالي للنقد الفني يعتبر معهداً فريداً من نوعه، لأنه يجمع تخصصات قسم النقد المسرحي والأدبي وقسم للنقد السينمائي وقسم للنقد الموسيقي، وقسم للنقد التشكيلي، وقسم للنقد البليغ أيضاً. الطالب المتخصص يأتي مثلاً لو جاء طالب من كلية آداب أقسام اللغات، فهو يلتحق بقسم النقد الأدبي والنقد المسرحي، ثم بعد ذلك، بعد أن يحصل على دبلوم يستطيع أن يحضر رسالة ماجستير، ثم رسالة دكتوراة، لكن في الوقت نفسه هذا المتخصص لا يتخصص فقط في النقد المسرحي أو الأدبي، ولكنه يدرس أيضاً النقد السينمائي والنقد الموسيقي والنقد التشكيلي، إلى نقد الفنون بصفة عامة حتى نستطيع أن نخرج الفنان والناقد أيضاً الذي يستطيع أن يكون ملماً بجوانب الفنون المختلفة عندما يتعرض إلى نقد عمل فني، فمثلاً لو أخذنا الفيلم السينمائي، الفيلم السينمائي ليس فقط مجرد سيناريو أو مجرد إخراج أو مجرد موسيقى، أو مجرد كادر تشكيلي فني جميل، ولكن كل هذه الفنون مجتمعة. فعندما يتعرض الناقد السينمائي لنقد مثل هذا العمل السينمائي يستطيع أن ينقد مثلاً الموسيقى في الفيلم، يستطيع أن ينقد الدراما في السيناريو.. يستطيع أن ينقد التشكيل.. إلى آخره.. نحن في حاجة في العالم العربي إلى هذا الناقد الشامل والمتخصص في الوقت نفسه. وهذه هي الرسالة التي ينهض بها المعهد العالي للنقد الفني في أكاديمية الفنون أنه يعد الناقد الشامل والناقد الموسوعي، والناقد المتخصص الذي يستطيع أن يوجه الناس ويمكنهم من تذوق العمل الفني بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن الانطباع العابر.

* هل شارك المعهد في نهضة المسرح أو نهضة السينما يعني دعم هذين المجالين بشخصيات بارزة الآن؟

- الحقيقة.. عدد من الصحفيين تخرجوا من هذا المعهد ويشغلون مناصب مهمة.. خاصة في الصفحات الفنية... على سبيل المثال.. هناك مصطفى عبدالله، عبلة الرويني إلى آخره.. لا أستطيع أن أذكر كل الأسماء.. وأيضاً تخرج في هذا المعهد طلبة عرب.. عرب أيضاً وليس فقط مصريين.. لأن أبواب المعهد مفتوحة لكل الطلبة العرب لكي يتخرجوا في هذا المعهد. وأعتقد أن

رسالته يجب أن تنتشر لكل أنحاء العالم العربي، وليس فقط لمصر، لأن الحاجة العربية لمثل هذا الناقد ملحة جداً. . لأنه للأسف حتى الآن في معظم أرجاء العالم العربي لا يزال النقد يخضع للانطباع الشخصي اللحظي، وهذه هي القضية التي يحاربها المعهد العالي للنقد الفني بكل قوة.

* نعم. . وأنت تكتب نقداً مسرحياً للمسرحيات المعاصرة التي تراها؟

– طبعاً يعني. . أنا أكتب نقداً مسرحياً سواء للمسرحيات المعروضة أو المسرحيات المنشورة. . يعني هناك بعض في سلاسل مسرحية تنشر، أناقشها، مثلاً في البرنامج الثاني في الإذاعة المصرية أو في ندوات في قصور الثقافة وأيضاً العروض التي تعرض أشترك في مناقشة مع المخرج ومع النجوم ومع الجمهور، أنا لا أتأخر في هذا. . لأني أعتقد أن هذا جزء هام جداً من رسالتي في هذا المعهد.

* نعم. . وانطباعك عن المسرح. . انطباعك النقدي وليس اللحظي؟

– الانطباع النقدي للأسف. . المسرح الآن يعاني من أزمة. . يعني اقتصادية وأزمة في النص أيضاً لها أسباب كثيرة، لكن طبعاً قدوم الإخوة العرب للقاهرة شجع الازدهار الاقتصادي للمسرح فارتفعت التذاكر إلى أسعار خيالية لم تكن تخطر ببال أحد من قبل. . يعني. لكن هذا الاستمرار أصبح المسرح فقط للتسلية، ليست هناك قضايا فعلاً جادة يمكن أن تناقش بمعنى الكلمة، خاصة فيما يسمى بالمسرح التجاري أو مسرح القطاع الخاص. فجأة حصل نوع من التشبع بالنسبة للجمهور. . فطبعاً الموجة لم تعد كما كانت في عنفوانها، فأصبح المسرح الآن. . الجمهور قليل جداً، ومعظم الرواد المصريين للمسرح لا يستطيعون أن يدفعوا مثل هذا الثمن الغالي للتذاكر. كما أن النصوص أيضاً التي تقدم نصوص نستطيع أن نقول عنها إنها أصبحت مستهلكة، لأن ليس فيها الجديد. . ليس فيها المثير. . ليس فيها ما يجعل الجمهور يعمل فكره. . إلى آخره. وأعتقد أنه لابد من أن يجتمع رجال المسرح لمناقشة هذه الأزمة. . هذه القضية قبل أن يدخل المسرح في طرق مسدودة أخرى قد يصعب الخروج منها بعد ذلك. أنا الحقيقة لست متشائماً، ولكني أحاول دائماً بالتحليل العلمي أن نضع النقاط على الحروف حتى نرى المستقبل بلون، بضوء موضوعي بحت حتى لا ندخل في متاهات بعد ذلك.

* نعم. . المسرحيات المعاصرة التي تمثل الآن في القاهرة. . كيف تحكم عليها من حيث الجد ومن حيث الهزل؟. . هل هناك مسرحية لافتة للانتباه؟

– هناك مسرحية (بالعربي الفصيح) إخراج محمد صبحي، والحقيقة تجربة رائعة جداً لأنها جمع فيها شباب جدد يعني أسماء غير. . ليست نجوماً. . والقضية تعالج قضية عربية خطيرة جداً، وهو أنه عندما يجتمع العرب حول قضية لابد أن يختلفوا. . ظاهرة غريبة جداً يعني، فهو طبعاً

بالأسلوب الساخر وبالأسلوب الكوميدي بيعرّي هذه القضية تماماً أمام الجمهور. ورغم أن القضايا التي تثار في هذه المسرحية قضية مصيرية بالنسبة للعرب وخطيرة جداً، لكنها ليست ثقيلة على فكر أو تقبل الجمهور لأن الكوميديا والسخرية جعلت لها جاذبية شديدة جداً وبالتالي هناك إقبال كبير جداً على هذه المسرحية بالذات يعني.

* نعم. . المعهد العالي للنقد الفني تدرسون أيضاً الموسيقى والرتم الغنائي أو التاريخ الغنائي؟

– نحن ندرس الموسيقى العربية أو الموسيقى الشرقية وأيضاً الموسيقى الكلاسيكية العالمية بشقيها، لكن لا نعلمهم كيف يعزفون لأن هذه ليست وظيفة المعهد، ولكنها وظيفة معهد الكونسرفتوار أو معهد الموسيقى العربية، لكننا نعلمهم الاستماع ثم تحديد بناء القطعة الموسيقية سواء كانت طقطوقة أو أغنية أو سمفونية، ثم وضع يد الناقد على الملامح المميزة لهذا المؤلف الموسيقي بالذات، وطبعاً الخلفية التاريخية والخلفية الحضارية التي تحكم مثل هذا المؤلف والمؤلف الموسيقي.

* وصلتك أنت بهذا الفن؟

– الحقيقة يمكن كثيرون لا يعرفون هذا. . أنا التحقت عندما كنت طالباً بمعهد الكونسرفتوار، لكن لأنه كان في ذلك الوقت الغياب. . يعني تحديد الغياب مهم جداً. . الحضور مهم جداً. . ففضلت أن أواظب على حضور كلية الآداب قسم اللغة الإنكليزية، فرفضت من معهد الموسيقى العربية، معهد الموسيقى لكن حبي وعشقي للموسيقى. . أنا أملك مكتبة كبيرة جداً للموسيقى العربية والموسيقى الكلاسيكية. . وأيضاً أنا مطلع أيضاً على الموسيقى العربية المعاصرة. . يعني. . أنا عندي أشرطة كثيرة لمحمد عبده وطلال مداح أيضاً. . . أحب جداً محمد عبده.

* نود الآن أن ندخل إلى عوالم أخرى في الواقع. . رأيك في المجتمع المصري في المجتمع العربي. . تناولاتك. . قراءتك الذاتية. . فلننطلق من المنزل. . كيف تقرأ في المنزل؟ كيف ترتب أمورك ووقتك وكتاباتك؟ هل أنت منسجم في كل وقتك مع منزلك ورضاء الأولاد والأبناء أم أن لك عالماً خاصاً؟

– الحقيقة. . يعني. . أنا تأثرت في هذا بالأستاذ نجيب محفوظ. . أعتقد أن فكرة الإلهام والوحي وهذه الأفكار الرومانسية التي يحلو للأدباء والفنانين أن يتشدقوا بها. . أعتقد أنها تدخل في باب الهواجس أكثر منها في باب الواقع. . الفن تنظيم وإرادة أيضاً، فأنا عندما أقرر أن أكتب لا أنتظر هذا الإلهام الغريب كي يهبط علي. . لكن أنا أقوم إلى المكتب ومحتشد بالأفكار. . ومحتشد بالمشاعر. . لأن هذا الاحتشاد لا يتأتى إلا بعد تفكير طويل. . هذا التفكير يؤدي لهذا الاحتشاد. . لكنه ليس هناك ما يسمى بالإلهام، وأجلس وأكتب لأن هناك جانب الصنعة أو الحرفة في العملية الكتابية الأدبية نفسها. . وهناك أيضاً الفكر وهناك أيضاً الجانب اللاواعي أيضاً، لكن هذا الجانب

اللاواعي بيمنهج في أثناء عملية الإبداع الفني والإبداع الأدبي، فأنا أستطيع أن أكتب عندما أريد أن أكتب، وبنفس المشاعر وبنفس الاحتشادة الفكرية والاحتشادة الانفعالية، لأن الكاتب المتمرس الذي يصل إلى درجة الاحتراف يستطيع أن يتقن صنعته وإبداعه عندما يريد، فأنا أستطيع أن أكتب في البيت.. أكتب في أي.. أستطيع أكتب على المكتب.. أكتب في الصالون، أكتب على المائدة.. لا شيء يشغلني عن العملية الإبداعية.. عندما أكتب وأضع همي في الورق فلا أصوات خارج العملية الإبداعية تستطيع أن تجذبني خارجها.. إلى آخره. هذا هو منهجي وأنا صارم جداً في تفكيري وصارم جداً في حياتي.. حياتي منظمة جداً.. لا أعترف بالفوضى في حياتي أبداً.. لأنني أؤمن أن الفن من أروع مظاهر النظام الذي منحه الله لهذا العالم، فالفن هو إبداع وتنظيم ورؤية، لكن هذا الربط التقليدي بين الفوضى وبين الفن أنا لا أعترف به على الإطلاق.

* كم عدد الأبناء؟

– واحد.. يوسف.. الحقيقة أنا وزوجتي السيدة نبيلة داود هي مذيعة في إذاعة الشباب والرياضة، ومشرفة على البرامج الثقافية أيضاً.. وهي كانت تلميذتي أصلاً في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية.. فنفس التوجه.. ويعني واحد.. وأنا أعتقد أن التشابه في التوجه وفي الفكر بين الزوج والزوجة مهم جداً.. لأنه أحياناً يقولون إن الاختلاف في الفكر قد يوجد نوعاً من التكامل.. لا.. أنا في اعتقادي أن الخلفية الفكرية والخلفية الثقافية والخلفية التعليمية أيضاً ممكن أن تكون أرضاً مشتركة بين الزوج والزوجة.

* والابن يوسف هل له توجه معين؟

– الحقيقة هو فنان تشكيلي من صغره.. لأن جده فنان تشكيلي.. فهو يرسم.. وقد أصدرت أخيراً رواية بعنوان شمشون الجبار، وهي فنتازيا خيالية، قام برسم الغلاف ورسم الصور الداخلية.

* شيء جميل جداً.. قراءتك الذاتية بعيداً عن عملك الكتابي العملي.. يعني.. قراءاتك التي تختارها شخصياً؟

– لعلني أصارحك يا أستاذ محمد وأفتح لك قلبي.. أنني قد حرمت من القراءة للهواية.. نظراً لازدحام العمل وعملية التأليف التي لا أستطيع أن أتوقف عنها، أصبحت قراءاتي قراءات مرتبطة بالعملية التأليفية والعملية الإبداعية.. لكن مضى الوقت الذي كنت فيه أقرأ للمزاج وأقرأ للمتعة.. أصبحت الآن القراءة عملية ممنهجة ومخططة، وخاصة عندما أقوم بتأليف كتاب معين أو رواية معينة.. فتقريباً القراءات أو الكتب هي المراجع.. أصبحت هي المراجع لهذا العمل.. وعندما أنتهي من هذا العمل أضع هذه المراجع جانباً ثم أختار كمية أخرى من المراجع لعمل قادم وهكذا..

أصبحت مسخراً.

* طيب.. بالنسبة للصحافة.. بالتأكيد لك متابعاتك للدوريات اليومية والأسبوعية والشهرية؟

– الحقيقة إلى فترة قريبة كنت أكتب مقالة أسبوعياً في جريدة الأهرام سياسية.. ثم كتبت بعد ذلك مقالات أدبية.. لكن قد تكون هذه أنانية مني.. اكتشفت أن دوامة الصحافة إذا ترك الإنسان نفسه أو الكاتب نفسه أن ينجرف في داخلها فسوف يحرق أوراقه، بمعنى أن المقالة الصحفية قد تؤثر في القارىء لكنها بانتهاء اليوم قد تنتهي، ينتهي تأثيرها، فيمكن أن أكتب ألف مقالة، ثم بعد عشر سنوات أو خمس سنوات أو سنتين لا يتذكر أحد مقالة منها لكن كتاباً واحداً فقط يوضع لك في المكتبة العربية يصبح تراثاً. أنا أتابع الصحف والمجلات المصرية والعربية.. وأقرأها.. ولكن أصبحت مقلاً في الكتابة فيها، لأنني أردت أن أشحن طاقاتي بقدر الإمكان في مجال الكتاب

* نعم.. الشعر.. هل تتذوق الشعر؟

أتذوق الشعر العربي القديم والشعر العربي الحديث، وأنا ضد المعارك التي تنشر في العالم العربي بين ما يسمى بأنصار الشعر العمودي وأنصار الشعر الحر.. لأن القضية.. وأنا أتكلم الآن كناقد يعني.. القضية هي شعر أو لا شعر.. والشعر الحر أو ما يسمى بالشعر الحر إذا تخلى عن التفعيلة فهو ليس بشعر على الإطلاق.. لأنه لابد أن هناك تفعيلة ووزن قد يحدث ما يمكن أن يسمى بالتنوع في استخدام التفعيلة لكن هناك التفعيلة أساس الشعر. وهذا مفتوح للشاعر من يستطيع أن يبدع في الشعر العمودي فليبدع.. ومن يستطيع أن يبدع في الشعر الحر أو الشعر الحديث فليبدع، وليس هناك تناقض بين هذا وذاك.. وأنا أعتقد أن هناك كثيراً من القضايا التي تصاغ كنوع من المناظرة الجدلية أو المناظرة البيزنطية وتحيل حياتنا الأدبية الثقافية إلى قبائل متنافرة.. لا أعرف لماذا.. لكن المجال، مجال الإبداع مفتوح للجميع، فمن يملك الإبداع فليبدع ونحن نرحب به.

* ماذا تتوقع لسيرة الرواية العربية في وقتها الراهن؟ هل هي رواية متجاوبة مع هم الإنسان العربي أم أنها تعيش فنتازيا خاصة؟ وما هي الحدود الممكنة للطرح فيها.. طرح هم الإنسان العربي؟

– هناك مقولة خاطئة بين معظم روائيي العالم العربي.. هم يتصورون أن شكل الرواية لابد أن يتطور كما يتطور العلم مثلاً.. أو الإنجازات العلمية.. وأنا أعتقد أن هناك شكلاً قديماً وشكلاً حديثاً للرواية وأنا أعتقد أيضاً بنفس المفهوم النقدي الموضوعي أن هناك شكلاً فنياً للرواية وشكلاً غير فني هذه المقولة أو هذا المفهوم يؤدي ببعضهم إلى الإغراق في الغموض أحياناً والإغراق في التعمية.. وبالتالي فهو يفقد جسر التواصل بينه وبين القارىء.. وهذه قضية خطيرة جداً،

وخاصة ونحن في العالم العربي نعاني من انتشار الأمية الثقافية أو الأمية الأبجدية، وبالتالي فنحن لابد أن نأخذ القارىء بهداوة وبحب وبتفهم لكي نصل إليه. هو لن يصل إلينا.. لكن نحن لابد أن نصل إليه ونرفعه إلى مستوانا الثقافي والفكري.. ولذلك الإغراق في هذه.. فيما يسمى بالطليعية في الرواية.. إلى آخره هو تقليد لا أريد أن أقول إنه تقليد أعمى، لكنه تقليد ومحاكاة لما يدور على الساحة الأوروبية والساحة الأمريكية. نحن نملك مثلاً ألف ليلة وليلة، وهذه الرموز الروائية.. لكن الرواية بمفهومها العلمي الحديث مازالت ابنة ستين أو سبعين عاماً في العالم العربي. هذا الغموض أو هذه التعمية أو هذا التقعر اللفظي يؤدي في أحيان كثيرة إلى فقدان التواصل مع القارىء.. وأحياناً وهذه قضية أخرى أن هناك روائيين لا يملكون ناصية اللغة.. اللغة العربية.. وبعضهم يقول لابد أن يكون الحوار بالعامية والبعض الآخر يقول لابد أن يكون الحوار بالفصحى.. وهذه قضايا قبلية لا معنى لهـا.. لأنني أعتقد أن الفصحى أيضاً تملك مستويات متعددة في التعبير الفني في داخلها أيضاً، فأنا ممكن أستغل هذه الفصحى وبالذات لأنني لا أكتب فقط للمصريين، ولكن أكتب لكل العرب.. قرائي.. قراء لغتي.. وبالتالي العامية لا تستطيع أن تنطلق في الفضاء العربي كله. وهذا هو ما أدركه نجيب محفوظ جيداً، فكتب كل حوارات رواياته باللغة الفصحى. هذه قضية أخرى لكن أعتقد أيضاً أن التلفزيون يمكن أن يساهم في تقديم الروايات مسلسلات لأنه قد تكون الحياة الآن قاسية في إيقاعها اللاهث والضغوط المعيشية اليومية فلا تمنح القراء الفرصة القديمة منذ ثلاثين أو أربعين عاماً للقراءة المتأنية والمتأملة، فأعتقد أن التلفزيون بالذات يستطيع أن يقدم هذه الروايات، وليس هناك تنافس بين الرواية المطبوعة وما يقدم في التلفزيون، بل يمكن أن يكملها، لكن أناشد الروائيين العرب ألا يغرقوا في الغموض وأن يتمكنوا أيضاً من ناحية اللغة لأنها الأساس الأول أو الشرط الأول للتعبير الفني فيما بعد ذلك.. واللغة العربية لغة ثرية ولغة خصبة وجميلة جداً وتمنح إمكانات، أنا أصلاً متخصص في الأدب الإنكليزي وفي اللغة الإنكليزية وأستطيع أن أقارن بين اللغة العربية واللغة الإنكليزية.. اللغة العربية لغة تمنح الأديب صوراً ورموزاً ومحسنات بديعية ولفظية وإيحاءات وإبداعاً.. قد لا يتأتى للغة الإنجليزية ذات المفردات القليلة جداً إذا ما قورنت بالخصوبة اللغوية في اللغة العربية. هذه اللغة العظيمة الرائعة المتعة الجميلة يجب أن نستغل طاقاتها بالذات في الرواية، وأنا أعتقد أنه حتى الآن لم يستغل الروائيون في العالم العربي طاقات اللغة العربية التي أستطيع أن أقول إنها لا نهائية.

* الدكتور نبيل راغب.. عشت في الغرب سنوات عديدة وأنت تطلب العلم طبعاً.. يبدو في بريطانيا ثم في أمريكا؟

– نعم

* كيف تقيم الصلة بين العالم العربي والغرب، وخاصة في النطاق الثقافي والحضاري؟ إلى متى تستمر صلة المهزوم.. يعني الشعب العربي المهزوم بالأمة الحضارية المتفوقة كما هي الصورة الآن؟ متى سنكون أنداداً؟ يعني هل كل من يرحل إلى الغرب للتعلم أو للدراسة.. يحمل معه هذا الشعور أيضاً بالهزيمة أم أن هناك أناساً في دواخلهم زهو الأمة المنتصرة.. الأمة القائدة.. الأمة الرائدة.. الأمة التي لا زال لها حلم كبير في التحقق؟

– هو في الواقع أنا قد أدين بعض الإخوة العرب عندما يذهبون إلى أوربا وأمريكا، فإنهم ينبهرون بلا داعي، ينبهرون بالمظاهر الزائفة، وقد يعجزون عن رؤية الواقع أو الأساس الحضاري الذي نهضت عليه الحضارة الغربية فعلاً.. فكل ما يرونه رائع وعظيم ومدهش و.. و.. إلى آخره، هذا الانبهار الذي يعشي بصرهم يؤدي بهم إلى عجز عن الرؤية الحقيقية لمعطيات العصر.. الأساس الذي نهضت عليه هذه الحضارة المعاصرة العالمية، لكن هناك أيضاً مفكرون عرب ودارسون يستطيعوه أن ينتقدوا الحضارة الغربية في كل سلبياتها وأن يبلوروا إيجابياتها. أنا في اعتقادي كما تفضلت الإحساس بالهزيمة أو الإحساس بالإنسان المهزوم هو إحساس في داخلنا نحن، ونحن نؤكده سواء بطريقة واعية أو بطريقة لا واعية. أعطي لسيادتك مثلاً، اليابان بعد أن ضربت وطحنت بالقنبلة الذرية في نهاية الحرب العالمية الثانية، أنا أتذكر أنه في عام ١٩٤٧م قال وزير التجارة الياباني أو وزير الاقتصاد الياباني، إذا كنا قد هزمنا عسكرياً فسوف نهزم العالم اقتصادياً، وضحك العالم في ذلك الوقت وقال إن العنجهية اليابانية مازالت موجودة.. إلخ، لكن هذا هو ما حدث بعد ذلك، لو كان اليابانيون يملكون هذا الإحساس بالهزيمة داخلهم ويرسخونه دون أن يدركوا لما فعلوا ما فعلوا، ولما أنجزوا ما أنجزوا. هذه عقدة نفسية فعلاً في داخلنا كعرب، إننا دائماً نرى بعقدة نقص ما ينتجه الآخرون ثم نتغنى بما ينتجه الآخرون، وهذا التغني في حد ذاته هو ترسيخ غير واعٍ لعقدة النقص في دواخلنا، أننا عاجزون في الوقت الذي إذا درسنا فيه وتعمقنا في التاريخ الحضاري للأمة الإسلامية سنكتشف أن فيها من الإبداع والإنجاز ما لا يمكن حصره، وما يمكن أن يتحول إلى قوة دفع كبيرة للإنسان العربي المعاصر، هذا هو دور المثقفين ودور الكتاب والمفكرين في إبراز هذا الجوهر لكي يتبلور أمامنا وندرك من نحن وما يمكن أن نفعله.

*على النطاق الشخصي دكتور نبيل.. كيف عشت حياتك الدراسية في الغرب.. تأقلمت.. اندمجت في المجتمع الغربي بسرعة أم أنك تأخرت كثيراً في هذا الاندماج واستقليت شخصياً برؤيتك الذاتية؟

– كنت مندمجاً على المستوى الثقافي.. يعني إذا كانت هناك ندوة أو عرض مسرحي أو مكتبة بها

إمكانات استعادة كتب كثيرة، كنت أنهل من كل هذا.. لكن بنفس الوقت لم أفقد القدرة النقدية أو الرؤية النقدية للمجتمع وكنت أصارح الإنجليز أيضاً والأمريكيين بما أراه.. فالشيء الغريب أنهم كانوا يحترمونني لهذه الرؤية النقدية في الوقت الذي كان فيه بعض الأصدقاء العرب يقولون لي لماذا تقول مثل هذا.. أنت تحرجهم بنفس الحساسية العربية المعتادة.. فلذلك كانت صداقاتي في بريطانيا وأمريكا صداقات وطيدة جداً لأنها قائمة على الرؤية النقدية الموضوعية وليست مجرد كما نقول في مصر، ففي المجالس أو سد الخانة، وحتى الآن فيه بعضهم أصدقاء لي.. نتراسل أو نتقابل في السفريات.. لكن كان هناك بعض العرب يحاولون دائماً أن يكتسبوا مدحاً من هؤلاء قد يصلون للأسف الشديد إلى حد الانبهار، وحد التملق وبالتالي نغذي عقدة العظمة عندهم. لكن أنا كنت دائماً أشعر أنني أملك نفس العقل. لقد منح الله عز وجل البشر نفس العقل ونفس القدرة ونفس الطاقات ونفس الموهبة، لكن العبرة باستغلال هذه الطاقات. نحن لم نستغل ولا نستغل إلى الآن هذه الطاقات كما يجب أن تكون، لكن إذا استغليناها نستطيع أن نقف الند للند مع هؤلاء الناس، وأنا عندما أتقابل مع أي صديق انكليزي أو صديق أمريكي أو فرنسي، فإنني أجلس أمامه إنسان متحضر مع إنسان متحضر. لم أشعر في يوم من الأيام أنني أقل منه.. بل أشعر أحياناً أنني من خلال ثقافتي وقراءاتي الكثيرة وخبرتي الكثيرة أنني أتفوق عليه في بعض الأحيان وأجبره على أن يقنع برأيي من خلال المنطق ومن خلال المعرفة الموضوعية الشاملة.

* السفرة الأخيرة لك ما هي؟ إلى أين كانت؟

– الحقيقة، أنا سعدت جداً بتفضل سمو الأمير بدر بن عبدالعزيز، ودعاني إلى الجنادرية في فبراير الماضي، وكانت أول زيارة لي للمملكة، والحقيقة بهرت بالرياض، هي مدينة جميلة رائعة، يعني كما يقول الشعراء وقعت في غرامها من أول نظرة، وكانت احتفالات فولكلورية، والعرضة النجدية بالذات على وجه التحديد. قضيت تسعة أيام هناك كانت كالحلم في الواقع، وشعرت بشعور غريب جداً، رغم أنني أنا لي أصدقاء سعوديون كثيرون جداً، لكن حتى من الناس الذين قابلتهم لأول مرة، دفء عاطفي غريب جداً كأنني أعرفهم منذ عشرة أو عشرين عاماً، فعلاً عرفت أن العروبة ليست شعاراً.. العروبة فعلاً حقيقة واقعة وراسخة ثقافياً ودينياً ولغوياً وحضارياً وتاريخياً وجغرافياً وكل شيء.. لا يتبقى سوى التطبيق.. وفي اعتقادي أن هذه المهرجانات والمؤتمرات الثقافية والتراثية هي بوتقة نستطيع أن نتواصل من خلالها وننصهر من خلالها.

* بالنسبة للرياض كما رأيت كمدينة.. الشيء اللافت في الرياض ثقافياً ما هو؟ التقيت بأصدقاء طبعاً فيهم كتاب مبدعون.. كيف ترى أو كيف تحكم مسيرة الثقافة السعوية؟ هل أنت قارىء لهذه الثقافة؟ هل أنت متواصل معها قبل أن تأتي إلى الرياض أيضاً؟

– كنت متواصلاً معها، لكن عندما ذهبت إلى الرياض أصبح تواصلي أكثر عمقاً في الواقع عندما حضرت المحاضرات التي دارت حول العلاقة بين الشعر والفنون الشعبية وهي ندوات كانت متتابعة يومية.. وجدت مستوى رائعاً جداً في تحليل الظواهر ا لشعرية والفنية والتراثية بطريقة موضوعية جداً، وحتى في المواقف التي احتد فيها الحوار والنقاش والاختلاف كان من أجل الوصول إلى نظرة أعمق ونظرة أشمل. أيضاً التراث الذي رأيناه في الطبيعة في الجنادرية نفسها.. كيفية صناعة السلال وصناعة الأواني الفخارية وصناعة السيوف، وكل هذا هو أيضاً ثقافة علمية. أنا أعتقد أن في السعودية وإن كنت مخطئاً فصحح لي، أعتقد أن هناك بقاعاً أخرى في المملكة فيها أنواع أخرى من التراث لابد، أعتقد أو أتمنى أن نفعل فيها ما نفعله في الجنادرية. وهذه بالنسبة للأجيال القادمة، هذا ترسيخ للتراث، ترسيخ للهوية القومية والهوية الوطنية. هذا مهم جداً ليس فقط مجرد مؤتمر يعقد كل عام، ولكنه شيء متواجد في حياتنا يؤكد لنا هوياتنا التي نستطيع أن نتخذ منها قاعدة نقف عليها لكي نواجه الغرب وطوفان الغرب.

* الدكتور نبيل راغب في ختام هذا اللقاء هل لك رسالة مفتوحة؟

– أنا كنت أتمنى من زمان هذه البرقية في الواقع، أرجو من الأدباء في المملكة العربية السعوية والأدباء في مصر بوجه خاص والأدباء العرب بصفة عامة، أن نقرأ لبعض. المشكلة أننا نقرأ للإنجليز والأمريكان والإيطاليين والفرنسين.. إلخ، كثيراً، كلنا نقرأ لهم، ثم عندما نتوجه إلى أن نقرأ لبعض ونتواصل نجد عقبات كثيرة في وصول الكتاب وفي هذا التواصل، فأرجو أن نتراسل فيما بيننا سواء أعمال أدبية، دواوين شعرية، روايات.. مجموعات قصصية.. مسرحيات.. أو كتب نقدية.. وننقد بعض ونحلل لبعض. المصري ينشر في جرائد سعودية.. والسعودي ينشر في جرائد مصرية وهكذا.. وفي مجلات مصرية وهكذا. هذا التواصل مهم جداً لأننا يعني.. عيب.. عيب فعلاً أن نقرأ للغرب ونعرف عنهم كثيراً، ثم نأتي لكي نعرف عن أنفسنا وعن بعضنا البعض القليل جداً.. اليسير جداً.

* والدليل علي ذلك أن لك ما شاء الله أكثر من ستين كتاباً يا دكتور، ومع ذلك لم نعرف منها إلا القليل.. الذي وصلنا في المملكة العربية السعودية قليل جداً. ونتمنى أن يتم هذا التواصل فعلاً بين الأدباء العرب، وهذا طبعاً واجب وزارات الثقافة أو الجهات المعنية بالثقافة في البلدان العربية، بالإضافة إلى واجب الشركات.. شركات التوزيع.

– بدون شك.

* يعني هنا ننظر إلى الربح وأعتقد أن هذا أيضاً عمل مربح في توزيع الكتاب؟

– الكتاب يستطيع أن يكون سلعة مربحة جداً. هناك مقولة خاطئة في العالم العربي أن الكتاب

الجاد توزيعه قليل.. إلخ.. لا، هو التوزيع عملية أصلاً إدارية.. عندما أبحث عن منافذ التوزيع وأستطيع أن أنقل هذا الكتاب بطرق اقتصادية إلى أرجاء بعيدة في العالم العربي أستطيع أن أحول هذا الكتاب إلى سلعة رائجة وسلعة مربحة. والكتاب في الخارج عملية مربحة جداً. وأعتقد حتى هذه الحدود الضيقة، لا أعتقد أن هناك ناشراً في العالم العربي يخسر وإن كانوا يدعون ذلك..

* لكنهم يربحون في النهاية؟

- نعم.

* ربما الخاسر هو المؤلف في الواقع؟

نحن سعيدون باستضافة الدكتور نبيل راغب عميد المعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون بالقاهرة والروائي والناقد المعروف الذي تجاوزه عطاؤه أكثر من ستين كتاباً. نرجو له أن يستمر في عطائه وأن يمتعه الله بالصحة والعافية. شكراً لهذه الليلة الجميلة معك يا دكتور.. ونتمنى لك توفيقاً دائماً إن شاء الله.

نجيب محفوظ (١)

دخلنا إلى قهوة الفيشاوي وهي إحدى مقاهي القاهرة المشهورة في ميدان التحرير.. هذه القهوة يرتادها الأديب الكبير نجيب محفوظ ليلتقي بمحبيه وبتلامذته وقرائه. وهو يجلس ساعة تقريباً من اليوم في هذه القهوة بين الثامنة والتاسعة مساءً في ليالي رمضان... ومن الثامنة والتاسعة صباحاً في الأيام العادية... على أية حال نحن دخلنا المقهى ووجدنا الأستاذ بين تلامذته ومحبيه.. واستأذنا منه دقائق لكي نتكلم فيها معه في بعض الأمور المتعلقة بالرواية وبالأدب وبإنتاجه.

* مرحباً أستاذ نجيب

- يا أهلاً وسهلاً يافندم

* الحقيقة.. أن البطاقة الشخصية معروفة لدى معظم القراء... أو لدى كل القراء.. لكن لمزيد من الإيضاحات.... التي تعلم أنها قد تخفى على بعض القراء... نترك لحضرتك تقديم ما تريد أن تقدمه كبطاقة وكمعلومات شخصية لمستمعيك.

- والله زي ما قلت حضرتك... هي أغلبها قلته مراراً وتكراراً.. يعني.. اسمي نجيب محفوظ والكامل نجيب محفوظ عبدالعظيم مولود ١٩١١/١٢/١١م حاصل على ليسانس آداب سنة ١٩٣٤. وأنا الآن على المعاش كموظف.. ولكني كاتب ملحق بالإهرام... أنشر فيه قصصي أو بعض الخواطر أوما شاكل ذلك.

* نعم.. ومتفرغ للأهرام... ليس لغير الأهرام؟

- آ... فعلاً.

* نعم... أستاذ نجيب... بالنسبة لعملك الروائي قدمته عبر عشرات السنين.. هل تتوقع أنه يمثل رصداً تاريخياً لحركة المجتمع السياسية والفكرية والاجتماعية؟ هل تتوقع أنه يقوم بجزء مما يقوم به المؤرخ؟ أو قد يستخلص منه تاريخ؟ خاصة أنك تدقق في بعض هذه النواحي؟

- نعم... الواقع أنه كل أدب بل كل فن يمثل بدرجات متفاوته المجتمع الذي عاش فيه بكل همومه وآماله.. لأن الفنان أو الكاتب يعيش في هذا المجتمع ومنه يستوحي موضوعاته وينفعل بمشكلاته.... ورسالته في الحياة هي التعبير عن هذه المشكلات.. من خلال رؤية محددة في أي أدب تقرؤه.. لا شك أنه يعكس جانباً مهماً من جوانب المجتمع في التاريخ الذي كتب فيه بدءاً من الإغريق ولغاية النهار ده ولغاية كل يوم.

* نعم.. نعم... هل أنت تلجأ إلى التاريخ في بعض الأحيان.. وخاصة في بعض الأعمال

المعروفة هروباً من خشونة الواقع وألمه وعدم إجازته لبعض ما تكتب؟

– الحقيقة أني مغموس في الواقع لشوشتي كما يقولون. . . لا أتحول منه أبداً. . . حتى إن تراجعت في التاريخ أو تقدمت في أحلام المستقبل. . يعني أنا بعبّر عن الحاضر تماماً. . . . عندما تكلمت في عبث الأقدار أنا أتكلم عن الحاضر تماماً. . . لما ألفت رحلة ابن فطومه فأنا دائماً عايش في الحاضر. . لا أتخلى عنه. . . حقيقي الحاضر يصح يتقل علينا. . . فحسن نهرب من التاريخ. . نهرب للطفولة. . . لذكرياتها.

* يقال . . . واسمحلي عن هذا القول. . . اعذرني إذا قلت بعض هذا الكلام. . . إنما هي مقولة لبعض النقاد يقال إن نجيب محفوظ يستطيع أن يعيش في كل العصور السياسية. . فهو قد يختلف في داخله مع ظرف أو عصر سياسي معين ولكن يستطيع أن يتعايش معه. . . ولذا عاش في ثلاثة عصور دون أن تتحدد ملامحه السياسية بشكل واضح؟

– الكلام ده يصح لو كنت. . كاتب مباشر صحافي مثلاً. . . أو مفكر عليه أن يعلن رأيه في أي وقت . لكن أنا عشت عمري هذا فنان تعبيري غير مباشر. . . ممكن يستشفه القارئ أقدر من أنه تصريح من ناحيتي أو مكاشفة، مافي شك أنني طول حياتي. . . من أول كلمة كتبتها إلى الآن. . في تعاطف بيني وبين العدل والحرية.

* نعم. . . نعم. . . جميل. . هذا صحيح

– فإذا أنا. . واضح من هذه الناحية تماماً.

* نعم

– في كل اعمالي مافيش كلمة ضد الحرية. . . . مافيش كلمة ضد العدالة. . . إنسان واضح. . أما أنه يعايش العصور ما هو طبعاً سيعايش العصور. . وكل المصريين عايشوه. . . هو أنا لوحدي؟ مش كده ولا إيه؟

* نعم. . نعم

– هو كنا نرضى من أشياء فيها . . . ونسخط من أشياء فيها. . . وده الطبيعي في كل عصر.

* نعم. . نعم

– مش كده. . . ده الطبيعي. . . حتى ما قبل الثورة . . . برضو أيضاً فيه أشياء كنا بنرضى عنها . . . وأشياء بنسخط عنها وهكذا.

* نعم . . لكن هناك بعض الكتاب قدم نفسه ضحية لبعض ما يكتب وبعض الحدّة في موقفه الفكري أوغيره وكان واضحاً في الصورة. . بينما استطعت بدبلوماسيتك أن تتخفى في بعض الأحيان؟

– أنا لا أنكر هذا... في من الشباب مجموعة عملية... ماهو زي ما أنت عارف الحديث. من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه.

* نعم

– ده في ناس من أنصار اليد.... دول ... اصطدموا بالسلطة.... بطبيعة الحال... الحقيقة أنا بعترف لك مش أنصار اليد.. أنا من بتوع اللسان والقلب..

* نعم.. لا قد يصل أحياناً إلى القلب بشكل كبير؟

– آ... ما فيش شك... وحتى بتوع اللسان والقلب كان يصح برضوا يخشوا... السجون

* نعم... نعم

– يعني ما تظنش إن ده يعفيهم... ربنا رفع عني الكاس دي لأسباب يمكن منها أن السلطة عرفت أن أنا راجل مش عميل حته.

* نعم.... نعم

– يعني لا متصل بالمصاغة لا متصل بحزب... مش واخد بالك

* نعم... آ

– وهمّا ما كانوش يخافوا الرأي لمجرد الرأي.. لما وراءه

* نعم... نعم

–جميل

* إذا كانوا يخافون ما وراء الرأي؟

– آ.. ما وراء الرأى

* نعم.. جميل

– إنما أنا كنت بقول كلام غيري... بيقوله بيدفع ثمنه.. اعتقال أو سجن وأنا باقوله مفهوش جاحة... عارفين إن ده غير ده.

* نعم.. نعم.. الأستاذ نجيب محفوظ.. يقال أيضاً إن البعد الفكري لنجيب محفوظ ليس.. يعني.. ينطلق من إيديولوجية فكرية محددة وإنما من تشكيلة فكرية تأخذ من هذا الاتجاه وتأخذ من ذالك التوجه الذي ينادي بمبادئ معينة... مبدأين أو ثلاثة مبادئ يركز عليهم في كل عمل روائي تقريباً.... هل هذا صحيح؟ أم تنطلق من أيديولوجية خاصة لكن..؟

– أنا لا أستطيع أن أقولك أنتمي لهذه.. الايديولوجية ميه في الميه.. أنا زي ما قلتلك عاشق لقيمتين الحرية والعدالة الاجتماعية.. فمثلاً... لما تبص لليبرالية بتاعت الغرب تلاقي فيها حرية... فأنا متعاطف مع جانب مع الغرب.

* نعم . . . نعم

– في الشرق بتلاقي العدالة الاجتماعية . . . تلاقيني متعاطف مع إيه مع الشرق في العدالة الاجتماعية تبص للإسلام تلاقي فيه الأثنين متوازيين . . تلاقيني متعاطف . . معه بالكامل . . . مش واخد بالك .

* نعم . . . نعم . . لكن في بعض . . . بعض الأعمال الروائية يلاحظ عليك نوع من الحدة في عرض الأفكار . . وهذه الحدة تصل إلى مرحلة تسيب في عرض الفكر . وترك جميع الأطراف في الرواية تتحدث بكل حرية دون أن تنصف فكراً عن فكر حتى الإشارة . . وخاصة في ثرثرة على النيل وفي ميرامار التي تكرست فيها الجوانب الفكرية . . فيعني . . . ما أدري حتى يتهم نجيب بأنه لا ينتمي إلى أيديولوجية معينة؟

– أنا أحب أقول لك حاجة في النقطة دي بالذات . . دي تتعلق بكيف تقرأ الرواية . . . يعني الرواية مش ضروري تدل على أفكارها من خلال حديث فلان أو علان إنما من مجراها ككل . . يعني بعد ما تقرأها اسأل نفسك هذا السؤال اتعرضت جوانب . . أنا متعاطف مع أي منها .

* نعم

– ليه الآن الفن بتاع الكاتب والحيل بتاعته . . بشعور أو بلا شعور . . . نتيجة إلى تأييد معين حتى من غير شعور .

* نعم نعم

– رغم أنه بيعرض الحاجات المختلفة .

* نعم نعم

– بتقول حقيقي هنا عرضت علينا كل الآراء . . . . والشخص ده يمثل كذا وده كذا وده كذا وده كذا وده كذا . . . لكن الرواية ككل أميل لحاجة من الأخرى .

* جميل

– والناقد الأديب بيوصل لإيه؟

* نعم . . نعم بالتأكيد . . طبعاً هذه وظيفة الناقد هو الكشف .

– نعم

* وظيفة الناقد فضح العمل الفكري والأدبي

– بالضبط . . يعني تخرج بالآخر بانطباع أنك مع كذا مش من كذا

* أى نعم بالضبط رغم أنك سمعت كل الآراء

شكراً للأستاذ الروائي الكبير نجيب محفوظ على هذه الدردشة البسيطة وإن كنت أشغلتك قليلاً

لأن عندك مشوارا أيضا لعلاج عينيك.

- نعم

* معذرة .. شكراً لك.. ونلتقي بإذن الله معك في جلسات أخرى قادمة بإذن الله تعالى.

- إن شاء الله.

نجيب محفوظ (٢)

في لقائي معه.. تركت الحديث يسير تلقائياً رغم ضيق الوقت مما يضطرنا أحياناً إلى النقلة السريعة، وقد اشترط عليّ ألا يطول الحديث كثيراً:

* قلت له:

أستاذ نجيب بين «خان الخليلي» و «ثرثرة فوق النيل» بون شاسع في المعالجة.. فخان الخليلي تعتمد على السرد القصصي الجميل والحديث المرتب المتعاقب أما ثرثرة فوق النيل فيتحكم فيها الرمز... ويطول الحوار حتى لكأنك تريد عرض الايدلوجيات التي يمثلها الأشخاص عن طريق الحوار فقط؟

– هذا صحيح.. فالرواية تتطور.. والأديب نفسه يتطور، وكذلك الأحداث... ومن أسر سريرة البسه الله ثوبها.. إن المعنى واضح.. فبحكم الظروف، والاضطرابات السياسية، كانت الأحداث بسيطة، ومعروفة في يسر لاتكد الذهن، ولا يذهب بعيداً عن حدود الأحداث هذا في «خان الخليلي» لأنها كتبت في الأربعينات، وكان الجو السياسي إبانها فاتراً، وأنا في عز شبابي فغلب العرض المأساوي في النهاية خاصة «لرشدي عارف» وكأنني أريد الاحتجاج بقوة على النهايات المؤلمة لأنها الطبيعية أبداً لمثل هذه القصص كما نراها يومياً، خاصة قصص الحب، أما «ثرثرة فوق النيل» فكتبت في جو سياسي غائم جداً.. والكلمة تحيي الإنسان وتميته آنذاك... والايدلوجية أيا كانت تجد طريقها سهلاً ميسراً إلى الأذهان هذا تطور في الحدث الخارجي الذي يفرض قيوده على الكاتب... وقد رجعت إلى نسق أسلوب خان الخليلي في الرواية الأخيرة «الحرافيش» وإذا قلبتها ستجد هذا واضحاً جداً.

* عرف الأسلوب عند نجيب بانتقالات كثيرة يمكن أن يحددها أستاذنا؟

– انتقلت من أسلوب إلى أسلوب كنت أكتب الرواية الواقعية ثم انتقلت من الواقعية إلى التعبيرية.. والأخيرة تعتمد على الرمز.

* الملاحظ أن الرمزية عند نجيب تشير إلى ناحيتين دينية أو سياسية؟

– الرمزية الدينية تخضع لوحي القلب... بينما تخضع الرمزية السياسية للواقع السياسي.

* يتهم أدب الأستاذ نجيب محفوظ بأنه أدب محلي... ويعلل بعض النقاد هذا الاتهام بأن الأستاذ نجيب قليل السفرات.. فلو كان كثيرها لكتب عن نواح أخرى ربما لا تتوافر في البيئة المصرية ... بماذا ترد على هذا الاتهام؟

– أرى أن كل أدب هو أدب محلي، ويجب أن يكون محلياً بالدرجة الأولى وأن يقرأ باعتباره أدباً محلياً وتتمتع محليته من أن يكون أدباً إنسانياً فيقرأ خارج حدود وطنه، عن طريق الترجمة، أو عن طريق القراءة باللغة نفسها إذا كانت من لغة أكثر من وطن، كما هو حاصل في البلاد العربية، والذي يدل على أن محليتي ليست مانعة من التذوق الخارجي أن قرائي في البلاد العربية أكثر من قرائي في مصر عشرات المرات!! فلا أعتبره اتهاماً وإنما هو الوضع الحقيقي... إرجع إلى أي أديب.. مثلاً «دستوفسكي» كتب عن روسياً، ويقرأ في بلاده، وفي كل مكان فالأدب محلي ويجب أن يكون كذلك، وأصل الحكاية أن تراثنا كان له صفة العالمية لأن الإسلام كان دولة واحدة من حدود الهند لجنوب فرنسا وطن المسلم هو هذه البلاد الواسعة، ينتقل فيها كيف يشاء بلا حساب، ولا عوائق، وكل أدب يحكي محليات كثيرة، لأن الأساس في حياته الرحلة.

* أعني لو تناول الأستاذ نجيب الحدث على شكل مشكلة إنسانية عامة، ويمكن أن تحدث في مصر، أو في انجلترا أو في أي بلد آخر؟

– كل ما يتناوله الأدب له هذه الصفات أنت حينما تكتب عن الحب عن الانتقام الغيرة.. العقيدة.. الوطنية.. أنا لا أعتقد أن إنساناً في أي موقع على الكرة الأرضية لا يشعر بها.

* نعم يشعر بها لكن خيوط البيئة – وأقصد البيئة المصرية– تتعمق وتتوسع في القصة مما يذهب بالقارئ إلى تصور الحدث –أحياناً– إلى أنه مصري فقط؟

– الخلافات قليلة.. والجوهر واحد.. ونحن حينما نقرأ أدبين يهمنا الجزء المشترك والجزء المختلف فيه.. الاثنان يهماننا... وأنا حينما اقرأ مثلاً رواية عن أمريكا اللاتينية أحب أن أعرف أشياء لا توجد في بلادي وبنفس الاهتمام أركز كذلك على الشيء المشترك بيننا وتمثله الرواية. فالجزء الإنساني مهم – والجزء المحلي مهم كذلك.

* أستاذ نجيب ... كثير من الكتاب اعتنى بقضية ازدواج الثقافة الغربية مع الثقافة العربية.. ونتائج ذلك خاصة الأستاذ سهيل أدريس في «الحي اللاتيني» والسؤال تناول الأستاذ نجيب لهذه المسائل قليل جداً، لأنه كما قلت بيئي أكثر الأحيان؟

– الأستاذ سهييل إدريس تناولها في الخارج لما ذهب إلى فرنسا وكذلك الأستاذ توفيق الحكيم، ويحيى حقي، وغيرهم أما أنا فتناولتها كأي إنسان يعيش في البيئة ووفدت عليه الحضارة ويمكن أن تكون أزمة التلاقي وضحت جداً في كثيرين من الشخصيات.. أخص منها كمال في الثلاثية، فإن ازمته كلها جزء كبير منها يرجع إلى اختلاف الحضارة.

* التجربة الشخصية والتنظير أيهما أبلغ في الطرح والتلقي؟

– العبرة بأشدهما نفاذا في نفسه «أي الكاتب» فرب تجربة شخصية لا تترك الأثر الذي يتطرق

إلى الآخرين لكنها إذا استوفت شروط التجربة الناجحة من حيث تأثر النفس ذاتها أولاً، فإنها بلا شك منطبعة بالأثر، ومؤثرة في المتلقي... وقد يكون التنظير أبلغ إذا صدر عن رؤية واقتناع، وكان الكاتب واثقاً من رأيه... وعلى كل حال كل في موقعه أبلغ... والبلاغة في اعتقال لحظة التأثر.

* هل جربت كتابة الشعر؟

– في سني المبكرة، أيام صباي حين كنت أدرس في الكلية، ولم أحتفظ منه بشيء للأسف.

* ماذا تأمل للرواية العربية مستقبلاً؟

– تطورت الرواية عن البدايات الأولى لنشأتها، فجيل قام بالريادة وجيل جديد، أخذ بخطى السابقين، وأراد أن يقدم شيئاً لهذا الفن.. والملاحظ أن كثيراً من الكتاب لا يأتون إلا ومعهم علامة جديدة يضعونها في أول صفحة من صفحاتهم الروائية وأنا متفائل جداً بجهود الشباب الروائيين.

* وعن أدب الشباب والناشئين قال نجيب:

– الأديب الناشئ يحتاج أولاً إلى تربية فنية، وثقافية صالحة منذ أول خطوات التعليم، حتى التعليم العالي أو الجامعي، يحتاج أيضاً إلى بيئة ثقافية تتوافر فيها الوسائل الثقافية، المكتبات العامة والخاصة... الصحف المجلات... يحتاج إلى أن يختبر بلده ويمكن البلدان الأخرى إن أمكن.. وأن ييسر له ذلك، يحتاج إلى أن يجد مجالاً للنشر معقولاً، في المجلة، والجريدة. ثم الكتاب، ولابد أن هذه المسائل تنظم من الهيئات الثقافية أو من الدولة.. وطبعاً أولاً وأخيراً... يحتاج إلى القارئ المحترف، لأنه إذا لم يوجد هذا القارئ لم تنجح الكتابة كوظيفة اجتماعية! فإذا توافرت هذه الشروط أصبح المجال للدارس ميسراً.. ومتفتحاً.. وليس ينقص شيء غير أن يكون الاجتهاد موجوداً.. ومواصلة القراءة والعطاء.

* مَن مِن الأدباء الشباب الروائيين ترى أنه يقرب نهجاً، وطريقة تناول للأستاذ نجيب.. لكي يكون خليفة؟

أعتقد أنني لست الوحيد الذي يحارب في الميدان.. معي كثيرون.. وأنا ضمن جيل خدم الرواية خدمة خاصة، وليس له خليفة.. بل لهم خلفاء.. وجيل آخر خدم الرواية خدمة أخرى... وبعد الخلفاء خلفاء فالأجيال يصل بعضها بعضاً... وتؤدي إنجازات جيدة.

* والأقرب من هذا الجيل للأستاذ نجيب؟

– من الكتاب من يشبه بعضهم بعضاً.. والأستاذ الشاب جمال الغيطاني أديب جيد التناول واضح الفكرة.. وأرى أنه سيقدم خدمة كبيرة للرواية العربية وللقصة إذا استمر في العطاء على هذا النحو الذي هو عليه الآن.

يحيى حقي

الأستاذ يحيى حقي ليس غريباً على القارىء العربي.. في الدائرة العربية الشاملة.. بإنتاجاته.. وبريادته في ميدان القصة والرواية. ونحن في هذا الحوار سنطرق الجوانب المتألقة داخل هذا الإنسان.. وميادين الإبداع الذاتي والوجداني.. وسنطرق ونقلب الأوراق الخافية الغامضة في شخصية ضيفنا الكريم.

* مرحباً بك يا أستاذ

- مرحباً يا أخ محمد

* إن شاء الله تكون الصحة جيدة

- الحمد لله.. الحمد لله

* نعم.. ما أدري أنت بالنسبة للدخان.. تدخن كثيراً فيما يبدو لي؟

- في هذه الأيام نعم.. لم أكن مدخناً بهذه الدرجة من قبل.

* والطبيب لم يذكر لك شيئاً؟

- لا.. ولو ذكر.

* يعني حتى لو ذكر.. يبدو أن السيجارة رفيقة لك من قديم؟

- نعم.. من قديم.. عندما كنت أكتب كنت لا أشعر أني أدخن بغزارة جداً.

* نعم

- الإنسان.. ينسى نفسه وهو يكتب

* ورغم أنها قد تتعبك صحياً؟

- ربما.. ربما

* نعم.. نعم. المكتبة أو المكان الذي نقوم بالتسجيل فيه.. هو يبدو أنه المكتبة الرئيسية في المنزل.. في المنزل؟

-هنا كنت أكتب.. على هذا المكتب.

* على هذا المكتب الذي يقع بجوارنا الآن.. نعم

- وبالليل

* وبالليل.. والمنزل يقع في مصر الجديدة؟

- في مصر الجديدة

- هذا المنزل

في طريق المطار

* هذا المنزل.. يعني.. يحتل كم الرقم.. الذي سكنت فيه.. أكيد سكنت في منازل متعددة قبل هذا؟

- متعددة.. نعم متعددة..

* إنني من أسرة لا تملك منزلاً.. لم نملك منزلاً.. ومن عادة المصريين أنهم.. يعني.. يجدون من العيب أن يسكن الإنسان في بيوت أجرة لأنه يقول لك كيف تسكن في بيوت الناس.. ففيه حرص غريب جداً عند عامة.. عند العامة أكثر من الجميع.. تصور شعور العامة.. ساعات يدل على خلق الشعب أكثر من الطبقة الثرية.. فكان فيه شعور أحسه وأتأمله.. أن المصريين لا يحبون أن يسكنوا بالأجرة.. ومع ذلك لأنني من طبقة موظفين.. يصعب عليهم تكوين رأس مال.. فإنا نسكن كثيراً بالأجرة.. ومن حسن الحظ.. لأن ساكن كل بيت يملكه.. يظل فيه طول عمره ولا يعرف إلا حياً واحداً.

* حقيقة في المكتبة ركن خاص بالآداب والإنتاجات الثقافية الأجنبية؟

- طبعاً.. طبعاً

* الأجنبية.. نعم؟

- طبعاً

* ومزينة بعض الجدران بلوحات طبيعية؟

- الحقيقة أنا أحب الفن التصويري.. وكل الفنون في الحقيقة

* وفي.. رسم لشخصيتك.. هنا رسمان.. لوحتان لك؟

- يعني.. لا يليق بالشخص أن يعرض صورته في مكتبه.. ولكن هذه هدايا من أصدقائي.. فأين أضعها إلا في مكتبتي

* نعم.. في الحقيقة.. هي لوحة تمثل الشباب.. وشموخ الشباب.. والحقيقة أيضاً قوة وتوثب الشباب؟

- أما أنا أقبل الشباب ولكن شموخ هذه.. قد تحتاج إلى.. إلى نظر.

* اللوحة الثانية تمثل وقار وحكمة الشيخوخة؟

- هذه صورة من فوتوغرافية

* فوتوغرافية.. نعم

- نقلاً من فوتوغرافية

* في المكتبة أيضاً بعض الأوراق وبعض الصحف والمجلات.. كنت في الوقت.. المتأخر الآن خلصت من هذه الصحف والمجلات والكتب؟

– سيدي العزيز أولاً ليست هذه كل مكتبتي. كان لي مكتبة كبيرة وقد أهديتها إلى جامعة المنيا حينما تكرمت ومنحتني شهادة الدكتوراة الفخرية، فوجدت من واجبي أن أقابلها بشيء.. فأهديتها مكتبتي كلها من الكتب العربية واستبقيت بعض الكتب الافرنجية فقط، ولكن رغم أنني تخلصت من هذه الكتب فإذا بي تنشأ لي مكتبة جديدة.. أريد أن أهديها إلى إنسان آخر.. الآن.

* هي في الحقيقة الرغبة في القراءة لا تتوقف عند زمن وعند حد معين بالتأكيد ستبحث؟

– يعني أستطيع أن أقول لك إنني أبليت نظري في القراءة.. حتى كان أصدقائي الخلصاء يقولون كف عن القراءة.. كف عن القراءة.. ستفقد نظرك. فكان لا يمكن لا يمكن لي أن أكف عن القراءة، واتصالي بالكتاب وثيق جداً يعني.. بيني وبين الكتاب اتصال مغناطيسي حتى أتحسس الكتاب في بعض الأحيان بيدي كما يتحسس المشتري البطيخة ليشتريها.

*عشق وغرام نعم.. بالثقافة والمعرفة.

يبدو أن المدام هي التي عملت أو صنعت لنا الشاي مع البسكويت؟

– فعلاً فعلاً

* بقى لكم طبعاً متزوجين سنوات طويلة؟

– بقى لنا خمسة وثلاثين سنة تقريباً

* نعم.. أنتما الآن متزوجان من فترة خمسين سنة يبدو لي.. هكذا؟

– هذه زوجتي الثانية.. كنت متزوجاً أول الأمر من سيدة مصرية، ثم توفيت بعد زواجنا بسنة ونصف تقريباً، ثم سار بي الترحال إلى أوربا حينما كنت في السلك الدبلوماسي.. ومررت بباريس في فرنسا فتعرفت بزوجتي هناك وتزوجتها.

* يعني هي فرنسية؟

– هي سيدة فرنسية.. كاثوليكية فرنسية.. وقد اشترطت عليها واشترطت هي علي أن لا تتنازل عن جنسيتها ولا عن دينها في سبيل الزواج، وقد احترمتها احتراماً شديداً لهذا.

* وعاشت مع مصر؟

– وعاشت مع مصر

* وانسجمت مع..؟

– ولكنها لا تزال محتفظة بجنسيتها الفرنسية

* وانسجمت طبعاً؟

* و. . يعني في التعايش الديني والعقائدي بينكم مستمر ومنسجم؟

- طبعاً. . طبعاً

* يعني أنت مسلم وهي مسيحية ومع ذلك؟

- وأنت لو قرأت الإسلام لوجدت أنه اعترف للزوجة المسيحية بكافة حقوقها، لأن من واجب الزوج أن يوافق أن تذهب إلى الكنيسة. . بل إلى حد القول بأن تعلق الصليب، وإذا دفنت. . دفنت أيضاً في مدافن المسيحيين. . ولكن حين تأتي إلى الأولاد. يقول الإسلام الأولاد لأبيهم. . ليس لأمهم. . لأن هذه الجماعة الإسلامية التي تحرص على أبنائها وهذا الحقيقة من كان يتصور مثل هذه السماحات في الإسلام. يعني لا يتصور العقل. . في أوربا الزوجة تكاد تنمحي في سبيل الانضمام إلى أسرة زوجها. . بحيث تفقد اسمها ويصبح اسمها اسم زوجها. . وتفقد سلطتها على أموالها وكل شيء. . إنما الإسلام حتم على المرأة المسيحية أن تأخذ كل استقلال لذاتيتها وكيانها واعتقادها ودينها. . فهذا نوع من السمو غريب جداً.

* نعم. . وهذا لون من الحرية؟

- من الحرية

* لا يمكن أن يوجد في ديانات أخرى؟

- لا يمكن أن يتصور. . هل تسمح لي أسترسل معك قليلاً. . إن جاء الإسلام وقال حينما ندخل في باب الميراث. . لا يجوز للمسلم أن يرث مسيحياً ولا للمسيحي أن يرث مسلماً.

حينما قال لا يجوز للمسيحي. . فلا طغيان لأحد على آخر. . إنما الفكرة في ذلك هو الاحتفاظ بالكيان المادي للأمة في داخل هذه الأمة. فتقع الزوجة المسيحية في البلاد الإسلامية في مأزق حينما تعلم أن زوجها الثري، إذا مات لا ترث منه، فتسارع إلى الادعاء بأنها تسلم. . وتذهب إلى المحكمة وتأخذ إشهاداً بأنها أسلمت، وهي لا تقصد إلا أن ترث زوجها.

* ليس فقط إلا غرضاً مادياً؟

- نعم

* ويبدو أنكم في هذا العمر بعد هذه العشرة الطويلة والصحبة الرائعة وصلتم إلى قناعات شخصية أيضاً باحترام وتقدير كل تصرف من قبل كل طرف منكم؟

- طبعاً

* في حدود المنطلق الأيديولوجي والعقائدي لكل منكما؟

- وأنا سعيد جداً لأني وجدت زوجة فنانة. . فهي تشتغل في صناعة السراميك. . وهذا من عملها وطفاية السجاير هذه من عملها. وترسم. . ثم يعني. . وجدت في خلقها ما أتمناه من زوجة. .

الدقة في عملها والإخلاص.. ومافيش حاجة هركلة بركلة كده، لأن كل شيء في موضعه.. حين أفتح دولابي وأرى كيف الملابس مرتبة.. منسقة أشعر بالراحة.. أنا أحب الهركلة شوية..

* طبعاً.. هو طبع الفنان مع الأسف.. عرف هذا الطبع من الفنانين والناس الذين يهتمون بالأشياء الفنية بأنهم ليسوا منظمين؟

- غير منظمين؟

* يعني غير منظمين

- أنا.. غير منظم أبداً.. لست منظماً أبداً.

* نرجو أن تتغير الصورة في المستقبل عن طبع الفنان بأن يكون منظماً أيضاً؟

نعود إلى الماضي قليلاً.. طبعاً هذه الشعرات البيضاء الآن.. وهذا السن الوقور الحكيم لابد أن يعود بنا إلى سن العطاء والتدفق مع أنه هنا عطاء، ولكنه عطاء يختلف عما...

- طبعاً.. طبعاً.. طبعاً

* كنت قدمته في الماضي.. بالتأكيد لما التقيت بزوجتك.. ودعنا في المواضيع الأسرية والعائلية.. ما كان لقاءً عادياً.. وإنما كان لقاء بالتأكيد لفت الانتباه فبدأت العلاقة من النظرات الأولى وبدأ الحديث وبدأ الارتباط وبدأ التوثق.. فهل عشت قصة حب أو قصة عشق؟

- أنا في الحقيقة..

* أو كان زواجاً عقلانياً مثلاً؟

- أقول لك بأنني التقيت زوجتي في الوسط الفني بباريس.. كنت أعرف بعض المصورين وكنت أتردد على مراسمهم.. وهناك قابلتها.. فهذا الزواج نشأ في وسط فني.. يعني كلانا يشعر بأن الحياة ليست أكلاً وشرباً وماديات بل هناك أشياء أجمل من ذلك كله وهو الفن.. كان هذا الشعور المتبادل بيننا هو السبب في قيام هذه الزوجية.. ولغاية الآن أشعر بغيرة شديدة حين أجد زوجتي تقرأ في الأسبوع الواحد سبع ثمان كتب بلغتها.. فهي.. يعني.. مثلاً.. الأدب الاسكندنافي الذي هو غير معروف في مصر قرأته كله تقريباً.. وأنا طبعاً باستمد منها أيضاً بعض المعلومات حين تقرأ علي بعض هذه الكتب..

* جميل.. ولعلها تقرأ بالعربية شيئاً.. يعني بالعربية؟

- لا ... لا تقرأ العربية... صعب قوي اللغة العربية.

* ترجمت شي من أدبك إلى الفرنسية؟

- ترجمت قليلاً.. وربما يتطرق الحديث إلى أعمالي فيما بعد.. وأقول لك ما الذي ترجم منها.

* إن شاء الله أنجبتم يعني من الأولاد.. عدداً من الأولاد؟

– ليس من زوجتي هذه.. إنما من زوجة سابقة كما قلت لك.

* نعم.. ولد أم ولدان؟

– بنت.. لي بنت واحدة اسمها نهى، وهي تعمل في التلفزيون المصري

* بالنسبة للانطلاقة الأولى في حياتك الأدبية والفكرية والفنية أريد أن تقدم للمستمع العربي بشكل عام كيف كانت الحياة الأدبية والفكرية في بداياتك ... وكيف بدأت مسيرتك مع القلم ومع الكلمة؟

– يعني.. الحقيقة.. الإنسان ينتهي بعد تأمل أنه مسيّر لا مخيّر.. يعني أنا من حسن حظي أنني ولدت في أسرة أدبية لها بكل شيء... أولاً أسرة كانت ديموقراطية جداً... يعني لا فرق عندنا بين الأبيض والأسود والأحمر... لا فرق عندنا بين المسيحي والمسلم واليهودي... ولا نشعر بأي فروق في الطبقات أو الألوان فهذا أعطاني نوعاً من الراحة النفسية كبيرة جداً. ثم وجدت هذا البيت يعشق الكلمة... الكلمة العربية فقد كان أبي يدرس في الأزهر في وقت ما... أمي كانت تقرأ الشعر حتى الجاهلي لا يخلو يدها من كتاب في أغلب الوقت.. وأنا كنت ثالث أبنائها.... فكان أخي الأكبر إبراهيم عليه رحمة الله دخل المدارس وغوى الثقافة فبدأ يحمل إلينا كتباً كثيرة بالعربية وبالإنجليزية وبالفرنسية.. فنشأت في وسط يعيش الثقافة داخل البيت.. يعني.... أقول لك إن بعض قصائد شوقي كانت بمجرد أن تظهر في الأهرام... يأتون بها إلينا وتقرأ بصوت عالٍ ونرددها ونحفظها... وظل هذا الشعر يلازمنا حتى الآن.

* ومن هذا الجو بدأت تنطلق وبدأت تقرأ؟

– من هذا الجو.. من هذا الجو.. طبعاً الإنسان في المدارس ساعات يأخذ موضوع إنشاء يقال له.. فحينما يكتب هذا الإنشاء تنبت فيه بذرة شعور بأنه هناك وسيلة للتعبير أفضل من أخرى أو أن هناك لمسة فنية تبان في الكتابة.. فربما في المدرسة بدأت أحس أني لا أريد أن أكتب كما يكتب الآخرون. ثم نما هذا الشعور عندما كبرت قليلاً وجربت قلمي وأرسلت لبعض الصحف مقالات أو قصص فإذا بها تنشر ومنذ ذلك الحين بدأت أنشر قصصي.. بدأت في أول الأمر بكتابة القصة القصيرة.

* نعم.. هناك رأيان في النقد الأدبي وفي الدراسة التاريخية لتاريخ الأدب.. رأي يقول بأن زينب للدكتور محمد حسين هيكل هي الرواية الأولي الرائدة... ورأي أخر يقول بأن قنديل أم هاشم ليحيى حقي هي الرواية الأولى؟ أيضاً لأنها أصلت نموذجاً جديداً من الرواية العربية.. فهل تقر هاتين المقولتين؟

– هذا ليس صحيحاً مطلقاً.... يجب أن لا ننسى زينب تعتبر من فواتيح شكل الرواية في الأدب

المصري لأنه يجب أن نعترف أن كثيراً من الفنون المعاصرة مستورد. . . . من ذلك المسرح مثلاً والسبب إلى آخره. . أيضاً لا أقول الأدب إنما شكل الرواية. . شكل الرواية. . . . ليس هناك شعب ليس لديه قصص وحواديث وحكايات ولكن الحضارة الغربية تحب. . . كما سأشرح لك فيما بعد. . . أن تضع لكل شيء فورما، قيداً، أصولاً ونظماً فإذا بها تشكل للرواية أصولاً وتقاليد إلى آخره تتبع. . . بحيث إذا لم تتضمنها هذه الظواهر لا تعتبر رواية فكأنها يعني. . حكمة ولكنها قيد في الوقت ذاته. . فالشخص الذي اقترب أول الأمر من شكل الرواية كما كان معروفاً في أوربا هو محمد حسين هيكل. . . وإنما قنديل أم هاشم ده يأتي بعد. . . لكن لو تتبعنا بعض ما كتب لوجدت أنني أذكر رواية قبل زينب اسمها عذراء دنشواي كتبها عمي محمود طاهر حقي. . يصف فيها كيف وقع الاعتداء على فلاحي دنشواي وكيف شنقوا. إلى آخره. . . هذه الرواية سياسية وواقعية. ولكن لم تبع للجمهور باعتبارها وثيقة سياسية. . . بيعت كرواية ونشرت كرواية. . . فعلى كل حال سواء اكتشف فيما بعد أنه قبل هيكل فيه رواية تستحق. . . تستوفي الشكل فإننا لابد أن نعترف بأن زينب هي أول محاولة جادة للاقتراب من شكل الرواية المعترف به أو المسلم به في الأدب الغربي. وطبعاً. . . هو استفاد أيضاً من نشأته في القرية ووصف لنا حوادث القرية والعلاقة بين الأغنياء والفقراء وفيه لمحات كثيرة من الأدب الفرنسي.

* باعتبار التأثر الثقافي والجو الذي عاشه. . نعم وقبل أن نأتي إلى المسائل الأدبية والنقدية والفكرية الخاصة نريد أن نتعرف على الجو الفكري أيضاً والثقافي الذي عشته على ذلك الزخم الذي ساعدك على الإنتاج وعلى العطاء. . . . الأسماء التي كانت ترافقك في مسيرتك الأدبية الأولى؟

– طبعاً . . طبعاً

* التي أثرت فيك وتأثرت بها أيضاً. . . الصحف مثلاً. . . . المعارك الأدبية والنقدية؟

– فعلاً . . الجو الأدبي لا ينفصل عن الجو السياسي والاجتماعي الخاص البلد فحينما أتأمل عواطفي كانت عواطف وطنية كنا في هذا السن الصغير نشعر بوطأة الاحتلال. . وكل قصيدة تقال دفاعاً عن الأمة أو تبصيراً بحقوقها كنا نتلهفها. . والجرائد التي تشير إلى هذا . . كنا نقرأها. . فكان فيه حركة وطنية ناشئة . . يعني. . . أنا مولود في سنة خمسة. . . . حينما كان الاحتلال البريطاني على أشده في مصر . . ففي هذا الجو ابتدأ أيضاً الاهتمام بالكتابة. . الذين يعبرون عنا ونتتبعهم. . كانت هناك حركة أدبية نشطة إلى حد. . . إلى حد كبير . . أغلبها مغرم بالأسلوب . . . يعني. . . . العناية الأولى إلى تغريب الأسلوب. . ولذلك يعتبر هيكل من الرواد لهذا الشكل فأنا نشأت في عز شاعرين عظيمين جداً. . . . هما أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ولا أنسى تأثير شوقي عليّ في

صياغته للشعر.. وكان يقول إنه هو شاعر الأمة العربية... هو الذي يغني في أفراحها ويبكي في مآتمها.. فكنا نقرأ قصائده ونشعر حقيقة بأنه يعبر عن أمته... من ذلك.. في سنة ١٢ لما هجمت النمسا على تركيا وأخذت منها مقاطعة البوسنة والهرسك قال شوقي قصيدة:

يا أخت أندلس عليك سلام　　هوت الخلافة عنك والإسلام...

كل مراثيه وقصيدته في عبدالحميد التي يقول فيها:

سلي وأنزات القصور　　هل جاءها نبأ البدور
لو تستطيع إجابة　　لبتك بالدمع الغزير
عبدالحميد ماذا دهاك من الأمور　　وكنت داهية الأمور

فكان شوقي يصلنا أحزان الأمة الإسلامية كلها.. فكان له وقع شديد علينا. حافظ تولى أيضاً الكلام والدفاع عن اللغة العربية عن المصريين إلى آخره.... ولكن كان له في بعض الأحيان يعني... بعض الشكوك، إنما شوقي كان دائماً مدافعاً.... وقد وقع شوقي في مأزق شديد حينما عزل الخديوي عباس وهو شاعر الأمير وبقي مع السلطان حسين الذي خلف عباس.. فتأملنا ماذا يفعل فقال قصيدة مشهورة:

الملك فيكم آل إسماعيلا　　مازال ظلكم يظل النيلا

وفي أبيات يقول:

رؤيا علي ياحسين تحققت　　ما أصدق الأحلام والتأويلا

هم يفسرونها أن سيدنا علي حلم ورأى في المقام أن ابنه حسين سيقتل.... ولكن المصريين فسروها أنه محمد علي بأن ابنه حسين هذا.. سيقتل... فنفي إلى الأندلس.

* في هذا الجو عشت.. طبعاً؟

– الفضل لأني رأيت والدتي تقرأ.. بتمعن وتلذذ... وأخي الأكبر الذي جاءنا بالمكتبة.. في هذا الجو نشأت.

* نعم... ومن الأسماء التي أثارتك مثلاً.... عدد لنا؟

– نحن نشأنا أولاً في الرواية على المنفلوطي.. في الشعر على شوقي وحافظ... ثم عرفنا سامي البارودي.. أصعب علينا كان شوي... وأما في النثر فكان عندنا.... المنفلوطي.. مصطفى لطفي المنفلوطي الذي كان.. يعني... أسلوبه كسلاسل ذهب.... وكان يترجم لنا روايات غرامية رومانسية مثل ماجدولين وحاجات زي دي وأنا أذكر والله ماجدولين وقرأتها وأنا أبكي وأنا صغير من شدة انعطافي لهذه الرواية.. فكان المنفلوطي يعتبر إمام النثر في ذلك الوقت.

* نأتي إلى العصر الحاضر.. أستاذ... وقبل أن ندخل إلى هذا المدخل.. هل لك أن تعدد لنا

ماتتذكر من إنتاجك . . . المسميات لأعمالك؟

- أنا الحقيقة أولاً . . . لازم أقرر أنني عشت طول عمري هاوياً . . . . يعني لا أكتب إلا حين أحس بأنني مدفوع إلى الكتابة برغبة صادقة حقيقية . . وأبذل كل جهدي في العمل الذي أعمله . . . فبدأ إنتاجي ببعض قصص قصيرة . . . وعادة في مصر القصة القصيرة اختلطت أول الأمر بشيء نسميه اللوحة . . . يعني القصة عبارة عن وصف إنسان أو وصف مكان . . . ويقال هذه القصة . . . فكان من أوائل قصصي قصة تصف قهوة يملكها رجل يوناني في إحدى القرى . . وكنت أعرفها وأجلس فيها . . . . . . فشاقني هذا الجو الغريب هذا الجو اليوناني . . ثم المصريون وكيف يتعاملون . . والعمدة . . إلى آخره . . فمن هذا القبيل بدأت أكتب قصصاً قصيرة ربما كنت أكتب ثلاث قصص أو أربع قصص . . . . لم يحدث أن صدر لي كتاب إلا في الخمسينات حينما نشرت مجموعة من هذه القصص تبدأ بقصة اسمها (قنديل أم هاشم) وهذه القصة يعني . . ليست نتيجة تفكير بل هي شعور وإحساس لأنني كنت في أوربا وعشت مدة طويلة ثم عدت فهزني الشعور . . الفارق ما بين ما رأيته وماوجدت عليه بلدي خصوصاً بعد غياب . . . فتصورت هذا الصدام في شاب يتعلم في أوربا ثم يعود ويتنكر لوطنه ولأهله ولشعبه ولأسرته الفقيرة . . . وهذا الموضوع ليس جديداً في الأدب المصري لأن عبدالله النديم كتب في نفس هذا الموضوع . . وهو موضوع مطروق . . إلى هذا الزمان . . . لأن مسألة الصراع بين الحضارة الغربية والشرقية هو الموضوع الذي يزلزلنا جميعاً ولازلنا في حيرة نقول . . ماذا نفعل هل نترك كل ما لديهم أم نأخذ كل مالديهم . . . أو نأخذ الصالح ونترك الطالح . . هذه المسائل لا تنتهي في منطقة الشرق . . فهذا أول كتاب صدر لي . . الذي هو مجموعة قصص قصيرة تتصدرها رواية اسمها قنديل أم هاشم . . . ولم أتوقع أنها تثير شيئاً من الاهتمام حقيقة . . . ولكن الظاهر أنها مست قضية تشغل كل شخص . وبعد ذلك صدرت لي أيضاً كتب مجموعات قصصية من ذلك كتاب اسمه دماء وطين وهو نتيجة أنني عشت في صعيد مصر سنتين خالطت فيه الفلاح في أفقر صوره . . البؤس الشديد الذي عشت فيه وعشت مع نباته وحيوانه إلى آخره . . . فهذه القصص تعكس الجو الذي كنت عايش فيه (دماء وطين) ثم أم العواجيز مجموعة قصصية ثم عنتر وجوليت . . . . إلى آخره .

وبعد ذلك يا سيدي محمد . . . ضقت ذرعاً بالقيود المفروضة على القصة القصيرة خصوصاً القصة القصيرة تعتمد هي والرواية تعتمد على شيء نحن نسميه في مصر حدوته . . . أن فتى قابل فتاة فأحبها فأحبته فانفصلا فبكى فبكت . . . . إلى آخره . . . يعني . . نفسي تضيق كثيراً بعنصر الحدوته فتحولت من كتابة القصة القصيرة إلى مقالات اسميها اللوحة الأدبية التي تعتمد على التأمل والوصف . . وعلى كل حال سبق لي أن قلت مراراً إنني مستعد أن أتنازل عن كل ما كتبته

أدبياً. . . ولكن أرجو أن يلحظ في أنني حاولت إنقاذ الأسلوب العربي من المياعة والسطحية وتكرار المترادفات والسطحية الشديدة إلى أسلوب يضع كل كلمة في موضعها بالضبط بحيث لا نستطيع أن نغير كلمة بدل كلمة . . . لماذا. . . ليس اهتمامي بالأسلوب إنما أنا أعتبر اللغة هي انعكاساً للفكر فإذا كان هذا الأسلوب فضفاضاً يبقى الفكر فضفاضاً. نحن نريد أولاً تحديد الفكر. . . . ولا تحديد للفكر إلا بتحديد الأسلوب لأن اللغة هي التي تنقل الأفكار . . كيف أستطيع أن أعرف فكرك المحدد إلا إذا كنت تكتبه لي بأسلوب غير محدد. . . . لا أستطيع أن ألتقي بك فكرياً.

* لكن الفن يا أستاذ . . نحن الآن دخلنا في النقاش الفني والأدبي المتخصص . . الفن يعتمد أيضاً على عنصر التأمل كما تفضلت وذكرت ويعتمد على عنصر التجديد الفني وهذا يستدعي أحياناً ترادفاً في الألفاظ وعودة على الموضوع مرة أخرى وإعادة ورجوعاً. . يعني لا يعتمد على الدقة. . كالكتابة الأكاديمية المتخصصة أنت تكتب لوحة أدبية بالتأكيد لابد أن تنطلق؟

– مفهوم. . . أنظر من الزم نفسه هذا الشرط يتعرض لخطر الجفاف كأنه خارج من معمل كيماوي مصفى. . . ومنقى ومطهر. . . . كل عمل فني كبير فيه شيء ما نسميه في مصر العبل الذي هو شيء من النفايات في وسط أشياء ثمينة. . . لكن ماهو الحكم الأخير؟ الحكم الأخير هو مقتضيات الفن في هذا المكان. . في هذا المعنى. . . فإذن. . . فلا يجوز مطلقاً أن الإنسان يظن أن الكتاب في الغرب مثلاً . . لا نستطيع أبداً أن نشعر أنهم تنازلوا عن هذا الالتزام لأن يكون كل شيء في مكانه.

* مدرسة الكتابة أو الاعتماد على الكتابة العامية. . كنوع من الواقعية المحضة هل تعتقد أنها نجحت موافاة لشخصية يوسف إدريس؟

– أنا لي رأي في العامية . . . أقول إن هناك لغتين من العامية. . . لغة أسمها لغة سوقية التي تستخدمها حينما تذهب تشتري شيئاً. . هذا كله إجمعها وألقها في البحر. . . . وهناك لغة عامية أدبية. . . أين نلتمسها من مصدرين اثنين لا ثالث لهما. . . من الأمثال الشعبية ومن الأغاني الشعبية لأن هذه التعبيرات التلقائية صادرة من الشعب وفيها تعبير فني. . يعني. . . . عندنا من الأمثلة الجميلة جداً. . . قلب الشيطاطوبة فانظر إلى كلمة طوبة. . كذلك من الأغاني الشعبية يقول لك الباب يهتز فيقول له أتاريك ياباب كذاب ، يعني الأغاني الشعبية والأمثال الشعبية تتمثل فيها عبقرية اللغة العامية. . نحن يجب أن نعترف بها ونحبها لأنها جارية في دمنا وندرسها ونؤرخ لها ونجمعها ولكن حينما ندخل في الكتابة الأدبية هنا موضع السؤال.

* نعم. . نعم

– إسمح لي أكمل هذا الموضوع لأنه مهم جداً وأرجو أن يسمعه أيضاً الشباب ممن يكتبون القصة

عندكم في السعودية. . أولاً سوف أقول فكرة هل. . . . النقد في بعض الأحيان يستخدم لغة إرهابية؟. . . إن الشروط التي ابتدعتها أوربا للرواية أن نقول إنا أريد من حديث الشخص أن ينم عن ثقافته وعن مركزه الاجتماعي وعن مكانته إلى آخره فأنت أيها القصصي المصري حين تتحدث تقول لنا إن البواب قال لي. . . ثم تكتب بالفصحي كأنك أنت تنكر شخصيته أنا أحب ان ترينى شخصيته ترشدني عليها بأنه يتكلم العامية فأرجوك كي تكون صادقاً أن تكتب أسلوب هذا الرجل بالعامية طيب نحن نقول الرواية تنتمي إلى أي شيء. . الرواية تنتمي إلى باب في الأدب الغربي يسمى فكشن. . . فكشن كلمة جاية من اليونانية معناها أنك تأخذ قطعة من الطين فتحركها وتحركها حتى تصبح آنية جميلة . . فإذن الفكشن هو تحويل شيء من الواقع إلى الخيال. . فإذن الرواية لا يجب أن تكون صورة فوتوغرافية. . . إذا كانت صورة فوتوغرافية لم تكن رواية إنما يجب أن تعتمد على الخيال بل وعلى الوهم كأن يقول الفنان كأني أرى الحياة هكذا. . أو كأن الحياة التي أمامي والتي أراها كأنها هكذا. . . . فهو يعطينا صورتها كما يراها هو. . . وفي نهاية الأمر هذا الوهم والخيال يؤدي إلى الحقيقة وهذا من المتناقضات الغريبة جداً في الفن. . . يعني. . . . حينما يضربون مثلاً بلوحة لوميرانت رسم فيها صورة ذبيحة في دكان قصاب. . يقال يعني. . . ما الجديد في هذه الذبيحة بذلك المكان والزمان وإن أي مكان آخر تكون الذبيحة هكذا. . . فإذاً هو لم يرسمها من الفوتوغرافيا وإنما رسمها كما يجب أن تكون. . كما يجب أن تكون فإذن . . إذا سمحنا أن موضوع الرواية كله نقل الحقيقة إلى الوهم فيجب أن نطبق هذا على الحوار مادام أنت سمحت أنك لا تنقل الحقيقة كما هي فطبق هذا المبدأ على الحوار.

* كلام يحتمل الجدل؟

– ثم نلاحظ أيضاً

* تفضل؟

– أن اللغة العامية سريعة الزوال.

* نعم هذه من عوامل الضعف؟

– (!) من جيل إلى جيل. . أنا مع الأسف الشديد أسأل بعض من حولي عن كلمات عامية أعرفها. . . لايعرفونها الآن. . . ومن حسن حظي أني قرأت أخيراً لصلاح جاهين وهو كان من أئمة العامية يقول إنه معترف بأن اللغة العامية سريعة الزوال.

* الحقيقة في بعض العصور يبرز لون أدبي معين ويأخذ مسافة واسعة من الانتشار ربما بسبب الظروف الفكرية أو السياسية المصاحبة لهذا العصر. . فالآن المقال الأدبي. . . . المقال الأدبي احتل الصدارة تقريباً المقال المعبر أو السياسي يحتل الصدارة في الصحف والمجلات وفي الكتب. . . تبقى

القصة الرمزية الموغلة في الرمز أيضاً في ميدان آخر في فترة من الفترات استطاع نجيب محفوظ أن يحمل الأبعاد العقائدية والأيديولوجية والصراع الفكري في بعض شخصيات رواياته مثل ميرامار وثرثرة على النيل، الثلاثية وخان الخليلي وغيرها ممكن يأخذ البعد الاجتماعي أيضاً.

هل ياترى أن في عضر الاضطهاد وفي عصر الحرمان من التعبير الجيد في أي قطر من الأقطار ممكن أن يضمحل المقال وأن تبدو الرمزية واضحة في الرواية هل عانيت من هذه المشكلة؟

– طبعاً معاناة شديدة جداً.... يعني.. في كتاب ربما يكون سيء الحظ.. لم يقرأ كثيراً مع أنه مثل لما تقول.. في سنة ٥٥ أي بعد الثورة المصرية بثلاث سنوات أو أربع كتبت كتابا اسمه (صح النوم).. وهذا تعبير مصري يؤدي إلى معاني مختلفة.. صح النوم لما تقابل صديقاً نهض من فراشه فتقول له صح النوم.. أو تقول لغافل تريد أن توقظه صح النوم أي انتبه. وقد وصفت فيه قرية تعرضت لنوع من الحكم فيه شمول... اضطررت لاستخدام الرمز... فليس في هذه القصة أسماء.. وإنما فيها مثل... العرجاء..... زوج العرجاء...... القصاب التربي.... إلى آخره... وكان هو الوحيد إنني لا أطعن في أي... في النظام الشيوعي إلا من باب واحد... أرجو أن تعامل الإنسان كإنسان لا كملف.. نحن أحياء ولنا شخصية.. ولكن الإنسان في النظام الشمولي أرقام فتزول السعادة الفردية وكله أنا لا يهمني التطور الاجتماعي والضرائبي والتأمين والحاجات ده... ده حاجه بتجي بعدين.. إنما العلة الكبرى أنك تحيل الإنسان إلى ملف.

* جميل

– فهذا الكتاب تحذير للرئيس الذي يريد أن يعامل الناس معاملة الملفات من ذلك مثلاً لدي شاب يحب الطبيعة ويحب التجوال في الغيطان .... إلى آخره.. ولكن سبق أن اشتغل نجاراً وحداداً وإلى آخره. فلما خلت وظيفة أمين المخزن قالوا هات الملفات... فوجود الرجل يحب العمل في النجارة والحدادة فقالوا هذا الذي يصلح.... من واقع الملف... لكن لم يروا هذا الفرد.. فلما دخل هذا المخزن اختنق كاد يموت... لم تكن له حرية اختيار وظيفته وإنما اختير للبيانات الموجودة في الملف.

* نعم جميل

– ومن هذا الباب.. فهو هذا الكتاب يعني مغلف بهذا الغموض الغموض الشديد لكي يمر من الرقابة.

* نعم... قد يكون الرمز فعلاً ذريعة للوصول إلى الحقيقة التي يريدها الفنان والكاتب؟

– بس يعني في باب الرمز لي ملاحظة..

* تفضل

– في بعض الأحيان حينما يكون الرمز واضحاً كثيراً. . . والله أشفق على المؤلف. . . كأني أجده بهلواناً أو يريد يضحك علينا مع أن المسألة واضحة. . أفهم ماذا تريد أن تقول له. . . . إنما يعني قرأت لبول رأياً في الرمز جميلاً جداً يقول: لا ترمز لواقع في مكانه. . . أنقل الواقع والمكان إلى ساحة أخرى. . . يعني تريد أن تتكلم عن النظام في مصر تصور قيام مجتمع في اليونان قبل المسيحية أو في أي مكان آخر وظروفاً أخرى. . . فحينما تنقل المسرح وتنقل الزمان تستقيم الرواية من حيث شروطها الفنية ولايكون الرمز واضحاً.

أنا أضحك كثيراً عن. . . مع إرهاب النقد في حكاية الرمز. . . يقول لك وكانت مضطربة ثم نظر إلى الزجاجة. . النوافذ فوجد زجاجاً تتصادم بها. . . . يعني هذا رمز واضح وبقوة ما يليق بالكاتب. وصلاح أبو سيف في أحد أفلامه يتكلم عن شاب أجبروه أن يتزوج بفتاة سبق لها أن فرطت في عرضها. . فأجلسه على قوتيه وفوقه حلية قرنين لوعل مصطاد محطوط فوق الحيطة. . . بحيث نحن عندنا في مصر يقال على مثل هذا الشاب ذو قرنين. . . فنجحت هذه اللقطة نجاحاً شديداً. . . والجمهور صفق لها. . أنا شعرت أن هذه يعني رمزية سهلة و. . .

* مكشوفة يعني؟

–ومكشوفة. . فإذن . . . الرمز لا يجب أن يكون مكشوفاً والله أنا بيصعب عليّ كثير من كتاب الرمز.

* كنت أريد أن أسأل على ذكر الأفلام عن تحويل العمل الروائي إلى عمل فني. . هل تتوقع . . ونرجو أن لا نستفيض في هذه النقطة لأن أمامنا نقاطاً أخرى كثيرة . . هل يتوقع أن الفن السينمائي الآن يخدم العمل الإبداعي الروائي هل يضفي عليه أبعاداً جديدة؟ أم أن الرواية في الواقع تخسر مضامين وأبعاداً أخرى سلبتها الأفلام السينمائية وأعمال المخرجين؟

– نحن أمام فن . . من الرواية وفن السينما. . . . ففي الرواية الكاتب نفسه هو حر ومسيطر على كل ما يكتبه. . . الفن السينمائي . . المسيطر هو المخرج فهو لا يتكلم بلغة اللغة وإنما يتكلم بالصورة. . . فهو محكوم ومقيد بأشياء كثيرة جداً غير الكاتب. . . . ولذلك من العسير جداً أن تنقل السينما حقيقة الرواية التي تزعم أنها تقدمها لنا ولكن ما الذي يشفع لها. . . أنها في حدود قوانين الفن السينمائي قدمت لنا عملاً ناضجاً سلبياً مستمداً من الرواية. . . إنما العمل السينمائي نفسه يجب أن يكون مستوفياً شروط العمل السينمائي.

* جميل . . ضيف الليلة هو الأستاذ يحي حقي. . . الآن العمر تقريباً يمكن؟

– ٧٣ سنة

* وإن شاء الله تطفيء المائة؟

– الله يحفظك

* بعد هذه الرحلة الطويلة مع الحياة. . . . ونرجو أن تمتد إن شاء الله . . ماذا كسبت؟ وماذا أعطيت؟ وماذا نتوقع أنك لم تقدم من خلاله شيئاً في قنوات خسرتها وقنوات كسبتها؟

– والله أنا كسبت شيئاً كثيراً جداً. . . هو اتصالي بالفن. . وأقول لك. . . إذا حسبت عمري فإنها هي اللحظات القليلة التي أحسست فيها بأني قريب من الفن. . . ولحسن الحظ استطعت بهذا الشعور أن أنتج شيئاً يعني. . . . كملت سعادتي أن هذا الإحساس بالفن لم يكن سلبياً من جانبي. . . أو لم يكن له انعكاس بل كان له انعكاس أنني أنتجت شيئاً. . فسعادتي مزودة بهذا. . . لكن أنا كل ماهو خارج عن نطاق الفن لا يعد من عمري. . حقيقة. . . اللحظات السعيدة التي في حياتي والتي أعتبرها حياتي. . . عندما أقرأ قصيدة جميلة أو أقف أمام لوحة أو أحس أنه منظر جميل . . إلى آخره. . . . . أحس في ذلك الوقت أنني إنسان وأنني لست. . . إنساناً يأكل ويشرب وينام. . بل لي كيان آخر. . . . فهذه هي الروح. . . عمري هو هكذا. . . وأنا اعتقد أنه ولوقت في البلاد العربية يتكلمون عن تنمية اقتصادية ومكتبة تعليمية. . . أنا أريد تنمية فنية. . وأقول إذا ارتفع مستوى الشعور في الفن. . سلم مستوى المناقشة السياسية . . يعني. . . . نحن ساعات في السياسة نتعارك كالوحوش حينما يرتفع مستوى التنمية الفنية نتعامل كأناس مهذبين مع بعض . . فكيف نصل إلى مستوى التهذيب هذا. . . . إلا بالتنمية الفنية بنشر كل وسائل الثقافة وخصوصاً الثقافة الشعبية . . . يعني. . . . الحكومة. . . الحكومة لايمكن أن تنتج فناً. . لكن تعين على نشر البيئة الصالحة للفن. . . . في العناية بالحدائق. . بالمباني. . إلى آخره. . بتوفير الكتب بالاعتناء ببرامج الإذاعة والتلفزيون. . إلى آخره. . بحيث إن الإحساس الفني ينمو في الشعب. . . وبحيث إن جميع علاقاتنا لا تكون حيوانية بدائية بهذا الشكل.

* نعم. . وماهو الشيء الذي لم تكسبه وكنت تتمناه أو خسرته؟

– والله هذا سؤال صعب عليّ. . . أنا الحقيقة أشعر أنني في نعمة كبيرة من الله. . . . وأقول أنا حينما يقولون لي على ماذا تشكر الله. . . لا أقول لا على الصحة ولا على الستر أنا أقول على الوجود. . . . لا أقول على الحياة لأني أنا أشعر من أين أنا جئت؟

نحن. . . كيف خلقنا في هذه الأرض بننفصل عنه فإذا بنا في كون من أغرب الأكوان. . نعيش فيه ولنا أداة من أعجب الأدوات التي يتصورها العقل . . . العقل فنستطيع بهذا العقل أن نفهم الكون كله ونقيس أجرامه وأبعاده ونتأمل كائناته. . . وهو العقل. . فهذا. . فهذا الوجود في الوجود هو كل ما أشعر به من سعادة.

أنا أشعر حقيقة أن النعمة الأولى ليس الصحة ولا الستر وإنما الوجود في الحياة.

* نعم ... وللتذوق الفني أبعاد أخرى .. هل تسمع الطرب أو تسمع شيئاً من الموسيقى.. هل تميل.. هل يأسرك صوت معين؟

- نعم... طبعاً أولاً نحن عندنا مأزق كبير جداً.... أنت تعرف ان النهضة الأدبية في مصر بدأت بشيء يسمى الاقتباس... أحياناً يقولون .. اقتباس .. يعني يرون عملاً أجنبياً فيقتبسوه وأحياناً يقولون تمصير.

إننا نعلم أن في مبدأ الحركة الفنية والأدبية في مصر بدأت في جو يسمى الاقتباس أي يسطون على عمل أجنبي في أوربا ثم ينقلونه بدل أن يقول جورج يقول محمد.. وأليس يقولوا فطمة.. إلى آخره.... حدث هذا في المسرح يعني نسبة كبيرة جداً من الأعمال المسرحية إنما هي اقتباس من الأعمال الغربية.. وصار هذا أيضاً في الموسيقى إلى حد ما... لغاية الآن بعض الناس يقولون إننا نحن نحب أعمال محمد علي البابا القديمة التي لم يكن فيها اقتباس فمن حيث الموسيقى نحن لا ننكر أن لنا تراثاً موسيقياً هائلاً جداً.. هو يتمثل في البشارف والقصائد إلى آخره.. ثم ظهرت الأغنية الشعبية... الأهلية التي تنتج بسرعة حيث أنها يعني الحقيقة لا تستوفي كل شرائط الفن فنحن لنا تراثنا الموسيقي الجميل الذي يتمثل التواشيح والقصائد إلى آخره... كان يجب أن ندرسه ونحاول أن نطوره وظهرت في مصر علامة غريبة جداً أن الشباب الآن يقبل على هذه الموسيقى القديمة أكثر من إقباله على الموسيقى الحديثة ثم هناك نوع من الإرهاب.. أرجو أن أخفف منه قليلاً وهو هناك اتهام الآن لكل شاب: أنت لست مثقفاً إذا لم تعشق الموسيقى الأوربية.. هذا نوع من الإرهاب وأنا أعرف شباناً كثيرين يستمعون هذه الموسيقى بدون تلذذ ولا يفهمونها .. حتى يقال عنهم إنهم مثقفون. لا نكران أن الموسيقى الغربية هي موسيقى الحضارة ويجب أن نلم بها ويجب أن نعرفها ولكن يجب أن نبصّر الشباب كيف يتعاملون مع هذه الموسيقى... فليبدؤا بالألحان التي تناسب ذوقهم.. هناك ملحنون في روسيا... في إسبانيا... إلى آخره... ألحانهم قريبة من أذهاننا.. فنبدأ بهؤلاء ثم نتدرج إلى الأشكال الفنية المعقدة.. إنما هذا الإرهاب... أرجو أن يزول.. أنا أريد أن الشاب نقول له هذه هي البضاعة... إخترلك ما تشاء ... وإذا لم تعجبك والله فلست أنت مجرماً.

* نعم.. والشيء الذي تسمعه وترتاح له يا أستاذ؟

- أنا لحسن الحظ مغرم بالتواشيح العربية القديمة... ولدينا فرقة موسيقية كان يقودها يرحمه الله عبدالحليم نويره عندها نماذج عديدة فاختر لي واحدة منها.

* الأستاذ يحي حقي... أسئلة سريعة وقصيرة جداً؟

– نعم

* هل أنت غني؟

– أنا في نعمة كبيرة جداً من الله سبحانه وتعالى كما قلت لك لأنني في الوجود.. هذه أكبر نعمة لا تسألني كيف صحتك ولا كيف حالك... وإنما اسألني أين أنت وكيف جئت من العدم.

* إذا قلبت الأوراق... المذكرات الشخصية بماذا تحس؟

– أحس أنه.. الحمد لله.. أنام مطمئناً حينما أضع رأسي على الوسادة أقول لنفسي إنني لم أختلس مليماً... لم يدخل جيبي مليم حرام... وأنني لم أسئ إلى أحد.. وأنني حاولت كل جهدي أن أكون معيناً لمن هو في حاجة لعون ليس عوناً مادياً.. نحن في حاجة إلى عون كبير جداً.. أكثر من العون أن نتعارف.. وأن تستمع لي وأستمع إليك.

أن تستمع لي وأستمع أليك.. فأنا الحقيقة في فترات كثيرة من حياتي كنت مستمعاً جيداً.

* نعم.. الصحافة.. الكلمة هل ترى أنها تقدمت عن الماضي.. وهل تعتقد أن الزمن فعلاً كفيل بأن يتقدم الإنسان كلما تقدم الزمن؟

– الجانب الأدبي في الصحافة معتنى به حقيقة.. ولكن لا يزال في حاجة إلى أكثر من ذلك... وفيه بعض الظواهر.. إن جريدة معينة تختار بعض الأدباء وتعينهم عندها فيكادوا يحتكرون هذه المقالات.. نحن نريد فتح الأبواب للجميع.. يجب أن يكون لكل جريدة شخص بصير يحاول أن يعثر على المواهب الجديدة ويشجعها.

* في النهاية هل تعتقد أن هذه الأمة تعتني برجالها وبالذين قدموا لها شيئاً؟

– أظن هناك ضمير فردي وضمير شعبي... الناس الذين خدموا أمتهم بإخلاص ويشعر الشعب أنه لم يكن لمنفعته وأنهم لم يكذبوا عليه.... هذا الاسم لا يزول من ذاكرتهم... ويحتفلون به... وأما إذا كان في استبعاد الأدعياء والكاذبين لا أرى شخصاً أفهم من الشعب في فهم من الذي يتلاعب به ومن الذي يصدق معه.. يعني أنظر إلى ذكرى مصطفى كامل عندنا... محمد فريد... إلى آخره.... هؤلاء الناس الذين خدموا البلد إلى آخره لا ينسون.

* في ختام هذا الحوار تود أن نقول شيئاً... أن تبعث برسالة تنطق بكلمات معبرة وهادئة؟

– أقول أنا سعيد جداً... أن أقابل شابين من السعودية[1].. لأني كما أخبرتك سبق أن عملت في جدة سنة ١٩٢٩ أو ثلاثين وشاهدت بعيني كيف تنشأ هذه الدولة بفضل حكمة وبصيرة وصبر وأناة رجل من أعظم رجال العصر الحديث هو الملك عبدالعزيز آل سعود عليه رحمة الله وثق أنني يؤرقني هم واحد.. وهو أريد أن أدخل على كل اجتماع لقادة الأمة العربية والإسلامية وأقول لهم ألا تدرون أن هناك أناساً عديدين يتوجعون ويمرضون انتظاراً لوقوفكم يداً واحدة في مواجهة

المشكلات التي تهم هذه الأمة... نريد.. نحن نتعذب بدرجة لا يتصورها عقل.

* نعم .. بهذا اللقاء أو بهذه الكلمات نصل إلى ختام حلقة هذه الليلة من برنامج ضيف الليلة مع الأستاذ المبدع الكاتب الرائد يحيى حقي... وقد حدثنا في هذه الليلة عن مسيرته وآرائه وانطباعاته عن الحياة الأدبية والثقافية والفكرية لنا أمل إن شاء الله أن يمتد بك العمر وتقدم أيضاً.. ولنا أمل أن نلتقي بإذن الله تعالى غداً وبعد غداً وفي الأيام القادمة طوال ليالي هذا الشهر الكريم مع ضيوف خدموا وقدموا الكثير للغتهم وأمتهم ووطنهم شكراً لأستاذنا على هذه الضيافة وشكراً لكم أعزائي المستمعين ونلتقي بإذن الله تعالى معكم غداً.

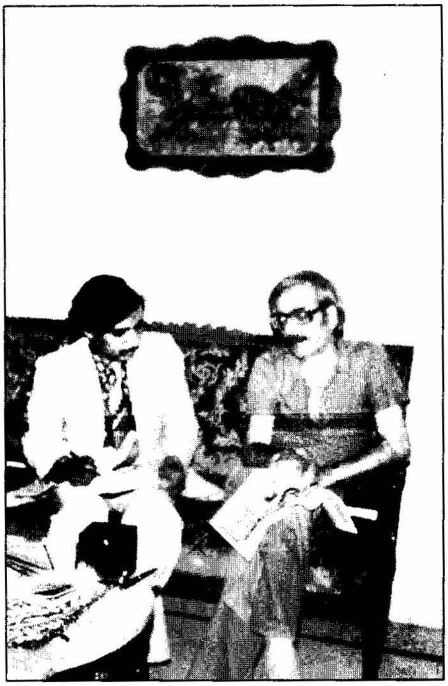
- بارك الله فيكم.

---

(١) كان بصحبتي أثناء إجراء هذا الحوار في منزل الأستاذ يحي حقي -رحمه الله- زميلي الأستاذ خالد البنيان - رحمه الله، وتم هذا اللقاء في عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م في شهر شعبان.

فهرس بأسماء الشخصيات حسب
الحروف الهجائية

ملحق الصور



في منزل زكريا تامر بدمشق عام ١٣٩٨هـ في لقاء صحفي.



مع الأستاذ زكريا تامر في منزله بدمشق عام ١٣٩٨هـ.



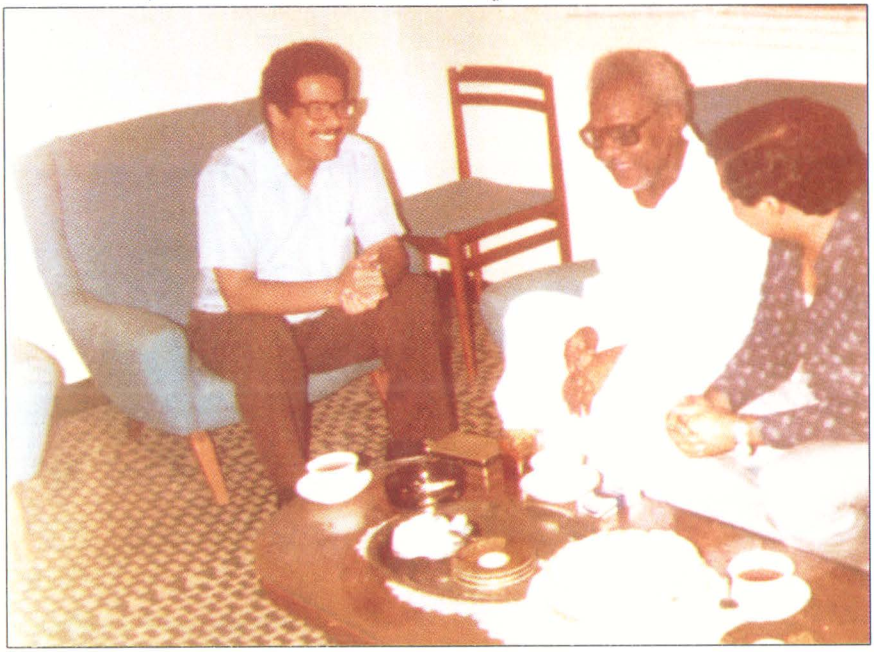
مع الأستاذ عامر العقاد عام ١٣٩٨هـ.



مع الأستاذ عامر العقاد في دارة العقاد بالقاهرة
عام ١٣٩٨هـ في لقاء صحفي.



العوين وزمخشري والمعمر في منزل بابا طاهر بتونس عام ١٤٠٢هـ.



الدكتور محمد العوين والأستاذ الشاعر طاهر زمخشري والأستاذ الأديب عبدالرحمن المعمر في منزل طاهر زمخشري في تونس عام ١٤٢٠هـ.



مع الشاعر عثمان بن سيار ١٤٠٢/٣/٣هـ.



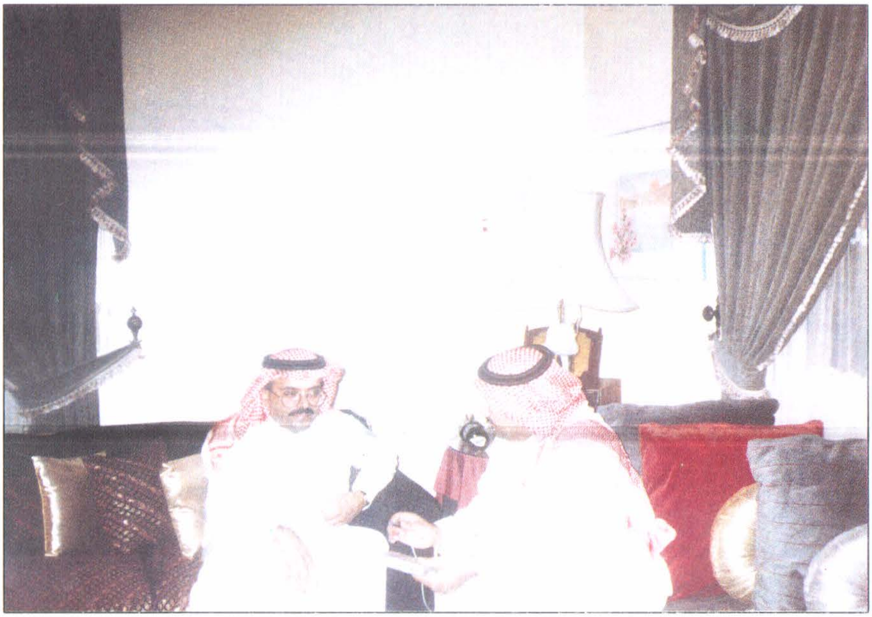
مع معالي الأستاذ الأديب عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري
في مكتبه بالحرس الوطني عام ١٤٠٢هـ



مع الأستاذ التويجري عام ١٤٠٢هـ بمدينة الرياض.



مع الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالرحمن البازعي
في منزله عام ١٤١٦هـ في لقاء إذاعي.



مع الدكتور البازعي في منزله عام ١٤١٦هـ.



مع الأستاذ الدكتور منصور بن إبراهيم الحازمي
في منزله بعد لقاء إذاعي عام ١٤١٥هـ.



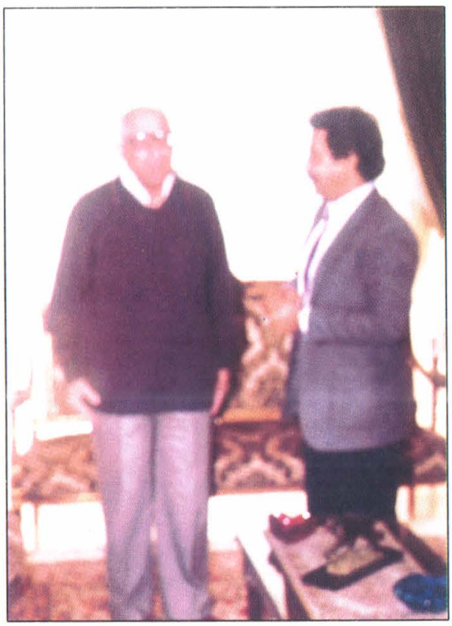
مع الدكتور الحازمي في مكتبته عام ١٤١٥هـ.



مع الدكتور الناقد عبدالله المعطاني
بمدينة جدة عام ١٤١٥هـ بعد لقاء إذاعي.



الدكتور محمد العوين والأستاذان كوركيس عواد وميخائيل عواد في بغداد عام ١٤١٠هـ في منزل كوركيس بعد لقاء إذاعي بحضور الدكتور جليل العطية.



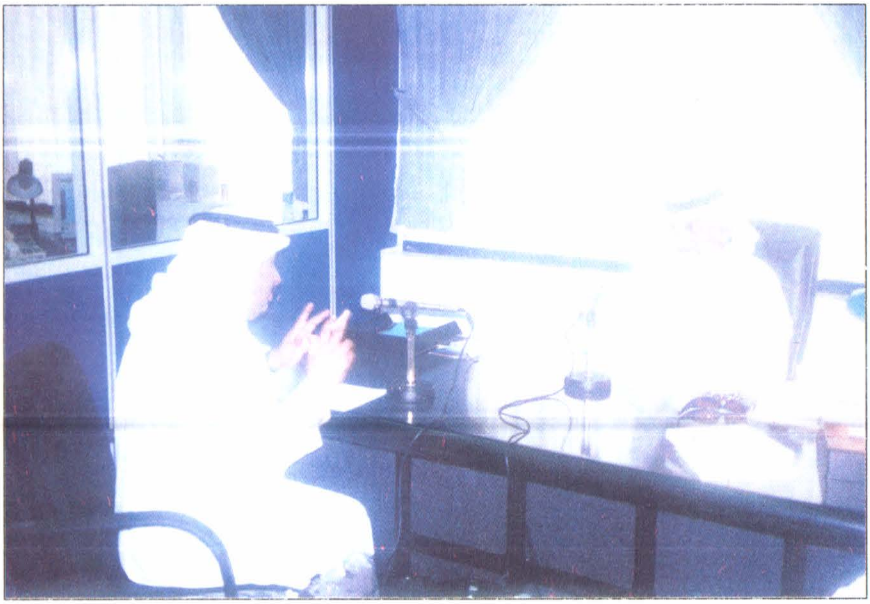
مع الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود
في منزله عام ١٤١٠هـ بعد لقاء إذاعي.



مع الأستاذ خليل بن إبراهيم الفزيع في استديو الدمام عام ١٤١٥هـ.



مع الدكتور فهد العرابي الحارثي عام ١٤٢٢هـ
في مؤسسة أسبار، ويبدو الزميل ناصر الطحيني من الهندسة الإذاعية.



مع الدكتور فهد العرابي الحارثي عام ١٤٢٢هـ.



الدكتور علي جواد الطاهر في لقاء إذاعي عام ١٤١٠هـ.



الدكتور علي جواد الطاهر مع الدكتور محمد العوين
في لقاء إذاعي في بغداد بفندق الرشيد عام ١٤١٠هـ.



مع الدكتور محمد يوسف نجم عام ١٤٢٢هـ.



المؤلف في سطور

* تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بدرجة الدكتوراة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في عام ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
* حصل على درجة الماجستير من الكلية نفسها عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
* وعلى الليسانس من الكلية نفسها عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
* التحق بإذاعة الرياض عام ١٣٩٨هـ. ابتدأ العمل الصحفي في السنة نفسها.
* صدر أمر معالي وزير الثقافة والإعلام بنقله من إذاعة الرياض إلى التليفزيون القناة الأولى بتاريخ ١٤٢٤/٦/١هـ، وكلف بالإشراف على البرامج الحوارية المباشرة ومتابعة تنفيذها.

* صدر له:

-التداعيات ١٤٠٥هـ (مقالات)

-عفو الخاطر ١٤١٢ (مقالات)

-المقالة في الأدب السعودي الحديث (١٣٤٣هـ- ١٤٠٠هـ) جزآن (دراسة)

-صورة المرأة في القصة السعودية (١٣٥١هـ - ١٤١٨هـ) جزآن (دراسة).

-كلمات (مقالات)-دار الشرق الأوسط-الرياض (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م).

- مواجهات- دار بن حزم-بيروت (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

ص.ب: ٦٠٨٢٨ - رمز بريدي ١١٥٥٥ الرياض

بريد إلكتروني: owein-1420@hotmail.com